توراة اليهود

والإمام ابن حزم الأندلسي

قدم له وهذبه ورتبه وعلق عليه

عبد الوهاب عبد السلام طويلة







توراة اليهود

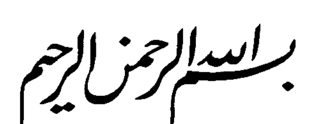
والإمام ابن حزم الأندلسي

عرض جديد لما أورده الإمام ابن حزم
في كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل) عن توراة اليهود
وبعض أسفارهم من حيث التوثيق والمغالطات

قدّم له وهذّبه ورتّبه وعلّق عليه
عبد الوهاب عبد السلام طويلة



دمشق



١ - قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

٢ - وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨].

٣ - وقال جل شأنه: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١].

٤ - عن ابن عباس رضي الله عنهما أن كعب الأحبار أحضر كتاباً إلى عمر رضي الله عنه وقال له: هذه التوراة، أأقرؤها؟ فقال عمر رضي الله عنه: إن كنت تعلم أنها التي أنزل الله على موسى فاقرأها آناء الليل والنهار. [أخرجه ابن حزم وغيره].

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، خَلَق الإنسان في أحسن تقويم، وزيَّنه بالعقل، وأكرمه بالشرع، بعث في كل أمة رسولاً منهم ليقيم حُجَّته وينشر هداه. قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين، فختم به الرسل، وأنزل عليه آخر الكتب، وزَوَّده بشريعة عامة شاملة، صالحة ومصلحة لكل زمان ومكان، تأمر بالعدل والإحسان، وتنهى عن الفحشاء والمنكر. بَشَّرت به الأنبياء، وتواصَى بنصرته الأوفياء، وسعد بشريعته الأتقياء، فجاء بالحق وصَدَّق المرسلين.

دعا إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وكان بالناس رؤوفاً رحيماً، جاور بعد هجرته أهل الكتاب، فلم يجدوا منه إلا صدقاً ووفاءً، دعاهم إلى دينه، وذكّرهم بما كان وما بقي في كتبهم من البشارات به، وبما أُخذ عليهم من العهد باتباعه ونصرته إن بعث وهم أحياء، ممتثلاً هو وأصحابه ﷺ قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، فأدَّى الرسالة، ونصح للأمة، وجاهد في الله حق جهاده.

وسارت أمته ﷺ من بعده على نهجه ووفق هداه، فعاش أهل الكتاب في ظل الدول الإسلامية آمنين على أنفسهم وأموالهم ومعابدهم التي ما زالت باقية وقائمة من عصر الراشدين إلى يومنا هذا، فكانت شاهداً على عدل المسلمين ورحمتهم، وبخاصة اليهود، فإنهم رغم ما فعلوه في عصر النبوة من خِداع ونَكث للعهود وطعن في الظهر، لم يجدوا الأمان والاطمئنان إلا في بلاد المسلمين، فكانوا يتوافدون عليها هرباً من ظلم النصارى لهم على مرِّ العصور، فكيف كان الجزاء؟!

وفي الأندلس، في ظل رحاب الإسلام وجد اليهود منجاة لهم مما أصابهم من قهر واضطهاد على أيدي الأوروبيين، إذ منحهم المسلمون سماحة

وحرية لم يكونوا يحلمون بها، ومع مرور الزمن استطاع بعضهم بدهائه ومكره أن يصل إلى مناصب هامة في الدولة، ولا سيما في القرن الخامس الهجري، كالطبيبين إسماعيل بن يونس الأعور، وإسماعيل بن القراد، وإسحاق بن يعقوب الذي كان مدير الشرطة في غرناطة.

وكان في مقدمة الذين نالوا حظاً وافراً إسماعيل بن نغريلة[1]، وهو من الطارئين على الأندلس، لكنه استطاع بدهائه وحنكته أن ينال ثقة حكام المسلمين، ويحظَى بإعجابهم، حتى أصبح وزيراً للملك باديس بن حبوس، يُصَرِّف شؤون الدولة، ويشارك في دفَّة الحكم، غير أنه كان صاحب مطامع سياسية وعنصرية، فكان يختار موظفيه من بني جِلْدته. ومع مضي الزمن نسي هو وأمثاله إكرام المسلمين لهم، فتطاولوا على الإسلام وعقيدته وشريعته، واشتد الخلاف بين المسلمين وأهل الكتاب، فكثرت المناظرات والمنقاضات وأخذت أشكالاً جديدة من حيث السياسة والتغير الاجتماعي، وزرع اليهود بذور الفتنة بين الحكام، وعملوا على إيغار صدورهم ضد بعضهم، واستهزؤوا بالإسلام، واستفحل أمرهم، مما أثار العامة عليهم، فهاجموهم أخيراً.

في ذلك القرن شهدت الأندلس ذروة الخلاف بين ثلاثة الأديان، وكل من اليهود والنَّصارى يدَّعي أن ما عنده من كتاب مقدس هو آخر ما أنزله الله على رسله، وفيه آخر كلمة من الله، وقامت معركة فكرية بين المسلمين واليهود، تولى كِبْرها ابن نغريلة، فألف كتاباً يطعن فيه بالإسلام، وينال من القرآن. وفي خضم تلك الظروف وجد ابن حزم رحمه الله نفسه وجهاً لوجه أمام المجادلين والمتطاولين من أصحاب النزعات، وبخاصة اليهود، فلم يقف موقف المتفرج من تلك الأحداث، بل شَمَّرَ لها وخاض غمارها. ولما كثرت المناظرات بينه وبين اليهود، وأحس منهم الكذب والتقوُّل على التوراة التي بين أيديهم، رأى أنَّ الاطلاع على كتبهم يقوِّي موقفه، فقرأ خمسة الأسفار المنسوبة إلى موسى عليه السلام قراءة دقيقة واعية، واطلع أيضاً على الأسفار الأخرى، واقفاً عند كل نص ليعرف

---

(١) اختلفت المصادر في رسم اسمه: فتارة يرسم ابن النغرالي، وتارة أخرى ابن النغرال، ومرة ابن نغرالة، ومرة أخرى ابن نغريلة كما في الأصل المخطوط من رسالة ابن حزم. ولعل ذلك يرجع إلى طبيعة النطق وإلى التصحيف [عن مقدمة الدكتور إحسان عباس لكتاب الرد على ابن النغريلة اليهودي ص٨].

معناه ويدرك مرماه، وإنها لمهمة صعبة، ولا يعرف الشوق إلا من يكابده. قال في معرض حديثه عن كذب اليهود ونسبتهم إلى توراتهم ما ليس منها: «وكم عَرَض لنا هذا مع علمائهم في مناظراتنا لهم قبل أن نقف على نصوص التوراة، فالقوم لا مؤنة عليهم من الكذب حتى الآن إذا طمعوا بالتخلُّص، وهذا خلق خسيس».

ونتج عن ذلك الاحتكاك العلمي والمناظرات الكثيرة والمناقشات الدقيقة مع اليهود والنصارى وغيرهما كتب نفيسة، كان في مقدمتها الرد على ابن النغريلة اليهودي، والفَصْل في الملل والأهواء والنحل، فكانا صورة لذلك الاضطراب، وثمرة لتلك المواجهات. ويُعَدّ كتاب الفصل موسوعة حَوَت أديان العالم ونحلَه في ذلك الوقت، فقد ضمَّنه الكثير من المسائل المتفرقة في مناقشة اليهود والنصارى وغيرهما، وفي مناقشة الفرق الإسلامية، وما كانت تلك الموسوعة لتظهر لولا عمق الثقافة التي يتميز بها ابن حزم وسعتها، حتى أصبح مرجعاً وحجة.

قال سيجيل آسين بلاسيوس: سبق ابن حزم بكتابه الفصل أوروبة النصرانية ببضعة قرون، لأن تاريخ الأديان لم يُعرف فيها إلا في منتصف القرن التاسع عشر.

والذي يعنينا هنا من كتابه الفصل ما ذكره عن توراة اليهود وعدم ثبوت نسبتها إلى موسى عليه السلام وما فيها من أغلاط وتناقضات ليثبت أنها محرَّفة وليست هي التي أنزل الله على موسى عليه السلام، فهذا البحث هو الذي هذبتُه ورتبتُه، وعلَّقت عليه مُخرِّجاً نصوصه، وموضحاً حُجَجه ومضيفاً إليها، وسأبين إن شاء الله عملي في الكتاب بعد ذكر تعريف موجز بابن حزم رحمه الله وأساليبه، والحمد لله رب العالمين.

جُدة: غرة ذي القعدة عام ١٤٢٣هـ

٤ كانون الثاني (يناير) عام ٢٠٠٣م




تعريف موجز بابن حزم
حياته ـ منهجه

○ **اسمه ونسبه:**

هو العالم الأندلسي الكبير علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خَلَف بن معدان بن سفيان بن يزيد، كنيته أبو محمد.

ويرى معظم من ترجم له أنه فارسي الأصل، وأن جدَّه الأقصى يزيد هو أول من أسلم من أجداده، وأنه مولى ليزيد بن أبي سفيان.

ويرى بعض من ترجم له أنه إسباني الأصل.

○ **مولده ونشأته:**

ولد بمدينة قرطبة في آخر يوم من شهر رمضان سنة ٣٨٤هـ، الموافق لأول يوم من تشرين الثاني (نوفمبر) عام ٩٩٤م.

نشأ نشأة مترفة بين القصور والحدائق، في بيت عزٍّ ومالٍ وجاه عريض، فقد كانت أسرته غنية ذات مجد وحسب وعلم وأدب، وكان أبوه وزيراً للمنصور الحاجب الذي خَلَف عبد الرحمن الثالث، ثم لابنه المظفر من بعده. ولا ريب أن أباه عُني بتربيته أشد العناية. واشتغل هو أيضاً بالسياسة، حتى وصل إلى مرتبة الوزارة، ومرَّت به ظروف وتقلبات كما هي العادة، فاعتزل، ثم عاد إلى الوزارة أيام هشام، وذلك بين عامي ٤١٨ ـ ٤٢٢هـ، لكنه لم يلبث أن طلَّق المناصب الوزارية، واعتزل السياسة إلى غير رجعة، وانصرف إلى التأليف والكتابة.

○ **وجهته وإخلاصه:**

اجتمعت لابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أسباب الغنى والرياسة، فقد نشأ في عزٍّ وسعة ونعيم وافر، بل هو وزير تربَّى في بيت وزارة، مما يدل على أن طلبه للعلم لم يكن بحثاً عن المال أو سعياً وراء الجاه والشهرة، وإنما كان وليد رغبة نزيهة في المعرفة، وإيمان عميق بقيمة العلم وأثره في إصلاح الناس وصلاحهم.

إنَّ طيب العيش كثيراً ما يسوِّل للنفس التمادي في طلب المتعة واللذة، بدلاً من التفاني في طلب العلم والصبر من أجل تحصيله، لكنه لدى العقلاء ومحبي المعرفة خادم للعلم وعَوْن على تحصيله.

○ وفاته:

نأى بنفسه أخيراً عن الناس إلى قرية صغيرة بالبادية، وتوفي في ٢٨ شعبان عام ٤٥٦هـ ـ ١٠٦٣م عن اثنين وسبعين عاماً، مخلِّفاً وراءه ثروة ضخمة من الإنتاج العلمي.

○ شخصيته ومزاياه:

كان يتمتع بحافظة قوية مستوعبة، وبديهة سريعة حاضرة، وقوة استدلال هائلة، مع حدَّة الذكاء وقوة الملاحظة وعمق التفكير وصبر وجلد ومثابرة، فكان شخصية فذَّة في المقدرة على الغَوْص في الحقائق والتحصيل.

وكان في سلوكه العملي مستقيم الرأي صريح العبارة سليم الفكر عفيف النفس بريء الساحة متواضعاً، فقد كان الناس يتفاخرون بعلمهم، ويتباهون بفضلهم، وكان يقول: «والله إني لأعلم من عيوب نفسي أكثر مما أعلم من عيوب الناس ونقصهم». فهو صريح في الحق معتز بنفسه من غير عُجْب ولا خُيَلاء. وصفه أحد تلاميذه فقال: ما رأينا مثله فيما اجتمع له من الذكاء وسرعة الحِفْظ وكرم النفس والتدين، وما رأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه.

غير أنه كان حادَّ المزاج عنيف اللهجة في النقد، ولا سيما إذا أحس بالمراوغة والتمادي في الباطل، فلا يكتفي بالتصريح المجرد بالحق وبيان الدليل، بل ربما خرجت منه في مناقشاته عبارات قوية لاذعة، والمتأمل في كتبه الجدلية يجدها حافلة بالأساليب العنيفة في نقد أساليب خصومه ودَحْض حجج معارضيه. وهذا ما حدا بابن العريف إلى القول بأن لسان ابن حزم وسَيْف الحجاج كانا شقيقين. وربما كان له عذر في بعض الأحيان، فابن نغريلة مثلاً كان يسخر من القرآن، ولم يلتزم بالموضوعية في النقد، فكان له نعم الدواء.

○ مجالاته وإنتاجه:

عاش ابن حزم في القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي، وهو

عصر تلاقَى فيه الفكران الشرقي والغربي في رحاب الأندلس، حيث عاش المسلمون جنباً إلى جنب مع اليهود والنصارى، فكان من شأن هذا الاختلاط ظهور صراع فكري وحركات نجمت عن الاحتكاك العلمي.

وكان ابن حزم من أنشط مفكِّري المسلمين عموماً، والأندلس خصوصاً، فهو اللغوي والأديب الذي لا يشقُّ له غبار في الشعر والنثر، والفقيه الأصولي النحرير، والمحدِّث الدقيق، والمنطقي البارع، والمؤرخ الأمين، والتربوي والمربِّي الدارس لأغوار النفس. وهو بعد هذا وذاك سياسي خاض غمرات السياسة في عهد مضطرب، كتب في كل جانب من جوانب المعرفة، وفي كل فرع من فروع الثقافة والعلم، وترك الكثير من المصنفات المتنوعة.

قدَّم منذ أكثر من تسعة قرون أعمق دراسة نقدية في علم الأديان، وأشمل عرض لتاريخ الفِرَق والمذاهب، وأوضح مناقشة لعقائدها، وأدق كتاب للسيرة النبوية وجمهرة أنساب العرب، فضلاً عن عنايته بالمنطق والفلسفة وعلم اللسان من بلاغة وشعر وخطابة وغير ذلك.

قال المستشرق الإسباني بالنثيا: في قرطبة ظهر ابن حزم صاحب التواليف الكثيرة في كل فن، وهو من أفذاذ العلماء المعدودين في تاريخ الأندلس، وإن المتأمل في مؤلفاته وما تحويه من مادة غزيرة ليرى بوضوح أنَّ ذلك الإنتاج الحافل لا يمكن أن يصدر إلا عن حضارة بلغت من التقدم مبلغاً عظيماً.

○ مصادره التي استقى منها في مناقشة الأديان ومناظرة اليهود:

اعتمد ابن حزم في مناقشته الأديان ومناظرته اليهود على أساسين رئيسين هما: المبادئ العقلية المقررة في أوائل الحسّ وبداهة العقل. والنصوص المعتمدة عند من يناقشهم.

أ ـ فمن حيث المبادئ العقلية المقررة برز فيه ما يلي:

١ ـ كان لديه عقلية منطقية مرتبة، تحسن تقديم المقدِّمات وإنتاج النتائج، وتعرف كيف تسير في عرض موضوعها بطريقة منهجية منظمة.

٢ ـ اتَّسم بطابع الدقة والتنظيم مع مراعاة مقتضى الحال، وليس أدل على ذلك من حرصه على تحديد معاني الألفاظ، ونفوره من الحشو واللغو والاستطراد تجنباً للالتباس.

٣ ـ يستعين بثقافته الواسعة وعلمه الفياض بعلوم التاريخ والأنساب في تأييد فكرته وتقوية اعتراضه، فيقوم بإحصاء دقيق واستقراء بديع.

ب ـ ومن حيث النصوص: استوعب ما توفر لديه من كتب متنوعة، ففي مناقشاته ومناظراته لليهود أقبل على ما يسمونه التوراة وسائر أسفار العهد القديم، وكانت له إحاطة دقيقة بها. ولم يكتف بالعهد القديم، بل درس شروحاً له، ويبدو أن معرفته للتلمود كانت أقل، مع أنه يصفه بأنه العمدة والأصل للقوانين اليهودية والشريعة. وقرأ أيضاً تاريخ اليهود المنسوب إلى يوسف بن هارون ـ وهو يوسيفوس الهاروني الذي عاش ما بين عامي ٣٧ ـ ٩٥م ـ وهو حجَّة لدى أهل الكتاب من يهود ونصارى بصورة عامة، وقد اعتمد ابن حزم على كتابه، ووصفه بأنه قصص من تاريخ اليهود وغيرهم، جمعه في زمن المسيح عليه السلام، غير أنه رحمه الله قلَّ أن يذكر المصادر التي أخذ عنها، ويكتفي بالإشارة العابرة في أكثر الأحيان أو العامة، فيقول: «وفي بعض كتبهم»، وربما ذكر التلمود وبعض الكتب الأخرى. كل ذلك ليدحض حجتهم ببرهان يأخذه من كتبهم المعتمدة عندهم إلى جانب بعض الحجج التاريخية.

لم يكن ابن حزم يعرف اللغة العبرية، بدليل أنه يقول في كتاب الفصل ١/ ٢٣٣: «ولقد أخبرني بعض أهل البصر بالعبرانية». ويبدو أنه كانت لديه أكثر من نسخة مترجمة، بدليل أنه يقول في الفصل ١/٢٠٨: «ورأيتُ في نسخة أخرى منها»، ويورد نصاً مغايراً بعض المغايرة لنص آخر وجده في نسخة أخرى[1].

جـ ـ وثمة مصادر أخرى حية استقى منها مادته في كتابه الفصل، تتمثل في الحوار المستمر والجدال المتصل بينه وبين علماء اليهود وسائر أصحاب النزعات والأفكار. كان يسأل بعض اليهود سؤال الواعي عما خفي عليه، وبخاصة من

---

[1] من الجدير بالذكر أنه لم تكن ثمة نسخة مترجمة إلى العربية من التوراة في الجاهلية ولا في صدر الإسلام، ويؤكد العالمان نولدكه وديجوج أن التوراة لم تترجم إلى العربية في عهد الرسول ﷺ والتابعين. وأول إشارة إلى ترجمة للتوراة ما ذكره ابن النديم من أن أحمد بن سلام قام بترجمة التوراة إلى العربية في نهاية القرن الثاني الهجري.

وكل الدلائل تشير إلى وجود عدد من الترجمات في عهد ابن حزم في الأندلس، ولعل ترجمة سعيد الفيومي كانت الأشهر كما ذكر المسعودي، غير أننا لا نعرف الترجمة التي كان ابن حزم يأخذ عنها [التوراة واليهود في فكر ابن حزم ص١٤٠].

تحوَّل إلى الإسلام من أهل الكتاب. ومنذ القديم كان علماء المسلمين يرون من دخل في الإسلام من أهل الكتاب مصدراً جديداً يقابل بغيره من المصادر لمعرفة ما في كتبهم وآرائهم، كعبد الله بن سلام ﷺ.

○ **منهجه:**

مهما قيل عن سلاطة لسان ابن حزم ﷺ فإن نَقدَه لآراء خصومه كان أصيلاً في شكله ومنهجه بصورة عامة.

• فهو يسرد حجج خصومه واحدة بعد الأخرى، مورداً في كثير من الأحيان أقاويلهم بحذافيرها، ثم يكشف عما تنطوي عليه من البطلان، مناقشاً كل حجة، آخذاً بالأدلة والبراهين من مصادر خصمه التي لا ينكرها، واضعاً نصب عينيه الوصول إلى الحق، وليس الانتصار لرأيه وإفحام الخصم.

• تدعو حججه التاريخية وتلك التي أقامها على ملاحظات مستقلة إلى الإعجاب، فهي تنم عن مقدرته ودقة نظره ونفاذ بصيرته، فكثرة مجادلاته ومناظراته مع الطوائف، وبخاصة أهل الكتاب، أكسبته دراية ومراناً، ونمَّت فيه ملكة جعلته على وَعْي وبصيرة بمواطن القوة والضعف، وخبيراً بوسائل الإقناع.

• لم يكن يكتفي بدراسة آراء الفرق ومعرفة أدلتها، بل كان يبحث عن شتى البواعث النفسية والاجتماعية التي جعلت الفرق تكثر وتتشعب وتختار تلك الآراء.

أما في مناقشة اليهود ونقده لكتبهم فكان يرمي إلى أمرين:

الأول: أن جمهور أهل الكتاب كانوا يرون أن التوراة التي بين أيديهم هي المنزَّلة من عند الله على موسى ﷺ، وأن موسى هو الذي كتبها وسلَّمها إلى الأحبار من بني هارون، ثم حفظت من بعده حتى وصلت إليهم. فأراد ﷺ إبطال هذا الادِّعاء وإثبات الوضع والتحريف بأشكاله المختلفة لما في أيديهم.

الثاني: ثَمَّة تلازم بين عقيدة كل قوم وكتابهم المقدس، فإذا ثبت بطلان الكتاب وتحريفه لزم من هذا فساد العقيدة التي تقوم عليه.

وانتهج لذلك النهج التالي:

١ ـ **النظر إلى النصوص ذاتها** وما فيها من تناقض واختلاف ومغايرة للواقع

الذي كشف عنه من داخل التوراة ذاتها، فهو يُحصي الاختلافات والفروق، ويتتبعها بدقة، فإذا وجد خطأ كشفه، ثم ساقه دليلاً لكل ذي لب على بطلان الكتاب وتحريفه، واضعاً نصب عينيه قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

وبذلك استطاع أن يريهم ويبرهن لهم أنَّ توراتهم نفسها تحمل بين جنبيها دليل هدمها وبطلانها. وهو نزيه في نقده، لا يتصيَّد أخطاء خصمه، ولا يلتمس له الثغرات لينفذ إليه منها، ولذلك قسم نصوص كتبهم إلى ثلاثة أقسام:

- ما يمكن أن يخرج معناه على وجه ما صحيح، وإن دقَّ وبَعُد. فهذا لم يتعرض له لوجود الاحتمال. قال في مقدِّمة نقده لكتب اليهود[1]: «وليعلم كل من قرأ كتابنا هذا أننا لم نُخْرج من الكتب المذكورة شيئاً يمكن أن يُخَرَّج على وجه ما وإن دقَّ وبعد».

- ما لا يفهم معناه. ولم يتعرض له أيضاً لوجود الذريعة فيه. قال في المقدمة تلك: «وكذلك أيضاً لم نخرج منها كلاماً لا يُفهم معناه، وإن كان ذلك موجوداً فيها، لأن للقائل أن يقول: قد أصاب الله به ما أراد». أي الله أعلم بمراده.

- ما لا حيلة في دَفْعه، ولا وجه له أصلاً. وهذا هو الذي تعرض له. قال في تلك المقدمة: «وإنما أخرجنا ما لا حيلة فيه، ولا وجه له أصلاً إلا الدعاوَى الكاذبة التي لا دليل عليها أصلاً، لا محتملاً ولا خفياً».

فهو رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يناقش النصوص التي تحتمل وجهين أو أكثر، وتختلف وجهات النظر في تأويلها، ويبتعد عن النصوص الغامضة، ويلتمس لأصحابها عذراً. وإنما يورد النصوص التي وضح فيها الخطأ أو ظهر التناقض بحيث لا يخفَى على أحد، ولا يختلف فيه اثنان، فتراه يتتبع الاختلافات بالشهور والأيام والأعداد، وحجة الأعداد؛ مقاتل بارزة لخصومه، لأنها لا تحتمل أي تأويل. قال في بداءة تلك المقدمة: «نذكر إن شاء الله تعالى ما في الكتب المذكورة من الكذب الذي لا يشك كل ذي مُسْكة تمييز في أنه كذب على الله تعالى، وعلى الملائكة عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ وعلى الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ إلى أخبار أُوردها لا يَخْفَى الكذب فيها على أحد، كما لا يخفى ضوء

---

[1] الفصل ١/٢٠١ ـ ٢٠٢.

النهار على ذي بصر»[1]. وبذلك يلزم خصمه بشيء يؤمن به ولا يستطيع إنكاره. وإذا برهن على أن بعض الكتاب موضوع انتقل الشك إلى ما في الكتاب كله.

وكان ﷺ يلتزم خلال مناقشته للنصوص بالخطة التالية:

أ ـ لا يترك شبهة يمكن أن تثور في الذهن إلا عرضها وأجاب عنها، فكثيراً ما يورد اعتراضاً على حجته على لسان خصمه بإثارة قضية مشابهة لما ذكر، ثم يرده ويوضح الفرق، لِيَبْسُطَ حجته ويضعف خصمه بسدِّ الطريق عليه.

ب ـ يذكر الوقائع الإسلامية والنصوص التي يوهم ظاهرها تشابهاً مع موضع نقده، ثم يُزيل ما بها من لَبْس، مبيناً الفرق بينهما، وهو عندما يتحدث عن الوقائع الواردة في توراتهم، يذكر حديث القرآن عنها وتصحيحه لها، ليظهر الفرق بين كلام الله تعالى وكلام غيره.

ج ـ يوضح مخالفة ما ورد في توراتهم للحقائق العلمية والوقائع التاريخية المقررة، ويبين أنَّ جلَّ ما فيها تاريخ مؤلف، يضطرب كاتبه أو كُتَّابه في عرضه، فيقعون في أغلاط فاحشة وأخطاء كثيرة جسام، تخالف التاريخ، وتجافي العقل.

٢ ـ النظر إلى العوامل التاريخية والظروف التي مرَّت بها التوراة منذ وفاة موسى عليه السلام إلى أن فقدت نهائياً، ثم جمعها وكتبها لهم عَزْرا الورَّاق. وهو يحدد بكل دقة من واقع كتابهم الأدوار التي مرَّ بها بنو إسرائيل والردَّات الشاملة التي داموا عليها مدداً طويلة في بلد صغير، ليس على دينهم وأتباع كتابهم أحد غيرهم على ظهر الأرض، ليرجعوا إليه ويأخذوها عنه بعد فقدها.

○ نقده للأسفار الأخرى:

بعد أن يفرغ ابن حزم رحمه الله من نقد توراة اليهود يعرض إلى بعض الكتب المنسوبة إلى الأنبياء وغيرها من الكتابات؛ كسفر يوشع بن نون والمزامير

---

[1] سبق بعضُ العلماء ابنَ حزم في التنبيه إلى بعض الأخطاء والتناقضات التي وجدوها في العهد القديم، لكنهم لم يستقصوا ذلك ولم يدرسوه دراسة تحليلية كما فعل ابن حزم، ومنهم البيروني، فإنه وجد الاختلاف في الأرقام في عمر بعض الرسل وتاريخ الوقائع التي حكى عنها كتابهم. ومن المؤرخين اللاحقين له الذين أشاروا أيضاً إلى ذلك الاختلاف إشارة عابرة ابن خلدون، فإنه عجب كيف يكون عمر إبراهيم عليه السلام (٥٣) عاماً حين وفاة نوح عليه السلام.

والأمثال وغيرها، فيؤكد تحريفها وعدم صحة نسبتها إلى من نُسبت إليهم، وكأنه بذلك يريد أن يسوقها أنموذجاً لغيرها من أسفار العهد القديم[1].

❊ ❊ ❊

---

[1] هذه الترجمة مستقاة وملخَّصة من المراجع التالية: محمد أبو زهرة: ابن حزم حياته عصره آراؤه، محمد عبد الله أبو صعيليك: الإمام ابن حزم الظاهري إمام أهل الأندلس، د. محمود علي حماية: ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، مقدمة د. إحسان عباس على كتاب الرد على ابن النغريلة اليهودي، ابن حزم الأندلسي لـ د. زكريا إبراهيم.





عملي في الكتاب

لم يراعِ ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ في تنسيقه موضوعاً واحداً ينتهجه فينهيه ثم يشرع في غيره، بل اعتمد على الأدلة والبراهين لفكرة معينة يوردها ثم ينتقل إلى غيرها. وبذلك يتكرر ذكر الحادثة التي يستشهد بها كلاً أو بعضاً في أكثر من موضع، فيحصل التداخل.

وكان أكثر نَقْده منصباً على سِفْر التكوين، فيكاد يسير في نقده له فصلاً فصلاً بطريقة دقيقة، لكنه لم يفعل هذا مع سِفْر آخر، بل يقدِّم ويؤخر بين الأسفار، وبين فصول السِفْر الواحد، فيذكر شيئاً من سفر العدد أو التثنية، ثم يعود إلى سفر الخروج.

وقلَّ أن يذكر المصادر التي أخذ عنها، بل يكتفي بالإشارة العامة أو الخاصة في أكثر الأحيان، فيقول مثلاً: وفي بعض كتبهم، أو يقول: في السفر الأخير من التوراة، في الفصل الأول منه، ثم يقول: وفي الفصل الذي بعده، وهكذا بدون تحديد. ومن ثَمَّ كان عملي على الشكل التالي:

١ ـ وضعتُ بين يدي الكتاب تقديماً عَرَّفتُ فيه بالكتب السماوية وشروط صحتها، ثم ذكرتُ توثيق المسلمين لنصوص الوحي عندهم من كتابٍ وسُنَّةٍ، وبَيَّنْتُ تفردهم بالأسانيد الصحيحة المتصلة في رواية الأخبار من جيل إلى جيل، ثم أتبعتُ ذلك بذكر الكتب المقدسة عند أهل الكتاب وأقسامها وافتقارها إلى الأسانيد، وبينت ما اتفقوا عليه من الأسفار وما اختلفوا فيه، بما في ذلك الأسفار الخفية عند اليهود، مع تعريف موجز بالتوراة وأسفارها.

٢ ـ في بداءة الأمر شرعت في تخريج النصوص التي ذكرها ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ أو أشار إليها من كتابهم المقدَّس، مع تعليق يتضمن ما يقتضيه الحال من توضيح وإضافة، وكدتُ أنتهي مما قصدته، لكن هالني ما رأيت من تكرار ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ للحادثة التي يستشهد بها، حتى إنه يكرر الفكرة نفسها أحياناً في أكثر من موضع، ورأيت أنَّ الإحالة وحدها لا تفي بالغرض، إذ لا بدَّ من ذكر النصوص لتتضح

الفكرة ويحصل اليقين عند القارئ، وبعد تردد عَدَلْتُ عن مجرد التخريج والتعليق إلى التهذيب والترتيب أيضاً، مع الحرص على ذكر عباراته والجمع بينها، والمحافظة عليها ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، فإن لها نكهة خاصة تناسب المقام، وقد جعلتها في أعلى الصفحة، والتخريج والتعليق والإضافة في أسفلها.

٣ ـ قسمت الكتاب هذا إلى خمسة أقسام رئيسة، والقسم إلى فصول تناسب الفكرة المدروسة، والفصل أحياناً إلى فروع بحسب الحاجة. ووضعت عناوين رئيسة وجانبية لتوضيح الفكرة وتسهيل الرجوع إليها، وجعلتها بين هاتين الإشارتين [ ] إذا كانت في أعلَى الصفحة، لتتميز عن العناوين التي وضعها ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٤ ـ تتَّبعتُ ما ذكره أو أشار إليه من النصوص والحوادث في الأسفار. واللهُ وحده يعلمُ كم بذلت من جهد ووقت لأجد النص في مواطنه المتكررة فيها، تارة بزيادة أو نقص مع اختلاف وتباين، وأخرى بدون اختلاف، لكن بزيادة أو نقص، وحرصت على ذكر النصوص المتكررة في الأسفار مع رقم الفصل والجملة لأمرين:

أ ـ طمأنينة القارئ إلى أننا لا نتقوَّل على القوم، أو نبتر الحادثة، أو نغير بعض ألفاظها لنلبِّس على القارئ، أو نصوغها بطريقة تغير المعنى تحت ذريعة الاختصار. وهذا داء مستشرٍ في كتب المناظرات والمراجعات والتعقيبات، فترى من لا أمانة لديه يتصرف في عبارات النصوص عن قصد، فيأتي ببعض دون بعض مما له علاقة أصلية أو مؤثرة بالمعنى، ثم يحيل القارئ إلى المصدر أو المرجع، مع ذكر الجزء ورقم الصفحة، ليدخل في رُوعه فكرة ما، أو يُعمي عليه فكرة. وهذا كذب خفي يترفع عنه الكرام أصحاب المروءة، فإن التصرف في العبارات وعدم ذكر بعضها مما لا يؤثر في المعنى للاختصار والتلخيص، يختلف عن التدليس والتلبيس.

ب ـ إن مقابلة النصوص التي يوردها ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الترجمة التي كانت لديه بالنسخ المترجمة التي بين أيدينا اليوم، مع تتبع مواردها المتكررة في الأسفار، تظهر لنا خلافاً بين الترجمتين أحياناً، وبين الأسفار في النسخة الواحدة، أو في النسخ المتعددة أحياناً أخرى، ولعل بعضها يعود إلى الفوارق بين الترجمات، وبعضها إلى أخطاء المصنفين أو النساخ.

٥ ـ ضمنتُ تعليقات القسم الأول توضيحاً لأربعة مغالطات رئيسة يغالط بها علماء أهل الكتاب عوامَّ المسلمين، ليتشبثوا ـ ولا سيما أمام أتباعهم ـ بصحة أسفارهم، وذكرت ضمنها لمحة تاريخية عن الأدوار التي مرت بها التوراة من واقع أسفارهم، كما تعرضت إلى اللغات التي كتبت بها التوراة وسائر أسفار العهد القديم، ثم أتبعت ذلك بلمحة عن الفروق بين ثلاث النسخ الرئيسة للتوراة والعهد القديم مع نماذج منها، وختمت القسم بتغير موقف أهل الكتاب على التوالي من العهد القديم.

٦ ـ وضحتُ في القسم الثاني ما ذكره من أغلاط وتناقضات، ولا سيما في الأمور الحسابية، فقد جعلتها بالأرقام المجرَّدة جمعاً وطرحاً وضرباً وقسمة، فغدت أكثر وضوحاً.

وقد ظهر لي من خلال عرض النصوص ومقابلتها أخطاء واضطرابات أخرى لم يذكرها ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فنبَّهْتُ إليها، وأشفعتها بما ذكره الباحثون والمحققون، فغدا الكتاب مُتْرعاً بالبراهين التي تدل على تحريف أسفارهم وتبديلها.

٧ ـ لا ريب أن الله سبحانه متَّصِفٌ بكل كمال، منزَّه عن أي نقصان، وأهل الكتاب يتخبطون في صفات الله تعالى تبعاً لتخبط أسفارهم، ويصفونه بصفات يتنزَّه عنها عقلاً وشرعاً، كالتعدد والتشبيه والنسيان والغفلة والتعب وغير ذلك. وقد أوردت في القسم الثالث طَرَفاً من تلك النصوص، كما ضمنتُه بحثاً في حقيقة البداء بين المسلمين وأهل الكتاب، وأوضحت ذلك بما يكفي ويشفي بإذن الله.

٨ ـ إن النبوة ضرورة في حياة البشرية، لا معدل عنها ولا محيد، ويذكر التاريخ، وينقل الأخلاف عن الأسلاف أنه قد ظهر على مرِّ الزمن رجال دَعَوا الناس إلى عبادة الله الواحد، وأرشدوهم إلى الحق والخير والإحسان، هم الأنبياء، وأنهم كانوا في أقوامهم مشهورين بالصدق والأمانة والعفة وحسن السيرة، غير أن أسفار اليهود تنسب إلى الأنبياء من الفواحش والشنائع ما يتنافَى مع وضعهم الديني والاجتماعي، وقد خصَّصتُ القسم الرابع لعرض طرف من افتراءاتهم على أنبيائهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ونسبتهم إليهم أفعالاً وأقوالاً لا تصدر إلا من سفلة الناس، مما يدل على أن هذه الأسفار قد لعبت بها الأقلام كثيراً، ثم ختمتُ القسم بتحذير موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من أدعياء النبوة، وبشارته بنبيٍّ مثله في الصفات

والأفعال، يأتي من بعده، ويخبر بأمور غيبية تتحقق. وقد حلَّلتُ النص وأوضحت البشارة وبينت مصداقها.

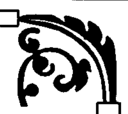
٩ ـ وبعد أن فرغ ابن حزم ﵀ من نقد التوراة، ذكر طرفاً من أسفار العهد القديم من الكتب المنسوبة إلى الأنبياء وسائر المكتوبات، وأكد تحريفها أيضاً، وكأنه جعل ما ذكره أنموذجاً لها، ثم ذكر طرفاً من افتراءات الأحبار وعبثهم بعقول قومهم. وهذا هو القسم الخامس والأخير من هذا الكتاب، وقد جعلته فصلين، ختمت الفصل الأول منه بأمثلة على التناقض بين التوراة وسائر الأسفار، دلالة على اضطراب الكتاب المقدَّس كله.

١٠ ـ اعتمدت في تخريج النصوص وتسجيلها الكتاب المقدس الذي أخرجته دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط عام ١٩٨٤م، وهو من إصدار البروتستانت، وإنما اعتمدته لكونه موافقاً للكتاب المقدَّس عند اليهود في الأسفار والمضمون وإن اختلف في التقسيم، وكنت أقابل نصوصه بالكتاب المقدس الذي أخرجته دار المشرق ببيروت عام ١٩٨٣م، وهو مزوَّد بحواشٍ تُعَرِّف بأسفاره، وتشرح بعض الجمل من بعض فصوله، وهو من إصدار الكاثوليك كما كنت أقابل النصوص أيضاً بالتوراة السامرية التي ترجمها الكاهن السامري أبو الحسن إسحاق الصوري، ونشرها وعرَّف بها وعلَّق عليها الدكتور أحمد حجازي السقَّا، وصدرت في القاهرة عام ١٩٧٨م.

أسأل الله الكريم ربَّ العرش العظيم أن يفتح القلوب والعقول لما كتبته، وأن يرينا الحق حقاً ويحببه إلينا ويحببنا فيه، وأن يرينا الباطل باطلاً ويكرهه إلينا ويكرهنا فيه، وصلَّى الله وسلَّم على خاتم النبيين وسيد المرسلين المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.



بين يدي الكتاب


الفصل الأول

ويتضمن ما يلي:

١ ـ الكتب السماوية وشروط صحتها.

٢ ـ توثيق المسلمين لمصادر التشريع.






الكتب السماوية وشروط صحتها

○ تعريف الكتاب السماوي:

الكتاب لغة: مصدر كَتَب كَتْباً وكِتابة، أي قضى وألزم وفرض. وكتب الكتاب: خطه، وجمعه كُتُب. والسماوي: نسبة إلى السماء، أي المنزل من السماء.

وأهل الكتاب يسمونه المقدَّس: أي المطهَّر، يقال: قَدُس قُدْساً وقُدُساً؛ أي طهر وتنزه وتبارك[1].

واصطلاحاً: هو الكتاب الموحَى به من الله ﷻ إلى أحد الأنبياء، كالقرآن الكريم، والتوراة التي أنزلت على موسى ﵇، والإنجيل الذي أنزل على عيسى ﵇.

○ معنى الوحي:

الوحي لغة: الإخبار أو الإعلام الخفي السريع، يقال: أوحَى إليه؛ أي كلَّمه خفية. كما يطلق أيضاً على الإلهام. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ [الشورى: ٥١].

○ شروط صحة الكتاب السماوي:

وضع العلماء والباحثون قواعد وشروطاً لقبول الكتاب السماوي والتسليم بأنه حُجَّة، وأهمها ما يلي:

١ ـ أن يكون النبي الذي يُنسب الكتاب إليه قد ثبتت نبوتُه وعلم صدقُه يقيناً بوساطة دلائل النبوة المعروفة من معجزات وغيرها.

---

[1] وقُدْس الأقداس عند اليهود: مكان من الهيكل، كان يدخله عظيم الأحبار عندهم في السنة مرة واحدة. والقُدَّاس عند النصارى: ذبيحة جسدِ ودمِ المسيح، يُقدَّمان على الهيكل تحت شكلي الخبز والخمر، والجمع قداديس. [المنجد].

٢ ـ أن يَذكر ذلك النبي بصراحة ووضوح أن الله سبحانه أوحَى به إليه، ويثبت ذلك بالدليل التام، أو بالكتاب نفسه إن كان معجزاً.

٣ ـ أن تكون نسبة الكتاب إلى النبي، وصلت إلينا بالطريق القَطْعي، وذلك بأن يثبت أولاً أنه كُتب بين يديه، وضُبط من قِبَله، ثم تلقَّاه الأخلاف عن الأسلاف، جيلاً بعد جيل، من غير أية مظِنة للانتحال أو التحريف أو التبديل أو الزيادة أو النقص. وأساس ذلك التواتر، أو على الأقل السند المتصل المشهور. قال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦] أي: تثبَّتوا من الأمر.

٤ ـ ألَّا يكون ذلك الكتاب متناقضاً أو مضطرباً، يهدم بعضه بعضاً، فلا تتعارض تعاليمه، ولا تتناقض أخباره، بل تتآزر وتتضافر، ويكون كل جزء منه مكملاً للآخر.

٥ ـ ألَّا يخالف الحقائق والوقائع الثابتة القطعية، فإن الشرائع السماوية تأتي بما تَحار فيه العقول، لا بما تُحيله[1].

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

هذا؛ ويرى الفيلسوف اليهودي الهولندي المعروف باروخ سبينوزا (١٦٣٢ ـ ١٦٧٧م)[2] أن القاعدة العامة التي يجب اعتمادها لتفسير الكتاب المقدَّس، هي ألَّا ننسب إليه أية تعاليم سوى تلك التي يثبت الفحص التاريخي بوضوح تام أنه قال بها. ثم يحدِّد الأسئلة التي يجب طرحها قبل اتخاذ القرار النهائي بمصداقية الكتاب، وهي:

١ ـ سيرة مؤلف كل كتاب وأخلاقه والغاية التي كان يرمي إليها، ومَنْ هو، وفي أية مناسبة كتب كتابه، وفي أي وقت، ولمن، وبأية لغة كتبه؟

٢ ـ الظروف الخاصة بكل كتاب على حِدَة، كيف جُمع أولاً، وما الأيدي التي تناولته، وكم نسخة معروفة مختلفة من النص، ومن الذين قرروا إدراجه في الكتاب المقدس؟

---

[1] إظهار الحق طبعة المغرب ٥٦/١، محاضرات في النصرانية ص٩٣ ـ ٩٤ طبعة إدارات البحوث العلمية.

[2] في رسالته في اللاهوت والسياسة ص٦٥.

٣ ـ كيف جمعت جميع الكتب المقنَّنة ـ أي المعترف بها رسمياً، وجعلتها الكنيسة قانونية في القرن الرابع الميلادي ـ في مجموعة واحدة.

ويرى أنه لا بدَّ من قرار حاسم، بأن لا نُسلِّم بشيء لا يخضع لهذا الفحص، ولا يستخلص منه بوضوح تام على أنه عقيدة مؤكدة للأنبياء، وبعد أن ننتهي من فحص الكتاب على هذا الأساس، نعمد إلى دراسة فكر الأنبياء والروح القُدُس، لكي نصل إلى النتيجة المنطقية التي نصنف على أساسها الكتاب.

فهو يجعل علمية البراهين التاريخية هي الأساس في تفسير الكتاب المقدس وتصديق روايته.

ونحن على ضوء هذه القواعد سنرى مدى صحة الكتب السماوية المعروفة اليوم، وسأقدِّم البحث في توثيق المسلمين لمصادر تشريعهم؛ ليظهر النظام الدقيق الذي اعتمدوه وانفردوا به في قبول الخبر وردِّه، إذ بضدها تتميز الأشياء.



توثيق المسلمين لمصادر التشريع

المصدر الحقيقي للتشريع الإسلامي إنما هو إرادة الله سبحانه، الموحَى بها إلى خاتم الأنبياء محمد ﷺ في الكتاب والسنة.

فالكتاب: هو القرآن الكريم الذي أنزله الله سبحانه على رسوله محمد ﷺ بلفظه ومعناه، ليبلِّغه للناس. وهو أساس الدين والتشريع.

والسنة: هي ما أُثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة. وكان أكثرها وحْياً مباشراً، ومنهما ما هو مستند إلى الإقرار الإلـٰهي. قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ ـ ٤].

وهي في مقام التشريع تعدُّ مبينة للكتاب، تُوضِح مجمله، وتفصل أحكامه، وتبين صفة تطبيقه.

○ توثيق النص القرآني:

انفرد القرآن الكريم من بين الكتب السماوية التي سبقته بتوثيقه توثيقاً مكيناً وصل إلى الذِّروة، وهذا هو سر خلوده، وأحد مفاتيح إعجازه.

نزل مُنَجَّماً خلال ثلاث وعشرين سنة، لِحكَم كثيرة، وكان النبي ﷺ دقيقاً كل الدِّقة، وحريصاً كل الحرص على كتابة القرآن حين نزوله، وعدم اختلاط غيره به، فكان له كُتَّاب وحي، يتلقفون ما ينزل عليه، فيكتبونه في وعي وإدراك وإتقان. وكان سائر الصحابة ﷺ يتلقَّونه أيضاً من فم النبي ﷺ ويتسابقون إلى حفظه، ويتبارون في تلاوته، والنبي ﷺ بينهم، يَعْرضون عليه ما حفظوا؛ ليتثبتوا من حفظه، كما كانوا يسمعون تلاوته منه في الصلوات الجهريَّة وغيرها. وكان النبي ﷺ يقف أصحابه على ترتيب آيات السور، ويعلمهم مواضعها، وينهى عن كتابة أي شيء عنه سوى القرآن في بادئ الأمر؛ دفعاً للَّبْس وإزالة للشبهة.

وكان الحاضرون يُعلمون من لم يشهد النزول من إخوانهم، فضلاً عن أهل بيتهم، فيجري بينهم التنافس الكبير في حفظه وتلاوته. وقد شارك النساءُ الرجالَ،

في هذه المنافسة والشرف العظيم. وهكذا كان حِفْظ القرآن وكتابته يسيران جنباً إلى جنب ليلتقي المكتوب بالمحفوظ، فكلاهما توثيق للآخر، وما من آية إلا وكان يحفظها ويكتبها جمع تقوم به الحجة القطعيَّة، ولم ينتقل النبي ﷺ إلى جوار ربه إلا وكان القرآن كله مكتوباً ومحفوظاً لدى الكثيرين من الصحابة ﵃ فأدَّوه إلى من بعدهم مصوناً من أيِّ تحريف، منزَّهاً عن أي تغيير، ثم تواتر نقله على هذه الصفة حفظاً وكتابة من جيل إلى جيل في مشارق الأرض ومغاربها، حتى وصل إلينا بلغته الأصلية وصفة تلاوته، سالماً من أية زيادة أو نقصان[1].

○ عناية المسلمين بالسنة:

بلغت عناية السَّلَف بالسنة النبوية وآثار الصحابة ﵃ للاستدلال على الأحكام الشرعية ما انتزع الإعجاب، كان لا يَشْرُف أحد بينهم بعد حفظ كتاب الله تعالى إلا بقدر ما يحفظه من حديث الرسول ﷺ؛ فكان الكثيرون منهم يرحلون المسافات البعيدة، ويجوبون البلاد شرقاً وغرباً في طلب حديث واحد، ليسمعوه من راويه مباشرة.

بدأت الرحلة لطلب العلم في جيل الصحابة ﵃، ثم استمرت في جيل التابعين، فقد تفرق الصحابة في الأمصار، يحملون معهم العلم، وما كان لأحد أن يحيط بكثير من حديث النبي ﷺ دون أن يرحل في الأمصار، واستمرت الرحلة أيضاً في أجيال من بعدهم، حتى أُرسيتْ دعائم هذا العلم، وثبتت قواعده، وأُحكمت أصوله.

○ تدوين السنة:

نهى النبي ﷺ في أول الأمر عن أن يكتب عنه شيء غير القرآن؛ مخافة أن يختلط به ما ليس منه، ثم أذن لبعض الصحابة بكتابة حديثه حيث أمن اللَّبْس وانتفى المحذور، ثم اتسع نطاق الكتابة في عصر الصحابة ﵃ لاكتمال القرآن الكريم وعدم نزول الوحي، وكذلك فعل التابعون، فكانوا يدوّنون علمهم عن الصحابة ﵃، ولما انتشر الإسلام، واتسعت البلاد، وتفرق الصحابة ﵃ في

---

(1) النشر ١/٦، مقدمتان في علوم القرآن ص٥ و٢٧، الإتقان ١/٦١ و٧١، الفوائد في مشكل الآثار للعز بن عبد السلام ص٢٦ - ٢٧.

الأقطار والأمصار، ثم مات أكثرهم، وتفرق أتباعهم، احتاج العلماء إلى تدوين الحديث وتقييده بالكتابة، واتسع نطاق الجمع والتدوين في عهد عمر بن عبد العزيز، وهو من التابعين، وما زال يكثر وينتشر حتى صُنِّفت الدواوين الكبيرة الشهيرة في السنن والمسانيد والجوامع وغير ذلك، والأحاديث كلها مدونة برواتها وألفاظها، فلكل حديث سند ومتن،فالسند هو سلسلة الرواة الذين تناقلوا الحديث من مبدئه إلى منتهاه، والمتن هو ما ينتهي إليه السند من الألفاظ والكلمات. ولا زال هذا العلم يُخدم حتى يومنا هذا.

○ تفرد المسلمين بالأسانيد الصحيحة في نقل الأخبار:

علم الإسناد المتصل الصحيح ظاهرة اختصت بها أمة محمد ﷺ ولا عجب من ذلك، فإنَّ الأسس الرئيسة لعلم الرواية ونقل الأخبار مذكورة في الكتاب والسنة، ولذلك كان الصحابة ﷺ يتثبتون في نقل الأخبار وقبولها، ولا سيما إذا شكُّوا في ضبط الناقل، أو صدقه، فكان عمر ﷺ يستحلف الراوي أنه سمع ذلك من الرسول ﷺ وأحياناً يطلب شهوداً على ذلك، وقال مرة لمن طلب منه أن يأتي بشهود: أما إني لم أتهمك، ولكنه الحديث عن رسول الله ﷺ. وهكذا ظهر موضوع الإسناد وقيمته في قبول الأخبار وردِّها، بل صار الإسناد في الحديث هو الأصل الذي يعتمد عليه في صحة الحديث أو ضعفه. قال عبد الله بن المبارك: الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء.

وبناء على أن الخبر لا يُقبل إلا بعد معرفة إسناده، ظهر علم الجرح والتعديل، والغرض منه الكشف عن أحوال الرواة، وتمييز صاحب الأهلية من غيره، ومعرفة المتصل والمنقطع من الأسانيد، ومعرفة العلل الظاهرة والخفية، وقد بذل العلماء جهداً عظيماً للتحرِّي والتنقيب عن أحوال الرواة ودراسة حالاتهم؛ فألَّفوا الكتب الكثيرة في أسماء الرجال وتوثيقهم أو تضعيفهم، وكانوا في غاية التجرد والموضوعية، فلستَ ترى حديثاً إلَّا وترجمة رواته كلهم في تلك الكتب، ولا يقبل حديث في سنده راوٍ مجهول أو مُتَّهم.

ثم توسَّع الأمر حتى ظهر البحث في علوم كثيرة تتعلق بالحديث من حيث ضبطه وصفة تحمله وأدائه ونحو ذلك، وهكذا نضجت العلوم ونشأ علم المصطلح، وهو علم يُعنى بأصول وقواعد يعرف بها أحوال السند والمتن من

حيث القبول أو الردّ على شكل لا مجال بعده للحَيْطة أو التثبُّت، بل هو أدق أسلوب عرفته البشرية لمعرفة صدق الأخبار أو كذبها.

○ أقسام الخبر من حيث القبول أو الرد:

صنف علماء الحديث الأخبار بعد دراسة متونها وأسانيدها إلى أصناف عديدة تبعاً لصحتها أو ضعفها. وأهمها ما يلي:

١ ـ **الحديث الصحيح**: وهو ما اتصل سنده، بنقل العَدْل الضابط عن مثله إلى منتهاه، من غير شُذوذ أو علَّة. وتختلف مراتب الصحيح:

فقد يتعدَّد سنده، فيصبح عزيزاً أو مشهوراً. أما إذا رواه جمع عظيم يستحيل في العادة تواطؤهم على الكذب، عن جمع عظيم مثلهم، في كل طبقة من طبقات السند، فهو المتواتر، وهو قطعي الثبوت، كالقرآن الكريم.

٢ ـ **الحديث الحسن**: وهو الذي تتوفر فيه شروط الصحيح نفسها، غير أن أحد رواته دون رواة الصحيح في الحفظ والإتقان.

٣ ـ **الحديث الضعيف**: وهو ما اختلَّ فيه شرط من شروط الصحة أو الحسن، كما إذا كان في سنده راوٍ سيّئ الحفظ أو مجهول، أو كان في سنده انقطاع، أو غير ذلك.

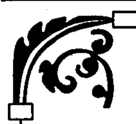
وأنواع الضعيف كثيرة، فمنها الشاذ والمعلَّل والمنكر وغير ذلك[1].

وبذلك أمن المسلمون من ضياع سنة النبي ﷺ، ومن آفة النقل غير الدقيق أو المضطرب للرواة غير المعروفين، فلم يقعوا فيما وقعت فيه الأمم السابقة.

❊ ❊ ❊

---

(١) جامع الأصول ١/٣٩ ـ ٤٢ و٧٠ ـ ٧٤ و٧٧ ـ ٧٨ و١٠٩ و١٢٥ و١٢٩، مجموع فتاوى ابن تيمية ١٨/٦ ـ ١٠ و١٩ ـ ٢٠ و٧٤ و٢٠/ ٣٢٠ ـ ٣٢٢ و٣٣٢ و٢١/٣١٨، زاد المعاد ٣/٣٦ ـ ٤٠ و٦١ ـ ٦٣، السنة ومكانتها للسباعي ص١٢٥ و١٢٧ ـ ١٢٨، تيسير مصطلح الحديث للطحان ص٩ و٣٣ ـ ٣٥.





الفصل الثاني

ويتضمن ما يلي:

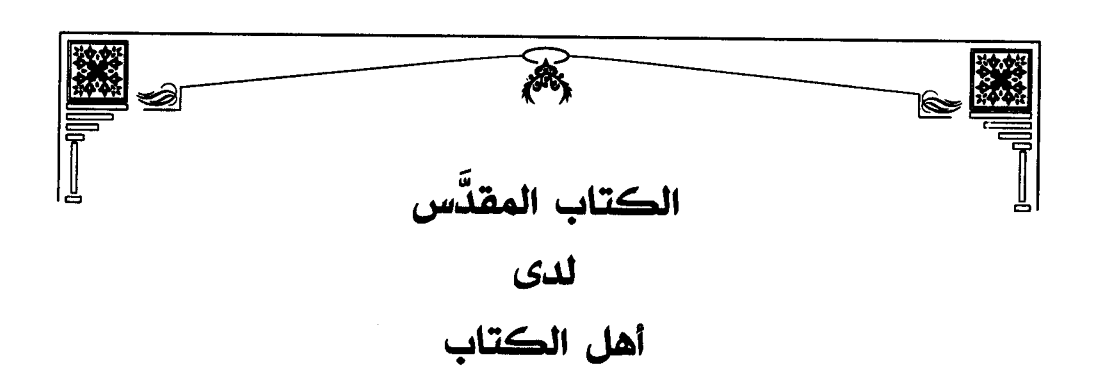
١ ـ الكتاب المقدَّس لدى أهل الكتاب.

٢ ـ العهد القديم.

٣ ـ الأسفار الخفية لدى اليهود.

٤ ـ التلمود.



الكتاب المقدَّس لدى أهل الكتاب

يَزْعم النصارى أن كتابهم المقدَّس هو مجموعة الأسفار الإلٰهية التي كتبت بإلهام (الروح القُدُس) خلال الحقبة الزمنية الممتدة من القرن السادس عشر قبل الميلاد حتى آخر القرن الأول بعده. وفيها أعلن الله مشيئته ووصاياه، وما قطعه من المواعيد، وما فرضه من المثوبة، وما أتمَّه من عمل الفِداء.

ويقسمونه إلى قسمين كبيرين رئيسين هما:

أ ـ العهد القديم. وربما أطلقوا عليه مجازاً التوراة، من باب إطلاق الجزء على الكل.

ب ـ العهد الجديد. وربما أطلقوا عليه مجازاً الإنجيل، من باب إطلاق الجزء على الكل.

وأساس هذا التقسيم مبعث عيسى عليه السلام؛ فما كان قَبْله فهو العهد القديم، وما كان بعده فهو الجديد. ويراد بالعهد الميثاق، أي أن كل قسم من الكتاب المقدَّس يمثل ميثاقاً أخذه الله على الناس.

وجرت العادة بأن تُجمع أسفار العهدين معاً في كتاب واحد، يُطلق عليه الكتاب المقدَّس، أي الموحَى به من عند الله، وسُمّي مُقَدَّساً، لأن أسفاره كلها كتبها رجال الله القديسون بإلهام (الروح القُدُس) الذي كان يسدِّدهم، ويجنبهم مواطن الزلل والتحريف. ولأنه أيضاً يبحث في أمور مقدَّسة.

قالوا: وهذه الأسفار جميعها لم يكتبها شخص واحد، ولم تكتب في عصر واحد، ولا في مكان واحد، بل كتبها أشخاص عديدون يمثلون شتى نواحي الحياة في فترة تقارب ستة عشر قرناً، ما بين السفر الأول، والأخير،

ومع ذلك لما جمعت بإرشاد الروح القُدُس أتت كتاباً واحداً، له وحدة عجيبة[1].

❊ ❊ ❊

[1] مقدمة الكتاب المقدس ـ العهد الجديد ـ الصادر عن دار الكتاب المقدس في العالم العربي عام ١٩١٠، هذه عقائدنا لـ ج. كلايد ص٦ ـ ٧ و١١، إظهار الحق ١/ ٥١ ـ ٥٢ و١٦٦، الموسوعة العربية الميسرة ٢/ ١٤٤١، اليهودية لأحمد شلبي ص٢٤٠، المسيحية له ص٢٥٥، محاضرات في النصرانية ص٩٢ و٤٨.



العهد القديم

اختلف أهل الكتاب في عدد أسفار العهد القديم وأسمائها وترتيبها وتقسيمها وعدد فصول بعضها وترقيم جملها وغير ذلك. وقد وصل عدد الأسفار في أقصاها إلى سبعة وأربعين سِفْراً، وفي أقلِّها إلى خمسة أو سبعة.

○ الكتب المقدسة عند اليهود:

أنكر اليهود نبوة عيسى عليه السلام وقَذَفوا أمه بالزنَى، وقطعوا بأنه ولد عن طريق الخطيئة، ولما دعاهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وحَجَّهم حاربوه وأرادوا قَتْله وصَلْبه، ولكن هَمُّوا بما لم ينالوا، فقد أنقذه الله منهم، ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾. ويظهر هذا لمن تأمل قصة الصَّلْب في أربعة الأناجيل المعترف بها لدى النصارى، ويتوضَّح جلياً في إنجيل برنابا الذي لا يعترفون به، ولذلك لا يؤمن اليهود مطلقاً بالإنجيل الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام وفيه هُدَىً ونور حال إنزاله، ولا يعترفون مطلقاً بما يسميه النصارى العهد الجديد، وإنما يؤمنون بلَوْحي الشهادة وأسفار الأنبياء الذين كانوا قبل عيسى عليه السلام.

● أما لوحا الشهادة، فيزعم اليهود أن الله سبحانه أمرهم على لسان موسى عليه السلام بعد خروجهم من مصر بالتأهب لسماع الخطاب الإلٰهي جَهْرة، وذلك بالطهارة ظاهراً وباطناً، فيغسلون الثياب، ويعتزلون النساء ونحو ذلك، حتى لا يبقى في أنفسهم شك أن الله يخاطب البشر.

وتذكر التوراة كما في سفر الخروج ٣١/ ١٨ أن الله أعطَى موسى عند فراغه من مخاطبته في جبل سيناء لَوْحي الشهادة. واللوحان فيهما الأوامر العشر، وقد ذُكرت في سفر الخروج ٢٠/ ٣ ـ ١٧ وسفر التثنية ٥/ ٧ ـ ٢١. أما بقية الأوامر والفرائض وأحكام الشريعة الأدبية والمدنية والجنائية، فيزعمون أن موسى عليه السلام تلقَّاها شفاهاً من الله سبحانه، وأمر بكتابتها، فكوَّنت جميعها ما عرف بالتوراة.

وبعد أن أتم كتابتها سلَّمها للكهنة حاملي تابوت عهد الرب، وأمرهم بوضعها في التابوت بين اللوحين كما في سفر التثنية ٣١/ ٢٤ ـ ٢٦.

• وأما أسفار الأنبياء، فهي التوراة بأسفارها الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام وسائر الأسفار التي ينسبونها إلى أنبيائهم. ويعرفون منها أخبار العالم في عصوره القديمة وتاريخ إسرائيل والشرائع الدينية والاجتماعية، والأدعية المتوارثة التي تعين على أداء العبادة، وفيها أيضاً شعر وأمثال وحكمة وغير ذلك.

واختلفت طوائف اليهود في عدد الأسفار المقبولة:

أ ـ فالسامريون لا يسلِّمون إلا بخمسة الأسفار المنسوبة إلى موسى عليه السلام وكتاب يوشع بن نون، وربما أضاف بعضهم إليها سِفْر القُضاة. ولهم توراة خاصة بهم كما سيأتي إن شاء الله.

ب ـ واعتمد العبرانيون أربعة وعشرين سِفْراً. وهم يقسمونها من حيث الأسلوب والصفات الخارجية إلى ثلاثة أقسام؛ ويشار إليها باللغة العبرية بلفظ (تناخ) أو (تناك)، وهي حروف مختصرة من أسماء الأقسام:

١ ـ فالتاء ترمز إلى التوراة، وهي أسفار الشريعة، أو كتب موسى الخمسة، وتسمَّى أيضاً بالناموس والقانون، وهي أهم الأقسام عندهم.

٢ ـ والنون ترمز إلى كتب الأنبياء (نبيئيم). وهي ضربان:

الأول: يشمل تاريخ إسرائيل السياسي والعسكري والإداري البحت، ولا تبدو فيه النبوة إلا من خلال الأحداث.

الثاني: أسفار الأنبياء الذين دُوِّنت نبوءاتهم على مثل موسى عليه السلام بحيث يعدون مكملين له، ما عدا دانيال. وفي هذا الضَّرْب نبوات صرفة، كما يحتوي على تراث القادة الروحيين.

٣ ـ والكاف أو الخاء ترمز للكتب (كتوبيم) وتُسمَّى الكتابات أيضاً. ويغلب عليها الطابع الأدبي شعراً أو نثراً، وتتكون من القصائد الدينية وكتب الحكمة[1].

---

[1] الموسوعة العربية الميسرة ٢/ ١٢٤٥ و١/ ٥٥٦، التوراة بين الوثنية والتوحيد لسهيل ديب ص١٠ ـ ١١، الأسفار المقدسة لعلي عبد الواحد وافي ص١٢ ـ ١٣ و١٦، موريس بوكاي ص٢٦، اليهودية لأحمد شلبي ص٢٣٨ ـ ٢٣٩، تعريف بالتوراة السامرية لأحمد حجازي السقا ص٢٥ ـ ٢٦ و٣١ ـ ٣٢، إظهار الحق ١/ ٥١ ـ ٥٢، الفكر الديني اليهودي لحسن ظاظا ص٣٢ ـ ٣٦، و٤٣ ـ ٤٤ و٦٢.

فهذه الأجزاء الكبيرة يتكون منها كتابهم المقدس.

وثَمَّة قسم آخر يطلقون عليه اسم الأسفار الخفية، يأتي ذكره إن شاء الله بعد الانتهاء من الكلام على العهد القديم.

○ اختلاف النصارى في أسفار العهد القديم:

اتفقت طوائف النصارى على تسعة وثلاثين سِفْراً منه، واختلفوا فيما عداها:

أ ـ اعتمد البروتستانت الأسفار التي أخذ بها اليهود، وأنكروا ما عداها، غير أنهم يختلفون معهم في التقسيم والترتيب، فاليهود جعلوها أربعة وعشرين سِفْراً كما سَلَف، أما البروتستانت فقسموها بحسب الأسماء المذكورة، فغَدَتْ تسعة وثلاثين سِفْراً، هي: سفر التكوين، الخروج، الأحبار أو اللاويين، العدد، التثنية أو تثنية الاشتراع، يوشع بن نون، القضاة، راعوث، صموئيل الأول، صموئيل الثاني، الملوك الأول، الملوك الثاني، أخبار الأيام الأول، أخبار الأيام الثاني، عَزْرا، نحميا، أستير، أيوب، الزبور أو مزامير داود، إرمياء، مراثي إرمياء، حزقيل، دانيال، هوشع، يوئيل، عاموس، عوبديا، يونان، ميخا، ناحوم، حبقوق، صفنيا، حجي، زكريا، ملاخي.

ب ـ واعتمد الكاثوليك ستة وأربعين سفراً، وبذلك يزيد العهد القديم عندهم عما عند البروتستانت بسبعة أسفار، هي: سفر طوبيا ويهوديت، ووضعوهما بعد سفر نحميا وقبل سفر أستير، وسفرا الحكمة ويشوع بن شيراخ، ووضعوهما بعد نشيد الإنشاد وقبل إشعياء، ونبوءة باروك، ووضعوه بين مراثي إرمياء ونبوءة حزقيال، وسفرا المكابيين الأول والمكابيين الثاني، ووضعوهما في آخر الكتاب.

ولديهم أيضاً تتمة لدانيال، وتتمة لأستير. وهي التي تزيد بها النسخة الكاثوليكية عن النسخة البروتستانتية.

واختلفوا معهم في التسمية أيضاً، فجعلوا أسفار الملوك أربعة، أولها وثانيها ما سماهما البروتستانت سفر صموئيل الأول وصموئيل الثاني.

وإذا تتبعنا تقسيم العهد القديم من حيث الموضوع عند البروتستانت والكاثوليك تصبح الزيادات على الشكل التالي:

١ ـ أسفار موسى الخمسة.

٢ ـ الأسفار التاريخية: وعددها عند البروتستانت اثنا عشر، وعند الكاثوليك ستة عشر، بزيادة أربعة هي: طوبيا، يهوديت، المكابيون الأول، المكابيون الثاني.

٣ ـ الأسفار النبوية: وعددها سبعة عشر لدى الطرفين، غير أن الكاثوليك يضعون سفر باروخ بدلاً من مراثي إرمياء. وباروخ هو تلميذ إرمياء، ومكانه بعده.

٤ ـ الأسفار الشعرية، أو أسفار الأناشيد: وعددها عند البروتستانت خمسة، وعند الكاثوليك ستة، بزيادة مراثي إرمياء.

٥ ـ الأسفار التعليمية: وعددها اثنان، هما سفر الحكمة وسفر يشوع ابن شيراخ[١].

ويختلف الكاثوليك مع البروتستانت أيضاً في أهلية تفسير الكتاب المقدس، فيرى البروتستانت أن كل مؤمن له الحق في تفسيره عند قراءته، ويرى الكاثوليك أن الكنيسة وحدها هي صاحبة الحق في تفسيره، وعلى المؤمنين أن يقبلوا تفسيرها[٢].

جـ ـ أما الأرثوذكس، فالعهد القديم المقبول عندهم هو المعتمد عند الكاثوليك، غير أنهم يستخدمون في الليتورجيا والطقوس الكنسيَّة النموذج البروتستانتي.

وثمة سفر رابع منسوب لعزرا، لا يعترف به الكاثوليك ولا البروتستانت، ويرونه من الأكاذيب الموضوعة، ويراه الأرثوذكس قانونياً واجب التسليم، ويعدونه جزءاً من العهد القديم[٣].

○ أسباب اختلاف النصارى في كتابهم المقدس:

مرَّ كتاب النصارى المقدس بظروف عجيبة غريبة مريبة، أوجزها فيما يلي:

---

[١] اليهودية لأحمد شلبي ص٢٣٩ ـ ٢٤٠، التعريف بالتوراة السامرية لأحمد حجازي السقّا ص٣١ ـ ٣٢، الكتاب المقدس طبعة الكاثوليك عام ١٩٨٣م، الكتاب المقدس طبعة البروتستانت عام ١٩٨٤م.

[٢] الموسوعة العربية الميسَّرة ٢/ ١٤٤١.

[٣] التوراة بين الوثنية والتوحيد لسهيل ديب ص١٢، إظهار الحق ١/ ٥٧.

• هناك ثمانية أسفار من العهد القديم الحالي لم يقبل بها قدماء النصارى إلى سنة ٣٢٤م، وهي سفر أستير وتتمته، وسفر باروخ، وسفر طوبيا، وسفر يهوديت، وسفر الحكمة، وسفر يشوع بن شيراخ، وسفر المكابيين الأول وسفر المكابيين الثاني، بالإضافة إلى جزء من سفر دانيال.

• وفي سنة ٣٢٥م انعقد في مدينة نانس بأمر الملك قسطنطين مجلس علماء النصارى للتحقيق في أمر هذه الكتب، فحكموا بأن كتاب يهوديت واجب التسليم، وأبقَوا سائر الكتب مشكوكاً فيها خارجة عن العهد القديم.

• وفي سنة ٣٦٤م انعقد مجلس لوديسيا، فأقر حكم المجلس الأول في كتاب يهوديت، وزاد عليه سبعة كتب أخرى، واحد منها في العهد القديم، وهو سفر أستير، وستة رسائل في العهد الجديد، وجعلها واجبة التسليم.

• وفي سنة ٣٩٧م انعد مجلس كارتهيج، وكان عدد الحاضرين (١٢٧) عالماً، فأقروا حكم المجلسين السابقين، وزادوا على حكمهما الكتب التالية: سفر الحكمة وطوبيا وباروخ، ويشوع بن شيراخ وسفر المكابيين الأول وسفر المكابيين الثاني، وجعلوها في العهد القديم، غير أنهم جعلوا كتاب باروخ بمنزلة جزء من كتاب إرمياء، لأن باروخ كان بمنزلة النائب والخليفة لإرمياء، ولذلك لم يكتبوا اسم باروخ على حِدَة في الفهرس، وأضافوا أيضاً إلى العهد الجديد مشاهدات يوحنا.

• وبعد ذلك انعقد ثلاثة مجالس: مجلس ترلو ومجلس فلورنس ومجلس ترنتو، وسلَّم علماء هذه المجالس بأحكام المجالس السابقة، غير أن أعضاء المجلسين الأخيرين كتبوا اسم باروخ في الفهرس على حِدَة.

وبذلك غدت الكتب المشكوك فيها واجبة التسليم لدى جمهور النصارى بعد هذه المجالس، وبقي الأمر على هذه الحال مدة (١٢٠٠) عام تقريباً إلى أن ظهرت فرقة البروتستانت، فردُّوا حكم أسلافهم في الكتب التالية: باروخ، طوبيا، يهوديت، الحكمة، يشوع بن شيراخ، سفر المكابيين الأول، وسفر المكابيين الثاني، ورأوا أنها غير إلهامية ويجب ردُّها. وكذلك ردُّوا أيضاً ما حكم به أسلافهم في فصولٍ وفي بعض فصول من كتاب أستير، وسلَّموا بالبقية، والكتاب مكوَّن من ستة عشر فصلاً، فأقروا بتسعة الفصول الأولى، وبثلاث فقرات من

الفصل العاشر، وردُّوا عشر فقرات منه إلى جانب ستة الفصول الباقية. وكان ردهم مبنياً على الحجج التالية:

١ ـ هذه الكتب كانت في الأصل باللسان العبري والجالدي وغيرهما، وليس ثمة نسخة لها باقية بتلك الألسن.

٢ ـ لا يسلِّم اليهود بأنها إلهامية، وهي موروثة عنهم.

٣ ـ لم يُسلم بها قديماً جميع النصارى. أي لم ينعقد الإجماع عليها.

٤ ـ صرح كلوتس بأن هذه الكتب لا تُقرأ في كل موضع.

٥ ـ قال جيروم: هذه الكتب ليست كافية لتقرير المسائل الدينية وإثباتها.

٦ ـ صرح المؤرخ يوسيفيس في الباب الثاني والعشرين من الكتاب الرابع أن هذه الكتب حُرِّفت، وبخاصة كتاب المكابيين الثاني.

٧ ـ وأهم الحجج أنها وضعت بعد الزمن الذي اتفق النصارى على أنه عصر العهد القديم.

ولا زالت كنيسة الكاثوليك تسلِّم بهذه الكتب، وتعتقد أنها إلهامية واجبة التسليم تبعاً للأسلاف، وهي ضمن التراجم اللاتينية[١].

وأول كتاب مقدَّس للنصارى اقتصر على تسعة وثلاثين سفراً هو الكتاب المعروف باسم توراة (مايلزكوفرديل) ويعود تاريخه إلى عام ١٥٣٥م[٢].

ومن الجدير بالذكر أن سِفْر أيوب وسفر يونان (يونس) لا علاقة لهما مباشرة بحياة بني إسرائيل، فأيوب عليه السلام من بني عيسو بن إسحاق، أي من بني عم بني إسرائيل، ويونان (يونس) عليه السلام نبي مرسل إلى أهل نينوى في العراق.

---

(١) إظهار الحق ١/ ٥٣ ـ ٥٥ و٢٣٦ ـ ٢٣٧، اليهودية لأحمد شلبي ص٢٢٩ و٢٥٣ ـ ٢٥٤.

(٢) الأسفار المقدسة لعلي عبد الواحد وافي ص١٨ ـ ٢٠، التوراة بين الوثنية والتوحيد لسهيل ديب ص١٢ و١٠٧ ـ ١٠٨.



الأسفار الخفية لدى اليهود

○ الأسفار الخفية:

مما لا شك فيه أن لدى اليهود أسفاراً سريَّة، لا يكشف عنها إلا للمتقدمين في الكهنوت اليهودي. وإلى هذا يشير القرآن الكريم، حيث قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ [الأنعام: ٩١].

وقال سبحانه: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ۚ﴾ [المائدة: ١٥].

هذا، وثَمَّة إشاعة قوية عن سرية ما لا يقل عن ثلاثة أرباع كتب اليهود الدينية، تعود إلى القرن الأول الميلادي على أقل تقدير.

ففي سفر إسدارس الثاني ١٤/١ ـ ٤٨ أن النبي عَزْرا بينما كان جالساً تحت شجرة سنديان، إذ كلمه الله من غابة قريبة، وطلب منه أن يحضر خمسة كَتَبة ماهرين، يمكنهم كتابة ما يملى عليهم بسرعة، مع كمية وافرة من أدوات الكتابة. وفي اليوم التالي أُعطي عزرا كأساً من مشروب عجيب، أنزل عليه وحياً، فأخذ يملي على الكتبة بأحرف لا يعرفونها، وهم يكتبون.. وهكذا تم وضع أربعة وتسعين سفراً. ثم أمره الله أن ينشر أربعة وعشرين منها، ويحتفظ بالسبعين الباقية سراً، فلا يطلع عليها إلا حكماء اليهود. وربما كان هذا العدد مبالغاً فيه، ولعل سبب ذلك يعود إلى أن فئة الكتبة (الفرِّيسيين) كانت تحاول جاهدة احتكار الدين اليهودي باحتكار الكتب وتأليفها ونقلها والتعليق عليها، مما حملها على المبالغة في العدد.

وثَمَّة أسفار قديمة لم يدخلها اليهود في كتابهم المقدس، يطلق عليها اسم (أبوكريفا) وهي كلمة يونانية معناها السرية أو المخفية.

وبعض هذه الأسفار غير مقدَّس ولا معتمد عند اليهود، وبعض ثان مقبول للقراءة التاريخية فقط، وإن كان لا يشكل جزءاً من الشريعة، وهو يضاف عادة إلى الأسفار المعروفة. وبعض ثالث مقدَّس، لكن رأى الأحبار وجوب إخفائه، فقرروا أنه لا يجوز للعامة أن تقف عليه.

ولا يعرف إلى اليوم سبب جعلها غير قانونية أو سرية، كما لم يتمكن أحد من تحديد تعريف لهذا التقسيم.

يضاف إلى ذلك كتب أخرى تسمَّى (المنسوبة)، أي المنسوبة خطأ إلى مؤلفين توراتيين[1].

ومن الأسفار الخفية أو غير القانونية ما يلي:

١ ـ سفر إسدارس الأول:

ورد ذكره لدى المؤرخ اليهودي الشهير يوسيفوس فلافيوس، وهو ممن عاش في القرن الأول الميلادي، وتوفي عام ٧٠م تقريباً، مما يدل على قدم هذا السفر. وهو مكتوب باللغة اليونانية، ويحكي الرواية التي يحكيها سفرا عَزْرا ونحميا نفسها، فربما كان رواية أخرى أو ترجمة أخرى لها. ومن المعتقد أن أحد الكهنة اليهود كتبه في مصر، أو أعاد كتابة سِفْري عزرا ونحميا على طريقته الخاصة بعد عام ١٥٠م[2].

٢ ـ سفر إسدارس الثاني:

وهو أسطوري مؤلفه مجهول، ربما يكون يهودياً أو نصرانياً، وإنما سمي بهذا الاسم وضم إلى الأول لكونه على شاكلته. وهو يذكر رؤيا عَزْرا في أثناء السبي، ويتكلم عن الكتب السرية السبعين.

وقد أثبتت الدراسات العميقة أنه منحول، جرى تأليفه في العصور الميلادية الأولى، ولا يعود إلى عصر عزرا ونحميا اللذين كانا في القرن الخامس قبل الميلاد كما أراد له مؤلفه أن يظهر، والغالب أنه كتب في أواخر القرن الأول الميلادي بالآرامية، لكن لم يَرِد له ذكرٌ عند المؤرخ يوسيفوس، ثم ترجم إلى

---

[1] التوراة بين الوثنية والتوحيد ص١٠٥ ـ ١٠٧.

[2] التوراة بين الوثنية والتوحيد لسهيل ديب ص١١٢.

اليونانية، وعنها إلى لغات أخرى، منها ترجمتان مستقلتان إلى العربية[١].

٣ ـ سفر طوبيا:

وهو مجرد حكاية محصورة بين عائلتين: عائلة طوبيا البار وعائلة نسيبه راعوئيل، كانت تنزل بهما المِحَن، فأرسل الله الملك روفائيل على صورة بشر إلى طوبيا ليساعدهما. ومن المتعذر وضع تفاصيل هذه الحكاية في نطاق تاريخي معروف. ويمكن أن يكون كتب في منتصف الجيل الرابع أو الجيل الثالث، وذكر بعضهم أنه كتب بين عامي ١٩٠ ـ ١٨٠ق.م. وأغلب الظن أن كاتبه كان يعيش خارج فلسطين، ويُرَجَّح أن الأصل كان باللغة الآرامية. وقد عثر في اكتشافات قُمْران على بعض قطع منه، ولا يوجد نص كامل له سوى النص اليوناني والنصوص المترجمة عن اليونانية. وهو قانوني عند الكاثوليك[٢].

٤ ـ سفر يهوديت:

وهو مجرد رواية تاريخية لا تتفق مع الواقع ولا مع الأخلاق الكريمة، وخلاصتها أن ملك أشور نبوخذنصر بعث بجيش قوي ليخضع المادِيِّين واليهود، فضرب قائد الجيش أليفانا الحصار أمام حصن يهودي، وأوشك أن يفتحه، غير أن امرأة يهودية اسمها يهوديت تظاهرت بالهرب من بين شعبها، ووصلت إلى القائد أليفانا فأغرته وأسكرته ثم قطعت رأسه، ولما علم الجيش بموته تضعضع ولاذ بالفرار. يصعب إثبات صفته التاريخية جداً، وكأن ما ورد فيه من الأخطاء التاريخية والوقائع البعيدة الاحتمال قد ضوعفت، وأغلب الظن أننا إزاء شخصية رمزية أو نوع من الرؤيا. وهو مثل سفر طوبيا لا وجود له في التوراة العبرية[٣].

٥ ـ إضافات أستير:

وهي نصف الفصل العاشر والفصل الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر.

أما سفر أستير فرواية تحكي مأساة اليهود، خلاصتها أن الملك أحشورش

---

[١] المرجع السابق ص١٠٦ و١١٢.

[٢] تقديم سفر طوبيا في الكتاب المقدس لدى الكاثوليك ص٨٣١.

[٣] تقديم سفر يهوديت في الكتاب المقدس لدى الكاثوليك ص٨٥٢.

طلّق زوجته ووقع في غرام فتاة يهودية اسمها أستير، وهي يتيمة يكفلها عمها مردكاي، فزوجه إياها لصالح الشعب اليهودي، وكان الوزير الأول هامان قد حصل على أمر يقضي بإهلاك اليهود نتيجة لما يقومون به من كيد، فدخلت على الملك مستغلة تعلُّقه بها، وحصلت منه على أمر يقضي بإهلاك هامان، وعلى أمر آخر يسمح لليهود بإهلاك جميع أعدائهم[١].

وفي الإضافات يذكر الكاتب عداء الشعوب لليهود، ويستثيرهم للتلاحم والانتقام، ويضيف فيها إشارات إلى الله، مع أنه ليس في السفر الأصلي أية إشارة إليه، ويظهر أنه أراد إعطاء صفة إلٰهية لنزعة محاربة المعادين لليهود، أو أنه أراد التعويض عن عدم ذكر اسم الله بالمرة في النص الأصلي.

وفي هذه الإضافات تناقضات كثيرة واختلافات كبيرة مع سياق النص العبري، كما أن تاريخها وهوية مؤلفيها غير معروفة. وهو يقول بالظن: لعله لوسيماكوس المذكور في مطلع الفصل الحادي عشر من السفر[٢].

٦ ـ سفر الحكمة أو حكمة سليمان:

يعالج السفر على التوالي مواضيع المصير البشري والحكمة ذاتها وكيفية تحصيلها وتاريخ إسرائيل وحماقة الوثنية. جرى تأليفه في وقت متأخر بعد الترجمة السبعينية قطعاً، ما بين عامي ١٠٠ق.م ـ ٤٠م تقريباً. مؤلفه مجهول، وتشير الدلائل إلى أن وطنه كان مصر، ومن المحتمل أن يكون الإسكندرية، ولذلك قال بعضهم: ربما يكون فيلون، واستبعد هذا آخرون. وعلى أية حال فإن انتحال المؤلف شخص سليمان وتوجيهه الكلام بهذه الصفة إلى الملوك كما في الفصل السادس نوع من الصورة الوهمية المقبولة حينذاك إلى حدٍّ بعيد، إذ كل شيء يظهر أن المؤلف إسرائيلي استوحى الأسفار المقدسة وتقاليد شعبه الدينية[٣].

٧ ـ سفر يشوع بن شيراخ:

لا يعترف اليهود به، وبعد الجيل العاشر طمسه النسيان. وقد بقي بين الأسفار المتأخرة في الترجمة اليونانية واللاتينية والسريانية، وقد ذكر فيها

---

[١] تقديم سفر أستير في الكتاب المقدس لدى الكاثوليك ص٨٧٧.

[٢] التوراة بين الوثنية والتوحيد ص١١٣.

[٣] تقديم سفر الحكمة في الكتاب المقدس لدى الكاثوليك ٢/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧.

بأجمعه، وأضيف إليه شيء في اللاتينية، جرى تأليفه عام ١٨٠ق.م تقريباً، وجدت منه مقاطع مخطوطة في مستودع الكنيزة التابع لمجمع يهودي في القاهرة، تعادل ثلثي السفر، ووجد منه في قُمْران مقاطع صغيرة[١].

٨ ـ سفر باروخ:

وهو تلميذ إرمياء، وقد أملَى عليه تنبؤاته، لذا يعد تكملة لسفره، وهو يتضمن أدعية دينية لليهود وصلوات. يرجع تاريخه إلى القرن السادس قبل الميلاد.

ويظهر أن رسالة إرمياء وسفر باروخ من تأليف كتاب مجهولين لم يتركوا أسماءهم، وما إسناد السفرين إلى إرمياء وتلميذه باروخ سوى شاهد على شدة تأثيرهما في التقليد المقدَّس[٢].

٩ ـ سفر رسالة إرمياء:

وهو خطاب وعظ يعتمد على سفر إرمياء، يحتمل أن يكون تأليفه جرى في القرن الثاني الميلادي.

١٠ ـ سفر عزريا ونشيد الشباب الثلاثة.

١١ ـ سفر سوزانا.

١٢ ـ سفر بعل والتنين:

وهذه الثلاثة تشكل أجزاء من سفر دانيال، بل هي تحسين له.

١٣ ـ سفر صلاة مَنَسَّى:

وهو توسُّع في قصة منسى المذكورة في سفر أخبار الأيام الثاني، الفصل الثالث والثلاثين.

١٤ ـ سفر المكابيين الأول.

١٥ ـ سفر المكابيين الثاني:

وهما يحكيان تاريخ اليهود في عهد يهوذا المكابي الذي قاد اليهود للدفاع عن استقلالهم ضدَّ أنطيوخوس أبيفانوس.

---

(١) تقديم سفر يشوع بن شيراخ في الكتاب المقدس ٢/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧.

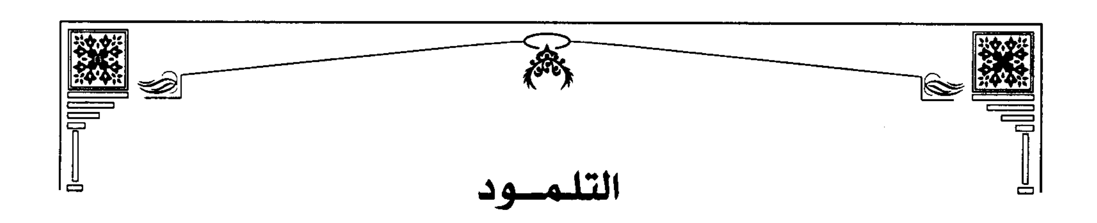
(٢) تقديم نبوءة باروك ٢/ ٥٤٤.

وهذه الأسفار لم تعد مخفية كما هو ظاهر، بل أصبحت الشغل الشاغل للباحثين الذين أمضَوا قروناً عديدة في محاولة التعرف على مؤلفيها وتاريخها[1].

❊ ❊ ❊

---

[1] التوراة بين الوثنية والتوحيد لسهيل ديب ص١١٣ ـ ١١٤، الأسفار المقدسة لعلي عبد الواحد وافي ص١٧ ـ ٢٠ وانظر الحواشي على الكتاب المقدس لدى تقديمها لهذه الأسفار.



التلمـود

○ تعريفه:

أدخل الربانيون والأحبار في كتبهم قوانين جديدة لم تكن أصلاً موجودة في التوراة، زعموا أنها ناتجة عن دراستهم للتوراة، مع أنها في الحقيقة مخالفة لروحها، سميت فيما بعد التلمود. ومعناه التعاليم.

○ أقسامه:

ينقسم التلمود إلى قسمين هما:

١ ـ **مشنا أو مشنة** ـ أي المثنى أو المكرَّر ـ، وهو الأصل أو المتن.

وهو مجموعة من البحوث والاجتهادات والفتاوى، سنها أحبار اليهود المنتمون إلى فرقة الفريسيين في شؤون العقيدة والشريعة والتاريخ المقدَّس وغير ذلك، خلال القرنين الأول والثاني بعد الميلاد، وتناقلتها الحاخامات شفوياً من جيل إلى جيل، بلا رقيب ولا حسيب. ولم تبدأ المحاولات في تقييدها إلا بعد السبي بزمن طويل، وأول جهد بُذل لإقرار النظام والمنهج كان في أيام هيرودس، ثم توالت المحاولات بعد ذلك، أما تقييدها كتابة في وضعها المعروف اليوم، فكان في نهاية القرن الثاني بعد الميلاد، واختلفوا فيمن جمعها، والمشهور أنه يهوذا هاناسِئ، وأنه قام بجمعها بين عامي ١٩٠ ـ ٢٠٠م، أي بعد قرن تقريباً من تدمير تيطس الروماني للهيكل، فقد أكمل المرويات، وقام بعملية تمحيص وتدقيق، فطرح مجموعة من النصوص، وهي التي تسمى البرانيا، أي البرانية أو الخارجية، ثم نظمها وبوَّبها. ومنذ ذلك الحين صارت تسمى مشنة الربي يهوذا، تمييزاً لها عن محاولات الآخرين.

فالمشنا أول لائحة قانونية وضعها اليهود لأنفسهم تفسيراً للشريعة، وتقع في ثلاثة وستين سفراً، وهي عندهم مصدر من مصادر التشريع يأتي مباشرة بعد التوراة، بل يزعمون أنها ترتفع إلى موسى عليه السلام ولذلك كانوا يسمونها التوراة الشفوية.

كُتب المشنا باللغة العبرية المتطورة، وهي تختلف عن عبرية العهد القديم

اختلافاً بيِّناً»، وتسمى عند اليهود العبرية الربانية أو التلمودية، كما تسمى لغة الأئمة أو الحكماء.

٢ ـ **جِمارا** ـ أي الشرح والتعليق أو التكملة ـ وهو شرح للمَشْنا.

فمنذ تقييد الربِّي يهوذا للمَشْنا تركزت جهود علماء اليهود في مراكز تجمعهم على شرحها، وكان ذلك في مكانين مختلفين: في العراق منذ السبي، بدءاً من عام ٢١٩م إلى عام ٥٠٠م، وفي فلسطين لمن بقي فيها ولمن عاد من السبي، بدءاً من سنة ٢١٩م إلى سنة ٣٥٩م، ففي هاتين الناحيتين بدأت طبقات متعاقبة من أحبار اليهود تشرح نص المشنا شرحاً مستفيضاً، تودع فيه كل ما أرادت الاحتفاظ به وإشاعته بين اليهود من شرائع وفتاوى وحكايات وأساطير واستطرادات دون ترتيب أو تخطيط، وكان هذا الشرح يتم بلهجة يهودية بعيدة عن العبرية القديمة وعن العبرية الوسطى المتطورة، إذ كان الأحبار يشرحون بلهجة آرامية يهودية قريبة من السريانية، فكان المتن (المشنا) يدون بالعبرية، والشرح (الجمارا) بالآرامية. وقد أدى ذلك إلى وجود نسختين من الجمارا هما:

أ ـ جمارا أورشليم: وهو سجل للمناقشات التي أجراها حاخامات فلسطين، وبخاصة علماء مدارس طبرية لشروح المشنا. ويرجع تاريخ جمعه إلى عام ٤٠٠م، غير أن الشرح لم يستوف جميع المشنا، وإنما اقتصر على ثلاثة الكتب الأولى منها بتمامها وعلى الكتاب الرابع سوى الجزء السابع والتاسع، وشُرح أيضاً فصل واحد من السادس، أما الخامس فلم يشرح منه شيء.

والمشنا مع شرحه جمارا أورشليم يسمى تلمود أورشليم. وكانت الطبعة الأولى له في البندقية عام ١٥٢٠ ـ ١٥٢٣م.

ب ـ جمارا بابل: وهو أيضاً سجل للمناقشات التي دوَّنَها علماء اليهود في العراق إبان السبي حول تعاليم المشنا ـ إذ كانت العراق تسمى عند اليهود في ذلك الوقت بابل ـ وانتهوا من جمعه عام ٥٠٠م تقريباً. وهو كامل يغطي بشرحه جميع المشنا.

والمشنا مع شرحه جمارا بابل يسمى تلمود بابل. وكانت الطبعة الأولى له في البندقية عام ١٥٢٣ ـ ١٥٢٤م، وقد طبع كل من المشنا والجمارا على حدة.

يتمتع تلمود بابل بتقدير أعظم في عيون اليهود، فقد كان الأحبار هناك

يحظون بثقة أرسخ من حيث الدقَّة والتبحر في الفكر الديني اليهودي، فغدا هو المعتمد[1].

○ منزلته:

التلمود بمتنه المشنا وشرحه الجِمارا توضيح وتفصيل لما ورد في التوراة، وقد أنزله معظم اليهود منزلة لا تقل عن التوراة، فهو يليها قدسية، ويتقدمها أهمية، بل إن بعضهم ليضعه في مكان أسمى من التوراة نفسها.

قال الفرِّيسيون: التوراة وحدها لا تغني ولا تفيد دون المشنا والجمارا.

وعن أحد الحاخامات: من يقرأ التوراة بدون المشنا والجمارا فليس له إلٰه.

وفي كتاب حاجيا: من احتقر أقوال الحاخامات استحق الموت أكثر ممن احتقر أقوال التوراة، ولا خلاص لمن ترك تعاليم التلمود واشتغل بالتوراة فقط؛ لأن أقوال علماء التلمود أفضل مما في شريعة موسى[2].

○ ما يتضمنه من أبحاث:

يتكون التلمود تبعاً للمشنا من ستة أقسام أو مباحث، تسمى (سيداريم) أي الأحكام، ويتضمن كل منها أبواباً فرعية. وأقسامه هي:

١ ـ زيرائيم، أي البذور، ويتضمن القوانين الخاصة بالأرض والزراعة.

٢ ـ موئيد، أي الأحكام المقررة، ويحتوي على الأحكام الخاصة بالسبت والأعياد والصيام وسائر الأيام المقدَّسة.

٣ ـ نشيم، أي النساء، وفيه قوانين الزواج والطلاق والنذور.

٤ ـ نِزيكين، أي الأضرار، ويشمل القوانين المدنية والجنائية.

٥ ـ كواشيم، أي المقدَّسات، ويحتوي على الشرائع الخاصة بالقرابين وخدمة الهيكل والصلاة.

٦ ـ توهاروث، أي الطهارة، ويتضمن أحكام الطهارة والنجاسة وما هو حلال

---

[1] الأسفار المقدسة لعلي عبد الواحد وافي ص١٠ ـ ١١ و٢١ ـ ٢٣، اليهودية لأحمد شلبي ص٢٧٣ ـ ٢٧٤ و٢٢٦ ـ ٢٢٧، بذل المجهود ص١٨٣، التوراة لسهيل ديب ص٢٤ ـ ٢٥ و٤١، الفكر الديني اليهودي لحسن ظاظا ص٦٦ ـ ٦٧ و٧٦ و٨٢ ـ ٨٤.

[2] المراجع السابقة مع الكنز المرصود في قواعد التلمود ص٥٠ ـ ٥١.

أو حرام من الأطعمة والأشربة[1].

○ ملحقات التلمود:

ظهرت نصوص كثيرة تنتمي إلى أسلوب التلمود، لكنها لم تدخل فيه، بل بقيت خارجة عنه، ومعظمها ينشر على أنه ملحق بطبعات التلمود الشائعة[2].

ويوجد أيضاً نصوص متصلة بالمشنا وليست منها، وعلماء الشريعة يرجعون إليها كثيراً[3].

○ اهتمام اليهود بالتلمود:

أقبل اليهود على التلمود باهتمام يفوق إقبالهم على التوراة نفسها في كثير من الأحيان كما سلف، ولذلك كثرت الشروح والحواشي على المشنا والجمارا، وكذلك المقدمات لمساعدة الدارسين، وقام كثير من علمائهم بمحاولات لإعادة ترتيب التلمود واستخلاص الأحكام الشرعية والفتاوى منه، وتخليصها مما يتخللها من استطرادات وحكايات وأساطير، بل إن الأساطير أيضاً قد حظيت بعناية خاصة في عزلها وترتيبها في مجامع، وقام بعضهم بشرحها.

طبع التلمود طبعات كثيرة، واجتهد بعض الناشرين بتزويدها بهوامش وشروح جديدة، وعن العبرية التي دُوِّن بها المتن، والآرامية التي دون بها الشرح، ترجم التلمود إلى كثير من لغات العالم قديمها وحديثها. ولعل آخر هذه التراجم تلك التي وضعها الدكتور إيزودور إيشتاين باللغة الإنكليزية بين عامي ١٩٣٥ ـ ١٩٥٢م، واشتملت على خمسة وثلاثين مجلداً.

---

[1] المراجع السابقة، مع التلمود تاريخه وتعاليمه لظفر الإسلام خان ص٤٠ ـ ٤٩.

[2] الفكر الديني اليهودي ص٨٨.

[3] الفكر الديني اليهودي ص٧٦.

قال الحكيم السموءل في بذل المجهود ص١٨٣ و١٨٧: اجتمع لهم الكتابان اللذان اجتمعت فقهاؤهم على تأليفهما، وهما المشنا والتلمود، فأما المشنا فهو الكتاب الأصغر، ومبلغ حجمه ثمانمئة ورقة، وأما التلمود فهو الكتاب الأكبر، ومبلغ حجمه نحو نصف حمل بغل لكثرته. ولم يكن الفقهاء في عصر واحد، وإنما ألفوه جيلاً بعد جيل، فلما نظر المتأخرون منهم إلى هذا التأليف وأنه كلما مر جيل عليه زادوا فيه، وأن الزيادات المتأخرة تناقض أوائل التأليف... حظروا على الفقهاء الزيادة فيه، وحَرَّموا من يضيف إليه شيئاً آخر، فوقف على ذلك المقدار.

ومن الجدير بالذكر أن التراجم العديدة للتلمود يحذف منها كلها الحواشي والأقسام التي لا يجوز لغير الحاخامات المتقدِّمين في العالم الاطلاع عليها، فمنذ طبعة بال بسويسرا إلى الآن أزالت الرقابة الدينية نصوصاً وغيرت كلمات، خوفاً من أن يراها العالم النصراني في أوروبة اعتداء على مقدَّساته. ومن ذلك ما يلي:

١ ـ كلمة جُوي: معناها شخص لا ينتمي لإسرائيل، بل من الأمم الأخرى المحتقرة. حذفت ووضع عوضاً عنها لفظ كوتي، أي سامري، أو كوشي أي زنجي أو حبشي.

٢ ـ نُكري: معناها أجنبي أو غريب محتقر من اليهود. حذفت ووضع عوضاً عنها حروف مجموعة في لفظ (عكرم) إشارة واختصاراً لعبارة «عوبيد كُوكَبيم مَزْلوت» أي عابد كواكب ومنازل. ويعنون به الكافر.

٣ ـ أَمُوت هاعولام: معناها الأمم أو العالم، أي الشعوب غير اليهودية، وهي عندهم حقيرة بالطبع. ويختصرون هذه العبارة بالحروف المجموعة في لفظ (أوه)، وقد استخدموا عوضاً عنها لفظ (بابليم) أي البابليون، أو لفظ (كنعانيم) أي الكنعانيون.

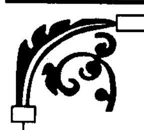
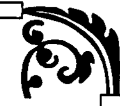
ومن الجدير بالذكر أن الطبعات الحديثة عادت ثانية إلى طبع النص الأصلي وطرح البدائل[1].

وقد جرى حديثاً في فلسطين المحتلة إعادة طبع النسخة العبرية من تلمود بابل، وذلك بعد مئة سنة من آخر طبعة منها، وقام على طبعها الحاخام آدين شتاينز، وأعلن وقتئذ أنه سيطبع ستة آلاف نسخة فقط، مما يدل على حرص اليهود على المحافظة على سرية التلمود، فقد حدث أن طبع بشكله الأصلي في بعض البلدان التي توصل بها اليهود إلى شيء من السيطرة سابقاً، فأدى ذلك إلى كثير من المتاعب والحرق العلني لنسخ التلمود بسبب ما حواه من أمور مستنكرة، ومنذ ذلك الحين أصبح التلمود نادراً حتى قيل: إن نصه الكامل المطبوع في البندقية بين عامي ١٩٢٠م ـ ١٩٢٣م لا يوجد منه سوى ثلاث نسخ فقط[2].

---

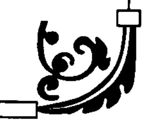
[1] الفكر الديني اليهودي ص٩١ ـ ٩٢.

[2] الفكر الديني اليهودي ص٨٩ ـ ٩٢، التوراة تاريخها وغاياتها ترجمة سهيل ديب ص٨٢، التلمود تاريخه وتعاليمه لظفر الإسلام خان ص٤٠ ـ ٤٩، الأسفار لعلي عبد الواحد وافي ص١٠ ـ ١١ و٢٢ ـ ٢٣.


الفصل الثالث

تعريف بالتوراة وأسفارها



التوراة وأسفارها

○ تعريفها:

التوراة: كلمة عبرية أصلها (تورة)، ومعناها التعليم أو الشريعة، كما تأتي بمعنى الناموس أو الهدَى. وتجمع على تورات وتوريات.

وهي تعني عند أهل الكتاب خمسة الأسفار التي تلقَّاها موسى عليه السلام شفاهاً من الله سبحانه بجبل حوريب في سيناء عند الميقات الزماني والمكاني اللذين حدَّدهما الله له، بعد خروج بني إسرائيل من مصر، ثم كتبها موسى عليه السلام بيده.

وهي تؤلف المجموعة الأولى من الكتاب المقدَّس، وربما أطلق هذا اللفظ على العهد القديم كله مجازاً، من باب إطلاق الجزء على الكل. وقد جرت العادة منذ زمن الترجمة اليونانية، المعروفة بالسبعينية، أن يُسمَّى كل سفر حسب محتواه[1].

○ أسفارها:

١ ـ سفر التكوين أو الخليقة:

يتحدَّث هذا السِّفْر عن خلق العالم، وتاريخ الوعود الإلٰهية، منذ خلق آدم حتى موت يوسف عليه السلام، ويقسم إلى قسمين متفاوتين:

أ ـ تاريخ بدء الإنسانية، ويشمل الفصول ١ ـ ١١، ويبحث في قصة الخليقة، فيذكر خلق العالم من سموات وأرض وغير ذلك، وخلق آدم وحواء، وهبوطهما من الجنة إلى الأرض، وحياتهما فيها، وقصة قتل قابيل أخاه هابيل، وقصة نوح والطوفان.

وهو ليس تاريخاً بالمعنى العصري، فطبيعة الحوادث المروية فيه، وبعدها

---

[1] إظهار الحق ١/٥١، حواش على الكتاب المقدس ص٣، اليهودية لأحمد شلبي ص٢٣٨، تفسير المنار ١/٥١، المنجد.

الشاسع في الزمان، لا يسمحان بافتراض الانتقال عن طريق رواية المؤرخين المتتابعين، كما أن بدء العالم مرويٌّ بصورة شعبية وبلغة رمزية، وقد وصف الخلق بشكلين مختلفين.

ب ـ تاريخ السلالات البشرية، ويشمل الفصول ١٢ ـ ٥٠، ويتحدث عن نسل سام وغيره، وعن الشعب المختار بنوع خاص، ففيه قصة إبراهيم عليه السلام وأجداده، وينتهي بسرد قصة يعقوب وولده يوسف عليه السلام واستقراره بمصر مع أولاده، ثم موت يوسف[١].

٢ ـ سفر الخروج:

ويبدأ من بعد موت يوسف عليه السلام ويتناول موضوعين رئيسين، يربط بينهما موضوع ثانوي:

أ ـ فالموضوع الأول يعرض تاريخ بني إسرائيل في مصر، وما أصابهم من أذى على يد الفراعنة الجدد، ويذكر قصة نشأة موسى ورسالته مع أخيه هارون عليه السلام ثم خروجهما على رأس بني إسرائيل من مصر بتفصيل، ويتكون من الفصول ١ ـ ١٥.

ب ـ والموضوع الثاني يذكر سَيْر بني إسرائيل في الصحراء، وما وقع لهم في التيه من أمور تربوية، ويتكون من الفصول ١٥ ـ ١٨.

جـ ـ والموضوع الثالث يتحدث عن العهد الذي أُعطي لموسى في صحراء سيناء، فالله سبحانه يتكفل بحماية هذا الشعب إن ظل أميناً مستقيماً، ويتحدث أيضاً عن نزول التوراة على موسى عليه السلام إلى أن يصل إلى العمل على دخول الأرض المقدَّسة وارتحال موسى عليه السلام، ويتكون من الفصول ١٩ ـ ٤٠، ونجد من بين الحوادث العديدة حادثة عبادة العجل في الفصل الثاني والثلاثين.

ويوجد في هذا السفر أيضاً الوصايا العشر، وبعض أحكام الشريعة اليهودية في العبادات والمعاملات والعقوبات وغير ذلك[٢].

---

[١] حواش على الكتاب المقدس ص٦ ـ ٧، تقديم التوراة السامرية ص٢٢ ـ ٢٣، اليهودية لأحمد شلبي ص٢٤١، الأسفار المقدسة لعلي عبد الواحد وافي ص١٣.

[٢] حواش على الكتاب المقدس ص٩٦ ـ ٩٧، تقديم التوراة السامرية ص٢٣، اليهودية لأحمد شلبي ص٢٤٢، الأسفار المقدسة علي عبد الواحد وافي ص١٣.

٣ ـ سفر الأحبار أو اللاويين:

ويحتوي على طقوس الكَهَنة أبناء لاوي، وسائر الأحكام التشريعية التي تنظِّم الأمور الدينية والاجتماعية عند بني إسرائيل. وليس بين أقسام السفر صلة ظاهرة.

فالفصول من ١ ـ ٧ تصف مختلف الذبائح المستعملة في العبادات.

والفصول من ٨ ـ ١٠ تصف طقس تنصيب الكهنة هارون وأولاده.

والفصول من ١١ ـ ١٦ تذكر قواعد الطهارة والنجاسة.

والفصول من ١٧ ـ ٢٦ تتحدث عن مراسيم مختصة بالهيكل.

والفصل ٢٧ بمثابة ملحق يحدِّد شروط افتداء الأشخاص والحيوان وسائر الممتلكات.

ومن الواضح أن هذا التقليد الكهنوتي هو خلاصة تطور الأنظمة الموسوية عبر الأجيال، وبخاصة منذ بناء الهيكل، أي الجيل العاشر قبل الميلاد، وهو يشكل مع القسم الأخير من سفر الخروج، وجزء كبير من سفر العدد ما يسمونه بالقانون الكهنوتي، لأنه يتكلَّم بصورة خاصة عن العبادة والكهنة.

وقد دُوِّن هذا السفر بشكله الحاضر دون ريب ابتداء من العودة من سبي بابل، أي في الجيل الخامس قبل الميلاد. ويتعذر أن ينسب نصه الأخير إلى موسى عليه السلام[1].

٤ ـ سفر العدد:

أطلق عليه هذا الاسم بسبب الأعداد التي فيه، فهو يحتوي على إحصاءات لبني إسرائيل وقبائلهم وجيوشهم وأموالهم وثرواتهم في الفصول ١، ٤، ٢٦، وعلى إحصاء الذبائح وتوزيع المدن ونحو ذلك في سائر الفصول.

وهو مكمِّل لسفر الخروج، يروي سَيْر بني إسرائيل في الصحراء وتنقلاتهم منذ الأشهر الأخيرة في سيناء، إلى عشية دخولهم أرض الميعاد، وهذه الرواية ممتزجة بروايات أخرى ونصوص تشريعية، ومجموعة قانونية من العادات. ومما

---

[1] حواش على الكتاب المقدس ص١٧٠ ـ ١٧١، تقديم التوراة السامرية ص٢٣، اليهودية لأحمد شلبي ص٢٤٢، الأسفار المقدسة لعلي عبد الواحد وافي ص١٣ ـ ١٤.

يلفت الانتباه في جميع رواياته أن الشَّعْبَ لا يكفُّ عن التذمر والمعصية، وقد حلت القساوة محل الصبر.

وقد تحقق النقاد أن التراث المنسوب إلى موسى قد انتقل جزء منه شفوياً، وآخر منه عن طريق التقاليد[1].

٥ ـ سفر التثنية أو تثنية الاشتراع:

وفيه تكرار وإعادة لكثير من أحكام العقيدة والشريعة وتتمة لها، وفيه أيضاً إعادة للوصايا العشر.

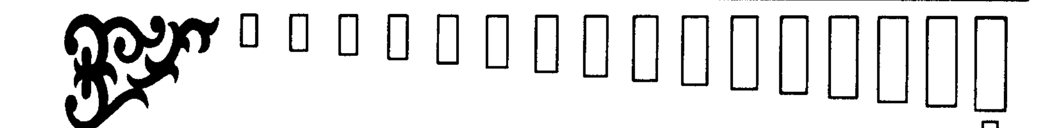
والمترجمون اليونانيون هم الذين أطلقوا عليه هذا الاسم متأثرين بعدد الشرائع التي يحتويها، فهو نشرة ثانية للشريعة، غير أنها مُطَبَّقة على وسط اجتماعي وسياسي أكثر تطوراً، فمن دراسة النصوص، يظهر من الخطب أن الشعب المشار إليه هنا هو شعب مزارعين صغار، استقر في بعض أرض فلسطين، وتأثر بالمدنية الحضرية، وتجاه خطر الوثنية المتزايد، فرض المؤلف مركز العبادة في مكان واحد. وينتهي السفر بموت موسى ودفنه في أرض مؤاب[2].

وصفوة القول: إن السفرين الأول والثاني يبحثان في التاريخ والقصص، وثلاثة الأسفار الأخيرة، تبحث في أمور دينية واجتماعية ومواعظ وتشريعات.

---

[1] الحواشي ص٢٢٢ ـ ٢٢٣، تقديم السامرية ص٢٣ ـ ٢٤، اليهودية لأحمد شلبي ص٢٤٢، الأسفار المقدسة لعلي عبد الواحد وافي ص١٤.

[2] الحواشي ص٣ وص٢٩٦، تقديم السامرية ص٢٤، اليهودية لأحمد شلبي ص٢٤٣، الأسفار المقدسة لعلي عبد الواحد وافي ١٣ ـ ١٤.



القسم الأول

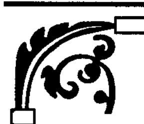
مدى صحة الكتاب المقدس (العهد القديم) ومغالطات أهل الكتاب



مغالطات أهل الكتاب

- يزعم أهل الكتاب أنَّ خمسة الأسفار الحالية التي بين أيديهم هي التوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام، وهي التي كتبها بيده، ليست مكذوبة ولا محرفة.
- ويَدَّعون أيضاً أن أسفار كتابهم المقدس كانت منتشرة شرقاً وغرباً، ووصلت إليهم خَلَفاً عن سلف، فلا يمكن تحريفها.
- ويزعمون أن القرآن شهد بصحة التوراة، كما يزعم النصارى أن عيسى عليه السلام شهد بصحة التوراة، وأن القرآن شهد بصحة الإنجيل.

وهم يقيمون المغالطات في جميع ذلك، وإليك التفصيل والتحليل.



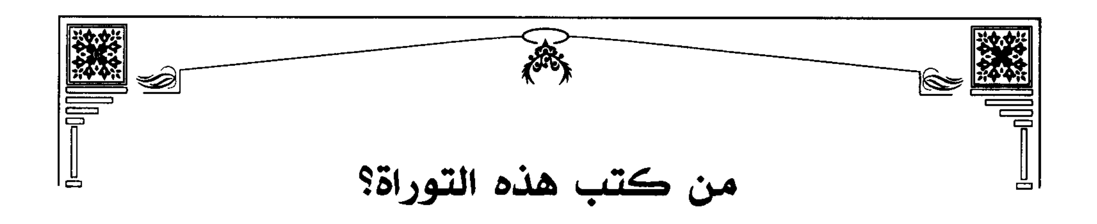


الفصل الأول

* المغالطة الأولى:

لم يكتب موسى عليه السلام هذه التوراة



من كتب هذه التوراة؟

قال في آخر توراتهم[1]: فتوفي موسى عبد الله بذلك الموضع في أرض موآب، مقابل بيت فَغُور، ولم يعرف آدمي موضع قبره إلى اليوم. وكان موسى يوم توفي ابن مئة وعشرين سنة، لم ينقص بصره، ولا تحركت أسنانه، فنعاه بنو إسرائيل في أوطنة موآب ثلاثين يوماً. ثم إنَّ يشوع بن نون امتلأ من روح الله، إذ جعل موسى يديه عليه، وسمع له بنو إسرائيل، وفعلوا ما أمر الله به موسى، ولم يخلف موسى في بني إسرائيل نبي مثله، ولا من يكلمه الله مواجهة في جميع عجائبه التي فعل على يديه بأرض مصر في فرعون مع عبيده وجميع أهل مملكته، ولا من صنع ما صنع موسى في جماعة بني إسرائيل[2].

قال أبو محمد رَحِمَهُ اللهُ: هذا آخر توراتهم وتمامها، وهذا الفصل شاهد عَدْل، وبرهان تام، ودليل قاطع، وحجة صادقة في أن توراتهم مبدَّلة، وأنها تاريخ مؤلف، كتبه لهم من تَخَرَّصَ بجهله، أو تعمَّد بكفره، وأنها غير منزلة من عند الله تعالى، إذ لا يمكن أن يكون هذا الفصل منزلاً على موسى في حياته، فكان يكون إخباراً عنهما، لم يكن بمساق ما قد كان، وهذا هو محض الكذب، تعالى الله عن ذلك.

وقوله: «لم يعرف قبره آدمي إلى اليوم» بيان لما ذكرنا كافٍ، وأنه تاريخ أُلِّف بعد دهر طويل، ولا بدَّ[3].

---

[1] من هنا يبدأ كلام ابن حزم في كتابه (الفصل) والذي نقدمه بهذا الشكل الذي يراه القارئ.

[2] هذا النص من سفر التثنية ٣٤/ ٥ ـ ١٢، ويأتي ذكره في الحاشية الآتية.

[3] ظل أهل الكتاب لقرون عديدة يعتقدون أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الذي كتب التوراة التي بين أيديهم، وأنها هي التي أنزلها الله عليه، ليست مكذوبة ولا محرَّفة، ويقيمون المغالطات على ذلك. ولعل الدافع لهم إلى ذلك بعض النصوص الموهمة به، ومنها ما يلي:

ـ جاء في سفر الخروج ١٧/ ١٤: فقال الرب لموسى: اكتب هذا تذكاراً في الكتاب، وَضَعه في مسامع يشوع. =

=

٢٤/ ٤ : فكتب موسى جميع أقوال الرب، وبكَّر في الصباح، وبنى مذبحاً في أسفل الجبل.

٣٤/ ٣٧ ـ ٣٨: وقال الرب لموسى: اكتب لنفسك هذه الكلمات، لأنني بحسب هذه الكلمات قطعت عهداً معك ومع بني إسرائيل. وكان هناك عند الرب أربعين نهاراً وأربعين ليلة.

ـ جاء في سفر العدد ٢٣/ ٢ : وكتب موسى مخارجهم برحلاتهم حسب قول الرب.

٣١/ ٩ : وكتب موسى هذه التوراة، وسلَّمها للكهنة بني لاوي، حاملي تابوت عهد الرب، ولجميع شيوخ إسرائيل.

٢٧/ ١ ـ ٨: وأوصى موسى وشيوخُ إسرائيل الشعبَ قائلاً . . . وتكتب عليها جميع كلمات هذا الناموس حين تعبر. . . وتكتب على الحجارة جميع كلمات هذا الناموس نقشاً جيداً.

٣١/ ٢٤ ـ ٢٦: فعندما كمل موسى كتابة كلمات هذه التوراة في كتاب إلى تمامها، أمر اللاويين حاملي تابوت عهد الرب قائلاً: خذوا كتاب التوراة هذا، وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم، ليكون هناك شاهداً عليكم.

ـ جاء في سفر يشوع ٨/ ٣٠ ـ ٣١: حينئذ بنى يشوع مذبحاً للرب في جبل عيبال كما أمر موسى، كما هو مكتوب في سفر توراة موسى. وكتب هناك على الحجارة نسخة توراة موسى التي كتبها أمام بني إسرائيل.

أما اليوم فقد هُجر هذا القول هجراً تاماً، وعلماء أهل الكتاب في عصرنا يقرُّون بأن التوراة التي بين أيديهم لم يكتبها موسى عليه السلام البتة، بل صنفها عَزْرا وآخرون بعد أن فقدت التوراة الموسوية الحقيقية من المجتمع اليهودي لعدة قرون، ومقرُّون أيضاً بأن ازدياداً ونقصاً تدريجياً وقع فيها سببته مناسبات وملابسات دينية واجتماعية، منه ما كان بغير قصد، ومنه ما كان عن عمد وقصد. ويظهر أن اليهود أرادوا بهذا المزج وهذا الحذف أن يجعلوا موسى عليه السلام ستاراً لهم، يخفون وراءه أموراً لم يقل بها ولم يدع إليها. وعبارات التوراة الحالية تشهد أن هذا الكتاب مزيج من روايات وقصص وأحكام وغير ذلك كانت مشتهرة بين اليهود، وضعه كتاب عديدون، جمعوه من مصادر كثيرة مختلفة، وأن موسى عليه السلام بعيد عنها. وإليك الأدلة:

الأدلة على أن موسى لم يكتب هذه التوراة:

أ ـ ميز الكاتب في الروايات التي ذكرها بين الأقوال، فما كان في زعمه قولاً لله سبحانه أو قولاً لموسى عليه السلام أدرجه تحت عبارة «قال الله»، أو «قال موسى»، وعَبَّر عنه بصيغة الغائب، ومن تتبع الأسفار الحالية وجدها كلها ما عدا سفر التكوين تتحدث عن موسى عليه السلام في جميع الأماكن بضمير الغائب، مثل قال موسى، وكلَّم الرب موسى، وذهب موسى، وغضب موسى، ونزل موسى. . . ونحو ذلك. ولو كانت من كتابة موسى عليه السلام لعبر عن نفسه بصيغة المتكلم، أو على الأقل في موضع من المواضع؛ لأن التعبير بصيغة المتكلم المباشر يقتضي زيادة في التأثير والاعتبار، وإليك الإجابة عما استدلوا به وإيضاح ذلك. =

. . . .

= ١ ـ إن الفقرات السابقة التي استدلوا بها على أن موسى ﷺ كتب التوراة التي عندهم، هي حجة عليهم، وليست لهم؛ إذ يستحيل أن يكون موسى قال هذا الكلام أو كتبه، بل لا بدَّ أن يكون قائلها رجلاً آخر، يروي أقوال موسى وأعماله.

٢ ـ جاء في سفر العدد ١٢/٣: وأما الرجل موسى، فكان حليماً جداً أكثر من جميع الذين على وجه الأرض.

٣ ـ جاء في سفر التثنية ٣٤/١ ـ ٤: وصعد موسى من عَرَبات موآب إلى جبل نبو، إلى رأس الفِسْجة ـ أي الربوة ـ الذي قُبالة أريحا، فأراه الربُّ جميع الأرض من جلعاد إلى دان، وجميع نفتالي وأرض أفرايم ومنسَّى وجميع أرض يهوذا إلى البحر الغربي، والجنوبَ والدائرةَ بقعة أريحا مدينة النخل، إلى صُوغَرَ، وقال له: هذه هي الأرض التي أقسمت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب قائلاً: «النسلك أعطي هذه الأرض» قد أريتك إياها بعينك، ولكنك إلى هناك لا تعبرُ.

فبالرغم من أن موسى ﷺ مات في شرقي الأردن، ووجود الذين خرجوا معه إلى تلك الناحية، فإن الرواية تذكر أنه رأى أرض فلسطين، وقد سكنَتها أسباط اليهود، وهو أمر لا يمكن تصوره بهذا التقسيم إلا بعد انتهاء عهد القضاة والدخول في حقبة الملوك شاؤل وداود وسليمان، أي بعد موسى ﷺ بما لا يقل عن (٣٠٠) سنة.

٤ ـ يروي الراوي وفاة موسى ﷺ فيقول في سفر التثنية ٣٤/٥ ـ ١٢: فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب، ودفَنَه في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فَغُورَ، ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم. وكان موسى ابن مئة وعشرين سنة حين مات، ولم تكِل عينه، ولا ذهبت نضارته. فبكى بنو إسرائيل موسى في عربات موآب ثلاثين يوماً. ويشوع بن نون كان قد امتلأ روح حكمة، إذ وضع موسى عليه يديه، فسمع له بنو إسرائيل، وعملوا كما أوصى الرب موسى. ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه، في جميع الآيات والعجائب التي أرسله الرب ليعملها في أرض مصر بفرعون، وبجميع عبيده وكل أرضه، وفي كل اليد الشديدة، وكل المخاوف العظيمة التي صنعها موسى أمام أعين جميع إسرائيل.

فهل نزل هذا الكلام على موسى ﷺ حال حياته، ثم أخبر وهو حي بصيغة الماضي يحكي فيه قصة موته ودفنه وبكاء الناس عليه وعدم معرفتهم قبره وعدم قيام نبي بعده في بني إسرائيل يشابهه في صفاته وخواصه؟! من الواضح أن صاحب هذا الكلام غير موسى ﷺ، وأن هذا الكلام لم يُقَل ولم يكتب إلا بعد موت موسى ﷺ بزمن طويل.

وزعم بعض أهل الكتاب أن الله سبحانه أمر يشوع بن نون أن يكتب ذلك في آخر التوراة ويجعله منها، لكن النص لا يقبل هذا الزعم؛ لأنه يتحدث عن يشوع أيضاً بضمير الغائب، بل ثمة فقرات تدل دلالة واضحة على أن مؤلف هذا الكتاب لا يمكن أن يكون قبل عصر داود ﷺ البتة، وعلماء النصارى يقولون رَجْماً بالغيب: إنها من ملحقات نبي من الأنبياء. =

. . . .

= ٥ ـ غير أننا نجد بعض العبارات في سفر التثنية يتحدث فيها موسى عليه السلام عن نفسه بضمير المتكلم، لكن بعد أن يقدمه الراوي ويوضح أنه يذكر كلامه.

جاء في سفر التثنية ١/١ ـ ٥: هذا هو الكلام الذي كلم به موسى جميع إسرائيل في عَبْر الأردن. . . ففي السنة الأربعين في الشهر الحادي عشر، في الأول من الشهر، كلم موسى بني إسرائيل حسب كل ما أوصاه الرب إليهم. . . في عبر الأردن في أرض موآب ابتدأ موسى يشرح هذه الشريعة قائلاً: الرب إلٰهنا كلمنا في حوريب قائلاً: كفاكم قعودٌ في هذا الجبل، تحوَّلوا وارتحلوا وادخلوا. . .

وظل موسى يتحدث بضمير المتكلم حتى الفصل ٤/٤٠، ثم عاد الراوي إلى الكلام عن موسى بضمير الغائب في ٤/٤١: حينئذ أفرز موسى ثلاث مدن في عَبْر الأردن. . .

٤/٤٤ ـ ٤٩: وهذه هي الشريعة التي وضعها موسى أمام بني إسرائيل، هذه هي الشهادات والفرائض والأحكام التي كلَّم بها موسى بني إسرائيل عند خروجهم من مصر. . . واستمر يتحدَّث عنه بضمير الغائب إلى ٥/١ ـ ٢ حيث قال: ودعا موسى جميع إسرائيل وقال لهم: اسمعوا يا إسرائيل الفرائضَ والأحكامَ التي أتكلَّم بها في مسامعكم اليوم، وتَعلّموها واحترزوا لتعملوها. الرب إلٰهنا قطع معنا عهداً في حوريب. . . واستمر يتحدث عن موسى عليه السلام بضمير المتكلم إلى ٢٧/١ حيث قال الراوي: وأوصى موسى وشيوخ إسرائيل الشعب قائلاً: احفظوا جميع الوصايا التي أنا أوصيكم بها اليوم. . . واستمر يتحدَّث عنه بضمير المتكلم إلى ٢٩/١ ـ ٢ حيث قال الراوي: هذه هي كلمات العهد الذي أمر الرب موسى أن يقطعه مع بني إسرائيل في أرض موآب، فضلاً عن العهد الذي قطعه معهم في حوريب. ودعا موسى جميع إسرائيل وقال لهم: أنتم شاهدتم ما فعل الرب أمام أعينكم. . . ويستمر الخطاب بضمير المتكلم إلى ٣١/١ ـ ٢ حيث قال الراوي: فذهب موسى وكلم بهذه الكلمات جميع إسرائيل وقال لهم: أنا اليوم ابن مئة وعشرين سنة، لا أستطيع الخروج والدخول. . . ويستمر الحديث بضمير المتكلم إلى ٣١/٩ حيث قال الراوي: وكتب موسى هذه التوراة. . . ويستمر الحديث عن موسى بضمير الغائب إلى أن يصل إلى أعمال موسى الأخيرة ووفاته حتى آخر السفر. [إظهار الحق ١/٥٨ ـ ٦٠ و٢٢٨ و٢٨٩، دراسة الكتب المقدسة لموريس بوكاي ص٢٧، الأجوبة الفاخرة ص٨٥، الفكر الديني اليهودي ص٢٢ ـ ٢٣ و٦٢].

ب ـ ورد في هذه الأسفار أسماء أطلقت على أمكنة لم تعرف بها في زمن موسى عليه السلام وإنما عرفت بعده بزمن طويل.

فما أكثر ما يتجاوز الراوي حياة موسى عليه السلام حتى إن بعض العبارات تدل دلالة واضحة على أن مؤلف هذا الكتاب لا يمكن أن يكون قبل عصر داود عليه السلام، بل إما أن يكون معاصراً له أو أتى بعده.

وعلماء أهل الكتاب يقولون: هي من ملحقات نبي من الأنبياء. وهذا ادعاء بلا برهان، إذ لم يكتب أحد الأنبياء في كتاب ما أنه ألحق الجملة الفلانية أو الفصل ذا الرقم كذا وكذا =

. . . .

= في الكتاب الفلاني، ولا كتب نبي ما أن نبياً آخر ألحقها. فما لم يقم دليل قوي على أنها من ملحقات أحد الأنبياء، تكون هذه الكلمات والفقرات والفصول أدلة كاملة قوية على أن هذه التوراة ليست من تصنيف موسى عليه السلام لأنها لا يمكن أن تكون من كلامه. وإليك الأمثلة:

١ ـ جاء في سفر التكوين ٦/١٢: واجتاز أبرام في الأرض إلى مكان شكيم، إلى بلوطة مورة، وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض.

٧/١٣: وكان الكنعانيون والفَرِزّيون حينئذ ساكنين في الأرض.

فهاتان الجملتان تدلان على أن الكنعانيين والفرزيين لم يكونوا ساكنين في تلك الأرض عندما كتب الكاتب هذا الكلام، وأنه كتب بعد طرد الكنعانيين، مع أنهم كانوا في زمن موسى عليه السلام يملكون هذه الأرض. ومفسرو أهل الكتاب يقرون بأنهما مضافتان إلى النص، وليستا منه.

جاء في تفسير هنري واسكات: هذه الجملة «والكنعانيون حينئذ في البلد» وكذا الجمل الأخر في مواضع شتى ملحقة لأجل الربط، ألحقها عزرا أو شخص إلهامي آخر في وقت جمع الكتب المقدسة. [إظهار الحق ١/ ٣٧٨].

وهذا اعتراف بإضافة الجمل. أما ظنهم أن المُلْحق عَزْرا أو غيره من الإلهاميين فليس عليه دليل.

٢ ـ جاء في سفر التكوين ١٨/١٣: فنقل أبرام خيامه، وأتى وأقام عند بلوطات مَمْرا التي في حبرون.

وفي ٢٧/٣٥: وجاء يعقوب إلى إسحاق أبيه إلى مَمْرا قرية أربع التي هي حبرون ٣٧/ ١٤: فأرسله من وَطاء حبرون، فأتى إلى شكيم.

فهذه الجمل ليست من كلام موسى عليه السلام، لأن اسم حبرون أطلق على قرية أربع بعدما فتح يشوع بن نون فلسطين.

جاء في سفر يشوع ١٣/١٤ ـ ١٥: فباركه يشوع، وأعطى حبرون لكالب بن يَفُنَّة مُلْكاً... واسم حبرون قبلاً قرية أَرْبَعَ الرجلِ الأعظم في العَنّاقيين.

وحبرون هي الخليل، فتلك الجمل من كلام شخص كان بعد موت موسى قطعاً.

٣ ـ جاء في سفر التكوين ١٤/ ١٤: فلما سمع أبرام أن أخاه سُبي جَرَّ غِلمانه المتمرنين... وتبعهم إلى دان.

ودان اسم بلدة عُمرت في عهد القضاة، فبعد موت يوشع فتح بنو إسرائيل بلدة لايِش، فقتلوا أهلها وأحرقوها، وبنوا بدلاً منها مدينة جديدة سموها دان كما هو مصرح به في سفر القضاة ٢٩/١٨: ودعَوا اسم المدينة دان باسم أبيهم الذي ولد لإسرائيل، ولكن اسم المدينة أولاً لايِش.

قال المفسر هورن: «يمكن أن يكون موسى كتب قرية أربع ولايش، لكن بعض الناقلين حرَّف هذين اللفظين إلى حبرون ودان». وهذا اعتراف بالتحريف. [إظهار الحق ١/ ٣٧٧]. =

. . . .

= ٤ ـ التكوين ٢٢/١٣ ـ ١٤: فذهب إبراهيم، وأخذ الكبش، وأصعده محرقة عوضاً عن ابنه، فدعا إبراهيم اسم ذلك الموضع (يَهْوَه يِرْأَه) حتى إنه يقال اليوم: «في جبل الرب يرى».

وفي التوراة السامرية: ودعا إبراهيم اسم ذلك الموضع (الله ينظر) الذي يقال اليوم «في جبل الله يستجاب».

والمقصود بالجبل جبل موريا. وقد ذكر المفسِّر آدم كلارك في مقدمة تفسير سفر عَزْرا أنه لم يطلق على هذا الجبل اسم (جبل الله) إلا بعد بناء الهيكل في عهد سليمان ـ أي بعد وفاة موسى عليه السلام بـ(٤٥٠) سنة ـ وحكم بأن هذه الجملة ملحقة بالنص. [إظهار الحق ١/٢٤٢].

وقال الفيلسوف اليهودي سبينوزا: علماً بأن موسى لم يُشِر إلى أي مكان اختاره الله، بل تنبأ بأن الله سيختار بعد ذلك مكاناً يطلق عليه اسم الله.

٥ ـ التكوين ٣٦/٣١: وهؤلاء هم الملوك الذين ملكوا في أرض أدوم، قبلما ملَك ملِك لبني إسرائيل.

ويمتنع أن تكون هذه الجملة من كلام موسى عليه السلام بل من كلام رجل عاش بعد قيام مملكة إسرائيل، وكان أول ملك لهم شاول. وقد ملك بعد وفاة موسى ب(٣٥٦) عاماً.

قال المفسِّر آدم كلارك في المجلد الأول من تفسيره: «غالب ظني أن موسى ما كتب هذه الجملة، ولا الجمل التي بعدها إلى الجملة (٣٩)، بل هي من فقرات السفر الأول من أخبار الأيام، وأظن ظناً قوياً أنها كانت مكتوبة على حاشية نسخة من التوراة، فظن الناقل أنها جزء منها، فأدخلها فيها». وقد ذكر المفسر هورن نحو ذلك في المجلد الأول من تفسيره. [إظهار الحق ١/٢٣٩ ـ ٢٤٠].

٦ ـ جاء في سفر الخروج ١٦/٢٥: وأكل بنو إسرائيل المن أربعين سنة حتى جاؤوا إلى أرض عامرة، أكلوا المن حتى جاؤوا إلى أطراف كنعان.

فهذه الفقرة ليست من كلام موسى عليه السلام لأن الله لم يمسك المن عن بني إسرائيل مدة حياته، ومعلوم أن موسى عليه السلام مات قبل دخول العبرانيين إلى أرض كنعان وأكلهم من خيراتها ومحصولها.

٧ ـ جاء في سفر العدد ٢١/٣: فسمع الرب لقول إسرائيل، ودفع الكنعانيين، فحَرَّموهم ومدنَهم، فدُعي اسم المكان حُرْمَة.

قال آدم كلارك في تفسيرِهِ ١/٩٩٧: هذه الفقرة ألحقت بعد موت يوشع، لأن جميع الكنعانيين لم يهلكوا في عهد موسى، بل بعد موته.

٨ ـ جاء في سفر العدد ٢١/١٤: لذلك يقال في كتاب حُرُوب الرب: واهِبٌ في سُوفَةَ وأوديةِ أرنون.

فهذه الجملة لا يمكن أن تكون من كلام موسى، لأن الكاتب نقلها عن سفر حروب الرب، ولا يعلم إلى الآن جزماً من هو مصنف هذا السفر ومتى كان وأين؟ وأهل الكتاب سمعوا باسم هذا السفر ولم يروه. =

. . . .

= وجزم آدم كلارك في مقدمة تفسير سفر التكوين أن هذه الجملة ملحقة، ثم قال: الغالب أن لفظ سفر حروب الرب كان في الحاشية ثم دخل في المتن. [إظهار ١/ ٣٧٦].

٨ ـ جاء في سفر العدد ٣٢/ ٤١: وذهب يائير بن مَنَسّى وأخذ مزارعها، ودعاهن حَوّوث يائير.

وفي سفر التثنية ٣/ ١٤: فيائير بن منسى أخذ كل كورة أرجوب إلى تخم الجشّوريين والمعكيين ودعاها على اسمه باشان حَوُّوث يائير إلى هذا اليوم.

فهذه الجملة لا يمكن أن تكون من كتابة موسى، لأن المتكلم بها لا بد أن يكون متأخراً عن يائير تأخراً كبيراً، كما يشعر بذلك قوله: إلى هذا اليوم. لأن أمثال هذا اللفظ لا يستعمل إلا في الزمان الأبعد على ما حقَّقه المحققون من علمائهم. [إظهار الحق ١/ ٣٧٠].

قال المفسر هورن عن هذه الفقرة في سفر التثنية وعن الفقرة ٣٦/ ٣١ من سفر التكوين: هاتان الفقرتان لا يمكن أن تكونا من كلام موسى، لأن الأولى ـ أي التي في التكوين ـ دالة على أن مصنف الكتاب كان قبل زمن قامت فيه سلطنة بني إسرائيل، والثانية دالة على أن مصنفه كان بعد زمان إقامة اليهود في فلسطين. . . ومن نظر بدقة علم أنهما ليستا بلا فائدة فحسب، بل ثقيلتان على متن الكتاب، ولا سيما الثانية، فالأغلب أن النص كان في الكتاب بهذا القدر: «فيائير بن منسى أخذ كل كورة أرجوب إلى تخوم الجشوريين والمعكيين، ودعاها على اسمه باشان حووث يائير» وبعد قرون زيد هذا اللفظ في الحاشية ليُعلم أن الاسم الذي سماها به يائير لا زال اسمها إلى الآن، ثم انتقلت تلك العبارة من الحاشية إلى المتن في النسخ المتأخرة، ومن شك فليرجع إلى النسخ اليونانية، وسوف يجد فيها أن الإضافات التي توجد في متن بعض النسخ توجد أيضاً في النسخ الأخرى على الحاشية [إظهار الحق ١/ ٣٧١].

وجاء في قاموس الكتاب المقدس الذي شرع في تأليفه كالمنت وأكمله زابت ويتلر: بعض الجمل التي توجد في كتب موسى تدل صراحة على أنها ليست من كلامه مثل ما جاء في سفر العدد ٣٢/ ٤١ والتثنية ٣/ ١٤، وكذلك فإن بعض عبارات هذا الكتاب ليست على محاورة كلام موسى، ونقول بالظن الغالب أن عَزْرا ألحقها، ويدل عليه الفصل التاسع والعاشر من كتابه، والفصل الثامن من كتاب نحميا.

قال الشيخ رحمة الله الهندي في إظهار الحق ١/ ٣٧٣: وهذا الظن ليس بشيء، ولا يظهر من الفصول المذكورة أن عَزْرا ألحق شيئاً في التوراة، بل يفهم من كتابه أنه تأسف على أفعال بني إسرائيل واعترف بالذنوب. ويفهم من كتاب نحميا أن عزرا قرأ التوراة عليهم.

٩ ـ جاء في سفر التثنية ١/ ١ ـ ٥: هذا هو الكلام الذي كلَّم به موسى جميع إسرائيل في عَبْر الأردن في البرية. . . في عبر الأردن في أرض موآب، ابتدأ موسى يشرح هذه الشريعة قائلاً . . .

وهذا لم يكتبه موسى قطعاً، لأنه لم يعبر الأردن مطلقاً. أضف إلى ذلك أنه عبر عن موسى بضمير الغائب. =

....

= ١٠ ـ وجاء في التثنية ٣/ ١١ ـ ١٢ أن عُوجَ ملك باشان وحده بقي من بقية الرفائيين.
هُوَ ذا سريره من حديد، أليس هو في رَبَّةِ بني عَمّون، طوله تسعة أذرع، وعرضه أربعة أذرع، بذراع رجل. فهذه الأرض التي امتلكناها في ذلك الوقت.

فهذه العبارات تدل دلالة قاطعة على أن كاتب هذه الأسفار عاش بعد موسى ﷺ بمدة طويلة، أضف إلى ذلك أنه لم يعثر على هذا السرير الحديدي إلا في عصر داود الذي فتح ربَّة عمون كما في سفر صموئيل الثاني ١٢/ ٣٠.

١١ ـ الفصل الرابع والثلاثون من سفر التثنية ليس من كلام موسى ﷺ.

قال آدم كلارك في المجلد الأول من تفسيره: تم كلام موسى على الفصل السابق، وهذا الفصل ليس من كلامه، ولا يجوز أن يقال كتبه موسى بالإلهام، لأن هذا الاحتمال بعيد من الصدق والحس... وإني أجزم بأن هذا الفصل كان فصلاً أول لكتاب يوشع، والحاشية التي كتبها بعض أحبار اليهود على هذا الموضع قابلة للقبول.

وقال أيضاً: إن أكثر المفسرين قالوا: إن سفر التثنية تم على الدعاء الإلهامي الذي دعا به موسى لاثني عشر سبطاً على هذه الفقرة «فطوباك يانسل إسرائيل، ليس مثلك شعب مُغاث بالله...»، وإن هذا الفصل كتبه المشايخ السبعون بعد مدة من موت موسى، وكان أول فصول كتاب يوشع، لكنه انتقل من ذلك الموضع إلى هذا الموضع.

وجزمه بأنه أول كتاب يوشع، وادعاؤه أن (المشايخ السبعون) هم الذين كتبوه لم يقم عليه دليل ولا سند. [إظهار الحق ١/ ٣٧٩].

وقال جامعو تفسير هنري واسكات: تم كلام موسى على الفصل السابق، وهذا الباب من الملحقات، والملحِق إما يشوع أو صموئيل أو عزرا أو نبي آخر بعدهم لا يعلم بالجزم، ولعل الفقرات الأخيرة ألحقت بعد أن أطلق بنو إسرائيل من أسر بابل.

وقال والي ورجرد مينت في تفسيره نحو ذلك. [إظهار الحق ١/ ٣٨٠].

وجاء في الحواشي على الكتاب المقدس ص٧: الفصل الثالث والثلاثون والفصل الأخير ـ أي من سفر التثنية ـ هما في غالب الرأي من سفر يشوع، لأن الكتاب الإلٰهي في قديم الزمان كانت أسفاره يَلي بعضها بعضاً غير مميزة بعنوان ولا فصل. وأما البركات المذكورة في الفصل الثالث والثلاثين فلا ريب أنها من موسى الكليم.

وهذا كله ظن لا دليل عليه ولا برهان لافتقارهم إلى الأسانيد.

١٢ ـ في هذه الأسفار من الكلام البابلي ما لا يحصى، مما يدل على أنها كتبت بعد السبي، والراجح عند المؤرخين الأوربيين أنها كتبت بعد موسى ﷺ ببضعة قرون، والمشهور أن أول من كتب فيها بعد السبي الكاهن عزرا في أيام الملك الفارسي ارتحشتا بإذن منه.

وسيأتي ذلك إن شاء الله لدى عرض لمحة تاريخية عن الأدوار التي مرت بها التوراة، ويظهر أيضاً بشهادة الباحثين والمحققين الآتية:

جـ ـ شهادة الباحثين والمحققين: =

. . . .

= يعتقد جمهور أهل الكتاب بترويج من علمائهم أن خمسة الأسفار التي تسمى التوراة كتبها موسى بنفسه بوحي من الله، وأنَّ سائر أسفار العهد القديم كتبها الأنبياء أيضاً بإلهام من الله. واستمر الأمر على هذه الحال حتى مطلع القرن الثامن عشر الميلادي حيث ظهرت مجموعة من الباحثين وشكَّكت في صحة هذا الكلام.

وتتالت الأبحاث والدراسات الموضوعية لهذه الأسفار، وبخاصة في القرن التاسع عشر حيث ظهر للباحثين والمحققين من ملاحظة اللغات والأساليب التي كتبت بها، وما تشتمل عليه من موضوعات وأحكام تشريعية، ومن ملاحظة البنية الاجتماعية والسياسية التي تنعكس فيها، أنها كتبت على مدى أكثر من عشرة قرون ـ أي من القرن التاسع قبل الميلاد إلى القرن الأول الميلادي ـ وأن موسى ﷺ لم يكتب هذه الأسفار المنسوبة إليه، بل أُلِّفت بعد وفاته ببضعة قرون، وأن الأسفار المنسوبة إلى الأنبياء لم يكتبها من نسبت إليهم، بل اشترك في كتابتها فئات مختلفة من الناس، لا تعرف أسماؤهم، عاشوا في عهود مختلفة، وأزمنة متباعدة، ولذلك اختلفت ثقافاتهم وأساليبهم وتعابيرهم، وأثبتوا بالعديد من الدراسات التي أجروها على أصول الأسفار أنها تحتوي على عقائد وشرائع مختلفة، تعكس الأفكار والنظم المتعددة التي كانت سائدة عند اليهود في مختلف أدوار تاريخهم الطويل، ففيها أساطير وعقائد وحضارات الفراعنة والبابليين والآشوريين والفينيقيين، كما أوضحوا تأثير الحضارتين الفارسية واليونانية. ويتفق الجميع على أن الكتابة والتنقيح والحذف والإضافة استمرت قروناً طويلة. وهذا ما يفسر التناقض الرهيب الذي فيها من حيث الحوادث وأسماء الأماكن وأسماء الأشخاص ونسبهم وغير ذلك. مما اضطر علماء أهل الكتاب إلى تغيير موقفهم من تلك الأسفار كما سيأتي لدى الكلام على تغير موقف الكنيسة. وإليك بعضاً من شهادة العلماء والباحثين. [الأسفار المقدسة ص١٦].

١ ـ ذكر العالم وِلْ ديُورانت في كتابه قصة الحضارة أن العهد القديم ليس شريعة فحسب، بل هو مع ذلك تاريخ وشعر وفلسفة من الطراز الأول... وأن نصوص أسفاره وأسفار موسى ترجع في كثير من أصولها إلى تراث الأمم السابقة مثل البابليين والفينيقيين والآشوريين والفراعنة، كما يلحظ فيها تأثيرات اليونان وبخاصة في سفر الجامعة وتأثيرات الفرس وغيرهم... ويذكر أنه لم يبق لدينا من شريعة موسى سوى الوصايا العشر. وقد ضاع ما عداها واندثر. [اليهودية لأحمد شلبي ص٢٥٩].

٢ ـ جاء في دائرة المعارف البريطانية أن أسفار العهد القديم كتبت في عصور مختلفة بأيدي كتّاب مختلفين ذوي ثقافات مختلفة.

٣ ـ جاء في المجلد العاشر من دائرة المعارف (يابيني) أن الدكتور اسكندر كيدس، وهو من المعتمدين عند النصارى قال في مقدمة الكتاب المقدس: ثبت لي بظهور الأدلة الخفية ثلاثة أمور جزماً:

الأول: أن التوراة الموجودة ليست من تصنيف موسى. =

. . . .

= الثاني: أنها كتبت في كنعان أو أورشليم، ولم تكتب في عهد موسى حيث كان بنو إسرائيل في ذلك الوقت بالصحارى.

الثالث: أن تأليفها لا يثبت قبل حكم داود، ولا بعد زمان حزقيال، بل أنسب تأليفها إلى زمن سليمان. أي قبل ألف سنة من ميلاد المسيح، وبعد خمسمئة سنة من وفاة موسى. [إظهار الحق ١/٦١].

٤ ـ ذكر العالم أستروك أن من يطالع سفر التكوين يجد نصين جنباً إلى جنب، أحدهما يسمِّي الإلٰه باسم (يهوه)، والثاني باسم (ألوهيم)، والعلماء يعتقدون أن ما يتعلق بيهوه كتب في مملكه الجنوب يهوذا، وما يتعلق بألوهيم في مملكة الشمال إسرائيل. وكلاهما ظهر بعد وفاة سليمان ﷺ إثر انقسام المملكة.

٥ ـ ودرس الباحث إيلجن النص الألوهيمي فوجده أيضاً ينقسم إلى قسمين مختلفين، كتب كل منهما في فترة تختلف عن الأخرى.

٦ ـ وتنبه العالم إكهورن إلى أن أربعة الأسفار الأخرى تحتوي أيضاً على نصَّين مختلفين.

٧ ـ وقرب نهاية القرن الثامن عشر ظهر العالم ولهاوزن بنظريته التي تقول: إن أسفار موسى كتبت بعد الأسفار الأخرى، وهي متأخرة عنها، وإن موسى لم يكتب شيئاً منها. وكذلك سفر يشوع، فإنه كتب في فترة متأخرة جداً، ولم يكتب يشوع شيئاً مما نسب إليه.

٨ ـ وقال المفكر رجاء جارودي في كتابه إسرائيل والصهيونية: ليس هناك عالم من علماء التوراة وتفسيرها لا يقرُّ بأن أقدم نصوصها قد أُلِّف وكتب على الأقل في عهد سليمان، وهذه النصوص ليست إلا تجميعاً لروايات شفوية. [عن المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ١/١٢٨ ـ ١٤٠].

٩ ـ قال العالم نورتن: لا يوجد فرق يعتد به في محاورة التوراة ومحاورات سائر أسفار العهد القديم الذي كتب في زمن إطلاق بني إسرائيل من أسر بابل، مع أن بين هذين الزمانين تسعمئة سنة، ووقوع الاختلاف في اللسان بسبب اختلاف الزمان بدَهِي.

١٠ ـ غلب على ظن العالم ليوسان ـ وله مهارة في اللغة العبرية ـ أن هذه الكتب صنفت في زمن واحد. [عن إظهار الحق ١/١٠٨ ـ ١٠٩].

١١ ـ قال الأب ديفو: لقد تجمعت أسفار موسى من أقوال موروثة عن أمم مختلفين، جمعها محررون، وضعوا ما جمعوه جنباً إلى جنب تارة، وغيروا شكل الروايات تارة أخرى من أجل إيجاد وحدة مركبة، فتركوا للعيون أموراً غير معقولة، وأخرى متنافرة.

١٢ ـ ويؤكد ريشارد سيمون في كتابه التاريخ النقدي للعهد القديم على الصعوبات الخاصة بتسلسل الأحداث والتكرار وفوضى الروايات وفوارق الأسلوب في أسفار موسى الخمسة. [دراسة الكتب المقدسة لموريس بوكاي ص٢٧ ـ ٢٩، التوراة بين الوثنية والتوحيد ص١٧].

١٣ ـ قال الباحث ج. سميث عن سفر الخروج: إن هذا السفر لم يكتب إلا بعد فترة طويلة من الأحداث الواردة فيه، وربما كانت هذه الأحداث منقولة جيلاً عن جيل. [اليهودية لأحمد شلبي ص٢٦٠]. =

. . . .

= ١٤ ـ نقل محمد فريد وجدي في دائرة معارفه ٢/ ٧٠٢ عن دائرة معارف لاروس أن الأبحاث المستفيضة في الآثار القديمة والتاريخ وعلم اللغات أثبتت أن التوراة لم يكتبها موسى، وأنها من عمل أحبار لم يذكروا اسمهم عليها، ألَّفوها على التعاقب معتمدين في تأليفها على روايات سماعية، سمعوها قبل سبي بابل.

١٥ ـ يثير الفيلسوف اليهودي الهولندي سبينوزا في كتابه رسالة في اللاهوت والسياسة تساؤلات هامة حول أسفار العهد القديم، وبخاصة أسفار التوراة، ثم يصل إلى النتائج التالية:

أ ـ من الواضح وضوح الشمس أن موسى ليس هو مؤلف هذه الأسفار، ولم يكتبها، بل إن مؤلفها شخص آخر عاش بعد موسى بزمن طويل وقرون عديدة.

ب ـ لا شك أن موسى كتب سفراً آخر مختلفاً، وكان في حجمه أصغر بكثير من خمسة الأسفار هذه.

قلت: ويدل على ذلك ما جاء في سفر التثنية ٣١/ ٩ ـ ١١: «وكتب موسى هذه التوراة، وسلَّمها للكهنة بني لاوي قائلاً: في نهاية السبع سنين في ميعاد سنة الإبراء في عيد المظال، حينما يجيء جميع إسرائيل، لكي يظهروا أمام الرب إلهك، في المكان الذي يختاره، تقرأ هذه التوراة أمام كل إسرائيل في مسامعهم».

وهذا يدل على صغر حجمها، ولو كانت بهذا الحجم الذي نراه لما أمكن قراءتها في تلك المدة.

وترى الموسوعة البريطانية بحسب روايات العهد القديم أن موسى احتفظ بصحف مكتوبة، وأنه حتى مع التوسع في تقدير هذه الصحف، فإنها لا تبلغ أكثر من خُمُس الأسفار الخمسة.

جـ ـ ليس لدينا أي سفر يحتوي على عهد موسى وعهد يوشع، مما يدل على أن توراة الله قد فقد، وليس هو واحداً من خمسة الأسفار هذه، بل هو يختلف عنها اختلافاً كلياً، وقد أدخله مؤلف الأسفار الخمسة في المكان الذي ارتآه.

د ـ من المحتمل أن يكون موسى كتب بعض ما في هذه الأسفار، مثل سفر حروب الرب، وسفر العهد، وسفر توراة الله التي ورد ذكرها في أسفار التوراة.

قلت: يشير سبينوزا إلى ما ورد في سفر الخروج ١٧/ ١٤ عن الحرب ضد العمالقة، إذ قال له «الرب: اكتب هذا في كتاب»، كما يشير إلى ما ورد في سفر العدد عن حروب الرب.

ويشير بسفر العهد إلى ما ورد في سفر الخروج ٢٤/ ٧: «وأخذ كتاب العهد، فتلا على مسامع الشعب فقال. . .».

ويشير بسفر توراة الله إلى ما ورد في سفر التثنية ٣١/ ٩: «وكتب موسى هذه الشريعة، وسلَّمها إلى الكهنة بني لاوي. . . وسائر شيوخ إسرائيل. . .».

كما يشير إلى ما ورد في سفر يشوع ٢٤/ ٢٥ ـ ٢٦: «فقطع يشوع للشعب عهداً في ذلك اليوم، جعل لهم فريضة وحكماً في شكيم، وكتب يشوع هذا الكلام في سفر توراة الله. =

= هـ ـ يظهر أن موسى لم يأمر بالمحافظة إلا على سفر واحد صغير هو سفر العهد الثاني وهو النشيد، من بين جميع الأسفار التي كتبها.

ويشير سبينوزا إلى ما ورد في سفر التثنية ٢٩/١١ ـ ٢٠: يقطع الرب إلهك العهد معك اليوم..

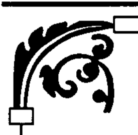
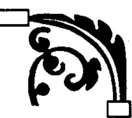
و ـ نظراً لوجود نصوص كثيرة في خمسة الأسفار، يمتنع أن يكون موسى هو الذي كتبها، فلا يستطيع أحد أن يؤكد أن موسى هو مؤلف خمسة الأسفار، بل العكس هو الصواب، فإن العقل يكذب هذه النسبة.

ز ـ لو سلمنا بما يبدو لنا أن موسى كتبه، فإننا ننكر تأكيد ذلك، لأنه يجب ألّا نسلم إلا بما يثبته ذلك الكتاب نفسه، أو بما يستنبط بصفته نتيجة مشروعة من الأسس التي يقوم عليها، إذ الاتفاق الظاهر الذي لا يستبعده العقل، لا يعد دليلاً.

ويستمر سبينوزا في كتابه بتقديم البراهين لإثبات أن سائر أسفار العهد القديم لم يكتبها من سمِّيت بأسمائهم.

ويبدو من تسلسلها ومحتواها أن كاتبها مؤرخ أراد أن يروي تاريخ اليهود القديم منذ نشأتهم الأولى حتى هدم المدينة لأول مرة. وربما يكون عزرا، فلا يمكن أن يشتبه إلا به، كتبها ببابل في أثناء السبي [تعريف بالتوراة السامرية لأحمد حجازي ص١٦].

وبذلك يكون الادعاء التقليدي أن موسى عليه السلام هو مؤلف خمسة الأسفار ادّعاء غير قابل للثبات، ولا يمكن الدفاع عنه.


الفصل الثاني

* المغالطة الثانية:

افتقار أسفارهم إلى الأسانيد المتَّصلة






هل لكتابهم المقدَّس سند صحيح؟[1]

---

[1] يزعم أهل الكتاب أن أسفار كتابهم المقدَّس نُقلت إليهم نقلاً صحيحاً عن الأنبياء الذين ينسب إليهم كل سفر.

جاء في الجزء الرابع من المَشْنا في الباب المسمَّى فقرات الآباء: تلقى موسى التوراة من سيناء، وبلغها ليشوع، ويشوع للأوائل، والأوائل للأنبياء، وبلغها الأنبياء لرجال الكنيسة الكبرى. [الفكر الديني اليهودي ص١٣١].

وقال بعض القسيسين في خطاب مفتوح وجهوه إلى أحد علماء المسلمين: ارجع إلى جميع نسخ التوراة والإنجيل منذ آلاف السنين في كل متاحف العالم، فلن تجد آية واحدة قد حُرِّفت، أو نبوة واحدة قد زُيِّفت، فاليهود لا يمكنهم أن يتجاسروا على تحريف التوراة وهم يعلمون بوجودها عندنا، وأنت تعرف ما الذي بيننا وبين اليهود، والمسيحيون لا يستطيعون أن يُحرِّفوا كلمة واحدة من إنجيلهم وهم يعلمون بوجوده بين أيدي اليهود، بل نحن نعلم أن الإنجيل بالذات مترجم إلى آلاف اللغات واللهجات. [خطاب مفتوح ص٥ ـ ٦].

وهذا الادِّعاء مغالطة كبرى، وإنما أرادوا من ورائها إيهام العامة بصحة وسلامة ما لديهم من أسفار، وتناسَوا ما ذكره الباحثون والمحققون وما أقر به كبار علمائهم ومفسريهم من أن هذه الأسفار لا يُعرف كُتّابها ولا متى كتبت، وأن فيها إضافات وحذفاً واختلافاً بين النسخ وغير ذلك كما سلف وكما سيأتي إن شاء الله.

والواقع المعترف به أن أسفار الكتاب المقدس عارية عن الأسانيد الصحيحة المتَّصلة بنقل العدل الضابط ـ أي المعروف في عصره بعدالته وأمانته وثقة الناس به، ودقته في الحفظ والفهم لما ينقله ـ عن آخر مثله ممن عاصره من الجيل الذي قبله بدون انقطاع في السند إلى النبي المنسوب إليه الكتاب، فيقول مثلاً: سمعت هذا الكتاب من فمه مشافهة، أو قرأته عليه وهو يسمع، أو أقرَّ عندي أن هذا الكتاب من تصنيفه. ولا وجود لمثل هذا السند عند جميع فرقهم البتة، لأنهم لا يعرفون علم الرواية ونَقْل الأخبار ومعرفة أحوال الرواة وجَرْحهم وتعديلهم، وطريقة تلقِّيهم الخبر، وترتيب درجة المنقول في القبول أو الرد على ضوء ذلك، فهذا شيء تفرَّد به المسلمون دون غيرهم، وأهل الكتاب إنما يأخذون بالظن الحسن بالأسلاف ونقولهم، فيقولون: لعله فلان أو فلان، ولا يكترثون بجهالة الراوي أو انقطاع السند، ويتمسكون أحياناً ببعض القرائن، مثل وجود اتفاق في معنى تتضمنه بعض الكتب، ولذلك كانت كتبهم عرضة للتحريف المتعمد وغير المتعمد في كل قرن من القرون، ولا سيما قبل اختراع الطباعة وانتشار الكتب.

قال الشيخ رحمة الله الهندي في كتابه إظهار الحق [١/ ٥٧ و٦١ و٢٠١]: طلبنا من علمائهم الفحول السند المتصل، فما قدروا عليه، واعتذر بعضهم في محفل المناظرة أن سبب =

. . . .

= فقدان السند عندنا وقوع المصائب والفتن. وتفحصنا في كتب الإسناد عندهم فما وجدنا غير التخمين، فهم يقولون بالظن ويتمسكون ببعض القرائن، ليس غير، وقد قلت لهم: إن هذا ظن، وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً.

فهل يقبل الباحث المحقِّق ما جاء في المِشْنا أن يشوع بلَّغ التوراة للأوائل، وأن الأوائل بلغوها للأنبياء أو للأبناء، وبلغها هؤلاء لرجال الكنيسة الكبرى؟

وهل ينطلي ادعاء اشتهار الكتاب وذيوعه بعد اختفائه عن الناس على العامة؟ إن اشتهار الكتاب وذيوعه بعد اختفائه فترة طويلة أو قصيرة لا يكفي في الإثبات، ولا يمنع الشك، ولا سيما إذا حمل الكتاب دليل سقوطه بين جنبيه. فهذه الأسفار كانت عرضة للتحريف قبل ذيوعها بين الناس وقبل اختراع الطباعة، ولذلك كثرت النسخ واختلفت وتضاربت، وليس لنسخة منها شبه سند متصل يجنبها الآفات، وينفي عنها الشك، ويظهر هذا واضحاً من خلال اللمحة التاريخية التالية عن الأدوار التي مرت بها التوراة وكيفية تحريفها.

ومن العجيب أن علماء الطبيعة والتاريخ والآثار من اليهود والنصارى لا يكتفون بالظن والقرائن في الإثبات، بل يسعون نحو البراهين القاطعة، فهلّا عرضوا كتابهم المقدس على قواعدهم وأصولهم في إثبات الوثائق والوقائع والحقائق!

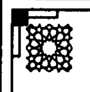
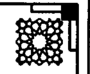




الفصل الثالث

لمحة تاريخية
عن الأدوار التي مرَّت بها التوراة



الفرع الأول



التوراة في عهد موسى ويشوع والقضاة

* * * * *

[التوراة في زمن موسى]

○ [ذهاب موسى إلى الميقات لاستلام الألواح]:

في السفر الخامس من أسفار التوراة الذي يسمُّونه التكرار أن الله تعالى قال لموسى: اصنع لَوْحين على حال الأوَّلين، واصعد إلى الجبل، واعمل تابوتاً من خشب، لأكتب في اللَّوْحين العشر كلمات التي أسمعكم السيد في الجبل من وسط اللهيب عند اجتماعكم إليه، وبَرَى بهما إلي، فانصرفتُ من الجبل، وجعلتهما في التابوت، وهما فيه إلى اليوم(1).

---

[1] قال تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ... قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢ ـ ١٤٥].

جاء في سفرالخروج ٢٤/ ١٢ ـ ١٣: وقال الرب لموسى: اصعد إليّ إلى الجبل وكن هناك فأعطيك لوحي الحجارة والشريعة والوصية التي كتبتها لتعليمهم، فقام موسى ويشوع خادمه وصعد موسى إلى جبل الله.

٢٤/ ١٦: وحلَّ مجد الرب على جبل سيناء، وغطاه السحاب ستة أيام، وفي اليوم السابع دُعي موسى من وسط السحاب.

٢٤/ ١٨: وكان موسى في الجبل أربعين نهاراً وأربعين ليلة.

٣١/ ١٨: ثم أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه في جبل سيناء لَوْحي الشهادة، لَوْحي حجر مكتوبين بأصبع الله.

وفي التوراة السامرية: لَوْحي حجر مكتوبين بقدرة الله.

٣٢/ ١٥ ـ ١٦: فانصرف موسى ونزل من الجبل، ولَوْحا الشهادة في يده، لوحان =

= مكتوبان على جانبيهما، واللوحان هما صنعة الله، والكتابة كتابة الله، منقوشة على اللَّوْحين.

وفي سفر التثنية ٥/٢٢: وهذه الكلمات كلَّم بها الرب جماعتكم في الجبل من وسط النار والسحاب والضباب وصوت عظيم، ولم يزد، وكتبها على لَوْحين من حجر، وأعطاني إياها.

٩/٩ ـ ١٠: حين صعِدت إلى الجبل لكي آخذ لوحي الحجر، لوحي العهد الذي قطعه الرب معكم، أقمتُ في الجبل أربعين نهاراً وأربعين ليلة لا آكل ولا أشرب، وأعطاني الرب لوحي الحجر المكتوبين بأصبع الله، وعليهما مثل جميع الكلمات التي كلمكم بها الرب في الجبل من وسط النار في يوم الاجتماع.

عبادتهم العجل بعد ذهاب موسى:

قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٨].

وقال سبحانه في سورة طه: ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَـٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾ [طه: ٨٣ ـ ٨٦].

وقال في سورة الأعراف: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَـٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٠ ـ ١٥٤].

وفي سفر التثنية ٩/١١ ـ ١٢: وفي نهاية الأربعين نهاراً والأربعين ليلة لما أعطاني الرب لَوْحي الحجر، لَوْحي العهد، قال لي: قم انزل عاجلاً من هنا، لأنه قد فسد شعبك الذي أخرجته من مصر، زاغوا سريعاً عن الطريق التي أوصيتهم، صنعوا لأنفسهم تمثالاً مسبوكاً.

وفي سفر الخروج ٣٢/١٩: وكان عندما اقترب موسى إلى المحلَّة أن أبصر العجل والرقص، فحمي غضبه، وطرح اللوحين من يديه، وكسرهما في أسفل الجبل.

وفي التثنية ٩/١٧: فأخذت اللَّوحين وطرحتهما من يديّ وكسرتهما أمام أعينكم.

هل كسرت الألواح؟

لا يظهر من الآيتين الكريمتين في القرآن سوى أن موسى ﷺ ألقى الألواح حال غضبه، ثم عاد فأخذها لمَّا سكت عنه الغضب، ولا يبدو أنه كسرها، إذ لو كان كسرها نهائياً لما استطاع أخذها ثانية، والله أعلم. غير أن كُتَّاب التوراة الذين اتهموا هارون ﷺ بصنع العجل وعبادته كما سيأتي إن شاء الله في القسم الثالث، اتهموا موسى ﷺ بكسرهما نهائياً حتى احتاج إلى كتابة غيرهما. =

....

= جاء في سفر الخروج ٣٤/١ ـ ٥: ثم قال الرب لموسى: انحت لوحين من حجر مثل الأوَّلَين، فأكتبُ أنا على اللوحين الكلمات التي كانت على اللَّوحين الأولين اللذين كسرتهما، وكن مستعداً للصباح.

... فنحتَ لَوْحين من حجر كالأولين، وبكَّر في الصباح، وصعِد إلى جبل سيناء، وأخذ في يده لَوْحي الحجر، فنزل الرب في السحاب، فوقف عنده هناك، ونادى باسم الرب، فاجتاز الرب قُدَّامه.

٣٤/٢٧ ـ ٢٩: وقال الرب لموسى: اكتب لنفسك هذه الكلمات، لأنني بحسب هذه الكلمات قطعت عهداً معك ومع إسرائيل. وكان هناك عند الرب أربعين نهاراً وأربعين ليلة، لم يأكل خبزاً ولم يشرب ماء. فكتب على اللوحين كلمات العهد العشر. وكان لما نزل موسى من الجبل، ولَوْحا الشهادة في يده، لم يعلم أن جلد وجهه صار يلمع في كلامه معه.

وفي التثنية ١٠/١ ـ ٥: في ذلك الوقت قال لي الرب: انحت لك لوحين من حجر مثل الأولين واصعد إلى الجبل، واصنع تابوتاً من خشب، فأكتبُ على اللَّوحين الكلمات التي كانت على اللَّوحين الأولين اللذين كسرتهما، وتضعهما في التابوت. فصنعتُ تابوتاً من خشب السَّنْط، ونحت لوحين من حجر مثل الأولين، وصعِدت إلى الجبل، واللوحان في يدي. فكتبَ على اللوحين مثل الكتابة الأولى، الكلمات العشر التي كلمكم بها في الجبل من وسط النار في يوم الاجتماع، وأعطاني الرب إياها، ثم انصرفت ونزلت من الجبل، ووضعت اللوحين في التابوت الذي صنعت، فكانا هناك كما أمرني الرب.

من كتب الألواح ثانية؟

يبدو أن ثَمَّة اختلافاً بين فقرتين من سفر الخروج، وبين فقرة من سفر الخروج وسفر التثنية فيمن كتب الألواح ثانية.

ففي سفر الخروج ٣٤/١ أنَّ الرب قال لموسى: انحت لك لوحين من حجر مثل الأولين، فأكتب أنا على اللوحين الكلمات التي كانت على اللوحين الأولين.

وعند الكاثوليك: انحت لك لوحين من حجر فأكتبَ عليهما.

وفي سفر التثنية ١٠/١ ـ ٢: انحت لك لوحين من حجر مثل الأولين، واصعد إلى الجبل، فأكتبُ على اللَّوحين الكلمات التي كانت على اللَّوحين الأولين.

وعند الكاثوليك: واصعد إلى الجبل فأكتبَ. بفتح الباء.

التثنية ١٠/٤: فكتبَ على اللوحين مثل الكتابة الأولى.

يفهم من هذه النصوص أن الكاتب هو الربُّ، فقد جاء الفعل بصيغة المضارع المتكلم فأكتب أنا، ثم بصيغة الماضي فكتب، وأن موسى ﷺ إنما نحت اللوحين وصعد إلى الجبل.

وفي سفر الخروج ٣٤/٢٧ ـ ٢٨: وقال له الرب: اكتبْ لنفسك ـ وعند الكاثوليك: اكتب لك ـ هذه الكلمات... فكتب على اللوحين كلمات العهد.

ويفهم من هذا النص أن الرب أمر موسى ﷺ أن يكتب لنفسه، فقد جاء الفعل بصيغة الأمر: اكتب لنفسك. فالكاتب هنا هو موسى ﷺ. =

○ [ائتمان الكهنة على التوراة والتابوت]:

وفي السفر المذكور أيضاً بعد هذا الفصل قال: ومن بعد أن كتب موسى هذه العهود في مصحف واستوعبها، أمر بني لاوي حاملي تابوت عهد الرب وقال لهم: خُذوا هذا المصحف، واجعلوه في المذبح، واجعلوا عليه تابوت عهد الرب إلٰهكم، ليكون عليكم شاهداً.

وأيضاً فإنه قال في السفر المذكور: ثم كتب موسى هذا الكتاب، وبرى به إلى الكهنة من بني لاوي، الذين كانوا يحسنون عهد الرب، وقال لهم موسى: إذا اجتمعتم للتقديس بين يدي الرب إلٰهكم في الموضع الذي تخيَّرهُ الرب، فاقرؤوا ما في هذا المصحف في جماعة بني إسرائيل عند اجتماعهم فقط، يسمعوا ما يلزمهم.

قال أبو محمد رَحِمَهُ اللَّهُ: وفي نص توراتهم أنهم كانوا لا يلزمهم المجيء إلى بيت المقدس إلا ثلاث مرات في كل سنة، فإنما أمر بنص التوراة كما أوردنا أن يقرأها عليهم الكوهن الهاروني عند اجتماعهم فقط، فثبت أنها لم تكن إلا في

= فمن الذي كتب في المرة الثانية؟

الألواح والتابوت والمسكن والمنارة:

جاء في سفر الخروج ٢٥/١ ـ ١٠: وكلم الرب موسى قائلاً: كلِّم بني إسرائيل أن يأخذوا لي تقدمة: ذهب وفضة ونحاس... وخشب سَنْط وزيت للمنارة وأطياب... فيصنعون لي مقدِساً، لأسكن في وسطهم... فيصنعون تابوتاً من خشب السنط.

٢٥/١٦ و٢١: وتضع في التابوت الشهادة التي أعطيك.

٢٥/٣١: وتصنع منارة من ذهب نقي. عملِ الخِراطة تصنع المنارة.

٢٦/١: وأما المسكن، فتصنعه من عشر شُقَقٍ بوصٍ مبروم.

٤٠/١ ـ ٦: وكلم الرب موسى قائلاً: في الشهر الأول، في اليوم الأول من الشهر، تقيم مسكن خيمة الاجتماع، وتضع فيه تابوت الشهادة، وتستر التابوت بالحجاب، وتدخل المائدة، وترتب ترتيبها، وتدخل المنارة، وتُصعد سُرُجها، وتجعل مذبح الذهب للبخور أمام تابوت الشهادة، وتضع سِجْف الباب للمسكن، وتجعل مذبح المحرقة قدام باب مسكن خيمة الاجتماع.

٤٠/١٦: ففعل موسى بحسب كل ما أمره الرب.

٤٠/٢٠ ـ ٢١: وأخذ الشهادة، وجعلها في التابوت... وأدخل التابوت إلى المسكن.

هذا. واللوحان فيهما الوصايا العشر، وهي مذكورة في سفر الخروج ٢٠/٣ ـ ١٧، وفي سفر التثنية ٥/٧ ـ ٢١.

الهيكل فقط عند الكوهن الهاروني فقط، لا عند أحد سواه[1].

---

[1] قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾ [المائدة: ٤٤] أي إنا أنزلنا التوراة على موسى ﷺ فيها بيان واضح ونور ساطع، يحكم بها أنبياء بني إسرائيل لليهود، ويحكم بها أيضاً العلماء والفقهاء، بما كلفهم الله به وسألتهم أنبياؤهم حفظه من التوراة، وكانوا عليه رقباء، لئلا يبدل أو يغير. [الكشاف ١/٦١٥، مجموع فتاوى ابن تيمية ٤/١٦٨ ـ ١٦٩].

جاء في سفر الخروج ٢٨/١ ـ ٣: وقَرِّبْ إليك هارون أخاك وبنيه معه من بين بني إسرائيل ليكهن لي، واصنع ثياباً مقدسة لهارون أخيك، للمجد والبهاء، وتكلم جميع حكماء القلوب الذين ملأتُهم روح حكمة أن يصنعوا ثياب هارون لتقديسه ليكهن لي.

٢٨/ ٤٠ ـ ٤٣: ولبني هارون تصنع أقمصة... فتكون على هارون وبنيه عند دخولهم إلى خيمة الاجتماع أو عند اقترابهم إلى المذبح في القدس، لئلا يحملوا إثماً ويموتوا، فريضة أبدية له ولنسله من بعده.

٤٠/ ١٣ ـ ١٥: وتلبس هارون الثياب المقدسة، وتمسحه وتقدسه، ليكهن لي، وتقدم بنيه وتلبسهم أقمصة، وتمسحهم كما مسحتَ آباءهم ليكهنوا لي، ويكون ذلك لتصير لهم مَسْحتهم كهنوتاً أبدياً في أجيالهم.

وجاء في سفر التثنية ٣١/٩ ـ ١٣: وكتب موسى هذه التوراة، وسلَّمها للكهنة بني لاوي حاملي تابوت عهد الرب، ولجميع شيوخ إسرائيل، وأمرهم موسى قائلاً: في نهاية السبع سنين، في ميعاد سنة الإبراء، في عيد المظالّ، حينما يجتمع جميع إسرائيل لكي يطهروا أمام الرب، في الميعاد الذي يختاره، تقرأ هذه التوراة في مسامعهم. اجمع الشعب الرجال والنساء والأطفال والغريب، لكي يسمعوا ويتعلَّموا أن يتقوا الرب، ويحرصوا أن يعملوا بجميع كلمات هذه التوراة، وأولادهم الذين لم يعرفوا يسمعون ويتعلمون.

٣١/ ١٩ ـ ٢٢: فالآن اكتبوا لأنفسكم هذا النشيد، وعلِّم بني إسرائيل إياه، ضَعْه في أفواههم؛ لكي يكون لي هذا النشيد شاهداً على بني إسرائيل، لأني أدخلهم الأرض التي أقسمت لآبائهم، الفائضةَ لبناً وعسلاً، فيأكلون ويشبعون ويسمنون، ثم يلتفتون إلى آلهة أخرى ويعبدونها، ويزدرون بي وينكثون عهدي، فمتى أصابته شرور كثيرة وشدائد يجاوب هذا النشيدُ أمامه شاهداً، لأنه لا ينسى من أفواه نسله، إني عرفت فكره الذي يفكر به اليوم، قبل أن أدخله الأرض: فكتب موسى هذا النشيد في ذلك اليوم، وعلَّم بني إسرائيل إياه.

وفي التوراة السامرية: والآن اكتبوا لكم الشيرة هذه، وعلمها لبني إسرائيل، اجعلها بأفواههم حتى تكون لي الشيرة هذه شاهدة في بني إسرائيل.

قال الحكيم السموءل في كتابه بذل المجهود في إفحام اليهود ص١٢٧: فقوله: «لا ينسى من أفواه نسله» دلَّ على أن غيرها من السور تُنسى.

٣١/ ٢٤ ـ ٢٦: فعندما كمل موسى كتابة كلمات هذه التوراة في كتاب إلى تمامها، أمر اللَّاويين حاملي تابوت عهد الرب قائلاً: خذوا كتاب التوراة هذا، وضعوه بجانب تابوت عهد =

وقال قبل ذلك في السفر المذكور أيضاً: إذا استجمعتم على تقديم ملك عليكم على حال ملوك الأجناس، فلا تقدِّموا إلا من ارتضاه الرب من عدد إخوتكم، ولا تقدِّموا أجنبياً على أنفسكم. إلى أن قال: فإذا قعد على سرير ملكه، فليكتب من هذا التكرار في مصحف ما يعطيه الكوهن المتقدِّم من بني لاوي بما يشاكله، ويكون ذلك معه، فيقرؤه كل يوم طول ولايته، ليخاف الرب إلٰهه(١).

وفيه أيضاً أنه أمر أن يكتب الكوهن المذكور من السفر الخامس فقط شيئاً يمكن أن يقرأه الملك كل يوم. ومثل هذا لا يكون إلا يسيراً جداً، ورقة أو نحو ذلك.

فهذا كله بيان واضح بصحة ما قلنا من أن العشر كلمات ومصحف التوراة، إنما كان في الهيكل فقط، تحت تابوت العهد، وفي التابوت فقط عند الكوهن الأكبر وحده، لأنه بإجماعهم لم يكن يصل إلى ذلك الموضع أحد سواه(٢).

= الرب إلهكم، ليكون هناك شاهداً عليكم.

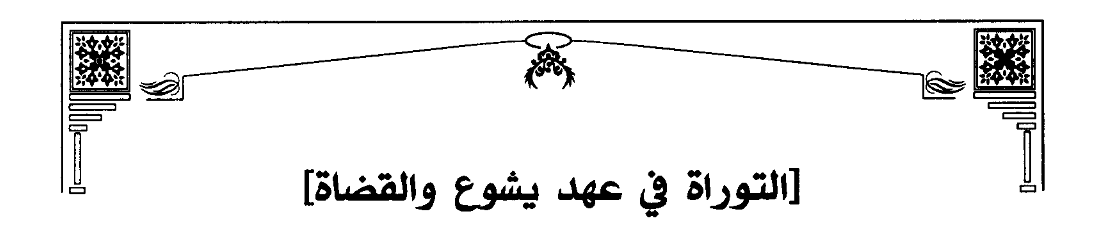
٣١/ ٣٠: فنطق موسى في مسامع كل جماعة إسرائيل بكلمات هذا النشيد إلى تمامه.

ويتبين مما سبق أن موسى ﷺ سلَّم التوراة إلى الكَهَنة الهارونيين من سِبْط لاوي، وصانها عن سائر بني إسرائيل، ولم يبد لهم منها سوى سورة صغيرة، يقال لها: (هاأزينوا) جعلها نشيداً لهم، وهي في مطلع الفصل الثاني والثلاثين من سفر التثنية ٣٢/ ١ ـ ٣٢، لأن الإمامة وخدمة القرابين وبيت المقدس كانت موقوفة على بني هارون. [وانظر بذل المجهود ص١٢٥].

(١) جاء في سفر التثنية ١٧/ ١٤ ـ ١٥: متى أتيت إلى الأرض التي يعطيك الرب إلٰهك وامتلكتها، وسكنت فيها، فإن قلت: أجعل علي ملكاً لجميع الأمم الذين حولي، فإنك تجعل عليك ملكاً الذي يختاره الرب إلٰهك، من وسط إخوتك تجعل عليك ملكاً، لا يحل لك أن تجعل عليك رجلاً أجنبياً، ليس هو أخاك.

١٧/ ١٨ ـ ٢٠: وعندما يجلس على كرسي مملكته يكتُب لنفسه نسخة من هذه الشريعة في كتاب من عند الكهنة اللاويين، فتكون معه، ويقرأ فيها كل أيام حياته لكي يتعلم أن يتقي الرب إلٰهه، ويحفظ جميع كلمات هذه الشريعة وهذه الفرائض ليعمل بها، لئلا يرتفع قلبه على إخوته، ولئلا يحيد عن الوصية.

(٢) كان دخول الهيكل مقصوراً على الكهنة، أما قُدْس الأقداس، فلا يفتح إلا مرة في العام، ولا يدخله إلا كبار الكهنة [اليهودية لأحمد شلبي ص٢٠٨ ـ ٢٠٩].



[التوراة في عهد يشوع والقضاة]

قال أبو محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ونحن نصف ـ إن شاء الله تعالى ـ حال كون التوراة عند بني إسرائيل، من أول دولتهم، إثر موت موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى انقراض دولتهم، إلى رجوعهم إلى بيت المقدس، إلى أن كتبها لهم عَزْرا الورَّاق بإجماع من كتبهم، واتفاق من علمائهم، دون خلاف يوجد من أحد منهم في ذلك، وما اختلفوا فيه من ذلك نبَّهنا عليه، ليتيقن كل ذي فهم أنها محرَّفة مبدَّلة، وبالله نستعين.

○ [التوراة في عهد يشوع بن نون]:

قال أبو محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: دخل بنو إسرائيل الأردن وفلسطين والغَوْر مع يوشع بن نون مدبِّر أمرهم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إثر موت موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ومع يشوع ألِعازار بن هارون عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ صاحب السُّرادق بما فيه، وعنده التوراة، لا عند أحد غيره بإقرارهم. فدبَّر يشوع عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أمرهم في استقامة، وألزمهم للدين إحدى وثلاثين سنة، مذ مات موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى أن مات يشوع[1].

---

[1] بعد موت موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ خلفه في قيادة الشعب يشوع بن نون، فَعَبر النهر واستولى على بعض فلسطين، وقسمها بين الأسباط، ما عدا سبط لاوي الذي اختص بالخدمة الدينية، واختص منه أبناء هارون عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالكهنوت، فلم يُفرز لهم نصيباً مستقلاً من الأرض، وإنما جعل لهم بعض المدن من نصيب كل سبط، ليسكنوا فيها، ويقوموا بالخدمة الدينية لدى جميع الأسباط. وكان موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أوصَى بكتابة التوراة بعد العبور.

جاء في سفر التثنية ٢٧/١ ـ ٣: وأوصى موسى وشيوخُ إسرائيل الشعب قائلاً: فيوم تعبرون الأردن إلى الأرض التي يعطيك الرب إلٰهك، تقيم لنفسك حجارة كبيرة، وتشيدها بالشيد، وتكتب عليها جميع كلمات هذا الناموس.

التثنية ٣٤/٩: ويشوع بن نون كان قد امتلأ روح الحكمة، إذ وضع موسى عليه يديه، فسمع له بنو إسرائيل، وعملوا كما أمر موسى.

وفي سفر يشوع ١/١ ـ ٢: وكان بعد موت موسى عبد الرب، أن الرب كلَّم يشوع بن نون خادم موسى قائلاً: موسى عبدي قد مات، فالآن اعبر هذا الأردن أنت وكل الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لهم. =

○ [التوراة في مستهل عهد القضاة]:

ثم دبَّرهم فينحاس بن أَلِعازار بن هارون، وهو صاحب السرادق والكوهن الأكبر، والتوراة عنده لا عند أحد غيره، خمساً وعشرين سنة في استقامة والتزام للدين، ثم مات[1]. وطائفة منهم عظيمة يزعمون أنه حيٌّ إلى اليوم، وثلاثة أنفس إليه، وهم إلياس النبي الهاروني عليه السلام وملكيصَدق بن قالع بن عامر بن أرفخشاذ بن سام بن نوح عليه السلام والعبد الذي بعثه إبراهيم عليه السلام ليزوج إسحاق عليه السلام رفقة بنت بتوئيل بن ناحور أخي إبراهيم عليه السلام.

= ٨/ ٣٠ ـ ٣٥: حينئذ بنَى يشوع مذبحاً للرب في جبل عيبال كما أمر موسى بني إسرائيل، كما هو مكتوب في سفر توراة موسى. . . وكتب هناك على الحجارة نسخة توراة موسى التي كتبها أمام بني إسرائيل، وجميع شيوخهم والعرفاء وقضاتهم وقفوا جانب التابوت من هنا ومن هناك مقابل الكهنة اللّاويين حاملي تابوت عهد الرب. . . وبعد ذلك قرأ جميع كلام التوراة، البركة واللعنَ حسَب ما كتب في سفر التوراة، لم تكن كلمة من كل ما أمر به موسى لم يقرأها يشوع قُدَّام كل جماعة إسرائيل.

(١) بعد موت يشوع ظل الشعب مقيماً في تلك الجهات بين الشعوب المحيطة به، وكان ذلك الجيل على شاكلة آبائه في الاستقامة.

جاء في سفر يشوع ٢٤/ ٣١ والقضاة ٢/ ٧: وعبد إسرائيل الربَّ كل أيام يشوع وكل أيام الشيوخ الذين طالت أيامهم بعد يشوع والذين عرفوا كل عمل الرب [العظيم] الذي عمله لإسرائيل.

يشوع ٢٤/ ٣٣: ومات أَلِعازار بن هارون، فدفنوه في جِعبة فينحاس ابنه التي أعطيت له في جبل أفرايم.

ويتبين من هذا الاستعراض أمران:

١ ـ كان بنو هارون قُضاة اليهود وحكامهم، وكانوا وحدهم متكفِّلين بالتوراة، ولم تكن محفوظة في صدورهم؛ إذ لم يكن حفظها غيباً عندهم فرضاً ولا مستحباً كما هو الحال لدى المسلمين في حفظ القرآن كاملاً، والتعبد بتلاوته آناء الليل وأطراف النهار. وعلى أحسن تقدير فإن كل واحد من الهارونيين كان يحفظ فصلاً منها، ويكتفي بمعرفة الباقي. وهذا يعني أنها كانت صحيحة السند إلى ذلك الوقت، غير أنها ليست متواترة.

٢ ـ أمر موسى عليه السلام الكهنة أن يقرؤوا التوراة أمام جميع بني إسرائيل في عيد المظال كما في التثنية ٣١/ ١٠ ـ ١٢، وأعاد يشوع كتابة التوراة على الحجارة حسب أمر موسى، ثم قرأها كلها أمامهم بحضور كبارهم. ويفهم من هذا أن تلك التوراة التي بحوزته كانت صغيرة الحجم حتى استطاع كتابتها على حجارة المذبح، وقراءتها أمام الجميع، ولو كانت بحجم خمسة الأسفار هذه لما اتسعت حجارة المذبح لكتابتها، ولما استطاع قراءتها أمام الجميع في اجتماع واحد، ولا في اجتماعين أو ثلاثة، وعلماء أهل الكتاب يعرفون هذا.

○ [التوراة إبَّان الارتداد في عهد القضاة]:

فلما انقضت المدة المذكورة لفينحاس بن ألعازار، كفر بنو إسرائيل وارتدوا كلهم، وعبدوا الأوثان علانية، فملكهم كذلك ملك صور وصيدا مدة ثمانية أعوام على الكفر(١).

ثم دبَّر أمرهم عثنيال بن قنار ابن أخي كالب بن يفنة بن يهوذا أربعين سنة على الإيمان، ثم مات، فكفر بنو إسرائيل كلُّهم وارتدوا وعبدوا الأوثان علانية، فملكهم كذلك عفلون ملك بني موآب ثماني عشرة سنة على الكفر(٢).

---

(١) جاء في سفر القضاة ٢/ ١٠ ـ ١٤: وكل ذلك الجيل انضم إلى آبائه، وقام بعدهم جيل آخر لم يعرف الرب ولا العمل الذي عمل لإسرائيل، وفعل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب، وعبدوا البعليم وتركوا الرب، وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب التي حولهم، وسجدوا لها، وأغاظوا الرب فحمي غضبه عليهم، فدفعهم بأيدي ناهبيهم، ولم يقدروا على الوقوف أمام أعدائهم.

٢/ ١٥ ـ ١٩: فضاق بهم الأمر جداً، وأقام الرب قضاة، فخلصوهم من أيدي ناهبيهم، ولقضاتهم لم يسمعوا، بل زَنَوا وراء آلهة أخرى وسجدوا لها، حادوا سريعاً عن الطريق التي سار بها آباؤهم، وحينما أقام الرب لهم قضاة، كان الرب مع القاضي، وخلَّصهم من يد أعدائهم... وعند موت القاضي كانوا يرجعون ويفسدون أكثر من آبائهم بالذهاب وراء آلهة أخرى ليعبدوها ويسجدوا لها.

٢/ ٢٠ ـ ٢٣: فحمي غضب الرب على إسرائيل وقال: لا أطرد إنساناً من أمامهم من الأمم الذين تركهم يشوع عند موته... فترك الرب أولئك الأمم ولم يطردهم سريعاً.

٣/ ١ ـ ٣: فهؤلاء الذين تركهم الربُّ ليمتحن بهم إسرائيل... أقطاب الفلسطينيين الخمسة، وجميع الكنعانيين والصيدونيين والحِوِيين سكان جبل لبنان، من جبل بَعْل حرمون إلى مدخل حماة.

٣/ ٥ ـ ٨: فسكن بنو إسرائيل وسْط الكنعانيين والحثيين والأموريين والفِرزِّيين والحِوِيين واليبوسيين، واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء، وأعطوا بناتهم لبنيهم، وعبدوا آلهتهم، فحمي غضب الرب على إسرائيل، فباعهم بيد كوشان رِشَعْتام ملك أرام النهرين، فعبد بنو إسرائيل كوشان رِشَعْتام ثمان سنين.

(٢) جاء في سفر القضاة ٣/ ٩ ـ ١٤: وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب، فأقام لهم مخلصاً عُثْنِيئيل بن قناز أخا كالب الأصغر، فكان عليه روح الرب، وقضى لإسرائيل وخرج للحرب، فدفع الرب ليده كوشان واستراحت الأرض أربعين سنة. ومات عُثْنِيئيل، وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر، فشدد الرب عِجْلون ملك موآب عليهم، فجمع إليه بني عَمّون وعماليق، وسار وضرب إسرائيل، وامتلكوا مدينة النخل، فعبد بنو إسرائيل عجلون ثماني عشرة سنة.

ثم دبَّر أمرهم أهوذ بن قار. قيل: إنه من سبط أفرايم. وقيل: من سبط بنيامين، واختلف أيضاً في مدة رياسته. فقيل: ثمانون سنة. وخمس وخمسون سنة على الإيمان إلى أن مات(١).

ثم دبَّرهم سمعان بن غاث من سبط أشار خمساً وعشرين سنة على الإيمان(٢).

ثم مات، فكفر بنو إسرائيل كلهم، وعبدوا الأوثان جهاراً، فملكهم كذلك مراش الكنعاني عشرين سنة على الكفر.

ثم دبَّرت أمرهم دَبور النبيَّة من سبط يهوذا، وكان زوجها رجلاً يُسمى السدوث، من سبط أفرايم، إلى أن ماتت وهم على الإيمان، فكان مدةَ تدبيرها لهم أربعون سنة(٣).

فلما ماتت كفر بنو إسرائيل كلهم، وارتدوا وعبدوا الأوثان جهاراً، فملكهم عوزيب وزاب ملك بني مَدْين سبع سنين على الكفر(٤).

---

(١) جاء في سفر القضاة ٣/ ١٥: وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب، فأقام لم مخلصاً إهود بن جيرا البنياميني رجلاً أعسر.

٣/ ٣٠: فذل الموآبيون في ذلك اليوم تحت يد إسرائيل، واستراحت الأرض ثمانين سنة.

(٢) جاء في سفر القضاة ٣/ ٣١: وكان بعده ـ أي بعد إهُود ـ شمجر بن عناة، فضرب من الفلسطينيين ستمئة رجل بِمِنساس البقر، وهو أيضاً خلص إسرائيل.

(٣) جاء في سفر القضاة ٤/ ١ ـ ٨: وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر بعد موت إهود، فباعهم الرب بيد يابين ملك كنعان الذي ملك في حاصور... فصرخ بنو إسرائيل إلى الرب، لأنه كان له تسعمئة مركبة من حديد، وهو ضايق بني إسرائيل بشدة عشرين سنة. ودبورة امرأة نبية، زوجة لَفِيدوتَ، هي قاضية إسرائيل في ذلك الوقت... وكان بنو إسرائيل يصعدون إليها للقضاء، فأرسلت ودَعَت باراق بن أبِينوعَمَ من قادَشي نفتالي، وقالت له: ألم يأمر الرب إلهُ إسرائيل؟ اذهب وازحف إلى جبل تابور، وخذ معك عشرة آلاف رجل من بني نفتالي وبني زَبولون، فأجذبَ إليك إلى نهر قيشون سِيسَرا رئيس جيش يابين بمركباته وجمهوره وأدفعه ليدك. فقال لها: إن ذهبت معي أذهب. فقالت: أذهب معك، غير أنه لا يكون لك فخر في الطريق التي أنت سائر فيها، لأن الرب يبيع سيسرا بيد امرأة. فقامت وذهبت معه.

٤/ ٢٣ ـ ٢٤: فأذل الله يابين ملك كنعان أمام بني إسرائيل، وأخذت يد بني إسرائيل تتزايد وتقسو على يابين ملك كنعان حتى قرضوه.

٥/ ٧: خُذل الحكام في إسرائيل حتى قمت أنا دبورة، قمت أُمّاً في إسرائيل.

٥/ ٣١: واستراحت الأرض أربعين سنة.

(٤) جاء في سفر القضاة ٦/ ١ ـ ٣: وعمل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب، فدفعهم =

ثم دبر أمرهم جِدعون بن يوآش من سبط أفرايم. وقيل: بل من سبط مَنْسى. وهم يصفون أنه كان نبياً، وله واحد وسبعون ابناً ذكوراً. فملكهم على الإيمان أربعين سنة[1].

ثم مات، وولي ابنه أبو مالك بن جِدعون، وكان فاسقاً خبيث السيرة، فارتد جميع بني إسرائيل، وكفروا وعبدوا الأوثان جهاراً. وأعانه أخواله من أهل نابلس من بني إسرائيل من سبط يوسف بتسعين ديراً من بيت بعل الصنم، ومَضَوا معه، فقتل جميع إخوته، حاش واحداً منهم أفلت، وبقي كذلك ثلاث سنين إلى أن قتل[2].

= ليد مِدْيان سبع سنين فاعتزت يَدُ مِدْيان على إسرائيل، فعمل بنو إسرائيل لأنفسهم الكهوف في الجبال والمغاير والحصون.

[1] القضاة ٦/٧ ـ ٨: وكان لما صرخ بنو إسرائيل إلى الربّ بسبب المِدْيانيين أن أرسل إليهم رجلاً نبياً.

٦/١١ ـ ١٣: وأتى ملاك الرب وجلس تحت البُطْمة التي في عَفْرَةَ التي ليوآش الأبِيعَزي، وابنه جِدعون كان يخبط حنطة في المعصرة لكي يهربها من المديانيين، فظهر له ملاك الرب وقال له: الرب معك يا جبار.

٨/٢٨: وذل مِدْيان أمام بني إسرائيل، ولم يعودوا يرفعون رؤوسهم، واستراحت الأرض أربعين سنة في أيام جِدعون.

٨/٣٠ ـ ٣١: وكان لجدعون سبعون ولداً خارجون من صلبه، لأن كانت له نساء كثيرات، وسُرِّيته التي في شكيم ولدت له هي أيضاً ابناً، فسماه أبيمالك.

[2] القضاة ٨/٣٣ ـ ٣٥: وكان بعد موت جدعون أن بني إسرائيل رجعوا وزنَوا وراء البَعليم، وجعلوا لهم بَعَلَ بَريثَ إلهاً، ولم يذكروا الرب إلههم الذي أنقذهم من جميع أعدائهم من حولهم، ولم يعملوا معروفاً مع بيت يَرُبَّعَلَ جِدعون نظير الخير الذي عمل مع إسرائيل.

٩/١ ـ ٦: وذهب أبيمالك بن يَرُبَّعَلَ إلى شكيم إلى إخوة أمه، وجمع عشيرة بيت أبي أمه، وطلب منهم أن يقولوا لأهل شكيم: أيُّما هو خير لكم، أن يتسلط عليكم سبعون رجلاً، جميعُ بني يربعل، أم أن يتسلط عليكم رجل واحد؟ فمال قلب أهل شكيم وراء أبيمالك؛ لأنهم قالوا: أخونا هو، وأعطوه سبعين شاقل فضة من بيت بَعْلِ بَريث... ثم جاء إلى بيت أبيه، وقتل إخوته سبعين رجلاً على حجر واحد. وبقي يوثام الأصغر، لأنه اختبأ. فاجتمع أهل شكيم وسكان القلعة جميعاً، وجعلوا أبيمالك ملكاً.

٩/٢١ ـ ٢٣: ثم هرب يوثام إلى بئر، وأقام هناك. فترأس أبيمالك على إسرائيل ثلاث سنين. وأرسل الرب روحاً ردياً بين أبيمالك وأهل شكيم فغدر أهل شكيم به.

٩/٥٢ ـ ٥٤: فجاء أبيمالك إلى البرج وحاربه، واقترب إلى الباب ليحرقه، فطرحت امرأة قطعة رحى على رأسه، فشجت جُمجمته، فدعا الغلام وقال له: اقتلني لئلا يقولوا قتلته امرأة، فطعنه الغلام فمات.

ودبرهم من بعده تولع بن فواة، من سبط يساخر، ولم نجد بياناً، هل كان على الإيمان أو على الكفر؟ خمساً وعشرين سنة، ثم مات[1].

ثم دبَّر أمرهم بعده بابين بن جِلعاد، من سبط مِنَسَّى اثنين وعشرين عاماً على الإيمان إلى أن مات. وكان له اثنان وثلاثون ولداً ذكوراً، قد ولي كل واحد منهم مدينة من مدائن بني إسرائيل. فارتدَّ بنو إسرائيل كلهم بعد موته، وعبدوا الأصنام جهاراً. وملكهم بنو عمون ثماني عشرة سنة متصلة على الكفر[2].

ثم قام فيهم رجل من سبط مِنَسَّى، اسمه هيلع بن جِلعاد، ولا يختلفون في أنه كان ابن زانية، وكان فاسقاً خبيث السيرة، نذر إن أظفره الله بعدوِّه أن يقرِّب لله سبحانه وتعالى أول من يلقاه من منزله. فأول من لقيه ابنته، ولم يكن له ولد غيرها، فوفى بنذره وذبحها قرباناً.

وكان في عصره نبي، فلم يلتفت إليه، وأنه قتل من بني أفرايم اثنين وأربعين ألف رجل، فملكهم ست سنين[3].

---

[1] جاء في سفر القضاة ١٠/١ ـ ٢: وقام بعد أبيمالك لتخليص إسرائيل تُولَع بن فُوَاة بن دودو، رجل من يَسَّاكر، كان ساكناً في شامير في جبل أفرايم، فقضى لإسرائيل ثلاثاً وعشرين سنة، ومات ودفن في شامير.

[2] القضاة ١٠/٣ ـ ٥: ثم قام بعده يائير الجِلعادي، فقضى لإسرائيل اثنين وعشرين سنة، وكان له ثلاثون ولداً يركبون على ثلاثين جحشاً، ولهم ثلاثون مدينة.. ومات يائير، ودفن في قامون.

وقد ذكر ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ أنَّ له اثنين وثلاثين ولداً.

١٠/٦ ـ ٨: وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عيني الرب، وعبدوا البعليم والعشتاروت وآلهة أرام وآلهة صِيدون وآلهة موآب وآلهة بني عَمّون وآلهة الفِلسطينيين، وتركوا الرب ولم يعبدوه فحمي غضب الرب على إسرائيل، وباعهم بيد الفلسطينيين وبيد بني عمون، فحطموا ورضّضوا بني إسرائيل في تلك السنة ثماني عشرة سنة.

[3] جاء في سفر القضاة ١٠/١٠: فصرخ بنو إسرائيل إلى الرب قائلين: أخطأنا إليك، لأننا تركنا إلٰهنا، وعبدنا البَعْليم.

١٠/١٥ ـ ١٨: فقال بنو إسرائيل للرب: أخطأنا، فافعل بنا كل ما يحسن في عينيك، إنما أنقذنا هذا اليوم. وأزالوا الآلهة الغريبة من وسطهم، وعبدوا الرب، فضاقت نفسه بسبب مشقة إسرائيل. فاجتمع بنو عمون ونزلوا في جِلعاد، واجتمع بنو إسرائيل ونزلوا في المصفاة. فقال رؤساء جلعاد: أي هو الرجل الذي يبتدئ بمحاربة بني عمون، فإنه يكون رأساً لجميع سكان جلعاد. =

ثم مات، فوليهم بعده أفصان من سبط يهوذا، من سكان بيت لحم، وكان له ثلاثون ابناً ذكوراً، فوليهم سبع سنين، وقيل: ست سنين، ثم مات. والأظهر من حاله على ما توجبه أخبارهم الاستقامة.

ووليهم بعده إيلُون من سبط زبلون عشر سنين إلى أن مات.

وولي بعده عبدون بن هلال من سبط أفرايم ثماني سنين على الإيمان، وكان له أربعون ولداً ذكوراً[1].

= ٦/١١ ـ ٦: وكان يَفْتاح الجلعادي جبار بأس، وهو ابن امرأة زانية. وجلعاد ولَد يفتاح، ثم ولدت امرأة جلعاد له بنين، فلما كبُر بنو المرأة، طردوا يفتاح، وقالوا له: لا ترث في بيت أبينا، لأنك ابن امرأة أخرى. فهرب من وجه إخوته، وأقام في أرض طوب، فاجتمع إليه رجال بطالون، وكانوا يخرجون معه. وبعد أيام حارب بنو عمون إسرائيل، فذهب شيوخ جلعاد ليأتوا بيفتاح، وقالوا له: تعالَ وكن لنا قائداً، فنحارب بني عمون.

٩/١١ ـ ١١: فقال يفتاح: إذا أرجعتموني لمحاربة بني عمون، ودفعهم الرب أمامي، فأنا أكون لكم رأساً.

فقالوا: الرب يكون سامعاً بيننا. فذهب معهم، وجعلوه عليهم رأساً وقائداً.

٢٩/١١ ـ ٣٩: فكان روح الرب على يفتاح، فعبر إلى بني عمون، ونذر للرب قائلاً: إن دفعت بني عمون ليدي فالخارج الذي يخرج من أبواب بيتي للقائي عند رجوعي بالسلامة يكون للرب، وأصعده مُحرقة. ثم عبر إلى بني عمون لمحاربتهم، فدفعهم الرب ليده فضربهم ضربة عظيمة، فذلُّوا أمام بني إسرائيل، ثم أتى إلى بيته، وإذا بابنته خارجة للقائه بدفوف ورَقْص، وهي وحيدة، لم يكن له ولد غيرها، فلما رآها مزَّق ثيابه، وقال: آه قد أحزنتيني... فقالت: اتركني شهرين... وكان عند نهاية الشهرين أنها رجعت، ففعل بها نذره، وهي لم تعرف رجلاً.

١/١٢: واجتمع رجال أفرايم وعبروا إلى جهة الشمال، وقالوا ليفتاح: لماذا عبرت لمحاربة بني عمون ولم تدعنا للذهاب معك؟ نحرق بيتك عليك بنار.

٤/١٢ ـ ٧: وجمع يفتاح كل رجال جلعاد وحارب أفرايم، فأخذ الجلعاديون مخاوض الأردن لأفرايم، وسقط في ذلك الوقت من أفرايم اثنان وأربعون ألفاً. وقضى يفتاح لإسرائيل ست سنين، ثم مات ودفن في إحدى مدن جلعاد.

[1] جاء في سفر القضاة ٨/١٢ ـ ١٥: وقضى بعده لإسرائيل إبْصانُ من بيت لحم، وكان له ثلاثون ابناً، وثلاثون ابنة، أرسلهن إلى الخارج، وأتى من الخارج بثلاثين ابنة لبنيه. وقضى لإسرائيل سبع سنين، ومات ودفن في بيت لحم. وقضى بعده لإسرائيل إيلون الزبولوني، قضى لإسرائيل عشر سنين، ومات ودفن في أيَّلون في أرض زَبولون. وقضى بعده لإسرائيل عَبْدون بن هِلّيل الفِرْعتوني، وكان له أربعون ابناً وثلاثون حفيداً، يركبون على سبعين جحشاً. قضى لإسرائيل ثماني سنين، ومات ودفن في فرعتون في أرض أفرايم في جبل العمالقة.

فلما مات ارتد بنو إسرائيل كلهم، وعبدوا الأوثان جهاراً، فملكهم الفلسطينيون، وهم الكنعانيون وغيرهم، أربعين سنة على الكفر[1].

ثم دبَّرهم شمشون بن مانوح من سبط داني، وكان مذكوراً عندهم بالفسق واتباع الزواني، فدبَّرهم عشرين سنة، ونسبوا إليه المعجزات، ثم أسر ومات[2].

فدبَّر بنو إسرائيل بعضُهم بعضاً في سلامة وإيمان أربعين سنة، بلا رئيس يجمعهم[3].

ثم دبَّرهم الكاهن الهاروني على الإيمان عشرين سنة إلى أن مات[4].

ثم دبرهم شمويل بن فتان النبي من سبط أفرايم. قيل: عشرين سنة. وقيل: أربعين سنة.

كل ذلك في كتبهم على الإيمان[5].

---

[1] القضاة ١٣/١: ثم عاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عيني الرب، فدفعهم ليد الفلسطينيين أربعين سنة.

[2] جاء في سفر القضاة ١٦/٣١: وهو ـ أي شمشون ـ قضى لإسرائيل عشرين سنة.

وقد ذكرت أسطورة شمشون في سفر القضاة، الفصول ١٣ ـ ١٦، ويأتي الكلام عنها ـ إن شاء الله ـ في القسم الثالث: افتراؤهم على الأنبياء.

[3] جاء في سفر القضاة ١٧/٦ و١٨/١ و١٩/١ و٢١/٢٥: وفي تلك الأيام لم يكن ملك في إسرائيل، كان كل واحد يعمل ما يحسن في عينيه.

[4] واسمه عالي، وقد ورد ذكره في سفر صموئيل الأول في الفصل الأول والثاني والثالث والرابع في قصة صموئيل كما سيأتي في الحاشية التالية.

جاء في سفر صموئيل الأول ٤/١٧ ـ ١٨: فأجاب المخبر وقال: هلك إسرائيل أمام الفِلسطينيين ومات ابناك، وأُخِذ تابوت الله، فسقط عن الكرسي إلى الوراء، فانكسرت رقبته. وقد قضى لإسرائيل أربعين سنة.

تنبيه: ذكر ابن حزم رحمه الله أن بني إسرائيل دبَّر بعضهم بعضاً أربعين سنة بلا رئيس ولم أجد نصاً يحدِّد تلك المدة. ثم ذكر أن الكاهن الهاروني دبَّرهم عشرين سنة، وفي الكتاب الذي بين أيدينا أنه دبَّرهم أربعين سنة. فلعل التباساً حصل.

[5] جاء في سفر صموئيل الأول ١/١ ـ ٣: كان رجل من راقتايِم صُوفيم من جبل أفرايم اسمه ألْقانة بن يَرُوحام، هو أفرايِميّ، وله امرأتان: حَنَّة وفَنِنّة، وكان لفننة أولاد، ولم يكن لحنّة أولاد. وكان يصعد من سنة إلى سنة ليسجد ويذبح لرب الجنود في شِيلُوه.

١/٩: فقامت حنة بعدما أكلوا في شيلوه وشربوا، وعالي الكاهن جالس، وهي مرة النفس، فصلَّت وبكت ونذرت. =

. . . .

= ١/ ١٧ ـ ٢٠: فأجاب عالي وقال: اذهبي بسلام، وإلٰه إسرائيل يعطيك سؤلك... ويكروا في الصباح، وسجدوا أمام الرب، ورجعوا إلى بيتهم في الرامة، وفي مدار السنة حبلت وولدت ابناً، ودعت اسمه صموئيل.

١/ ٢٤ ـ ٢٨: وحين فطمته أصعدته معها بثلاثة ثيران إلى الرب في شيلوه، فذبحوا الثور، وجاؤوا بالصبي إلى عالي، فذكرته بصلاتها، وأخبرته أن الله أعطاها سؤلها، وقالت: جميع أيام حياته هو عارية للرب.

٢/ ١١ ـ ١٣: وذهب أَلْقانةُ إلى الرامة إلى بيته، وكان الصبي يخدم الرب أمام عالي الكاهن. وكان بنو عالي بني بَلِيَّعال لم يعرفوا الرب ولا حقَّ الكهنة من الشعب.

٢/ ٢١ ـ ٢٢: وكبر الصبي صموئيل عند الرب، وشاخ عالي جداً، وسمع بكل ما عمله بنوه بجميع إسرائيل.

٢/ ٢٧: وجاء رجل الله إلى عالي وقال له: هكذا يقول الرب...

٢/ ٣٣ ـ ٣٥: وجميع ذرية بيتك يموتون شباناً، وهذه علامة لك تأتي على ابنيك حفني وفينحاس، في يوم واحد يموتان كلاهما، وأقيم لنفسي كاهناً أميناً.

٣/ ١ ـ ١٨: وكان الصبي صموئيل يخدم الرب أمام عالي... وكان في ذلك الزمان إذْ كان عالي مضطجعاً في مكانه... وصموئيل مضطجع في هيكل الرب الذي فيه تابوت الله أن الرب دعا صموئيل عدة مرات، وكان يركض إلى عالي، ظاناً أنه الذي يدعوه، ثم كلمه الرب.

٣/ ١٩ ـ ٢٠: وكبر صموئيل وكان الرب معه. وعرف جميع إسرائيل أن صموئيل قد اتئمن نبياً للرب.

وقوع التابوت بيد الفلسطينيين وأسطورة عودته:

صموئيل الأول ٤/ ١ ـ ٥: وخرج إسرائيل للقاء الفلسطينيين، واشتبكت الحرب، فانكسر إسرائيل أمام الفلسطينيين. فجاء الشعب إلى المحلّة، وقال شيوخ إسرائيل: لنأخذ لأنفسنا من شيلوه تابوت عهد الرب، فيدخل في وسطنا، ويخلصنا من يد أعدائنا. فأرسل الشعب إلى شيلوه، وحملوا من هناك تابوت عهد رب الجنود الجالس على الكروبيم، وكان هناك ابنا عالي حِفني وفينحاس مع تابوت عهد الله.

٤/ ١٠ ـ ١١: فحارب الفلسطينيون، وانكسر إسرائيل وهربوا، وكانت الضربة عظيمة جداً، وسقط من إسرائيل ثلاثون ألف رجل، وأُخذ تابوت الله، ومات ابنا عالي حفني وفينحاس.

٥/ ١ ـ ٥: فأخذ الفسطينيون تابوت الله، وأتَوا به من حَجَر المعونة إلى أشدود، وأدخلوه إلى بيت داجون وأقاموه بقربه. وبكروا صباحاً في الغد، وإذا بداجون ساقط على وجهه إلى الأرض أمام تابوت الرب فأقاموه في مكانه. وبكروا صباحاً في الغد، وإذا بداجون ساقط على وجهه على الأرض أمام التابوت، ورأسه ويداه مقطوعة على العتبة.

٥/ ٦ ـ ١٢: فثقلت يد الرب على الأشدوديين، وأخربهم وضربهم بالبواسير. ولما رأوا =

. . . .

= الأمر كذلك قالوا: لا يمكث تابوت إله إسرائيل عندنا، لأن يده قد قست علينا وعلى داجون إلٰهنا. فجمعوا أقطاب الفلسطينيين واتفقوا على نقل التابوت إلى جَتٍّ. وكان بعدما نقلوه أن يد الرب كانت على المدينة باضطراب عظيم جداً، فضرب أهلَ المدينة من الصغير إلى الكبير، ونفرت لهم البواسير، فأرسلوا التابوت إلى عَقْرُون ولما دخل التابوت إلى عقرون صرخ العقرونيّون قائلين: قد نقلوا إلينا التابوت لكي يميتونا.

فأرسلوا وجمعوا كل أقطاب الفلسطينيين وقالوا: أعيدوا التابوت إلى مكانه، لأن الذين لم يموتوا ضربوا بالبواسير.

٦/١ ـ ٦: وكان التابوت في بلاد الفلسطينيين سبعة أشهر فدعوا الكهنة والعرافين للتشاور في طريقة إعادته، ثم قرروا إعادته مع قربان الإثم، وذلك بأن يردوا معه خمسة بواسير من ذهب وخمسة فيران من ذهب. ثم صنعوا عجلة، وأتوا ببقرتين مرضعتين لم يعلهما نِير لتجرا العجلة، ثم جعلوا التابوت عليها، ووضعوا قربان الإثم في صندوق بجانبه.

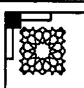
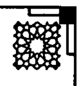
٦/١٢ ـ ١٦: استقامت البقرتان في الطريق إلى بيتشمس، ولم تميلا، وأقطاب الفلسطينيين وراءهما إلى تخم بيتشمس، فأتت العجلة إلى حقل يهوشع البيتشمسي ووقفت هناك. فأنزل اللاويون التابوت والصندوق، وأصعدوا البقرتين مُحرقة للرب. وفرح أهل بيتشمس وأصعدوا محرقات وذبحوا ذبائح للرب في ذلك اليوم، ووضعوا التابوت والصندوق على الحجر الكبير.

٦/١٩ ـ ٢١: وضرب الرب أهل بيتشمس ضربة عظيمة، لأنهم نظروا إلى التابوت، فضرب من الشعب خمسين ألف رجل وسبعين. فناحوا وقالوا: من يقدر أن يقف أمام الرب الإلٰه القدوس هذا؟ وإلى من يصعد عنا؟ وأرسلوا رسلاً إلى سكان قرية يعاريم أن قد رد الفلسطينيون التابوت فانزلوا وأصعدوه إليكم.

٧/١ ـ ٢: جاء أهل يعاريم وأصعدوا التابوت وأدخلوه إلى بيت أبيناداب في الأكَمة، وقدَّسوا ألعازار ابنه لأجل حراسة التابوت. وكان من يوم جلوس التابوت في قرية يعاريم أن المدة طالت وكانت عشرين سنة.

وهكذا عاد التابوت إلى مقره ظافراً غانماً، بعد أن بقي لدى الفلسطينيين سبعة أشهر، أسقط خلال ذلك إلٰههم داجون على وجهه، ثم قطع رأسه ويديه، ثم أصاب أهل تلك البلدة بالبواسير، فتدافعت مدن الفلسطينيين حفظه، إلى أن قرروا إعادته مع كمية من الذهب على عربة الشرف. لكن ماذا حلَّ بالألواح والتوراة التي بداخله؟ لم يتعرض السفر لذلك مطلقاً فهل عدم تعرضه ناتج عن أنه من البدهي ألا يكون الصندوق قد مُسَّ، فعادت التوراة معه؟ أو أنه من البدهي أن يُخرج ما فيه ويتلف بعد الاستيلاء عليه، وسقوطه بيد الأعداء، كما هي العادة في الحروب؟! يغلب على الظن أن الفلسطينيين فتحوا الصندوق وأتلفوا ما فيه إذا كانت القصة صحيحة، ولما وجدوا من الصندوق ما زعموه أعادوه مع قربان الإثم بتلك الطريقة.

صموئيل الأول ٧/٣ ـ ٤: وكلَّم صموئيل كل بيت إسرائيل قائلاً: إن كنتم بكل قلوبكم =

الفرع الثاني

التوراة في عهد الملوك قبل انقسام المملكة

○ [التوراة إبَّان حكم شاول (طالوت)]:

وذكروا أنه كان لشمويل ابنان: يوهال وأبياه يجوران في الحكم ويظلمان الناس، وعند ذلك رغبوا إلى شمويل أن يجعل لهم ملكاً، فولّى عليهم شاول الدباغ بن قيس بن أنيل بن شارون بن بورات بن آسيا بن خس، من سبط بنيامين، وهو طالوت، فوليهم عشرين سنة، وهو أول ملك كان لهم. ويصفونه بالنبوة وبالفسق والظلم والمعاصي معاً، وأنه قتل من بني هارون نيفاً وثمانين شاباً، وقتل نساءهم وأطفالهم، لأنهم أطعموا داود عليه السلام خبزاً فقط[1].

= راجعين إلى الرب، فانزعوا الآلهة الغريبة والعشتاروت من وسْطكم، وأعدوا قلوبكم للرب، واعبدوه وحده، فينقذكم من يد الفلسطينيين، ففعلوا.

٧/ ٥ ـ ٧: فقال صموئيل: اجمعوا كل إسرائيل إلى المصفاة، فأصلي لأجل الرب، فاجتمعوا وسمع الفلسطينيون أن بني إسرائيل قد اجتمعوا في المصفاة، فصعد أقطابهم إلى إسرائيل، فخاف بنو إسرائيل.

٧/ ١٠: وبينما كان صموئيل يُصعِد المحرقة، تقدم الفلسطينيون لمحاربة إسرائيل، فأرعد الرب بصوت عظيم على الفلسطينيين وأزعجهم، فانكسروا أمام إسرائيل.

٧/ ١٥: وقضى صموئيل لإسرائيل كل أيام حياته.

(١) جاء في سفر صموئيل الأول ٨/ ١ ـ ٢٢: ولما شاخ صموئيل جعل بنيه قضاة لإسرائيل، وكان اسم ابنه البكر يوئيل، واسم ثانيه أبِيّا، كانا قاضيين في بئر سبع، ولم يسلكا في طريقه، بل مالا وراء المكسب، وأخذا رِشوة وعَوَّجا القضاء. فاجتمع شيوخ إسرائيل، وجاؤوا إلى صموئيل في الرامة، وقالوا له: أنت قد شِختَ، وابناك لم يسيرا في طريقك، فاجعل لنا ملكاً يقضي لنا كسائر الشعوب. فساء الأمر في عين صموئيل، وصلّى إلى الرب، فقال الرب له: اسمع لهم، لأنهم لم يرفضوك، بل إياي رفضوا، فالآن اسمع لهم، وأشهد عليهم وأخبرهم بقضاء الملك الذي يملك عليهم، فكلم صموئيل الشعب وقال: يكون قضاء الذي يملك عليكم، أنه يأخذ بنيكم ويجعلهم لمراكبه وفرسانه، فيركضون أمام مراكبه، ويجعل لنفسه رؤساء ألوف ورؤساء خَمَاسِين، فيحرثون حَراثته، ويحصُدون حصاده، ويعملون عدة حربه =

. . . .

= وأدوات مراكبه، ويأخذ بناتكم عطارات وطباخات وخبازات، ويأخذ أجود حقولكم وكرومكم وزيتونكم، ويعطيها لعبيده، ويُعَشِّر زروعكم وكرومكم، ويعطي لخصيانه وعبيده، ويعشر غنمكم، وأنتم تكونون له عبيداً، فتصرخون ولا يستجيب الرب لكم في ذلك اليوم، فأبوا إلا أن يجعل لهم ملكاً، فقال الرب لصموئيل: اسمع لصوتهم، وملك عليهم ملكاً.

٩/ ١ ـ ٣: وكان رجل من بنيامين اسمه قيس بن أبيئيل بن صَرور جبارَ بأس، وكان له ابن اسمه شاول، شاب وحَسن، ولم يكن رجل في بني إسرائيل أحسن منه، من كتفه فما فوق كان أطول من كل الشعب. فضلَّت أُتُن قيس، فقال لابنه شاول: خذ معك واحداً من الغلمان وفتش على الأُتُن.

٩/ ٥ ـ ٦: ولما دخلا أرض صوفَ قال الغلام: هوذا رجل الله في هذه المدينة، والرجل مُكرم لنذهب إلى هناك.

٩/ ١٠: فقال شاول: كلامك حسن. فذهبا إلى المدينة التي فيها رجل الله.

٩/ ١٤ ـ ١٧: وفيما هما آتيان في وسط المدينة، إذا بصَموئيل خارجٍ للقائهما. والرب كشف أذنه قبل مجيء شاول بيوم قائلاً: غداً في مثل الآن أرسل إليك رجلاً من أرض بنيامين، فامسحه رئيساً لشعبي إسرائيل، فيخلصه من يد الفلسطينيين؛ لأني سمعت صراخهم. فلما رأى صموئيل شاول أجابه الرب: هوذا الرجل الذي كلمتك عنه، هذا يضبط شعبي.

٩/ ١٩ ـ ٢١: ولما أراد صموئيل إكرامهما، وعَرَّض لشاول بالملك فقال: ولمن كل شَهِيِّ إسرائيل، أليس لك ولبيت أبيك؟ فأجاب شاول: أنا بنياميني من أصغر أسباط إسرائيل، وعشيرتي أصغر كل عشائر أسباط بنيامين، فلماذا تكلمني بمثل هذا الكلام؟

٩/ ٢٤ ـ ٢٧: فأكل شاول مع صموئيل في ذلك اليوم. ولما نزلوا إلى المدينة. . . قال صموئيل لشاول: قُلْ للغلام أن يعبر قدامنا، وأما أنت فأُسمعك كلام الله.

١٠/ ١: فأخذ صموئيل قنينة الدهن وصب على رأسه وقبله وقال: أَلَيْسَ لأن الرب قد مسحك على ميراثه رئيساً.

١٠/ ٥ ـ ٧: بعد ذلك تأتي إلى جِبْعَةِ الله، وعند مجيئك تصادف زمرة من الأنبياء نازلين من المرتفعة، فيحل عليك روح الرب، فتتنبأ معهم، وتتحول إلى رجل آخر. وإذا أتتك هذه الآيات فافعل ما وجدته يدك، لأن الله معك.

١٠/ ٩ـ ١٠: وعندما أدار كتفه ليذهب أعطاه الله قلباً آخر، ولما جاء إلى جبعة إذا بزمرة من الأنبياء لقيته، فحل عليه روح الله، فتنبأ في وسْطهم.

١٠/ ١٧ ـ ٢٧: واستدعى صموئيل الشعب إلى الرب إلى المصفاة وقال: . . . فامثلوا أمام الرب حسب أسباطكم وألوفكم. فقدم صموئيل جميع الأسباط، فأُخِذ سبط بنيامين، ثم قدَّم سبط بنيامين حسَب عشائره، فأخذت عشيرة مطري، وأُخذ شاول بن قيس. . . فوقف بين الشعب فكان أطول من الكل، من كتفه فما فوق. فقال صموئيل: أرأيتم الذي اختاره الرب، إنه ليس مثلُه في جميع الشعب، فهتفوا وقالوا: ليحيَى الملك، ثم أطلق صموئيل الجميع إلى بيوتهم. وذهب شاول إلى بيته إلى جبعة، وذهب معه الجماعة التي مسَّ الله قلبها، وأما بنو =

فاعلموا الآن أنَّه كان مذ دخلوا الأرض المقدسة إثر موت موسى عليه السلام إلى ولاية أول ملك لهم، وهو شاول المذكور سبع ردَّات، فارقوا فيها الإيمان، وأعلنوا عبادة الأصنام: فأولها بَقُوا فيها ثمانية أعوام، والثانية ثمانية عشر عاماً، والثالثة عشرين عاماً، والرابعة سبعة أعوام، والخامسة ثلاثة أعوام، وربما أكثر، والسادسة ثمانية عشر عاماً، والسابعة أربعين عاماً. فتأملوا أيّ كتاب يبقى مع

= بَلِيَّعَالَ فقالوا: كيف يخلصنا هذا؟ فاحتقروه ولم يقدموا له هدية، فكان كأصم.

١٣/ ٤ ـ ٥: فاجتمع الشعب وراء شاول إلى الجلجال، وتجمع الفلسطينيون لمحاربة إسرائيل ١٣/٨ ـ ١٤: فمكث سبعة أيام حسَب ميعاد صموئيل، ولم يأتِ صموئيل إلى الجلجال، والشعب تفرق عنه. فقال شاول: قدِّموا إليَّ المحرقة وذبائح السلامة. ولما انتهى من إصعاد المحرقة إذا صموئيل مقبل، فخرج شاول للقائه، فقال صموئيل: ماذا فعلت؟ فقال شاول: لأني رأيت أن الشعب تفرق عني، وأنت لم تأت في أيام الميعاد، والفلسطينيون متجمعون في مِخْماس، فقلت: أتضرع إلى وجه الرب، فتجلَّدت وأصعدت المحرقة. فقال صموئيل: قد انحمقتَ، لم تحفظ وصية الرب إلهك التي أمرك بها، لأنه الآن كان الرب قد ثبت مملكتك على إسرائيل إلى الأبد، وأما الآن فمملكتك لا تقوم، قد انتخب الرب لنفسه، رجلاً حسب قلبه، وأمره الرب أن يترأس على شعبه.

١٤/ ٢٠ ـ ٢٦: وصاح شاول وجميع الشعب الذي معه وجاؤوا إلى الحرب... وسمع جميع رجال إسرائيل الذين اختبؤوا في جبل أفرايم أن الفلسطينيين هربوا، فشدوا هم أيضاً وراءهم في الحرب، فخلَّص الرب إسرائيل في ذلك اليوم، وعَبَرت الحرب إلى بيت آوِن. وضَنُك إسرائيل في ذلك اليوم، لأن شاول حَلَّف الشعب قائلاً: ملعون الذي يأكل خبزاً إلى المساء حتى أنتقم من أعدائي. فلم يذق جميع الشعب خبزاً، وجاء كل الشعب إلى الوَعْر، وكان عسل على وجه الحقل. ولما دخل الشعبُ الوعْرَ إذا بالعسل يقطر، ولم يمد أحد يده إلى فيه، لأن الشعب خاف من القسم.

١٤/ ٣١ ـ ٣٣: فضربوا في ذلك اليوم الفلسطينيين من مِخْماس إلى أَيَّلون، وأعيا الشعب، فأخذوا غنماً وبقراً وعجولاً، وذبحوا على الأرض، وأكل الشعب على الدم. فأخبروا شاول بأن الشعب يخطئ بأكله على الدم. فقال: قد غدرتم.

١٤/ ٤٧ ـ ٤٨: وأخذ شاول الملك على إسرائيل، وحارب جميع أعدائه حواليه، وحيثما توجه غلب، وأنقذ إسرائيل من يد ناهبيه.

١٤/ ٥٣: وكانت حرب شديدة على الفلسطينيين كل أيام شاول.

١٥/ ١٠: وكان كلام الرب إلى صموئيل: ندمت على أني جعلت شاول ملكاً، لأنه رجع من ورائي ولم يقم كلامي.

١٥/ ١٩: فقال صموئيل: فلإذا لم تسمع لصوت الرب؟ بل ثرت على الغنيمة، وعملت الشر في عيني الرب.

هذا. وسيأتي ما وصفوه به من فسق وظلم في القسم الثالث: اتهامهم للأنبياء.

تمادي الكفر ورفض الإيمان، هذه المدد الطوال في بلد صغير مقدار ثلاثة أيام في مثلها فقط، ليس على دينهم واتباع كتابهم أحد على ظهر الأرض غيرهم؟![1].

○ [التوراة إبَّان حكم داود]:

ثم مات شاول مقتولاً، وولي أمرهم داود ﷺ وكانت مدته أربعين سنة[2].

---

[١] كان صموئيل ﷺ آخر القضاة، وهو الذي مسح شاول ملكاً وصب عليه الدهن، فكان أول ملك على بني إسرائيل كما سلف.

وفي عهد القضاة حدثت الردَّات المذكورة سابقاً خلال ١١٤ سنة، وكان وجود التوراة محصوراً في منطقة صغيرة، وليس في أصقاع متعددة أو أقطار مختلفة بحيث يؤمن عليها من الضياع، ويُستبعد التحريف؛ لأنه لم يكن أحد من أهل الأرض على دينهم. وكان النص المكتوب من التوراة محفوظاً في التابوت لدى الكهنة، وليس لدى سائر الشعب نسخة أخرى منها، فإن موسى ﷺ صان التوراة عن بني إسرائيل ولم يبثَّها فيهم ولم يبد لهم منها سوى سورة صغيرة. ولم يكن حفظ التوراة غيباً في الصدور فرضاً ولا مستحباً لدى الكهنة، وعلى أحسن تقدير فإن كلاً منهم كان يحفظ بعضاً منها، ولكن دون أن يكون حفظهم متكاملاً، بحيث يوزعونها فيما بينهم، فيستوعب جميعهم جميعها، ويخلف بعضهم بعضاً في حفظها، فالسند معدوم، وإذا أحسنّا الظن، فإن النص المكتوب إنما كان لدى الكهنة في التابوت يتوارثون حفظه، لكن هل يمكن أن يبقى صحيحاً سليماً مع تمادي الكفر خلال تلك الردات السبعة؟

لم يأت ذكر لنقل التابوت خلال حكم شاول، ويظهر أنه بقي حيث كان في بيت أبيناداب في الأكمة كما ذكر في صموئيل الأول ٧/١ ـ ٢.

[٢] بعد مقتل شاول استلم داود ﷺ الحكم، فحارب الفلسطينيين، واستولى على القدس، واتخذها عاصمة له، ثم نقل إليها التابوت في احتفال بهيج، حيث أقام له خيمة، وعين اللاويين لخدمته.

جاء في سفر صموئيل الثاني ٥/٦ ـ ٧: وذهب داود ورجاله إلى أورشليم إلى اليَبُوسِيّين سكان الأرض. وأخذ داود حصن صهيون، وهي مدينة داود.

وفي صموئيل الثاني ٦/٢ ـ ١٥: وذهب داود، وجميع الشعب الذي معه من بَعَلَة يهوذا ليُصعدوا من هناك تابوت الله، فأركبوه على عَجَلة جديدة، وحملوه من بيت أبيناداب الذي في الأكَمة، وكان عُزَّة وأَخْيُو ابنا أبيناداب يسوقان العجلة، وكان أخيو يسير أمام التابوت، وداود وكل بيت إسرائيل يلعبون أمام الرب بكل أنواع الآلات. ولما انتهوا إلى بيدر ناخُون، مَدَّ عُزة يده إلى التابوت وأمسكه، لأن الثيران انشمصت، فحمي غضب الرب عليه، وضربه هناك فمات. وخاف داود من الرب في ذلك اليوم، فلم ينقل التابوت إلى مدينته، بل مال به إلى بيت عوبيد أدوم الجَتّي. وبقي التابوت في بيت عوبيد ثلاثة أشهر، وبارك الربُّ عوبيد وكل =

○ [التوراة إبان حكم سليمان]:

ثم ولي أمرهم سليمان عليه السلام وقد وصفوه بالفِسْق، وهو الذي بنى الهيكل في بيت المقدس، وجعل فيه السرادق والمذبح والمنارة والقربان والتوراة والتابوت، وسَكَّنَه بني هارون، فكانت ولايته أربعين عاماً[1].

= بيته. فأُخبر داود أن الرب قد بارك بيت عوبيد وكل ماله، بسبب التابوت، فذهب وأصعد التابوت إلى مدينة داود بفرح. وكان كلما خطا الحاملون ست خطوات يذبح ثوراً وعجلاً معلوفاً، وكان يرقص بكل قوته أمام الرب، وكان متنطّقاً بأفُود من كَتان، فأصعد داود وجميع إسرائيل التابوت بالهتاف وصوت البوق.

١٧/٦: فأدخلوا تابوت الرب، وأوقفوه في مكانه وسط الخيمة التي نصبها له داود، وأصعدَ داود مُحرقات وذبائح سلامة.

ويظهر أن قصة موت عُزَّة بن أبيناداب بسبب مد يده إلى التابوت موضوعة، وذلك ليحيطوا التابوت بهالة من الرهبة، إذ لا بدَّ من أن يفتحه الكهنة عندما أعاده الفلسطينيون ليتأكدوا من وجود ما كان فيه، ولا شك أنهم فعلوا ذلك، ولم يجدوا شيئاً فيه، فحاولوا ستر الأمر بهذا الادِّعاء، كيلا يزعزعوا مكانة التوراة والألواح في نفوس الناس.

ويبدو أن التابوت بقي في ذلك المكان مدة حكم داود عليه السلام إلى أن أخرجه سليمان.

جاء في سفر صموئيل الثاني ١٥/ ٢٤ ـ ٢٥ أنه لما هرب داود مع رجاله من وجه ابنه أبشالوم. وإذا بصادوق أيضاً وجميع اللاويين معه يحملون تابوت عهد الرب، فوضعوا التابوت وصعِد أبيثار حتى انتهى جميع الشعب من العبور من المدينة، فقال الملك لصادوق: أرجع التابوت إلى المدينة، فإن وجدت نعمة في عيني الرب، فإنه يرجعني ويريني إياه ومسكنَه.

٢٩/١٥: فأرجع صادوق وأبيثار التابوت إلى أورشليم وأقاما هناك.

(١) جاء في سفر الملوك الأول ١/ ٣٣ ـ ٣٥: وقال الملك: ادع لي صادوق الكاهن وناثان النبي وبناياهو بن يَهُوياداع، فدخلوا فقال لهم: خذوا معكم عبيد سيدكم، وأركبوا سليمان ابني على البغلة التي لي، وانزلوا به إلى جيحون، وليمسحه هناك صادوق الكاهن وناثان النبي ملكاً على إسرائيل، واضربوا بالبوق، وقولوا ليحيى الملك سليمان، وتصعدون وراءه، فيأتي ويجلس على كرسيي، وهو يملك عوضاً عني، وإياه قد أوصيت أن يكون ملكاً على إسرائيل ويهوذا.

١/ ٣٨ ـ ٤٠: فنزلوا وأركبوا سليمان على بغلة الملك، وأخذ صادوق الكاهن قرن الدهن من الخيمة ومسح سليمان، وضربوا بالبوق، وقال جميع الشعب: ليحيى الملك سليمان.

١/٢ ـ ٢: ولما قربت أيام وفاة داود أوصى سليمان وقال: أنا ذاهب في طريق الأرض كلها، فتشدد وكن رجلاً.

٢/ ١٠ ـ ١٢: واضطجع داود مع آبائه، ودفن في مدينة داود، وكان الزمان الذي ملك فيه أربعين سنة، وجلس سليمان على كرسي أبيه، وتثبت ملكه جداً. =

= وفي أخبار الأيام الأول ٢٩/٢٣: وملكوا سليمان بن داود، ومسحوه للرب رئيساً، وصادق كاهناً، وجلس سليمان على كرسي الرب ملكاً مكان أبيه، ونجح وأطاعه كل إسرائيل.

بناء البيت:

جاء في سفر أخبار الأيام الأول ٢٨/١ ـ ٧: وجمع داود رؤساء إسرائيل إلى أورشليم، وقال لهم:

كان في قلبي أن أبني بيت قرار لتابوت عهد الرب، ولموطئ قَدَمي إلٰهنا، وقد هيأت للبناء، ولكن الله قال لي: لا تبني بيتاً لاسمي، لأنك رجل حروب، وقد سفكت دماً... وقال لي: إن سليمان ابنك هو يبني بيتي وديارِي، لأني اخترته لي ابناً، وأنا أكون له أباً، وأثبت مملكته إلى الأبد إذا تشدَّد للعمل حسب وصاياي وأحكامي كهذا اليوم.

٢٩/١ ـ ٢: وقال داود لكل الجمع: إن سليمان ابني الذي وحده اختاره الله، إنما هو صغير وغض، والعمل عظيم، لأن الهيكل ليس لإنسان، بل للرب الإلٰه، وأنا بكل قوتي هيأت لبيت إلٰهي كل ما يلزم من ذهب وفضة ونحاس وحديد وخشب وحجارة عادية وملونة وغير ذلك.

وفي سفر الملوك الأول ٥/٥: وهأنذا قائل على بناء بيت لاسم الرب إلٰهي كما كلم الرب داود أبي قائلاً:

إنَّ ابنك الذي أجعله مكانك على كرسيك هو يبني البيت لاسمي.

٦/١: وكان في سنة الأربعمئة والثمانين لخروج بني إسرائيل من مصر، في السنة الرابعة لملك سليمان، في شهر زِيُو، وهو الشهر الثاني، أنه بنى البيت للرب.

٦/١٩: وهيأ محراباً في وسط البيت من داخل، ليضع هناك تابوت عهد الرب.

٦/٢٧ ـ ٢٨: في السنة الرابعة أسس بيت الرب في شهر زِيُو، وفي السنة الحادية عشرة، في شهر بُول، وهو الشهر الثامن، أكمل بناء البيت في جميع أموره وأحكامه، فبناه في سبع سنين.

وفي أخبار الأيام الثاني ٢/١: وأمر سليمان ببناء بيت لاسم الرب، وبيت لملكه.

٣/١ ـ ٢: وشرع سليمان في بناء بيت الرب في أورشليم في جبل المُرِيّا، حيث تراءى لداود أبيه، حيث هيأ داود مكاناً في بَيْدر أُرْنان اليَبُوسيّ، وشرع في البناء في ثاني الشهر الثاني، في السنة الرابعة لملكه.

٣/٨ ـ ١٠: وعمل بيت قدس الأقداس... وعمل في بيت قدس الأقداس كروبَيْن صناعة الصياغة، وغشاهما بذهب.

٥/١: وكمل جميع العمل الذي عمله لبيت الرب. وأدخل أقداس داود أبيه، والفضة والذهب وجميع الآنية جعلها في خزائن بيت الله.

وضع التابوت في المحراب:

جاء في سفر الملوك الأول ٨/١ ـ ٨، وفي أخبار الأيام الثاني ٥/٢ ـ ٩: حينئذ جمع =

....

= سليمان شيوخ إسرائيل وكل رؤوس الأسباط ورؤساء الآباء من بني إسرائيل في أورشليم، لإصعاد تابوت عهد الرب من مدينة داود. هي صِهْيَوْن. فاجتمع جميع رجال إسرائيل في العيد، في شهر أَيْثانيم، وهو الشهر السابع، وجاء جميع شيوخ إسرائيل، وحمل الكهنة التابوت، وأصعدوه وخيمة الاجتماع مع جميع آنية القدس التي في الخيمة. وكان الملك سليمان وكل جماعة إسرائيل المجتمعين إليه معه أمام التابوت، يذبحون من الغنم والبقر ما لا يحصى من الكثرة. وأدخل الكهنة تابوت عهد الرب إلى مكانه في محراب البيت في قدس الأقداس إلى تحت جناحي الكروبَيْن، وكانا باسطين أجنحتهما على موضع التابوت، وظلّلا التابوت وعصيه من فوق، وجذبوا العصي، فتراءت رؤوس العصي من القدس، ولم تر خارجاً.

المفاجأة بعد فتح التابوت:

الملوك الأول ٨/ ٩ ـ ١٠ وأخبار الأيام الثاني ٨/ ١٠ ـ ١٤: لم يكن في التابوت إلا لوحا الحجر اللذان وضعهما موسى في حوريب حين عاهد الرب بني إسرائيل عند خروجهم من مصر. وكان لما خرج الكهنة من القدس أن السحاب ملأ بيت الرب، ولم يستطع الكهنة أن يقفوا للخدمة بسبب السحاب، لأن مجد الرب ملأ بيت الرب.

وهكذا فقدت التوراة في ظروف غامضة، ولا يعلم جَزْماً متى ضاعت، هل أتلفها الفلسطينيون حين استولوا على التابوت وبقي عندهم مدة، ثم أعادوه فارغاً من النكد؟ أو أنها فقدت قبل ذلك خلال الفترة الطويلة من حكم القضاة حين انحرف الشعب، وظهر في بني إسرائيل الكفر والارتداد؟

خلاصة ما حل بالتوراة إلى نهاية حكم سليمان:

ظهر من كل ما تقدم أن موسى ﷺ كتب التوراة وسلَّمها للأحبار، وأوصاهم بوضعها في التابوت مع لَوْحي الشهادة، وأمرهم بإخراجها إلى الناس كل سبع سنوات في يوم العيد ليسمعها بنو إسرائيل، وكان الجيل الأول على وصية موسى ﷺ، فلما انقرض تغيَّرت حال بني إسرائيل، فكانوا يؤمنون تارة، ويرتدون تارات، إلى أن ملك داود ثم ابنه سليمان ﷺ حيث تحسنت أحوالهم إبان حكم داود وفي صدر حكم ابنه سليمان حسب زعمهم، لكن لم يُذكر أنهما تأكدا، أو طلبا من الكهنة التأكد من وجود التوراة داخل التابوت بعد عودته المظفرة وقيامه بالأعاجيب، وإنما اكتفيا بحفظه ونقله. وعندما انتهى سليمان ﷺ من بناء البيت، وأراد الكهنة إدخال التابوت في المحراب أو قدس الأقداس، تمَّت المفاجأة بعد فتحه، إذ لم يكن فيه إلا لوحا الحجر اللذان كتبت عليهما الوصايا العشر، فهي بقية مما ترك آل موسى وآل هارون، لكن أين البقية الأخرى؟ ثم وقع الانقلاب العظيم في آخر ملك سليمان ﷺ حيث ارتد في آخر عمره عند شيخوخته وصار وثنياً حسب زعمهم، كما سيأتي في القسم الرابع: افتراؤهم على الأنبياء، وإذا كان ارتد ومات على الرّدة، فليس له رغبة في التوراة. وبعد موته وقع انقلاب أعظم، حيث انقسمت المملكة إلى قسمين متعاديين، عبد كلاهما الأصنام كما سيأتي.

الفرع الثالث

التوراة بعد انقسام المملكة

ثم مات [سليمان] ﷺ فافترق أمر بني إسرائيل، فصار بنو يهوذا وبنو بنيامين لبني سليمان بن داود ﷺ في بيت المقدس، وصار ملك الأسباط العشرة الباقية إلى ملك آخر منهم، يسكن بنابلس، على ثمانية عشر ميلاً من بيت المقدس[1]. وبَقوا كذلك إلى ابتداء إدبار أمرهم على ما نبين إن شاء الله تعالى، فنذكر بحول الله تعالى وقوته أسماء ملوك بني سليمان ﷺ وأديانهم، ثم نذكر

---

[1] جاء في سفر الملوك الأول ١١/٩ ـ ١٣: فقال الرب لسليمان: من أجل أنَّ ذلك عندك، ولم تحفظ عهدي وفرائضي التي أوصيتك بها، فإنِّي أمزق المملكة عنك تمزيقاً، وأعطيها لعبدك، إلا أني لا أفعل ذلك في أيامك من أجل داود أبيك، بل من يد ابنك أمزقها، على أني لا أمزق منك المملكة كلها، بل أعطي سبطاً واحداً لابنك، لأجل عبدي داود ولأجل أورشليم التي اخترتها.

١١/٤٣: ثم اضطجع سليمان مع آبائه، ودفن في مدينة داود أبيه، وملك رحبعام ابنه عوضاً عنه.

انقسام المملكة:

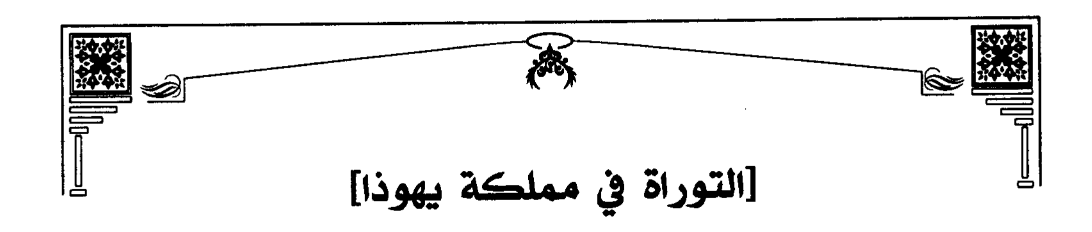
استمر حكم سليمان قرابة أربعين عاماً (٩٦١ ـ ٩٢٢ق.م) وبعد موته انقسمت المملكة إلى مملكتين:

١ ـ جنوبية اسمها يهوذا، لأن حكامها من نسل داود، وهو من سبط يهوذا، اتخذت القدس عاصمة لها، واعتقدت بقدسية جبل صهيون. وقد بقي الملك فيها في بيت داود إلى نهايتها.

٢ ـ شمالية اسمها إسرائيل، اتخذت شكيم في جبل أفرائيم عاصمة لها، واعتقدت بقدسية جبل جِرِزّيم. وكانت أوسع رقعة من أختها، وتمثل أغلبية الأسباط، وقد تنقل الملك فيها بين بيوت مختلفة.

وقد حَدَث بعد الانقسام أحداث عجيبة، وصلت إلى الردَّة وعبادة الأوثان وآلهة الأقوام المجاورين، وأشد من ذلك كله ما كان من ملوكهم العصاة، فإنهم أقاموا الأصنام، وبنَوا لها المعابد الضخمة، وتركوا أحكام التوراة مدداً طويلة، وكانت الأنبياء تترى إليهم وتنصح، ولكن هيهات، كفر بالله وقتل للأنبياء.

ملوك الأسباط العشرة، وبالله ﷻ نتأيد، ليرى كل واحد كيف كانت حال التوراة والديانة في أيام دولتهم.



[التوراة في مملكة يهوذا]

○ [التوراة إبان حكم رَحَبْعام بن سليمان]:

قال أبو محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولي إثر موت سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ابنه رَحَبْعام، وله ست عشرة سنة، وكانت ولايته سبعة عشر عاماً، فأعلن الكفر طول ولايته، وعبد الأوثان جهاراً هو وجميع رعيته وجنده بلا خلاف منهم.

ويقولون: إن جنده كانوا مئة ألف وعشرين ألف مقاتل، وفي أيامه غزا ملك مصر في سبعة آلاف فارس وخمسة عشر ألف راجل بيت المقدس، فأخذها عَنْوة بالسيف، وهرب رحبعام، وانتهب ملك مصر المدينة والقصر والهيكل، وأخذ كل ما فيها، ورجع إلى مصر سالماً غانماً[1].

---

[1] جاء في سفر الملوك الأول ١١/ ٤٢ ـ ٤٣ وأخبار الأيام الثاني ٩/ ٣٠ ـ ٣١: وكانت الأيام التي ملك فيها سليمان في أورشليم على كل إسرائيل أربعين سنة، ثم اضطجع مع آبائه، ودفن في مدينة داود أبيه، وملك رحبعام ابنه عوضاً عنه.

وفي الملوك الأول ١٤/ ٢١ ـ ٢٤: وأما رَحَبعام فملك في يهوذا، وكان ابن إحدى وأربعين سنة حين ملك، وملك سبع عشرة سنة في أورشليم... وعمل يهوذا الشر في عيني الرب، وأغاروه أكثر من جميع ما عمل آباؤهم بخطاياهم التي أخطؤوا بها، وبنَوا هم أيضاً لأنفسهم مرتفعات وأنصاباً وسواري على كل تل مرتفع وتحت كل شجرة خضراء. وكان أيضاً مأبونون في الأرض ـ أي: يعملون القبيح، والمراد عمل قوم لوط ـ فعملوا حَسَب كل أرجاس الأمم.

١٤/ ٢٥ ـ ٢٦: وفي السنة الخامسة للملك رحبعام صعِد شيشَق ملك مصر إلى أورشليم، وأخذ خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك، وأخذ كل شيء، وأخذ أتراس الذهب التي عملها سليمان.

وفي أخبار الأيام الثاني ١٢/ ١ ـ ٢: ولما تثبتت مملكة رَحَبْعام وتشدَّدت، ترك شريعة الرب، وكل إسرائيل معه، وفي السنة الخامسة لملكه صعِد شيشق ملك مصر على أورشليم، لأنهم خانوا الرب، بألف ومئتي مركبة وستين ألف فارس... وأخذ المدن الحصينة التي ليهوذا، وأتى إلى أورشليم.

١٢/ ٩: فصعد شيشق على أورشليم، وأخذ خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك، وأخذ أتراس الذهب التي عملها سليمان.

١٢/ ١٣ ـ ١٤: فتشدَّد رَحَبعام في أورشليم، وكان ابن إحدى وأربعين سنة حين ملك، =

○ [التوراة إبّان حكم أبيا بن رحبعام]:

ثم مات رحبعام على الكفر، فولي مكانه ابنه أَبِيًّا، وله ثماني عشرة سنة، فبقي على الكفر هو وجنده ورعيته، وعلى عبادة الأوثان علانية، وكانت ولايته ست سنين.

ويقولون: قتل من الأسباط العشرة في حروبه معهم خمسمئة ألف إنسان(1).

○ [التوراة إبان حكم آسا بن أَبِيًّا]:

ثم ولي بعد موته ابنه آسا بن أَبِيًّا، وله عشر سنين، وكان مؤمناً، فهدم

= وملك سبع عشرة سنة في أورشليم... وعمل الشر، لأنه لم يهيئ قلبه لطلب الرب.

علماً بأن شمعيا النبي نَصَحهم بعد ذلك، فتابوا بعض التوبة كما في ١٢/٥ ـ ٧، ومما سبق يتبين ما يلي:

١ ـ إذا كان الملك رَحَبعام لم يهيئ قلبه لطلب الرب، وعمل شعب يهوذا الشر في عيني الرب وأغاروه بخطاياهم، فهذا يعني أنهم مستغنون عن التوراة، وليس لهم غرض فيها.

٢ ـ إذا أخذ ملك مصر خزائن بيت الرب، فهل يترك لهم التابوت وما فيه؟

٣ ـ ذكر ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ أن رَحَبعام ملك وله ست عشرة سنة. وفي السفرين أنه كان ابن إحدى وأربعين سنة.

٤ ـ ذكر ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ أن جند فرعون الذين صعد بهم إلى بيت المقدس كانوا سبعة آلاف فارس وخمسة عشر ألف راجل. وفي سفر أخبار الأيام الثاني أنهم كانوا ألفاً ومئتي مركبة وستين ألف فارس.

(1) جاء في سفر الملوك الأول ١٤/٣١ وأخبار الأيام الثاني ١٢/١٦: ثم اضطجع رحبعام مع آبائه، ودفن في مدينة داود، وملك أَبِيَّام ـ وفي أخبار الأيام أَبِيًّا ـ ابنه عوضاً عنه.

الملوك الأول ١٥/٢ وأخبار الأيام الثاني ١٣/٢: ملك أَبِيَّام على يهوذا ثلاث سنين.

الملوك الأول ١٥/٣: وسار في جميع خطايا أبيه التي عملها قبله، ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلٰهه.

أخبار الأيام الثاني ١٣/٤: وقام أَبِيًّا على جبل صَمَارايم الذي في جبل أفرايم وقال: اسمعوني يا يَرُبْعَام وكلَّ إسرائيل.

١٣/١٢ ـ ١٧: هوذا معنا الله رئيساً، وكهنته وأبواق الهتاف للهتاف عليكم، فلا تحاربوا الرب. ولكن يربعام جعل الكمين يدور، فالتفت يهوذا، وإذا الحرب عليهم من قُدَّام ومن خلفُ. وضرب الله يربعام، فانهزم بنو إسرائيل، وضربهم أَبِيًّا وقومه ضربة عظيمة، فسقط قتلى من بني إسرائيل خمسمئة ألف رجل مختار.

تنبيه: ذكر ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ أن ولاية أَبِيًّا كانت ست سنين، وفي السفرين أنها ثلاث سنين.

بيوت الأوثان، وأظهر الإيمان، وبقي في ولايته إحدى وأربعين سنة على الإيمان. وذكروا أن جنده كانوا ثلاثمئة ألف مقاتل من بني يهوذا، واثنين وخمسين ألفاً من بني بنيامين[1].

○ [التوراة إبان حكم يهوشافاط بن آسا]:

ومات وولي مكانه ابنه يهوشافاط بن آسا، وهو ابن خمس وثلاثين سنة،

---

[1] الملوك الأول ٨/١٥ وأخبار الأيام الثاني ١/١٤: ثم اضطجع أبيام مع آبائه، وملك ابنه آسا عوضاً عنه.

الملوك الأول ٩/١٥ ـ ١٥: ملك آسا على يهوذا إحدى وأربعين سنة في أورشليم، وعمل ما هو مستقيم في عيني الرب، وأزال المأبونين، ونزع جميع الأصنام التي عملها آباؤه، وأما المرتفعات فلم تنزع، إلا أن قلبه كان كاملاً مع الرب كل أيامه، وأدخل أقداس أبيه وأقداسه إلى بيت الرب من الفضة والذهب والآنية.

أخبار الأيام الثاني ١/١٤ ـ ٤: وفي أيامه استراحت الأرض عشر سنين، وعمل ما هو صالح ومستقيم في عيني الرب، ونزع المذابح الغريبة والمرتفعات، وكسر التماثيل، وقطع السواري، وقال ليهوذا ٨/١٤: وكان لآسا جيش يحملون أتراساً ورماحاً، من يهوذا ثلاثمئة ألف، ومن بنيامين من الذين يحملون الأتراس، ويشدون القسي مئتان وثمانون ألفاً. كل هؤلاء جبابرة بأس.

أخبار الأيام الثاني ١٧/١٥ ـ ١٨: وأما المرتفعات فلم تنزع من إسرائيل، إلا أن قلب آسا كان كاملاً كل أيامه، وأدخل أقداس أبيه وأقداسه إلى بيت الله من الفضة والذهب والآنية. ولم تكن حرب إلى السنة الخامسة والثلاثين لملك آسا.

ومن الملاحظ أن الكاتب ذكر أن آسا أدخل أقداسه وأقداس أبيه من الفضة والذهب والآنية إلى بيت الله، ولم يتعرض لذكر التوراة والتابوت. فهل كان سكوته عنهما لانعدام وجودهما عندهم منذ صعد شيشق ملك مصر على أورشليم في أيام رحبعام وأخذ خزائن بيت الرب معه؟!

وثمة اضطرابات في النصوص: فقد ذكر ابن حزم رحمه الله أن عدد جند آسا من بني بنيامين اثنان وخمسون ألفاً. وفي أخبار الأيام الثاني مئتان وثمانون ألفاً.

وذكر في الملوك الأول ١/١٤ أن الأرض استراحت في أيامه عشر سنين. لكنه لم يحدِّد موقعها في حكمه، فقد حكم إحدى وأربعين سنة، فهل كانت العشر الأوائل أو الأواسط أو الأواخر؟ ولم يبين أيضاً نوع الراحة، والظاهر أنه أراد وقف الحرب، لكن ذكر في أخبار الأيام الثاني ١٩/١٥ أنه لم تكن حرب إلى السنة الخامسة والثلاثين لملك آسا.

وقال الكاتب في سفر الملوك الأول ١٤/١٥: «وأما المرتفعات فلم تنزع». وفي أخبار الأيام الثاني ٢/١٤: «ونزع المذابح الغريبة والمرتفعات». فهل نزعت أو لم تنزع؟! وازداد الاضطراب بما جاء أيضاً في أخبار الأيام الثاني ١٧/١٥: «وأما المرتفعات فلم تنزع من إسرائيل» فما المراد بقوله: (من إسرائيل) هل المراد المملكة الثانية؟ أو المراد الشعب؟

فكانت ولايته خمساً وعشرين سنة، وذكروا أنه كان على الإيمان إلى أن مات[1].

○ [التوراة إبان حكم يهورام بن يهوشافاط وابنه أخزيا وأمه]:

فولي ابنه يهورام بن يهوشافاط. ولم نجد أمر سيرته ودينه، إلا أنه كان مؤلفاً لعبادة الأوثان من ملوك الأسباط. وولي وله اثنتان وثلاثون سنة، وكانت ولايته ثمانية أعوام ومات[2].

---

[1] جاء في سفر أخبار الأيام الثاني ١٦/١٢ ـ ١٤: ومرض آسا في السنة التاسعة والثلاثين من ملكه في رجليه، واشتد مرضه. وفي مرضه لم يطلب الرب، بل طلب الأطباء، ثم اضطجع مع آبائه، ومات في السنة الحادية والأربعين لملكه، فدفنوه في قبوره التي حفرها في مدينة داود.

١٧/١: وملك يهوشافاط ابنه عوضاً عنه، وتشدَّد على إسرائيل.

وفي الملوك الأول ١٥/٢٤: ثم اضطجع آسا، ودفن مع آبائه في مدينة داود، وملك يهوشافاط ابنه عوضاً عنه.

الملوك الأول ٢٢/٤١ ـ ٤٢ وأخبار الأيام الثاني ٢٠/٣١ ـ ٣٣: وملك يهوشافاط بن آسا على يهوذا... وكان ابن خمس وثلاثين سنة حين ملك، وملك خمساً وعشرين سنة في أورشليم... وسار في طريق أبيه آسا، ولم يحد عنها، إذ عمل المستقيم في عيني الرب، إلا أن المرتفعات لم تنزع، بل كان الشعب لا يزال يذبح ويوقد عليها. زاد في سفر الأخبار: بل كان الشعب لم يُعدّوا بعد قلوبهم لإله آبائهم.

وفي أخبار الأيام الثاني ١٧/٣ ـ ٤: وكان الرب مع يهوشافاط، لأنه سار في طريق داود أبيه الأولى، ولم يطلب البعليم، ولكنه طلب إله أبيه وسار في وصاياه، لا حسب أعمال إسرائيل.

١٧/٦ ـ ٩: وتقوَّى قلبه في طرق الرب، ونزع أيضاً المرتفعات والسواري من يهوذا. وفي السنة الثالثة لملكه أرسل إلى رؤسائه أن يُعلِّموا في مدن يهوذا ومعهم اللاويون، ومعهم أَلِيشَمَع ويهورام الكاهنان. فعلموا في يهوذا ومعهم سفر شريعة الرب، وجالوا في جميع المدن.

ولم يذكر الكاتب كيف حصلوا على هذا السفر. والظاهر أنهم كانوا يعلمون مما بقي في أذهانهم، لأنه ليس فيهم من يحفظها غيباً، ولم يتوزعوا حفظها. ويفهم من قوله: (سفر شريعة الرب) أن حجمه لم يكن بمثل هذه الأسفار الخمسة، وإلا لكان ذكر ذلك.

[2] جاء في سفر الملوك الأول ٢٢/٥ وأخبار الأيام الثاني ٢١/١: واضطجع يهوشافاط مع آبائه، ودفن في مدينة داود، وملك يهورام ابنه عوضاً عنه.

الملوك الثاني ٨/١٦ ـ ١٨: ملك يهورام بن يهوشافاط على يهوذا، وكان ابن اثنتين وثلاثين سنة حين ملك، وملك ثماني سنين في أورشليم، وسار في طريق ملوك إسرائيل، كما فعل بيت أَخْآب، لأن بنت أخآب كانت له امرأة، وعمل الشر في عيني الرب.

وفي أخبار الأيام الثاني ٢١/٤ ـ ٦: فقام يهورام على مملكة أبيه وتشدَّد وقتل جميع =

فولي مكانه ابنه أخزياهو، وله اثنتان وعشرون سنة، فأظهر الكفر وعبادة الأصنام في جميع رعيته، وكانت ولايته سنة وقتل[1].

فوليت أمه عثلياهو بنت عَمْري ملك العشرة أسباط، فتمادت على أشد ما يكون من الكفر وعبادة الأوثان، وقتلت الأطفال، وأمرت بإعلان الزنى في البيت المقدس، وجميع عملها، وعهدت ألا تمتنع امرأة ممن أراد الزنى معها، وعهدت ألا يُنكر ذلك أحد، فبقيت كذلك ست سنين إلى أن قتلت[2].

○ [التوراة إبان حكم يوآش ومقتل النبي زكريا]:

فولي ابن ابنها يوآش بن أخزياهو، وله سبع سنين، فاتصلت ولايته أربعين سنة، وأعلن الكفر وعبادة الأوثان، وقتل زكريا النبي ﷺ بالحجارة، ثم قتله غلمانه[3].

= إخوته بالسيف وأيضاً بعضاً من رؤساء إسرائيل. كان يهورام ابن اثنتين وثلاثين سنة حين ملك، وملك ثماني سنين في أورشليم، وسار في طريق ملوك إسرائيل، كما فعل بيت أخآب، لأن بنت أخآب كانت له امرأة، وعمل الشر في عيني الرب.

(١) جاء في الملوك الثاني ٨/ ٢٤ وأخبار الأيام الثاني ٢٢/ ١: واضطجع يورام مع آبائه، ودفن في مدينة داود، وملك سكان أورشليم أَخَزْيا ابنه الأصغر عوضاً عنه، لأن الغزاة قتلوا جميع الكبار.

الملوك الثاني ٨/ ٢٥ ـ ٢٧ وأخبار الأيام الثاني ٢٢/ ٢ ـ ٤: كان أَخَزْيا ابن اثنتين وعشرين سنة حين ملك، وملك سنة واحدة في أورشليم، وهو أيضاً سلك في طريق بيت أخآب، لأن أمه كانت تشير عليه بفعل الشر، فعمل الشر في عيني الرب.

(٢) الملوك الثاني ١١/ ١ ـ ٣ وأخبار الأيام الثاني ٢٢/ ١٠ ـ ١٢: ولما رأت عثليا أم أخزيا أن ابنها قد مات، قامت فأبادت جميع النسل الملكي من بيت يهوذا، فأخذت يهوشَبَع بنت يهورام أخت أخزيا يوآش بن أخزيا وسرقته، وجعلته هو ومرضعته في مخدع السرير وخبأته، وهي زوجة الكاهن يهوياداع، وكان معهم في بيت الرب ست سنين مختبئاً، وعثليا مالكة على الأرض.

(٣) جاء في سفر الملوك الثاني ١١/ ٤ ـ ١٦ وأخبار الأيام الثاني ٢٣/ ١ ـ ١٥: وفي السنة السابعة وضع الكاهن يهوياداع خطة مع رؤساء المئات واللاويين ورؤساء آباء إسرائيل، وجاؤوا إلى أورشليم، ثم أخرجوا ابن الملك، ووضعوا عليه التاج، ومسحوه وصفقوا له وحَيَوه. ولما جاءت عثليا أخرجوها ثم قتلوها عند مدخل باب الخيل.

الملوك الثاني ١١/ ١٧ ـ ١٨ وأخبار الأيام الثاني ٢٣/ ١٦ ـ ١٧: وقطع يهوياداع عهداً بين الرب وبين الملك والشعب، أن يكونوا شعباً للرب، ودخل جميع الشعب إلى بيت البعل، وهدموا مذابحه وكسروا تماثيله، وقتلوا كاهن البعل أمام المذابح. =

○ [التوراة إبان حكم أمصيا بن يوآش والغارة على البيت]:

فولي بعده ابنه أمصياهو بن يوآش، وله خمس وعشرون سنة، فأعلن الكفر وعبادة الأوثان هو وجميع رعيته، فبقي كذلك إلى أن قُتل وهو على الكفر، وكانت ولايته تسعاً وعشرين سنة. وفي أيامه انتهبَ ملك الأسباط العشرة البيت المقدس، وأغاروا على كل ما فيه مَرَّتين(١).

= الملوك الثاني ١١/٢١ و١٢/١ ـ ٢ وأخبار الأيام الثاني ٢٤/١ ـ ١٤: وكان يهوآش ـ يوآش ـ ابن سبع سنين حين ملك، وملك أربعين سنة في أورشليم... وعمل المستقيم في عيني الرب، كل أيامه التي علمه فيها يهوياداع الكاهن.

أخبار الأيام الثاني ٢٤/١٥ ـ ٢٢: وشاخ يهوياداع، وشبع من الأيام ومات، وبعد موته جاء رؤساء يهوذا وسجدوا للملك، فسمع لهم، وتركوا بيت الرب إله آبائهم، وعبدوا السواري والأصنام، فكان غضب على يهوذا وأورشليم، لأجل إثمهم هذا. وأرسل إليهم أنبياء لإرجاعهم إلى الرب، وأشهدوا عليهم، فلم يُصْغوا. ولبس روحُ الله زكريا بن يهوياداع الكاهن، فوقف فوق الشعب وقال لهم: هكذا يقول الله: لماذا تتعدون وصايا الرب؟ فلا تفلحون، لأنكم تركتم الرب قد ترككم. ففتنوا عليه ورجموه بحجارة بأمر الملك في دار بيت الرب. ولم يذكر يوآش المعروف الذي عمله يهوياداع أبوه معه، بل قتل ابنه. وعند موته قال: الرب ينظر ويطالب.

الملوك الثاني ١٢/١٧ ـ ٢١ وأخبار الأيام الثاني ٢٤/٢٣ ـ ٢٧: حينئذ صعِد عليه حزائيل ملك أرام، وحارب جَتَّ وأخذها، ثم حوَّل وجهه إلى أورشليم، وأهلك كل رؤساء الشعب، فأخذ يهوآش جميع الأقداس التي قدَّسها آباؤه وكل الذهب الموجود في خزائن بيت الرب وبيت الملك وأرسلها إليه، فعدل عن أورشليم... وترك يوآش بأمراض كثيرة، وقام عبيده وفتنوا عليه من أجل دماء بني يهوياداع الكاهن، وقتلوه على سريره في بيت القلعة... وملك أمَصْيا ابنه عوضاً عنه.

(١) جاء في سفر الملوك الثاني ١٤/١ ـ ٦ وأخبار الأيام الثاني ٢٥/١ ـ ٤: ملك أمَصْيا بن يوآش على يهوذا، وكان ابن خمس وعشرين سنة، وملك تسعاً وعشرين سنة في أورشليم... وعمل ما هو مستقيم في عيني الرب، ولكن ليس بقلب كامل،... ولما تثبتت المملكة بيده قتل عبيده الذين قتلوا أباه، لكنه لم يقتل أبناء القاتلين.

أخبار الأيام الثاني ٢٥/١١ ـ ١٢: وتشدَّد أمصيا، واقتاد شعبه إلى وادي المِلْح، وضرب من بني ساعير عشرة آلاف، وسبى عشرة آلاف، وأتَوا بهم إلى رأس سالع وطرحوهم، فتكسروا أجمعون.

٢٥/١٤ ـ ١٦: وبعد مجيء أمصيا من ضرب الأدوميين أتى بآلهة بني ساعير، وأقامهم له آلهة، وسجد أمامهم، وأوقد لهم. فحمي غضب الرب على أمصيا، وأرسل إليه نبياً، لكنه لم يسمع له، بل هدده بالقتل.

الملوك الثاني ١٤/١٢ ـ ١٤ وأخبار الأيام الثاني ٢٥/٢٢ ـ ٢٤: فانهزم يهوذا أمام =

○ [التوراة إبَّان حكم عزريا وابنه يوثام]:

ثم ولي بعده عزياهو بن أمصياهو، وله ست عشرة سنة، فأعلن الكفر وعبادة الأوثان هو وجميع رعيته إلى أن مات، وكانت ولايته اثنتين وخمسين سنة. وهو قتل عاموص النبي عليه السلام الداودي(١).

فولي بعده ابنه يوثام بن عزياهو، وله خمس وعشرون سنة، ولم نجد له سيرة، وكانت ولايته ست عشرة سنة(٢).

= إسرائيل، وهرب كل واحد إلى خيمته، وأما أمصيا ملك يهوذا، فأمسكه ملك إسرائيل يوآش في بيت شمس، وجاء به إلى أورشليم، وهدم سورها من باب أفرايم إلى باب الزاوية، وأخذ كل الذهب والفضة وجميع الآنية الموجودة في بيت الرب، وخزائن بيت الملك والرهناء، ورجع إلى السامرة.

الملوك الثاني ١٤/ ١٧: وعاش أمصيا ملك يهوذا بعد وفاة يوآش ملك إسرائيل خمس عشرة سنة.

الملوك الثاني ١٤/ ١٩ ـ ٢٠ وأخبار الأيام الثاني ٢٥/ ٢٧ ـ ٢٨: وفتنوا عليه في أورشليم، فهرب إلى لَخيش، فأرسلوا وراءه، وقتلوه هناك، وحملوه على الخيل، ودفنوه مع آبائه في أورشليم.

(١) جاء في سفر الملوك الثاني ١٥/ ١ ـ ٣ وأخبار الأيام الثاني ٢٦/ ١ ـ ٥: ملك عَزَرْيا ـ عُزِّيا ـ بن أمصيا يهوذا، وكان ابن ست عشرة سنة، وملك اثنتين وخمسين سنة في أورشليم... وعمل ما هو مستقيم في عيني الرب حسب كل ما عمل أمصيا أبوه. وكان يطلب الله في أيام زكريا الفاهم بمناظر الله. وفي أيام طلبه الرب أنجحه الله.

أخبار الأيام الثاني ٢٦/ ١٦ ـ ٢٣: ولما تشدَّد ارتفع قلبه إلى الهلاك، وخان الرب إلٰهه، ودخل الهيكل ليوقد على مذبح البخور، ودخل وراءه عزريا الكاهن، ومعه ثمانون من الكهنة، وقالوا له: ليس لك أن توقد للرب، بل للكهنة بني هارون، اخرج من المقدس، لأنك خنت. فحنق عزيا، وعند حَنَقه خرج برص في جبهته أمام الكهنة، فطردوه، لأن الرب ضربه، وكان أبرص إلى يوم وفاته، وأقام في بيت المرض، وكان يوثام ابنه على بيت الملك يحكم، ثم اضطجع، ودفنوه في حقل المقبرة التي للملوك، لأنه أبرص. وملك يوثام ابنه عوضاً عنه.

الملوك الثاني ١٥/ ٥: وضرب الرب الملك، فكان أبرص إلى يوم وفاته، وأقام في بيت المرض، وكان يوثام ابنه على البيت يحكم.

١٥/ ٧: ثم اضطجع مع آبائه، فدفنوه في مدينة داود مع آبائه، وملك يوثام ابنه عوضاً عنه.

(٢) جاء في سفر الملوك الثاني ١٥/ ٣٢ ـ ٣٤ وأخبار الأيام الثاني ٢٧/ ١: ملك يوثام بن عُزّيا على يهوذا، وكان ابن خمس وعشرين سنة، وملك ست عشرة سنة في أورشليم.

الملوك الثاني ١٥/ ٣٥ وأخبار الأيام الثاني ٢٧/ ٢ ـ ٣: وعمل المستقيم في عيني الرب، حسب كل ما عمل أبوه، إلا أنه لم يدخل هيكل الرب، وكان الشعب يفسدون بعد. هو بنى الباب الأعلى لبيت الرب. =

○ [التوراة إبان حكم آحاز بن يوثام]:

فولي مكانه ابنه آحاز بن يوثام، وله عشرون سنة، فأعلن الكفر وعبادة الأوثان، وكانت ولايته ست عشرة سنة إلى أن مات(١).

○ [التوراة إبَّان حكم حزقيا وابنه مَنَسَّى]:

فولي بعده ابنه حزقيا بن آحاز، وله خمس وعشرون سنة، وكانت ولايته تسعاً وعشرين سنة، فأظهر الإيمان، وهدم بيوت الأوثان، وقتل خدمتها. وبقي على الإيمان إلى أن مات هو وجميع رعيته(٢).

= أخبار الأيام الثاني ٦/٢٧: وتشدَّد يوثام، لأنه هيأ طرقه أمام الرب إلٰهه.

الملوك الثاني ٣٨/١٥ وأخبار الأيام الثاني ٨/٢٧: ثم اضطجع يوثام، فدفنوه مع آبائه في مدينة داود، وملك آحاز ابنه عوضاً عنه.

(١) جاء في سفر الملوك الثاني ١/١٦ ـ ٥ وأخبار الأيام الثاني ١/٢٨ ـ ٥: كان آحاز ابن عشرين سنة حين ملك، وملك ست عشرة سنة في أورشليم، ولم يعمل المستقيم في عيني الرب إلٰهه، بل سار في طريق ملوك إسرائيل، وعمل أيضاً تماثيل مسبوكة للبَعْليم، وأوقد في وادي ابن هِنّوم، وأحرق بنيه بالنار حسب رجاسات الأمم الذين طردهم الرب من أمام بني إسرائيل، وذبح وأوقد على المرتفعات وعلى التلال وتحت كل شجرة خضراء. حينئذ صعِد رصين ملك أرام وفَقْح بن رَمَلْيا ملك إسرائيل إلى أورشليم للمحاربة، فحاصروه ولم يقدروا أن يغلبوه، غير أنهما ضرباه ضربة عظيمة، فأرجع رصين أيلة للآراميين، وطرد اليهود منها، وسبى منهم سبياً عظيماً، وأتى بهم إلى دمشق.

الملوك الثاني ٦/١٦ ـ ٩: وأرسل آحاز رسلاً إلى تَغْلَث فلاسِر ملك أشّور قائلاً: أنا عبدك وابنك، اصعد وخلصني من يد ملك أرام وملك إسرائيل القائمين عليَّ. وأرسل إليه الفضة والذهب الموجودة في بيت الرب، وفي خزائن بيت الملك. فسمع له ملك أشور، وصعد إلى دمشق وسباها.

أخبار الأيام الثاني ١٦/٢٨ ـ ٢٥: في ذلك الوقت أرسل آحاز إلى ملوك أشور لكي يساعدوه، لأن الرب ذلَّل يهوذا بسببه. فجاء عليه تَغْلَث فِلْناسر ملك أشور وضايقه، ولم يشدّده لأن آحاز أخذ قسماً من بيت الرب وبيت الملك ومن الرؤساء، وأعطاه لآشور، ولكنه لم يساعده. وفي ضيقه زاد خيانة بالرب، وذبح لآلهة دمشق الذين ضاربوه، وجمع آنية بيت الله وقطعها، وأغلق أبواب بيت الرب، وعمل لنفسه مذابح في كل زاوية في أورشليم، وفي كل مدينة من يهوذا، وعمل مرتفعات للإيقاد لآلهة أخرى، وأسخط الرب إلٰه آبائه.

الملوك الثاني ٢٠/١٦ وأخبار الأيام الثاني ٢٧/٢٨: ثم اضطجع آحاز مع آبائه، ودفن في مدينة داود، ولم يأتوا به إلى قبور ملوك إسرائيل. وملك حَزَقِيّا ابنه عوضاً عنه.

(٢) جاء في الملوك الثاني ١/١٨ ـ ٣ وأخبار الأيام الثاني ١/٢٩ ـ ٢: ملك حَزَقِيّا بن =

ثم مات حزقيا، وولي بعده ابنه مَنَسَّى بن حزقيا، وله اثنتا عشرة سنة، ففي السنة الثالثة من ملكه أظهر الكفر، وبنى بيوت الأوثان، وأظهر عبادتها هو وجميع أهل مملكته، وقتل شَعْيا النبي. قيل: نشره بالمنشار من رأسه إلى مخرجه. وقيل: قتله بالحجارة، وأحرقه بالنار(١).

والعجب كلُّه أنهم يصفون في بعض كتبهم بأن الله أوحى إليه مع ملك من الملائكة، وأن ملك بابل كان أسره وحمله إلى بلده، وأدخله في ثور نحاس، وأوقد النار تحته، فدعا الله، فأرسل إليه ملكاً، فأخرجه من الثور، وردَّه إلى بيت المقدس، وأنه تمادى مع ذلك كله على كفره حتى مات، وكانت ولايته خمساً وخمسين سنة(٢).

= آحاز يهوذا، وكان ابن خمس وعشرين سنة، وملك تسعاً وعشرين سنة... وعمل المستقيم في عيني الرب.

الملوك الثاني ١٨/ ٤ ـ ٧: هو أزال المرتفعات وكسر التماثيل، وقطع السواري، وسحق حيَّة النحاس التي عملها موسى، لأن بني إسرائيل كانوا إلى تلك الأيام يوقدون لها، ودَعَوْها نَحُشْتان ـ على الرب اتكل ـ وبعده لم يكن مثله في جميع ملوك يهوذا، ولا في الذين كانوا قبله، والتصق بالرب، ولم يحد عنه، بل حفظ وصاياه التي أمر بها موسى. وكان الرب معه، وحيثما كان يخرج كان ينجح. وعصى على ملك أشّور، ولم يتعبَّد له.

أخبار الأيام الثاني ٢٩/ ٣ ـ ٦: هو في السنة الأولى من ملكه، في الشهر الأول فتح أبواب بيت الربّ ورمَّمها وأدخل الكهنة واللاويين، وجمعهم إلى الساحة الشرقية وقال لهم: تقدَّسوا الآن، وقدِّسوا بيت الرب إله آبائكم، وأخرجوا النحاسة من القدس، لأن آباءنا خانوا وعملوا الشر في عيني الرب.

الملوك الثاني ٢٠/ ٢١ وأخبار الأيام الثاني ٣٢/ ٣٣: ثم اضطجع حزقيا مع آبائه، فدفنوه في عقبة قبور بني داود، وملك منسى ابنه عوضاً عنه.

(١) جاء في سفر الملوك الثاني ٢١/ ١ ـ ٧ وأخبار الأيام الثاني ٣٣/ ١ ـ ٧: كان منسَّى ابن اثنتي عشرة سنة حين ملك، وملك خمساً وخمسين سنة في أورشليم، وعمل الشر في عيني الربِّ حسب رجاسات الأمم الذين طردهم الرب من أمام بني إسرائيل، وعاد فبنى المرتفعات التي هدمها حزقيا أبوه، وأقام مذابح للبعليم، وعمل سواري، وسجد لكل جند السماء وعبدها، وبنى مذابح في بيت الرب، وعَبرَ بنيه في النار، وسحر واستخدم جاناً وتوابع، وأكثر عمل الشر في عيني الرب لإغاظته، ووضع تمثال السارية [الشِّكْل] الذي عمله في بيت الله.

الملوك الثاني ٢١/ ١٦: وسفك أيضاً دماً بريّاً كثيراً جداً حتى ملأ أورشليم من الجانب إلى الجانب، فضلاً عن خطيته التي بها جعل يهوذا يخطئ بعمل الشر في عيني الربّ.

(٢) جاء في أخبار الأيام الثاني ٣٣/ ٩ ـ ١٧: ولكن مَنَسَّى أضلَّ يهوذا وسكان أورشليم ليعملوا أشر من الأمم الذين طردهم الرب من أمام بني إسرائيل، وكلَّم الرب مَنَسَّى وشعبه فلم يصغوا، فجلب عليهم رؤساء الجند لملك أشور، فأخذوا منسَّى بخِزامةٍ وقيدوه بسلاسل =

فقولوا يا معشر السامعين، بلدٌ تُعْلَن فيه عبادة الأوثان، وتبنى هياكلها، ويقتل من وجد فيه من الأنبياء، كيف يجوز أن يبقى فيه كتاب الله سالماً؟ أم كيف يمكن هذا؟!

فلما مات مَنَسَّى ولي مكانه ابنه آمون بن مَنَسَّى، وهو ابن اثنين وعشرين عاماً، فكانت ولايته سنتين على الكفر وعبادة الأوثان إلى أن مات(١).

○ [مصير التابوت]:

وفي أيامه أخذ إرمياء النبي السرادق والتابوت والنار وأخفاها حيث لا يدري أحد، لعلمه بفَوت وذهاب أمرهم(٢).

= نحاس، وذهبوا به إلى بابل، ولما تضايق طلب وجه الرب إلٰهه، وتواضع جداً أمامه، وصلَّى إليه، فاستجاب له وسمع تضرعه، وردَّه إلى أورشليم، فعلم أن الرب هو الله... وأزال الآلهة الغريبة والأشباه من بيت الرب، وجميع المذابح التي بناها في جبل بيت الرب وفي أورشليم، ورمَّم مذبح الرب، وذبح عليه ذبائح سلامة وشكر، وأمر يهوذا أن يعبدوا الرب إلٰه إسرائيل، إلا أن الشعب كانوا بعد يذبحون على المرتفعات، إنما للرب إلٰههم.

الملوك الثاني ١٨/٢١ وأخبار الأيام الثاني ٢٠/٣٣: ثم اضطجع مع آبائه، ودفن في بستان بيته، وملك ابنه آمون عوضاً عنه.

(١) جاء في سفر الملوك الثاني ١٩/٢١ ـ ٢٦ وأخبار الأيام الثاني ٢١/٣٣ ـ ٢٤: كان آمون ابن اثنتين وعشرين سنة حين مَلَك، وملك سنتين في أورشليم، وعمل الشر في عيني الرب كما عمل أبوه، فعبد الأصنام، وذبح لجميع التماثيل، وترك الرب إلٰه آبائه، ولم يسلك في طريقه، ولم يتواضع أمامه كما تواضع أبوه، بل ازداد إثماً، وفتن عليه عبيده، فقتلوه في بيته، ودفن في قبره في بستان عُزّا، وقتل الشعب جميع الفاتنين، وملَّكوا ابنه يوشيَّا عوضاً عنه.

(٢) لم تتعرض الأسفار التاريخية لمصير التابوت وما فيه إبان تلك الاضطرابات قبل السبي وبعده بصورة خاصة، والظاهر أنه أُحرق مع الهيكل، أو نقل مع الآنية إلى المنفى فيما بعد ثم ضاع.

جاء في سفر الملوك الثاني ٨/٢٥ أن نبو زَرادان رئيسَ الشرط عَبْدَ ملكِ بابل جاء إلى أورشليم وأحرق بيت الرب، وبيت الملك وكل بيوت العظماء.

وفي أخبار الأيام الثاني ١٧/٣٦ ـ ١٩: فأصعد الرب عليهم ملك الكلدانيين فقتل مختاريهم بالسيف في بيت مقدسهم... وجمع آنية بيت الله الكبيرة والصغيرة وخزائن بيت الرب وخزائن الملك... وأحرقوا بيت الله، وهدموا سور أورشليم.

ويزعم كثير من أهل الكتاب أن إرمياء النبي، كان قد أخذه ووضعه في إحدى مغارات جبل نبو في موآب مقابل أريحا، فلم يستطع أحد أن يهتدي إلى مكانه حتى اليوم.

جاء في سفر إرمياء ١٦/٣: ويكون إذ تكثرون وتثمرون في الأرض في تلك الأيام يقول =

○ [التوراة إبان حكم يوشيا]:

فولي مكانه ابنه يوشيًّا بن آمون، وهو ابن ثمان سنين، ففي السنة الثالثة من ملكه أعلن الإيمان، وكسر الصُّلبان[1] وأحرقها، واستأصل هياكلها، وقتل خُدَّامها، ولم يزل على الإيمان إلى أن قتل، قتله ملك مصر[2].

= الرب: إنهم لا يقولون بعد تابوت عهد الرب ولا يخطر على بال، ولا يذكرونه ولا يتعهدونه، ولا يصنع بعد.

وفي سفر المكابيين الثاني ٢/١ ـ ٨: قد جاء في السجلات أن إرمياء النبي أمر أهل الجلاء أن يأخذوا النار كما ذُكر. . . وأوصاهم ألَّا ينسوا وصايا الرب، وحرصهم ألا يزيلوا الشريعة من قلوبهم. وجاء في هذه الكتابة أن النبي بمقتضى وحي صار إليه، أمر أن يذهب معه بالمسكن والتابوت حتى يصل إلى الجبل الذي صعد عليه موسى ورأى ميراث الله، ولما وصل إرمياء وجد كهفاً، فأدخل إليه المسكن والتابوت ومذبح البخور، ثم سدَّ الباب، فأقبل بعض من كانوا معه ليسموا الطريق فلم يستطيعوا أن يجدوه، فلما أُعلم إرمياء بذلك لامهم وقال: هذا الموضع سيبقى مجهولاً إلى أن يجمع الله شمل الشعب ويرحمهم، وحينئذ يُبرز الرب هذه الأشياء، ويبدو مجد الرب والغمام كما ظهر في أيام موسى، وحين سأل سليمان أن يقدس الموضع تقديساً بهياً.

ومن المعلوم أن سفري المكابيين لا يعترف بهما اليهود ولا البروتستانت من النصارى، ويردوهما، خلافاً للكاثوليك والأرثوذكس. ولم يسمِّ السفر تلك السجلات، فلا يعدو الأمر أن يكون من وضع الوضاعين ليريحوا صدور العامة، ويقطعوا تساءلهم.

[1] الصلبان: جمع صليب، أصله الخَشَب الذي يصلب عليه. ويطلق على العَلَم، كقوله: لديَّ صليب على الزوراء منصوب، أي علم. والمراد هنا معالم الوثنية [مفردات الراغب، المنجد].

[2] جاء في سفر الملوك الثاني ٢٢/١ ـ ٢ وأخبار الأيام الثاني ٣٤/١ ـ ٢: كان يوشيا ابن ثمان سنين حين ملك، وملك إحدى وثلاثين سنة في أورشليم، وعمل المستقيم في عيني الرب، وسار في طريق داود أبيه، ولم يحد يميناً ولا شمالاً.

الملوك الثاني ٢٣/٢٩ ـ ٣٠: وفي أيامه صعِد فرعون نَخُوَ ملكُ مصر على أشور إلى نهر الفرات، فصعد يوشيا للقائه، فقتله في مَجدّو حين رآه، وأركبه عبيده ميتاً من مجدو، وجاؤوا به إلى أورشليم، ودفنوه في قبره.

وفي أخبار الأيام الثاني ٣٥/ ٢٠ ـ ٢٥: بعد أن هيأ يوشيا البيت صعد ملك مصر إلى كَرْكَميش ليحارب عند الفرات، فخرج يوشيا للقائه. . . وجاء إلى بقعة مَجدّو، وأصاب الرماة يوشيا، فقال لعبيده: انقلوني، فنقلوه إلى المركبة الثانية، وساروا به إلى أورشليم، فمات ودفن في قبور آبائه. ورثى إرميا يوشيا.

والفرق واضح بين السفرين في أسباب موته ووقته. ففي سفر الملوك أن ملك مصر قتله حين رآه، فأركبه عبيده العربة ميتاً. وفي أخبار الأيام أصابه الرماة، فأمر عبيده بنقله، فنقلوه إلى العربة الثانية وهو حي، وساروا به إلى أورشليم ولم يمت بعد، ثم مات على ما يظهر في أورشليم. =

....

= **ادعاء العثور على التوراة:**

كان يوشيا فتى طيباً، فاتجه إلى نشر الإيمان وهدم رسوم الكفر، فشرع في ترميم الهيكل، واعتمد الكاهن حَلقيا والد النبي إرمياء، وبحث عن التوراة، ولكن دون جدوى، وفي السنة الثانية عشرة من حكمه طهَّر أورشليم وسائر مملكة يهوذا من الأصنام ومذابحها. وكان في غاية الاجتهاد لاتِّباع التوراة، غير أنها لم يكن لها ذكر خلال سبع عشرة سنة من حكمه.

وحدثت المفاجأة في السنة الثامنة عشرة من حكمه، حيث ادَّعى الكاهن حلقيا أنه وجد سفر شريعة الرب بيد موسى في بيت الرب. فلنستمع إلى السفرين يبينان لنا كيف تمَّ العثور عليها.

جاء في سفر أخبار الأيام الثاني ٣/٣٤ ـ ٤: وفي السنة الثامنة من ملكه ابتدأ يطلب إلٰه داود أبيه.

وفي السنة الثانية عشرة ابتدأ يطهِّر يهوذا وأورشليم من المرتفعات والسواري والتماثيل والمسبوكات، وهدموا أمامه مذابح البعليم.

وجاء في سفر الملوك الثاني ٣/٢٢ ـ ٥: وفي السنة الثامنة عشرة للملك يوشيا أرسل شافان بن أَصَلْيا الكاتب إلى بيت الرب قائلاً: اصعد إلى حِلْقيَّا الكاهن العظيم، فيحسب الفضة المدخلة إلى بيت الرب، التي جمعها حارسو الباب من الشعب، فيدفعوها إلى عاملي الشغل الموكلين ببيت الرب لترميمه.

٨/٢٢ ـ ١٤: فقال حلقيا الكاهن لشافان الكاتب: قد وجدت سفر الشريعة في بيت الرب. وسلَّمه له فقرأه. وجاء شافان إلى الملك، وأخبره بذلك وقرأه أمامه. فلما سمع الملك كلام السفر مزَّق ثيابه خوفاً من غضب الرب؛ لأن الآباء لم يسمعوا لكلام هذا السِّفْر، ليعملوا بكل ما هو مكتوب عليهم.

٢١/٢٣ ـ ٢٣: وأمر الملك جميع الشعب قائلاً: اعملوا فُصْحاً للرب إلٰهكم كما هو مكتوب في سِفْر هذا العهد. إنه لم يعمل مثل هذا الفصح منذ أيام القضاة الذين حكموا على إسرائيل، ولا في كل أيام ملوك إسرائيل وملوك يهوذا، ولكن في السنة الثامنة عشرة للملك يوشيا عمل هذا الفصح للرب في أورشليم.

٢٥/٢٣: ولم يكن قبله ملك مثله قد رجع إلى الرب بكل قلبه وكل نفسه وكل قوته حسب كل شريعة موسى، وبعده لم يقم مثله.

وفي سفر أخبار الأيام الثاني ٨/٣٤ ـ ١٠: وفي السنة الثامنة عشرة من ملكه، بعد أن طهَّر الأرض والبيت، أرسل شافان بن أَصَلْيا ومَعَسِيا رئيس المدينة ويوآخ بن يوآحاز المسجل، لأجل ترميم بيت الرب، فجاؤوا إلى حلقيا الكاهن العظيم، وأعطوه الفضة المدخلة إلى بيت الله، التي جمعها اللَّاويون حارسو الباب، ودفعوها إلى عاملي الشغل الموكلين في بيت الرب، لأجل إصلاحه وترميمه.

١٤/٣٤ ـ ٢٠: وعند إخراجهم الفضَّة المدخلة إلى بيت الرب وجد حلقيا الكاهن سفر شريعة الرب بيد موسى، فسلَّمه إلى شافان، فجاء به إلى الملك، وقرأ فيه أمامه، فلما سمع الملك كلام الشريعة مزَّق ثيابه. =

○ [التوراة بعد يوشيا]:

ثم ولي بعده ابنه يهوياحوز بن يوشيا، وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، فأعلن الكفر، وردَّ عبادة الأوثان، وأخذ التوراة من الكاهن الهاروني، ونشر منها أسماء الله حيث وجدها. وكانت ولايته ثلاثة أشهر، وأسره ملك مصر[1].

فولي مكانه يهوياقيم بن يوشيا أخوه، وهو ابن خمس وعشرين سنة، فأعلن الكفر، وبنى بيوت الأوثان هو وجميع أهل مملكته، وقطع الدين جملة، وأخذ

= ١/٣٥ ـ ٦: وعمل يوشيا في أورشليم فُصْحاً للرب، وأقام الكهنة على حراساتهم، وشدَّدهم لخدمة الرب.

وقال للّاويين: اجعلوا تابوت القدس في البيت الذي بناه سليمان، ليس لكم أن تحملوا على الأكتاف، الآن اخدموا الرب إلٰهكم وشعب إسرائيل، واذبحوا الفصح وتقدسوا وأعدُّوا إخوتكم ليعملوا حسب كلام الرب.

١٧/٣٥ ـ ١٩: وعمل بنو إسرائيل الفصل في ذلك الوقت وعيد الفطير سبعة أيام، ولم يُعمل فُصْح مثله من أيام صموئيل النبي.

تحليل الباحثين لهذا الادعاء:

لا يقبل الباحثون قول حلقيا، ولا يعوِّلون على نسخته وادعائه؛ لأن البيت نهب مرتين قبل عهد آحاز، ثم جعل بيتاً للأصنام، وكان سدنة الأصنام يدخلونه كل يوم. وفي عهد يوشيا كان الكهنة يدخلونه كل يوم مدة سبعة عشر عاماً، في أثناء الترميم وبعده، فلا يعقل أن تكون نسخة التوراة في البيت ولا يراها أحد خلال تلك المدة الطويلة رغم النهب والبحث. ويرى الباحثون أن حلقيا وغيره من الكهنة، لما رأوا توجُّهَ يوشيا والعظماء إلى الدين والعمل بالتوراة، انتهزوا هذه الفرصة للوقوف في وجه ارتداد اليهود، فجمعوا هذه النسخة خلال تلك المدة من الروايات اللسانية التي وصلت إليهم من أفواه الناس دون تحرٍّ، وأضافوا إلى ذلك ما يوافق رغبات اليهود وأهواءهم من عقيدة وتاريخ وغير ذلك، فنسبوها إلى موسى ﷺ ولما انتهوا من إعدادها وكتابتها سلَّمها حلقيا لشوفان مُدَّعياً أنه عثر عليها.

قال العلامة رحمة الله الهندي في إظهار الحق ٣٢٦/١: ومثل هذا الافتراء لترويج الملَّة وإشاعة ما يرونه حقاً كان من المستحبات الدينية عند متأخري اليهود وقدماء النصارى. [وانظر اليهودية لأحمد شلبي ص٢٥٩].

[1] جاء في سفر الملوك الثاني ٣١/٢٣ ـ ٣٤ وأخبار الأيام الثاني ١/٣٦ ـ ٤: وأخذ الشعب يهوآحاز بن يوشيا، وملكوه عوضاً عن أبيه في أورشليم، وكان ابن ثلاث وعشرين سنة، وملك ثلاثة أشهر، فعمل الشر في عيني الرب، وأسره فرعون في أرض حماة، وعزله لئلا يملك في أورشليم، وملك أخاه ألياقيم بن يوشيا على يهوذا وأورشليم، وغَيَّر اسمه إلى يهوياقيم، وأخذ يهوآحاز إلى مصر، فمات هناك.

التوراة من الهاروني، فأحرقها بالنار، وقطع أثرها. وكانت ولايته إحدى عشرة سنة، ومات[1].

فولي مكانه ابنه يهوياكين بن يهوياقيم، وتلقب بنخيا، وهو ابن ثماني عشرة سنة، فأقام على الكفر، وأعلن عبادة الأوثان، وكانت ولايته ثلاثة أشهر، وأسره بختنصر[2].

---

[1] الملوك الثاني ٣٦/٢٣ ـ ٣٧ وأخبار الأيام الثاني ٥/٣٦: كان يهوياقيم ابن خمس وعشرين سنة حين ملك، وملك إحدى عشرة سنة، وعمل الشر في عيني الرب.

الملوك الثاني ١/٢٤ ـ ٤: وفي أيامه صعد نبوخذنصَّر ملك بابل، فكان يهوياقيم له عبداً ثلاث سنين، ثم عاد فتمرد عليه، فأرسل الرب عليه غزاةَ الكلدانيين والآراميين والموآبيين وبني عمون إلى يهوذا ليبيدها حسب كلام الرب الذي تكلم به عن يد الأنبياء، لينزعهم من أمامه، لأجل خطايا منسى حسب كل ما عمل، وكذلك لأجل الدم البريء الذي سفكه، لأنه ملأ أورشليم دماً بريئاً، ولم يشأ الرب أن يغفر.

٦/٢٤: ثم اضطجع مع آبائه وملك يهوياكين ابنه عوضاً عنه.

وفي أخبار الأيام الثاني ٦/٣٦ ـ ٨: صعد عليه نبوخذنصّر ملك بابل، وقيَّده بسلاسل من نحاس، ليذهب به إلى بابل، وأتى نبوخذنصَّر ببعض آنية بيت الرب إلى بابل، وجعلها في هيكله، وملك يهوياكين ابنه عوضاً عنه.

[2] جاء في الملوك الثاني ٨/٢٤ ـ ٩: كان يهوياكين ابن ثماني عشرة سنة حين ملك، وملك ثلاثة أشهر في أورشليم، وعمل الشر في عيني الرب حسب كل ما عمل أبوه.

وفي أخبار الأيام الثاني ٩/٣٦: كان يهوياكين ابن ثماني سنين حين ملك، وملك ثلاثة أشهر وعشرة أيام في أورشليم، وعمل الشر في عيني الرب.

وعند الكاثوليك: وكان يهوياكين ابن ثماني عشرة سنة حين ملك، وملك ثلاثة أشهر وعشرة أيام بأورشليم، وصنع الشر في عيني الرب.

وإنك لتلحظ الاختلاف بين الأسفار في عمر يهوياكين، ففي الملوك عند البروتستانت والكاثوليك جعل الكاتب عمره ثماني عشرة سنة. وكذلك في سفر أخبار الأيام عند الكاثوليك، لكنه عند البروتستانت ثماني سنين. فالفرق عشر سنين.

ووقع اختلاف آخر في مدة ملكه، ففي سفر الملوك عند البروتستانت والكاثوليك ملك ثلاثة أشهر، وفي سفر أخبار الأيام عندهما، ملك ثلاثة أشهر وعشرة أيام، فالفرق عشرة أيام.

الملوك الثاني ١٠/٢٤ ـ ١٧: في ذلك الزمان صعِد عبيد نبوخذنصَّر ملك بابل إلى أورشليم وحاصروها، ثم جاء هو إلى المدينة، فخرج يهوياكين مع أمه وعبيده ورؤساء جيشه، فأخذه ملك بابل، وأخرج من هناك جميع خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك، وكسر كل آنية الذهب التي عملها سليمان في هيكل الرب، وسبى كل أورشليم، وكل الرؤساء وجميع جبابرة البأس، عشرة آلاف مسبي، وجميع الصناع والأقيان وجميع الأبطال، سباهم إلى بابل، =

○ [سقوط مملكة يهوذا وهدم البيت والسبي]:

فولي مكانه عمه متنيا بن يوشيا، وتلقب صدقيا، وهو ابن إحدى وعشرين سنة، فثبت على الكفر، وأعلن عبادة الأوثان هو وجميع أهل مملكته، وكانت ولايته إحدى عشرة سنة، وأسره بختنصر، وهدم البيت والمدينة، واستأصل جميع بني إسرائيل، وأخلَى البلد منهم، وحملهم مَسْبيِّين إلى بلاد بابل، وهو آخر ملوك بني إسرائيل وبني سليمان جملة[1].

= لم يبق إلا مساكين الشعب، وملك مَتَّنِيَّا عمه عوضاً عنه، وغير اسمه إلى صِدْقِيَّا.

أخبار الأيام الثاني ٣٦/ ١٠: وعند رجوع السنة أرسل الملك نبوخذنصَّر، فأتي به إلى بابل مع آنية بيت الرب الثمينة، وملك صِدْقِيَّا أخاه على يهوذا وأورشليم.

(١) جاء في سفر الملوك الثاني ٢٤/ ١٨ ـ ٢٠ وأخبار الأيام الثاني ٣٦/ ١١ ـ ١٢: كان صِدْقِيَّا ابن إحدى وعشرين سنة حين ملك، وملك إحدى عشرة سنة في أورشليم، وعمل الشر في عيني الرب، وتمرد على ملك بابل.

أخبار الأيام الثاني ٣٦/ ١٢ ـ ٢٠: وعمل الشر في عيني الرب إلٰهه، ولم يتواضع أمام إرمياء النبي... حتى إن جميع رؤساء الكهنة والشعب أكثروا الخيانة حسب كل رجاسات الأمم، ونجَّسوا بيت الرب. فأرسل الرب إليهم عن يد رسله، لأنه شفِق على شعبه وعلى مسكنه، فكانوا يهزؤون برسل الله، ورَذَلوا كلامه، وتهاونوا بأنبيائه، حتى ثار غضب الله على شعبه، فأصعد عليهم ملك الكلدانيين، فقتل مختاريهم بالسيف في بيت مقدسهم، ولم يشفق على فتى أو عذراء، ولا على شيخ أو أشيب، بل دفع الجميع ليده. وجميع آنية بيت الله الكبيرة والصغيرة وخزائن بيت الرب وخزائن الملك ورؤسائه أتى بها جميعاً إلى بابل، وأحرقوا بيت الله، وهدموا سور أورشليم، وأحرقوا جميع قصورها، وسبى الذين بقوا من السيف إلى بابل، فكانوا له ولبنيه عبيداً إلى أن ملكت مملكة فارس.

وفي الملوك الثاني ٢٥/ ١ ـ ٧: وفي السنة التاسعة لملكه في الشهر العاشر، جاء نبوخذنصَّر وجيشه على أورشليم، وبنوا حولها أبراجاً، ودخلت المدينة تحت الحصار إلى السنة الحادية عشرة للملك صدقيا، في تاسع الشهر اشتد الجوع في المدينة، فثُغِرت المدينة، وهرب جميع رجال القتال ليلاً من طريق الباب بين السورين، فتعقبتهم جيوش الكلدانيين، فأدركوا الملك في برية أريحا، وتفرقت جيوشه عنه، فأخذوه إلى ملك بابل في رَبْلَة، وطلبوا منه القضاء عليه، وقتلوا بنيه أمام عينيه، وقلعوا عينيه، وقيدوه بسلسلتين من نحاس، وجاؤوا به إلى بابل.

٢٥/ ٨ ـ ١٣: في الشهر الخامس، في سابع الشهر، وهي السنة التاسعة عشرة للملك نبوخذنصَّر، جاء نَبُوزَرَدان رئيس الشرط عبد ملك بابل إلى أورشليم، وأحرق بيت الرب وبيت الملك وكل بيوت أورشليم، وسبى بقية الشعب، وأبقى مساكين الأرض كرامين وفلاحين، وأعمدة النحاس التي في بيت الرب والقواعد وبحر النحاس كسرها الكلدانيون، وحملوا نحاسها إلى بابل. =

○ [خلاصة ما حل بالتوراة إبان مملكة يهوذا]:

فهذه كانت صفة ملوك بني سليمان بن داود عليه السلام فاعلموا الآن أن التوراة لم تكن من أول دولتهم إلى انقضائها إلا عند الهاروني الكوهن الأكبر وحده في الهيكل فقط.

وظهر يقيناً أن بني يهوذا وبني بنيامين كانت مدة ملكهم بعد موت سليمان عليه السلام أربعمئة سنة غير أعوام، على اختلاف من كتبهم في ذلك بضعة عشر عاماً، وقد قلنا: إنها كتب مدخولة فاسدة[1].

ملك هذين السبطين في هذه المدة من بني سليمان بن داود عليه السلام تسعة عشر رجلاً، ومن غيرهم امرأة، تمُّوا بها عشرين ملكاً، وقد سميناهم كلهم آنفاً. كانوا كفاراً معلنين عبادة الأصنام، حاش خمسة منهم فقط كانوا مؤمنين ولا مزيد، وهم آشا بن أبيا، ولي إحدى وأربعين سنة، وابنه يهوشافاط بن آشا، ولي خمساً وعشرين سنة، فهذه ست وستون سنة، اتصل فيها الدين ظاهراً بعد ثلاث وعشرين سنة اتصل فيها الكفر ظاهراً وعبادة الأوثان، ثم ثمانية أعوام ليورام بن يهوشافاط، لم نجد له حقيقة دين، فحملناه على الإيمان لسبب أبيه، ثم اتصل الكفر ظاهراً وعبادة الأوثان في ملوكهم وعامتهم مئة وستين عاماً، مع كفر سائر أسباطهم، فعمَّهم الكفر وعبادة الأوثان في أولهم وآخرهم، فأي كتاب وأي دين

= ٢٥/١٨ ـ ٢٢: وأخذ رئيسُ الشرطِ سرايا الكاهنَ الرئيسَ وصفنيا الكاهن الثاني وحارسي الباب الثلاثة، وسار بهم إلى ملك بابل في رَبْلَةَ في أرض حماة فقتلهم، وأما الشعب الذي بقي في أرض يهوذا فوكل بهم جَدَليان بن أخِيقام بن شافان.

٢٥/٢٣ ـ ٢٨: ولما سمع رؤساء الجيوش ورجالهم أن ملك بابل وَكَّل جدليا أتَوا إليه إلى المصفاة، فطلب منهم الخضوع لملك الكلدانيين، فيكون لهم خيراً. وفي الشهر السابع جاء إسماعيل بن نَثَنْيا ابن أَلِيشَعَ من النسل الملكي، ومعه عشرة رجال، فقتلوا جدليا، وضربوا اليهود والكلدانيين الذين معه في المصفاة، فخاف الشعب من الكلدانيين، وهربوا إلى مصر. وفي السنة السابعة والثلاثين لسبي يهوياكين ملك يهوذا، رفع أوِيلُ مَرُودَخ ملك بابل في سنة تملكه رأس يهوياكين ملك يهوذا من السجن، وأكرمه في مجلسه مع الملوك الذين معه في بابل.

[1] اختلفت المصادر في تحديد مدة حكم سليمان عليه السلام فدائرة المعارف البريطانية تذكر أنها بين عامي ٩٦١ ـ ٩٢٢ق.م، ومصادر أخرى تحددها بين عامي ٩٦٣ ـ ٩٢٣ق.م، وبعضها تذكر أن وفاته كانت سنة ٩١٠ق.م، وبعض آخر يذكر أنها كانت سنة ٩٠٠ق.م. أما نهاية دولة يهوذا، فكانت سنة ٥٨٧ق.م تقريباً. [المدخل لدراسة التوراة ١/٨٦ ـ ٩٧].

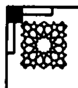
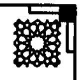
يبقى مع هذا؟ ثم ولي حزقيا المؤمن تسعاً وعشرين سنة، ثم اتصل الكفر بعده في عامتهم وملوكهم وعبادة الأوثان سبعاً وخمسين سنة، ثم ولي يوشيا المؤمن الفاضل إحدى وثلاثين سنة، لم يَلِ بعده إلا كافر مُعْلِنٌ عبادة الأوثان مدة اثنين وعشرين عاماً وستة أشهر، منهم من نشر أسماء الله من التوراة، ومنهم من أحرقها وقطع أثرها، ولم نجد بعد هؤلاء من ظهر فيهم إلا الكفر وقتل الأنبياء إلى أن انقطع أمرهم جملة بغارة بختنصر وسبوا كلهم، وهدم البيت، واستؤصل أثره، هذا إلى غارات كانت على مدينة بيت المقدس وهيكلها الذي لم تكن التوراة عند أحد إلا فيه، لم يترك فيها شيء، مرة أغار عليها صاحب مصر أيام رَحَبْعام بن سليمان، ومرتين في أيام أمصياهو الملك من قبل صاحب العشرة أسباط[1].

***

[1] تبين مما تقدم أنه تولّى حكم دولة يهوذا بعد موت سليمان عليه السلام عشرون ملكاً لمدة تقارب (٣٩٦) عاماً على ما ذكره ابن حزم رحمه الله كان المرتدون أكثر من المؤمنين، وقد عم الكفر بين الناس، وتعرضت أورشليم وبيت الرب للسلب مرتين: مرة في زمن رحبعام بن سليمان حيث اقتحمها ملك مصر، وأخرى في زمن أمصيا حيث اقتحمها ملك إسرائيل المرتد يوآش، ونهب كلٌّ منهما أثاث بيت الله وبيت الملك، وفي عهد آحاز بنيت المذابح للبعل في كل ناحية من أورشليم، ثم اشتد الكفر في عهد مَنَسَّى بن حزقيا، فقد اشتهر بالجرأة على الحق، حتى إنه بنى مذبحاً للأصنام في فِناء بيت المقدس، ووضع وثنه الخاص في البيت المقدس، فغدا أكثر الناس وثنيين في عهده وعهد ولده آمون، وضاعت التوراة.

أما النسخة التي زعم الكاهن أنه وجدها وسلَّمها للملك يوشيا، فلا يعوَّل عليها، لأن سندها كان منقطعاً قبل حكم يوشيا، ومع ذلك لم يعمل بها إلا ثلاثة عشر عاماً مدة حياته، ولم تعرف حالها بعد ذلك، والظاهر أنها ضاعت أيضاً خلال الكفر وعبادة الأصنام بعد يوشيا، فما لبث ابنه أن ارتد بعد موته، ثم استمر الكفر والارتداد وقتل الأنبياء وإحراق الكتب وملاحقة الصالحين، فعمَّت البلوى، وتوالت النكبات على اليهود، حتى إن ملك بابل اجتاح المملكة عدة مرات بسبب ما يلقاه من غدر وتمرد ونقض للعهود، وكان في كل مرة يدخل أورشليم فيقتل ويأسر ويأخذ مما في البيت، إلى أن هاجمها عام ٥٨٦ ـ ٥٨٧ق.م، فدكَّ أسوارها وهدم الهيكل وأحرقه، وساق أهلها مقيَّدين بالسلاسل مع آخر ملوكهم صدقيا، ولم يبقَ فيها سوى أفقر الفقراء مع الزمنى والشيوخ.

وهذا هو التدمير الأول للمعبد. وفي هذه الحادثة انعدمت التوراة وسائر كتبهم قطعاً، وأصبحت نسياً منسياً، لأن ملك بابل قتل الهارونيين على دم واحد، وكانوا وحدهم يعرفون التوراة.

الفرع الرابع

التوراة في مملكة إسرائيل

* * * * *

ملوك الأسباط العشرة

أما ملوك الأسباط العشرة، فلم يكن فيهم مؤمن قط، ولا واحد فما فوقه، بل كانوا كلُّهم معلنين عبادة الأوثان مخيفين للأنبياء، مانعين القصد إلى بيت المقدس، لم يكن فيهم نبي قط إلا مقتولاً أو هارباً.

○ [يربعام يعبد عجلين ويمنع الذهاب إلى أورشليم]:

فأول ملوك الأسباط العشرة يربعام بن ناباط الأفرايمي، وليهم إثر موت سليمان النبي عليه السلام، فعمل من حينه عجلين من ذهب وقال: هذان إلٰهاكم اللذان خلَّصاكم من مصر، وبنى لهما هيكلين، وجعل لهما سدنة من غير بني لاوي، وعبدهما هو وجميع أهل مملكته، ومَنَعهم من المسير إلى بيت المقدس، وهو كان شريعتهم، لا شريعة لهم غير القصد إليه والقربان فيه. فملك أربعاً وعشرين سنة، ثم مات[1].

---

[1] جاء في سفر الملوك الأول ١٢/٢٥ ـ ٣٣: وبنى يربعام شكيم في جبل أفرايم، وسكن بها، ثم خرج من هناك وبنى فَنُوئيل، لئلا يُقرِّب الشعبُ ذبائحهم في بيت الرب في أورشليم، ثم عمل عجلي ذهب وقال: كثير عليكم أن تصعدوا إلى أورشليم، هوذا آلهتك يا إسرائيل الذين أصعدوك من مصر. ووضع واحداً في بيت إيل وجعل الآخر في دان، وبنى المرتفعات، وصَيَّر كهنة من أطراف الشعب، ليسوا من بني لاوي، وعمل عيداً في الشهر الثامن في اليوم الخامس عشر الذي ابتدعه من قلبه كالعيد الذي في يهوذا، وأصعد على المذبح، وهكذا فعل في بيت إيل بذبحه للعجلين، وأوقف في بيت إيل كهنة المرتفعات التي عملها.

هجرة الكهنة اللاويين إلى أورشليم:

جاء في أخبار الأيام الثاني ١١/١٣ ـ ١٧: والكهنة اللاويون الذين في كل إسرائيل مثلوا =

○ [استمرار الكفر إبان حكم ناداب بن يربعام وبعده]:

وولي ابنه ناداب بن يربعام على الكفر المعلن سنتين، ثم قتل هو وجميع أهل بيته(١).

وولي بَعْشا بن أخِيا من بني يساخر على عبادة الأوثان علانية أربعاً وعشرين سنة(٢).

وولي ولده إيلا بن بعشا على الكفر وعبادة الأوثان سنتين، إلى أن قام عليه رجل من قواده، اسمه زِمْري، فقتله وجميع أهل بيته(٣).

= بين يدي رحبعام بن سليمان من جميع تخومهم، فقد تركوا مسارحهم وأملاكهم وانطلقوا إلى يهوذا وأورشليم، لأن يربعام وبنيه رفضوهم من أن يكهنوا للرب، وأقام لنفسه كهنة للمرتفعات وللتيوس والعجول التي عمل، وبعدهم جاء إلى أورشليم من جميع أسباط إسرائيل الذين وجهوا قلوبهم إلى طلب الرب، ليذبحوا له، وشددوا مملكة يهوذا، وقوَّوا رحبعام ثلاث سنين، لأنهم ساروا في طريق داود وسليمان ثلاث سنين.

وفي ١٣/ ٨ ـ ٩ أن أبيا بن رحبعام قال لعشرة الأسباط عندما اصطف الجيشان للحرب: «اسمعوني يا يربعام وكل إسرائيل، معكم عجول ذهب قد عملها يربعام لكم آلهة، أما طردتم كهنة الرب بني هارون، وعملتم لأنفسكم كهنة كشعوب الأراضي؟ كل من أتى ليملأ يده بثور وسبعة كباش صار كاهناً لمن ليسوا آلهة».

تنبيه: ذكر ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يربعام ملك أربعاً وعشرين سنة، وفي سفر الملوك الأول ١٤/ ٢٠: «والزمان الذي ملك فيه يربعام هو اثنتان وعشرون سنة، ثم اضطجع مع آبائه، وملك ناداب ابنه عوضاً عنه». وفي أخبار الأيام الثاني ١٣/ ٢٠: «ولم يقوَ يربعام بعدُ ـ أي بعد هزيمته ـ فضربه الرب ومات».

(١) جاء في سفر الملوك الأول ١٥/ ٢٥ ـ ٢٩: وملك ناداب بن يربعام على إسرائيل سنتين، وعمل الشر في عيني الرب، وسار في طريق أبيه وخطيته التي جعل بها إسرائيل يخطئ. وفتن عليه بَعْشا بن أَخِيّا من بيت يسَّاكر، وضربه في جِبَّثُون التي كانت محاصرة، وأماته وملك عوضاً عنه، ولما ملك ضرب كل بيت يربعام حتى أفناهم.

(٢) جاء في سفر الملوك الأول ١٥/ ٣٣ ـ ٣٤: ملك بَعْشا بن أخِيا على جميع إسرائيل أربعاً وعشرين سنة، وعمل الشر في عيني الرب، وسار في طريق يربعام وخطيته.

أخبار الأيام الثاني ١٦/ ١: صعِد بعشا ملك إسرائيل على يهوذا، وبنى الرامة كيلا يدع أحداً يخرج أو يدخل إلى آسا ملك يهوذا.

الملوك الأول ١٦/ ٦: واضطجع بعشا مع آبائه، ودفن في تِرْصة، وملك أَيْلة ابنه عوضاً عنه.

(٣) جاء في سفر الملوك الأول ١٦/ ٨ ـ ١٢: ملك أيلة بن بعشا على إسرائيل في تِرصة سنتين، ففتن عليه عبده زِمْري رئيس نصف المركبات، فدخل عليه وهو يسكر فقتله وملك عوضاً عنه، ثم ضرب كل بيت بعشا وأفناهم.

وولي زمري سبعة أيام، فقتل وأحرق عليه داره[1].

○ [التنازع على الملك بين عمري وتبني]:

وافترق أمرهم على رجلين: أحدهما يُسمّى تِبْني بن جِينة، والآخر عُمري، فبقيا كذلك اثني عشر عاماً، ثم مات تبني، وانفرد بملكهم عمري، فبقي كذلك ثمانية أعوام على الكفر وعبادة الأوثان إلى أن مات[2].

○ [اشتداد الكفر إبان حكم أخآب بن عمري ومطاردة النبي إلياس]:

وولي بعده ابنه أخآب بن عمري على أشد ما يكون من الكفر وعبادة الأوثان إحدى وعشرين سنة، وفي أيامه كان إلياس النبي ﷺ هارباً في الفلوات، وعنِ امرأته بنت ملك صيدا، وهما يطلبانه للقتل[3].

---

[1] جاء في الملوك الأول ١٦/ ١٥ ـ ١٨: ملك زِمْري سبعة أيام في تِرْصة، وسمع الشعب بذلك، فَملّكَ كلُّ إسرائيل عُمري رئيس الجيش على إسرائيل في ذلك اليوم في المحلة، وصعِد عمري وكل إسرائيل معه، وحاصروا تِرصة، ولما رأى زمري أن المدينة قد أخذت، دخل قصر الملك، وأحرقه على نفسه فمات.

[2] جاء في سفر الملوك الأول ١٦/ ٢١ ـ ٢٥: حينئذ انقسم شعب إسرائيل نصفين، نصفه كان وراء تِبني بن جينة لتمليكه، ونصفه وراء عمري. وقوي الشعب الذي وراء عمري على الذي وراء تبني. فمات وملك عمري. ملك على إسرائيل اثنتي عشرة سنة، ملك في تِرصة ست سنين، واشترى جبل السامرة من شامِر بوزنتين من الفضة وبنى عليه، ودعا المدينة التي بناها باسم شامر صاحب الجبل: (السامرة)، وعمل الشر في عيني الرب، وأساء أكثر من جميع الذين قبله.

١٦/ ٢٨: واضطجع عمري مع آبائه، ودفن في السامرة، وملك أخآب ابنه عوضاً عنه.

[3] جاء في سفر الملوك الأول ١٦/ ٢٩ ـ ٣٢: وأخآب بن عمري ملك على إسرائيل في السامرة اثنتين وعشرين سنة، وعمل الشر في عيني الرب أكثر من جميع الذين قبله، واتخذ إيزابَل ابنة أَثْبَعَل ملكِ الصيدونيين امرأة، وعبد العجل وسجد له، وأقام مذبحاً للبعل في بيت البعل الذي بناه في السامرة.

١٧/ ١ ـ ٩: وقال إيليَّا التِّشْبي من مستوطني جِلعاد لأخآب: حي هو الرب إله إسرائيل الذي وقفت أمامه، إنه لا يكون طل ولا مطر في هذه السنين إلا عند قولي. وقال له الرب: انطلق واتجه نحو المشرق، واختبئ عند نهر كَريثَ الذي هو مقابل الأردن، وقد أمرت الغربان أن تعولك هناك. فانطلق، وكانت الغربان تأتي إليه بخبز ولحم صباحاً ومساء، وكان يشرب من النهر. وييبس النهر بعد مدة بسبب انعدام المطر، فأمره الرب أن يذهب إلى صِرْفة التي لصيدون، ويقيم عند امرأة أرملة أمرها الرب أن تعوله.

١٨/ ١ ـ ٤٦: وبعد أيام كثيرة قال الرب لإيليا: اذهب وتراء لأخآب، فأعطي مطراً على =

○ [استمرار الكفر إبَّان حكم ابنَيْ أخآب]:

وولي ابنه أخزيا بن أخآب على الكفر وعبادة الأصنام سنتين، ثم مات[1].

= وجه الأرض، وكان الجوع شديداً في السامرة. فدعا أخآب عُوبَدْيا الذي على البيت، وكان يخشى الرب جداً. وكان عندما قطعت إيزابَل أنبياء الرب أن عوبديا أخذ مئة نبي وخبأهم وعالهم بخبز وماء. وطلب أخآب من عوبديا أن يذهب إلى جميع العيون والأودية، ويفتش عن العشب للبهائم. وقسما الأرض بينهما ليعبرا بها، فذهب كل منهما في طريق. وفيما كان عوبديا في الطريق إذا بإيليا، فعرفه وخرَّ على وجهه، فقال له إيليا: قل لسيدك: هوذا إيليا. . . فإني اليوم أتراءى له. فذهب عوبديا وأخبر أخآب، فسار للقائه، ولما رآه قال له: أنت هو مكدر إسرائيل. فقال إيليا: بل أنت وبيت أبيك كدرتم إسرائيل بترككم وصايا الرب، وبسيرك وراء البعليم، فالآن اجمع لي كل إسرائيل إلى جبل الكرمَل، وجميع أنبياء البعل وأنبياء السواري الذين يأكلون على مائدة إيزابل ـ وكان عدد الجميع (٨٥٠) ـ ففعل. ثم قال إيليا للشعب: أنا بقيت نبياً للرب وحدي، وأنبياء البعل (٤٥٠)، فليعطونا ثورين ليقرب كل منا قرباناً، ففعلوا. ولما رأى الشعب أن أنبياء البعل لم يتقبل قربانهم، وأن قربان إيليا الذي قدمه على مذبح الرب المتهدم بعد أن رممه تقبل، سقطوا على وجوههم وقالوا: الرب هو الله. فقال لهم إيليا: أمسكوا أنبياء البعل، ثم نزل بهم إلى نهر قِيشون وذبحهم هناك. وبعد فترة كان مطر عظيم.

١٩/١ ـ ٤: ومضى أخآب إلى إيزابل، وأخبرها بقتل جميع أنبياء البعل بالسيف على يد إيليا. فأرسلت إليه تتوعده بأن تلحقه بهم غداً. فمضى إلى بئر سبع التي ليهوذا.

١٩/١٥ ـ ١٨: فقال له الرب: ارجع إلى برية دمشق، وامسح حزائيل ملكاً على أرام، وياهو بن نِمْشي ملكاً على إسرائيل، وأليشع بن شافاط من آبل مَحُولة نبياً عوضاً عنك، فالذي ينجو من سيف حزائيل يقتله ياهو، والذي ينجو من سيف ياهو يقتله أليشع، وقد أبقيت في إسرائيل سبعة آلاف، كل الرُّكَب التي لم تجثُ للبعل، وكل فم لم يقبله.

٢٢/٣٤ ـ ٤٠: وفي المعركة مع ملك أرام في راموت جِلعاد اشتد القتال، فضربه رجل بسهم فأصابه، ثم مات عند المساء، وأدخل السامرة فدفن، وملك أخزيا ابنه عوضاً عنه.

وفي أخبار الأيام الثاني ١٨/٣٣ ـ ٣٤: وإن رجلاً نزع قوسه غير متعمد، وضرب ملك إسرائيل بين أوصال الدرع فجرحه، واشتد القتال، وأوقف ملك إسرائيل في المركبة مقابل أرام إلى المساء، ومات عند غروب الشمس.

تنبيه: ذكر ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ أن مدة حكم أخآب إحدى وعشرون سنة، وفي سفر الملوك الأول ١٦/٢٩ أنها كانت اثنتين وعشرين سنة.

[1] جاء في سفر الملوك الأول ٢٢/٥١ ـ ٥٣: أخزيا بن أخآب ملك على إسرائيل في السامرة سنتين، وعمل الشر في عيني الرب، وسار في طريق أبيه وأمه وطريق يربعام بن نَباط الذي جعل إسرائيل يخطئ، وعبد البعل وسجد له.

وفي أخبار الأيام الثاني ٢٠/٣٥: ثم بعد ذلك اتحد يهوشافاط ملك يهوذا مع أخزيا ملك إسرائيل الذي أساء في عمله. =

وولي مكانه أخوه يهورام بن أخآب على الكفر وعبادة الأوثان اثنتي عشرة سنة، إلى أن قُتل هو وجميع أهل بيته. وفي أيامه كان إليسع عليه السلام[1].

○ [محاربة الكفر إبان حكم ياهو بن نمشي وضعف الأسباط في عهد ابنه]:

وولي مكانه ياهو بن نمشي من سبط مَنَسَّى، فكان أقلهم كفراً، هدم هياكل ما على الوثن، وقتل سدنته، إلا أنه لم ينقض قطع عبادة الأوثان، بل ترك الناس عليها، ولم يظهر الإيمان، فولي كذلك ثمانياً وعشرين سنة[2].

= الملوك الثاني ١/٢ ـ ٤: وسقط أخزيا من الكوة التي في عُليته التي في السامرة فمرض، وأرسل رسلاً ليسألوا بَعْل زَبوب إله عَقْرون: إن كان يبرأ من هذا المرض. فطلب ملاك الرب من إيليا التِّشبي أن يصعد للقائهم ويقول لهم: لا يوجد في إسرائيل إله؟ تذهبون لتسألوا بَعْل زبوب إله عقرون؟ فلذلك قولوا له: قال الرب: إن السرير الذي صعِدت عليه لا تنزل عنه، بل موتاً تموت.

١/١٧: فمات حسب كلام الربِّ الذي تكلم به إيليا، وملك يهورام عوضاً عنه، لأنه لم يكن له ابن.

تنبيه: ذكر ابن حزم أن مدة حكم أخزيا ثلاث سنوات، وفي سفر الملوك أنها سنتان.

[1] جاء في سفر الملوك الثاني ٣/١ ـ ٢: وملك يهورام بن أخآب على إسرائيل في السامرة، ملك اثنتي عشرة سنة، وعمل الشر في عيني الرب، ولكن ليس كأبيه وأمه.

٩/١ ـ ٨: ودعا أليشع النبي واحداً من بني الأنبياء وقال له: شدَّ حَقويك وخذ قنينة الدهن هذه، واذهب إلى راموتِ جِلعاد، فانظر ياهو بن يهوشافاط بن نِمشي وادخل به إلى مخدع داخل مخدع، وصب على رأسه وقل: هكذا قال الرب: قد مسحتك ملكاً على إسرائيل، ثم افتح الباب واهرب. فانطلق الغلام... وصب الدهن على رأسه وقال له: هكذا قال الرب إله إسرائيل، قد مسحتك ملكاً على شعب الربِّ إسرائيل، فتضرب بيت أخآب سيدك، وانتقم لدماء عبيدي الأنبياء، ودماء جميع عبيد الرب من يد إيزابَل، فيبيد كل بيت أخآب، واستأصل لأخآب كل بائل بحائط ومحجوز ومطلق في إسرائيل.

٩/١٤: وعصى ياهو بن يهوشافاط بن نِمشي على يورام.

٩/١٦: وركب ياهو وذهب إلى يَزْرَعيل، لأن يورام كان مضطجعاً هناك، ونزل أَخَزيا ملك يهوذا ليرى يورام.

٩/٢٠ ـ ٢٤: وخرج يهورام ملك إسرائيل وأَخَزيا ملك يهوذا، كل في مركبته للقاء ياهو... وعلم يهورام بأنه ما جاء لسلام، فهرب وقال: خيانة يا أخزيا. فقبض ياهو على القوس وضربه بين ذراعيه، فخرج السهم من قلبه، فسقط في مركبته.

١٠/١١ ـ ١٢: وقتل ياهو كل الذين بقوا لبيت أخآب في يَزْرعيل، وكل عظمائه ومعارفه وكهنته، حتى لم يُبْقِ شارداً، ثم قام وجاء سائراً إلى السامرة.

[2] جاء في سفر الملوك الثاني ١٠/١٧ ـ ٢٠: وجاء ياهو إلى السامرة وقتل جميع الذين =

وولي مكانه ابنه يهوياحاز بن ياهو سبع عشرة سنة، فبنى بيوت الأوثان، وأعلن عبادتها هو ورعيته إلى أن مات[1].

وفي كتبهم أنّ أمر الأسباط العشرة ضعف في أيامه، حتى لم يكن معه من الجند إلا خمسون فارساً وعشرة آلاف رجل فقط، لأن ملك دمشق غلب عليهم وقتلهم[2].

○ [الإغارة على المدينة ونهب الهيكل إبان حكم يوآش وابنه]:

وولي مكانه ابنه يوآش بن يهوياحاز ست عشرة سنة على أشد من كفر أبيه، وأخذ في عبادة الأوثان، وهو الذي غزا بيت المقدس، وأغار عليه وعلى الهيكل، وأخذ كل ما فيه، وهدم من سور المدينة أربعمئة ذراع، وهرب عنه ملك يهوذا، ثم مات[3].

= بقوا لأخآب فيها حتى أفناهم حسب كلام الرب الذي كلَّم به إيليا، ثم جمع الشعب وقال لهم: إن أخآب عبدَ البعلَ قليلاً، وأما ياهو فإنه يعبده كثيراً، فادعوا لي جميع أنبياء البعل وكل عابديه وكل كهنته.. فعل ذلك بمكر ليفنيهم وقال: قدّسوا اعتكافاً للبعل، فنادوا به.

١٠/ ٢٤ ـ ٣١: ودخلوا ليقربوا ذبائح ومحرقات، وأقام ياهو خارجاً مع ثمانين رجلاً، ولما انتهوا من التقديم طلب ياهو من رجاله أن يدخلوا ويقتلوهم بالسيف، ثم ساروا إلى مدينة بيت البعل، فكسروا تمثاله مع سائر التماثيل، وهدموا بيته وجعلوه مزبلة. واستأصل ياهو البعل من إسرائيل، لكن خطايا يربعام بن نَباط لم يحد عنها، فترك عجول الذهب التي في بيت إيل وفي دان. وقال الرب له: من أجل أنك أحسنت بعمل ما هو مستقيم، فأبناؤك إلى الجيل الرابع يجلسون على كرسي إسرائيل. لكن ياهو لم يتحفظ للسلوك في شريعة الرب من كل قلبه، فلم يَحِدْ عن خطايا يربعام الذي جعل إسرائيل يخطئ.

١٠/ ٣٥ ـ ٣٦: واضطجع ياهو مع آبائه فدفنوه في السامرة، وملك يهو آحاز ابنه عوضاً عنه. وكانت الأيام التي ملك فيها ياهو ثمانياً وعشرين سنة.

[1] جاء في الملوك الثاني ١٣/١ ـ ٣: ملك يهو آحاز بن ياهو على إسرائيل في السامرة سبع عشرة سنة، وعمل الشر في عيني الرب، وسار وراء خطايا يربعام بن نَباط الذي جعل إسرائيل يخطئ، ولم يحد عنها، فحمي غضب الرب على إسرائيل، فدفعهم ليد حزائيل ملك أرام، ثم ليد ابنه كل الأيام.

[2] الملوك الثاني ١٣/٧ ـ ٩: ولم يُبقِ ليهوآحاز شعباً إلا خمسين فارساً وعشر مركبات وعشرة آلاف راجل، لأن ملك آرام أفناهم ووضعهم كالتراب للدَّوْس، ثم اضطجع يهوآحاز مع آبائه، فدفنوه في السامرة، وملك يوآش ابنه عوضاً عنه.

[3] جاء في سفر الملوك الثاني ١٣/ ١٠ ـ ١١: ملك يهوآش بن يهوآحاز على إسرائيل =

وولي مكانه ابنه يربعام بن يوآش خمساً وأربعين سنة على مثل كفر أبيه وعبادة الأوثان.

وغزا أيضاً بيت المقدس، وهرب أمامه ملكها الداودي فقتله، ثم مات[1].

○ [استمرار الكفر إلى سقوط الدولة]:

وولي مكانه ابنه زخريا بن يربعام بن يوآش بن يهوياحاز بن ياهو بن نمسي ستة أشهر على الكفر وعبادة الأوثان إلى أن قتل هو وجميع أهل بيته[2].

وولي مكانه شَلّوم بن نامس بن سبط نفتالي، فملك شهراً واحداً على الكفر

= في السامرة ست عشرة سنة، وعمل الشر في عيني الرب، وسار وراء خطايا يربعام بن نباط، ولم يحد عنها.

وفي الملوك الثاني ١٤/٨ وأخبار الأيام الثاني ٢٥/١٧: حينئذ أرسل أمصيا ملك يهوذا رسلاً إلى يهوآش ملك إسرائيل يطلب منه اللقاء مواجهة.

الملوك الثاني ١٤/١١ ـ ١٤ وأخبار الأيام الثاني ٢٥/٢١ ـ ٢٤: فصعِد يهوآش وتراءيا مواجهة في بيت شمس التي ليهوذا، فانهزم يهوذا أمام إسرائيل، وأمسك يهوآش بأمصيا، وجاء به إلى أورشليم، وهدم سورها من باب أفرايم إلى باب الزاوية، أربعمئة ذراع، وأخذ كل الذهب والفضة وجميع الآنية الموجودة في بيت الرب وفي خزائن بيت الملك والرُّهَنَاء، ورجع إلى السامرة.

الملوك الثاني ١٣/١٣ و١٤/١٦: ثم اضطجع يهوآش مع آبائه، ودفن في السامرة مع ملوك إسرائيل، وملك يَربعام ابنه عوضاً عنه.

(١) جاء في سفر الملوك الثاني ١٤/٢٣ ـ ٢٤: ملك يربعام بن يوآش في السامرة إحدى وأربعين سنة، وعمل الشر في عيني الرب، ولم يحد عن شيء من خطايا يربعام بن نَباط.

أخبار الأيام الثاني ٢٨/٥: ودُفع آحاز ملك يهوذا أيضاً ليد ملك إسرائيل، فضربه ضربة عظيمة.

٢٨/٨: وسبى بنو إسرائيل من إخوتهم مئتي ألف من النساء والبنين والبنات، ونهبوا أيضاً مدنهم غنيمة وافرة، وأتوا بها إلى السامرة.

الملوك الثاني ١٤/٢٩: ثم اضطجع يربعام مع آبائه ملوك إسرائيل، وملك زكريا ابنه عوضاً عنه.

تنبيه: ذكر ابن حزم أن يربعام ملك خمساً وأربعين سنة، وفي سفر الملوك الثاني أنه ملك إحدى وأربعين سنة.

(٢) جاء في سفر الملوك الثاني ١٥/٨ ـ ١٠: ملك زكريا بن يربعام على إسرائيل في السامرة ستة أشهر، وعمل الشر في عيني الرب كما عمل آباؤه، ففتن عليه شَلّوم بن يابيش، وضربه أمام الشعب فقتله، وملك عوضاً عنه.

وعبادة الأصنام، ثم قتل[1].

وولي بعده مناحيم بن قارا من سبط يساخر عشرين سنة على عبادة الأوثان والكفر ومات[2].

وولي مكانه ابنه محيا بن مياخيم على الكفر وعبادة الأوثان سنتين إلى أن قتل هو وجميع أهل بيته[3].

وولي مكانه فَقْح بن رَمَلْيا من سبط داني، فملك ثمانياً وعشرين سنة على الكفر وعبادة الأوثان إلى أن قتل هو وجميع أهل بيته. وفي أيامه أجلَى تباشر ملك الجزيرة بني رأوبين وبني جادا ونصف سبط منسى من بلادهم بالغور، وحملهم إلى بلاده، وسكّن بلادهم قوماً من بلاده[4].

○ [سقوط دولة إسرائيل والسبي إلى بابل]:

ثم ولي مكانه هوشع بن أيلا من سبط جادا على الكفر وعبادة الأوثان سبع

---

[1] جاء في سفر الملوك الثاني ١٥/١٣ ـ ١٤: ملك شَلّوم بن يابيش شهراً في السامرة، وصعِد مَنَحيم بن جادي من تِرْصة إلى السامرة، وضرب شلوم فقتله، وملك عوضاً عنه.

[2] جاء في سفر الملوك الثاني ١٥/١٧ ـ ٢٢: ملك منحيم بنِ جادي على إسرائيل في السامرة عشر سنين، وعمل الشر في عيني الرب، فجاء فولُ ملك أشُور على الأرض،فأعطاه منحيم ألف وزنة من الفضة لتكون يداه معه، ليثبت المملكة في يده، ووضع منحيم الفضة على إسرائيل، ليدفع كل رجل خمسين شاقل فضة، فرجع ملك أشور... ثم اضطجع منحيم مع آبائه، وملك فَقَحْيا ابنه عوضاً عنه.

تنبيه: ذكر ابن حزم أن مدة حكم مناحيم بن قارا عشرين سنة، وفي سفر الملوك أن مدة حكم منحيم بن جادي عشر سنين.

[3] جاء في سفر الملوك الثاني ١٥/٢٣ ـ ٢٦: ملك فَقَحْيا بن منحيم على إسرائيل في السامرة سنتين، وعمل الشر في عيني الرب، ففتن عليه فَقْحُ بن رَمَلْيا ثالثُهُ، وضربه في السامرة في قصر بيت الملك، فقتله مع خمسين رجلاً من بني الجلعاديين، وملك عوضاً عنه.

[4] جاء في سفر الملوك الثاني ١٥/٢٧ ـ ٣٠: ملك فَقْح بن رَمَلْيا على إسرائيل في السامرة عشرين سنة، وعمل الشر في عيني الرب. وفي أيامه جاء تَفْلَث فَلاسِرُ ملك أشّور وأخذ عيونه وآبلَ بيتِ معكة ويانوحَ وقادشَ وحاصورَ وجِلعادَ والجليلَ وكل أرض نفتالي، وسباهم أشور. وفَتَن هوشع بن أَيْلة على فَقْح بن رمليا، وضربه فقتله، وملك عوضاً عنه.

تنبيه: ذكر ابن حزم أن مدة حكم فَقْح بن رمليا ثمان وعشرون سنة، وفي سفر الملوك الثاني أنها عشرون سنة.

سنين، إلى أن أسره سليمان الأعسر ملك الموصل، وحمله والتسعة الأسباط ونصف سبط منسى إلى بلاده أسرى، وسكن بلادهم قوماً من أهل بلده، وهم السامرية إلى اليوم. وهوشع هذا آخر ملوك الأسباط العشرة، وانقضى أمرهم[1].

---

(١) جاء في سفر الملوك الثاني ١٧/ ١ ـ ٦: ملك هُوشع بن أيْلَة في السامرة على إسرائيل تسع سنين، وعمل الشر في عيني الرب، ولكن ليس كملوك إسرائيل الذين كانوا قبله، وصعد عليه شَلْمَنْأسَرُ ملك أشور، فصار هوشع له عبداً، ودفع له جزية. ووجد ملك أشور في هوشع خيانة، لأنه أرسل رسلاً إلى سَوَا ملكِ مصر، ولم يؤدِّ جزية إليه حسب كل سنة، فقبض عليه وأوثقه في السجن. وصعِد ملك أشور على كل تلك الأرض، وصعد إلى السامرة، وحاصرها ثلاث سنين، وفي السنة التاسعة لهوشع أخذ السامرة، وسبى إسرائيل إلى أشور، وأسكنهم في حَلَحَ وخابورَ ونهر جوزان وفي مدينة مادي.

١٨/ ٩ ـ ١٣: في السنة السابعة لهوشع بن أيلة ملكِ إسرائيل صعِد شَلْمَنْأسَرُ ملك أشور على السامرة وحاصرها، وأخذها في نهاية ثلاث سنين، وهي السنة التاسعة لهوشع، وسبى ملك أشور إسرائيلَ إلى أشور، ووضعهم في حَلَحَ، وخابورَ نهر جوزان، وفي مدن مادي، لأنهم لم يسمعوا لصوت الرب، بل تجاوزوا عهده وكل ما أمر به موسى، فلم يسمعوا ولم يعملوا.

وجاء في ١٧/ ٢٠ ـ ٢٤: فرذل الربُّ كلَّ نسل إسرائيل، وأذلَّهم ودفعهم ليد ناهبيهم حتى طرحهم من أمامه، لأنه شق إسرائيل عن بيت داود، فملّكوا يربعام بنَ نَباط، فأبعدهم من وراء الرب، وجعلهم يخطئون خطية عظيمة، وسلك بنو إسرائيل في جميع خطايا يربعام التي عمل، ولم يحيدوا عنها، حتى نحَّى الرب إسرائيل من أمامه كما تكلم عن يد جميع عبيده الأنبياء، فسُبي إسرائيل من أرضه إلى أشور إلى هذا اليوم، وأتى ملك أشور بقوم من بابل وكوثَ وعَوَّا وحماة وسَفَرْوايم، وأسكنهم في مدن السامرة عوضاً عن بني إسرائيل، فامتلكوها وسكنوا مدنها.

وهكذا كما قال ابن حزم رحمه الله: انقطع ملك العشرة الأسباط من بني إسرائيل، وغلب عليهم سليمان الأعسر ملك الموصل، وسباهم ونقلهم إلى آمد وبلاد الجزيرة، وسَكّن في بلادهم أهل آمد والجزيرة، فأظهروا دين السامرة الذي هناك إلى اليوم.



[خلاصة ما حلَّ بالتوراة إبان مملكة إسرائيل]

فقد صح يقيناً أن جميع أسباط بني إسرائيل حاش سبط يهوذا وبنيامين ومن كان بينهم من بني هارون بعد سليمان عليه السلام مدة مئتي عام وواحد وسبعين عاماً لم يظهر فيهم قط إيمان، ولا يوماً واحداً فما فوق، وإنما كانوا عُبَّاد أوثان، ولم يكن فيهم نبي إلا مُخاف، ولا كان للتوراة عندهم ذكر ولا رَسْم ولا أثر، ولا كان عندهم شيء من شرائعها أصلاً. مضى على ذلك عامتهم وجميع ملوكهم، وهم عشرون ملكاً، وقد سميناهم إلى أن جاؤوا ودخلوا في الأمم، وتديَّنوا بدين الصابئين الذين كانوا بينهم ممتلكين، وانقطع اسمهم ورسمهم إلى الأبد فلا يعرف منهم عين أحد(١).

---

(١) وصفوة القول في مملكة إسرائيل: إنه بعدَ أن تمكن يربعام من الحكم وارتد، ارتدت معه عشرة الأسباط فعبدوا الأوثان هاجر الكهنة إلى مملكة يهوذا، وكان إذا ظهر فيهم نبي طاردوه أو قتلوه، واستمر حالهم على هذه الشاكلة قرابة مئتين وواحد وسبعين عاماً كما قال ابن حزم رحمه الله ثم سلَّط الله عليهم ملك الآشوريين، فأجلاهم إلى بابل وفرقهم في مملكته، ولم يبق منهم في السامرة إلا شرذمة قليلة مستضعفة، وأسكن معم وثنيين من بابل وغيرها، فاختلطت تلك الشرذمة بالوثنيين وتزاوجوا وتوالدوا. فمنذ عهد يربعام إلى أن مَحَتْ يد الأسر الآشوري مملكة إسرائيل من الوجود، وأزالت شعبها زوالاً تاماً بإجلاء أو صَهْرٍ، لم يكن لأولئك الأسباط غرض بالتوراة، وكان وجودها أندر من الكبريت الأحمر.

جاء في سفر أخبار الأيام الثاني ١٥/١ ـ ٣: وكان روح الله على عَزَرْيا بن عُوديد، فخرج للقاء آسا وقال له: ... ولإسرائيل أيام كثيرة بلا إله حق وبلا كاهن معلِّم وبلا شريعة.



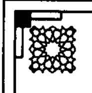
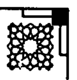
خلاصة ما حل بالتوراة بعد سليمان

قد أوضحنا قبل أن العشرة الأسباط لم يدخل بيت المقدس منهم أحد بعد موت سليمان عليه السلام إلى أن انقطعوا، وأن بني يهوذا وبنيامين لم يجتمعوا إليه إلا في عهد الملوك الخمسة المؤمنين فقط، فظهر بهذا كما قلنا، وصح تبديلها بيقين، ولا شك في أن تلك المدة الطويلة التي هي أربعمئة سنة غير شيء[1]، قد كان في الكهنة الهارونيين ما كان في غيرهم من الكفر والفسق وعبادة الأوثان، كالذي يذكرون عن ابني الكوهن عالي الهاروني وغيرهما ممن يقرون في كتبهم أنهم خدموا الأوثان وبيوتها من بني هارون وبني لاوي، ومن هذه صفته فلا يؤمن عليه تغيير ما ينفرد به.

وهذه كلها براهين أضوأ من الشمس على صحة تبديل توراتهم وتحريفها.

---

[1] من الجدير بالذكر أن الفترة الزمنية التي عاشها بنو إسرائيل في فلسطين مع غيرهم منذ عبور يشوع بن نون النهر إلى نهاية مملكة يهوذا، لا تزيد عن خمسة قرون، كما يفهم من أسفار العهد القديم.

الفرع الخامس

التوراة إبّان النفي وبعد العودة(1)

1 اليهود في المنفى:

سقطت مملكتا اليهود، واندثر وجودهم في فلسطين، فقد كان أكثرهم مسبياً في بابل وأشور مشتتاً في المدن والقرى والأودية، بين نهري دجلة والفرات وحولهما، وكانت قلّة منهم مشرَّدة في مصر، ولم يبقَ منهم في فلسطين، إلا شرذمة قليلة من الفقراء، يعيشون مستضعفين مع الأجانب الذين أتى بهم ملك أشور، وأسكنهم في مدن السامرة عوضاً عمن أجلاهم من اليهود، فذابوا بين تلك الشعوب، وتعوَّدوا بعاداتهم، وعبدوا آلهتهم، وأقاموا طقوسهم، وكان مما أخذوه عنهم السحر الذي اشتهر به أهل بابل، ثم اشتهر به اليهود فيما بعد.

وهناك في المنفى التقى الطرفان، ودبَّ الحنين إلى الأرض، فوجدت بينهم الألفة، ونظم الشعراء قصائد تثير فيهم الرغبة إلى العودة. وقد ظهر فيهم عدد من الأنبياء، دَعَوهم إلى الله وإلى اعتزال عادات الأمم الأخرى وطقوسهم، وعدم التزاوج معهم، لئلا يعبدوا آلهتهم، كان منهم دانيال وحزقيال الذي تنبأ بسقوط أورشليم، ثم شهد هذا السقوط، وعاش فترة في المنفى على نهر خابور.

ويقال: إن كثيراً من أسفار التوراة وغيرها صيغت في هذه الفترة.

تودّد اليهود إلى الحكام المتعاقبين وتنكيلهم بمن دالت دولتهم:

اشترك كثير من اليهود في أعمال الدولة هناك، وبرز بعضهم فنال حظوة لدى الملوك، كدانيال الذي عبَّر الرؤيا الشهيرة لنبوخذنصر، فنال منزلة عنده وعند خليفته بيلشاصر.

وبعد قرابة خمسين سنة من الحكم الكلداني جاء الحكم الفارسي، حيث استطاع الفرس أن يقضوا على الدولة البابلية، وقام الملك كورش بالهجوم على الميديين فأخضعهم، واستولى على أشور ثم بابل، فأصبح له السلطان على فلسطين واليهود، وسائر ما كان تحت حكم الميديين، فأضحت دولته أكبر دولة في ذلك الوقت. وقد لعب اليهود دوراً في إزالة تلك الدولة وتقديم الخدمات والولاء للغازي الجديد.

واستمر هذا النفي قرابة سبعين عاماً، حيث استطاع اليهود عام ٥٣٨ق.م أن يستصدروا إذناً من الملك كورش بالعودة وإعمار ضواحي مدينة أورشليم وإعادة الهيكل.

عودة الفوج الأول والشروع في البناء:

ـ تودَّد اليهود إلى الحكم الجديد واستعطفوه، فلم يلبث دانيال أن أصبح من المقرَّبين عند الملك كورش، ثم التمس منه أن يسمح لليهود بالعودة إلى فلسطين وبناء البيت في أورشليم =

. . . .

= فوافق، وعاد أكثرهم، غير أن عدداً كبيراً منهم فضَّلوا البقاء، لاستقرارهم هناك، وهم الذين عرفوا بيهود الشتات.

ـ ولّى كورش على العائدين زَرُبّابل بن شَألتئيل من بيت داود، وكان يشوع بن صاداق رئيساً للكهنة. وفي السنة الثانية من العودة شرعوا في البناء.

ـ جاء في سفر أخبار الأيام الثاني ٣٦/ ٢٠ ـ ٢٣: وسبَى ـ أي ملك الكلدانيين ـ الذين بقوا من السيف إلى بابل، فكانوا عبيداً له ولبنيه، إلى أن ملكت مملكة فارس، لإكمال كلام الرب بفم إرْمِيا، حتى استوفت الأرض سُبوتها، لأنها سَبَتَتْ في كل أيام خرابها، لإكمال سبعين سنة. وفي السنة الأولى لكورش ملك فارس نَبَّه الرب روح كورش فأطلق نداء في كل مملكته، وكذا بالكتابة قائلاً: هكذا قال كورش ملك فارس: إنَّ الرب إلٰه السماء قد أعطاني جميع ممالك الأرض، وهو أوصاني أن أبني له بيتاً في أورشليم التي في يهوذا، فمن كان منكم من شعبه أجمع فالرب معه فليصعد.

ـ وفي سفر عزرا ١/١ ـ ٤: وفي السنة الأولى لكورش عند تمام كلام الربِّ بفم إرْمِيا، نبَّه الرب روح كورش ملك فارس، فأطلق نداء في كل مملكته وبالكتابة أيضاً قائلاً: هكذا قال كورش ملك فارس: جميع ممالك الأرض دفعها لي الرب إلٰه السماء، وهو أوصاني أن أبني له بيتاً في أورشليم التي في يهوذا، من منكم من كل شعبه، ليكن إلٰهه معه ويصعد إلى أورشليم، فيبني بيت الرب إلٰه إسرائيل، هو الإلٰه الذي في أورشليم، وكل من بقي في أحد الأماكن حيث هو متغرب، فلينجده أهل مكانه بفضة وذهب وأمتعة وبهائم، مع التبرع لبيت الرب.

ـ ١/ ٥ ـ ١١: فقام رؤوس آباء يهوذا وبنيامين والكهنة واللاويون مع كل من نبَّه الله روحه ليصعدوا ليبنوا بيت الرب الذي في أورشليم، وكل الذين حولهم أعانوهم بفضة وذهب وأمتعة وبهائم، والملك كورش أخرج آنية بيت الرب التي أخرجها نبوخذنصّر من أورشليم، وسلَّمها كورش لشيشبَصَّر رئيس يهوذا ليعيدها إلى أورشليم.

٢/١: ورجعوا إلى أورشليم ويهوذا، كل واحد إلى مدينته.

ـ ٣/١ ـ ٦: ولما استهل الشهر السابع وبنو إسرائيل في مدنهم، اجتمع الشعب إلى أورشليم، وقام يشوع بن يوصاداق وإخوته الكهنة وزَرُبّابل بن شَألتئيل وإخوته، وبَنَوا مذبح إلٰه إسرائيل، ليُصعدوا عليه مُحْرَقات، كما هو مكتوب في شريعة موسى، وأقاموا المذبح مكانه، وأصعدوا عليه المحرقات، وحفظوا عيد المظال كما هو مكتوب. . . وهيكل الرب لم يكن قد تأسس.

ـ ٨/٣ ـ ١٠: وفي السنة الثانية من مجيئهم إلى أورشليم في الشهر الثاني شرعوا ببناء بيت الرب، وأقاموا اللّاويين من ابن عشرين سنة فما فوق للمناظرة، ووقف يشوع مع بنيه وإخوته للمناظرة على عاملي الشغل في بيت الله. ولما أسس البانون هيكل الرب أقاموا الكهنة بملابسهم بأبواق، واللاويين بني آساف بالصنوج لتسبيح الرب على ترتيب داود.

سكان السامرة يطلبون المشاركة في بناء البيت:

وجاء سكان السامرة، وكانوا خليطاً من بقايا بني إسرائيل ومن الأمم التي أسكنها ملك =

. . . .

= الآشوريين هناك، وطلبوا الاشتراك معهم في بناء الهيكل، فرفض العائدون، بحجة أنهم كانوا أقرب إلى الوثنيين في عقائدهم وعاداتهم، فراح السامريون يناوئونهم ويحولون بينهم وبين المضي في إتمام البناء، غير أنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً، لأن الملك كورش كان متعاطفاً مع العائدين. ثم مات كورش، وجاء بعده أَحَشْويروش، وبعد موته جاء أَرْتَحْشَشتا، فكتب إليه أهل السامرة كتاباً يشكون إليه العائدين، ويحذرونه منهم، وينبهون إلى خطرهم ومكرهم إن أتموا بناء السور وتمكنوا، فأمر بإيقاف بناء الهيكل.

ولما مات خَلَفه داريوس، فسمح لليهود بإتمام البناء.

ـ جاء في سفر عزرا ٤/١ ـ ٧: ولما سمع أعداء يهوذا وبنيامين أن بني السبي يبنون هيكلاً للرب، تقدموا إلى زَرُبّابل ورؤوس الآباء وقالوا: نبني معكم، لأننا نظيركم نطلب إلٰهكم، وقد ذبحنا من أيام أَسَرْحَدّون ملك أشور الذي أصعدنا إلى هنا. فأبَوا عليهم وقالوا: نحن وحدنا نبني كما أمرنا الملك كورش. وكان شعب الأرض يرخون أيدي شعب يهوذا، ويذعرونهم عن البناء كلَّ أيام كورش وحتى ملك داريوس. وفي ابتداء ملك أَحَشْوِيروش كتبوا شكوى على سكان يهوذا وأورشليم، وفي أيام أرتَحْشَشتا كتبوا رسالة ضد أورشليم.

وكان مما كتبوا في الرسالة كما في ٤/١٢ ـ ٢٤: ليعلم الملك أن اليهود الذين صعدوا من عندك إلينا، قد أتوا إلى أورشليم، ويبنون المدينة العاصية الرديَّة، وقد أكملوا أسوارها، ورمَّموا أسسها، ليكن معلوماً لدى الملك أنه إذا بنيت هذه المدينة وأكملت أسوارها، لا يؤدُّون جزية ولا خراجاً ولا خِفارة. . . وتعلم أن هذه المدينة مدينة عاصية ومضرة للملوك والبلاد، وقد عملوا عصياناً في وسطها منذ الأيام القديمة، لذلك أُخربت، ونحن نُعلم الملك أنه إذا بنيت وأكملت أسوارها لا يكون لك عند ذلك نصيب في عَبْر النهر. فأرسل الملك إلى ولاته الساكنين في السامرة وباقي الذين في عبر النهر. . . : فالآن أخرجوا أمراً بتوقيف أولئك الرجال، فلا تُبنى هذه المدينة حتى يصدر مني أمر. . حينئذ توقف عمل بيت الله، وكان متوقفاً إلى السنة الثانية من ملك داريوس ملك فارس.

ـ ٥/١ ـ ٧: فتنبأ النبيان حَجِّي وزكريا بن عِدُّوَ لليهود الذين في أورشليم ويهوذا باسم إلٰه إسرائيل عليهم. حينئذ قام زربابل بن شألتئيل ويشوع بن صاداق وشرعا بالبنيان، ومعهما أنبياء الله. فجاء إليهم والي عبر النهر وسألهم: من أمركم ببناء البيت وإكمال السور؟ ثم أرسل رسالة إلى الملك داريوس يوضح فيها أقوالهم، ويذكره بما أصدره كورش.

٦/٧: ورد الملك برسالة إلى ولاته أن اتركوا عمل بيت الله هذا، أما والي اليهود وشيوخهم فليبنوا بيت الله في مكانه.

ـ ٦/١٤ ـ ١٧: وكان شيوخ اليهود يبنون وينحتون حسب نبوة حجي وزكريا، فبنوا وأكملوا حسب أمر إلٰه إسرائيل وأمر كورش وداريوس وأرتَحْشَشتا ملك فارس. وكمل هذا البيت في اليوم الثالث من شهر آذار، في السادسة من ملك داريوس، فأقاموا الاحتفالات وقربوا القرابين.

انقضت ستون سنة قبل أن يعاد بناء الهيكل، ثم أعيد بناؤه بين عامي ٥٢٠ ـ ٥١٥ق.م =

. . . .

= غير أن هذا البناء لم يبلغ عظمة هيكل سليمان [الحواشي ص٧٨٤].
جاء في سفر حجي ٢/٣: مَن الباقي فيكم الذي رأى هذا البيت في مجده الأول؟ وكيف تنظرونه الآن؟ أمَا هو في أعينكم كلا شيء؟
عودة الفوج الثاني مع عزرا:
ـ جاء في سفر عزرا ٧/١ ـ ١٠: وبعد هذه الأمور في ملك أَرْتَحْشَشتا فإن عزرا الهاروني الكاهن الرأس ـ وهو كاتب ماهر في شريعة موسى ـ أعطاه الملك حسب يد الرب عليه كل سؤله، فصعِد من بابل إلى أورشليم، ومعه جمع من بني إسرائيل، فيهم الكهنة واللّاويون وغيرهم، وجاؤوا إلى أورشليم في الشهر الخامس في السنة السابعة لأَرْتَحْشستا الملك، وقد هيأ قلبه لطلب شريعة الرب والعمل بها، وليُعلّمَ إسرائيل فريضة وقضاء.
ـ ٧/١١ ـ ١٣: وهذه صورة الرسالة التي أعطاها الملك له: من أرتحشستا ملك الملوك إلى عزرا الكاهن، كاتب شريعة إله السماء الكامل. قد صدر مني أمر، أن كل من أراد في ملكي من شعب إسرائيل وكهنته واللاويين أن يرجع إلى أورشليم معك فليرجع، من أجل أنك مرسل من قبل الملك..
ـ ٧/٢٥ ـ ٢٦: أما أنت يا عَزرا، فحسب حكمة إلٰهك التي بيدك، ضع حكاماً وقضاة يقضون لجميع الشعب الذي في عبر النهر من جميع من يعرف شرائع إلٰهك، والذين لا يعرفون فعلموهم، وكل من لا يعمل شريعة إلٰهك وشريعة الملك، فليقض عليه عاجلاً، إما بالموت أو بالنفي، أو بغرامة المال أو بالحبس.
عودة الفوج الثالث مع نَحَمْيا وبناء سور المدينة:
ـ كان نحميا من المقرَّبين لدى الملك، فحصل منه على أوامر بإصلاح أسوار القدس، وتنظيم الشعب اليهودي تنظيماً قوياً ضد جيرانه ومنافسيه.
جاء في سفر نَحَمْيا ١/١ ـ ٤: في شهر كَسْلو في السنة العشرين، بينما كنت في القصر، جاء حَناني أخي ورجال من يهوذا، فسألتهم عن اليهود الذين نَجَوا من السبي وعن أورشليم، فقالوا: إن الذين بقوا من السبي هناك في البلاد في شر عظيم وعار، وسور أورشليم منهدم، وأبوابها محروقة بالنار. فلما سمعت هذا جلست وبكيت، ونُحْتُ أياماً، وصمت وصليت أمام إلٰه السماء.
ـ ١/١١: يا سيد لتكن أذنك مصغية إلى صلاة عبدك وصلاة عبيدك، وأعط النجاح اليوم لعبدك، وامنحه رحمة أمام هذا الرجل. لأني كنت ساقياً للملك.
ـ ٢/١ ـ ١٨: في شهر نيسان في السنة العشرين لأرتحشستا الملك، حملتُ الخمر وأعطيت الملك، فقال لي: لماذا وجهك مُكْمَدٌّ وأنت غير مريض؟ فقلت: كيف لا يكمد وجهي والمدينة بيت مقابر آبائي خراب؟ وأبوابها قد أكلتها النار. فقال الملك: ماذا طالب أنت؟ فصلَّيت وقلت: ترسلني إلى يهوذا إلى مدينة قبور آبائي فأبنيها. فحَسُن لدى الملك، وأرسلني، فعينت له زماناً. فأتيت إلى ولاة عبر النهر، وأعطيتهم رسائل الملك، وجئت إلى أورشليم، وكنت هناك ثلاثة أيام، ثم قمتُ ليلاً ومعي رجال قليلون، وصرت أتفرس في أسوار =

= أورشليم المنهدمة وأبوابها التي أكلتها النار، ثم عدت، ولم يعرف الولاة إلى أين ذهبت ولا ما أنا عامل، ولم أخبر إلى ذلك الوقت اليهود والكهنة، ثم قلت لهم: هَلُمَّ فنبني سور أورشليم، ولا نكون بعد عاراً. فقالوا: لنقم ولنبن.

ـ ٥/ ١٤: من اليوم الذي أصغيتُ فيه أن أكون واليَهم في أرض يهوذا من السنة العشرين إلى السنة الثانية والثلاثين لأرتحشستا الملك، اثنتي عشرة سنة لم آكل أنا ولا إخوتي خبز الوالي.

ـ ٦/ ١٥: وكَمِلَ السور في الخامس والعشرين من أيلول في اثنين وخمسين يوماً.

ـ ٧/ ١ ـ ٣: ولما بُني السور، وأقيمت المصاريع، وترتب البوابون والمغنون واللاويون، أقمت حنانيَ أخي وحَنَنْيا رئيس القصر على أورشليم، وقلت لهما: لا تُفتح الأبواب حتى تحمى الشمس.

٧/ ٥ ـ ٧: فألهمني ربِّي أن أجمع العظماء والولاة والشعب لأجل الانتساب، فوجدت سفر انتساب الذين صعدوا أولاً ووجدت مكتوباً فيه: هؤلاء بنو الكورة الصاعدون من سبي المسبيين الذين سباهم نبوخَذنَصَّر ملك بابل، ورجعوا إلى أورشليم ويهوذا، كل واحد إلى مدينته، الذين جاؤوا مع زربابل.

عزرا ونحميا يقومان برسالتهما الدينية والمدنية:

جاء في سفر نحميا ٨/ ١ ـ ٣: ولما استهلَّ الشهر السابع، وبنو إسرائيل في مدنهم، اجتمع الشعب إلى الساحة وقالوا لعزرا الكاتب أن يأتي بسفر شريعة موسى، فأتى بها في اليوم الأول من الشهر السابع، وقرأ فيها أمام الساحة من الصباح إلى نصف النهار، أمام الرجال والنساء والفاهمين، وكانت آذان كل الشعب نحو السِّفْر.

إقامة عيد المظال:

٨/ ١٣ ـ ١٨: وفي اليوم الثاني اجتمع رؤوس آباء جميع الشعب والكهنة واللَّاويون إلى عَزْرا الكاتب ليفهمهم كلام الشريعة، فوجدوا مكتوباً في الأوامر أنَّ بني إسرائيل يسكنون في مظالٍّ في العيد في الشهر السابع... فخرج الشعب وجلبوا وعملوا لأنفسهم مظال...

وسكنوا فيها، لأنه لم يعمل بنو إسرائيل هكذا من أيام يشوع بن نون إلى ذلك اليوم...

وعملوا عيداً سبعة أيام، وفي الثامن اعتكاف.

طلاق الأجانب ومنع التزاوج بهم:

ـ نحميا ٩/ ١ ـ ٢: وفي اليوم الرابع والعشرين من هذا الشهر اجتمع بنو إسرائيل بالصوم، وعليهم مسوح وتراب، وانفصل نسل إسرائيل من جميع بني الغرباء، ووقفوا واعترفوا بخطاياهم وذنوب آبائهم.

ـ ١٠/ ٢٨ ـ ٣٠: وكل الذين انفصلوا من شعوب الأراضي إلى شريعة الله ونسائهم وبنيهم وبناتهم، كل أصحاب المعرفة والفهم لصقوا بإخوتهم وعظمائهم، ودخلوا في قَسَم أن يسيروا في شريعة الله... وأن لا نعطي بناتنا لشعوب الأرض، ولا نأخذ بناتهم لبنينا.

ـ ١٣/ ٢٣ ـ ٣٠: في تلك الأيام أيضاً رأيت اليهود الذين ساكنوا نساء أشدوديات =

. . . .

= وعمونيات وموآبيات، ونصف كلام بنيهم باللسان الأشدودي، ولم يكونوا يحسنون التكلم باللسان اليهودي، بل بلسان شعب وشعب، فخاصمتُهُم ولعنتُهُم، وضربتُ منهم أناساً ونتفتُ شعورهم، واستحلفتهُم ألا تعطوا بناتكم لبنيهم، ولا تأخذوا من بناتهم لبنيكم، ولا لأنفسكم، أليس من أجل هؤلاء أخطأ سليمان؟ هو أيضاً جعلته النساء الأجنبيات يخطئ، فهل نسكت لكم أن تعملوا هذا الشر العظيم بالخيانة ضد إلٰهنا بمساكنة نساء أجنبيات. وكان واحد من بني يوداع بن ألياشيب الكاهن العظيم صهراً لسَنْبَلَّط الحوروني فطردته من عندي، فطهرتهم من كل غريب، وأقمت حراسات الكهنة واللّاويين، كل واحد على عمله.

وجاء في سفر عَزْرا ٩/١ ـ ٦: تقدم إليّ الرؤساء قائلين: لم ينفصل شعب إسرائيل والكهنة اللّاويون من شعوب الأراضي حسب رجاساتهم، لأنهم اتخذوا من بناتهم لأنفسهم ولبنيهم، واختلط الزرع المقدَّس بشعوب الأراضي، وكانت يَدُ الرؤساء والولاة في هذه الخيانة أولاً، فلما سمعتُ بهذا الأمر مَزَّقْتُ ثيابي وردائي، ونتفتُ شعر رأسي وذقني وجلست متحيِّراً، فاجتمع إليَّ كل من ارتعد من كلام إلٰه إسرائيل، من أجل خيانة المسبيين، وعند تقدمة الماء قمت من تذلُّلي وجَثَوت على ركبتيَّ، وبسطت يديَّ إلى الرب وقلت: اللهم إني أخجل وأخزَى من أن أرفع وجهي نحوك، لأن ذنوبنا قد كثرت.

ـ ٩/ ١٠ ـ ١٤: والآن فماذا نقول يا إلٰهنا بعد هذا، لأننا تركنا وصاياك التي أوصيت قائلاً: إنَّ الأرض التي تدخلون أرض متنجسة، فلا تعطوا بناتكم لبنيهم، ولا تأخذوا بناتهم لبنيكم، ولا تطلبوا سلامتهم وخيرهم إلى الأبد. وبعد كل ما جاء علينا لأجل أعمالنا الرديئة، ثم أعطيتنا نجاة، أفنعود ونتعدى وصاياك ونصاهر شعوب هذه الرجاسات!

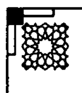
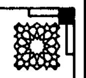
ـ ١٠/ ١ ـ ٣: فلما صلَّى عَزْرا واعترف وهو باكٍ وساقطٌ أمام بيت الله، اجتمع إليه من إسرائيل جماعة كثيرة، وقال شَكَنْيا لعزرا: إننا قد خُنَّا إلٰهنا واتخذنا نساء غريبة من شعوب الأرض، فلنقطع الآن عهداً مع إلٰهنا أن نخرج كل النساء والذين ولدوا منهن حسب مشورة سيدي، وليُعمل حسب الشريعة.

ـ ١٠/ ١٠ ـ ١٢: فقام عَزْرا الكاهن وقال لهم: إنكم قد خُنْتم واتخذتم نساء غريبة، فاعترفوا الآن للرب، واعملوا على مرضاته، وانفصلوا عن شعوب الأرض وعن النساء الغريبة. فقالوا كلهم بصوت عظيم: كما كلمتنا، كذلك نعمل.

ـ ١٠/ ١٦ ـ ١٨: وفعل هكذا بنو السبي، وجلس عَزْرا ورؤوس الآباء في اليوم الأول من الشهر العاشر للفحص عن الأمر، وانتهوا من كل الرجال الذين اتخذوا نساء غريبة في اليوم الأول من الشهر الأول، فوجد بين بني الكهنة من اتخذ نساء غريبة.

ـ ١٠/ ٤٤: كل هؤلاء اتخذوا نساء غريبة، ومنهن نساء قد وضعن بنين.

ـ وهكذا استعاد اليهود بعض أوضاعهم، لكنهم فقدوا استقلالهم، وقَبَعوا بحكم ذاتي تحت سيطرة الفرس، ودأب عَزْرا ومن معه على تبصير الناس بالشريعة، وتفسيرها لهم، ولذلك لقبوه بالكاهن وبالكاتب وبالورّاق. أي العالم والفقيه.

الفرع السادس

توراة عزرا

* * * * *

[جمع أشتات التوراة وتنسيقها]

واستمر مصير التوراة مجهولاً، وظل بنو إسرائيل بدون شريعة إلى أن أملاها عليهم من حفظه عَزْرا الوراق الهاروني، وهم مقرون أنه وجدها عندهم وفيها خلل كثير فأصلحه، وهذا يكفي.

وكان كتابة عَزْرا للتوراة بعد أزيد من سبعين سنة من خراب بيت المقدس، وكتبهم تدل على أن عَزْرا لم يكتبها لهم، ولم يصلحها إلا بعد نحو أربعين عاماً من رجوعهم إلى البيت بعد السبعين عاماً التي كانوا فيها جالين، ولم يكن فيهم نبي أصلاً، ولا القبة ولا التابوت، واختلف في المنارة، كانت عندهم أم لا؟

ففي دون هذا كفاية لمن عقل في أنها كتاب مبدَّل مكذوب موضوع، ودين معمول خلاف الدين الذي يقرون أن موسى ﷺ أتاهم به، وما يريد الشيطان منهم أكثر من هذا، ولا في الضلال فوق هذا. ونعوذ بالله من الخذلان[1].

---

[1] المتتبع لأسفار التوراة يشعر أن اليهود بعد جيلين أو ثلاثة لم يحتفظوا بشيء مما تركه موسى، فقد نَسُوا الرجل، وأضاعوا توراته وتعاليمه. وعلماء أهل الكتاب في عصرنا لا ينكرون هذه الحقيقة الواقعية كما تقدم، والاعتقاد السائد لديهم أن عَزْرا هو الذي جمع أسفار التوراة ونظمها بعد فقدها. فمن عَزْرا، وما منزلته؟

جاء في سفر عَزْرا ٧/ ١ ـ ٦: وبعد هذه الأمور في ملك أَرْتَحْشَسْتا ملك فارس، عَزْرا ابنُ سَرايا بن عَزَريا بنِ حِلْقِيَّا بن شَلّوم بن صادوق بن أَخِيطوب بن أَمَرْيا بن عزريا بن مرايوث بن زَرَحْيا بن عُزّي بن بُقّي بن إيشوع بن فِينحاس بن أَلعَازار بن هارون الكاهن الرأس، عزرا هذا صعِد من بابل، وهو كاتب ماهر في شريعة موسى التي أعطاها الرب إلٰه إسرائيل، وأعطاه الملك حسب يد الرب إلٰهه عليه كل سؤله.

وجاء في قاموس الكتاب المقدس ٢/ ٦٢١: يرد في الكتاب المقدس اسم عَزْرا، وهو =

. . . .

= اسم عبري، معناه عون، وهو كاهن عاد من بابل إلى القدس، معاصر لنحميا، تمكن من أن ينال عفو الإمبراطور عن اليهود وسماحه لهم بالعودة إلى القدس وإقامة حكم ذاتي في فلسطين.

وقد احتل مرتبة دينية عند اليهود، وحاز على ثقة الشعب، فقد قبلوا كتابته للأسفار وجمعه لها وتنظيمها. وهذا ما جعل المتأخرين عنه أو بعده بأعصر يعدونه زعيماً لهم بعد موسى، ولقبوه بالكاهن وبالكاتب، لأنه كان دارساً ومفسراً لوصايا الرب وعهده لبني إسرائيل. اهـ.

وقد ذكر أيضاً في التلمود البابلي بعبارات المدح والاحترام البالغ، وذكروا أنه كان من الربانيين ولم يكن رسولاً.

هل عَزْرا هو عُزَير؟

ورد في القرآن الكريم أن اليهود قد ضلُّوا كما ضلَّت النصارى بادعائهم أن للرحمن ولداً، قال تعالى في سورة التوبة: ٣٠: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾. وحكاية القرآن لهذا القول بين جمع وافر من اليهود يسكنون في أماكن متفرقة من جزيرة العرب، ويحيطون بالمسلمين من قريب وبعيد دليل على أن بعضهم يقول هذا القول، وأن يهود المدينة وغيرهم، عندهم علم بذلك، وإلا فإن القرآن يمتنع أن يواجههم بما ليس فيهم، ولا سيما من أسلم من علمائهم، كعبد الله بن سلام ﷺ.

وقد أكَّد بعض المفسرين ـ ومنهم محمد رشيد رضا في تفسير المنار ١٠/ ٣٢٧ـ أن بعض يهود المدينة كان يقول بذلك.

روى ابن إسحاق وغيره عن ابن عباس ﷺ قال: أتى رسول الله ﷺ سلَّام بن مِشْكَم ونعمان بن أوفَى وأبو أنس وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا: كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا، وأنت لا تزعم أن عُزَيراً ابن الله؟

وعدَّ بعضهم ـ ومنهم الزرقاني في مناهل العرفان ٢/ ٢٧٩ـ أن الآية معجزة تاريخية كشف عنها العلم الحديث عن طريق الأحافير وتتبع الآثار، فإن أكثر اليهود لم يكونوا يعرفون هذا القول في عصر نزول القرآن الكريم، فلعل من قال بذلك اكتسبه من المصريين القدماء الذين يعتقدون أن أوزيرُس هو ابن الله، خلال اختلاطه بهم قبل النكبة أو بعدها.

فهل عزير هذا هو عزرا الكاتب؟

● ذهب أكثر المفسرين إلى أنه هو. قالوا: والظاهر أن يهود العرب هم الذين صَغّروه بالصيغة العربية للتحبيب وصرفوه، وعنهم أخذ المسلمون [تفسير المنار ١٠/ ٣٢٢ و٣٢٤ و٣٢٦، وتفسير البيضاوي ص٢٢٢].

● وقال الحكيم السموءل بن يحيى ـ وهو من أعاظم اليهود قبل إسلامه ـ في كتابه بذل المجهود ص١٧٤: عَزْرا الوراق ليس هو العزير كما يظن، لأن العزير هو تعريب ألعازار، فأما عَزْرا فإنه إذا عُرِّب لم يتغير عن حاله، لأنه اسم خفيف الحركات والحروف. وعزرا عندهم ليس بنبي، وإنما يسمونه عزرا هوفير، وتفسيره الناسخ.

متى كتب التوراة وأين؟ وما المصادر التي اعتمد عليها؟ =

= تشير الدلائل إلى أن أسفار العهد القديم كتبت في مراحل متباعدة، ثم قام عزرا بجمعها وكتابة بعضها وتنقيحها، وأعانه على ذلك آخرون. ويقر اليهود بأن كتابهم المقدَّس ظل زمناً طويلاً يُروى مشافهة من مصادر مختلفة، وما كتبه عَزْرا وغيره عن موسى إنما هو مما وعَتْه الذاكرة الشعبية عنه، مع أن بين الرجلين ما يقارب ألف عام، ويزعمون أنه لولا المحقِّقون الذين محَّصوا الروايات ونسقوها لانطمست معالم النص المقدس. وعلماء الكتاب المقدس مجمعون على أن العهد القديم جرى وضعه خلال النفي في بابل وبعده، ففي المنفى أعاد كهنتهم كتابة الشريعة، وألَّفوا الأسفار المعروفة بأسماء الأنبياء، ومع مرور الزمن أدخلوا عليها تعديلات وأساطير مختلفة، وخلطوا بين أحداث وأخرى عن قصد وبدون قصد، إلى أن كان يوم الخلاص، فعادوا إلى فلسطين في القرن الخامس، وأعادوا بناء الهيكل، وأعادوا أيضاً النظر في دينهم وشرعهم، فكانت اليهودية المنظمة [وانظر: الأجوبة الفاخرة ص٧٩، التوراة بين الوثنية والتوحيد لسهيل ديب ص٨٠ و٨٧، التوراة تاريخها غاياتها ترجمة سهيل ديب ص٦٥].

قال الحكيم السموءل بن يحيى في بذل المجهود ص١٣٤: فلما رأى عَزْرا أن القوم قد أُحرق هيكلهم وزالت دولتهم، وتفرق جمعهم، ورفع كتابهم، جمع لهم من محفوظاته، ومن الفصول التي يحفظها الكهنة ما لفَّق منه هذه التوراة التي في أيديهم، ولذلك بالغوا في تعظيمه غاية المبالغة، وزعموا أن النور إلى الآن يظهر على قبره الذي عند البطائح بالعراق، لأنه عمل لهم كتاباً يحفظ دينهم، فهذه التوراة التي في أيديهم على الحقيقة كتاب عَزْرا، وليس كتاب الله.

وقرر الكاتب اليهودي الفيلسوف سبينوزا في كتابه رسالة في اللاهوت والسياسة، بأدلة من التوراة أن موسى لم يكتب هذه التوراة، وأن كاتبها لا يمكن أن يشتبه إلا في أنه عزرا، كتبها ببابل في أثناء السبي. واستشهد بعبارات للحبر إبراهيم بن عَزْرا [وانظر أيضاً: تعريف بالتوراة السامرية لأحمد حجازي ص٢١].

وقال العالم وِل ديورانت في كتابه قصة الحضارة ٢/٣٦٧ ـ ٣٦٨ عن الأسفار المنسوبة إلى موسى: كيف كتبت ومتى كتبت وأين كتبت؟ ذلك سؤال كتب في الإجابة عنه آلاف المجلدات، لكن يجب أن نفرغ منه في فقرة واحدة، فإن العلماء مجمعون على أن أقدم ما كتب من أسفار التوراة هو سفر التكوين، وقد كتب بعضه في يهوذا، وبعضه في إسرائيل، ثم تم التوافق بين ما كتب هنا وهناك بعد سقوط دولتي اليهود، والرأي الغالب أن سفر التثنية من كتابة عزرا. ويبدو أن خمسة الأسفار اتخذت صورتها الحاضرة حوالي عام ٣٠٠ق.م.

ويقرر أيضاً أن أسفار العهد القديم جُمعت لأول مرة في بابل، ثم ظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد، ويربط ذلك بأهمية الأسر البابلي على اليهود.اهـ.

ويرى بعض الباحثين أن عَزْرا والكهنة الذين معه هم الذين كتبوا النص الكهنوتي الموجود في أسفار التوراة، وبالذات في سفر اللاويين، أما النص الإلوهيمي والنص اليهودي فقد كتبا في القرن التاسع والثامن قبل الميلاد، وكتب سفر التثنية في زمن يوشيَّا عام ٦٢٢ قبل الميلاد.

وقد أعلن بحاثة يهودي أصبح فيما بعد أستاذ علم الاجتماع في الجامعة العبرية بالقدس أن الأسس التاريخية لهذه العقيدة اليهودية الأرثوذكسية، قد أعطيت لليهود في تشريعات عَزْرا =



التوراة السامرية

قال أبو محمد رَحِمَهُ اللهُ: أول ذلك أن بأيدي السامرية توراة غير التوراة التي بأيدي سائر اليهود، يزعمون أنها المنزلة، ويقطعون أن التي بأيدي اليهود محرَّفة مبدَّلة، وسائر اليهود يقولون: إن التي بأيدي السامرية محرَّفة مبدلة. ولم يقع إلينا توراة السامرية، لأنهم لا يستحلون الخروج عن فلسطين والأردن أصلاً.

فبقايا المنقولين من آمد والجزيرة إلى بلاد إسرائيل هم الذين ينكرون التوراة جملة، وعندهم توراة أخرى غير هذه التي عند اليهود، ولا يؤمنون بنبي بعد موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ولا يقولون بفضل بيت المقدس ولا يعرفونه، ويقولون: إن المدينة المقدسة هي نابلس.

فأمر توراة أولئك أضعف من توراة هؤلاء، لأنهم لا يرجعون فيها إلى نبي أصلاً، ولا كانوا هنالك أيام دولة بني إسرائيل، وإنما عملها لهم رؤساؤهم أيضاً[1].

= ونحميا حوالي سنة ٤٠٠ق.م، ثم عدلت ونقحت في القرون التالية في الشريعة غير المكتوبة.

أي الشفوية وتلمود بابل، أما الأرثوذكس فكلمة يونانية معناها العقيدة القويمة.

ويرى باحثون من علماء اليهود وغيرهم أن كتاب حزقيال وضع أولاً، ثم ركبت من حوله الكتب الأخرى.

وذكر بعضهم أن نبوءة حزقيال الموضوعة بين السنتين ٥٩٢ ـ ٥٧٠ قبل الميلاد كانت بداءة سيطرة المبدأ الفريسي على اليهود [التوراة بين الوثنية والتوحيد لسهيل ديب ص٨٠ و٨٧، والتوراة تاريخها غاياتها ترجمة سهيل ديب ص٦٥] والفريسيون هم كتبة توراة اليهود.

وذكر بعض الباحثين أن مؤلف سفر عَزْرا وسفر نحميا وسفري أخبار الأيام واحد أو مجموعة واحدة، وقد كان سفر عزرا ونحميا واحداً، ولكنهما فُصِلا في الترجمة السبعينية اليونانية، كما يدل نوع التأليف على أن الذي جمعها كان يخدم في الهيكل، وقد قام بعمله هذا بعد عهد عَزْرا [وانظر الحواشي على الكتاب المقدس ص٧٨٤].

[1] لما رجع بنو إسرائيل من بابل، وسكن كل من العبرانيين والسامريين في مدنهم، ظهر عداء شديد بينهما، وعقب العودة وضع عَزْرا بتأييد من الفرس نظاماً لليهود برآسة الكاهن الأكبر ومجلس الكهنة (السنهدرين) لتسيير أمورهم، وخضع لهذا النظام اليهود الذين في =

....

= الخارج، لكن السامريين لم يعترفوا به. واستفحل الخلاف بينهما بعد أن رفض العبرانيون مشاركة السامريين لهم في بناء الهيكل بحجة أنهم كانوا أقرب إلى الوثنيين في عقائدهم وعاداتهم، الأمر الذي أدَّى بالسامريين إلى مراجعة أمورهم وانفصالهم بتوراة خاصة بهم، لا تضم إلا خمسة الأسفار، ورفضوا ما عداها، لأنهم لا يؤمنون بالأنبياء الذين جاءت أسفارهم بعد توراة موسى، ويرونها من صنع البشر، ولا يستثنون إلا سفر يشوع بن نون، لأن التوراة نفسها تشير إلى أن يشوع صاحب موسى وخادمه، وأن موسى عهد إليه بالخلافة من بعده، وأنه هو الذي يعبر الأردن بأول فوج من بني إسرائيل، فيضيفون سِفْره أحياناً إليها، ويضيف بعضهم أيضاً سِفْر القضاة. ويقولون: إن التوراة العبرانية كتبها عزرا، وساعده زربابل بن شألتئيل. وهذا يعني أن توراتهم هي الحقيقية الموروثة عن موسى، وليست من كتابة أحد من بعده. وكل من الطرفين يقول للآخر: نحن على الحق، وأنتم الذين حرَّفتم وغيرتم وزدتم وأنقصتم من كتاب الله.

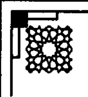
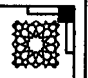
جاء في كتاب التاريخ مما تقدم عن الآباء للمؤرخ السامري أبي الفتح بن أبي الحسن الدنفي ص٩٧: أن الملك فلطمة... ولعله فيلادلفيوس اليوناني قال لعلماء من السامريين: ما تقولون في هؤلاء الذين ادَّعى اليهود أنهم أنبياء، ولهم هذه الأسفار؟ فقالوا: أيها الملك، أما هؤلاء فلا نعترف بنبوتهم ولا بأسفارهم، لأنها إما أن تكون وردت على يد أنبياء أو غير أنبياء، فإن كانت على يد أنبياء، فقد منعت الشريعة الموسوية أن يقوم بعد موسى نبي بقوله: «ولا يقوم أيضاً نبي في بني إسرائيل كموسى»، ولو صادقناهم على ادعائهم مع منعها عندنا، لكانت إما أن ترد بمثل ما في التوراة سواء، فلا حاجة إليها، أو بأنقص مما فيها، فاتباع الأفضل أوجب، أو بأزيد مما فيها، وقد نهى الشرع عندنا وعندهم قبوله. [عن تقديم أحمد حجازي السقَّا للتوراة السامرية ص٤ ـ ٦].

ويظهر ـ والله أعلم ـ أن التوراتين كانتا توراة واحدة، كتبت في أثناء السبي، وبعد العودة واشتداد الخلاف، عدَّلت كل فرقة النص وفق أهوائها، مما أدى إلى وجود نسختين مختلفتين، إذ يكاد العلماء والباحثون يجمعون، وبخاصة علماء اليهود، على أن التوراة جرى تأليفها في القرن السادس قبل الميلاد إبان سبي بابل.

تعريف بالسامريين وعقيدتهم:

السامريون فرقة صغيرة من اليهود، اتخذت من شكيم (نابلس) عاصمة لها، واعتقدت أنَّ جبل جِرِزّيم هو المقدَّس دون جبل صِهيون، فهم يصلون إلى جهته، ويحجون إليه، وينحرون عنده الأضاحي، ويسمونه الصخرة، واعتقادهم راسخ أنهم من آل يوسف عليه السلام ويزعمون أن المسيح المنتظر يكون من آل يوسف، وهم يكفرون بداود وسليمان عليهما السلام ويزعمون أن موسى عليه السلام كان يجعل قبلته نحو بيت إيل، لكن داود وسليمان غيَّرا شكل المجتمع الديني بحسب هواهما، وغيرا القبلة القديمة، كما غيَّر من أتى بعده من الأنبياء شكل الدين وشوَّهوه.

سموا بالسامريين نسبة إلى السامرة، وهي مقاطعة قديمة في فلسطين، قاعدتها شكيم التي كانت عاصمة مملكة إسرائيل التي انشقت على ابن سليمان. وسميت تلك المنطقة بالسامرة، =

الفرع السابع



التوراة بعد عزرا

* * * * *

[التوراة إبان حكم اليونان]

ومنذ ذلك الوقت انتشرت التوراة ونسخت، وظهرت ظهوراً ضعيفاً أيضاً، ولم تزل تتداولها الأيدي مع ذلك إلى أن جعل أنطاكيوس الملكُ الذي بنى

= لأن ملكهم عُمري اشترى جبلاً من شامر، وبنى عليه مدينة، فسميت باسم شامر.

جاء في سفر الملوك الأول ١٦/ ٢٣ ـ ٢٤: «ملكَ عُمري على إسرائيل في ترصَةَ ست سنين، واشترى جبل السامرة من شامِر، وبنى عليه مدينة، دعا اسمها باسم شامر صاحب الجبل، السامرة».

أما شكيم، فكانت تسمَّى بهذا الاسم قبل أن تطرق أقدام العبرانيين فلسطين، ويشرف عليها جبل جرزيم.

ولا زال أبناء هذه الفرقة يقيمون في نابلس وضواحيها، وهم لا يستحلون الخروج من بلاد الشام، ويتبعون ظاهر النص ومنطوقه الحرفي، ويحرصون على حرمة السبت، فلا يرى فيه عندهم نور ولا نار.

ويرى اليهود العبرانيون أن أصول السامريين ترجع إلى من بقي من اليهود والجَهَلة الضعفاء في فلسطين بعد السبي، ويرون بذلك أنهم لا يمتون إلى يعقوب وموسى بصلة، لأنهم من أخلاط الناس، ومن الجويم المتعاونين مع أعداء اليهود، حيث اضطرهم الآشوريون إلى هذا المكان، وحلُّوا محلَّ بني إسرائيل، تنفيذاً للعنة إلٰهية حلَّت على بني إسرائيل بسبب ظلمهم وإجرامهم، حتى إن العبرانيين كانوا لا يتعاملون معهم، وهم يلقبون كل خارج عن تقاليدهم بالسامري، دلالة على أنه منبوذ، غير أن هذه النظرة خفَّت اليوم بتأثير السياسة التي يتبعونها، فأمسوا ينظرون إليهم على أنهم إخوة لهم، لكن اختلفوا معهم بالرأي، كما اختلف العبرانيون أنفسهم فيما بينهم بالرأي أيضاً. [وانظر التوراة السامرية تقديم وتعليق أحمد حجازي السقا ص٤ ـ ٦ و١٤ و١٧ و٢١ و٢٦ ـ ٢٧، الأسفار المقدسة لعلي عبد الواحد وافي ص٥٨، اليهودية لأحمد شلبي ص٢٣٩، الفكر الديني اليهودي لحسن ظاظا ص٢٠٥ ـ ٢٠٧ و٢٠٩].

أنطاكية، وثناً للعبادة في بيت المقدس، وأخذ بني إسرائيل بعبادته، وقُربت الخنازير على مذبح البيت[1].

---

[1] ظل اليهود زهاء قرنين تحت سيطرة الفرس، إلى أن هزم الإسكندر الأكبر المكدوني الدولة الفارسية، واستولى على بلاد الشام عام ٣٣٢ ق.م تقريباً، فدان له جميع اليهود من عبرانيين وسامريين، وبعد موته عام ٣٢٣ ق.م تقريباً تقاسم قُوَّاده الإمبراطورية بحسب ما أوصاهم.

جاء في سفر المكابيين الأول ١/١ ـ ٥: الإسكندر بن فيلِبُّس المكدوني أوقع بداريوس ملك فارس وماداي، وملك مكانه، وهو أول ملك على اليونان، أثار حروباً كثيرة، وقتل ملوك الأرض، واجتاز إلى أقاصيها.

١/٦ ـ ١٠: ملك اثنتي عشرة سنة، ثم مرض وأحسَّ بالموت، فدعا عبيده الذين نشؤوا معه، وقسم مملكته بينهم حال حياته، ثم مات، فتملك كل واحد في مكانه، ولبس كل واحد منهم التاج، وكذلك بنوهم من بعدهم سنين كثيرة.

اختلاط اليهود بالأمم وتأثرهم بهم:

في عهد أنطيوكس الرابع طفق كثير من اليهود يتشبَّهون باليونان، ويتعوَّدون بعاداتهم، ويقتفون دياناتهم، وكان منهم من يتزلف إلى الملك طمعاً في المناصب والمكاسب.

جاء في المكابيين الأول ١/١١ ـ ١٦: وخرجت منهم جرثومة أثيمة هي أنطيوكس الشهير ابن أنطيوكس الملك. وكان رهينة في رومية، وملك في السنة المئة والسابعة والثلاثين من دولة اليونان. وفي تلك الأيام خرج من إسرائيل أبناء منافقون، فأغرَوا كثيرين قائلين: هلمَّ نعقد عهداً مع الأمم حولنا، فإنا منذ انفصلنا عنهم لحقتنا شرور كثيرة. فحسن الكلام في عيونهم، وبادر نفر من الشعب وذهبوا إلى الملك، فأطلق لهم أن يصنعوا بحسب أحكام الأمم، فابتنوا مدرسة في أورشليم على حسب سنن الأمم، وعملوا غلفاً، وارتدوا عن العهد المقدس، ومازجوا الأمم، وباعوا أنفسهم لصنيع الشر.

غدر اليهود ثم التنكيل بهم وإحراق الهيكل:

هاجم بطليموس السادس سورية، فدحره أنطيوكس الرابع، ثم تتبعه إلى مصر وقتله، لكن أشيع في القدس العكس، فقام رئيس الكهنة السابق ياسون، وانقض على المدينة بمن معه، فقتل الحراس وذبح معارضيه. وعاد أنطيوكس من مصر بجيش كثيف، فدخل القدس، وأمر جنوده بقتل كل من يرونه من اليهود، ثم اقتحم الهيكل فاستولى على ما فيه من نفائس وأحرقه، ثم هدم بيوت المدينة وبعض أسوارها.

جاء في المكابيين الأول ١/١٧ ـ ٤٠: ولما استتب الأمر لأنطيوكس أزمع على امتلاك مصر، فدخلها بجيش كثيف، فارتاع بطُلْماوس من وجهه وهرب، وسقط قتلى كثيرون، ورجع أنطيوكس بعدما أوقع بمصر، وذلك في المئة الثالثة والأربعين، ونهض نحو إسرائيل، فصعد نحو أورشليم، ودخل المقدس بتجبُّر وأخذ مذبح الذهب ومنارة النور مع جميع أدواتها وغير ذلك وحطمها جميعاً، وأكثر من القتل، وتكلم بتجبُّر عظيم... ثم هجم على المدينة وضربها =

. . . .

= ضربة عظيمة، وهدم بيوتها وأسوارها. . . وجعلوا هناك أمة أثيمة، رجالاً منافقين، فصاروا لهم شَرَكاً مهلكاً، وكان ذلك مكمناً للمقدس وشيطاناً خبيثاً لإسرائيل على الدوام، فسفكوا الدم الزكي حول المقدس ونجسوه.

وجاء في المكابيين الثاني ٥/١: في ذلك الزمان تجهز أنطيوكس لغزو مصر ثانية.

٥/ ٥ ـ ٧: وأرجف قوم أن أنطيوكس قد مات، فاتخذ ياسون جيشاً ليس بأقل من ألف، وهجم على المدينة بغتة، حتى إذا دفع الذين على الأسوار، وأوشك أن يأخذ المدينة، هرب مَنَلاوُس إلى القلعة، فطفق ياسون يذبح أهل وطنه بغير رحمة.

٥/ ١١ ـ ١٧: فلما بلغت الملك هذه الحوادث اتهم اليهود بالانقضاض عليه، فزحف من مصر، وقد تَنَمَّر في قلبه وأخذ المدينة عَنوة، وأمر الجنود أن يقتلوا كل من صادفوه دون رحمة، ويذبحوا المختبئين في البيوت، فطفقوا يهلكون الشبان والشيوخ، ويبيدون الرجال والنساء والأولاد، ويذبحون العذارى والأطفال. . . ولم يكتف بذلك، بل اجترأ ودخل الهيكل، وكان دليله مَنَلاوُس الخائن للشريعة والوطن، وأخذ الآنية المقدسة مع ما أهدته ملوك الأجانب لزينة الموضع.

٥/ ٢١ ـ ٢٥: ورجع إلى أنطاكية، وترك عمالاً يراغمون الأمة، منهم فيلبس في أورشليم، وأندرونَلِس في جِرِزّيم، ثم حمله ما كان عليه من المقت لرعايا اليهود أن أرسل أبُلُّونيوس في اثنين وعشرين ألف جندي، وأمره أن يذبح كل بالغ، ويبيع النساء والصبيان.

٥/ ٢٧: وإن يهوذا المكابي كان قد انصرف إلى البرية، وهو عاشر عشرة، فلبث مع أصحابه في الجبال يعيشون عيشة الوحوش، ويأكلون العشب، لئلا يشتركوا في النجاسة.

أنطيوكس يوحِّد الديانة ويحرق أسفار الشريعة:

ولم يلبث أنطيوكس أن قرر توحيد الديانة في جميع البلدان الخاضعة لحكمه، وإلزام شعوبها بعبادة آلهة اليونان، فأصدر أوامره إلى اليهود بالامتناع عن ممارسة عباداتهم وعاداتهم، وأمر ببناء مذبح للأصنام في الهيكل وفي كل مدينة من مدن اليهود، فانضم إليه كثيرون منهم، وأمر جنوده أن يمزقوا كل ما يجدونه من أسفار الشريعة، وأن يتتبعوا كل من يخفي نسخة أو سفراً أو يؤدي رسماً من رسوم الشريعة فيقتلوه. وكان ذلك ينفذ علناً كل شهر، فلم يجرؤ أحد أن يعترف أنه يهودي.

جاء في المكابيين الأول ١/ ٤٣ ـ ٦٧: وكتب الملك أنطيوكس إلى مملكته كلها بأن يكونوا جميعاً شعباً واحداً، ويترك كل واحد سنته. فأذعنت الأمم بأسرها لكلامه، وكثيرون من إسرائيل ارتضوا دينه، وذبحوا للأصنام، ودنسوا السبت. وأنفذ الملك كتباً إلى أورشليم ومدن يهوذا أن يتبعوا سنة الأجانب في الأرض، ويمتنعوا عن المُحْرقات والذبيحة والسكيب في المقدس، ويدنسوا السبوت والأعياد، وينجسوا المقادس والقديسين، ويذبحوا الخنازير والحيوانات النجسة، ويتركوا بنيهم قُلْفاً، ويقذروا نفوسهم بكل نجاسة حتى ينسوا الشريعة ويغيروا الأحكام، ومن لا يعمل بمقتضى ذلك يقتل، وأقام رقباء على جميع الشعب. فانضم إليه كثيرون من الشعب. . . وما وجدوه من أسفار الشريعة مزقوه وأحرقوه، وكل من وجد عنده =

....

= سفر أو اتبع الشريعة فإنه مقتول، هكذا كانوا يفعلون في المدن شهراً فشهراً... وإن كثيراً في إسرائيل عزموا وصمموا في أنفسهم على أن لا يأكلوا نجساً، واختاروا الموت لئلا يتنجسوا بالأطعمة، ولا يدنسوا العهد المقدس فماتوا. وكان على إسرائيل غضب شديد.

وجاء في المكابيين الثاني ٦/ ١ ـ ١٢: وبعد ذلك بيسير أرسل الملك شيخاً ليضطر اليهود أن يرتدّوا عن شريعة آبائهم، وليدنس هيكل أورشليم، ويجعله على اسم زَوْس الأولُمبي، ويجعل هيكل جِرِزّيم على اسم زَوْس مُؤوي الغرباء، لأن أهل الموضع كانوا غرباء، فاشتد انفجار الشر، وامتلأ الهيكل عهراً وقُصوفاً، وأخذ الأمم يفسقون بالمأبونين، ويضاجعون النساء في الدور المقدسة، وكان المذبح مغطى بالمحارم التي نهت الشريعة عنها، ولم يكن لأحد أن يعيد السبت، ولا يعترف بأنه يهودي أصلاً. وكانوا في كل شهر يوم مولد الملك يساقون قسراً إلى التضحية. وفي عهد دِيوتنيسيوس يُضطرون إلى الطواف إجلالاً له، وعليهم أكاليل من اللبلاب. وصدر أمر إلى المدن اليونانية المجاورة بإغراء البطالمة أن يلزموا اليهود بمثل ذلك وبالتضحية، وأن من أبى أن يتخذ السُّنن اليونانية يقتل، فذاقوا بذلك أمرَّ البلاء، فإن امرأتين سُعي بهما أنهما ختنتا أولادهما، فعلَّقوا أطفالهما على أثديهما، وطافوا بهما في المدينة، ثم ألقوهما عن السور، ولجأ قوم إلى مغاور كانت بالقرب منهم، لإقامة السبت سراً، فوشي بهم إلى فِيلِبُّس، فأحرقهم بالنار... وهذه النقم ليست للهلاك، بل لتأديب أمتنا.

ولا شك أن التوراة التي كتبها عزرا وغيره كانت في الهيكل عند الكهنة، ولم تكن عند عامة اليهود، وعلى أحسن تقدير كان كل كاهن يحفظ قسماً منها، فإذا كان الملك قد أحرق الهيكل وعمل فيه ما عمل، وقتل معظم الكهنة، وأمر بقتل من يوجد عنده سفر من أسفار التوراة، أو يؤدي مراسيم الشريعة، وكان التفتيش، والقتل يجري علناً كل شهر، واستمر الأمر على هذه الشاكلة ثلاث سنوات ونصف، فكيف تبقى التوراة وسائر الأسفار سليمة بعد هذا كله؟! ولو فرضنا أن شخصاً ما استطاع أن يحتفظ بنسخة ويخفيها داخل بلاد اليهود أو خارجها، فإن بقاءها أمر احتمالي، وهبها بقيت، فإنها مظنة التحريف والتبديل بسبب انعدام السند عندهم.

قال الشيخ رحمة الله الهندي في إظهار الحق ١/ ٣٢٧: وكانت هذه الحادثة قبل ميلاد المسيح ﷺ بـ(١٦١) سنة، وبقيت ثلاث سنوات ونصف كما هو مفصل في تاريخهم، وبخاصة تاريخ المؤرخ اليهودي يوسيفوس، فانعدمت في هذه الحادثة جميع النسخ التي كتبها عزرا.

التوراة إبان حكم المِكابيين

منذ عام ٢٠٠ق.م تقريباً واليهود يعاملون بقسوة واحتقار، فقد أجبرهم أنطيوكس الثالث والرابع على تغيير دينهم إلى الوثنية اليونانية. وفي تلك الأيام ظهر كاهن يهودي اسمه متاتيا بن يوحنا بن سبط لاوي، خرج من القدس وسكن في مُودَيْن مع بنيه الخمسة متألماً مما حلَّ بقومه. وجاءه رسول الملك يطلب منه أن يذبح للأوثان ويُغريه، وإذا بيهودي يقبل ليذبح لآلهة اليونان، فوثب عليه وقتله، ثم قتل مندوب الملك، ثم فرَّ مع أولاده إلى الجبال قائلاً: من كان يغار على الشريعة فَلْيلحقني، فانضم إليه كثيرون وأصبحوا مصدر إزعاج للحكام، فجهزت الدولة حملة ضدهم. =

. . . .

= جاء في سفر المكابيين الأول ٢/ ١ ـ ٥: في تلك الأيام خرج من أورشليم مَتَّثْيا بن يوحنا بن سِمعان، كاهن من بني يوريب، وسكن في مُودَيْنَ، وكان له خمسة بنين، منهم يهوذا الملقَّب بالمكابي.

٢/ ٦ ـ ٨: ولما رأى ما يصنع من المنكرات في يهوذا وأورشليم قال: ويل لي، لم ولدت، فأنظرَ إلى حَطْم شعبي وحطم المدينة المقدسة. . . وأرى المقدَّس في يد الأجانب وهيكلها كرجل ذليل.

٢/ ١٢ ـ ١٤: ها إن أقداسنا وبهاءنا ومجدنا قد دُمِّرت ودنستها الأمم، فلمَ حياتنا بعد؟ ومزق هو وبنوه ثيابهم، وتحزموا بالمسوح، وناحوا مناحة شديدة.

٢/ ١٥ ـ ٢٦: وأرسل الملك رسلاً ليجبروا الناس على الارتداد، وقَدِموا إلى مودين، واجتمع ناس كثيرون من إسرائيل، فطلب رسل الملك من مَتَّثْيا أن يبدأ بالذبح وأغروه، فأبى وبنوه أن يتركوا الشريعة والأحكام، ولما فرغ من كلامه أقبل يهودي على عيون الجميع ليذبح على المذبح، فلما رآه مَتَّثْيا وثب عليه وقتله على المذبح، وقتل أيضاً رجل الملك وهدم المذبح.

٢/ ٢٧ ـ ٣٠: وصاح في المدينة بصوت عظيم قائلاً: كل من غار للشريعة وحافظ على العهد فليخرج ورائي، وهرب هو وبنوه إلى الجبال، وتركوا كل ما لهم في المدينة. حينئذ نزل كثيرون إلى البرية ممن يبتغون العدل، ليسكنوا هم وبنوهم ونساؤهم ومواشيهم هناك، لأن الشرور كثرت عليهم.

٢/ ٤٢ ـ ٤٦: وانضم إليهم كل من انتدب للشريعة، فألَّفوا جيشاً وأوقعوا بالخَطأة وبرجال النفاق، ثم جال مَتَّثْيا وأصحابه وهدموا المذابح، وختنوا كل من وجدوه في تخوم إسرائيل من الأولاد الغلف، وتشردوا.

موت متتيا وحكم ابنه المِكابي:

وبعد موت مَتَّثْيا خلفه ابنه يهوذا الملقَّب بالمكابي بوصية منه، فالتف إخوته وأعوان أبيه حوله، وقام بعدة عمليات في مدن اليهود، فازداد أنصاره وقويت مكانته، ثم تمكن عام ١٦٤ق.م تقريباً من السيطرة على أورشليم، وكانت مهجورة، فأزال معالم الوثنية، وأعاد الهيكل، وأعدوه للعبادة، لكنه هزم بعد سنوات وخسر المدينة ثانية.

جاء في المكابيين الأول ٢/ ٤٩ ـ ٥٠: وقاربت أيام متتيا أن يموت، فأوصى بنيه قائلاً: غاروا للشريعة، وابذلوا نفوسكم دون عهد آبائنا.

٢/ ٦٤: كونوا رجالاً في الشريعة، فبها تمجَّدون، وأوصاهم بالسمع لأخيهم سِمعان، لأنه رجل مشورة، وليكن لكم أباً، ويهوذا المكابي شديد البأس منذ صباه، يكون رئيس الجيش، ويتولَّى قتال الشعوب، واجمعوا إليكم جميع العاملين بالشريعة وانتقموا لشعبكم، ثم باركهم ومات سنة (١٤٦ق.م) فدفن بمودين.

٣/ ١ ـ ٣: فقام مكان يهوذا ابنه المسمَّى بالمكابي، وكان كل إخوته وجميع الذين انضموا إلى أبيه أنصاراً له، فباشروا الحروب وتتابعت الانتصارات. =

....

= ٣/٣٧: فلما سمع أنطيوكس الملك بهذا استشاط غضباً، وأرسل فجمع كل جيوش مملكته.

٣/٤٤ ـ ٥٠: فاحتشدت الجماعة للقتال، وكانت أورشليم مهجورة كالقفر، لا يدخلها ولا يخرج منها أحد من بنيها. فاجتمعوا وساروا ونشروا كتاب الشريعة، وأتوا بثياب الكهنوت، ورفعوا أصواتهم إلى السماء.

٤/١٤ ـ ٢٦: واقتتلوا، فانكسرت الأمم وانهزمت، فتعقبوهم، ثم رجع يهوذا وجيشه عنهم، وأخذوا الغنائم.

٤/٢٨ ـ ٣٤: فلما كانت السنة القابلة نشبت حرب أخرى مع القائد ليسياس، انتصر فيها يهوذا أيضاً.

٤/٣٦ ـ ٤٠: وقال يهوذا وإخوته: إن أعداءنا قد انسحبوا، فلنصعد الآن لتطهير المقاديس وتدشينها، فاجتمع كل الجيش وصعدوا إلى جبل صهيون، فرأوا المقدس خالياً والمذبح متنجساً والأبواب محرقة، وقد طلع النبات في الديار، والغرفات مهدومة، فمزقوا ثيابهم وسقطوا بوجوههم على الأرض، ونفخوا في أبواق الإشارة وصرخوا إلى السماء، ثم أخذوا حجارة غير منحوتة وفاقاً للشريعة، وبنوا المذبح الجديد على رسم الأول، وبنوا المقادس وداخل البيت، وقدسوا الديار، وصنعوا آنية مقدسة جديدة، وحملوا المنارة ومذبح البخور، والمائدة إلى الهيكل، وأوقدوا السرج التي على المنارة، فكانت تضيء في الهيكل.

وفي المكابيين الثاني ١٠/١ ـ ٣: أما المكابي والذين معه، فبإمداد من الرب استردوا الهيكل والمدينة، وهدموا المذابح التي كان الأجانب قد بنوها في الساحة، وخربوا المعابد، وطهروا الهيكل، وصنعوا مذبحاً آخر، واقتدحوا حجارة اقتبسوا منها ناراً، وقدموا ذبيحة بعد فترة سنتين، وهيؤوا البخور والسرج وخبز التقدمة.

وفي المكابيين الأول ٦/١ ـ ١٦: وكان أنطيوكس الملك يجول في الأقاليم العليا... وجاءه الخبر بأن جيوشه قد انكسرت وأن ليسياس قد انهزم... فرجع إلى بابل بغم شديد، وأوقعه الغم في السقم، فلبث أياماً كثيرة، ثم أيقن بالموت... فدعا فيلبس أحد أصحابه، وأقامه على جميع مملكته، ودفع إليه تاجه وخاتمه، وأوصاه بتدبير أنطيوكس ابنه وترشيحه للملك. ومات هناك أنطيوكس.

٦/١٨ ـ ٢٠: وكان أهل القلعة يصدون إسرائيل عن دخول المقادس، فعزم يهوذا على الإيقاع بهم، وحشد جميع الشعب لمحاصرتهم، فاجتمعوا وحاصروهم.

٦/٢٨ ـ ٦٣: ولما سمع الملك بازدياد قوة يهوذا جمع جيوشاً كثيفة وزحف إليه... ثم صعد بجيوشه نحو أورشليم وحاصر اليهود ثم دخل إلى جبل صهيون، وأمر بهدم السور، ورجع مسرعاً إلى أنطاكية، فوجد فيلبس قد استولى عليها، فقاتله وأخذ المدينة عَنْوة.

٧/١ ـ ٥: خرج ديمتريوس بن سلوقس من رومية... وقبضت جيوشه على الملك أنطيوكس والقائد ليسياس، فأمر بقتلهما قبل أن يراهما وجلس على عرش ملكه، فأتاه جمع من منافقي بني إسرائيل، وفي مقدمتهم ألكيمُس، وهو يطمع أن يعين كاهناً أعظم، وحرشوه على يهوذا. =

. . . .

= ٧/ ٨ ـ ١١: فاختار القائد بكيدس وأرسله مع ألكيمس بعد أن قلَّده الكهنوت، فقدِما أرض يهوذا في جيش كثيف. . . فسفكوا دماءهم حول أورشليم، ولم يكن لهم من دافن.

٧/ ١٩ ـ ٢٢: وارتحل بكيديس إلى الملك، وسلَّم البلاد إلى ألكيمس، وأبقى معه جيشاً يؤازره، فاجتمع إليه المفسدون، واستولوا على أرض يهوذا، وضربوا اليهود ضربة عظيمة.

٧/ ٢٤ ـ ٢٧: وخرج يهوذا إلى جميع حدود اليهودية ليتقوَّى، فلما رأى الكاهن الأعظم ألكيمس أن يهوذا قد تقوى أخبر الملك، فأرسل إليه قائده نِكانور، وأمره بإبادة الشعب، فوفد على أورشليم في جيش كثير.

وفي سفر المكابيين الثاني ٨/ ١ ـ ٢: وكان يهوذا المكابي ومن معه يتسلَّلون إلى القرى ويندبون ذوي قرابتهم، ويستضمون الذين ثبتوا حتى جمعوا ستة آلاف.

٨/ ٥ ـ ٩: ولما أصبح المكابي في جيش لم تعد تثبت أمامه الأمم، وجعل يفاجئ المدن والقرى ويحرقها، وكان أكثر غاراته ليلاً، فلما رأى فِيلِبُّس أن الرجل آخذ في التقدم كتب إلى بَطُلْماوس قائد بقاع سورية، يسأله المناصرة لصيانة مصالح الملك، فاختار لساعته نكانور من خواص أصدقاء الملك، وجعل تحت يده لفيفاً من الأمم يبلغ عشرين ألفاً، وضم إليه جُرْجِيّاس، وهو قائد محنك.

وقد ظهر الفرق بين السِفْرين ففي المكابيين الأول ٧/ ٢٥ ـ ٢٦: أن ألكيمس أخبر الملك بخطر يهوذا، فأرسل الملك أحد رؤسائه نكانور. وفي المكابيين الثاني ٨/ ٨ ـ ٩: أن فيلبس كتب إلى بطلماوس قائد بقاع سورية وفينيقية يستنصره لمصالح الملك، فاختار بطلماوس نكانور من خواص أصدقاء الملك. وسيأتي مزيد اختلاف بين السفرين في نهاية نكانور وغير ذلك فتابع النصوص.

جاء في المكابيين الأول ٧/ ٣١ ـ ٣٥: خرج نكانور لملاقاة يهوذا عند كفر سلامة، فسقط من جيش نكانور نحو خمسة آلاف، وفر الباقون إلى مدينة داود، وبعد ذلك صعد نكانور إلى جبل صهيون، فخرج بعض الكهنة من المقادس وبعض الشيوخ يحيونه، فاستهزأ بهم، وأقسم بأنه سيحرق هذا البيت إن لم يسلِّم يهوذا نفسه.

٧/ ٣٩ ـ ٤٠: ثم خرج نكانور من أورشليم، ونزل ببيت حورون، فانحاز إليه جيش سورية، ونزل يهوذا بأداسة في ثلاثة آلاف رجل.

٧/ ٤٢ ـ ٥٠: ثم التحم الجيشان، فانكسر جيش نكانور، وكان هو أول من سقط في القتال، فهرب جيشه، وتعقبوهم مسيرة يوم، ونفخوا وراءهم في أبواق الإشارة، فخرج الناس من جميع قرى اليهودية، وصدموهم من كل جانب، فسقطوا جميعاً بالسيف، ولم يبقَ منهم أحد، فأخذوا الغنائم، وقطعوا رأس نكانور ويمينه، وأتَوا بهما وعلَّقوهما قُبالة أورشليم. . . وهدأت أرض يهوذا أياماً يسيرة.

وفي المكابيين الثاني ٨/ ١٦: فحشد المكابي أصحابه، وهم ستة آلاف، وحرضهم على أن يقاتلوا ببأس ولا يرتاعوا.

٨/ ٢٢ ـ ٢٦: وأقام كل واحد من إخوته سِمعان ويوسف ويوناثان قائداً على فرقة، ثم =

. . . .

= أمر ألعازار أن يتلو عليهم الكتاب المقدس، وحملوا على نكانور، فأيدهم القدير، فقتلوا منهم وهرب الباقون فتعقبوهم مسافة غير قصيرة إلى أن أدركهم السبت فأمسكوا، وغنموا منهم.

٨/ ٣٤ ـ ٣٥: فلما رأى نكانور الذين كان يحتقرهم قد أذلّوه خلع ما عليه من الثياب الفاخرة، وانساب في كبد البلاد منفرداً كالآبق حتى لحق بأنطاكية وهو متفجع غاية التفجع لانقراض جيشه.

وجاء أيضاً في المكابيين الثاني ٣/١٤ ـ ١١: أن ألكيمس الذي كان قُلِّد الكهنوت الأعظم أتى إلى ديمتروس بن سَلَوْقُس وحرَّضه على يهوذا.

١٢/١٤ ـ ١٤: فاستحضر من ساعته نكانور مدير الفيلة وأقامه قائداً على اليهودية، وأمره أن يقتل يهوذا ويبدِّد أصحابه، ويقيم ألكيمس كاهناً أعظم للهيكل. فأخذ الأمم الذين في اليهودية يفرون على يهوذا، وينضمون إلى نكانور.

١/١٥: وبلغ نكانور أن أصحاب يهوذا في نواحي السامرة فعزم على مفاجأتهم يوم السبت دون تعرض لخطر الحرب.

٢١/١٥: تفرَّس المكابي في كثرة الجيوش وتوفر الأسلحة المختلفة وضراوة الفيلة فرفع يديه إلى السماء ودعا الرب.

٢٤/١٥ ـ ٢٨: وكان يهوذا يصلي وأصحاب نكانور يتقدمون بالأبواق والأغاني... وفيما أصحاب يهوذا يقاتلون كانوا يصلون في قلوبهم، فصرعوا خمسة وثلاثين ألفاً... ولما فرغوا من الجهاد ورجعوا مبتهجين وجدوا نكانور بسلاحه وقد خر قتيلاً.

٣٠/١٥ ـ ٣١: ثم إن يهوذا أمر بقطع رأس نكانور ويده مع كتفه وحملهما إلى أورشليم.

٣٣/١٥: ثم قطع لسانه قطعاً قطعاً وأمر بطرحه للطيور.

٣٥/١٥ ـ ٣٨ وربط رأس نكانور على القلعة ليكون دليلاً بيناً على نصرة الله... هذا ما تمّ من أمر نكانور.

مقتل يهوذا وتولية أخيه يوناثان:

جاء في المكابيين الأول ١/٩ ـ ٧: ولما سمع ديمتريوس أن نكانور وجيشه سقطوا في الحرب، عاد ثانية فأرسل إلى أرض يهوذا قائدين من قواده، ومعهما الجناح الأيمن، فانطلقا حتى نزلا على أورشليم. وكان يهوذا قد نزل بَلاشع ومعه ثلاثة آلاف، فلما رأى جيشه كثرة جيوش الملك خافوا، وانساب كثير منهم، ولم يبقَ منهم إلا ثمانمئة رجل، فانكسر قلبه.

١٧/٩ ـ ١٩: واشتد القتال، وسقط قتلى كثيرون من الفريقين، وسقط يهوذا، وهرب الباقون، فحمل يوناثان وسمعان أخاهما ودفناه في مودَين.

٢٨/٩ ـ ٣٥: فاجتمع أصحاب يهوذا إلى أخيه يوناثان، واختاروه رئيساً وقائداً... وعلم بكيديس فطلب قتله، وزحف بجيشه إلى عبر الأردن يوم سبت.

٤٦/٩ ـ ٤٩: والتحم القتال، فانحاز بكيديس إلى الوراء، ولم يعبر يوناثان ومن معه الأردن إليهم. وسقط من رجال بكيديس في ذلك اليوم ألف رجل، فعاد إلى أورشليم. =

. . . .

= ٩/ ٥٥ ـ ٥٦ : ومرض ألكيمس ومات فرجع بكيديس إلى الملك وهدأت أرض يهوذا سنتين.

حمل يوناثان لقب ملك ولقب رئيس الأحبار في آن واحد، واستفاد من خصومات جيرانه الملوك، فحقق حكماً ذاتياً لمنطقة أورشليم وما حولها كما في الفصول ١٠، ١١، ١٢ من سفر المكابيين الأول.

مقتل يوناثان وتولية أخيه سمعان:

جاء في المكابيين الأول ١٣/٣٩ ـ ٤١: حاول تريفون أن يملك على آسية، لكنه خشي من يوناثان، فطلب سبيلاً لأن يقبض عليه ويهلكه، فأتى إلى بيت شان، فخرج يوناثان لملتقاه. . .

١٢/ ٤٥ ـ ٤٨: قال تريفون: هَلُمَّ معي إلى بطُلْمايس لأسلمها إليك. . . فصدقه، ولما دخل أغلقوا عليه الأبواب وقبضوا عليه، وقتلوا جميع الذين معه.

١٣/ ١ ـ ٣: وبلغ سمعان أن تريفون جمع جيشاً ليغير على أرض يهوذا، فجمع الشعب وشجعهم.

١٣/ ٨: فأجابوا بصوت عظيم: أنت قائد لنا مكان يهوذا ويوناثان.

١٣/ ١٤ ـ ٢٠ وعلم تريفون أن سمعان قام في موضع يوناثان وأنه مزمع على الحرب، فأنفذ إليه رسلاً ليفدي أخاه، فوجه إليه بالفدية واستعد للحرب، إلا أن تريفون لم يطلق يوناثان، بل جاء ليدمر البلاد، ثم عاد عندما رأى المقاومة.

١٣/ ٢٣: ولما أن قارب بسكاما قَتَلَ يوناثان، ودفنوه هناك.

١٤/ ١٤ ـ ١٥: وعظم سمعان الأقداس وغار على الشريعة، واستأصل كل أثيم وعظم الأقداس.

١٤/ ٣٥: فلما رأى الشعب ما فعل سمعان أقاموه قائداً لهم وكاهناً أعظم.

١٤/ ٤١ ـ ٤٣: وقد حسن لدى اليهود وكهنتهم أن يكون سمعان رئيساً وكاهناً أعظم مدى الدهر إلى أن يقوم نبي أمين، ويكون قائداً لهم ويهتم بالأقداس ويتولى أمرها.

مقتل سمعان وتولية ابنه يوحنا:

جاء في المكابيين الأول ١٣/ ٥٤: ورأى سمعان أن يوحنا ابنه رجل بأس فجعله قائداً على جميع الجيوش، وأقام بجازر.

١٦/ ١١ ـ ١٦: كان بَطُلْماوس بن أَبُوبُس صهر الكاهن الأعظم قد نوى الغدر بسمعان وبنيه ليستولي على البلاد، وكان سمعان يجول في المدن مع ابنيه، فأنزلهم ابن أبوبُس بحصن كان بناه، وهو يضمر الغدر، وصنع لهم مأدبة عظيمة، وأخفى رجالاً، فلما سكر سمعان وبنوه، قام بمن معه، وأخذوا سلاحهم، ثم وثبوا عليه فقتلوه مع ابنيه وبعض غلمانه.

١٦/ ١٨ ـ ٢٢: ثم كتب بطلماوس بذلك إلى الملك، وطلب منه أن يوجه إليه جيشاً لنصرته، ووجه قوماً إلى جازَرَ لإهلاك يوحنا، وأرسل آخرين ليستولوا على أورشليم وجبل =

= الهيكل، فسبق واحد وأخبر يوحنا بهلاك أبيه وأخويه، وأن بَطُلْماوس قد بعث من يقتله. فقبض على الذين أتَوا ليقتلوه وقتلهم.

تنبيه: إنما أسهبت في ذكر مراحل هذه الدولة، لأن قادتها كانوا من كهنة اليهود، فربما يُظن أنهم حافظوا على التوراة، ولا شك أن التوراة التي كانت لديهم هي التوراة المظنونة أو النقول المتبقية بعد الاضطهادات في عهد اليونان. وما ورد في المكابيين الأول ٣/٤٨ أنهم نشروا كتاب الشريعة، وفي ١٤/١٤ منه أن سمعان عظَّم الأقداس وغار على الشريعة، وفي المكابيين الثاني ٨/٢٣: ثم أمر ألعازار أن يتلو عليهم الكتاب المقدَّس. كل ذلك لا يدل على سلامة ما كان بأيديهم، والغالب أنهم نشروا وتلوا بعضاً منها كالسورة الصغيرة ونحوها.

التوراة إبان حكم الرومان

جاء في المكابيين الأول ٨/١: وسمع يهوذا باسم الرومانيين أنهم ذوو اقتدار عظيم، ويُعزُّون كل من ضوى إليهم، ولهم شوكة شديدة.

٨/١٧ ـ ٢٢: فاختار يهوذا أَوْبُولمس بن يوحنا بن أكّوس وياسون بن ألعازار وأرسلهما إلى رومية، ليعقدا معهم عهد الموالاة والمناصرة، لأنهم رأوا أن دولة اليونان قد استعبدت إسرائيل استعباداً، فانطلقا... وحسن الكلام لدى الرومان، فعاهدوا شعب اليهود، وكتبوا بذلك كتاباً.

١٤/١٦ ـ ١٩: وبلغ خبر وفاة يوناثان إلى رومية وإسبرطة فأسفوا، ولما بلغهم أن سمعان أخاه تقلَّد الكهنوت الأعظم، وصارت البلاد تحت سلطانه، كتبوا إليه يجدِّدون معه ما كانوا قرروه مع يهوذا ويوناثان أخويه من المناصرة والمولاة.

وفي ١٤/٣٨ ـ ٤٠: وأقر الملك ديمتريوس سمعان في الكهنوت الأعظم وجعله من أصدقائه، وعظمه جداً، إذ بلغه أن الرومانيين يسمون اليهود أولياء لهم ومناصرين وإخوة، وقد تلقوا رسل سمعان بالإكرام.

وفي المكابيين الثاني ١١/٣٤ ـ ٣٧: وأرسل الرومانيون إليهم رسالة هذه صورتها، من كونْتُسَ مَمِّيوس وتيطس مَنْليوس رسولي الرومانيين إلى شعب اليهود: سلام. ما رخص لكم فيه ليسياس نسيب الملك نحن موافقان عليه... وبادروا بإرسال واحد لنقضي ما يوافقكم، فإنا متوجهان إلى أنطاكية، فعجلوا في إرسال من ترسلون لنكون على بصيرة مما تتبعون.

بعد تلك المراسلات توطدت العلاقة بين المكابيين والرومان، فذهب يوحنا الشهير باسم هركانوس وأخوه أرستوبولس إلى دمشق لتقديم الهدايا إلى القائد الروماني بومبيوس لينصر أحدهما على الآخر، فأمرهما بالخضوع له. وأحسَّ أرستوبولس بميل القائد إلى أخيه فسارع بالذهاب إلى أورشليم، وتحصَّن فيها، مما أدَّى إلى دخول القائد الروماني بومبيوس إلى أورشليم عنوة عام ٦٣ق.م تقريباً، وأخذ أرستوبولس أسيراً إلى دمشق ثم إلى روما.

بعد أن سقطت أورشليم بيد القائد الروماني بومبيوس، جعل هركانوس حاكماً عليها، وكان قد جاءه من قبل بهدايا إلى دمشق. =

....

= في سنة ٥٧ق.م ثار إسكندر بن أرستوبولس ضدَّ عمه هركانوس انتقاماً لأبيه، فدخل أورشليم، وهرب هركانوس إلى الرومان في دمشق.

أرسل الرومان القائد غابيثوس فأخضعه، وأخذه معه أسيراً بعد أن طلب الأمان، وأعاد هركانوس حاكماً على أورشليم.

بعد مقتل الملك المكابي انتيكوس انتقلت السلطة بأمر الرومان إلى هيرودس بن أنتيباتر المعروف بهيرودس الكبير، وهو يهودي من أصل أدومي، وكان شديد الخضوع للرومان، غير أنه عمل كثيراً لاسترضاء اليهود، فبنَى لهم هيكلاً عام ٢٠ق.م تقريباً على نسق هيكل سليمان، لكنهم ظلوا على كراهيتهم له، لأنه ليس من أصل يهودي، فما كان منه إلا أن نكَّل بهم أشد تنكيل، ثم مات قبل أن يكتمل بناء الهيكل، وظل كذلك حتى أتمه أجريبا عام ٦٤م.

بعد موت هيرودس نشأ خلاف كبير بين أولاده، وكانوا عنيفين أيضاً مع اليهود كأبيهم، فتظلَّم اليهود لدى الإمبراطور الروماني، فعين والياً رومانياً على اليهودية والسامرة وأدومية سنة ست بعد الميلاد، فكان هذا أول حاكم روماني يتولى حكم اليهودية مباشرة.

وفي عام ٢٦م عين الإمبراطور الروماني طيباروس حاكماً على اليهودية اسمه بيلاطس بونتيوس، وهو الذي اشتهر بلقب النبطي، وبقي عشرين سنة على حكمها. وفي عهده طلب مجلس الكهنة (السنهدرين) إعدام المسيح ﷺ.

قام اليهود بعدة ثورات ضد الرومان، اغتالوا خلالها خصومهم من الرومان واليهود الذين يتعاونون معهم، فضاق الرومان ذَرْعاً بمكر اليهود وتمردهم ودسائسهم، فأرسلوا إليهم عام ٧٠م تقريباً جيشاً ضخماً بقيادة فسباسيان، فحاصر القدس وضيَّق الخناق عليها، وفي هذه الأثناء انتخبه الجيش إمبراطوراً، فعاد إلى روما، وخلفه في قيادة الجيش ابنه تيطس، فاستمر في مواصلة الحصار والضغط حتى وقعت المدينة في قبضته، فدك أسوارها وأشاع فيها الخراب، وأضرم النار في الهيكل بعد أن سلب ما فيه، ثم طفق يتتبع اليهود ويقتلهم، وقد صمم على أن يقطع دابرهم. وكان ذلك بعد رفع المسيح ﷺ بسبع وثلاثين سنة كما يذكر المؤرخون، وقد فصَّل ذلك المؤرخ اليهودي يوسيفس.

ولما اندلعت الثورة الثانية لليهود عام ١٣٠ ـ ١٣٥م تقريباً وقضى عليها الإمبراطور أدريانوس أزال معالم القدس والهيكل تماماً، وسوَّاها بالتراب، فحرث الأرض وزرعها، وتخلَّص من اليهود نهائياً، فلاحقهم وفتك بهم، حتى لم يبق واحد منهم بفلسطين، إذ فر من بقي منهم إلى الأقطار المجاورة مثل مصر وقبرص وليبيا والجزيرة العربية وغيرها. ثم أقام مكان الهيكل معبداً وثنياً باسم (جوبيتار) ربِّ الآلهة عند الرومان، وبقي المعبد إلى أن قويت النصرانية في أورشليم، فدمَّره النصارى من أساسه في عهد الإمبراطور قسطنطين ولم تقم للهيكل قائمة إلى اليوم. [الشرائع الدينية لأحمد يسري ص٦٥ ـ ٦٦، اليهودية لأحمد شلبي ص٩٣ ـ ٩٤، اليهود لزكي شنودة ص١٩٠ ـ ١٩١ و٢٠٣ ـ ٢٠٤ و٢٠٦ و٢٠٩ ـ ٢١١].

وصفوة القول في هذه اللمحة التاريخية: ضاعت التوراة التي أنزلها الله على موسى ﷺ =



[ابتداع عبادات لم تكن عندهم]

ثم تولَّى أمرهم قوم من بني هارون بعد مئين من السنين، وانقطعت القرابين، فحينئذ انتشرت نسخ التوراة التي بين أيديهم اليوم، وأحدث لهم أحبارهم صلوات لم تكن عندهم[1]، جعلوها بدلاً من القرابين، وعملوا لهم ديناً جديداً، ورتَّبوا لها الكنائس في كل قرية، بخلاف حالهم طول دولتهم، وبعد هلاك دولتهم بأزيد من أربعمئة عام، وأحدثوا لهم اجتماعاً في كل سبت على ما هم عليه اليوم، بخلاف ما كانوا طول دولتهم، فإنه لم يكن لهم في شيء من بلادهم بيت عبادة، ولا مجمع ذكر وتعلم، ولا مكان قربان البتة إلا بيت المقدس وحده، وموضع السرادق قبل بنيان بيت المقدس فقط.

وبرهان هذا أن في سفر يشوع بن نون بإقرارهم أن بني رَؤُبَين وبني جاد ونِصف سبط مَنَسَّى إذ رجعوا بعد فتح بلاد الأردن وفلسطين إلى بلادهم بشرقي الأردن، بنوا مذبحاً، فهم يشوع بن نون وسائر بني إسرائيل بغزوهم من أجل ذلك، حتى أرسلوا إليه: إننا لم نُقِمْه لا لقربان ولا لتقديس أصلاً، ومعاذ الله أن نتخذ موضع تقديس غير المجمع عليه الذي في السرادق وبيت الله. فحينئذ كف عنهم[2].

= خلال عصيان اليهود وارتدادهم وما نالهم من الاضطهاد على يد الكلدانيين والبابليين والفرس، ثم ضاع بديلها في أثناء الغارات المتتالية على القدس بعد السبي، فما من أمة من الأمم إلا وقصدتهم أشد القصد، فأي توراة بعد هذا كله تبقى؟.

قال العالم الكاثوليكي جان ميلز: اتفق أهل العلم على أن نسخة التوراة الأصلية، وكذا نسخ كتب العهد القديم ضاعت في أيدي عسكر بختنصر، ولما ظهرت نقولها بوساطة عَزْرا، ضاعت تلك النقول أيضاً في حادثة أنتيكوس [عن إظهار الحق ١/ ٢٢٩ و٣٥٤].

[١] قال المفسر آدم كلارك: كان اليهود في عهد يوسيفُس يزينون الكتب المقدسة باختراع الصلوات والغناء والأقوال الجديدة [عن إظهار الحق ١/ ٤٥٣].

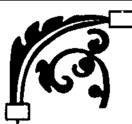
[٢] جاء في سفر يشوع بن نون ٢٢/ ١٠ ـ ١٦: وبنى بنورَؤُبَيْن وبنو جاد ونصف سبط مَنَسَّى هناك مذبحاً عظيم المنظر على الأردن... ولما سمع بنو إسرائيل اجتمعت كل جماعة بني إسرائيل في شِيلُوه لكي يصعدوا إليهم للحرب، فأرسلوا إليهم إلى أرض جِلْعاد فينحاسَ بن =

. . . .

= ألعازار الكاهن وعشرة رؤساء معه، فجاؤوا إليهم وقالوا لهم: ما هذه الخيانة التي خنتم بها إلٰه إسرائيل بالرجوع اليوم عن الرب ببنائكم لأنفسكم مذبحاً لتتمردوا اليوم علىٰ الرب؟

٢٢/ ٢١ ـ ٢٧: فأجابوا: إلٰه الآلهة الرب هو يعلم، وإسرائيل سيعلم، إن كان بتمرد وإن كان بخيانة على الرب، لا تُخَلِّصْنا هذا اليوم. بنينا لأنفسنا مذبحاً للرجوع عن الرب أو لإصعاد مُحْرَقة عليه أو تقدمة أو لعمل ذبائح سلامة عليه، فالرب هو يطالب. وإن كنا لم نفعل ذلك خوفاً وعن سبب قائلين: غداً يكلم بنوكم بنينا قائلين: ما لكم وللربِّ إلٰه إسرائيل، قد جعل الرب تخماً بيننا وبينكم، ليس لكم قسم في الرب، فيرد بنوكم بنينا حتى لا يخافوا الرب، فقلنا نصنع نحن لأنفسنا مذبحاً لا للمحرقة، ولا للذبيحة، بل ليكون شاهداً بيننا وبينكم، وبين أجيالنا بعدنا.

٢٢/ ٢٩ ـ ٣٤: حاشا لنا أن نتمرد على الرب ونرجعَ عنه لبناء مذبح للمحرقة أو التقدمة أو الذبيحة، عدا مذبح الرب إلٰهنا الذي هو قدام مسكنه. فسمع فينحاس الكاهن ورؤساء الجماعة ورؤوس ألوف إسرائيل الذين معه الكلام الذي تكلموا به، فحسن في أعينهم... ولم يفتكروا بالصعود إليهم للحرب.





* المغالطة الثالثة:

دعوى الإلهام أو الوحي






المغالطة الثالثة
دعوى الإلهام أو الوحي(1)

[١] ادعاؤهم أنّ عَزْرا كتب توراته بإلهام

الاعتقاد السائد لدى أهل الكتاب جميعاً: أن التوراة التي كتبها موسى عليه السلام وسائر الأسفار المقدَّسة المنسوبة إلى الأنبياء قد فقدت، وأن عَزْرا أعاد كتابة التوراة، وجمع الكتب المتفرقة، وصحح غلطها ونظمها بإلهام - أي بوحي - من الله، فعادت كما كانت صواباً، واستردَّت منزلتها الأصلية.

قال كليمنس إسكندر يانوس: إن الكتب السماوية ضاعت، فأُلهم عَزْرا أن يكتبها مرة أخرى.

وقال تيهو: إنّ الكتب المقدسة انعدمت رأساً، فأوجدها عَزْرا مرة أخرى بالإلهام.

ويُفَصِّل بعضهم، فيذكر أنه بعد أن كتبها بإلهام، قارنها ببعض النصوص المتوفرة، وأعانه على ذلك الرسولان حجي وزكريا.

جاء في سفر عزرا ٧/٦: عَزْرا هذا صعِد من بابل، وهو كاتب ماهر في شريعة موسى التي أعطاها الرب إله إسرائيل.

٧/٩ - ١٠: جاء إلى أورشليم حسب يد الله الصالحة عليه، لأن عَزْرا هيأ قلبه لطلب شريعة الرب والعمل بها، وليُعلِّم إسرائيلَ فريضة وقضاء.

وجاء في سفر نحميا ٨/١ - ٣: اجتمع كل الشعب إلى الساحة، وقالوا لعزرا الكاتب أن يأتي بسفر شريعة موسى التي أمر بها الرب إسرائيل، فأتى عَزْرا الكاتب بالشريعة أمام الجماعة... وقرأ فيها أمام الساحة من الصباح إلى نصف النهار... وكانت آذان كل الشعب نحو سفر الشريعة.

٨/٥: وفتح عَزْرا السِّفْر أمام كل الشعب.

٨/١٣: وفي اليوم الثاني اجتمع رؤساء آباءِ جميع الشعب والكهنة واللاويين إلى عَزْرا الكاتب ليُفهمهم كلام الشريعة.

٨/١٨: وكان يقرأ في سفر شريعة الله يوماً فيوماً.

فمن هذه النصوص ادَّعَوا أن عَزْرا قام بكتابة التوراة من جديد على بقايا التوراة السابقة المفقودة، بعد أن هيأ الله قلبه لذلك. أي عن طريق الإلهام والوحي.

ويزعم النصارى أيضاً أنَّ أسفار الكتاب المقدَّس كلها بعهديه، كتبها رجال الله القديسون بإلهام الروح القدس الذي كان يسدّدهم ويجنبهم مواطن الزلل والتحريف.

قال ج. كلايد تاريز في كتابه هذه عقائدنا ص٧ و١١: هذه الأسفار كتبها أشخاص =

. . . .

= عديدون يمثلون شتى نواحي الحياة في أماكن مختلفة، وفي فترة تقارب ستة عشر قرناً، ومع ذلك لما جُمعت بإرشاد الروح القدس أتت كتاباً واحداً، له وحدة عجيبة.

والروح القدس عند النصارى هو الأقنوم ـ أي الأصل ـ الثالث من الثالوث الأقدس، الذي يتكون من الإله في زعمهم، فهو واحد في ثلاثة، وثلاثة في واحد.

مناقشة دعوى الإلهام:

لم يقبل الباحثون هذا الادِّعاء، وأبدَوا عليه اعتراضات كثيرة، أهمها ما يلي:

١ ـ ثبت أن هذه الكتب مختلفة فيما بينها اختلافاً كثيراً وكبيراً يؤدي إلى تضاربها معنوياً.

وقد سَلَّم مفسرو أهل الكتاب ومحققوهم ببعضها فقالوا: إن إحدى العبارتين أو العبارات صحيحة وغيرها خاطئ، وعَزَوْه إلى سَهْو الكاتب أو نحو ذلك، ووجَّهوا بعضاً آخر توجيهات ركيكة، غير موضوعية لا يقبلها العقل.

٢ ـ فيها مخالفات كثيرة للتاريخ الثابت وللحقائق والوقائع، وهي ملأى بالأخطاء الفاحشة الكبيرة التي لا يمكن تبريرها كما سيأتي إن شاء الله.

والكتاب الإلهامي أو الموحى به بعيد عن الوقوع في الغلط أو التضارب بين عباراته.

٣ ـ وقع فيها تحريف متعمد وغير متعمد في مواضع كثيرة، لا يمكن إنكاره أو تبريره.

٤ ـ لم يثبت بالأسانيد الصحيحة نسبة كل سفر إلى من يَحمل اسمه أو إلى عَزْرا.

٥ ـ لو كانت التوراة التي كتبها موسى باقية، أو ثَمَّة نسخة مأخوذة عنها لرجع عَزْرا إليها وأخذ منها مباشرة، ولم يخالفها ويلجأ إلى الأوراق الناقصة التي لم يقدر على التمييز بين الغلط والصح فيها، كما سيأتي إن شاء الله، وقد اعترفوا بأنه وجد بعض الأخطاء فعمل على تصحيحها.

٦ ـ إذا كان عَزْرا كتبها بإلهام، فلمَ لجأ إلى مقارنتها ببعض النصوص؟ ولمَ استعان بالرسولين حجي وزكريا؟

٧ ـ لو أنه كتبها بالإلهام حقيقة لكتب شريعة موسى مجرَّدة عن الأخبار التاريخية، ولا سيما ذكر كتابة موسى لها، وأمره للأحبار أن يضعوها في التابوت بجانب اللوحين، وقصة موته ودفنه وعدم مجيء نبي مثله من بني إسرائيل ونحو ذلك.

٨ ـ إذا كان الأنبياء عند أهل الكتاب غير معصومين عن ارتكاب أفحش الفواحش والذنوب المركَّبة المتتالية كما ينسبون إليهم، فكيف يكونون معصومين عن الخطأ في تحرير وتبليغ ما أُلهموه أو أوحي إليهم به؟ وهل كان عَزْرا نبياً؟

٩ ـ لم يرد في سفريْ عَزْرا ونحميا أن الله سبحانه أوحى إلى عَزْرا بشيء، وكل ما يفهم من كتاب عَزْرا أنه تأسف على أفعال بني إسرائيل وارتكابهم الذنوب، ومن كتاب نحميا أن عزرا إنما قرأ عليهم التوراة وشرح لهم أحكامها فقط، فلا تكون معتمدة.

وإليك بعض ما قاله الباحثون:

● جاء في دائرة المعارف البريطانية ١١/ ٣٧٤: وقع النزاع في أن كل قول مندرج في الكتب المقدَّسة هل هو إلهامي؟ وكذلك كل حالة من الحالات المندرجة فيها. =

. . . .

= وجاء فيها أيضاً ٩/ ٢٠: إن الذين قالوا: كل قول مندرجٍ فيها إلهامي، لا يقدرون أن يثبتوا دعواهم بسهولة.

• صرح كثير من العلماء والمؤرخين ـ ومنهم جيروم وكرتيس وأرازمس وبروكس ـ بأنه ليس كل قول فيها إلهامياً. [عن إظهار الحق ١/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩].

• قال العالم أدمون جاكوب: كان الكتاب المقدس قبل أن يكون مجموعة أسفار تراثاً شعبياً لا سند له إلا الذاكرة، وهي العامل الوحيد الذي اعتُمد عليه في نقل الأفكار، وكان هذا التراث يُغَنَّى به في مختلف المناسبات، مثل أغاني الطعام والاحتفال بنهاية الحصاد وأناشيد العمل. [عن موريس بوكاي ص٢٠].

• وقال القَس راعون في تقديم الكتاب المقدس طبعة الكاثوليك عام ١٩٦٠ عن أسفار موسى: من المحتمل أن يكون الكاتب قد استعان في البدء بذكريات تقليدية غير واضحة الظروف تماماً، ثم أضاف إليها عدداً من التفاصيل، تجعل الرواية أكثر حياة، وتُعطيها قيمة أدبية [عن مجلة الجامعة الإسلامية العدد ٤٩ ص١٦٠، ندوة الخرطوم].

• قال العالم ريس: إنَّ الناس قد تكلَّموا في كون الكتب المقدسة إلهامية، وقالوا: يوجد في أفعال مؤلفي هذه الكتب وأقوالهم أغلاط واختلافات، ثم ضرب أمثلة على ذلك [الموسوعة الفرنسية المجلد السابع، عن إظهار الحق ١/ ١٧٧].

• يرى الفيلسوف اليهودي الهولندي سبينوزا في كتابه رسالة في اللاهوت والسياسة: أن المعلومات التاريخية عن الكتاب المقدس ناقصة، بل وكاذبة، وأن الأسس التي تقوم عليها معرفة هذا الكتاب غير كافية، ليس من حيث الكم فحسب، بل من حيث الكيف أيضاً، ولكن الناس المتشبثين بآرائهم الدينية يرفضون أن يصحح أحد آراءهم هذه، بل إنهم يدافعون عنها بعناد مهما كانت مغلوطة أو مشوَّشة.

اختلاف النصارى في مجال الوحي:

لِقاء واقع الكتاب المقدس وما فيه من اختلافات وأغلاط، اختلف النصارى في مجال الوحي والإلهام على قولين:

أ ـ ذهب بعضهم إلى القول بالوحي الميكانيكي أو الحرفي. ومعناه أن كل كلمة في الكتاب المقدَّس قد أملاها الروح القدس بصورة مباشرة وغير مباشرة.

ب ـ وذهب بعض آخر إلى القول بالوحي الديناميكي أو الوحي الفكري. وقالوا مستدركين: وقولنا: إن الكتاب موحى به لا يعني أن الكاتب لم يقم بجهد للوصول إلى الحقائق التي دونها. . . لكنه كان مقتاداً بإرشاد سماوي في عمله هذا.

وبناء عليه، فإن الكلمات كانت من وضع الكاتب واختياره، لكن الحقيقة المدونة كانت من الله. أو بمعنى آخر: الفكرة وحي من الله، والصيغة من الكاتب. وهذا ما يعطي الكُتاب مجالاً لإظهار شخصياتهم، وبه يفسر تنوع الأساليب في الكتابات المتعددة. [هذه عقائدنا ص١٠٨].

وقد جنح إلى هذا الرأي كثير من كتاب النصارى قديماً وحديثاً لرأب الصدع، حتى غدا =

= كأنه القول الوحيد، ولكن اتسع الخرق على الراقع.

قال العالم القبطي صبري جوهرة: إن الله قد سمح للإنسان ـ أي كاتب السفر ـ أن يضع كل إحساساته وميوله في النصوص ما دام ذلك لا يغير ما قصده الله من معاني السفر الأخلاقية والدينية، وعلى هذا الأساس تعترف الكنيسة بعدم دقَّة الكتاب في معلوماته الفلكية والجغرافية والتاريخية والجيولوجية. . . وترى المسيحية أن الكتاب المقدَّس هو عمل مشترك بين الله والإنسان، وضع فيه كلاهما ما يريده، فجاءت النتائج تعكس ما قاله الله في تعاليم الأخلاق وعلاقات البشر ببعضهم، كما تعكس عدم كمال الإنسان بكتابته لمعلومات علمية غير دقيقة، وأحياناً مضحكة. [أباطيل التوراة للدكتور محمد علي البار ١٦/١ ـ ١٧ و١٢٧ و١٥٢ ـ ١٥٣].

وصفوة القول: إن جمهور علماء أهل الكتاب من حاخامات وقساوسة لا يأخذون كلمة الوحي على معناها الحرفي، بل على المعنى الإجمالي الفضفاض، فهم لا يفهمون الكتاب المقدَّس على أنه وحي حرفي أُنزل من السماء، بل يرون أنه عمل مجموعة كبيرة من البشر، قاموا بصياغة هذه الأسفار في أمكنة مختلفة وعصور متباعدة، تحت إلهام الله بصورة ما، بحيث يظهر فيها المعنى الإجمالي والروح المحلقة التي تربط الإنسان بعالم السماء، وإن وقع فيها أخطاء وتناقضات.

صفوة القول في ثلاث المغالطات

يتبين لنا بعد عرض تلك المغالطات ما يلي:

١ ـ سلَّم موسى عليه السلام التوراة إلى الكهنة أولاد هارون، وجعلها فيهم، وصانها عن سواهم، ولم يبدُ لعامة بني إسرائيل سوى سورة صغيرة.

٢ ـ الهارونيون وحدهم كانوا يعرفون التوراة بعد موسى عليه السلام ولم تكن محفوظة في صدورهم، إذ ليس حفظها غيباً فرضاً ولا مستحباً عندهم.

٣ ـ هَبْها كانت صحيحة السند بين الهارونيين في زمن موسى ويوشع عليهما السلام فإن سندها قد انقطع خلال عصيان اليهود وارتدادهم إبان عهد القضاة وحكم الملوك، وما جرى ليوشيا من الشغف بها والبحث عنها خير دليل على ذلك.

٤ ـ النسخة التي زعم الكاهن حلقيا أنه وجدها مصادفة في الهيكل بعد سبعة أو ثمانية عشر عاماً، من حكم يوشيا لا يعول عليها، ولو سلمنا بأنها هي فإنه لم يعمل بها سوى ثلاثة عشر عاماً وهي ما تبقى من حكمه، ولم يعلم حالها ولا مصيرها بعد موته، والظاهر أنها ضاعت أيضاً بعد الردة وعودة الكفر في عهد ولديه ومن أتى بعدهما.

٥ ـ لو فرض بقاؤها بين الكهنة، فالمقطوع به أنها ضاعت في حادثة نبوخذنصر مع سائر الكتب المقدسة لدى اليهود.

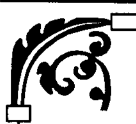
٦ ـ الدلائل تشير إلى أن أسفار العهد القديم التي لدى أهل الكتاب اليوم كتبت في مراحل متباعدة، وقام بكتابتها أشخاص مختلفون في أثناء السبي وبعده، ومع مرور الزمن أدخلوا عليها تعديلات وأساطير مختلفة، وخلطوا بين الأحداث سَهْواً تارة، وعن عمد في أكثر الأحيان، فوقعوا في أغلاط واضطرابات. =

. . . .

= ٧ ـ بعد العودة من السبي في القرن الخامس قبل الميلاد أعادوا بناء الهيكل، وأعادوا النظر في دينهم وشرائعهم، فكانت اليهودية المنظمة، وظهرت توراتان مختلفتان: التوراة السامرية وتوراة عزرا، وكل من الفئتين يدعي صحة توراته وبطلان غيرها، ولو كانت إحداهما منقولة بالتواتر، كما هو الحال في القرآن الكريم، أو على الأقل بسند صحيح متصل، كما هو الحال في نقل أكثر السنة النبوية عند المسلمين، لما ضرها وجود توراة أخرى مخالفة لها أو أكثر، لكن كلتيهما عارية حتى عن شبه سند.

٨ ـ التوراة التي لفَّقها عزرا وكتبها ليست صورة طبق الأصل عن توراة موسى ﷺ وأهل الكتاب يدَّعون أنه كتبها بإلهام بعد انعدامها، وقارنها ببعض النصوص، وأعانه على بعضها الرسولان حجي وزكريا، فعادت كما كانت. ولو أنه كتبها بإلهام لما لجأ إلى أوراق ناقصة مضطربة لم يقدر على التمييز بين الصحيح والغلط فيها، ولا استعان بغيره، ولما ظهرت تلك الاضطرابات والأغلاط فيها، فلا تكون معتمدة.

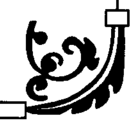
٩ ـ ثم ضاع أيضاً ما كتبه عزرا وغيره في حادثة أنتيكوس الرابع الذي حكم سورية عام ١٦٤ ـ ١٤٧ق.م، واضطهد اليهود ولاحقهم وذبحهم، وعلى فرض بقاء شيء منها، فقد ضاع في حادثة تيطس عام ٧٥م، فلا يصح شيء مما ذكروه في كتبهم المقدَّسة، ولا يصح دعوى الإلهام والوحي مع الاختلاف الكبير والأغلاط الكثيرة.





* المغالطة الرابعة:

ادعاؤهم شهادة القرآن بصحة كتابهم

توطئة وتعريف

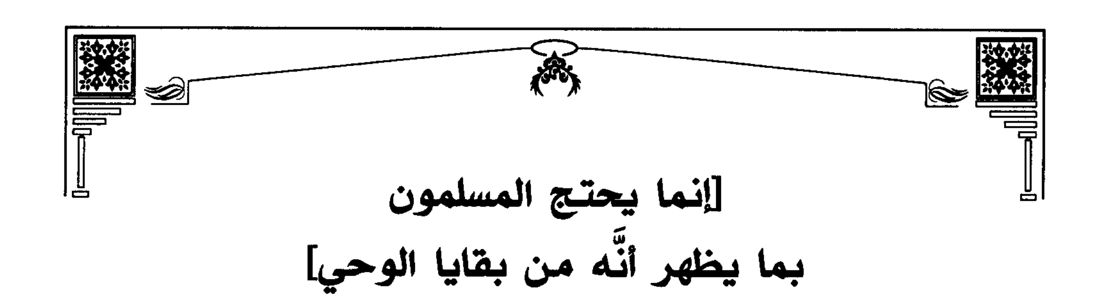
زعم أهل الكتاب أنَّ القرآن شهد بصحة كتابهم المقدَّس وصدقه ومَدَحه في عدة أماكن، وادَّعوا أن نسخ الكتاب المقدَّس التي كتبت قبل ميلاد محمد ﷺ وشهد القرآن بصحتها موافقة للنسخ التي بين أيديهم اليوم.

وزعمت النصارى أيضاً أن عيسى ﷺ شهد بصحة العهد القديم، وبخاصة التوراة، ولو كانت محرَّفة لما أقرها وصدَّقها واحتج بها.

وهذه مغالطة كبيرة، يمسك المغالط ببعض الآيات فيغالط بها، ويترك بعضاً آخر، مع أن الله سبحانه ذكر في القرآن الكريم أن أحبار اليهود قاموا بتحريف التوراة، ووبخهم على ذلك في آيات كثيرة كما سيأتي.

والتحريف لغة مأخوذ من الحَرْف، وهو الطرف والجانب. وتحريف الكلم عن مواضعه أنواع، فيصدق بتحريف الألفاظ تقديماً وتأخيراً، وحذفاً وإضافة، ويصدق أيضاً بتحريف المعاني، وذلك بحمل الألفاظ على غير ما وضعت، ليفهم منها معنى آخر.

ومن اطَّلع على تاريخ أهل الكتاب وما جرى لهم ولكتبهم المقدَّسة، واطلع على النسخ التي لديهم وترجماتها والفروق التي بينها، علم أن كلا التحريفين فيها واقع، ما له من دافع.



[إنما يحتج المسلمون بما يظهر أنَّه من بقايا الوحي]

فإن قيل: فإنكم تقرون بالتوراة والإنجيل وتستشهدون على اليهود والنصارى بما فيهما من ذكر صفات نبيكم، وقد استشهد نبيكم عليهم بنصِّها في قصة الرجم للزاني المحصن. وروي أن عبد الله بن سَلَام ضرب يد عبد الله بن صوريا إذ وضعها على آية الرجم.

وروي أن النبي ﷺ أخذ التوراة وقال: آمنت بما فيك.

وفي كتابكم: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ﴾ [المائدة: ٦٨].

وفيه أيضاً: ﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣].

وفيه أيضاً: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ﴾ [المائدة: ٤٤].

وفيه أيضاً: ﴿وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

وفيه أيضاً: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۚ﴾ [المائدة: ٦٦].

وفيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم﴾ [النساء: ٤٧].

وفيه: ﴿وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٣].

قلنا وبالله التوفيق: كل هذا حق حاشا قوله عليه السلام: «آمنت بما فيك» فإنه باطل لم يصح قط، وكلُّه موافق لقولنا في التوراة والإنجيل بتبديلهما، وليس شيء منه حجة لمن ادَّعى أنهما بأيدي اليهود والنصارى كما أُنزلا، على ما نبيِّن إن شاء الله تعالى بالبرهان الواضح.

قال أبو محمد رحمه الله: أما إقرارنا بالتوراة والإنجيل فنعم، وأيُّ معنى لتمويهكم بهذا، ونحن لم ننكرهما قط، بل نكفِّر من أنكرهما؟! إنما قلنا: إن الله تعالى أنزل التوراة على موسى عليه السلام حقاً، وأنزل الزبور على داود عليه السلام حقاً، وأنزل الإنجيل على عيسى عليه السلام حقاً، وأنزل الصحف على إبراهيم وموسى عليهما السلام حقاً، وأنزل كتباً لم تُسمَّ لنا على أنبياء لم يُسمَّوا لنا حقاً، نؤمن بكل ذلك. قال تعالى: ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٦].

وقلنا ونقول: إنَّ كفَّار بني إسرائيل بدَّلوا التوراة والزبور، فزادوا ونقصوا، وأبقَى الله تعالى بعضه حجة عليهم كما شاء: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾ [الرعد: ٤١].

وبَدّل كفار النصارى الإنجيل كذلك، فزادوا ونقصوا، وأبقَى الله تعالى بعضه حجة عليهم كما شاء، ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾.

فدرس ما بدَّلوا من الكتب المذكورة، ورفعه الله تعالى، كما درست الصحف وكتب سائر الأنبياء جملة، فهذا الذي قلنا، وبالله نتأيد. فظهر فساد تمويههم بأننا نقر بالتوراة والإنجيل والزبور، ولم ينتفعوا بذلك في تصحيح ما بأيديهم من الكتب المكذوبة المبدلة، والحمد لله رب العالمين.

وأما استشهادنا على اليهود والنصارى بما فيهما من الإنذار لنبينا ﷺ فحق، وقد قلنا آنفاً: إن الله تعالى أطلقهم على تبديل ما شاء رفعه من ذينك الكتابين، كما أطلق أيديهم على قتل من أراد كرامته بذلك من الأنبياء الذين قتلوهم بأنواع المثل، وكفَّ أيديهم عما شاء إبقاءه من ذينك الكتابين حجة عليهم، كما كف أيديهم الله تعالى عمن أراد أيضاً كرامته بالنصر من أنبيائه الذين حال بين الناس وبين أذاهم، وقد أغرق الله تعالى قوم نوح عليه السلام وقوم فرعون نكالاً لهم، وأغرق آخرين شهادة لهم، وأملَى لقوم ليزدادوا إثماً، وأملَى لقوم آخرين ليزدادوا فضلاً، وهذا ما لا ينكره أحد من أهل الأديان جملة، وكان ما ذكرناه زيادة في أعلام النبي ﷺ الواضحة، وبراهينه اللائحة، والحمد لله رب العالمين. فبطل اعتراضهم علينا باستشهادنا عليهم بما في كتبهم المحرفة من ذكر نبينا ﷺ[1].

---

[1] إن استشهاد المسلمين بنصوص من أسفار الكتاب المقدَّس لدى أهل الكتاب بعهديه، =

وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ ، فنعم هذا حق على ظاهره كما هو، وقد قلنا: إن الله تعالى أنزل التوراة وحكم بها النبيون الذين أسلموا كموسى وهارون وداود وسليمان، ومن كان بينهم من الأنبياء عليهم السلام ومن كان في أزمانهم من الربانيين والأحبار الذين لم يكونوا أنبياء، بل كانوا حكاماً من قبل الأنبياء عليهم السلام قبل حدوث التبديل. هذا نصُّ قولنا، وليس في هذه الآية أنها لم تبدَّل بعد ذلك أصلاً، لا بنص ولا بدليل.

وأما استشهاد رسول الله ﷺ بالتوراة في أمر رَجْم الزاني المحصن، وضربُ ابن سلام رضي الله عنه يدَ ابن صوريا إذ جعلها على آية الرجم فحقٌّ، وهو مما قلنا آنفاً: إنَّ الله تعالى أبقاه خِزياً لهم وحجة عليهم، وإنما يحتج عليهم بهذا كله بعد إثبات رسالته ﷺ بالبراهين الواضحة الباهرة بالنقل القاطع للعذر على ما قد بيَّنا ونبيِّن إن شاء الله تعالى، ثم نورد ما أبقاه الله تعالى في كتبهم المحرفة من ذكره عليه السلام إخزاء لهم وتبكيتاً وفضيحة لضلالهم، لا لحاجة منا إلى ذلك أصلاً. والحمد لله رب العالمين.

وأما الخبر بأن النبي ﷺ أخذ التوراة وقال: آمنت بما فيك، فخبر مكذوب موضوع، لم يأتِ قط من طرق فيها خير، ولسنا نستحلُّ الكلام في الباطل لو صح، فهو من التكلُّف الذي نهينا عنه، كما لا يحل توهين الحق ولا الاعتراض عليه[1].

= لا يعني الإقرار بصحة هذه الأسفار أو الاعتراف بأنها الوحي الذي أنزله الله على أنبيائه، والذي فيه هدى ونور، وإنما هو من قبيل إقامة الحجة وإظهار بقايا الوحي فيها.

(١) تذرَّع أهل الكتاب بقوله تعالى في سورة المائدة: ٤٣ ـ ٤٤: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ فقالوا: قد أنكر القرآن على بعض اليهود تحاكمهم إلى محمد ﷺ وعدم رجوعهم إلى التوراة التي عندهم، ثم شهد بأن ما عندهم من التوراة فيها حكم الله، والتوراة التي كانت عندهم هي التي عند اليهود اليوم، ثم أكد ذلك فأخبر بأن التوراة فيها هدى ونور. فهل ثمة شهادة أوضح من هذه.

ويجاب بأنكم لو ذكرتم الآيات التي قبلها والآيات التي بعدها في السورة، وذكرتم سبب النزول كاملاً، لظهرت الحقيقة للناس، وعلموا أن الآيات لا تتضمن أية شهادة بسلامة الأسفار التي عندكم، بل لأوضحت عادة اليهود في إخفاء الحقائق وتحريف الكلم عن مواضعه. وإليك الآيات الكريمة من أولها مع سبب النزول ثم الإيضاح.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا =

. . . .

= بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ﴾ [المائدة: ٤١ ـ ٤٤].

وأما سبب النزول، فعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن اليهود جاؤوا إلى النبي ﷺ برجل منهم وامرأة قد زنيا. فقال لهم: كيف تفعلون بمن زَنَى منكم؟ قالوا: نُحَمِّمُهما ونضربهما. فقال: ألا تجدون في التوراة الرجم؟ فقالوا: لا نجد فيها شيئاً. فقال لهم عبد الله بن سلام: كذبتم، فأتُوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين. فوضع مِدْراسها الذي يُدَرِّسها منهم كفه على آية الرجم، فطفق يقرأ ما دون يده وما وراءها، ولا يقرأ آية الرجم، فنزع يده عن آية الرجم فقال: ما هذه؟ فلما رأوا ذلك قالوا: هي آية الرجم، فأمر بهما فرُجما قريباً من حيث موضع الجنائز عند المسجد. قال: فرأيت صاحبها يجنأ عليها، يقيها الحجارة [أخرجه البخاري ومسلم وأحمد].

وفي رواية ثانية للبخاري في الحدود: فقال لهم: ما تجدون في كتابكم؟ قالوا: إن أحبارنا أحدثوا تحميم الوجه والتجبية. قال عبد الله بن سلام: ادعُهم يا رسول الله بالتوراة. فأتي بها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم، وجعل يقرأ ما قبلها وما بعدها. فقال له ابن سلام: ارفع يدك، فإذا آية الرجم تحت يده.

وفي رواية أخرى: فجاؤوا بالتوراة، وجاؤوا بقارئ لهم ـ وعند أحمد بزيادة: أعور يقال له ابن صوريا ـ فقرأ حتى إذا أتى إلى موضع منها، وضع يده عليه، فقيل له: ارفع يدك. فرفع يده فإذا هي تلوح ـ أي آية الرجم ـ فقالوا: يا محمد، إن فيها الرجم، ولكنا كنا نكتمه بيننا.

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: مرَّ النبي ﷺ بيهودي محمَّماً مجلوداً، فدعاهم فقال: أهكذا تجدون حدَّ الزاني في كتابكم؟ قالوا: نعم. فدعا رجلاً من علمائهم فقال: أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى، أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ قال: اللهم لا، ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك، نجد حدّ الزاني في كتابنا الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، فقالوا: تعالوا، فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع، فاجتمعنا على التحميم والجلد مكان الرجم. فقال رسول الله ﷺ: اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه، فأمر به فرجم. فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ . . .﴾ الآية [أخرجه مسلم وأحمد وأبو داود والنسائي وغيرهم] وإليك إيضاح الآيات وإزالة اللبس وإبطال الادعاء.

بدأت الآيات بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ =

= ﴿ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [المائدة: ٤١].

أي لا تتأثر أيها الرسول لصنيع الذين يتسابقون نحو الكفر ويقعون فيه من المنافقين الذين ادَّعوا الإيمان بألسنتهم، ولم تؤمن قلوبهم. ومن اليهود قوم مبالغون في سماع الأكاذيب التي يفتريها رؤساؤهم وأحبارهم على الله، فيتلاعبون في أحكام الدين وفق أهوائهم، وهم أيضاً سماعون لكلامك من أجل آخرين من رؤسائهم لم يأتوك تكبراً وعداوة، فهم جواسيس بين المسلمين، يحرفون كلام التوراة بعد أن وضعه الله في مواضعه فيها، إما تحريفاً لفظياً بإبدال كلمة بكلمة، أو بالزيادة فيه والنقص منه، أو بإخفائه، أو بحمل اللفظ على غير ما وضع له لتغيير أحكام الله بأحكام أخرى. يقولون لمن أرسلوهم ليسألوا الرسول ﷺ: عن حكم الرجل والمرأة اللذين زنيا، وأرادوا أن يحابوهما بعدم رجمهما: إن أمركم محمد بالجلد فاقبلوا، وإن أمركم بالرجم فاحذروا قبوله. ولذلك ردَّ الله عليهم بأن الذي يريد الله أن يختبره ليظهر حاله، لن تملك له من الله شيئاً لهدايته. [تفسير المنار ٦/٣٨٨ ـ ٣٩٠، الصفوة ١/٣٤٣ ـ ٣٤٤].

ثم قال سبحانه يُعجِّب نبيه بأغرب أحوالهم: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٤٣].

أي كيف يحكمك هؤلاء اليهود في هذه المسألة، ويرضون بحكمك إن وافق هواهم، وعندهم التوراة فيها حكم الله في هذه المسألة، يرونه ولا يعملون به، فالعجب منهم، وهم يدَّعون أنهم أصحاب شريعة، ثم يرغبون عنها، ويتحاكمون إلى نبي جاء بشريعة أخرى، وهم لا يؤمنون به، ويستعدُّون لقبول حكمه إن وافق هواهم، فهم بذلك يعدلون عما يعتقدونه حكماً حقاً إلى ما يعتقدونه باطلاً، وسبب ذلك أنهم ليسوا مؤمنين بتوراتهم إيماناً صحيحاً، ولا بك أيضاً.

فالقرآن الكريم يبين أن عندهم التوراة، وأن فيها حكم الله في هذه القضية التي تحاكموا فيها إلى النبي ﷺ وليس كل ما في الكتاب الذي بأيديهم حكم الله. [المنار ٦/٣٩٥، الصفوة ١/٣٤٤ ـ ٣٤٥].

ثم قال سبحانه مبيناً حالة التوراة الأصلية حينما أنزلها على موسى عليه السلام: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

أي نحن أنزلنا التوراة على موسى عليه السلام مشتملة على هدى في العقائد، ونور يكشف ما اشتبه من الأحكام، يحكم بها موسى ومن بعده من أنبياء بني إسرائيل الذين أسلموا وجوههم لله مخلصين له الدين، يحكمون بها لليهود خاصة، لأنها شريعة خاصة بهم، ولا يحيدون عن حكمها ولا يحرفونها، ويحكم بها أيضاً المنسوبون إلى الرب والعلماء والفقهاء منهم، في الأزمنة والأمكنة التي ليس فيها أنبياء؛ وذلك بسبب ما أودعوه من الكتاب وائتمنوا عليه، وطلب منهم الأنبياء بأمر الله أن يحفظوه سالماً من التحريف، ولا يضيعوا منه شيئاً، وكان =

وأما قوله تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، فحق على ظاهره، لأن الله تعالى أنزل فيه الإيمان بمحمد ﷺ واتباع دينه، ولا يكونون أبداً حاكمين بما أنزل الله تعالى فيه إلا باتباعهم دين محمد ﷺ فإنما أمرهم الله تعالى بالحكم بما أنزل في الإنجيل الذي ينتمون إليه، فهم أهله، ولم يأمرهم قط تعالى بما يسمى إنجيلاً وليس بإنجيل، ولا أنزله الله تعالى كما هو قط، فالآية موافقة لقولنا، وليس فيها أن الإنجيل لم يبدَّل، لا بنص ولا بدليل، إنما فيها إلزام النصارى الذين يَتَسمَّون بأهل الإنجيل أن يحكموا بما أنزل الله فيه، وهم على خلاف ذلك(1).

= الصالحون من سلفهم رقباء عليه، لئلا يعبث به أحد بتبديل أو تغيير، فلا تخشَوا يا علماء اليهود من إظهار ما عندكم من بقايا الوحي، كصفة محمد ﷺ ورجم الزاني ونحو ذلك، فتكتمونه خوفاً من بعض الرؤساء، أو رجاء من بعضهم، بل خافوا مني وحدي، ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً وتغتروا بحطام الدنيا، لأن من رغب عن الحكم بما أنزل فهو كافر. [المنار ٦/ ٣٩٧ ـ ٣٩٩، الصفوة ١/ ٣٤٤ ـ ٣٤٥].

فالقرآن الكريم يبين أن التوراة التي أنزلت على موسى ﵇ فيها هدى ونور، وليس كل ما في أيديهم مما جمعوه بعد فقدانها وتلاعبوا فيه وسموه التوراة فيه هدى ونور.

الرجم في سفر التثنية:

جاء في سفر التثنية ٢٢/ ٢٠ ـ ٢١: إن لم توجد عذرة للفتاة، يخرجونها إلى باب بيت أبيها، ويرجُمها رجال مدينتها بالحجارة حتى تموت، لأنها عملت قباحة في إسرائيل بزناها في بيت أبيها، فتنزع الشر من وسطك.

٢٢/ ٢٢: إذا وجد رجل مضطجعاً مع امرأةٍ زوجة بعل، يقتل الاثنان، الرجل والمرأة.

٢٢/ ٢٣ ـ ٢٤: إذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل، فوجدها رجل في المدينة واضطجع معها، فأخرجوهما كليهما إلى باب تلك المدينة، وارجموهما بالحجارة حتى يموتا، الفتاة من أجل أنها لم تصرُخ في المدينة، والرجل من أجل أنه أذل امرأة صاحبه، فتنزع الشر من وسطك.

٢٢/ ٢٥ ـ ٢٧: لكن إن وجد الرجل الفتاة المخطوبة في الحقل وأمسكها واضطجع معها يموت الرجل وحده، أما الفتاة فلا تَفعل بها شيئاً، ليس عليها خطية للموت، وجدها في الحقل، فصرخت، فلم يكن من يخلصها.

٢٢/ ٢٨: إذا وجد رجل فتاة عذراء غير مخطوبة، فأمسكها واضطجع معها فوجدا، يُعطي الرجل لأبي الفتاة خمسين من الفضة، وتكون هي له زوجة من أجل أنه قد أذلها، لا يقدر أن يطلقها كل أيامه.

(1) قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (46) وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ =

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ فحقٌّ كما ذكرنا من قبل، ولا سبيل إلى إقامة التوراة والإنجيل المنزَّلين بعد تبديلهما إلا بالإيمان بمحمد ﷺ فيكونون

= بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٦ ـ ٤٧].

قالوا: فقد صدَّق عيسى عليه السلام التوراة التي كانت في زمانه، وشهد القرآن أن في الإنجيل هدى ونور، ثم أمر أهل الإنجيل بالحكم بما أنزل الله فيه.

ويجاب بأن المراد بالتوراة والإنجيل الكتابان اللذان أنزلهما الله على موسى وعيسى عليهما السلام قبل التحريف والضياع، فإن فيهما وقتذاك هدى ونور. فـ(ال) فيهما للعهد الذهني، أما بعد التحريف وجمع الأشتات، فليس فيهما إلا بقايا من الوحي والأحكام.

ومعنى الآيتين: وأتبعنا على آثار النبيين السابقين بعيسى بن مريم، مصدقاً للتوراة التي تقدمته، وليس منكراً ولا مبطلاً لها، بل جاء ليتمها ويزيد عليها ما شاء الله له أن يزيد. وقد أعطيناه الإنجيل فيه هدى إلى الحق ونور يزيل الشبهات، وهو معترف بالتوراة التي أنزلها الله على موسى ـ والتكرير لزيادة التقرير ـ وعلى أهل الإنجيل الذي أنزله الله على عيسى أن يحكموا بما أنزل الله فيه من الهدى، وإلا فهم خارجون عن طاعة الله.

والآية لا تدل على أن الله يأمر النصارى أن يحكموا بأناجيلهم هذه المختلفة والمضطربة، فإنها تاريخ كتب بعد رفع المسيح عليه السلام [المنار ٦/ ٤٠١ ـ ٤٠٢، الصفوة ١/ ٣٤٥ ـ ٣٤٦].

ولذلك قال سبحانه بعد ذلك مخاطباً رسوله محمداً ﷺ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨].

أي وأنزلنا إليك أيها الرسول الكتاب الكامل، وهو القرآن، متلبِّساً بالحق مشتملاً عليه، وهو مصدِّق للكتب السماوية التي سبقته، ورقيب شاهد عليها بما يبينه من حقيقة حالها في أصل إنزالها، وما كان من شأنها وشأن من خوطبوا بها بعد ذلك، من نسيان حظ عظيم منها وإضاعته، وتحريفِ كثيرٍ مما بقي منها بأنواع مختلفة من التحريف، والإعراض عن الحكم والعمل به، فالكتاب الذي أنزلناه إليك يحكم على كل كتاب جاء قبله، لأنه الآخر، وقد أكمل الدين به. فاحكم بينهم أيها الرسول بما أنزل إليك في الكتاب العظيم، ولا توافقهم على أغراضهم الفاسدة، منصرفاً عن الحق الذي أمرك الله به. [المنار ٦/ ٤١٠ ـ ٤١١، الصفوة ١/٣٤٦].

ولذلك قال سبحانه بعد ذلك: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٥٩].

ونحو هذه الآية قوله تعالى في سورة النساء: ١٣٦: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾. أي آمنوا بالقرآن الذي نزل على محمد ﷺ وبالكتب السماوية التي أنزلها من قبل القرآن. والمراد الجنس المنتظم لجميع الكتب السماوية [الصفوة ١/ ٢١١].

حينئذ مقيمين للتوراة والإنجيل حقاً، لإيمانهم بالمنزل فيهما، وجحدهم ما لم ينزل فيهما، وهذه إقامتهما حقاً.

وأما قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ﴾، فحقٌّ لا مرية فيه، وهكذا نقول، ولا سبيل لهم إلى إقامتهما أبداً، لرفع ما أسقطوا منهما، فليسوا على شيء إلا بالإيمان بمحمد ﷺ فيكونون حينئذ مقيمين للتوراة والإنجيل، كلهم يؤمنون حينئذ بما أنزل الله، وُجِد أو عُدم، ويكذبون بما بدل منهما مما لم ينزله الله تعالى فيهما، وهذه هي إقامتهما حقاً. فلاحَ صدق قولنا موافقاً لنص الآية بلا تأويل، والحمد لله رب العالمين(١).

---

[١] قال تعالى عن أهل الكتاب: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۚ مِّنۡهُمۡ أُمَّةٌ مُّقۡتَصِدَةٌۖ وَكَثِيرٌ مِّنۡهُمۡ سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ... قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنًا وَكُفۡرًاۖ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٦ و٦٨].

قالوا: فقد خاطب الله أهل الكتاب في ذلك الزمان، وأمرهم بإقامة التوراة والإنجيل اللذين في أيديهما، وهما الموجودان اليوم، فهي شهادة بسلامة تلك الكتب من التحريف [تفسيرالمنار ٦/ ٣٧٤ ـ ٣٧٥].

ويجاب بأن المراد التوراة والإنجيل اللذين أنزلا على موسى وعيسى عليهما السلام فيما دَعيا إليه من التوحيد الخالص والعمل الصالح، وفيما بشرا به من بَعْثة النبي ﷺ فـ(ال) هنا للعهد الذهني. والمعنى لو أن أهل الكتاب عملوا بالتوراة والإنجيل المنزَّلين من قبل بنور التوحيد والفضائل، والمبشِّرين بالنبي المنتظر من أبناء إسماعيل عليه السلام يشبه موسى في صفاته، وهو روح الحق يُعلم، فلو آمنوا به وعملوا بما أنزل الله عليه على أقوم الوجوه وأحسنها لوسع الله عليهم موارد الرزق، وأكلوا من بركات السماء وخيرات الأرض. وهؤلاء أهل الكتاب، منهم جماعة معتدلة في أمر الدين، لا تغلو بالإفراط، ولا تهمل بالتقصير، وكثير منهم ساء ما يعملون. [المنار ٦/ ٤٦٠ ـ ٤٦١].

ثم أكد عليهم فخاطبهم: يا أهل الكتاب لستم على شيء يُعْتدُّ به من أمر الدين حتى تقيموا التوراة والإنجيل حقَّ الإقامة، فتؤمنوا بمحمد ﷺ وتقيموا أيضاً القرآن الذي أنزل إليكم على لسانه، ولا ينفعكم مجرد الانتساب إلى موسى وعيسى عليهما السلام فهو تفنيد لدعواهم بالاستغناء عن خاتم الأنبياء واتباعهم لأنبيائهم السابقين. ولذلك قال سبحانه بعد ذلك: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنًا وَكُفۡرًاۖ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾. أي فلا تحزن عليهم، فإن تكذيب الأنبياء دأبهم وعادتهم. [المنار ٦/ ٤٧٤، الصفوة ١/ ٣٥٦] ويشبه ذلك قوله تعالى في سورة النساء: ١٦٢: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾. أي =

وأما قوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾، فنعم، إنما هو في كذب كذبوه ونسبوه إلى التوراة على جاري عادتهم زائد على الكذب الذي وضعه أسلافهم في توراتهم، فبكَّتهم في ذلك الكذب المحدث بإحضار التوراة إن كانوا صادقين، فظهر كذبهم[1].

وكم عرض لنا هذا مع علمائهم في مناظراتنا لهم قبل أن نقف على نصوص التوراة، فالقوم لا مؤونة عليهم من الكذب حتى الآن، إذا طمعوا بالتخلُّص من مجلسهم لا يكون ذلك إلا بالكذب. وهذا خُلُقٌ خسيس، وعارٌ لا يرضَى به مصحح، ونعوذ بالله من مثل هذا.

= لكن أهل العلم الصحيح بالدين من اليهود الثابتون على الحق، ولا يكتمون بقايا الوحي التي عندهم والمؤمنون من عامتهم، يؤمنون بما أنزل عليك من القرآن، وما أنزل من قبلك على موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء.

قال ابن عباس ﵄: نزلت في عبد الله بن سلام وأسيد بن سَعْية وثعلبة بن سَعْية حين فارقوا يهود وأسلموا [أخرجه البيهقي في الدلائل وابن إسحاق] [المنار ٦/ ٦٣].

تنبيه: تغيير الإعراب في كلمة بين أمثالها ينبه الذهن إلى التأمل فيها واستخراج مزيتها.

والنكتة هنا في (المقيمين) مزية الصلاة وكون إقامتها آية كمال الإيمان. [المنار ٦/ ٦٤].

(١) قال تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [المائدة: ٩٣].

قالوا: فقد طلب محمد ﷺ من اليهود الذين يجادلهم أن يأتوا بالتوراة ويتلوها ليحتج عليهم، والتوراة التي كانت في ذلك الوقت هي التي في هذا الزمن، فهو اعتراف بصحة ما عندنا الآن.

ويجاب بأن المجادلة إنما كانت في مسألة خاصة، وهي أن شعب إسرائيل ارتكب الظلم واجترح أفحش السيئات، فلذلك حرم الله سبحانه عليهم أنواعاً من الطيبات التي كانت حلالاً لهم، كما قال سبحانه في سورة النساء: ١٦٠: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾. ولم يكن الجدال في صحة التوراة أو عدم صحتها، بل كان في مسألة ذكرها لهم، وهي مكتوبة في توراتهم، فنفَوها تعنتاً، وكان غرضهم تكذيب شهادة الله عليهم بالبغي والظلم.

ومعنى الآية: كل الأطعمة كانت حلالاً لبني إسرائيل، ولإبراهيم ﵇ من قبل بالأولى، ثم حرم الله عليهم في التوراة بعض الأطعمة عقوبة لهم على معاصيهم وتأديباً، وكانت حلالاً قبل أن تنزل التوراة، فإذا أنكروا ذلك وجادلوك فقل لهم: ايتوني بالتوراة واقرؤوها عليَّ إن كنتم صادقين في دعواكم أنها لم تحرم عليكم بسبب بغيكم.

فلما حاجَّهم بكتابهم الذي عندهم، ويسمونه التوراة، انقلبوا صاغرين، ولم يجرؤ أحد منهم على إخراج ذلك الكتاب [المنار ٤/ ٣، الصفوة ١/ ٢١٨].

وأما قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾، فنعم، هذا عموم قام البرهان على أنه مخصوص، وأنه تعالى إنما أراد مصدقاً لما معكم من الحق، لا يمكن غير هذا، لأننا بالضرورة ندري أن معهم حقاً وباطلاً، ولا يجوز تصديق الباطل البتة، فصح أنه إنما أنزله تعالى مصدِّقاً لما معهم من الحق، وقد قلنا: إن الله تعالى أبقى في التوراة والإنجيل حقاً، ليكون حجة عليهم، وزائداً في خزيهم، وبالله تعالى التوفيق، فبطل تعلقهم بشيء مما ذكرنا، والحمد لله رب العالمين[1].

---

[1] قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء: ٤٧].

قالوا: فقد جاء القرآن مصدقاً للأسفار التي مع أهل الكتاب وقت نزوله، وهي التي بين أيدينا اليوم.

ويجاب بأن المراد تصديق ما تبقَّى فيها من حقائق وأحكام هي من بقايا الوحي، وسياق الآيات يدل على ذلك. قال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ ۝٤٤ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ۝٤٥ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٤٦ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء: ٤٤ ـ ٤٧].

والاستفهام في أول الآيات للتعجيب من سوء حالهم وفساد طوياتهم، فإن من هؤلاء اليهود فريقاً يبدِّلون كلام الله في التوراة، ويفسرونه بغير مراد الله قصداً وعمداً، فقد غيَّروا نعت محمد ﷺ وأحكام الرجم وغير ذلك، ويقولون لك إذا دعوتهم للإيمان: سمعنا قولك وعصينا أمرك، واسمع ما نقول لا سمعتَ. والكلام ذو وجهين، يحتمل الخير والشر، وأصله للخير، أي لا سمعت مكروهاً، ولكن اليهود الخبثاء يقصدون به الدعاء على الرسول ﷺ بالصمم أو بالموت، ويقولون في أثناء خطابهم: راعنا، وهي كلمة سب من الرعونة، وهي الحُمْق، فَتْلاً وتحريفاً عن الحق إلى الباطل. . .

ثم خاطبهم: يا معشر اليهود آمنوا بالقرآن الذي نزَّلناه على محمد ﷺ مصدقاً لما تبقى معكم من حقائق وأحكام هي من بقايا الوحي قبل أن ينزل بكم العقاب. [الصفوة: ١/ ٢٨٠].

ومما يغالط به أهل الكتاب عوام المسلمين أيضاً ما يلي:

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ [البقرة: ٤١].

قالوا: فالقرآن عندما ظهر كان مصدقاً لما مع اليهود في ذلك الوقت من الكتاب المقدس، وما كان معهم في ذلك الوقت هو الذي بين أيدينا اليوم.

ويجاب بأنكم لو أكملتم الآيات لظهرت الحقيقة ناصعة، فإن فيها أيضاً: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي =

= ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّىٰ فَاتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٤١ ـ ٤٢].

ومعناها: آمنوا يا معشر يهود بما أنزلت من القرآن العظيم مصدقاً لما معكم من أمور التوحيد والنبوة والتشريع ونحو ذلك مما تبقى من الوحي في التوراة وسائر كتب الأنبياء التي لديكم، ولا تكونوا يا من تسكنون بجوار المدينة أول من كفر به من أهل الكتاب، فتتبعكم الأجيال، ولا تستبدلوا بآياتي البينات حطام الدنيا الفانية.

ثم صحّح مسلكهم في الغواية، والإغواء، فأضاف: ولا تخلطوا الحق المنزل من الله تعالى بالباطل الذي تخترعونه، فلا تحرفوا ما في التوراة من البشارة بمحمد ﷺ بالبهتان الذي تفترونه، ولا تُخفوا ما في كتبكم من أوصافه وأنتم تعلمون أنه حق.

وقد جاء في كتبهم التحذير من متنبئين كَذَبة، وجاء فيها بشارة بنبي يبعث من ولد إسماعيل ﷺ وذكرت علاماته وصفاته بما ينفي الالتباس، لكن الأحبار كانوا يلبسون على العامة الحق بالباطل، فيوهمونهم أنه من الكذبة، ويكتمون ما يعرفون من علاماته وأوصافه التي لا تنطبق إلا عليه، ولا تصلح إلا له. [المنار ١/ ٢٩٢، الصفوة ١/ ٥٣].

ثم خاطب سبحانه أحبارهم على سبيل التقريع فقال: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤].

أي: أتدعون الناس إلى الخير ظاهراً، وتنسون أنفسكم، حيث تغلبكم الأهواء والشهوات، فتلجؤون إلى التحريف والحيلة، ولا تعملون من الخير إلا ما تصيبون به غرضكم، مع أنكم تقرؤون التوراة، وتعرفون ما لا يعرفه الناس، ألا يوجد فيكم عقل يحبسكم عن هذا السَّفَه وهذا القبح [المنار ١/ ٢٩٦، الصفوة ١/ ٥٥].

ثم ذكرهم بنعمته الكبرى عليهم فقال سبحانه: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٥٣].

أي واذكروا نعمتي عليكم حين أعطيتُ موسى ﷺ التوراة الفارقة بين الحق والباطل، لكي تهتدوا بالتدبر فيها والعمل بمقتضاها. [المنار ١/ ٣١٨، الصفوة ١/ ٥٨].

ثم توعَّدهم لأنهم لبَّسوا على الناس بالكتابة وتأليف الكتب الدينية، وأوهموا العامة أن ما كتبوه مأخوذ من كتاب الله سبحانه فقال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

أي هلاكٌ وعذابٌ وخزي وفضيحة لأولئك الذين حرفوا التوراة، وكتبوا النصوص المحرَّفة بأيديهم، ثم قالوا لأتباعهم: هذا من نصوص التوراة التي أنزلها الله على موسى. فنسبوها إلى الله كذباً وزوراً، لينالوا بذلك عَرَض الدنيا. فويل لهم على ما فعلوه من تحريف الكتاب، وويل لهم مما يصيبون من الحرام والسحت. [المنار ١/ ٣٦٠، الصفوة ١/ ٧٢].

ثم بكَّتهم على اتباع الهوى فقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ۖ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧]. =

= أي: ولقد آتينا موسى التوراة، وأتبعناه برسل متتالية على أثره، وأعطينا عيسى بن مريم الآيات البينات والمعجزات الواضحات، وأيدناه بالوحي وهو جبريل، ومع ذلك لم تؤمنوا به، أفكلما جاءكم رسول مخالف لهواكم الباطل، تكذبونه أو تقتلونه. [الصفوة ١/ ٧٦ ـ ٧٧].

وبعد ذلك ذكر إرداف موسى ﷺ بالرسل، ومنهم عيسى ﷺ وأشار إلى بعثة محمد ﷺ فقال سبحانه: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩].

أي ولما جاءهم القرآن الكريم الذي أنزل على محمد ﷺ مصدِّقاً لما عندهم من بقايا الوحي في الكتاب الذي يسمُّونه التوراة، من البشارة بنبي يبعث في آخر الزمان، وكانوا قبل مجيئه يستفتحون على مشركي العرب بالنبي المنتظر الذي ينصر التوحيد، ويخذل الوثنية، فيكون مؤيداً لموسى ﷺ، فلما بعث محمد ﷺ وعرفوه حق المعرفة بصفاته المكتوبة عندهم، حسدوه وجحدوا نبوته، فلعنة الله على من كفر برسالته. [المنار ١/ ٣٨٠ ـ ٣٨١، الصفوة ١/ ٧٧].

ثم ذكر أسلوبهم في مغالطة المسلمين فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩١].

أي وإذا قيل لهم: آمنوا بما أنزل الله من القرآن قالوا: يكفينا الإيمان بما أنزل علينا من التوراة، ويكفرون بالقرآن مع أنه الحقُّ، وهو موافق لما معهم من بقايا الوحي في التوحيد وأصول الدين ومقاصده، فقل لهم يا محمد: إذا كان إيمانكم بما في التوراة التي أنزلها الله على موسى ﷺ صحيحاً، فلم كنتم تقتلون الأنبياء من قبل كزكريا ويحيى ﷺ إن كنتم مؤمنين بها فعلاً؟! [المنار ١/ ٣٨٣، الصفوة ١/ ٧٨].

ثم ذكر إعراضهم عن توراتهم ذاتها فقال سبحانه: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠١].

أي: ولما جاءهم محمد ﷺ مصدِّقاً بمجيئه لما في التوراة التي بشَّرت به، وأوصافه في التوراة التي بين أيديهم من بقايا الوحي، نبذ بعض أحبارهم التوراة التي يفاخرون بها، بأن كتموا ما فيها من دلائل نبوة محمد ﷺ كأنهم لا يعلمون شيئاً منها، وهم لما طرحوا جزءاً هاماً وأساسياً منها، كأنهم طرحوها بالكلية. [المنار ١/ ٣٩٧، الصفوة ١/ ٨٣].

ثم أكد كتمانهم بعض ما في كتبهم فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

أي: إن الذين يُخفون ما أنزلناه من الآيات البينات الدالة على نبوة محمد ﷺ من بعد ما أوضحناه لهم في التوراة وسائر الكتب السماوية، أولئك يلعنهم الله، ويلعنهم اللاعنون.

والكتاب هنا اسم جنس يشمل جميع كتب الأنبياء عندهم. [الصفوة ١/ ١٠٨].

وقال تعالى أيضاً في ذلك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٤]. =

. . . .

= أي: يخفون ـ وهم رؤساء اليهود ـ صفةَ النبي المذكور في التوراة، وذلك بأن يُخْفوا منها شيئاً فلا يبلغونه للناس، أو يُخْفون معناه بتأويله أو تحريفه من أجل ثمن قليل من متاع الدنيا، فهم ما يأكلون إلا النار، لأن فعلهم ذاك كان سبباً لدخولهم النار، وأكل ما فيها. [المنار ٢/ ١٠١، الصفوة ١/ ١١٥].

وكان علماء اليهود يكتمون بعض ما في كتبهم بعدم ذكره للناس عند الحاجة أو السؤال، كالبشارة بالنبي محمد ﷺ وصفاته، فقد أنكروا إخبار أنبيائهم عنه وبشاراتهم به، وجعلوا ذلك حجَّة سلبية على إنكار نبوته، مدَّعين أن الأنبياء يبشِّر بعضهم ببعض، ولم يبشِّر أحد منهم بنبي يبعث من أبناء إسماعيل أو من العرب، ولم يجئ في كتبهم بيان عن دينه وكتابه، وكانوا تارة يخفون ذلك بالتحريف والتأويل، وحمل الأوصاف التي وردت فيه على غيره، حتى إذا سئلوا: هل لهذا النبي ذكر في كتبكم؟ قالوا: لا. كما فعلوا بالدلائل على نبوة عيسى عليه السلام فأنكروا انطباقها عليه، وزعموا أنها لغيره، وهم لا يزالون ينتظرونه.

ولم يقتصروا على كتمان الشهادة للنبيين فقط، بل كتموا أيضاً ما في الكتاب من الهدى والإرشاد بضروب من التأويل، حتى أفسدوا الدين وانحرفوا بالناس عن تعاليمه. ولا يزال فيها شيء من بقايا الوحي، لا يقبل التأويل إلا بالتعسف. [المنار ٢/ ٤٨ ـ ٥٠].

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦].

أي: إن علماء اليهود والنصارى يعرفون محمداً ﷺ من أوصافه التي هي من بقايا الوحي في كتبهم معرفة لا ريب فيها، كما يعرف الواحد منهم ولده معرفة يقين، وإن جماعة منهم ليخفون الحق عن الناس ولا يعلنونه. [المنار ٢/ ٢٠، الصفوة ١/ ١٠٤].

ولذلك هدَّدهم فقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: ١٧٦].

أي: تقرر ذلك العذاب الأليم على من يكتم الحق ويراوغ، بسبب أن الله سبحانه أنزل التوراة ببيان الحق وقت إنزالها، فكتموا وحرفوا ما في كتابهم. وإن الذين اختلفوا في تأويله وتحريفه، بأن حمله بعضهم على شخص أو معنى، وحمله آخرون على غير ذلك ليصرفوه عمن هو له، لفي خلاف واضطراب، بعيدين عن الحق والصواب. [المنار ٢/ ١٠٧، الصفوة ١/ ١١٥].

٢ ـ وقوله تعالىٰ: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [هود: ١٧].

قالوا: فقد شهد القرآن بأن كتاب موسى وهو التوراة إمام يُقتدَى به، ورحمة لمن آمن به وعمل بما فيه.

ويجاب بأن التوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام لا ريب في كونها هدى للناس، وفي العمل بتعاليمها رحمة لهم، لكن أين هي الآن؟ أهي تلك الكتب التاريخية المتضاربة والمشحونة بالأخطاء؟ =

= ومعنى الآية: أفمن كان على نور وبصيرة من الله تعالى فيما يؤمن به ويدعو إليه، وهو النبي محمد ﷺ ومن صدَّقه وآمن معه. وجوابه محذوف تقديره: كمن كان يريد الحياة الدنيا؟ يريد سبحانه أن بينهما تفاوتاً كبيراً.

ويتبعه شاهد من الله بصدقه، وهو جبريل عليه السلام أو يؤيده نور إلٰهي آخر وهو القرآن.

ويؤيده من قبل شاهد آخر، وهو الكتاب الذي أنزل على موسى عليه السلام حال كونه عندما أنزل قدوة متبعة في الهدى والتشريع، ورحمة لمن نزل عليهم، فآمنوا به وعملوا بما فيه.
وشهادته لمحمد ﷺ من وجهين:

شهادة مقال، وهي تصريحه بالبشارة بنبوته.

وشهادة حال، وهي ما بين موسى ومحمد ـ عليهما الصلاة والسلام ـ من التشابه.

أولئك الذين هم على بينة من ربهم يؤمنون بالقرآن حق الإيمان، ومن يكفر به من أهل الملل والأديان فالنار موعده [المنار ١٢/ ٥١ ـ ٥٢، الصفوة ٢/ ١٠].

٣ ـ وبقوله تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس: ٩٤].

قالوا: فقد طلب منه أن يسأل علماء أهل الكتاب الذين يعرفون التوراة والإنجيل. وهذا شهادة بصحة هذين الكتابين الموجودين في ذلك الوقت.

ويُجاب بأن الخطاب في الآية للنبي ﷺ والمراد به غيره، أو هو على سبيل الافتراض والتقدير، أي سَلْ علماء أهل الكتاب عن البشارة بك وبالكتاب المنزل عليك، فإن ذلك محقَّق عندهم، وهو من بقايا الوحي في كتبهم. وقد جاءك من ربك البيان الحق. [الصفوة ١/ ٥٩٧].

٤ ـ وبقوله سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٣ ـ ٤٤].

٥ ـ وبقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧].

قالوا: فقد طلب من الناس أن يسألوا العلماء بالتوراة والإنجيل في زمن محمد ﷺ، وهذا شهادة بصحة هذين الكتابين.

ويجاب بأن مشركي قريش أنكروا نبوة محمد ﷺ وقالوا: ما هذا إلا بشر مثلنا، والله أعظم من أن يكون رسوله من البشر، فهلَّا بعث إلينا ملكاً! فنزلت هذه الآيات.

والمعنى وما أرسلنا قبلك يا محمد إلا بشراً، ولم نرسل ملائكة، فكيف ينكر هؤلاء المشركون رسالتك؟! فاسألوا يا معشر قريش العلماء بالتوراة والإنجيل: هل كانت الرسل الذين جاؤوهم بشراً أو ملائكة، إن كنتم لا تعلمون حقيقة هذا الأمر؟ وسوف يخبرونكم بأن جميع الأنبياء الذين أرسلوا إليهم كانوا بشراً.

وقد أرسلنا أنبياءنا كلهم بالأدلة البينة على صدقهم، بالكتب التي أنزلناها عليهم. وأنت يا محمد قد أنزلنا إليك هذا القرآن الموقظ للقلوب، لعل الناس يتفكرون فيه ويتعلمون منه =

○ [أنبياء بني إسرائيل لم تقرر أسفارهم]:

قال أبو محمد رَحِمَهُ اللهُ: وقد اعترض بعضهم فيما كان يُدَّعى عليهم من تبديل التوراة وكتبهم المضافة إلى الأنبياء قبل أن نبيِّن لهم أعيان ما فيها من الكذب البحت، فقال: قد كان في مدة دولتهم أنبياء، وبعد دولتهم، ومن المحال أن يقر أولئك الأنبياء على تبديلها.

قال أبو محمد رَحِمَهُ اللهُ: فجواب هذا القول أن يقال له إن كان يهودياً: كذبت، ما في شيء من كتبكم أنه رجع إلى البيت مع زَرُبّابل بن شألتئيل بن صدقيا الملك نبي أصلاً، ولا كان معه في البيت نبي بإقرارهم أصلاً، وكان ذلك قبل أن يكتبها لهم عَزْرا الورَّاق بدهر، وقبل رجوعهم إلى البيت مع زربابل مات دانيال آخر أنبيائهم في أرض بابل[1].

= العقائد والأحكام [الصفوة ٢/١٢٨ و٢٥٦].

٦ ـ وبقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ٣٧].

أي لا يصحُّ أن يزعمَ أحد أن هذا القرآن مُفْتَرىً على الله، ولا يقبل منه هذا الادِّعاء، لأنه فوق طاقة البشر بلفظه ومعناه وتشريعه، فلا يقدر عليه إلا الله، ولكن الواقع أنه جاء مصدِّقاً لما قبله من الكتب السماوية التي نزلت على الأنبياء السابقين كالتوراة والإنجيل فيما دَعَتْ إليه وقت نزولها من الأسس والأصول، وفيه أيضاً تفصيل وتبيين للعقائد والشرائع، فليس فيه مثار للشك، لأنه من رب العالمين. [المنار ١١/٢٦٧ ـ ٣٦٨، الصفوة ٢/٥٨٣ ـ ٥٨٤].

٧ ـ ونحو هذا قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ [فاطر: ٣١].

أي والذي أوحينا إليك يا محمد من الكتاب المنزل عليك هو الحقُّ، وهو مصدق لما سبقه من الكتب المنزلة على الأنبياء، كصحف إبراهيم والتوراة والزبور والإنجيل وغيرها. [الصفوة ٢/٥٧٥].

٨ ـ ونحو ذلك قوله سبحانه: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣].

أي: ويقول كفار مكة: لست يا محمد مرسلاً من عند الله. قل: حَسْبي شهادة الله بصدقي بما أنزل علي من المعجزات، وشهادة من أسلم من علماء أهل الكتاب [الصفوة ٢/٨٧].

٩ ـ وصفوة القول في هذا الادعاء قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

(١) يشير رَحِمَهُ اللهُ إلى عودة الفوج الأول من المنفَى، وقد ولَّى عليهم الملك الفارسي كورش =

وأما الأنبياء الذين كانوا في بني إسرائيل بعد سليمان، فكلُّهم كما بيَّنا، إما مقتول بأشنع القتل، أو مُخاف مطرود منفي، لا يسمع منهم كلمة إلا خفية، حاشَ مدة الملوك المؤمنين الخمسة في بني يهوذا وبني بنيامين خاصة، وذلك قليل، تلاه ظهور الكفر وحَرْق التوراة وقتل الأنبياء، وهو كان خاتمة الأمر، وعلى هذا الحال وافاهم انقراض دولتهم. وأيضاً فليس كل نبي يبعث بتصحيح كتاب من قبله. فبطل اعتراضهم بكون الأنبياء فيهم جملة[1].

وإن كان نصرانياً يقرُّ بالمسيح وزكريا ويحيى عليهم السلام؛ قيل له: إن المسيح عليه السلام بلا شك كانت عنده التوراة المنزلة كما أنزلها الله تعالى، وكان عنده الإنجيل المنزَّل. قال الله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [آل عمران: ٤٨ ـ ٤٩]. إلا أنه عرض في النقل عنه بعد رفعه عارض أشد وأفحش من العارض في النقل إلى موسى عليه السلام، فلا كتابةٌ في العالم متصلة إلى المسيح عليه السلام أصلاً، والنقل إليه راجع إلى خمسة فقط، وهم متى وباطرة بن

= زَرُبّابل بن شألتيل من بيت داود، وكان معه يشوع بن صاداق رئيساً للكهنة كما سبق.

(١) يقصد رحمه الله أن الكتاب إذا صار محرفاً، فليس من الضروري أن يزول تحريفه بتوجيه النبي الذي يأتي بعده، ويكفي أن ينكر التحريف جملة وينبِّه إليه دون أنْ يخبر عن المواضع المحرَّفة بالمكان. ثم إن بني إسرائيل كانوا يطاردون الأنبياء، وقد قتلوا الكثيرين منهم، حتى إن كثيراً من الكهنة اشتركوا في أعمال الشر، فكيف يخبرونهم عن مواضع التحريف؟ على أن بعض الأنبياء كان يدعوهم إلى الله وينكر أعمالهم دون أن يذكر لهم شيئاً عن التوراة. ولعل ذلك كان من باب التدرج في العرض والإنكار.

جاء في سفر الملوك الثاني ٢٢/١١ ـ ٢٠: فلما سمع الملك ـ أي يوشيا ـ كلام سفر الشريعة مزق ثيابه، وأمر حلقيا الكاهن وآخرين قائلاً: اذهبوا اسألوا الرب لأجلي ولأجل الشعب من جهة كلام هذا السفر الذي وجد. . . فذهبوا إلى خَلْدة النبية امرأة شَلّوم وكلموها، فقالت لهم: قولوا للرجل الذي أرسلكم: هكذا قال الرب: هأنذا جالب شراً على هذا الموضع وعلى سكانه، كلَّ كلام السفر الذي قرأه ملك يهوذا من أجل أنهم تركوني. . . تقولون له: من جهة الكلام الذي سمعت من أجل أنه قد رقَّ قلبك وتواضعت أمام الرب. . . لذلك أضمك إلى آبائك فتضم إلى قبرك بسلام، ولا ترى عيناك كل الشر الذي أنا جالبه على هذا الموضع.

فاكتفت بتهديد المرتدين، ولم تقر ولم تنكر، ويبدو أنها كانت لا تعرف عن توراة موسى شيئاً. ولعل بعض الأنبياء أنكر عليهم التحريف، فلُوحق وقُتل أو شُرِّد، ولم يُنقل إنكاره، وعلى فرض سكوت الأنبياء وعدم إنكارهم، فإن سكوتهم لا يجدي بعد ما حلَّ بكتبهم ما حلّ، فلا بد من نقل ثابت عن نبي معترف بنبوته أنه اطلع على هذه الأسفار من أولها إلى آخرها وأقر بصحة ما فيها.

نونا ويوحنا بن سبذاي ويعقوب ويهوذا ابنا يوسف فقط، ثم لم ينقل عن هؤلاء إلا ثلاثة فقط، وهم لوقا الطبيب الأنطاكي ومارقس الهاروني وبولس البنياميني، وكلهم كذَّابون، وقد وضح عليهم الكذب جهاراً، وكل هؤلاء مع ما صح من كذبهم وتدليسهم في الدين، فإنما كانوا متسترين بإظهار دين اليهود ولزوم السبت بنص كتبهم، ويدعون إلى التثليث سراً، وكانوا مع ذلك مطلوبين، حيثما ظفروا بواحد منهم ظاهراً قتل. فبطل الإنجيل والتوراة برفع المسيح ﷺ بطلاناً كلياً[1].

وهذا الجواب إنما كان يُحتاج إليه قبل أن يظهر من كَذِب توراتهم وكتبهم ما قد ظهر، وأمَّا بعدما وضح من عظيم كذب هذه الكتب بما لا حيلة فيه، فاعتراضهم ساقط؛ لأن يقين الباطل لا يصححه شيء أصلاً، كما أن يقين الحق لا يفسده شيء أبداً.

فاعلموا الآن أن كل ما عورض به الحق المتيقن ليبطل به، أو عورض به دون الكذب المتيقن ليصحح به، فإنما هو شَغَب، وتمويه وإيهام وتخييل فاسد بلا شك، لأن يقينين لا يمكن البتة في البنية أن يتعارضا أبداً. وبالله التوفيق[2].

---

[1] وقد أوضح ابن حزم رحمه الله ذلك في كتابه الفصل لدى كلامه عن إنجيل النصارى. ولو كان عندهم نقل ثابت عن عيسى ﷺ أنه أقر العهد القديم بكامل أسفاره لما احتاجوا إلى إقامة المجامع المتتالية والتمحيص عن الكتب القانونية واختلافهم فيها. وسأذكر قريباً توضيحاً لهذه المغالطة إن شاء الله.

[2] يريد رحمه الله أن ما ثبت أنه حق ووصل إلى درجة الحقيقة القطعية اليقينية كالقرآن الكريم المنقول بالتواتر من جيل إلى جيل، ومثل بعض الأحاديث المتواترة، لا يضره ما عارضه مهما كثر وكبر، وكذلك ما ثبت أنه كذب وباطل، ووصل إلى درجة التيقن من كذبه ووضعه، فإنه لا يمكن تصحيحه أصلاً، والمحاولات التي تجري بعد ثبوت كذبه هي شغب وتمويه.

وقد زعمت النصارى أن عيسى ﷺ شهد بصحة العهد القديم، وبخاصة التوراة، ولو كانت محرَّفة لما شهد بها، بل كان يجب عليه أن يلوم اليهود على التحريف، وزعموا أيضاً أن القرآن شهد بصحة الإنجيل. واحتجوا بما يلي:

١ ـ قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ١ ـ ٤].

وزعموا أن التوراة التي كانت بأيدي اليهود في أيام عيسى ﷺ والتوراة والإنجيل اللذين بأيديهم اليوم هما اللذان أنزلهما الله على موسى، ثم على عيسى ﷺ لم يعرض لهما أي تغيير أو تحريف. =

. . . .

= ويجاب بأن الآيات إنما تبين أن تلك التوراة التي أُنزلت على موسى ﷺ، وذلك الإنجيل الذي أنزل على عيسى ﷺ هما هُدَى للناس الذين أرسل النبيان إليهم، وجاء القرآن مصدِّقاً لهما، وليس مصدقاً لكتب تاريخية غير ثابتة، وليس لها سند كانت تسمَّى بالتوراة والإنجيل عند أهل الكتاب وقت نزول القرآن الكريم.

ومعنى الآيات: إن الله سبحانه لا ربَّ سواه، ولا معبود بحق غيره، وهو الحي الدائم الذي لا يموت، أوحَى إليك أيها النبي هذا القرآن، ونزَّله عليك بالتدريج، وفيه من البراهين ما يحقق أنه من عند الله، فهو متَّصف بالحق متلبس به، وهو مصدِّق للكتب التي أنزلت على الأنبياء السابقين، وأنزل الكتابَيْن العظيمين التوراة والإنجيل هدى لبني إسرائيل حينما نزلا.

فهو تصديق إجمالي لما تقدَّمه من الكتب المنزلة على الأنبياء السابقين أنها وحي من عند الله، ولا يتضمن تصديق ما عند الأمم التي تنتسب إلى أولئك الأنبياء من الكتب بأعيانها ومسائلها، وكل ما فيها.

تنبيهان:

أ ـ الفرقان لغة مصدر كالغفران، وهو ما يفرق بين الحق والباطل في كل أمر كالدلائل والبراهين.

قال بعض المفسرين: هو القرآن، وكرره تأكيداً عليه.

وقال آخرون: المراد بالمكرّر جنس الكتب السابقة التي أُنزلت على الأنبياء حال إنزالها.

ب ـ المتبادر من كلمة (أنزل) أن التوراة والإنجيل أنزلا على موسى وعيسى ﷺ مرة واحدة، وليس بالتدريج كالقرآن الكريم. [المنار ٣/ ١٥٥، الصفوة ١/ ١٨٤].

٢ ـ قوله تعالى عن عيسى ﷺ: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ... وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٤٨ ـ ٥٠].

قالوا: والتوراة التي كانت في زمن عيسى ﷺ هي الموجودة اليوم، وقد علَّمه الله إياها، ولم ينكر حرفاً منها.

ويجاب بأن الله سبحانه علَّمه التوراة الحقيقية الأصلية التي أنزلها على موسى ﷺ وقد صدَّق نزولها جملة، ثم إن الشيء إذا صار محرفاً، فليس من الضروري أن يزول ذلك التحريف بتوجيه النبي الذي جاء بعده، أو أن يخبر عن المواضع المحرَّفة بالمكان، والمسيح ﷺ جاراهم فيما عندهم من بقايا الوحي ليقيم الحجة عليهم، وأنكر عليهم كثيراً من الأحكام والتصرفات. وقد نصت الآية على أنه جاء ليعدل بعض الأحكام. [إظهار الحق ١/ ٣٥٦].

ومعنى الآيات: ويعلِّم الله عيسى ﷺ الكتابة والحكمة ـ وهي السداد في القول والعمل ـ والتوراة الحقيقية وأسرارها والإنجيل الذي أنزل عليه، ويرسله إلى بني إسرائيل قائلاً لهم: قد جئتكم بآية من ربكم تدل على صدقي ـ وهي ما أيده الله به من المعجزات ـ وجئتكم مصدقاً لرسالة موسى ومؤيداً لتوراته، ولأحل لكم بعض ما كان محرماً عليكم في شريعته. [المنار ٣/ ٣١٠، الصفوة ١/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣]. =

= ونحوه قوله تعالى في سورة المائدة: ١١٠: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾.

ومما تناساه أهل الكتاب من الآيات الدالة على التحريف ما يلي:

١ - قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧١].

فالله سبحانه يوبّخ أهل الكتاب على كتمان الحق، ولَبْس الحق بالباطل، فيخاطبهم منكراً عملهم: لم تخلطون الحق الذي جاءت به الأنبياء، ونزلت به الكتب - وهو عبادة الله وحده، وعمل الخير، والبشارة بنبي من بني إسماعيل - بالباطل الذي وضعتموه، وذلك بإلقاء الشبهات والتحريف والتبديل؟ ولم تكتمون ما في كتبكم من عقائد وأحكام وأوصاف لهذا النبي، وأنتم تعلمون أنكم تفعلون ذلك اتباعاً للهوى؟! [المنار ٣/ ٣٣٢ - ٣٣٣، الصفوة ١/ ٢٠٩].

٢ - قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨].

أي وإن من اليهود طائفة يفتلون ألسنتهم حال قراءتهم الكتاب لتحريف معانيه وتبديله عن المراد منه، لتظنوا أن هذا المحرف من كلام الله، وما هو إلا تضليل وبهتان، وينسبونه إلى الله تعالى كذباً، وهم يعلمون أنهم يكذبون على الله. [المنار ٣/ ٣٤٤، الصفوة ١/ ٢١٢].

٣ - وقال سبحانه عن اليهود: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٣ - ١٥].

أي بسبب نقض اليهود المواثيق - ومنها الإيمان بمن نرسله إليهم من الأنبياء - استحقُّوا الطرد من رحمتنا، فإن نقض المواثيق قد أفسد فطرتهم ودنَّسَ نفوسهم، وقَسَّى قلوبهم، حتى أصبحت لا تلين لقبول الحق والإيمان به، وهم مع ذلك قد حرَّفوا الكلم عن مواضعه بأن تأوَّلوا كتاب الله على غير ما أنزل، وحملوه على غير مراده، وكانوا أيضاً قد نَسوا نصيباً وافراً من أصل الكتاب عندما ضاع منهم، ثم قالوا على الله ما لم يقل. ولا تزال أيها الرسول تطَّلع على خيانة منهم بنقض العهود وتدبير المكائد، فإن الغدر والخيانة عادتهم وعادة أسلافهم، إلا قليلاً ممن أسلم منهم، فاعف عما سلف من هؤلاء القليلين، وعاملهم بالإحسان الذي يحبه الله.

وكذلك أخذنا الميثاق من الذين سَمَّوا أنفسهم نصارى، وادَّعوا أنهم أنصار الله وأحباؤه، =

....

= وأخذنا منهم الميثاق على توحيد الله والإيمان بمحمد ﷺ لكنهم أيضاً نسوا نصيباً مما ذُكِّروا به على لسان عيسى عليه السلام، وتركوا ما أمروا به في الإنجيل بسبب أهوائهم، مما أدى إلى اختلافهم وتفرقهم، فألصقنا العداوة والبغضاء بين فرقهم إلى قيام الساعة، فلا يزالون متباغضين، يلعن بعضهم بعضاً. وسوف يلقَون جزاء عملهم وافترائهم على الله.

ثم خاطب سبحانه كليهما: يا معشر اليهود والنصارى، قد جاءكم رسولنا محمد ﷺ بالدين الحق، يبين لكم الكثير مما كنتم تكتمون في كتابكم، كالإيمان به وحكم الرجم، ومسخ أصحاب السبت قردة، وغير ذلك مما تُخفونه عن الناس، ويترك الكثير مما تخفون، فلا يبينه، وإنما يبين لكم ما فيه حجة عليكم ودلالة على صدقه ونبوته. قد جاءكم من الله نور وهو الوحي الذي يخرج من فم النبي محمد ﷺ وبخاصة القرآن الكريم الذي يبين لكم حقيقة ما طرأ على التوراة والإنجيل من ضياع بعض ونسيانه، ومن إخفاء بعض وكتمانه، ومن عبث العابثين بتحريف المعاني. فالقرآن نور يزيل الظلمات، وهو ظاهر الإعجاز. [المنار ٦/ ٢٨٣ ـ ٢٨٥ و٢٨٧ و٣٠٣ ـ ٣٠٤، الصفوة ١/ ٣٣٣ ـ ٣٣٤].

تنبيه: العطف هنا للتفسير أو من عطف الخاص على العام.

٤ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الأنعام: ٩١ ـ ٩٢].

أي: قل لهؤلاء اليهود المعاندين: من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى حالة كونه نوراً يُستضاء به، وقد انقشعت به ظلمات الكفر لدى نزوله، وهدى لبني إسرائيل، حيث أخرجهم من الضلال بما فيه من الأحكام والشرائع، فكانوا معتصمين بالحق إلى أن اختلفوا ونَسُوا حظاً مما ذُكِّروا به، فصاروا باتباع الهوى يكتبونه في قراطيس مقطعة وورقات متفرقة، تُبدون ما تشاؤون منها عند الحاجة، وتُخفون كثيراً من أحكام الكتاب وأخباره إذا كان لكم هوى في إخفائها، ومن ذلك البشارة بنبوة محمد ﷺ، وذلك لأن الكتاب إنما كان بأيديهم ولم يكن في أيدي العامة. والقرطاس ما يكتب عليه من ورق أو جلد أو غيرهما.

وهذا الإخفاء إنما هو للنصوص المتبقية عندهم، فهو غير ما نسيه متقدمو اليهود من الكتاب بضياعه لدى تخريب بيت المقدس وإجلائهم إلى بابل.

ثم وبخهم وفضحهم فقال لهم: وعُلمتم يا معشر اليهود بما أنزل الله على محمد ﷺ في القرآن الكريم ما لم تعلموا من قبل أنتم وآباؤكم الذين كانوا أعلم منكم.

ثم خاطب نبيه ﷺ، أي قل لهم في الجواب: الله أنزل كتاب موسى، ثم دَعْهم بعد بيان الحق يخوضون في باطلهم.

ثم وضّح سبحانه الأمر وختمه فقال: وهذا القرآن الذي أنزلناه على محمد ﷺ كثير الخير والفائدة دائم النفع، يصدق ما تقدمه من كتب الله المنزلة على الأنبياء السابقين، ويقر بما فيها وقت إنزالها وقبل تحريفها. [المنار ٧/ ٦١٤ ـ ٦١٧، الصفوة ١/ ٤٠٤ ـ ٤٠٥].

وقد تبين من استعراض تلك الآيات ما يلي: =

....

= أ ـ تفنن أسلوب القرآن الكريم في مخاطبة اليهود وإظهار ما انطوت عليه نفوسهم من مَكْر وكَيْد، فتارة دعاهم بالملاطفة واللين، وتارة بتذكيرهم بالنعم التي أنعمها عليهم وعلى آبائهم، وتارة بإقامة الحجج والتوبيخ، وأخرى بالإنذار والتخويف. [الصفوة ١/ ٥٣].

ب ـ ذكر سبحانه أنّهم أوتوا نصيباً من الكتاب، كما في سورتي آل عمران: ٢٢، والنساء: ٤٤ و٥٠، ومفهومه أنهم نَسُوا نصيباً آخر، وهو ما صرح به في مكان آخر كما في سورة المائدة: ١٣: ﴿وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِۦ﴾. أي: أضاعوه وفقدوه.

وقد حدث ذلك عندما أحرق البابليون هيكلهم، وسبَوا من أبقى عليه السيف. وعندما عادت إليهم الحرية الدينية جمعوا ما كانوا حفظوه في ذاكرتهم، ووعوه بالعمل به، فكتبوه، ونسوا الباقي.

وإخبار القرآن بأنهم نسوا حظاً مما ذكروا به، وأوتوا نصيباً من الكتاب من أعظم المعجزات التي أثبتها التاريخ بعد بعثة محمد ﷺ بعدة قرون، إذ لم يكن يخطر ببال العرب ـ وهم أميون ـ أن اليهود فقدوا كتابهم الذي هو أصل دينهم، ثم كتبه لهم بعد عدة قرون كاتب منهم نشأ في السبي والأسر بين الوثنيين، فنقص منه وزاد فيه، ولم تعرف المصادر التي جمع منها ما كتبه معرفة صحيحة.

وكان عوام أهل الكتاب لا يعرفون ذلك أيضاً، لأن علماءهم لا يبوحون به أمامهم، ثم نزل القرآن على رسول الله ﷺ يبين ذلك ويؤكده، ويدعو اليهود إلى الإسلام، ويقيم عليهم الحجج والبراهين، ويبين لهم تاريخ سلفهم وطبائعهم. غير أن أهل الكتاب أنكروا ذلك وغالطوا به، لكن عندما ظهر البحث والتمحيص في تاريخهم وأسفارهم، ظهر أن اليهود فقدوا التوراة التي كتبها موسى، ولم يجدوها مطلقاً، وما عندهم إنما كتبه لهم بعض علمائهم مما بقي في ذاكرتهم ممزوجاً بما ليس من التوراة. فظهر أن إخبار القرآن بذلك كان من معجزاته الدالة على أنه من عند الله، وقد أنزله على رسوله خاتم النبيين ﷺ [المنار ٦/ ٢٨٤ و٢٨٩ و٣٩٦].

قال سبحانه: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩].

جـ ـ بيَّن سبحانه أنهم يحرفون الكلم عن مواضعه كما في النساء: ٤٦، والمائدة: ١٣، ومن بعد مواضعه كما في المائدة: ٤١.

والتحريف لغة: إمالة الشيء عن موضعه إلى جانب من الجوانب، مأخوذ من الحَرف وهو الطرف والجانب. ويَصْدُق بتحريف الألفاظ تقديماً وتأخيراً، وحَذْفاً وزيادة، كما يصدق بتحريف المعاني وحمل الألفاظ على غير ما وضعت له كما سلف.

وبذلك أفسدوا الدين، وانحرفوا بالناس عن تعاليمه، وقالوا على الله ما لم يقل. والأسفار الخمسة التي في أيديهم تنطق بما يؤيد ذلك. [المنار ٣/ ١٥٦ و٦/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣، الصفوة ١/ ٣٣٣].

د ـ كان علماء أهل الكتاب يكتمون بعض ما في كتبهم بعدم ذكر النصوص للناس عند =

. . . .

= الحاجة أو السؤال، كالبشارات بالنبي محمد ﷺ وذكر أوصافه، وكالتستر على حد الزنى المكتوب في النصيب الذي بقي عندهم من التوراة. [المنار ٢/ ٥٠].

هـ - عندما يمدح القرآن الكريم التوراة والإنجيل، ويذكر أن فيهما هدى ونوراً، فإنما يريدهما حال إنزالهما ومدة بقائهما سالمين، لأن (ال) للعهد الذهني، أي التوراة والإنجيل المعهودين في الأذهان، وهما اللذان نزلا على موسى وعيسى عليهما السلام.

و - عندما يبين القرآن لليهود أن عندهم التوراة وأن فيها حكم الله، فإنما يريد ذلك في القضية التي تحاكموا فيها إلى النبي ﷺ أو فيما جرى فيه المناقشة والجدال، وليس في كل الكتاب الذي عندهم. وهذا يدل على أنه لا زال في كتابهم شيء من بقايا الوحي.

ز - من المعلوم أن محمداً ﷺ شديد الذكاء، وقد شهد له بذلك حتى أعداؤه، فهل يمكن أن يمدح كلَّ كتابهم مرة، ويذمه أخرى، فيناقض نفسه في عدة أماكن، ويفتح على نفسه باباً كبيراً من النقد والأقاويل؟ ولو كان الأمر كذلك لاحتج عليه حتى أصحابه ولم ينقل أن أحداً من أهل الكتاب في زمانه أو بعده قال له: مدحت كتابنا، فلم ذممته بعد ذلك، بل كانوا يقولون: إذا أفحمهم: «أيا أبا القاسم ما كنت جهولاً». وبقي الأمر كذلك حتى نبتت نابتة من المبشِّرين بعد النبي ﷺ بأزمان.



[موقف المسلمين مما في أسفار أهل الكتاب]

○ [إيمان المسلمين بجميع الأنبياء الذين صح خبر نبوتهم]:

نحن المسلمين، إنما قبلنا نبوة موسى وهارون وداود وسليمان وإلياس واليسَع عليهم السلام وصدَّقنا بذلك، وآمنا بهم، وأن موسى عليه السلام الذي أنذر الناس بمحمد ﷺ لإخبار رسول الله ﷺ بصحة نبوتهم، ومعجزاتهم فقط، ولولا إخباره بذلك ما كانوا عندنا إلا كشموال وإيراث وحداث وحقاي وحبقوق وعدوا ويؤال وعاموص وعوبديا ومسخا وناحوم وصفنيا وملاخي وسائر من تقرُّ اليهود بنبوتهم كإقرارهم بنبوة موسى عليه السلام سواء بسواء، ولا فرق بين طرق نقلهم لنبوة جميعهم. ونحن لا نصدق نقل اليهود في شيء من ذلك، بل نقول: إنه قد كان لله تعالى أنبياء في بني إسرائيل، أخبر بذلك الله تعالى في كتابه المنزَّل على نبيه الصادق المرسل، فنحن نقطع بنبوة من سُمّي لنا منهم، ونقول في هؤلاء الذين لم يسم لنا محمد ﷺ أسماءهم: الله ﷻ أعلم، إن كانوا أنبياء فنحن نؤمن بهم، وإن لم يكونوا أنبياء، فلسنا نؤمن بهم. آمنا بالله وكتبه ورسله، لا نفرق بين أحد من رسله.

وهكذا نقر بنبوة صالح وهود وشعيب وإسماعيل، وبأنهم رسل الله يقيناً، ولا نبالي بإنكار اليهود لنبوتهم ولا بجهلهم بهم؛ لأن الصادق ﷺ شهد برسالتهم (١).

---

(١) يؤمن المسلمون بجميع الأنبياء وبالكتب المنزلة عليهم بصورة عامة. قال سبحانه: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقد اقتضت حكمة الله أن يرسل إلى كل قوم رسولاً خاصاً بهم. قال سبحانه: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، وقال جل شأنه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦].

فالأنبياء جميعاً يدعون إلى أصول مشتركة، لا تختلف في حقيقتها وجوهرها، وإن =

○ [إنما يؤمن المسلمون بالتوراة التي أنزلها الله على موسى]:

وأما التوراة، فما وافَقْنا قط عليها، لأننا نحن نقر بتوراة حق أنزلها الله تعالى على موسى ﷺ وأصحابه، لأنه تعالى أخبرنا بذلك في كتابه الناطق على لسان رسول الله ﷺ الصادق، ونقطع بأنها ليست هذه التي بأيديهم بنصها، بل حُرِّف كثير منها وبُدِّل، وهم يقرون بهذه التي بأيديهم، ولا يعرفون التي نؤمن نحن بها، وكذلك لا نصدق بشريعتهم التي هم عليها الآن، بل نقطع بأنها محرفة مبدلة مكذوبة، وهم لا يؤمنون بموسى الذي بشر بمحمد ﷺ وبرسالته وبأصحابه.

فاعلموا أننا لم نوافقهم قط على التصديق بشيء من دينهم، ولا مما هم عليه، ولا مما بأيديهم من الكتاب، ولا بالنبي الذي يذكرونه، لما قد أوضحناه من فساد نقلهم ووضوح الكذب فيه، وعموم الدواخل فيه[1].

= اختلفت في تفاصيل الشرائع وفروع الأحكام. قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

غير أن الله سبحانه ذكر لنا أسماء بعضهم، ولم يستوفهم جميعاً، قال تعالىٰ: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

[1] يؤمن المسلمون بأن كل ما أنزل على الأنبياء هو دين الله الحق، ويعتقدون أنه حينما نزل كان موافقاً في جوهره وأصوله لما أنزل على محمد ﷺ وما جاء في القرآن الكريم من مدح أو تصديق للكتب السماوية عامة أو لكتاب منها خاصة، فإنما هو تصديق إجمالي لأصل الوحي على الأنبياء، أو لها حين نزولها وقبل تحريفها، أو لمسألة خاصة بعينها هي من بقايا الوحي، ولا يتضمن تصديق ما عند الأمم من الأسفار التي تنسب إلى الأنبياء بأعيانها وتفصيلاتها، بسبب ما طرأ عليها من ضياع وتحريف.

وقد نزل القرآن الكريم مفرقاً بين التوراة والإنجيل اللذين أنزلا على موسى وعيسى ﷺ وبين الكتابَيْن اللذين بين يدي أهل الكتاب، وجاء الخطاب في الآيات عن التحريف لليهود المعاصرين للرسول ﷺ علماً بأن التحريف والتبديل والإخفاء كان في زمن أجدادهم، وكان في عصرهم أقل. قال تعالى عن اليهود الذين أنكروا نبوة محمد ﷺ، وأنكروا إنزال الوحي عليه: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١].

فما أنزل على الرسولين الكريمين: نزلت الآيات بمدحه، لأن فيه هدى ونوراً، وما بين أيدي أهل الكتاب محرَّف مبدل، والمسلمون منذ عصر التنزيل إلى اليوم يفرقون هذا التفريق. قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٢] فذلك الكتاب هو الهدى، وليس الذي كُتب من بعده. =

○ [ما لم ينزل فيه نص مما عندهم وأمكن أن يكون حقاً لا نصدقه ولا نكذبه]:

[قال ابن حزم، رحمه الله]: حدثنا أبو سعيد الجعفري، حدثنا أبو بكر الأدفوي محمد بن علي المصري، حدثنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، حدثنا أحمد بن شعيب، عن محمد بن المثنى عن عثمان بن عمر، حدثنا علي، هو ابن المبارك، حدثنا يحيى بن أبي كثير، عن أبي سَلَمة بن عبد الرحمن بن عوف عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها لأهل الإسلام بالعربية، فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم، وإلهنا وإلهكم واحد»[1].

قال أبو محمد رحمه الله: وهذا نص قولنا والحمد لله رب العالمين: ما نزل القرآن والسنة عن النبي ﷺ بتصديقه صدَّقنا به، وما نزل النص بتكذيبه أو ظهر كذبه كذَّبنا به، وما لم ينزل نص بتصديقه أو تكذيبه، وأمكن أن يكون حقاً أو كذباً لم نصدقهم ولم نكذبهم، وقلنا ما أمرنا رسولنا ﷺ أن نقوله، كما قلنا في نبوة من لم يأتنا باسمه نص، والحمد لله رب العالمين.

حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن خالد، حدثنا إبراهيم بن أحمد البلخي، حدثنا الفَرِيَري، حدثنا البخاري، حدثنا إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، حدثنا ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن

= وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٤ ـ ١٥٥].

والآيات في ذكر التبديل والتحريف كثيرة إذا ما قورنت بالأحاديث النبوية الواردة في هذا الموضوع، وهي تقرر ما جاء في القرآن وتؤكده دون تفصيل.

(١) أخرجه البخاري. وعند أحمد في المسند: «إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا: آمنا بالله وكتبه ورسله، فإن كان حقاً لم تكذبوهم، وإن كان باطلاً لم تصدقوهم».

أي: إذا كان ما يخبرونكم به محتملاً، فلا تصدِّقوهم ولا تكذبوهم، لئلا يكون صدقاً فتكذبوه، أو كذباً فتصدقوه، فتقعوا في الحَرَج. ولم يرد النهي عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه، ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفاقه. [فتح الباري ٨/ ٢١٤].

وروى ابن أبي حاتم في تفسيره عن مَعْقل بن يَسار مرفوعاً: آمنوا بالتوراة والإنجيل والزبور، وَلْيَسَعْكم القرآن.

مسعود، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء، وكتابكم الذي أنزل على رسوله حَدَث تقرؤونه مَحْضاً لم يُشَب؟! وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدّلوا كتاب الله تعالى وغيَّروه، وكتبوا بأيديهم الكتاب، وقد قالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً.

قال أبو محمد رحمه الله: هذا أصح إسنادٍ عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو نفس قولنا، وماله في ذلك من الصحابة مخالف.

وقد روينا أيضاً عن عمر رضي الله عنه أنه أتاه كَعْب الحبر بسِفْر وقال: هذه التوراة، أفأقرؤها؟ فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن كنت تعلم أنها التي أنزل الله على موسى فاقرأها آناء الليل والنهار.

فهذا عمر رضي الله عنه لم يحقِّقْها[1].

---

[1] هذا الأثر رواه ابن عباس رضي الله عنهما أن كعب الأحبار أحضر كتاباً إلى عمر رضي الله عنه وقال له: هذه التوراة أأقرؤها؟ فقال عمر رضي الله عنه: إن كنت تعلم...

وصفوة القول في هذه المغالطة ما يلي:

• ما جاء في القرآن الكريم من مدح أو تصديق للكتب السماوية عامة أو لكتاب منها خاصة، فإنما هو تصديق إجمالي لأصل الوحي على الأنبياء، أو لمسألة بعينها هي من بقايا الوحي، ولا يتضمن تصديق ما عند الأمم التي تنتسب إلى الأنبياء من الكتب بأعيانها وتفصيلاتها البتة.

• يعتقد المسلمون أن الله سبحانه أنزل على الأنبياء كتباً مُوحى بها إليهم، لكنها ضاعت وفقدت، فالتوراة الأصلية التي أُنزلت على موسى عليه السلام والإنجيل الحقيقي الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام لا وجود لهما اليوم، وما يطلق عليه اسم التوراة أو أسفار موسى، وما يطلق عليه اسم الإنجيل، وما ينسب إلى الأنبياء من أسفار أهل الكتاب إنما هو مجرد تواريخ كتبها عدد كبير من الكتاب المجهولين على مدى قرون متطاولة.

• إن التصرف في ألفاظ كتاب منقول بالتواتر حفظاً في الصدور وكتابة في السطور بلغته التي نزل بها على النبي، كما هو الحال في القرآن الكريم مستحيل ممتنع، وإن التصرُّف في معاني أحكام وقصص منقولة بأسانيد صحيحة متصلة، كما هو الحال في السنة النبوية عند المسلمين، متعذِّر، وأسفار أهل الكتاب عارية عن الأسانيد الصحيحة المتصلة إلى كتابها، ولذلك كانت عُرْضة للتحريف اللفظي والمعنوي بأنواعهما.

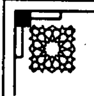
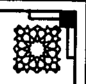
• لا تَخْلُو أسفار أهل الكتاب من نصوص أصلها من تعاليم الأنبياء أو من بقايا الوحي مبثوثة فيها هنا وهناك، تضيء بين ركام الظلام المحيط بها. ولذلك فإن الروايات التي جاء القرآن الكريم أو السنة النبوية بتصديقها مقبولة عند المسلمين يقيناً، وما كذَّبه أحدهما أو خالفه مردود حتماً، وما سَكَتا عنه ولم يخالف الحقائق ولا الوقائع، وأمكن أن يكون حقاً، فهم يسكتون عنه، لا يصدِّقونه ولا يكذِّبونه، لئلا يقعوا في الحَرَج.





اللغات التي كتبت بها التوراة وسائر أسفار العهد القديم



الفرع الأول

لغات العهد القديم وما لدى أهل الكتاب من مخطوطات قديمة(1)

1 اللغة التي بلَّغ بها موسى:

لا تعرف يقيناً اللغة التي بلَّغ بها موسى عليه السلام رسالته، وعلى افتراض أنها العبرية، فلا شك أنها تختلف اختلافاً بيناً عن عبرية النص المقدس الذي بين أيدي اليهود اليوم، وكذلك عن العبرية التي كتب بها عَزْرا التوراة وسائر الأسفار عندما جمعها ونسقها، فبين الرجلين قرابة ألف عام، ولا بدَّ أن اللغة تطورت كسائر اللغات في العالم، وبقيت مع ذلك شواهد من العبرية القديمة الضائعة. [الفكر الديني اليهودي ص٢٥ ـ ٢٦].

لغات العهد القديم:

استُخدم في تأليف أسفار العهد القديم وشروحها وترجمتها ثلاث لغات، هي العبرية والآرامية واليونانية.

فبالعبرية القديمة كتبت أسفار العهد القديم، ولذلك تسمى بعبرية العهد القديم، ثم كتبت باللغة الآرامية فصول وفقرات من بعض أسفار العهد القديم، وإليها ترجمت أسفار العهد القديم من أصلها العبري أحياناً، ومن ترجمتها اليونانية أحياناً أخرى.

جاء في دائرة المعارف البريطانية: إن التوراة تتكون من مجموعة من الكتب استغرق تأليفها قروناً عديدة، ولم تكتب بلغة واحدة، بل كتبت باللغة العبرية، ثم استكملت باللغة الآرامية، وختمت آخر كتبها باللغة الإغريقية. [الأسفار المقدسة لعلي عبد الواحد وافي ص١٢ و١٧ ـ ١٨، تعريف بالتوراة السامرية لأحمد حجازي السقا ص٣٠ ـ ٣١، هذه عقائدنا ج. كلايد تامر ص٨].

ما كتب باللغة العبرية

ثَمَّة أربعة نصوص للتوراة كتبت باللغة العبرية، يختلف بعضها عن بعض اختلافاً كبيراً تارة، وطفيفاً أخرى، وقد أشار أدمون جاكوب في دراسته للعهد القديم إلى أنه لم يكن في البدء نص واحد للتوراة، بل كان هناك عدة نصوص، ففي القرن الثالث قبل الميلاد كان هناك ثلاث مدوَّنات: النص المِسوري، والنص الذي استخدم جزئياً على الأقل في الترجمة اليونانية، والنص المعروف بالسامري.

وكان في القرن الأول قبل الميلاد اتجاه إلى تدوين نص واحد، بيد أن تدوين الكتاب المقدس لم يتم إلا في القرن الأول بعد الميلاد، وتلك المدونات لا وجود لها الآن. [دراسة الكتب المقدسة لموريس بوكاي ص١٨ ـ ١٩].

=

....

= ما لدى أهل الكتاب من نصوص عبرية:

١ ـ **التوراة السامرية:** فلا ريب أنها كتبت بِاللُّغة نفسها التي استخدمها عَزْرا، لأنها ظهرت مع توراة عَزْرا بعد العودة من بابل وإثر الخلاف والانشقاق.

وهناك نسخة باللغة العبرية مدونة بالحروف الفينيقية القديمة. [البار ١/ ٢٥٢].

٢ ـ **النص المِسْوري أو التقليدي المعترف به.**

تطلق عبارة النص المسوري على الصيغة الرسمية للعهد القديم التي قررت نهائياً الدين اليهودي، وهو النص العبري المعمول به اليوم، وهو أقدم وأوثق النصوص لدى اليهود والنصارى.

وكان الشك قائماً لدى العلماء: هل ثَمَة نص عبري للعهد القديم عند اليهود؟ أو أن الكتبة اقتبسوا النصوص المتداولة لدى الكنيسة تسهيلاً للأمور، وذراً للرماد في العيون، لأن كتابهم المقدس في الحقيقة والواقع إنما هو التلمود الذي يختلف اختلافاً جوهرياً عن العهد القديم. ففي أثناء كتابة النص اللاتيني عام ٤٠٦م تقريباً باشر علماء اليهود بتحرير العهد القديم باللغة العبرية، ولم ينته هذا التحرير إلا في أواخر القرن الثامن الميلادي. [التوراة بين الوثنية والتوحيد لسهيل ديب ص٩ و٢٣ و٨٤].

وقيل: إن تحريره وإقراره في صورته النهائية الكاملة المقفلة قد استغرق أجيالاً من العلماء، من عهد الكتبة (سوفريم) في غضون القرن الثالث قبل الميلاد، حتى عهد الفقهاء (جَؤُنيم) في القرن السابع والثامن الميلادي. [الفكر الديني اليهودي لحسن ظاظا ص٦٢ ـ ٦٣].

وقيل: إن الصيغة الرسمية للعهد القديم لم تقرر نهائياً إلا في القرن العاشر بعد الميلاد، أي بعد موسى بـ (٢٣٠٠) عام حين ازدهر في طبرية بسورية أشهر المسوريين، وكانوا ينتمون إلى عائلة ابن أشير. [البار ١/ ٩ ـ ١٠].

والمِسُورة أو المِسُورت هي التسمية الرسمية للتوراة العبرية، والكلمة غامضة المعنى والمصدر ويعنون به النص المقدَّس المروي عن الأسلاف رواية ارتضتها أجيال العلماء، ورفضت ما عداها. والعلماء المِسُوريون الذين وضعوا النص العبري النهائي هم الذين اخترعوا الحركات الصوتية بوضع رموز فوق الحرف أو تحته لإعطاء اللفظ الصحيح، وللمحافظة على طريقة لفظ اللغة العبرية. [الفكر الديني اليهودي ص٦٢ ـ ٦٣، اللغة العبرية وبعض مشكلاتها لأنيس فريحة ص٨٩].

إن أقدم مخطوط مِسوري لدى أهل الكتاب اليوم يرجع إلى القرن التاسع بعد الميلاد، ويحتوي على التوراة فقط، وقد نسخ بين عامي ٨٢٠ ـ ٨٥٠ بعد الميلاد، أو ٨٩٥م، وهذا إذا استثنينا بردية الوصايا العشر وبعض مخطوطات ناقصة ترجع إلى القرن الخامس بعد الميلاد، موجودة في كنيزة ـ مستودع ـ المعبد اليهودي في القاهرة.

وأقدم مخطوط مسوري كامل للعهد القديم، يرجع إلى القرن العاشر بعد الميلاد، وهو موجود في مدينة حلب. [دراسة الكتب المقدسة لموريس بوكاي ص١٨ ـ ١٩، التوراة بين الوثنية والتوحيد لسهيل ديب ص٩ و٨٤، أباطيل التوراة ١/ ٩ ـ ١٠]. =

. . . .

= أما نسخ الكتاب المقدس العبري الحالية، فهي منقولة عن النشرة التي صدرت في البندقية عام ١٥٢٤م على يد يعقوب بن حاييم.

وتذكر الدراسة أن النص المسوري عانَى من التشويه، وربما كان بسبب خطأ في النسخ، وقد يكون عن عمد، وربما أدخل الناسخ في النص الذي ينقله تعليقاً هامشياً، ولهذا قام كثير من علماء اللاهوت بمحاولة تنقيحه في الفترة ما بين عامي ١٨٥٠ ـ ١٩٥٠م. [أباطيل التوراة ١/١ ـ ١٢].

٣ ـ لفائف وادي قمران:

يقع وادي قمران وما فيه من مغارات جنوب غرب البحر الميت، وقرب قرية عين فشخة في منطقة أريحا. وفي عام ١٩٤٥م أو ١٩٤٧م فقد راعٍ، اسمه محمد الديب أحد خرافه في ذلك الوادي، فطفق يبحث عنه في الشقوق والمغاور، ووَجد في مغارة طوماراً أو مجموعة من الطوامير واللفائف العريقة في القدم، عليها كتابة غريبة، فباعها أقساماً لأحد تجار السلع الأثرية والسياحية في بيت لحم، ولم يدرك التاجر أهميتها، وأخيراً وصلت إلى المستشرق الدكتور جون تريفو، ويعمل في المدرسة الأمريكية للدراسات الشرقية بالقدس عام ١٩٤٨م فأدرك قيمتها المذهلة. وعرف البدو أهمية هذه المخطوطات، فشرعوا في البحث عنها، وفي عام ١٩٥٢م اكتشف راعٍ آخر مغارة أخرى ملأى باللفائف أيضاً، وكانت تبعد عن الأولى مئة متر تقريباً. وكان اهتمام الأثريين قد شحذ بعد أن تمت دراسة لفائف الراعي الأول، فما إن أتت مكتشفات الراعي الثاني حتى أخضعت المنطقة كلها لعملية تمشيط دقيق، واكتشف المنقبون في المغارة الثالثة لفائف نحاسية، نقش عليها نصوص بأحرف عبرية مربعة يعود عهدها إلى عشرين قرناً مضت على الأقل، وكان آخر اكتشاف عام ١٩٥٦م، حيث اكتشفت المغارة الحادية عشرة، وفيها أربع لفائف كاملة، وكانت حصيلة المكتشفات بضع عشرة لفافة شبه كاملة، ومعها أجزاء أخرى من أكثر من ستمئة كتاب مختلف، تشكل كتب العهد القديم، وبنسخ متعددة من كل منها، باستثناء سفر أستير، وما يتعلق منها بالأسفار يشكل ربع ما اكتشف، أما الباقي فدراسات وتعليقات، أهمها التعليق على سفر حبقوق، وهناك تفاسير لبعض النصوص كتب عليها، ومختصر للأسفار الخمسة.

وكانت في حالة جيدة جداً، نسخت على ملفات من جلد، ولفت بالكتان المدهون بالقار لمنع الرطوبة والحشرات، ووضعت بعناية في جرار أسطوانية من الفخار لها أغطية، صنعت خصيصاً لحفظها.

أثارت هذه المخطوطات ثائرة العلماء ورجال الدين في معظم أنحاء العالم، وأذاعت ذلك إذاعات عالمية كثيرة، وقد سمعتُ إذاعة لندن تذكر ذلك، وقد أخذتِ الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا واليهود في فلسطين المحتلة النصيب الأوفى منها، وحصلت فرنسا وكنيسة الفاتيكان على نصيب أيضاً، وبقي اليسير لحكومة المملكة الأردنية الهاشمية، وهو موجود في المتحف الأردني في عمان.

أحيطت تلك الاكتشافات بالسرية، فلم تنشر ولم تصور وتترجم بشكل كامل. وقد اتضح من التحاليل والدراسات ما يلي: =

. . . .

= ١ ـ كتبت بلغات متعددة، منها العبرية القديمة وعبرية أحدث، وبالآرامية التي كانت سائدة في المنطقة، وباليونانية والنبطية.

٢ ـ تقول الرهبانية اليسوعية: إن نصوص هذه المخطوطات تختلف غالباً عن النص المِسوري الأول.

وتقول دائرة المعارف البريطانية ٢/٨٧٩: إن النص اليوناني المعتمد يختلف عن النص العبري اختلافاً بيناً، وفيه زيادات كثيرة في مختلف الأسفار، وهذه المخطوطات تختلف اختلافاً كبيراً عن الأسفار التي بين أهل الكتاب اليوم.

٣ ـ ثبت أن هذه اللفائف تعود إلى القرنين الثاني والأول قبل الميلاد، وإلى الأول بعد الميلاد، وتنتهي تاريخياً عام ٦٨ أو ٧٠ بعد الميلاد، دون انقطاع.

٤ ـ اتفق الباحثون على أن هذه اللفائف تعود إلى فئة كانت تسكن في تلك المنطقة، وكانت متنسكة في حياتها اليومية وطقوسها الدينية، وكانت مضطهدة لفترة لا تقل عن ثلاثمئة سنة متتالية، وكانت تخاف على نفسها ومعتقداتها، ولذلك جمعت كل ما لديها من كتب دينية قبل ميلاد المسيح وبعده، ووضعته في أمكنة سرية، يصعب الوصول إليها.

٥ ـ اتفق العلماء على أنها فئة خارجة عن اليهودية التقليدية، وعن المحتلين الرومان، غير أنهم اختلفوا في تحديدها. فمنهم من قال: هي فرقة الأسينيين، وقد ظهرت في القرن الثالث قبل الميلاد، واستمرت إلى زمن الدولة المكابية، وإلى قرب عهد المسيح ﷺ وسموا بذلك نسبة إلى الآسي، وهي كلمة آرامية معناها الطبيب، فقد كانوا يقومون بمعالجة المرضى، وكانوا قد اعتزلوا قومهم اليهود، وأنكروا عليهم عقائدهم وسلوكهم. ورجح أكثر العلماء أنها فئة الأبيونيين، وهم يهود اتبعوا المسيح ﷺ، وكلمة أبيون التي ينسبون إليها عبرية تعني الفقير أو المسكين، وكانوا يعيشون حياة الزهد، والقناعة.

٦ ـ تكمن أهمية هذه المخطوطات في أنها أقدم مخطوطات للتوراة والعهد القديم عثر عليها، وتعطي لأول مرة نصاً باللغة العبرية سابقاً للنص الرسمي. وهذا يدل على اندثار الأصول وفقدانها، والقليل الذي نشر منها يوضح مقدار عبث الأيدي بالتوراة وسائر الأسفار، ولا شك أنه لو تم ترجمتها ونشر محتوياتها بأمانة لغيَّرت مفاهيم كثيرة. [التوراة بين الوثنية والتوحيد لسهيل ديب ص٩ ـ ١٠ و٨٥ ـ ٩٠ و٩٤ ـ ٩٧، الفكر الديني اليهودي لحسن ظاظا ص٢٣٠، أباطيل التوراة ١/١١ و٢٥٧ ـ ٢٦١ و٢٦٤ ـ ٢٦٥ و٢٦٧ و٢٦٩].

ما كتب باللغة الآرامية:

جرى تداول التوراة باللغة الآرامية مراعاة لحاجات الجماعات التي اعتنقت اليهودية ممن لا يتكلم العبرية ولطقوسها، فقد وضع اليهود عدة تراجم إلى هذه اللغة، ثم أصبحت رسمية ومقبولة، وثبتت بشكلها النهائي في القرن الخامس للميلاد، ومن أشهر هذه التراجم ترجمة أورشليم، وهي أكثر دقة، وأصبحت النص الرسمي المعتمد. [التوراة بين الوثنية والتوحيد ص٢٤ ـ ٢٥ و٤١، دراسة الكتب المقدسة لموريس بوكاي ص٥].

وصفوة القول: إن أسفار العهد القديم دُوِّنت باللغة العبرية، غير أن التراكيب والأساليب =

○ [ما كتب باللغة اليونانية]:

إن التوراة التي ترجمها السبعون شيخاً لبطليموس الملك بعد ظهور التوراة وأفشوها مخالفة للتي كتبها لهم عَزْرا الوراق.

وتدَّعي النصارى أن تلك التي ترجم السبعون شيخاً، فيها اختلاف في أسنان الآباء بين آدم ونوح ﷺ، ومن أجل ذلك الاختلاف تولَّد بين تاريخ اليهود وتاريخ النصارى زيادة ألف عام. فإن كان هو كذلك فقد وضح اليقين بكذب السبعين شيخاً، وتعمدهم لنقل الباطل، وهم الذين عنهم أخذوا دينهم. وأفٌ أفٌ لدين أُخذ عن مُتَيَقَّن كذبه(١).

= وبعض المفردات تختلف باختلاف الأسفار، وتنم عن العصور التي أُلِّف فيها كل سفر، ويستثنى من ذلك أجزاء يسيرة وبعض أجزاء كتبت باللغة الآرامية من أول الأمر، ولعل ما اكتشف في وادي قمران مدوَّناً باللغة الآرامية من هذا القبيل.

وترى الموسوعة البريطانية أن مؤلفي أسفار العهد القديم مجهولون، وليس من المعروف إن كان جمعها قد تمَّ على أيدي أفراد أو جماعات، وأنها كتبت باللغة العبرية فقط، عدا بعض المقاطع القصيرة النادرة التي دونت باللغة الآرامية، إلا أن الجماعة اليهودية عمدت لأسباب فقهية إلى ترجمة التوراة من العبرية إلى الآرامية، وقد ضاعت المخطوطات العبرية الأصلية، ولم يصلنا سوى الترجمات.

قال كريزاستم: إن اليهود ضيَّعوا كتباً لأجل عدم ديانتهم، ومزَّقوا بعضها، وأحرقوا بعضها. [إظهار الحق ١/ ٤٥٤].

(١) إن أقدم ترجمة للتوراة إلى اليونانية هي التي اشتهرت **بالترجمة السبعينية**، وقد تمَّ وضعها في مصر خلال القرن الثالث قبل الميلاد. وقيل: عام ٢٨٢ أو ٢٨٥ قبل الميلاد على يد اثنين وسبعين حَبْراً من يهود الإسكندرية، بأمر من الملك بطليموس الثاني (فيلادلفوس)، فقد كان مثقفاً فأراد أن يطلع على شريعة اليهود، فقام الأحبار بترجمتها له من النص العبري، ومراعاة لعدد المترجمين سميت بالسبعينية، وإنما ترجموا خمسة الأسفار، ثم ضاعت الأصول العبرية التي استخدمت أساساً للترجمة العبرية، وبقيت الترجمة اليونانية، فأصبحت هي المعتمدة فيما بعد. وكان اليهود ينسبون إلى ترجمة شريعتهم هذه ما ينسبون إلى نصها العبري من قيمة تنظيمية، وكانوا لا يترددون في أن ينسبوا إلى المترجمين إلهاماً حقيقياً. ثم ترجمت مرات أخرى إلى اليونانية أيضاً. أما أسفار الأنبياء فقد ترجمها إلى اليونان آخرون، وضموها إلى الأسفار الخمسة، كما ترجمت أيضاً إلى اليونانية وضمت الأسفار الزائدة عن الأصل العبري، وهي سفر طوبيا، وسفر الحكمة المنسوب إلى سليمان، وأسفار المكابيين الأربعة، وسفر يهوديت، وسفر الكهنوت، وسفر الحكمة المنسوب ليشوع بن سيراخ، ونشيد الأطفال الثلاثة، وسفر سوزان، وسفر بعل والتنين، وثلاثة أسفار منسوبة لعزرا زيادة على السفر المثبت في الأصل العبري، وبعض الزيادات في سفر دانيال. [الأسفار المقدسة لعلي عبد الواحد وافي =

= ص١٢ و١٧ ـ ١٨، تعريف بالتوراة السامرية لأحمد حجازي السقا ص٣٠ ـ ٣١، التوراة بين الوثنية والتوحيد لسهيل ديب ص٢٣ و٣٦، أباطيل التوراة للدكتور محمد علي البار ١/ ١٠ و١٢، الجواب الصحيح لابن تيمية ١٢/ ١٩].

ويُذكر أن الاثنين والسبعين حَبْراً ترجموا خمسة الأسفار في اثنين وسبعين يوماً. ويشكك الباحثون في هذا، لأن الترجمة على مراحل متعددة، لا دفعة واحدة. ويبدي الباحث سهيل ديب في كتابه (التوراة بين الوثنية والتوحيد) شكوكه في أنَّ اليهود هم قاموا بالترجمة السبعينية، وأن عددهم كان اثنين وسبعين: ففي ص٢٣ يذكر ذلك بصيغة التمريض فيقول: «إذ يقال: إن سبعين أو اثنين وسبعين عالماً من اليهود قاموا بهذا العمل الذي دام على ما يقال مئة عام تقريباً». ويقول ص٣٦: «الاعتقاد السائد أن الترجمة السبعينية قام بها علماء اليهود، إلا أن أمر هُويتهم ليس مؤكداً». ويقول ص٣٧: «أما مترجم النص السبعيني، فإما عبري يتكلم اليونانية، أو يوناني يتكلم العبرية، وهو على الأغلب من الفئة الأخيرة». ويذكر أيضاً أن الترجمة السبعينية كانت لجميع العهد القديم، وليس لخمسة الأسفار فقط، فيقول ص١٠: «وترجمة العهد القديم بكامله إلى اليونانية، والمعروفة بالسبعينية، والموضوعة خلال القرن الثالث قبل الميلاد، تفترض بالواقع وجود نص أصلي متكامل، جرت الترجمة عنه». ويقول ص٣٥ ـ ٣٦: «لقد رأينا أول ترجمة من العبرية للعهد القديم بكامله كانت إلى اليونانية خلال القرن الثالث قبل الميلاد، وهي الترجمة السبعينية».

ذكر ذلك كله بدون دليل أو نقل عن باحث، مع أنه يخالف غيره من المحققين في أن الاثنين والسبعين حَبراً إنما ترجموا خمسة الأسفار فقط، ثم أضيف إليها فيما بعد الأسفار الأخرى.

ويذكر ص٢٣ أنه يوجد من الترجمة السبعينية أجزاء تبلغ مئتي مخطوط، موزعة في مختلف متاحف العالم. اهـ.

الترجمة السداسية:

إن أضخم محاولة لتثبيت نص التوراة هي الترجمة التي قام بها عالم لاهوتي من الإسكندرية، اسمه أورجين عام ٢٣٠م في مدينة قيصرية في فلسطين، فقد حاول بمفرده أن يفصل في تعدد النصوص والترجمات والاختلافات الكبيرة والكثيرة التي بينها، فكتب خلال عشر سنوات العهد القديم بكامله على أوراق كبيرة، جعلها ستة أعمدة متقابلة: النص العبري، وهو لا يعدُّ نصاً قانونياً، ثم النص العبري نفسه لكنه مكتوب بالأحرف اليونانية، وذلك محاولة منه للمحافظة على طريقة النطق بالعبرية، فهو نص مزدوج، لكن كاتبه يوناني، ولا يعلم من أين أخذه، وقد قام به بعد الترجمة السبعينية بخمسة قرون تقريباً. ولم يبقَ لهذا النص أيُّ أثر، ثم ترجمتان كان يعمل بهما في ذلك الزمن، ثم الترجمة السبعينية، ثم ترجمة أخرى من وضعه هو، ولذلك يسمَّى هذا النص بالهيكزابلا ـ أي السداسي ـ وقد اندثر أكثر هذا العمل، ولم يبق في المتاحف إلا بعضه. [وانظر التوراة بين الوثنية والتوحيد ص٢٥ ـ ٢٦ و٣٧ و٨٣]. =

. . . .

= **ما كتب باللاتينية:**

في عام ٤٠٦م وضع إيرونيموس الترجمة اللاتينية المسمَّاة فولفاته ـ أي الشائعة ـ منطلقاً من النص السبعيني في أول الأمر، ثم قام بمقارنتها بنصوص عبرية أو آرامية توفرت لديه. وقد لاحظ التفاوت بين النسخ، فأشار إلى الأسفار الموجودة في الترجمة السبعينية دون غيرها بعبارة (أبو كريفا)، أي المخفية، أو التي منع تداولها بعد الترجمة السبعينية، وقد ضم إلى ترجمته كل الأسفار التي انفردت بها السبعينية. غير أنها لم تأت مطابقة لها من حيث الزيادة والنقصان، فقد اشتملت على سفرين للمكابيين بدلاً من أربعة في الأصل، كما حذفت منها أسفار عَزْرا الثلاثة التي زيدت في السبعينية عن الأصل العبري، وزيد فيها سفر باروخ.

والترجمتان اليونانية واللاتينية لا تنطبقان تمام الانطباق على الأصل العبري في بعض المواضع، فضلاً عن الأسفار والأجزاء التي تزيدان بها عنه. ولم يعرف النص العبري أو الآرامي الذي توفر لديه وعنه أخذ، كما لم تعرف الأسباب التي دعت إلى هذه الزيادة وهذا الاختلاف على وجه اليقين. [وانظر التوراة بين الوثنية والتوحيد ص٣٦ ـ ٣٧ و١٠٨ ـ ١٠٩، الموسوعة العربية الميسرة ٢/ ١٤٤١، الأسفار لعلي عبد الواحد وافي ص١٧ ـ ١٨].

هل ثَمَّة مخطوطات أصلية متبقية؟

قال الفيلسوف اليهودي سبينوزا بعد أن حقَّق في أسفار العهد القديم: إننا نجهل تماماً مؤلفي كثير من هذه الأسفار، أو نجهل الأشخاص الذين كتبوها... أو نشك فيهم، كما أننا لا ندري في أي مناسبة وفي أي زمان كتبت، ولا نعلم في أي أيد وقعت، وممن جاءت المخطوطات الأصلية التي وجد لها عدد من النسخ المتباينة، ولا نعلم أخيراً إذا كانت هناك نسخ كثيرة أخرى من المخطوطات لدى مصدر آخر، إضافة إلى ذلك، فنحن لا نملك هذه الأسفار في لغتها الأصلية ـ أي في لغة كاتبيها ـ مما يزيد من صعوبة تفسيرنا لها تفسيراً صحيحاً. [انظر كتابه رسالة في اللاهوت والسياسة ص٦٨ ـ ٦٩].

قال العالم ريس في موسوعته: إن نسخ العهد القديم الموجودة كتبت ما بين عامي ١٠٠٠ ـ ١٤٠٠م، وقال: إن جميع النسخ التي كانت مستعملة في المئة السابعة أو الثامنة أعدمت بأمر محفل الشورى اليهودي، لأنها كانت تخالف مخالفة كثيرة للنسخ المعتمدة عندهم.

وقال والتن: إن النسخ التي مضى على كتابتها ٦٠٠ سنة، قلَّما توجد، والتي مضى عليها ٧٠٠ سنة أو ٨٠٠ سنة في غاية الندورة. [عن إظهار الحق ١/ ٤٦٠].

وقال ج. كلايد تارنر في كتابه (هذه عقائدنا) ص٨: كتب الكتاب المقدس باللغتين العبرية واليونانية، فالعهد القديم كتب باللغة العبرية، الجديد باليونانية ـ أي ما عدا إنجيل متى، فقد كتب بالآرامية، ثم ترجم إلى اليونانية، ولا يعرف المترجم مع فقدان الأصل الآرامي ـ وكان عدد النسخ قليلاً جداً، لصعوبة النسخ باليد، لذا فقدت المخطوطات الأصلية، وكل ما بين أيدينا اليوم نسخ عن النسخ الأصلية، وكتابنا المتداول اليوم هو ترجمة لهذه النسخ القديمة.

هذا. وثمة مخطوطات يونانية قديمة عندهم، منها ما يلي:

١ ـ المخطوط المحفوظ في روما لدى الفاتكان (كودكس واتيكانوس)، وهو من القرن الرابع. =

= ٢ ـ المخطوط السيناوي المحفوظ في المتحف البريطاني، وهو من القرن الرابع أيضاً.
٣ ـ المخطوط الإسكندري المحفوظ في المتحف البريطاني، وهو من القرن الخامس عشر.
٤ ـ مخطوط يبرة، وهو يوناني ولاتيني من القرن السادس، موجود في كمبردج. [دراسة الكتب المقدسة لموريس بوكاي ص١٨ ـ ١٩، الموسوعة العربية الميسرة ٢/١٤٤١].

وذكر الشيخ رحمة الله الهندي في إظهار الحق ١/٥٠٢ ـ ٥٠٣ أن النسخة اليونانية (كودكس إسكندريانوس) كانت في المرتبة الأولى عند المصححين، ومعلَّمة بعلامة الأول. ونقل عن هورن أنه قال في المجلد الثاني من تفسيره: هذه النسخة أربع مجلدات، ففي الثلاثة الأولى الكتب الصادقة والكاذبة من كتب العهد القديم، وفي الرابع العهد الجديد، والرسالة الأولى إلى أهل كورنثيوس والزبور الكاذب المنسوب إلى سليمان... وبالغ بعضهم في مدح هذه النسخة، كما بالغ بعضهم في ذمها.

ثم ذكر أن العالم ونستين قال: كتبت في القرن الخامس، وظنَّ بعضهم أنها من النسخ التي جمعت في الإسكندرية عام ٦١٥م من أجل الترجمة السريانية، وفهم وايد أنها كتبت في وسط القرن الرابع أو في آخره.

ثم قال الشيخ رحمة الله في إظهاره ١/٥٠٧: فظهر أنه لا يوجد دليل قطعي على أن هذه النسخة كتبت في القرن الفلاني، وليس مكتوباً في آخر أي كتاب منها أن كاتبه فرغ منه في السنة الفلانية، وعلماؤهم يقولون رَجْماً بالغيب وبالظن الذي نشأ عن بعض القرائن: لعلَّها كتبت في قرن كذا، أو قرن كذا. ومجرد الظن والتخمين لا يتم به دليل على المخالف. اهـ.

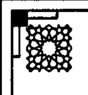
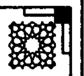
وهناك مُدَوَّنات آرامية وسريانية، وهي جزئية غير كاملة. [دراسة الكتب المقدسة لموريس بوكاي ص١٩].

واكتشفت في عام ١٩٢٢م نسخة هرس، وهو راعي كنيسة طردته الكنيسة التابعة لبولس.

كما اكتشف في مغارة بالصعيد المصري بالقرب من نجع حَمَّادي مجموعة من كتب الطائفة الغنوطية، وهي نصرانية قديمة، وتحتوي على ٥٢ كتاباً. [أباطيل التوراة].

الترجمة إلى سائر اللغات:

وعن الترجمتين اليونانية واللاتينية ترجم العهد القديم إلى معظم لغات العالم قديمها وحديثها، قام به طوائف النصارى، ومن المعلوم أنَّ أي خطأ وقع في إحدى هاتين النسختين قد انتقل إلى اللغات الأخرى عبر القرون السابقة واللاحقة، دون أي أمل في إصلاحه لعدم وجود الأصل. [الأسفار المقدسة لعلي عبد الواحد وافي ص١٧ ـ ١٨].

الفرع الثاني

ما اعتمدته كل طائفة من نسخ الكتاب المقدس (العهد القديم)(1)

[1] ما اعتمدته كل طائفة من الكتاب المقدس

ثَمَّة ثلاث نسخ رئيسة للعهد القديم بين يدي أهل الكتاب في زماننا، هي النسخة العبرية (المِسوري)، والنسخة اليونانية (السبعينية) والنسخة السامرية، وكل طائفة تعتمد نسخة من هذه النسخ، وتدَّعي أنها هي الصحيحة، وغيرها محرف باطل.

١ ـ **فالنسخة العبرية** (المِسوري) هي المعتمدة عند اليهود والمعوَّل عليها لدى جمهور علماء البروتستانت من النصارى، فقد ردُّوا الكتب السبعة التي ألحقتها المجامع.

وقد اعترف اليهود بعدما أعلنوا النصَّ المِسوري بعدد أقل من الأسفار القانونية لدى النصارى، مع أنَّ النصارى أخذوا أسفارهم من اليهود أنفسهم، وهم يضعون جميع ما تزيد به الترجمتان السبعينية واللاتينية ضمن ما يسمَّى عندهم بالأسفار الخفية، والرواية اليهودية الرسمية تقول: إن مؤتمراً عقد في مدينة جينة، غربي القدس بفلسطين عام ٩٠م أو ١٠٠م، حدَّد الأسفار المقبولة قانوناً وغير المقبولة.

ثم جاءت الكنيسة البروتستنتية المنشقة عن الكنيسة الكاثوليكية في القرن السادس عشر للميلاد، فلم تأخذ إلا بالأسفار التي يعترف بها اليهود، وردُّوا حكم أسلافهم فيما سواها بعد ١٢٠٠ عام تقريباً.

وأول توراة عَرِيَتْ من الأسفار الخفية هي المعروفة باسم توراة مايلزكوفرديل، ويعود تاريخها إلى عام ٥٣٥م. [الأسفار المقدسة لعلي عبد الواحد وافي ص١٨ ـ ٢٠، التوراة بين الوثنية والتوحيد لسهيل ديب ص١٢٠ و١٠٧ ـ ١٠٨، الفكر الديني اليهودي لحسن ظاظا ص٣ ـ ٦٤].

وقد ظهرت طبعات جديدة للكتاب المقدس عند اليهود، منها طبعة أعدَّها ونشرها جينز بورج في لندن عام ١٩٢٦م وثانية في ألمانيا أعدها كيتل. وكلاهما بذل جهداً في استقصاء الخلافات بين النسخ الموجودة والنسخ التي كان يستعين بها المترجمون القدماء، ومنها في المقام الأول الترجمة الآرامية التي قام بها أونكلوس ويوناثان، واليونانية السبعينية وإكيلا وسيماكوس، وبالترجمات السريانية واللاتينية والقبطية والحبشية وغيرها. [الفكر الديني اليهودي لحسن ظاظا ص٦٤].

أما البروتستانت فنسخة الملك جيمس هي الموثَّقة التي يرجعون إليها.

٢ ـ **والنسخة اليونانية المعروفة بالترجمة السبعينية** هي المعتمدة عند أكثر النصارى، وبخاصة الكاثوليك والأرثوذكس. =

. . . .

= فقد كان قدماء النصارى لا يثقون بالنسخة العبرية التي لدى اليهود، ويرونها محرَّفة، وبخاصة في آخر القرن الثاني الميلادي، حيث لم يلتفت إليها منهم أحد.

• نقل الشيخ رحمة الله الهندي في كتابه إظهار الحق ١/٣٣ ـ ٣٤ و٢٢١ عن المجلَّد الأول من تفسير هنري واسكات أنَّ العالم اكستاين والمحققين هيلز وكيني كات وغيرهم من قدماء النصارى كانوا يقولون: إنَّ اليهود حرَّفوا التوراة ـ أي النسخة العبرية ـ عن عمد عام ١٣٠م، ولا سيما في زمان الأكابر الذين كانوا قبل زمن الطوفان وبعده إلى زمن موسى، لتصبح الترجمة اليونانية غير موثوق بها، معاداة للدين المسيحي.

• ونقل الشيخ رحمة الله أيضاً عن هورن أنه قال في المجلد الثاني من تفسيره عن الترجمة اليونانية: هذه الترجمة قديمة جداً، وكانت معتبرة غاية الاعتبار فيما بين اليهود والنصارى، وكانت تقرأ في معابد الفريقين، وما نقل كبار النصارى، لاتينيين كانوا أو يونانيين، إلا عنها، وكل ترجمة سلَّمتها الكنيسة، غير ترجمة سِريك، ترجمت عنها إلى ألسنة أخرى، مثل العربية والأرمنية وترجمة إتهيوبك وترجمة أتالك القديمة والترجمة اللاتينية التي كانت مستعملة قبل جيروم.

وقال هورن أيضاً: والحق عندنا أنها ترجمت قبل ميلاد المسيح بـ٢٨٥ سنة، أو بـ٢٨٦ سنة... والكنيسة اليونانية كانت تعتقدها كتاباً مقدساً وتعظمها.

إذاً، فهذه الترجمة كانت مستخدمة في معابد اليهود إلى نهاية القرن الأول الميلادي، وفي كنائس النصارى أيضاً، وعندما احتدم الخلاف بين الفريقين، واحتج النصارى على اليهود بها واستدلوا منها، ادَّعى اليهود أنها ليست موافقة للمتن العبري، ثم طفقوا في ابتداء القرن الثاني يسقطون فقرات كثيرة منها، ثم تركوها نهائياً واختاروا ترجمة أيكوئلا، وقدماء النصارى لم يلتفتوا إلى النسخة العبرية لاعتقادهم تحريفها، فإذا حرف اليهود الترجمة اليونانية الشهيرة، والمستعملة في معابدهم ٤٠٠ سنة أو أكثر، وفي كنائس النصارى شرقاً وغرباً، فكيف لا يحرفون النسخة العبرية التي كانت نسخها قليلة وفي أيديهم وحدهم، ولم تكن منتشرة بين النصارى، ولم تكن مستخدمة بين اليهود إلى القرن الثاني؟ سواء كان هذا التحريف لعناد الدين المسيحي كما قال بعض المفسِّرين من النصارى، أو لعناد السامريين كما قال بعض آخر، أو لعناد بعضهم بعضاً.

٣ ـ ظلت الترجمة السبعينية معتمدة عند النصارى حتى القرن السابع بعد الميلاد، حيث اعتمدت الكنيسة الرومانية الترجمة اللاتينية، ورأت أن النسخة اليونانية كثرت نقولها، ووقع فيها أغلاط الكاتبين، وأدخل فيها عبارات الشرح والحاشية، فصارت جزءاً من الأصل، بل إن التحريف المتعمَّد مسلَّم به في اليونانية عندهم.

نقل الشيخ رحمة الله الهندي في إظهار الحق ١/٢١٨ عن العالم الكاثوليكي وارد أنه قال في كتابه ص١٨: إن ملحدي الشرق حرَّفوها.

وقد أقرت الكنيسة الكاثوليكية جميع الأسفار والأجزاء التي تزيد بها الترجمة اللاتينية عن الأصل العبري، وجعلتها أسفاراً وأجزاء مقدسة من العهد القديم. [دراسة الكتب المقدسة =

. . . .

= لموريس بوكاي ص١٨ ـ ١٩، الأسفار المقدسة لعلي عبد الواحد وافي ص١٨ ـ ١٩، التوراة بين الوثنية والتوحيد لسهيل ديب ص٣٦، إظهار الحق ١/٢١٨، تقديم كتاب شفاء الغليل لأحمد حجازي السقا ص١٣].

وقد قرر مجمع ترنتو المنعقد في ٨/٤/١٥٤٨م أن كل كتب العهد القديم والجديد قانونية، ولا سيما ترجمة أيرونيموس اللاتينية (فولغاتا)، وأرفق بقراره قائمة تحددها.

وأكَّد ذلك مجمع الفاتيكان الأول المنعقد عام ١٨٦٩م. [الشرائع الدينية لأحمد يسري ص١٦٠].

ولا زالت الكنيسة اليونانية وسائر الكنائس الشرقية مجمعة على صحة الترجمة اليونانية وتعتمدها إلى اليوم.

وجمهور علماء البروتستانت عكسوا الأمر الذي كان عليه أسلافهم القدامى والكاثوليك؛ فاعتمدوا النسخة العبرانية، وقالوا في اليونانية ما قاله أسلافهم في العبرانية، أما الترجمة اللاتينية فقد أجمعوا على أنها محرفة تحريفاً لم تحرف مثله ترجمة قط، بل قالوا: إنه قد أدخل فيها بعض فقرات من العهد الجديد، كما أدخل في متنها عبارات الحواشي، ولهم على ذلك أدلة شافية.

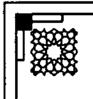
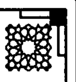
قال هورن في المجلد الرابع من تفسيره ص٤٦٣: وقعت التحريفات والإلحاقات الكثيرة في هذه الترجمة من القرن الخامس إلى القرن الخامس عشر. [إظهار الحق ١/٢١٨ و٢٣٨].

٤ ـ **والتوراة السامرية هي المعتمدة عند السامريين**، كما يعوِّل عليها كثير من علماء البروتستانت دون العبرية، ويعتقدون أن اليهود حرَّفوا العبرية، ولهم على ذلك أدلة وافرة، بل إن أكثر البروتستانت يلجأ إليها في بعض الأحيان، ويقدِّمها على العبرية.

قال كيني كات: إن اليهود حرفوا التوراة قصداً، وما قاله محققو كتب العهد القديم والجديد أن السامريين حرفوه لا أصل له، أي لا أصل لاتهام السامريِّين بذلك.

ونقل آدم كلارك في المجلد الأول من تفسيره ص٧٧٩ ـ ٧٨٠ في شرح الفصل العاشر من سفر التثنية، تقرير كيني كات، وخلاصته أن عبارة المتن السامري صحيحة، وعبارة العبري غلط، وأن أربع فقرات ما بين الخامسة والعاشرة أجنبية محضة، ولو أسقطت لارتبطت جميع العبارات ارتباطاً حسناً، فهذه الفقرات الأربعة من غلط الكاتب، وكانت من الفصل الثاني من سفر التثنية. ثم قال آدم كلارك بعد نقله التقرير: لا يعجل في إنكار هذا التقرير.

وكثير من العلماء يعلمون أن أدلة كيني كات لا جواب عنها، ويجزمون بأن اليهود حرَّفوا العبرية معاداة للسامريين. وقد أثبت العالم هيلز بالأدلة القوية صحة السامرية. [إظهار الحق ١/٢١٨ و٢٣٨ و٢/٢٢١ ـ ٢٢٢].

الفرع الثالث

الفروق بين النسخ ونماذج منها(١)

١ **الفروق بين النسخ**

من اطَّلع على تاريخ أهل الكتاب، واطَّلع على كتبهم المقدسة وتراجمها، علم أن التحريف كان عندهم مستمراً، سواء كان ذلك بتحريف الألفاظ تقديماً وتأخيراً وحذفاً وإضافة، أو بتحريف المعاني، وذلك بحمل الألفاظ على غير ما وضعت له، ولا سيما في أثناء الترجمات والشروح، وسواء كان التحريف سَهْواً أو قصداً لعناد الدين المسيحي أو لعناد السامريين، أو لعناد بعضهم بعضاً، بل إن بعض النصارى كانوا يحرفون لمخالفة آخرين لم يكونوا صادقين حسب زعمهم، ومثل هذا التحريف كان من المستحبات عندهم. ويدل على ذلك الاختلافات الكبيرة التي نجدها بين النسخ، بل إن هناك فروقاً واضحة بين ترجمات الكتاب المقدَّس من لغة إلى لغة، ومن طبعة إلى طبعة في عصرنا. ولذلك ما من نسخة إلا ورُميت بالتحريف والتبديل، مما يدعو إلى سقوطها كلها. ولو كان لدى طائفة منهم نسخة بلغتها الأصلية وبسندها المتصل الصحيح لامتازت عن غيرها، ولم يضرها وجود نسخ أخرى مخالفة ولو كثرت. وإليك بعض ما جاء في الحواشي على الكتاب المقدس الذي أصدره الكاثوليك في بيروت عام ١٩٨٣م من تنبيهات إلى تلك الاختلافات والفروق:

١ ـ جاء في مقدمة سفر طوبيا ما يلي: يتلو في توراتنا عَزْرا ونحميا وثلاثة مؤلفات روائية قصيرة، هي طوبيا ويهوديت وأستير، ثالثها فقط موجود في التوراة العبرية، بينما الآخران موجودان في التوراة اليونانية وسائر التوراة المستعملة لدى المسيحيين.

وجاء في ٢/ ٥٢: إن سفر يهوديت مثل سفر طوبيا، لا وجود له في التوراة العبرية.

٢ ـ إن كاتب سفر الحكمة بتفكيره اليهودي. . . لم يكتب ولم يفكر بالعبرية أو الآرامية، بل باليونانية، فقد قرأ الكتاب المقدس، وذكر منه نصوصاً في اليونانية حسب الترجمة السبعينية. [٢/ ٢٣٦].

٣ ـ لقد أعطت الترجمات اللاتينية هذا السفر ـ أي يشوع بن سيراخ ـ اسماً غفلاً، أو بالأحرى غامضاً بالمعنى الكنسي. إن يشوع بن سيراخ الذي عاش دون شك في أورشليم قد كتب بالعبرية، وقد ظلَّ اليهود يقرؤون سفره بلذة، لكنهم إثر تردُّد طويل ـ كما يبدو ـ لم يدخلوه في قانون الكتاب المقدس، وبعد الجيل العاشر طمسه النسيان، وقد بقي بين الأسفار القانونية المتأخرة في ترجمة يونانية ولاتينية وسريانية، وحفظت لنا هذه الترجمات السفر بأجمعه، وقد أضيف إليه بعض الشيء في اللاتينية. إنَّ مستودع المحفوظات غير المستعملة في (الكنيزة) التابع لمجمع يهودي في القاهرة، عُني بمحفوظات قديمة من كل نوع، هو الذي مكننا حوالي عام ١٩٠٠م من الحصول على مقاطع من سفر ابن سيراخ، تعادل ثلثي السفر تقريباً، =

....

= وقد زادت عليها اكتشافات قمران مقاطع قصيرة. [٢/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧].

٤ ـ بلغنا سفر باروك باليونانية، وإنَّ صفته الأدبية ومحتواه يجعلاننا نفترض أن تأليفه قد تم في عهد متأخر. . . واستناداً إلى سلطة القديس إيرونيموس، يعتبر الشراح العصريون هذا الفصل تأويلاً للفصل العاشر من سفر إرمياء الموجَّه ضد الوثنية. ويظهر سفر باروك ورسالة إرميا كأنهما من تأليف كُتَّاب مُلْهَمين لم يتركوا لنا أسماءهم، وما إسناد السِّفْر شرفاً إلى إرمياء وكاتم سره الأمين باروك سوى شاهد على شدة تأثيرهما في التقليد المقدَّس. [٢/ ٥٤٤].

٥ ـ لم تنقل لنا التوراة العبرية شيئاً من أحداث الأزمنة التي تَلَت أرتحشتاحامي نَحَمْيا وعَزْرا، إلا أن التوراة اليونانية، ويتبعها في ذلك سائر التوراة المستعملة عند المسيحيين، قد قبلت كتابين ينتميان إلى عهد السلوقيين، إلى فترة مشؤومة على اليهودية، وقد سميا بسفري المكابيين. . . ليس لدينا منه سوى ترجمة يونانية، ونصوص أخرى متعلقة بهذه الترجمة، لكن إنشاءه وبعض الأغلاط التي في الترجمة تثبت أن النص الأصلي كان بلغة سامية، قد تكون تشبه العبرية [٢/ ٧٦٨ ـ ٧٦٩].

٦ ـ سفر أستير عند البروتستانت عشر فصول، والفصل العاشر يتألف من ثلاث جمل، وعند الكاثوليك يتألف من ثلاث عشرة جملة. وجاء بعد الجملة الثالثة ما يلي: قال القديس إيرونيموس: هذا ما وجدناه مكتوباً في النسخة العامية المسطورة بالكتابة واللغة اليونانية، وكان بعد ختام الكتاب هذا الفصل التالي، فضربنا عليه خطاً على مألوف عادتنا.

وجاء بعد الفصلين الحادي عشر والثاني عشر ما يلي: إلى هنا كانت المقدِّمة. وما يلي مورد عند قوله في أثناء السفر: «ونهبوا أملاكهم وأموالهم». ولم نجده إلا في النسخة العامية فقط، وهذه صورة الكتابة.

وجاء في منتصف الفصل الثالث عشر بعد الجملة السابعة ما يلي: «إلى هنا صورة الرسالة، وما يلي وجدناه مكتوباً بعد قوله: (فمضى مردكاي، وصنع جميع ما أمرته به أستير)، ولا وجود له في العبرانية، ولا في نسخة أحد المترجمين». ثم أكمل الفصل إلى الجملة التاسعة عشرة.

وجاء في أول الفصل السادس عشر قبل الجملة الأولى ما يلي: «نسخة رسالة الملك أرتحشتا التي كتبها في اليهود إلى أقاليم مملكته، لا وجود لها في النسخة العبرانية».

٧ ـ جاء بعد الفصل الثاني عشر من سفر دانيال ما يلي: «إلى هنا ما وجد من دانيال في النسخة العبرانية، وما يلي إلى نهاية السفر منقول عن ترجمة تاودوسيون» اهـ.

هذا، ويرى الكاثوليك أن الكنيسة وحدها صاحبة الحق في تفسير الكتاب المقدس، وعلى المؤمنين أن يقبلوا تفسيرها. بينما يرى البروتستانت أن كل مؤمن له الحق في تفسيره عند قراءته. [الموسوعة العربية الميسرة ٢/ ١٤٤١].

وصفوة القول: إنَّ التوراة التي اعتمدها جمهور النصارى تخالف التوراة لدى عامة اليهود والتي اعتمدها البروتستانت، أما السامرية فمخالفة للنسختين معاً في مواضع كثيرة، ثم ما من ترجمة إلا وأتت مخالفة لأصلها زيادة أو نقصاناً، فضلاً عن الاختلاف في المعاني، فالفروق =

....

= بين السامرية والعبرانية كثيرة جداً في الألفاظ والمعاني، وهما تتخالفان حتى في الوصايا العشر وإعلان الله ذاته للإنسان والنص على يوم القيامة. وبهذا يتضح ضخامة ما أضيف إلى العهد القديم، وتتضح التغيرات التي أصابت النص الأول من نقل إلى نقل ومن ترجمة إلى أخرى خلال ألفي عام. [وانظر الجواب الصحيح ٢/ ٢١ ـ ٢٢، إظهار الحق ٢/ ٨٨ ـ ٨٩ و٩١، تنقيح الأبحاث ص٣١، تعريف بالتوراة السامرية لأحمد حجازي ص١٤ وص٣٠].

الكتب التي ذكرت الفروق بين النسخ:

اعتنى كثير من العلماء بذكر الفروق بين العبرانية والسامرية، وبين العبرانية وجميع الترجمات القديمة، فقد طبع الكتاب المقدس عدة مرات، وذكرت فيه الفروق. ومن ذلك ما يلي:

١ ـ الكتاب المقدس الذي طبعه الآباء اليسوعيون ببيروت عام ١٩٦٠م.

٢ ـ الفروق التي وضعتها لجنة الكتاب المقدس على هامش الطبعة العربية للعبرانية.

٣ ـ كتاب التاريخ مما تقدم عن الآباء. المطبوع بألمانيا، مع تعليقات المسيودلمار.

٤ ـ الكتاب المقدَّس الذي طبعه البروتستانت بمصر عام ١٩٧٠م.

٥ ـ الكتاب المقدَّس الذي طبعته جمعيات الكتاب المقدس في الشرق الأدنى ببيروت عام ١٩٧٦م، وفي هامشه الفروق بين السامرية والعبرانية، وبين العبرانية وجميع الترجمات القديمة.

٦ ـ الفروق التي صنفها العالم ليكلرك.

قال الشيخ رحمة الله الهندي في إظهار الحق ٢/ ٨٨ ـ ٨٩: استخرج المحقِّق ليكلرك اختلافات بين السامرية والعبرانية وقسمها إلى ستة أقسام:

أ ـ الاختلافات التي تكون فيها السامرية أصح من العبرانية. وعددها (١١).

ب ـ الاختلافات التي تقتضي القرينة والسياق فيها صحة ما في السامرية. وعددها (٧).

جـ ـ الاختلافات التي تزيد بها السامرية، وعددها (١٣).

د ـ الاختلافات التي حرَّفت فيها السامرية، والمحرف محقق فطن، وعددها (١٧).

هـ ـ الاختلافات التي فيها السامرية ناقصة. وهما اختلافان.

ثم قال الشيخ في ٢/ ٩: ولا يظنن أحد انحصار مواضع المخالفة في المواضع الستة التي حقَّقها ليكلرك، بل مقصوده ضبط المواضع التي فيها مخالفة كثيرة بين النسختين عنده.

٧ ـ وقد توَّج ذلك الدكتور أحمد حجازي السقا، فراجع التوراة العبرانية بطبعاتها وترجماتها المختلفة في اللغة العربية وغيرها بعد أن راجع السامرية التي ترجمها الكاهن السامري أبو الحسن بن إسحاق الصوري، وراجع غيرها، وقارن بينهما فصلاً فصلاً، فأثبت كثيراً من الفروق، وأفردها بقسم خاص من ص٣٤٧ ـ ٤٢٩. [انظر التوراة السامرية طبعة دار الأنصار بالقاهرة عام ١٩٧٨م].

نماذج من الفروق

١ ـ يفهم من الفصل الخامس والسابع من سفر التكوين أن المدَّة منذ خلق الله آدم إلى أن حدث الطوفان في عهد نوح هي في النسخة العبرية (١٦٥٦) سنة، وفي اليونانية (٢٢٦٢) سنة، =

. . . .

= وفي السامرية (١٣٠٧) سنة. وهذا تباين فاحش يمتنع معه التوفيق.

وينتج عن هذا التباين اختلاف آخر ليس بأقل منه، فقد اتفقت ثلاث النسخ على أن آدم عاش (٩٣٠) سنة كما في ٥/٥ من سفر التكوين، واتفقت أيضاً على أن الطوفان حدث وكان عمر نوح (٦٠٠) سنة كما في ٦/٧ من السفر نفسه. وبناء على كل ما تقدم يظهر ما يلي:

• على ما في السامرية يكون نوح أدرك آدم وعاش حال حياته، وكان عمره حين مات آدم ما يقارب (٢٢٣) سنة، أي ٩٣٠ سنة عمر آدم + ٦٠٠ سنة عمر نوح حين حدث الطوفان = ١٥٣٠، ١٥٣٠ - ١٣٠٧، وهي المدة بين خلق آدم وحدوث الطوفان = ٢٢٣ سنة.

وهذا باطل باتفاق المؤرخين، وتكذبه النسختان العبرية واليونانية.

• فإنَّ ولادة نوح على ما في العبرية بعد موت آدم بـ(١٢٦) سنة، أي ١٦٥٦ وهي المدة بين خلق آدم وحدوث الطوفان - ١٥٣٠ سنة مجموع عمري آدم ونوح حين الطوفان = ١٢٦ سنة.

• وولادته على ما في اليونانية بعد موت آدم بـ(٧٣٢) سنة، أي ٢٢٦٢ وهي المدة بين خلق آدم وحدوث الطوفان - ١٥٣٠ سنة مجموع عمري آدم ونوح حين الطوفان = ٧٣٢ سنة.
ولذلك لم يعتمد المؤرخ اليهودي الشهير يوسيفس على نسخة منها، واختار أن المدة منذ خلق آدم إلى الطوفان هي (٢٢٥٦) سنة. [إظهار الحق ٢١٨/١ ـ ٢١٩ و٧٩/٢].

٢ ـ يفهم من النسخة العبرية أن المدة من الطوفان إلى ولادة إبراهيم هي (٢٩٢) سنة، ومن اليونانية أنها (١٠٧٢) سنة، ومن السامرية أنها (٩٤٢) سنة.

وهذا أيضاً تباين فاحش يمتنع معه التوفيق، وينتج عنه اختلاف آخر ليس بأقل منه، فقد اتفقت ثلاث النسخ على أن نوحاً عاش بعد الطوفان (٣٥٠) سنة كما في سفر التكوين ٢٢/٩، وبناء على كل ما تقدم يظهر ما يلي:

• على ما في العبرية ٣٥٠ سنة، وهي المدة التي عاشها نوح بعد الطوفان - ٢٩٢ سنة وهي المدة التي بين الطوفان وولادة إبراهيم = ٥٨ سنة عمر إبراهيم حين مات نوح.

وهذا باطل باتفاق المؤرخين، وتكذبه النسختان السامرية واليونانية.

• فعلى ما في السامرية تكون ولادة إبراهيم بعد موت نوح بـ(٥٩٢) سنة، أي ٩٤٢ - ٣٥٠ = ٥٩٢.

• وعلى ما في اليونانية تكون ولادته بعد موت نوح بـ(٧٢٢) سنة، ١٠٧٢ - ٣٥٠ = فقد زيد في اليونانية بطن بين أرفكشاد وشالح، هو قينان، ولا وجود له في العبرانية ولا في السامرية ولا في السفر الأول من أخبار الأيام. واختلف أهل الكتاب في التصحيح، ونبذ المؤرخون الكتاب المقدس، قال أكثرهم: المدة هي (٣٥٢) سنة، وقال يوسيفس (٩٩٣).

جاء في المجلد الأول من تفسير هنري واسكات أن أكستاين قال: «إن اليهود حرفوا النسخة العبرانية في زمان القدماء الذين قبل الطوفان وبعده إلى زمن موسى، لتصبح الترجمة اليونانية غير معتبرة، ولعناد النصارى». وكان قدماء النصارى يقولون نحو هذا الكلام، ويذكرون أن اليهود حرفوا التوراة سنة (١٣٠)م.اهـ. =

= وقد وقع النصارى في الكمين الذي نصبه لهم اليهود، فقد اعتمد كاتب إنجيل لوقا على اليونانية فزاد قينان في ٣/٣٦ عند بيان ما يظن أنه نسب المسيح. فعلى النصارى أن يعتقدوا بصحة اليونانية لئلا يلزم وقوع الخطأ في إنجيلهم، لكن يبقى الإشكال قائماً في السفر الأول من أخبار الأيام، فإنهم يعتقدون بصحته أيضاً، وليس فيه ذكر لقينان. [إظهار الحق ١/٢١٩ ـ ٢٢٠ و٢/٦٩ و٧٩ ـ ٨٠].

ومن العجيب أن الكتاب المقدَّس الذي طبعه الكاثوليك في بيروت عام ١٩٨٣م والكتاب المقدَّس الذي طبعه البروتستانت عام ١٩٨٤م لا يذكران اسم قينان في سفر التكوين ١١/١٠ ـ ١٤، ولا في السفر الأول من أخبار الأيام ١/٢٤ ـ ٢٦، ويذكرانه في إنجيل لوقا ٣/٣٦، فوقعوا في الفخ، وظهر التناقض في طبعات الكتاب المقدس.

٣ ـ جاء في النسخة السامرية واليونانية والتراجم القديمة في سفر التكوين ٤/٨: وقال قايين لهابيل أخيه: تعالَ نخرج إلى الحقل. ولما صارا في الحقل قام قايين على هابيل أخيه فقتله.

وفي العبرية: وكلَّم قايين هابيل، وحدث إذ كانا في الحقل أن قايين قام على هابيل أخيه وقتله.

فهذه الجملة: «تعال نخرج إلى الحقل» لا وجود لها في العبرية.

قال هورن في حاشية تفسيره ٢/١٩٣: توجد هذه العبارة في النسخة السامرية واليونانية والآرامية، واللاتينية التي طبعت في باني كلات والتن، وحكم كني كات بإدخالها في النسخة العبرانية، ولا شبهة في أنها عبارة حسنة. ثم قال في ص٣٣٨: قد تكون عبارة الترجمة اليونانية صحيحة وإن لم توجد في النسخة العبرانية المروجة الآن.

وقال آدم كلارك في تفسيره ١/٦٣ نحو ما قال هورن. [إظهار الحق ١/٤١٢].

هذا، وقد خَلَت طبعة البروتستانت من هذه العبارة، وظهرت في طبعة الكاثوليك فقد جاء فيها «وقال قاينُ لهابيل أخيه: لنخرج إلى الصحراء، فلما كانا في الصحراء، وثب قاين على هابيل أخيه فقتله».

٤ ـ جاء في النسخة العبرية في سفر التكوين ٢٩/٢: ونظر وإذا في الحقل بئر، وهناك ثلاثة قطعان غنم رابضة عندها.

وفي السامرية واليونانية: ونظر وإذا في الحقل ثلاثة رعاة. بدلاً من قطعان غنم.

وهو الصحيح عند محققي أهل الكتاب، ولذلك اتفقت عليه طبعة الكاثوليك والبروتستانت. [وانظر إظهار الحق ١/٣٤٦].

٥ ـ جاء في النسخة العبرية في سفر التكوين ٣٥/٢٢: وحدث إذ كان إسرائيل ساكناً في تلك الأرض أن رَأوبين ذهب واضطجع مع بِلْهة سُرِّية أبيه. وسمع إسرائيل.

والنسخة اليونانية تتمها بما يلي: «وكان قبيحاً في نظره».

قال جامعو تفسير واسكات: اليهود يسلمون بأن شيئاً سقط من هذه الآية. [إظهار ١/٤١٦].

وقد اتفقت طبعة الكاثوليك وطبعة البروتستانت على إسقاط هذه العبارة. =

. . . .

= ٦ ـ جاء في الترجمة اليونانية في سفر التكوين ٤٤/٥: لم سرقتم صواعي، أليس هذا هو الذي يشرب سيدي فيه، وهو يتفاءل به؟ أسأتم فيما صنعتم.

قال المفسر هارسلي ١/ ٨٢ في ذيل هذه الفقرة: تزاد في أول هذه الفقرة من الترجمة اليونانية هذه الجملة: «لم سرقتم صواعي». [إظهار ١/٤١٦].

وقد خَلَت طبعة الكاثوليك وطبعة البروتستانت من هذه الجملة.

٧ ـ جاء في النسخة العبرية في سفر التكوين ٥٠/ ٢٥: واستحلف يوسف بني إسرائيل قائلاً: الله سينقذكم، فتصعدون عظامي من هنا.

وفي التوراة السامرية والترجمة اليونانية واللاتينية وبعض التراجم القديمة: «فاذهبوا بعظامي من هنا معكم» بزيادة لفظ (معكم).

قال المفسر هورن: أدخل المستر بت هذا اللفظ المتروك في ترجمته الجديدة للكتاب المقدس وقد أصاب. [إظهار الحق ١/٤١٦].

وقد خَلَت طبعة الكاثوليك وطبعة البروتستانت من هذا اللفظ.

٨ ـ جاء في النسخة اليونانية واللاتينية وبعض التراجم القديمة في سفر الخروج ٢/ ٢٢: فولدت ابناً فسماه جِرشوم، لأنه قال: كنت نزيلاً في أرض غريبة. ثم ولدت غلاماً ثانياً فسماه ألِعازر، وقال: لأنه إله أبي ناصري أنقذني من يد فرعون.

وقد انتهت هذه الفقرة في النسخة العبرية عند قوله: «في أرض غريبة» وخَلَت من الجمل التي بعدها.

قال المفسر آدم كلارك في ١/ ٣١٠ بعدما نقل العبارة من التراجم: أدخل هتوبي كينت هذه العبارة في ترجمته اللاتينية، ويدَّعي أن موضعها هنا، ولا توجد في نسخة من النسخ العبرية المكتوبة أو المطبوعة مع أنها وجدت في التراجم المعتبرة. [إظهار الحق ١/٤١٧].

وقد خلت طبعة البروتستانت من هذه العبارة، وذكرت في طبعة الكاثوليك.

٩ ـ وجاء في التوراة السامرية والترجمة اليونانية في سفر الخروج ٦/ ٢٠: فولدت له هارون وموسى ومريم أختهما.

وخَلَت النسخة العبرية من «ومريم أختهما».

قال آدم كلارك بعد نقل عبارة النسخة اليونانية والتوراة السامرية: ظنَّ بعض أجلَّة المحققين أن هذا اللفظ كان في المتن العبري. [إظهار الحق ١/٤١٧].

وقد خلت طبعة الكاثوليك وطبعة البروتستانت من هاتين الكلمتين.

١٠ ـ جاء في النسخة العبرية في سفر الخروج ١٢/ ٤٠: وأما إقامة بني إسرائيل التي أقاموها في مصر فكانت (٤٣٠) سنة.

وفي السامرية واليونانية: وسكنى بني إسرائيل وآبائهم ما سكنوا في أرض كنعان وأرض مصر (٤٣٠) سنة.

قال الشيخ رحمة الله الهندي في إظهار الحق ٢/ ٨٣: والصحيح ما فيهما، وما في العبرية غلط يقيناً. اهـ. =

....

= وفي طبعة الكاثوليك وطبعة البروتستانت كما في النسخة العبرية: «في مصر فكانت ٤٣٠ سنة».

١١ ـ جاء في النسخة العبرية في سفر العدد ١٠/٦: وإذا ضربتم هتافاً ثانية ترتحل المحلّات النازلة إلى الجنوب. هتافاً يضربون لِرحلاتهم.

وفي الترجمة اليونانية زيادة بعد هذه العبارة تقول: «وإذا نفخوا مرة ثالثة ترفع الخيام الغربية للارتحال، وإذا نفخوا رابعة ترفع الخيام الشمالية للارتحال».

قال المفسر آدم كلارك ١/٦٦٣: لم يذكر الغربية والشمالية هنا، لكن يعلم أنهم كانوا يرتحلون بالنفخ أيضاً، ولذلك فإن المتن العبري ههنا ناقص. [إظهار الحق ١/٤١٨].

وقد وافقت طبعة الكاثوليك والبروتستانت هنا النسخة العبرية، فخَلَتا من هذه الزيادة.

١٢ ـ جاء في النسخة العبرانية في سفر التثنية ٢٧/٤ ـ ٥: حين تعبرون الأردن تقيمون هذه الحجارة التي أوصيكم بها اليوم في جبل عيبال، وتكلسها بالكِلس، وتبني هناك مذبحاً للرب.

وفي السامرية: ويكون عند عبوركم الأردن تقيمون الحجارة هذه التي أوصيكم اليوم في جبل جِرِزّيم، وتشيدها بشيد.

فيفهم من العبرية أن موسى أمر ببناء الهيكل والمذبح على جبل عيبال، ومن السامرية أنه أمر به على جبل جرزيم، وهما جبلان متقابلان.

وجاء في التثنية أيضاً في ١١/٢٩: وإذا جاء بك الرب إلهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لكي تمتلكها فاجعل البركة على جبل جرزيم، واللعنة على عيبال.

وفي ٢٧/١١ ـ ١٣ من السفر نفسه: وأوصَى موسى الشعب في ذلك اليوم قائلاً: هؤلاء يقفون على جبل جرزيم لكي يباركوا الشعب حين تعبرون الأردن... وهؤلاء يقفون على جبل عيبال للعنة.

وقد أدى هذا إلى وقوع خلاف بين علماء البروتستانت، فالمحقق كني كات يرى صحة السامرية، والمحققان باري ودرشيور يريان صحة العبرية، غير أن الكثيرين يرون أنَّ أدلّة كني كات لا جواب لها، ويجزمون بأن اليهود حرَّفوا ذلك لعداوة السامريين.

[إظهار الحق ١/٢٢٢ و٢/٨٠، وانظر بين السامرية والعبرية لأحمد حجازي ص٣٩٣].

١٣ ـ جاء في النسخة العبرية في سفر أخبار الأيام الأول ٩/٣٥: وكان اسم أخته معكة.

وجاء في النسخة اليونانية واللاتينية والسريانية: واسم امرأته معكة.

وقد تبع المترجمون هذه النسخ كما في طبعات الكاثوليك والبروتستانت، وأهملوا العبرية. فالتحريف متعين.

١٤ ـ جاء في السفر الثاني لأخبار الأيام ١٣/٣: وابتدأ أَبِيّا الحرب بجيش من جبابرة القتال، أربعمئة ألف رجل مختار، ويَرُبْعام اصطف لمحاربته بثمانمئة ألف رجل مختار.

وفي ١٣/١٧: وضربهم أبيا وقومه ضربة عظيمة، فسقط قتلى من إسرائيل خمسمئة ألف رجل مختار. =

. . . .

= ولما كانت هذه الأعداد بالنسبة إلى هؤلاء الملوك مخالفة للقياس غُيرت في أكثر نسخ الترجمة اللاتينية إلى أربعين ألفاً في الموضع الأول، وثمانين ألفاً في الموضع الثاني، وخمسين ألفاً في الموضع الثالث. ورضي مفسروهم بهذا التغيير؛ لأنه أهون الشرَّين وأخف الضررين. [إظهار الحق ١/ ٢٣١ ـ ٢٣٢].

١٥ ـ جاء في النسخة العبرية في سفر أخبار الأيام الثاني ٢٨/ ١٩: لأنَّ الرب ذلل يهوذا بسبب آحاز ملك إسرائيل؛ لأنه أجمح يهوذا وخان الرب خيانة.

وفي النسخة اليونانية واللاتينية: ملك يهوذا.

ولفظ إسرائيل هنا غلط يقيناً، لأن آحاز كان ملكاً على يهوذا لا على إسرائيل، وقد حكم ما بين عام ٧٤٤ ـ ٧٢٨ق.م، وكان ضعيفاً ووثنياً. [إظهار الحق ١/ ٢٢٥].

هذا، وليس الاختلاف قاصراً على ما بين العبرية والسامرية واليونانية واللاتينية، بل يتعداها إلى الترجمات في لغة واحدة، فلو دقَّق باحث بين الترجمة السبعينية اليونانية وبين الترجمات اليونانية الأخرى التي ترجمت فيما بعد لوجد اختلافات وفروقاً تضارع الفروق بين السامرية والعبرية. [تعريف بالتوراة السامرية لأحمد حجازي السقَّا ص٣١].

الترجمات المعاصرة:

تُرجم الكتاب المقدس في زماننا إلى أكثر لغات العالم، وكثرت الطبعات والنشرات، وكل جمعية أو مؤسسة تذكر أنَّ ترجمتها مأخوذة عن اللغات الأصلية مع أن بينها اختلافاً كبيراً. فالكتاب المقدس الصادر عن دار الكتاب المقدَّس في الشرق الأوسط عام ١٩٨٤م، وهو من إصدار البروتستانت، ويذكرون أنه قد ترجم من اللغات الأصلية، يختلف عن الكتاب المقدس الصادر عن دار المشرق عام ١٩٨٣م، وهو مع الحواشي عليه من إصدار الكاثوليك.

وعلى سبيل المثال نذكر الفروق والاختلافات التالية:

١ ـ جاء في سفر التكوين ١/ ١ ـ ٢: في البدء خلق الله السماوات والأرض، وكانت الأرض خربة وخالية، وعلى وجه الغمر ظلمة، وروح الله يرف على وجه المياه.

وتقول ترجمة اليهود «ريح الله» بدلاً من روح الله.

وفي الترجمة الإنجليزية: The power of God أي قوة الله.

وفي التوراة السامرية: «رياح الله هابَّة على وجه الماء».

وظهر أن غرض النصارى من تلك الترجمة إثبات عقيدتهم في الأقانيم وبخاصة الأقنوم الثالث روح القدس. [تعريف بالتوراة السامرية ص١٣].

٢ ـ جاء في طبعة البروتستانت في سفر أيوب ١٩/ ٢٥ ـ ٢٧: أما أنا فقد علمتُ أن وليّي حي، والآخِر على الأرض يقوم. وبعد أن يفنى جلدي هذا، وبدون جسدي أرى الله، الذي أراه أنا لنفسي، وعيناي تنظران، وليس آخر.

وعند الكاثوليك: إنَّ فاديَّ حي قيوم، وسيقوم آخِراً على التراب، وبعد ذلك تلبس هذه الأعضاء بجلدي، ومن جسدي أعاين الله الذي أنا أعاينه بنفسي، وعيناي تريانه، لا غيري.

فترجمة البروتستانت قالت: «إن وليّي حيّ» بينما قالت ترجمة الكاثوليك: «إن فاديّ» =

. . . .

= ويبدو أنها فعلت ذلك من أجل إثبات عقيدة الصلب والفداء.

وقد أشارت ترجمة البروتستانت أن البَعْث يوم القيامة يكون بالروح دون الجسد، بينما ذكرت ترجمة الكاثوليك أنه يكون بالروح والجسد معاً. وهم يؤكدون على ذلك في حاشيتهم على السفر ص١٦.

٣ ـ كثيراً ما نجد في نسخة البروتستانت فراغاً بين الكلمات؛ إشارة إلى نقص في الأصل أو ما أشبه ذلك، ولا نجد هذه الفراغات في نسخة الكاثوليك:

ففي سفر الخروج ١/١ ـ ٢ نجد في نسخة البروتستانت الفراغ التالي: «وهذه هي الأحكام التي تضع أمامهم. إذا اشتريت عبداً عبرانياً. . .».

ولا وجود لهذا الفراغ في نسخة الكاثوليك، بل يذكرون الجملة الثانية مباشرة بعد الأولى وكأن شيئاً لم يكن.

٤ ـ ثمة تفسيرات في نسخة البروتستانت واضحة أدرجت في النص عند الكاثوليك، وبدت كأنها أصلية من صلب النص.

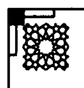
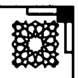
ففي سفر يشوع ١/٢ عند البروتستانت: «فالآن قُمْ اعبر الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التي أنا مُعْطيها لهم. أي لبني إسرائيل».

وقد اختفى لفظ أي عند الكاثوليك، وعدلت العبارة ليظهر التفسير من صلب النص، وصارت العبارة بهذا الشكل و«الآن قم فاعبر هذا الأردن أنت وجميع الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لبني إسرائيل».

وفي السفر نفسه في ١٢/٢٤ نجد عند البروتستانت: «وأرسلت قدامكم الزنابير وطردتهم من أمامكم. أي ملكي الأموريين. لا بسيفك ولا بقوسك».

وعند الكاثوليك: «وأرسلت قدامك الزنابير، فطردت مَلِكَي الأموريين من وجهكم، لا بسيفكم ولا بقوسكم».

هذا وقد قام جماعة من اليهود المنتمين إلى هيئات دينية متمركزة في إنكلترا عام ١٩٧٠م بترجمة كتاب النصارى المقدَّس بعهديه القديم والجديد إلى اللغة الإنكليزية، وهي تختلف عن الترجمات السابقة إلى اللغة نفسها، فقد صيغت بأساليب اللغة العادية، وليس بالأساليب الدينية التقليدية، وفي تحررها الكامل أيضاً من جميع قيود الترجمات السابقة والتزاماتها وفي تصرفها في معنى النصوص ومغزاها، وذلك بالانحراف بها إلى غير اتجاهها الأصلي، أو بإضافة أمور أخرى إليها، وفي اشتمالها على اثني عشر سفراً من الأسفار المعروفة بالخفية عند اليهود. ولا يعلم إلا الله ما يريده اليهود من خدمة النصارى بترجمة العهدين إلى لغة شائعة. وما أمر الترجمة السبعينية ببعيد. [الأسفار المقدسة لعلي عبد الواحد وافي ص٢٠].

الفرع الرابع

تغيُّر موقف أهل الكتاب على التوالي من العهد القديم(١)

١ إن حال الكتاب المقدَّس لدى أهل الكتاب كحال الأنظمة والقوانين في الدول العلمانية، يطرأ عليها تصحيح وتعديل بين حين وآخر، ألا ترى أن الترجمة اليونانية (السبعينية) كانت معتمدة عند اليهود والنصارى، وكانت تقرأ في معابد الفريقين حتى نهاية القرن الأول الميلادي تقريباً، حيث ادَّعى اليهود أنها ليست موافقة للمتن العبري، فتركوها واعتمدوا النسخة العبرية (المِسوري).

وظل النصارى يعتمدون اليونانية، ويتهمون النسخة العبرية بالتحريف، حتى القرن السابع حيث تخلَّت الكنيسة الرومانية (الكاثوليك) عن اليونانية، واعتمدت اللاتينية، ورأت التحريف المتعمد وغير المتعمد مسلَّماً فيها. وبقيت الكنائس الشرقية تعتمد اليونانية.

واستمر الأمر على هذه الحال إلى القرن الخامس عشر، حيث انشق البروتستانت عن الكنيسة الرومانية، وانعكس الأمر عندهم، فاعتمدوا النسخة العبرية، وصارت المحرفة صحيحة والصحيحة محرفة، ولم يكتفوا بذلك، بل ردُّوا كثيراً من الكتب التي سلَّم بها أسلافهم، وحكموا بأنها موضوعة مكذوبة.

ومن ناحية ثانية فإن علماء أهل الكتاب كانوا يعتقدون إلى القرن الثامن عشر، وربما إلى التاسع عشر أن أسفار كتابهم المقدس كتبها الأنبياء بإلهام، ابتداءً من موسى عليه السلام ويشوع بن نون إلى آخر أنبياء بني إسرائيل ما عدا عيسى عليه السلام، وكانت الكنيسة الكاثوليكية تؤكد على عقيدة الإلهام والتمسك بالنصوص، ففي مجمع الفاتيكان المنعقد عام ١٨٦٩ ـ ١٨٨٧م، تقرر أن الكتب القانونية التي سلمت بها الكنيسة في كل من العهدين، قد كتبت بإلهام الروح القدس. وكانت مقدِّمات الكتاب المقدس تسوق الأمور بطريقة تختلف عن طريقة الباحثين المحققين، فهي تسكت عن الأمور الأساسية الخاصة بتدوين الكتب، وتغمض عينها عما فيها، وتحتفظ بغموض يضلِّل القارئ، ويعطيه فكرة خاطئة عن الواقع الذي حدث فعلاً.

واستمر الحال على ذلك حتى بداءة القرن الثامن عشر حيث ظهرت الاكتشافات الأثرية والتاريخية والأبحاث العديدة المتنوعة، وظهرت أيضاً مجموعة من العلماء والباحثين يشكِّكون في مصداقية ذلك الكلام. ونتيجة للأبحاث الكثيرة، اضطر علماء أهل الكتاب إلى تغيير موقفهم وتعديل أقوالهم، والاعتراف بأن هذه الأسفار لم يكتبها موسى ولا الأنبياء الذين تنسب إليهم حرفياً، بل كتبها رجال عديدون، لم تعرف أسماؤهم، في أزمنة مختلفة، غير أن الإلهام كان يظلل أولئك الكتاب الذين قاموا بصياغتها. =

= وواجهت الكنيسة الكاثوليكية تلك الحقائق، فاضطرت إلى التخفيف من تصلبها، وإبداء تحفظها على أسفار العهد القديم. فقد بحث المجمع المسكوني الثاني للفاتيكان بين عامَي ١٩٦٢ ـ ١٩٦٥م المشكلة التي تتعلَّق بوجود أخطاء في بعض نصوص العهد القديم، وقُدِّمت للمجمع خمس صور مقترحة، وبعد ثلاث سنوات من الجدل والمناقشة، تم قبول صيغة حظيت بأغلبية (٢٣٤٤) صوتاً ضد ستة أصوات، وأدرج في الوثيقة المسكونية الرابعة عن التنزيل فقرة تختص بالعهد القديم جاء في الفصل الرابع منها ص٥٣ منه ما يلي: «بالنظر إلى الوضع الإنساني السابق على الخلاص الذي وضعه المسيح، تسمح أسفار العهد القديم للكل بمعرفة من هو الله، ومن هو الإنسان، بما لا يقل عن معرفة الطريقة التي يتصرف بها الله في عدله ورحمته مع الإنسان، غير أن هذه الكتب تحتوي على شوائب وشيء من البطلان، ومع ذلك فيها شهادة عن تعليم إلٰهي». [دراسة الكتب المقدسة لموريس بوكاي ص٢٦ و٥٩ ـ ٦٢، مجلة الجامعة الإسلامية العدد ٤٩ ص١٥٩ ـ ١٦٠ ندوة الخرطوم].

وجاء في تقديم الكتاب المقدس الصادر عن دار المشرق ببيروت، عام ١٩٨٣م، ص٤ ما يلي: «كثير من علامات التعجب تظهر في روايات هذا الكتاب وشرائعه، مما حمل المفسرين من كاثوليك وغيرهم على التنقيب عن أصل الأسفار الخمسة الأدبي، فما من عالم كاثوليكي في عصرنا يعتقد أن موسى ذاته قد كتب كل البانتاتيك منذ قصة الخلق إلى قصة موته، كما أنه لا يكفي أن يقال: إن موسى أشرف على وضع النص الملهم الذي دونه كتبة عديدون في غضون أربعين سنة، بل يجب القول مع لجنة الكتاب المقدس البابوية (١٩٤٨م) أنه يوجد ازدياد تدريجي في الشرائع الموسوية، سببته مناسبات العصور التالية الاجتماعية والدينية، تقدم يظهر أيضاً في الروايات التاريخية».

وجاء في الكتاب المقدس نفسه في تقديم سفر الاشتراع ص٢٩٧ ما يلي: «بعد سقوط مملكة الشمال قام الكهنة اللاجئون إلى أورشليم يدونون تراثهم المقدَّس ليحافظوا عليه، لقد باشروا عملهم مستندين إلى تقاليد عتيقة مندمجة في رواية السير عبر الصحراء، إلا أن النص ظل مجهولاً حتى أيام الإصلاح الديني الذي قام به الملك يوشيَّا، فاكتشف النص حينذاك في مخبأ في هيكل أورشليم، واتخذ كمنهاج ديني بعد عهد انحطاط سابق، إلا أنه من الممكن أن يكون قد أضيف على النص تتمات ملهمة أيضاً مدى ـ سبي بابل ـ وهذا المجموع من الشرائع والخطب والروايات معقد».

وذكرت الرهبانية اليسوعية في المدخل لدراسة الكتاب المقدس أن أسفار الكتاب المقدس هي عمل مؤلفين ومحررين، ظلَّ عدد كبير منهم مجهولاً... معظم عملهم كان مستوحى من تقاليد الجماعة.

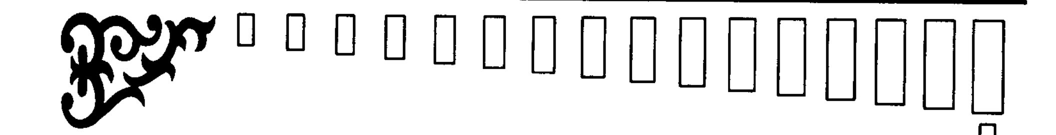
وقالت: لم يكن هناك حدود للكتابات المعترف بها لدى حاخامات اليهود باعتبارها وحياً من الله، لأن الإضافات كانت مستمرة، والقائمة مفتوحة.

وقالت أيضاً: وكل هذه الكتب عُدِّلت وبُدِّلت مراراً، وأضيف إليها وأسقط منها، ولم تتخذ شكلها النهائي إلا في القرن الأول بعد الميلاد. [عن أباطيل التوراة ١/٨ ـ ٩ و١٤٤ ـ ١٤٥]. =

. . . .

= وقال الأب ديفو: لقد تكونت أسفار موسى الخمسة من أقوال موروثة لأمم مختلفة جمعها محررون، وضعوا ما جمعوه تارة جنباً إلى جنب، وغيَّروا من شكل الروايات تارة أخرى، بهدف إيجاد وحدة مركبة، تاركين للعين أموراً غير معقولة، وأخرى متنافرة. [دراسة الكتب المقدسة لموريس بوكاي ص٧].

وهكذا حَصْحَص الحق، وأصبح علماء أهل الكتاب يعترفون بالأخطاء والتناقضات التي في أسفارهم المقدسة، ويطلبون من العامة ألا يأخذوا كلمة الوحي بمعناها الحرفي، بل بالمعنى الإجمالي، لأن المطلوب هو الإيمان بالمغزى العام.



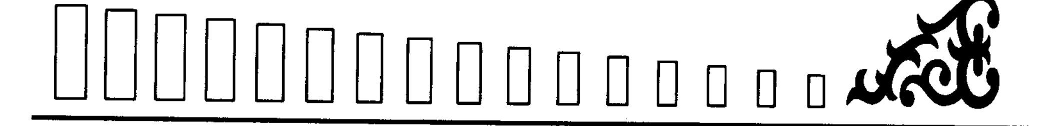
القسم الثاني

مخالفتها للحقائق والوقائع المقرَّرة ومجافاتها للعقل

وفيه مناقضات ظاهرة، وتكاذيب واضحة في الكتاب الذي تسمِّيه اليهود التوراة، وفي سائر كتبهم، يُتيقن بذلك تحريفها وتبديلها وأنها غير التي أنزل الله ﷻ.

قال تعالى:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].



[توطئة]

قال أبو محمد رَحِمَهُ اللهُ: نذكر إن شاء الله تعالى في الكتب المذكورة من الكذب الذي لا يشك كل ذي مُسْكة[1] تمييز في أنه كذب على الله تعالى، وعلى الملائكة عليهم السلام، وعلى الأنبياء عليهم السلام، إلى أخبار أوردها، لا يخفَى الكذب فيها على أحد، كما لا يخفى ضوء النهار على ذي بصر.

وقد كنّا نَعْجب من إطباق النصارى على تلك الأقوال الفاسدة المتناقضة التي لا يخفَى فسادها على أحد به رمق[2]، إلى أن وقفنا على ما بأيدي اليهود، فرأينا أن سبيلهم وسبيل النصارى واحد، كشِق الأبلمة[3]. وثبت بذلك عند كل منصف من المخالفين صحة قولنا: إن كل من خالف دين الإسلام ونِحْلة السنَّة ومذهب أصحاب الحديث، فإنه عارف بضلال ما هو عليه، إلا أنهم بخذلان الله تعالى إياهم مكابرون لعقولهم، مُغَلِّبون لأهوائهم وظنونهم على يقينهم، تقليداً لأسلافهم، وعصبية واستدامة لرياسةٍ دنيوية، وهكذا وجدنا أكثر من شاهدناه من رؤسائهم، فنحمد الله كثيراً على ما هدانا له من الإسلام، ونحلة السنة، واتباع الآثار الثابتة، ونسأله تثبيتنا على ذلك، وأن يجعلنا من الدعاة إليه حتى يدعونا إلى رحمته ورضوانه عند لقائه. آمين.

قال أبو محمد رَحِمَهُ اللهُ: ولْيَعْلم كل من قرأ كتابنا هذا أننا لم نُخْرِج من الكتب المذكورة شيئاً يمكن أن يُخرَّج على وجه ما وإن دقَّ وبَعُد، فالاعتراض بمثل هذا لا معنى له، وكذلك أيضاً لم نُخرِّج منه كلاماً لا يُفهم معناه وإن كان ذلك موجوداً فيها، لأن للقائل أن يقول: قد أصاب الله به ما أراد، وإنما أخرجنا ما لا حيلة فيه ولا وجه أصلاً إلا الدعاوى الكاذبة التي لا دليل عليها أصلاً، لا محتملاً ولا خفياً.

---

[1] مُسكة: بقية، يقال: فيه مُسكة من خير، أي بقية.

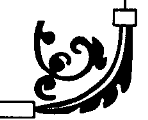
[2] الرمَق: بقية الرُّوح.

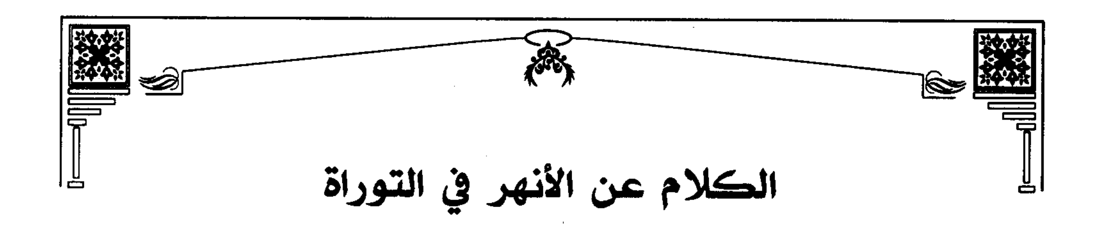
[3] الأبلُمة ـ بتثليث الهمزة واللام ـ الخوصة من المُقْل، والمال بيننا شِق الأبلمة، أي نصفين؛ وذلك أن الخوصة إذا شقت طولاً، انشقت نصفين متساويين. [القاموس واللسان].





مخالفتها للحقائق والوقائع العلمية



الكلام عن الأنهر في التوراة

قال: ونهر يخرج من عدن، فيسقي الجنان، ومن ثم يفترق، فيصير أربعة رؤوس، اسم أحدها النيل، وهو محيط بجميع بلاد زُوَيلة، الذي به الذهب، وذهب ذلك البلد جيد، وبها اللؤلؤ وحجارة البِلّوْر. واسم الثاني جيحان، وهو محيط بجميع بلاد الحبشة. واسم الثالث الدجلة، وهو السائر شرق الموصل. واسم الرابع الفرات، وأخذ الله آدم ووضعه في جنات عدن[1].

قال أبو محمد رَحِمَهُ اللَّهُ: في هذا الكلام من الكذب وجوه فاحشة قاطعة بأنها من توليد كذّاب مستهزئ: أول ذلك إخباره أن هذه الأربعة تفترق من النهر الذي يخرج من جنات عدن التي أسكن الله فيها آدم إذ خلقه، ثم أخرجه منها إذ أكل من الشجرة التي نهاه الله تعالى عن أكلها. وكل مَنْ له أدنى معرفة بالهيئة وبصفة

---

(١) جاء في سفر التكوين ٢/ ١٠ ـ ١٥: وكان نهر يخرج من عَدْن ليسقي الجنة، ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس. اسم الواحد فيشون، وهو المحيط بجميع أرض الحَويلة، حيث الذهب، وذهبُ تلك الأرض جيد، هناك المُقْل وحجر الجَزْع. واسم النهر الثاني جيحون وهو المحيط بجميع أرض كوش ـ وعند الكاثوليك: الحبشة ـ واسم النهر الثالث حِدَّقِل، وهو الجاري شرقي أَشُور. والنهر الرابع الفُرات. وأخذ الرب الإلٰه آدم ـ وعند الكاثوليك: الإنسان ـ ووضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها. وعند الكاثوليك: ليفلحها ويحرسها.

تحدث السفر عن نهر يخرج من عدن، فيسقي الجنة أو الجنان، ثم يفترق فيصير أربعة أنهار، اسم أحدها في الترجمة التي أخذ ابن حزم عنها (النيل)، وفي ترجمة البروتستانت والكاثوليك التي لدينا (فيشون)، وفي الترجمة إلى اللغة الإنكليزية (بيشون). ثم يذكر السفر أن هذا النهر محيط بجميع بلاد (زُويلة) في الترجمة التي أخذ عنها ابن حزم، وفي الترجمتين اللتين لدينا (الحويلة)، وفي الترجمة الإنكليزية (هفيلة).

واسم الثاني في الترجمة التي لدى ابن حزم (جيحان)، وفي الترجمتين اللتين لدينا (جيحون)، واسم النهر الثالث في الترجمة التي لدى ابن حزم (الدجلة)، وفي الترجمتين اللتين لدينا (حِدَّقِل)، وفي الترجمة الإنكليزية (تايجر)، وهو اسمه في تلك اللغة.

فهل هذا التغيير، ولا سيما في اسم النهر الأول من أجل التعمية على القارئ حتى لا يدرك الفواحش التي وقع فيها الكاتب؟ سوف نرى.

الربع المعمور من الأرض الذي هو في شمال الأرض، أو مشى إلى مصر والشام والموصل يَدْري أن هذا كله كذب فاضح، وأن مخرج النيل من عين الجنوب من خارج المعمور، ومصبُّه قبالة تِنّيس وقبالة الإسكندرية في آخر أعمال مصر في البحر الشامي[1].

وأن مخرج الدجلة والفرات وجيحان من الشمال.

فأما جيحان، فيخرج من بلاد الروم، ويمر ما بين المَصِيصَة وربضها المسمى (كَفَرْبيّا) حتى يصب في البحر الشامي على أربعة أميال من المَصِيصة[2].

وأما دجلة، فمخرجها من أعين بقرب خِلاط من عمل أرمينية، بقرب آمد

---

[1] **النيل**: هو أطول نهر في العالم ـ وقيل: ثاني أطول نهر في العالم ـ يتدفق على امتداد ٦,٦٧١ك.م في الاتجاه الشمالي الشرقي لقارة إفريقية، ينبع بالقرب من خط الاستواء، ويصب في البحر الأبيض المتوسط. يتألف من رافدين كبيرين:

مصدر الأول في أقصى الجنوب نهر روفيرونزا، الواقع في بورندي، وتعد بحيرة فكتوريا التي تقع في وسط إفريقية من أكبر المصادر المغذية لنهر النيل، ثم يمر عبر مساره شمالاً بمنطقة السدود، وهي مجموعة كبيرة من المستنقعات الواقعة في الأطراف الجنوبية من السودان. يحمل نهر النيل اسم النيل الأبيض في المنطقة الواقعة ما بين منطقة السدود والخرطوم داخل السودان.

الرافد الثاني، ويسمى النيل الأزرق، وينبع من بحيرة تانا في الحبشة.

يلتقي هذان الرافدان عند مدينة الخرطوم في السودان، ومن الخرطوم شمالاً يحمل مسمّى النيل فقط.

ويعدُّ نهر عطيرة أيضاً أحد المصادر الأساسية المغذية للنيل، ويصب في مدينة عطيرة التي تبعد ٢٨٠ك.م شمالي الخرطوم.

ثم يبلغ القاهرة، ومن شمالها يتشعب إلى فرعين رئيسين: دمياط شرقاً، ورشيد غرباً، مكونين بذلك دلتا النيل. [الموسوعة العالمية العربية ٢٥/٥٢٧، المنجد].

أما تِنّيس، فجزيرة في بحر مصر قريبة من البر، ما بين الفرما ودمياط، سميت باسم تنيس بنت دلوكة الملكة، صاحبة حائط العجوز بمصر، وكانت هذه الجزيرة تعرف بذات الأخصاص إلى نهاية دولة بني أمية. [معجم البلدان].

[2] **جيحان**: نهر يجتاز سهول قيليقية، يمر بالقرب من مرعش، ويصب في البحر الأبيض المتوسط. [المنجد].

والمَصِيصَة: ـ كسفينة ـ بلدة على شاطئ جيحان تقارب طرسوس. وكفربيا: مدينة على شاطئ جيحان أيضاً. [معجم البلدن لياقوت].

تنبيه: ورد في المنجد أيضاً أن أَمودَرْيا أو جيحون نهر طوله ٢,٥٤٠ك.م، هو أوكسوس القديم نبعه من جبال بامير في الهند، يجتاز آسيا السوفييتية، ويصب في بحر أرال.

من ديار بكر، وتصب مياهها في البطائح المشهورة بقرب البصرة في أرض العراق، متاخمة أرض العرب[1].

وأما الفرات، فمخرجه من بلاد الروم على يوم من (قالي قلا) قرب أرمينية، ثم يخرج إلى ملطية، ثم يأخذ على أعمال الرقة إلى العراق، وينقسم إلى قسمين، كلاهما يقع في دجلة[2].

فهذه كذبة شنيعة كبيرة لا مخلص منها، والله تعالى لا يكذب.

وأخرى وهي قوله: إن النيل محيط ببلدة (زويلة)[3] وجيحان محيط ببلد الحبشة. وهذه كذبة شنيعة، ما في جميع أرض السودان، والحبشة وغير الحبشة نهر غير النيل، وما ثَم غيره أصلاً، ويتفرع سبعة فروع، كلها مخرج واحد، ثم يجتمع فوق بلاد النوبة.

وكذبة ثالثة وهي قوله: إن ببلد (زويلة) اللؤلؤ الجيد. وهذا كذب، وما لِلُّؤلؤ بها مكان أصلاً، إنما اللؤلؤ في مغاصاته في بحر فارس وبحر الهند والصين.

---

[1] **دجلة**: أحد الأنهار الرئيسة في الجنوب الغربي من قارة آسيا، يبلغ طوله ١,٩٠٠ك.م، ينبع من شرقي جبال طوروس في تركيا، ويتدفق إلى الجنوب الشرقي حتى الحدود بين تركيا وسورية، يدخل العراق بالقرب من قرية فيشاخور، ثم يمر بالموصل وبغداد. يرفده بعد دخوله العراق خمسة روافد هي الخابور والزاب الكبير والزاب الصغير والعظيم وديالي الذي يصب فيه جنوبَ بغداد بمسافة قصيرة. وهذه الروافد تجلب إليه ثلثي مياهه، أما الثلث الآخر فيأتي من تركيا. يلتقي نهر دجلة مع نهر الفرات عند مدينة قرنة، ليشكلا معاً شط العرب الذي يصب في الخليج العربي. [الموسوعة العالمية العربية ١٠/٢٦٧، النجد].

[2] **الفرات**: أطول نهر في جنوب غربي آسيا، يبلغ طوله ٢,٧٣٦ك.م، ينبع من منطقة جبلية شرقي تركيا، ثم يتجه إلى الجنوب الشرقي حيث يدخل سورية بالقرب من مدينة جرابلس، يصب فيه بعد ذلك رافده البليخ ثم الخابور في ضفته اليسرى، وعند مدينة البوكمال يتجه إلى العراق، وعند مدينة القرنة يتصل بدجلة، فيكونان معاً شط العرب الصالح للملاحة، ثم يصبان في الخليج العربي. [الموسوعة العربية ١٧/ ٢٥٥، المنجد].

أما قالي قلا، فمدينة بأرمينيا من نواحي خلاط، بَنَتْها الملكة قالي، وسمتها قالي قالة، وصورت نفسها على أحد أبوابها، ثم عرَّبها العرب إلى قاليقلا. [معجم البلدان].

[3] زويلة: بلدة في ليبيا على ملتقى الطرق الصحراوية، وهي مركز مديرية محافظة سبها. [المنجد] وفي الترجمات الحالية سماها الحويلة.

وفي معجم البلدان: مدينة غير مسوَّرة في وسط الصحراء، وهي أول حدود بلاد السودان.

وهذه فضائح لا خفاء بها، لم يقلها الله تعالى قط، ولا إنسان يهاب الكذب.

○ [استدراكات]:

١ ـ **فإن قال قائل**: فقد صح عن نبيكم ﷺ أنه قال: «النيل والفرات وسيحان وجيحان من أنهار الجنة». **قلنا**: نعم، هذا حق لا شك فيه، ومعناه على ظاهره بلا تكلف تأويل أصلاً، وهي أسماء لأنهار الجنة كالكوثر والسلسبيل(١).

٢ ـ **فإن قيل**: قد صح عنه ﷺ أنه قال: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة». وروي عنه: «مقبري ومنبري روضة من رياض الجنة». **قلنا**: هذا حق، وهو من أعلام نبوته، لأنه أخبر بمكان قبره، فكان كما قال، وذلك المكان لفضله وفضل الصلاة فيه يؤدي العمل فيه إلى دخول الجنة، فهو روضة من رياضها وباب من أبوابها. ومعهود اللغة أن كل شيء فاضل طيب، فإنه يضاف إلى الجنة، ونقول لمن بشَّرنا بخبر حسن: هذا من الجنة. وقال الشاعر: «روائح الجنة في الشباب»(٢).

---

(١) عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ حدَّثه عن ليلة أسري به: . . . وإذا أربعة أنهار: نهران باطنان، ونهران ظاهران، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات. [أخرجه البخاري].

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «النيل والفرات وسيحان وجيحان من أنهار الجنة» أخرجه مسلم. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أربعة أنهار من الجنة: النيل والفرات وسيحان وجيحان». [أخرجه مسلم وأحمد].

وسيحان: نهر في جنوب تركيا، يصب في البحر الأبيض المتوسط، عنده كان الأمويون والبيزنطيون يتبادلون الأسرى. [المنجد].

والمراد أن أصل هذه الأنهار من الجنة، ثم يسير الماء حيث شاء الله إلى أن يستقر في الأرض، ثم ينبع من أماكن مختلفة منها، ويسير في مجرى كل منها. [فتح الباري ٧/ ٢٦٧ ـ ٢٧٨].

(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي». [أخرجه الشيخان وأحمد وابن سعد وابن أبي شيبة والبيهقي].

وعن عبد الله بن زيد المازني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة». .أخرجه الشيخان وأحمد والنسائي وابن سعد والبيهقي].

وأصل الروضة: أرض ذات مياه وأشجار وأزهار. وقوله: روضة. قال بعض العلماء: أي كروضة من رياض الجنة في تنزل الرحمة وإيصال التعبد فيها إليها. فهو تشبيه بليغ أو مجاز. وقال آخرون: بل هو على الحقيقة، فالمكان منقول منها، أو ينقل إليها. =

وليس كذلك هذا الذي في توراة اليهود، لأن واضعها لم يدعنا في لبس من كذبه، بل بين أنه عنى النيل المحيط بأرض زويلة بلد الذهب الجيد، ودجلة التي بشرق الموصل، وجيحان المحيط ببلاد الحبشة، الذي لم يخلق بعد، فلم يَدَعْ لطالب تأويل لكلامه حيلة ولا مخرجاً. وأيضاً فإنهم لا يمكنهم البتة تخريج ما في توراتهم المكذوبة على ما وصفنا نحن الآن في نص توراتهم أن الجنة التي أخرج منها آدم لأكله من الشجرة التي فيها إنما هي شرقي عدن، في الأرض لا في السماء كما نقول نحن، فثبتت الكذبة التي لا مخرج منها أصلاً، ولو لم يكن في توراتهم إلا هذه الكذبة وحدها لكفت في بيان أنها موضوعة، لم يأتِ بها موسى عليه السلام قط، ولا هي من عند الله تعالىٰ، فكيف ولها نظائر ونظائر ونظائر.

٣ ـ **فإن قيل**: في القرآن ذكر سدُّ يأجوج ومأجوج، ولا يدرى مكانه ولا مكانهم. **قلنا**: مكانه معروف في أقصى الشمال في آخر المعمور منه. وقد ذكر أمر يأجوج ومأجوج في كتب اليهود التي يؤمنون بها، ويؤمن بها النصارى[1].

= أما رواية ما بين قبري ومنبري، فهي عند الطحاوي، وكذلك وقع في مسند الروياني، ورواها الترمذي وابن عدي والبزار عن علي وأبي هريرة رضي الله عنهما وقال الترمذي: حسن غريب من هذا الوجه من حديث علي. وقال الهيثمي: رواه البزار، وفيه سلمة بن وَردان، وهو ضعيف. وقال بعض العلماء: وردت من طرق يقوّي بعضها بعضاً، فيكون الحديث بمجموعها حسناً. وحملها بعضهم على الإعجاز من باب الإخبار بالغيب. وقال أكثرهم: هي رواية بالمعنى. [فضائل المدينة ص٤٢٠ ـ ٤٢١ و٤٥٦ ـ ٤٥٧ و٤٥٩ ـ ٤٦٢، فيض القدير ٥/ ٤٣٣].

(١) يأجوج ومأجوج اسمان لأمتين عظيمتين من ذرية آدم.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى يوم القيامة: يا آدم، قم فابعث بعث النار. قال: فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك، يا رب وما بعث النار ـ وفي رواية: ربِّ كم؟ ـ فيقول: من كل ألف تسعمئة وتسعة وتسعين... قال: فيقولون: وأيُّنا ذلك الواحد؟ فقال رسول الله ﷺ: تسعمئة وتسعة وتسعون من يأجوج ومأجوج، ومنكم واحد. فقال الناس: الله أكبر. [أخرجه البخاري].

وتحقيقات العلماء منصبة على أن يأجوج ومأجوج من ذرية آدم، ومن ولد يافث بن نوح عليه السلام.

عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ولد نوح ثلاثة: سام وحام ويافث». [أخرجه أحمد والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، ورمز السيوطي لصحته].

وعنه أيضاً وعن عمران بن حُصَين رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «ولد نوح ثلاثة، فسام أبو العرب، وحام أبو الحبشة، ويافث أبو الروم». [أخرجه الطبراني، ورمز السيوطي لحسنه، قال الهيثمي: رجاله موثَّقون، فحقه الصحة. فيض القدير ٦/ ٣٦٤ ـ ٣٦٥]. =

= قال المؤرخون: أولاد نوح من الذكور ثلاثة: سام وحام ويافث، فسام أبو العرب والفرس والروم، وحام أبو الحبشة والزنج والنوبة، ويافث أبو الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج.

وجاء في سفر التكوين ١٠/١ ـ ٢: وهذه مواليد بني نوح: سام وحام ويافث، وولد لهم بنون بعد الطوفان، بنو يافث: جُومَر وماجوج وماداي وباوان وتوبال وماشَك.

ويدخل في ذرية يافث أيضاً الجنس الآري والصيني، وتطلق كلمة الترك على القاطنين وراء جبال تركستان، فلا ترتبط بسكان آسيا الصغرى فقط، فأهل الصين واليابان ومنغوليا ومن شابههم من أهل تلك المناطق، إن لم يكونوا من الترك فهم أولاد عمهم. [النهاية ١٠٢/١، التذكرة ص٧٨٤].

مكان وجودهم:

وجودهم وخروجهم ثابت بالكتاب والسنة، فقد ذكرت الآيات ٩٣ ـ ٩٩ من سورة الكهف أنهم خَلْف السد العظيم الذي بناه ذو القرنين قديماً من حديد ونحاس بين جبلين عظيمين للحدِّ من شرورهم وإفسادهم في الأرض، ولم تحدد الآيات ولا الأحاديث مكان السد، لأن المراد بذلك الاعتبار والإجابة عن السؤال الذي كان امتحاناً بتدبير اليهود، فيكون الجواب الصحيح من أعلام النبوة ومعجزاتها. وهذا لا يتحقق إلا إذا كان الجواب معروفاً لدى السائل، أو لدى الدافع إلى السؤال، غير أن بعض العلماء اجتهدوا في معرفة مكانه.

- عن ابن عباس ﷺ أنه قال: هو في منقطع بلاد الترك مما يلي أرمينية وأذربيجان. [أخرجه الطبري والقرطبي، وذكره الألوسي والبيضاوي].
- ذكر العلَّامة جمال الدين القاسمي في تفسيره المسمى (محاسن التأويل) لدى الكلام عن الآيات في سورة الكهف أن بعض المحققين قال: كان يوجد وراء جبل من جبال القوقاز، المعروف عند العرب بجبل قاف، في إقليم داغستان قبيلتان تسمى إحداهما (آقوق)، والثانية (ماقوق) فعربهما العرب باسم يأجوج ومأجوج. [وانظر التذكرة ص٧٨٣].
- وقال أبو الأعلى المودودي في تفسير سورة الكهف: الأقرب إلى الصواب أن يأجوج ومأجوج هم قبائل روسيا وشمال الصين المعروفة بأسماء التتار والمغول والهون والسيبث وغير ذلك، وكانت تغير على الدول المتحضرة من قديم الزمان.
- وقد ورد ذكرهما في الكتاب المقدَّس لدى أهل الكتاب.

جاء في سِفر حِزْقيال ٢/٣٨: يا بن آدم، اجعل وجهك على جوج أرض مأجوج، رئيس روشٍ وماشِكَ وتوبالَ، وتنبأ عليه.

٣/٣٨: وقل هكذا قال السيد الرب: هأنذا عليك، ياجوج رئيس روش ماشِكَ وتوبال.

١/٣٩: وأنت يا بن آدم تنبأ على جوج وقل: هكذا قال السيد الرب: هأنذا عليك ياجوجُ رئيس روش ماشكَ وتوبال.

ويفهم من هذا أنهم يسكنون في روسيا وموسكو وتوبل.

قال المؤرخ اليهودي يوسيفوس: هم الشعب الذين سكنوا شمال وشرق البحر الأسود. =

وقد ذكر يأجوج ومأجوج والسدّ أرسططاليس في كتابه في الحيوان عند كلامه عن الغرانيق(١).

وقد ذكر سد يأجوج ومأجوج بطليموس في كتابه المسمَّى جغرافيا، وذكر طول بلادهم وعرضها(٢).

وقد بعث إليه الواثق أمير المؤمنين سلامَ الترجمان في جماعة معه حتى وقفوا عليه.

= وقال العالم النصراني جيروم: إن يأجوج ومأجوج سكنوا شمال القفقاس قرب بحر الخزر.

قلت: وفي تلك المنطقة بين بحر الخزر والبحر الأسود توجد سلسلة جبال القوقاز الشاهقة التي تفصل الشمال عن الجنوب، وبين تلك الجبال مضيق يصل بين الجهتين، فلم يكن هناك منفذ للمهاجمين من الشمال سوى هذا المضيق، فبنى ذو القرنين فيه سداً حديدياً، أخذ به الطريق على المغيرين، ويسمى هذا المضيق بمضيق دَرَبال، ويشار إلى موضعه في الأطالس الحاضرة بين ولادي كيوكز وبين طفليس، وعليه جدار حديدي من قديم الزمان، تنطبق عليه الأوصاف التي وردت في القرآن الكريم، والمعروف أن استحكامات دربند ودربال بنيت جنوب القوقاز اتقاء لهجماتهم.

وصفوة القول: إن الشواهد التاريخية تضافرت على أن مسكنهم أقصى الشرق، وأنهما قبيلتان همجيتان، تناسل منهما أمم كثيرة من أمم الشمال والشرق في روسيا وآسيا. أما الجزم بالمكان الذي بُني فيه السد، أو من هم الذين انصبت عليهم النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، وجعلت خروجهم وزحفهم إلى بلاد الشام من علامات الساعة، فأمر غيبي لا يعلمه إلا الله تعالى، والأسلم التسليم والتفويض.

(١) أرسطاليس أو أرسطو فيلسوف يوناني، ولد عام ٣٨٤ق.م، وتوفي عام ٣٢٢ق.م. كان والده طبيباً للملك المقدوني امنتاس الثاني جد الإسكندر، تعلَّم أرسطو مع فيلبس أبي الإسكندر، والتحق بأكاديمية أفلاطون، فلزمها عشرين سنة إلى أن توفي أفلاطون، استدعاه فيلبس المقدوني ليتولى تربية ابنه الإسكندر، أنشأ مدرسة المشَّائين، وكانت مكتبته الأولى من نوعها في العصر القديم، له مؤلفات كثيرة في المنطق والطبيعيات والإلٰهيات والأخلاقيات، أهمها المقولات والجدل والخطابة والسياسة والنفس وكتاب ما بعد الطبيعة. اتهم بالإلحاد. [الملل والنحل ٢/ ٣٦٢، المنجد].

أما الغرانيق فهي طيور الماء، من فصيلة الكُرْكيات، طويلة العنق، عريضة الجناح، طويلة الساق، سوداء اللون. وقيل: بيضاء، مفردها غُرْنوق كزنبور وفردوس، ويجمع أيضاً على غرانقة وغرانق. والغُرنَيق: الكركي أو طائر يشبهه. [القاموس، مختار الصحاح، المنجد].

(٢) بطليموس (كلاديوس) فلكي وجغرافي يوناني، ولد ومات نحو عامي (٩٠ ـ ١٦٨) نشأ في الإسكندرية، أشهر مؤلفاته المجسطي وجغرافية بطليموس، له نظرية في هيئة الأفلاك، وهي أن الأرض لا تتحرك، وأن الفلك يدور حولها. [المنجد].

ذكر ذلك أحمد بن الطيب السَرَخْسي وغيره[1].

وقد ذكرهُ قدامة بن جعفر والناس[2].

فهيهات خبر من خبر، وحتى لو خفي مكان يأجوج ومأجوج والسدّ، فلم يعرف في شيء من المعمور مكانه، لما ضرَّ ذلك خبرنا شيئاً، لأنه يكون مكانه حينئذ خَلْف خط الاستواء، حيث يكون ميل الشمس ورجوعها وبعدها كما هو في الجهة الشمالية، بحيث تكون الآفاق كبعض آفاقنا المسكونة، والهواء كهواء بعض البلاد التي يوجد فيها النبات والتناسل[3].

○ [موقف العاقل مما هو ممكن من الأخبار (الصحيحة)]:

واعلموا أن كل ما كان في عنصر الإمكان، فأدخله مُدْخِلٌ في عنصر الامتناع بلا برهان، فهو كاذب مبطل جاهل أو متجاهل، لا سيما إذا أخبر به من قد قام البرهان على صدق خبره، وإنما الشأن في المجال الممتنع الذي تكذبه الحواس والعيان أو بديهة العقل، فمن جاء بهذا جاء ببرهان قاطع على أنه كذّاب مُفْترٍ[4]. ونعوذ بالله من البلاء.

---

[1] هو أحد العلماء والفلاسفة، له في علم الأثر الباع الطويل، وفي علم الحكمة الذهن الثاقب، تلميذ يعقوب بن إسحاق الكندي، كان معلماً للمعتضد بالله، ثم نديماً وصديقاً، من أشهر كتبه الأعشاش والمدخل إلى صناعة النجوم، قتل عام ٢٨٦هـ. [الملل والنحل ٣/ ٣٠].

[2] قدامة بن جعفر كاتب من البلغاء والفصحاء المتقدِّمين في علم المنطق والفلسفة، عاش في بغداد، وكان نصرانياً، فأسلم على يد المكتفي بالله العباسي، يضرب به المثل في البلاغة، توفي في بغداد عام ٩٤٨م، من مؤلفاته: الخراج ونقد الشعر ونقد النثر، والردُّ على ابن المعتز فيما عاب به أبا تمام. [الأعلام للزركلي ٦/ ٣١، المنجد].

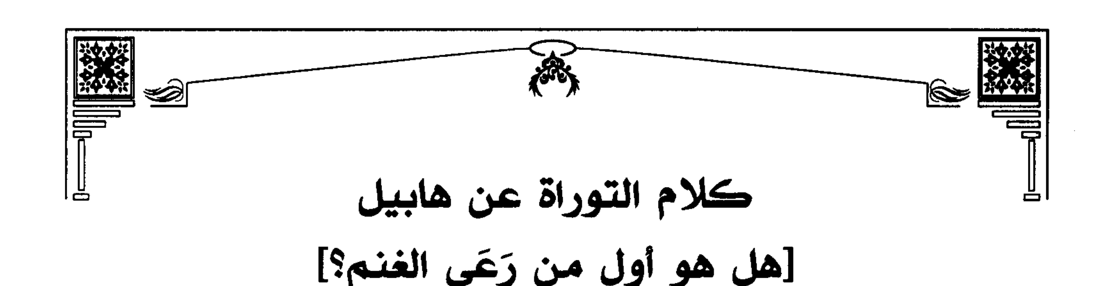
[3] كأنه رحمه الله يشير إلى بلاد لم تكتشف في أيامه.

[4] يقصد رحمه الله أن الأخبار نوعان: ممكن عقلاً، وممتنع، فما كان ممكناً وجاء به الخبر الصحيح الإسناد، ثم كذَّبه مكذب بلا برهان، فهو مبطل كاذب أو متجاهل أو جاهل، ومن هذا القبيل الإخبار بسدِّ يأجوج ومأجوج ونحوه مما ثبت أو نقل بأوثق الطرق.

ومن مخالفة توراتهم للحقائق العلمية المقررة والوقائع ما يلي:

١ ـ جاء في سفر التكوين ٢/ ١٧: وأما شجرة معرفة الخير والشر، فلا تأكل منها، لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت.

وفي ٣/ ٦ ـ ٧: فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل، فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عُريانان. =



كلام التوراة عن هابيل
[هل هو أول من رَعَى الغنم؟]

ذكر هابيل بن آدم، وأنه راعي غنم، ثم قال قبل ذلك بنحو ورقتين: إن لامك المذكور آنفاً اتخذ امرأتين، اسم إحداهما عادة والثانية صِلَّة، وولدت عادة يابال، وهو أول من سكن الأخبية وملك الماشية[1].

وهاتان قضيتان تكذب إحداهما الأخرى ولا بدَّ.

= فقد أكلا منها، ولم يمت يوم الأكل، بل بقي بعده أكثر من (٩٠٠) سنة، وحاش لله أن يخدع آدم، فلم يبق إلا أن يكون كاتب التوراة وقع في خطأ.

٢ ـ وجاء في التكوين ٣/ ١٤: فقال الرب الإلٰه للحيَّة: لأنك فعلتِ هذا، ملعونةٌ أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية، على بطنك تسعين، وتراباً تأكلين كل أيام حياتك.

وهذا يعني أنها لا تأكل إلا التراب، والحقيقة والواقع أنها لا تأكل التراب البتة، بل تأكل الحشرات وما تقدر على ابتلاعه من الحيوانات والبيض.

(١) جاء في سفر التكوين ٤/ ١ ـ ٢: وعرف آدم حواء امرأته، فحبلت وولدت قايين... ثم عادت فولَدت أخاه هابيل، وكان هابيل راعياً للغنم، وكان قايين عاملاً في الأرض.

٤/ ٢٠ ـ ٢١: واتخذ لامك لنفسه امرأتين اسم الواحدة عادة، واسم الأخرى صِلَّة، فولدت عادة يابال الذي كان أباً لساكني الخيام ورعاة المواشي.

وعند الكاثوليك: وهو أبو ساكني الخيام ومتخذي المواشي.

وفي التوراة السامرية: وولدت عَدَةُ يابال، وهو أول من سكن الخيام واقتنى المواشي.

فهابيل ابن آدم بنص توراتهم كان راعي غنم، ويابال وهو في العقب السابع من آدم كان أول من رعى الغنم وسكن الخيام. والنصوص مُطْلقة لا تحدِّد زماناً ولا مكاناً، فمن أول من رعى الغنم؟



قاتل قابيل [لم يُقَد]

وبعد ذلك قال: «كل من قتل قابيل يقاد به إلى سبعة»[١].

ولا تناكر بين جميعهم في أن لامك بن متوشائيل بن محويائيل بن عيراد بن حنوك بن قايين هو الذي قتل قابين جدّ جد أبيه، وأنه لم يُقَد به.

فنسبوا إلى الله تعالى الكذب، لأنه وعده أن يقد به إلى السبعة ولم يُقَد به[٢].

وأيضاً فإن ذكر السبعة هنا حُمْقٌ، لأن لامك الذي قتله هو الخامس من ولد قايين، وقايين هو الخامس من آباء لامك، فلا مدخل للسبعة ههنا[٣].

---

[١] جاء في سفر التكوين ٤/ ١٥: فقال له ـ أي لقايين ـ الرب: لذلك كل من قتل قايين، فسبعة أضعاف ينتقم منه ـ أي يُقاد به ـ وجعل الرب لقايين علامة لكي لا يقتله كل من وجده.

٤/ ١٦ ـ ١٧: فخرج قايين من لدن الرب، وسكن في أرض نور شرقي عدن. وعرف قايين امرأته، فحبلت وولدت حَنُوك ـ وعند الكاثوليك: أخنوخ ـ وكان يبني مدينة، فدعا اسم المدينة كاسم ابنه حنوك ـ وعند الكاثوليك: ثم بنى قرية فسماها باسم ابنه أخنوخ ـ وولد لحنوك عيراد، وعيراد ولَد محويائيل، ومحويائيل ولَد مَتُوشائيل، ومتوشائيل ولد لامك.

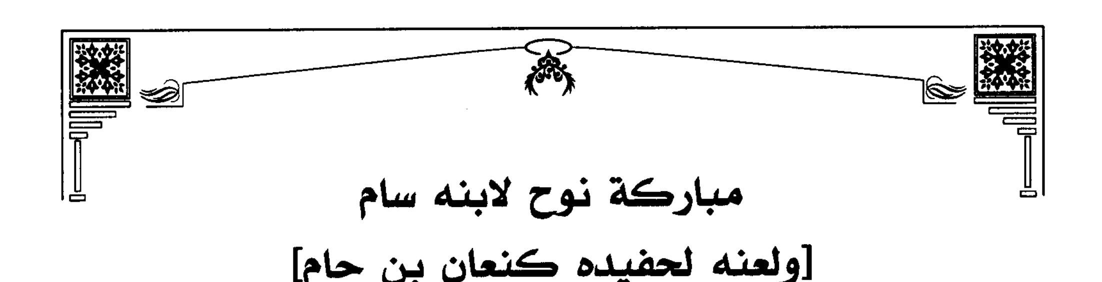
[٢] يؤكد ابن حزم رحمه الله من مصادر اليهود أن لامخ بن متشائيل قتل قابيل، ولم يقد به. فهل يخلف الله وعده؟ حاشى لله.

[٣] جاء في سفر التكوين ٤/ ٢٣ ـ ٢٤: وقال لامك لامرأتيه عادة وصِلَّة: اسمعا قولي يا امرأتَيْ لامك واصغيا لكلامي، فإني قتلت رجلاً لجُرحي وفتى لشدخي، إنه يُنتقم لقايين سبعة أضعاف، وأما للامك فسبعة وسبعين.

ومن الاضطراب والتناقض في التوراة أيضاً ما يلي:

١ ـ جاء في سفر التكوين ٦/ ١٨ ـ ٢٠ أن الله قال لنوح: فتدخل الفُلْك أنت وبنوك وامرأتك ونساء بنيك معك، ومن كل حي من كل ذي جسد اثنين من كلٍّ، تدخل إلى الفلك لاستبقائها معك، تكون ذكراً وأنثى، من الطيور كأجناسها، ومن البهائم كأجناسها، ومن كل دبابات الأرض كأجناسها، اثنين من كلٍّ تدخل إليك لاستبقائها.

وجاء في ٧/ ٢ ـ ٣: من جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة سبعة ذكراً وأنثى، ومن البهائم التي ليست بطاهرة اثنين ذكراً وأنثى، ومن طيور السماء أيضاً سبعة سبعة ذكراً وأنثى، لاستبقاء نسلٍ على وجه كل الأرض.



مباركة نوح لابنه سام
[ولعنه لحفيده كنعان بن حام]

وبعد ذلك ذكر أن نوحاً إذ بلغه فعل ابنه حام أبي كنعان فقال: ملعونٌ كنعان، عبد العبيد يكون لإخوته، مُسْتَعْبداً يكون لأخويه. يبارك الإلٰه ساماً، ويكون أبو كنعان عبداً لهم. إحسان الله ليافث، ويسكن في أخبية سام، ويكون أبو كنعان عبداً لهم(١).

= والاختلاف واضح بين النصين، ففي الفصل السادس أمره أن يأخذ من كل حيٍّ ذي جسد مطلقاً ذكراً وأنثى، دون التعرُّض لجنس دون جنس، ولا لطهارة أو نجاسة. وفي الفصل السابع فرَّق بين البهائم الطاهرة، فأمره أن يأخذ منها سبعة سبعة، وبين البهائم غير الطاهرة، فأمره أن يأخذ منها اثنين اثنين. أما الطيور، فقد رفع فيها العدد إلى سبعة أيضاً كالبهائم الطاهرة، لكن دون أن يقيدها بطهارة أو نجاسة. وهذا تناقض لا محالة.

٢ ـ وجاء في سفر التكوين ٨/ ٤ ـ ٥: واستقر الفُلْك في الشهر السابع في اليوم السابعَ عشر من الشهر على جبال أرارات، وكانت المياه تنقص نَقْصاً متوالياً إلى الشهر العاشر، وفي العاشر في أول الشهر ظهرت رؤوس الجبال.

وهذا تعارض لا يمكن تأويله؛ لأنه إذا ظهرت رؤوس الجبال في أول الشهر العاشر، فكيف استقرت السفينة في الشهر السابع على جبل أرمينية، وليس هو بأعلى الجبال؟!

(١) جاء في سفر التكوين ٩/ ٢٠ ـ ٢٧: وابتدأ نوح يكون فلاحاً، وغرس كرماً، وشرب الخمر، فسكر وتعرَّى داخل خبائه، فأبصر حام أبو كنعان عَوْرة أبيه، وأخبر أخويه خارجاً، فأخذ سام ويافث الرداء، ووضعاه على أكتافهما، ومشيا إلى الوراء، وسترا عورة أبيهما، ووجهاهما إلى الوراء، فلم يبصرا عورة أبيهما، فلما أفاق نوح من خمره، علم ما فعل به ابنه الصغير، فقال: ملعون كنعان، عَبد العبيد يكون لإخوته ـ وعند الكاثوليك: عبداً يكون لعبيد إخوته ـ وقال: مبارك الربُّ إلٰه سام، وليكن كنعان عبداً لهم، ليفتح الله ليافث، فيسكن في مساكن سام، وليكن كنعان لهم عبداً.

ويظهر من النص أنَّ حاماً أبصر عورة أبيه عن غير قصد منه، ولو كان عن عمد واستخفاف بأبيه، لما أخبر أخويه بذلك، لأنهما أكبر منه، وسيزجرانه ويمنعانه.

وفي هذا النص المفترى من الأعاجيب ما يلي:

١ ـ العجب من نبي يسكر ويتعرَّى داخل خبائه دون أن يحكم الإغلاق والستر، ثم يلوم ابنه الصغير الذي رآه مصادفة ولا يلوم نفسه على فَعْلته. =

ثم نسي المحرِّف، أو تعاظم استخفافاً بهم، فلم يطل، لكنه بعد ستة أسطر قال إذ ذكر أولاد حام فقال: بنو حام: كوش ومصرايم وفوجا وكنعان. وبنو كوش: وصبان وزويلة ورغاوة ورعمة وسفتخا. وبنو رعمة: السند والهند، وكوش ولد نمرود الذي ابتدأ يكون جباراً في الأرض، الذي كان جبار صيد بين يدي الله ﷻ، وكان أول مملكته بابل[1].

فحصل من هذا الخبر تكذيب نوح في خبره، وهو بإقرارهم نبي معظَّم جداً، إذ وصف أن وُلْد أبي كنعان صاروا ملوكاً على إخوة بني كنعان وعلى بنيهم.

= ٢ ـ وأعجب من هذا أنه لم يلعن ابنه الذي رأى عورته، بل لعن ابن ابنه الذي لم يخلق بعد، وأولادَه من بعده أيضاً. مع أن هذا ظلم بنص التوراة، فقد جاء في سفر التثنية ٢٤/١٦: «لا يقتل الآباء عن الأولاد، ولا يقتل الأولاد عن الآباء، كل إنسان بخطيته يقتل».

٣ ـ وأعجب من هذا وذاك ما افتراه واضع التوراة من عقوبة حام ومكافأة سام: هَبْ حامَ بن نوح أطغى من فرعون، فما ذنب كنعان وأولاده؟ وهَبْ سام بن نوح خَيْر خلق الله، ألم يجد الواضع ما يكافئه به إلا أن يخص اليهود فقط من بين ذريته بهذه الغنيمة المهداة لهم، وهي عبودية كنعان وأولاده؟!

ومَنْ كنعان الذي وردت عليه اللعنة، وأكَّد عبوديته ثلاثاً؟ هو جد العرب وسلالتهم قبل إسماعيل عليه السلام.

ويبدو ـ والله أعلم ـ أن هذه القصة من وضع أحبار بني إسرائيل، ليكرِّموا أنفسهم دون خلق الله، ويذلوا غيرهم، فتتأصل فيهم العدوانية والغرور الكاذب.

٤ ـ وأعجب من هذا وذا وذلك أن النَّصارى يصدقون بهذه الحكاية على ما فيها من عجر وبجر، ثم يفسرونها وفق أهوائهم، فقد جاء في حواشي الكتاب المقدس ص٢ عن الجملة ٩/٢٧: «تمَّت هذه النبوة على رأي الآباء القديسين بتنصر الأمم التي أبوها يافث، فسكنت حينئذ في أخبية سام، أي ورثت ميراث اليهود الذين من نسل سام».

[1] جاء في سفر التكوين ١٠/٦ ـ ١٠: وبنو حام كُوشُ ومِصْرايمُ وفوط وكنعان. وبنو كوش سبا وحَويلةُ وسبتةُ ورَعْمَةُ وسَبْتَكا. وبنو رعمة شبا وددان.

وكوش ولَد نِمرود الذي ابتدأ يكون جباراً في الأرض ـ وعند الكاثوليك: وهو أول جبار في الأرض ـ الذي كان جبار صَيد أمام الربّ، لذلك يقال: كنِمرودَ جبار صيد أمام الرب.

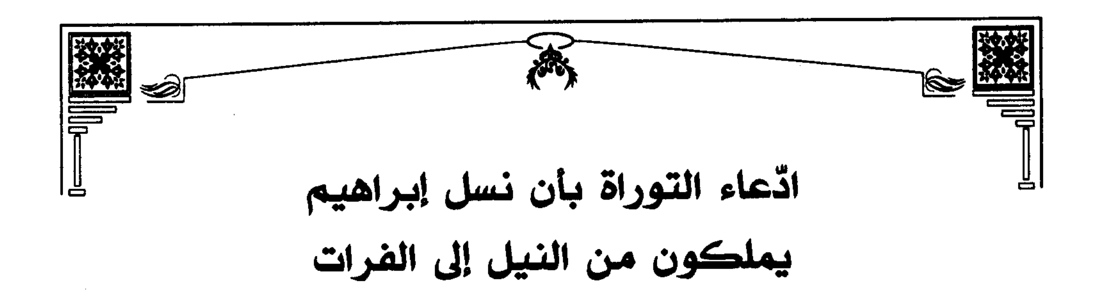
وكان ابتداء مملكته بابلَ وأرَك وأكَّد وكَلْنَة في أرض شِنعار.

وجاء في أخبار الأيام الأول ١/٨ ـ ١٠: بنو حام كُوش ومِصْرايم وفوط وكنعان. وبنو كوش: سَبا وحَويلة وسبتا ورعما. وبنو رعما: شبا وددان. وكوش ولد نِمرود الذي ابتدأ يكون جباراً في الأرض.

ثم العجب كله أنَّ على ما توجبه توراتهم كان مُلْك نِمرود بن كوش بن كنعان بن حام على جميع الأرض، ونوح حي، وسام بن نوح حي؛ لأن في نص توراتهم أن نوحاً عاش إلى أن بلغ إبراهيم بن تارح عليه السلام ثمانية وخمسين عاماً، وأن سام بن نوح عاش إلى أن بلغ يعقوب وعيصا ابنا إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام خمساً وأربعين سنة. على ما ذكروه من مواليدهم أباً فأباً.

فما لنا نرى خبر نوح معكوساً؟!

فإن قالوا: إنَّ السودان تملَّكوا اليوم. قلنا: وفي السودان مُلْك عظيم جداً، وممالك شتى، كخانة والحبشة والنوبة والهند والتبت، والأمر بينهم سواء يملكون طوائف من بني سام، كما يملك بنو سام طوائف منهم، وحاش لله أن يكذب نبيٌّ.



ادّعاء التوراة بأن نسل إبراهيم يملكون من النيل إلى الفرات

وبعد ذلك ذكر أن الله تعالى قال لإبراهيم عليه السلام: «لنسلك أعطي هذا البلد من نهر مصر النهر الكبير إلى نهر الفرات»[1].

---

[1] جاء في سفر التكوين ١٥/ ١٨: في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقاً قائلاً: لنسلك أعطي هذه الأرض، من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات.

وجاء في سفر يشوع ١/ ١ ـ ٥: وكان بعد موت موسى عبد الرب أن الرب كلّم يشوع بن نون خادم موسى قائلاً: موسى عبدي قد مات، فالآن قم اعبر هذا الأردن أنت وكل الشعب إلى الأرض التي أنا معطيكها لهم، أي لبني إسرائيل ـ وعند الكاثوليك: التي أنا معطيها لبني إسرائيل ـ كل موضع تدوسه بطون أقدامكم، لكم أعطيه كما كلمتُ موسى. من البرية ولبنان هذا، إلى النهر الكبير نهر الفرات، جميع أرض الحثيين، وإلى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم.

جاء في حواشي الكتاب المقدس ص٧: المراد بالبحر الكبير هنا البحر الأبيض المتوسط. اهـ.

ويزعم اليهود أن مبدأ هذا الوعد يرجع إلى زمن نوح عليه السلام حينما لعن حاماً أبا كنعان وبارك ساماً كما سلف.

تحليل وموازنة:

يظهر من تتبع النصوص ومن واقع ما جرى لبني إسرائيل على امتداد التاريخ القديم والحديث أن عبارة: «من نهر مصر إلى النهر الكبير الفرات» المذكورة في سفر التكوين ١٥/ ١٨ ليست من صلب النص، بل هي مضافة إليه بفعل فاعل قاصد. وكذلك عبارة: «من البرية ولبنان إلى النهر الكبير نهر الفرات» المذكورة في سفر يوشع بن نون ١/ ٥. وإليك الأدلة والبراهين:

١ ـ جاء في سفر التكوين ١٧/ ٨: وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك، كلَّ أرض كنعان ملكاً أبدياً، وأكون إلههم.

وهذا لم يحدث، لأن جميع أرض كنعان لم تُعْطَ لإبراهيم عليه السلام... قط، وكذلك لم تعط لنسله من بعده ملكاً أبدياً. بل كانوا بعيدين عنها كل البعد، ولا سيما بعد حادثة تِيطس وتدمير الهيكل، وطال بعدهم عنها.

أما قوله: «من نهر مصر إلى النهر الكبير الفرات» فهذا لم يتحقق مطلقاً كما ذكر ابن حزم رحمه الله منذ زمن إبراهيم عليه السلام إلى الآن، وكل ما في الأمر أن الله سبحانه مكنهم حال صلاح =

وهذا كذب وشهرة من الشهر، لأنه إن كان عنى بني إسرائيل، وهكذا يزعمون، فما ملكوا قط من نهر مصر، ولا على نحو عشرة أيام منه شبراً مما فوق، وذلك من موقع النيل إلى قرب بيت المقدس، وفي هذه المسافة الصحارى المشهورة الممتدة والحضارة ثم رفح وغزة وعسقلان وجبال الشراة التي لم تزل تحاربهم طول مدة دولتهم، وتذيقهم الأمرَّين إلى انقضاء دولتهم، ولا ملكوا قط من الفرات ولا عشرة أيام منه، بل بين آخر حَوْز بني إسرائيل إلى أقرب مكان من الفرات إليهم نحو تسعين فرسخاً، فيها قنسرين وحمص التي لم يقربوا منها قط، ثم دمشق وصور وصيدا التي لم يزل أهلها يحاربونهم ويسومونهم الخسف طول مدة دولتهم بإقرارهم ونصوص كتبهم، وحاش لله ﷻ أن يخلف وعده في قدر دقيقة من سرابه، فكيف في تسعين فرسخاً في الشمال ونحوها في الجنوب.

ثم قوله: «النهر الكبير» وما في بلادهم التي ملكوا نهر يذكر إلا الأردن

= أكثرهم من بعض بلاد فلسطين، فلما فسدوا وطغَوا سلّط الله سبحانه عليهم أولي بأس شديد، جاسوا خلال الديار، فأذلّوهم وأسروهم وسبَوهم مرتين إلى بابل. وإذا لم يتحقّق الوعد إلى الآن، فمتى يتحقق؟ وما نوع هذا الوعد؟

٢ ـ إن النص في سفر التكوين يتضمن عبارة «هذه الأرض» أي الأرض المعهودة أو المشار إليها سابقاً، ولم يأت في توراتهم نص آخر حدَّد فيه الأرض بهذين النهرين، وإنما وردت نصوص تحدِّد ذلك ببعض بلاد الشام، وتربط البقاء باستمرار الصلاح والتقوى.

٣ ـ إن السباق والسياق لهذين النصين يدلان على أن المراد بالأرض بعض بلاد الشام فقط: ففي سفر التكوين١٥/١٩ ـ ٢٠: وسأمكنكم من القَيْنيين والقَنِزيين والقدمُونيين والحِثّيين والفَرِزّيين والرفائيين والأموريين والكنعانيين والجِرْجاشيين واليَبُوسيين.

وفي الخروج ٣/٧ ـ ٨: فقال الرب ـ أي لموسى ـ: إني قد رأيت مذلَّة شعبي الذي في مصر. . . فنزلت لأنقذهم وأصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة وواسعة، إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً، إلى مكان الكنعانيين والحثيين والأموريين والفَرِزّيين والحِوّيين واليبوسيين.

٣/١٧: فقلت: أصعدكم من مذلَّة مصر إلى أرض الكنعانيين والحثيين والأموريين والفرزيين والحِوّيين واليبوسيين، إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً.

١٣/٥: ويكون متى أدخلك الرب إلى أرض الكنعانيين والحثيين والأموريين والحويين واليبوسيين التي حلفت لآبائك أن يعطيك أرضاً تفيض لبناً وعسلاً، أنك تصنع هذه الخدمة. . .

فالنصوص تدلُّ على أنه سبحانه وعدهم بعد إخراجهم من مصر بأرض تلك القبائل فقط. ولم يقل إنكم ستملكون نصف مصر وبلاد الشام كلها ونصف العراق. ثم إن هذه القبائل إنما كانت في بعض بلاد الشام.

وحده، وما هو بكبير، إنما مسافة مجراه من بحيرة الأردن وإلى مسقطه في البحيرة المنتنة نحو ستين ميلاً فقط.

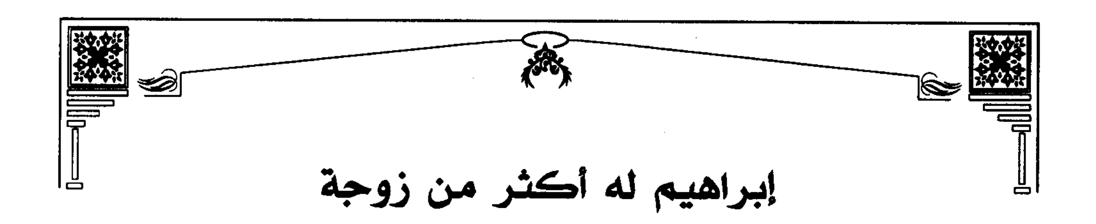
فإن قال قائل: إنما عَنَى الله بهذا الوعد بني إسماعيل عليه السلام. **قلنا**: وهذا أيضاً خطأ، لأن هذا القدر المذكور ههنا من الأرض أقل من جزء من مئة جزء مما ملّك الله عز وجل بني إسماعيل عليه السلام وأين يقع ما بين مصب النيل عند تِنيس وبين الفرات، ومن آخر الأندلس على ساحل البحر المحيط وبلاد البربر، كذلك إلى آخر السند وكابل مما يلي بلاد الهند ومن ساحل اليمن إلى ثغور أرمينية وأذربيجان فما بين ذلك؟ والحمد لله رب العالمين.

فكيف وهذه الدعوى باطلة لأن ذلك الكلام بعضه معطوف على بعض، فالموعودون بملك ذلك البلد هم المتوعدون بأنهم يُتملكون ويُعذبون في البلد الآخر[1] وقد أكرم الله تعالى بني إسماعيل وصانهم عن ذلك، فوضح الكذب الفاحش في الأخبار المذكورة، وصح أنه ليس من عند الله عز وجل، ولا من كلام نبي أصلاً، بل من تبديل وغد جاهل كالحمار بلادة، أو متلاعب بالدين، وفاسد المعتقد، ونعوذ بالله من الخذلان.

---

(١) يشير رحمه الله إلى ما جاء في سفر التكوين ١٥/١٣: فقال الله لأبرام: اعلم يقيناً أن نسلك سيكون غريباً في أرض ليست لهم، ويستعبدون، فيذلونهم أربعمئة سنة.

وهذا النص دليل صريح على بطلان ادعائهم، فإنه ينص صراحة على أن أرض مصر ليست لهم مطلقاً كلاً أو بعضاً.



إبراهيم له أكثر من زوجة

ثم ذكر موت سارة[1] وقال: تزوج إبراهيم عليه السلام امرأة اسمها قَطُورة، وولدت له زِمزان ويقشان ومَدَان ومِدْيان ويِشْبَق وشوحا، وأعطى إبراهيم جميع ماله لإسحاق، وأعطى بني الإماء عطايا وأبعدهم عن إسحاق[2].

قال أبو محمد رحمه الله: هذا نص الكلام كله متتابعاً مرتباً، ولم يذكر له زوجة في حياة سارة ولا أمة لها ولد إلا هاجر أم إسماعيل عليه السلام، ولا ذكر له بعد سارة زوجة ولا أمة ولا ولداً غير قطورة وبنيها. وفي كتبهم أن قطورة هذه بنت ملك الربذ، وهو موضع عمان اليوم بقرب البلقاء. وهذه أخبار يكذب بعضها بعضاً[3].

---

[1] موت سارة ودفنها مذكوران في سفر التكوين ٢٣/١ ـ ٢٠.

[2] جاء في سفر التكوين ٢٥/١ ـ ٦: وعاد إبراهيم فأخذ زوجة اسمها قَطُورة، فولدت له زِمْران ويَقْشان ومَدَان ومِدْيان ويَشْباق وشوحا... جميع هؤلاء بنو قطورة، وأعطى إبراهيم إسحاق كل ما كان له، وأما بنو السراري اللواتي كانت لإبراهيم، فأعطاهم إبراهيم عطايا وصرفهم عن إسحاق ابنه شرقاً إلى أرض المشرق، وهو بعد حي.

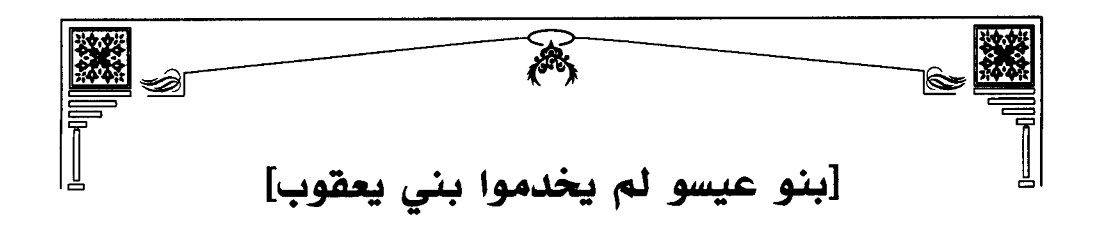
[3] من هم بنو السراري؟ فإنه لم يذكر لإبراهيم زوجة ولا أمة لها ولد حال حياة سارة إلا هاجر، ولم يذكر له زوجة بعد موتها ولا أمة غير قطورة. ويذكر ابن حزم رحمه الله أن قطورة هذه بنت ملك الربذ، فهي زوجة وليست أمة، فمن أهم أبناء الإماء الذين أبعدهم إبراهيم عن ابنه إسحاق وهو بعد حي؟ وماذا أعطى إبراهيم لأبنائه من زوجته قطورة؟ هل أبعدهم أيضاً؟

هل قطورة زوجة إبراهيم أو سريته؟

لم يذكر ابن حزم رحمه الله اسم المصدر الذي استقى منه أن قطورة هذه هي بنت ملك الربذ.

غير أنه جاء في سفر أخبار الأيام الأول ١/٣٢: وأما بنو قطورة سُرِّيَّةِ إبراهيم، فإنها ولدت زِمران ويقشان ومدان ومِدْيان ويشباق وشوحا.

فهل هي زوجة كما في التكوين، وبنت ملك الربذ كما نقل ابن حزم رحمه الله عن كتبهم؟ أو هي سُرِّيَّة كما في أخبار الأيام الأول؟ تناقض بين الأسفار لا نهاية له.



[بنو عيسو لم يخدموا بني يعقوب]

ثم ذكر أن رفقة بنت شوال بن تارَح زوجة إسحاق عليه السلام كانت عاقراً. قال: فشفعه الله وحملت، وازدحم الولدان في بطنها، وقالت: لو علمت أن الأمر هكذا يكون ما طلبته. ومضت لتلتمس علماً من الله عز وجل. فقال لها الله: في بطنك أمتان وحزبان يفترقان منه، أحدهما أكبر من الآخر، والكبير يخدم الصغير. فلما كانت أيام الولادة إذا بتوءمين في بطنها، وخرج الأول أحمر كله كفروة من شعر، فسمي عيسو، وبعد ذلك خرج أخوه، ويده ممسكة بعقب عيسو، فسماه يعقوب[1].

قال أبو محمد رحمه الله: لا مئونة[2] على هؤلاء السَّفَلة في أن ينسبوا الكذب إلى الله عز وجل، وحاش لله أن يكذب، ولا خلاف بينهم في أن عيسو لم يخدم قط يعقوب، وأن بني عيسو لم تخدم قط بني يعقوب، بل في التوراة نصاً أن يعقوب سجد على الأرض سبع مرات لعيسو إذ رآه، وأن يعقوب لم يخاطب عيسو إلا بالعبودية والتذلُّل المُفْرط وأن جميع أولاد يعقوب حاش بنيامين الذي لم يكن له ولد بعد، كلُّهم سجدوا لعيسو، وأن يعقوب أهدى لعيسو مداراة له خمسمئة وخمسين رأساً من إبل وبقر وحمير وضأن ومعز، وأن يعقوب رآها منَّة عظيمة إذ قبلها منه[3].

---

(١) قصة خِطبة رفقة وزواج يعقوب منها مذكورة في سفر التكوين ٢٤/ ١٥ ـ ٦٦.

وجاء في السفر نفسه ٢٥/ ١٩ ـ ٢٦: وهذه مواليد إسحاق بن إبراهيم: ولَدَ إبراهيم إسحاق، وكان إسحاق ابن أربعين سنة لما اتخذ لنفسه زوجة رفقة بنت بتوئيل الآرامي أخت لابان الآرامي من فدان أرام. وصلَّى إسحاق إلى الرب لأجل امرأته، لأنها كانت عاقراً، فاستجاب له الرب، فحبلت، وتزاحم الولدان في بطنها، فقالت: إن كان هكذا فلماذا أنا؟ ـ وعند الكاثوليك: إن كان الأمر هكذا، فمالي والحمل؟ ـ فمضت لتسأل الرب، فقال لها الرب: في بطنك أمتان، ومن أحشائك يفترق شعبان، شعب يَقْوَى على شعب، وكبير يُستعبد لصغير. فلما كملت أيامها لتلد، إذا في بطنها توأمان، فخرج الأول أحمر كله كفَروة شَعْر، فدعوا اسمه عيسو، وبعد ذلك خرج أخوه، ويده قابضة بعقب عيسو، فدعي اسمه يعقوب. وكان إسحاق ابن ستين سنة لما ولدتهما.

(٢) أي لا اكتراث. يقال: أتاني هذا الأمر فما مَأَنْتُ له، أو ما مَأَنتُ مَأْنَه: أي لم أكترث له، أو لم أشعر به، أو لم أتهيأ له. ومَأَّن الشيء تمئنة: هيأه.

(٣) جاء في سفر التكوين ٣٢/ ٣ ـ ٧: وأرسل يعقوب رسلاً قُدَّامه إلى عيسو أخيه إلى =

وأن بني عيسو لم تزل أيديهم على أَقْفاء بني إسرائيل من أول دولتهم إلى انقطاعها، إما يتملكون عليهم، أو يكونون على السواء معهم، وأن بني إسرائيل لم يملكوا قط أيام دولتهم بني عيسو[1].

فاعجبوا لهذه الفضائح أيها المسلمون، واحمدوا الله على السلامة مما ابتُلي به غيركم من الضلال والعَمَى.

= أرض سَعِير بلاد أدوم، وأمرهم قائلاً: هكذا تقولون لسيدي عيسو، هكذا قال عبدك يعقوب: تغرَّبت عند لابان، ولبثت إلى الآن، وقد صار لي بقر وحمير وغنم وعبيد وإماء، وأرسلت لأخبر سيدي لكي أجد نعمة في عينيك. فرجع الرسل إلى يعقوب قائلين: أتينا إلى أخيك عيسو، وهو أيضاً قادم للقائك، وأربعمئة رجل معه. خاف يعقوب جداً، وضاق به الأمر.

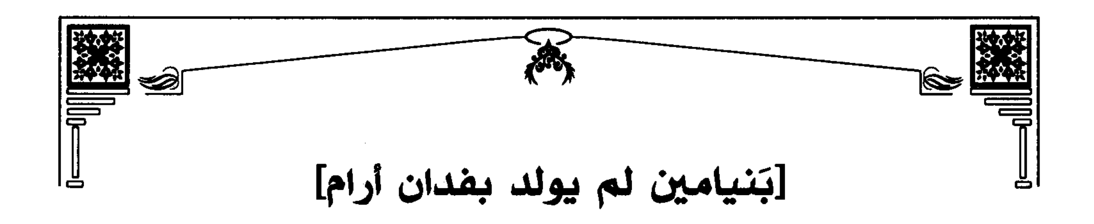
ـ ٣٢/٩ ـ ١١: وقال يعقوب: يا إلٰه أبي إبراهيم وإلٰه إسحاق... نجِّني من يد أخي، من يد عيسو، لأني خائف منه أن يأتي ويضربني، الأم مع البنين.

ـ ٣٢/١٣ ـ ٢٠: وبات هناك تلك الليلة، وأخذ مما أتى بيده هدية لعيسو أخيه... ودفعها إلى عبيده... وأمر الأول قائلاً: إذا صادفك عيسو أخي وسألك: لمن أنت؟ وإلى أين تذهب؟ ولمن هذا الذي قدامك؟ تقول: لعبدك يعقوب، هو هدية مرسلة لسيدي عيسو، وهو أيضاً وراءنا. وأمر أيضاً الثاني والثالث وجميع السائرين وراء القطعان قائلاً: بمثل هذا الكلام تكلمون عيسو جميعاً حينما تجدونه وتقولون: هوذا عبدك يعقوب أيضاً وراءنا.

ـ ٣٣/١ ـ ١٤: ورفع يعقوب عينيه ونظر، وإذا عيسو مقبل ومعه أربعمئة رجل، فقسم الأولاد على ليئة وعلى راحيل وعلى الجاريتين... وأما هو فاجتاز قدامهم وسجد إلى الأرض سبع مرات حتى اقترب من أخيه، فركض عيسو للقائه وعانقه، ووقع على عنقه وقبَّله وبكيا، ثم رفع عينيه وأبصر النساء والأولاد وقال: ما هؤلاء منك؟ فقال: الأولاد الذين أنعم الله بهم على عبدك. فاقتربت الجاريتان هما وأولادهما وسجدتا، ثم اقتربت لَيئة أيضاً وأولادها وسجدوا، وبعد ذلك اقترب يوسف وراحيل وسجدا. فقال: ماذا منك كل هذا الجيش الذي صادفته؟ فقال: لأجد نعمة في عيني سيدي. فقال عيسو: لي كثير يا أخي، ليكن لك الذي لك. فقال يعقوب: لا، إنْ وجدتُ نعمة في عينيك تأخذْ مني هديتي، لأني رأيت وجهك كما يُرى وجه الله، فرضيت علي... وألحَّ عليه فأخذ. ثم قال: لنرحل، وأذهب أنا قدامك. فقال له: سيدي عالم أن الأولاد رَخْصَة، والغنم والبقر الذي عندي مرضعة... ليجتز سيدي قدام عبده، وأنا أستاق على مهلي... حتى أجيء إلى سيدي إلى سعير.

(١) جاء في سفر التثنية ٢/٤ ـ ٦: وأوصِ الشعب قائلاً: أنتم مارون بتُخم إخوتكم بني عيسو، الساكنين في سعير، فيخافون منكم، فاحترزوا جداً، لا تهجموا عليهم، لأني لا أعطيكم من أرضهم ولا وطأة قدم، لأني لعيسو قد أعطيت جبل سعير ميراثاً. طعاماً تشترون منهم بالفضة لتأكلوا، وماء أيضاً تبتاعون منهم بالفضة لتشربوا.

وجاء في سفر يشوع بن نون ٢٤/٤: وأعطيت عيسو جبل سعير ليملكه، وأما يعقوب وبنوه فنزلوا إلى مصر.



[بَنيامين لم يولد بفدان أرام]

بعد ذلك قال: وأولاد يعقوب اثنا عشر، فأولاد لَيْئة: رأوبين بكر يعقوب، وشمعون ولاوي ويهوذا ويساخر وزبلون، وأبناء راحيل: يوسف وبنيامين، وابنا بِلْهةَ أمةِ راحيل: دان ونفتالي، وابنا زِلفة أمةِ ليئة: جاداً وأشير. هؤلاء بنو يعقوب الذين ولدوا له بفدَّان أرام[1].

قال أبو محمد رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا كذب ظاهر، لأنه ذكر قبلُ أن بنيامين لم يولد ليعقوب إلا بأقراشا بقرب بيت لحم، على أربعة أميال من بيت المقدس بعد رحيله من فدان أرام بدهر[2]. والله تعالى لا يتعمَّد الكذب، ولا ينسَى هذا النسيان.

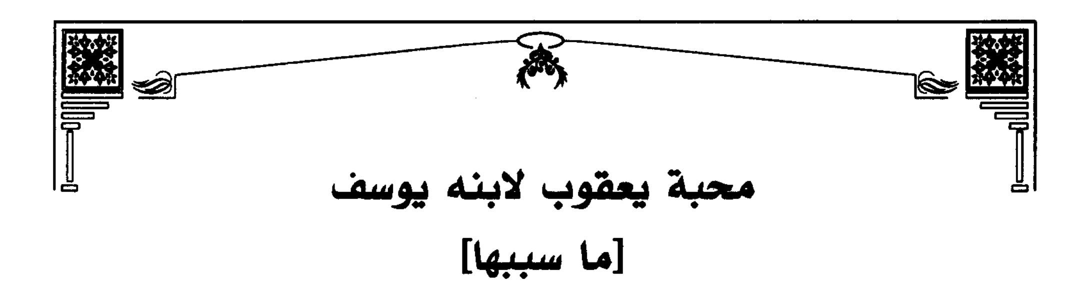
---

[1] هذا النص مذكور في سفر التكوين ٣٥/ ٢٣ ـ ٣٦ بألفاظ متقاربة.

[2] جاء في سفر التكوين ٣٥/ ٩: وظهر الله ليعقوب أيضاً حين جاء من فدان أرام وباركه.

٣٥/ ١٦ ـ ٢٠: ثم رحلوا من بيت إيل، ولما كان مسافة من الأرض بعدُ حتى يأتوا إلى أفراتة ـ وعند الكاثوليك: وبينما هم على نحو ميل من أفراتة ـ ولَدت راحيل، وتعسرت ولادتها، وحدث حين تعسرت ولادتها أن القابلة قالت لها: لا تخافي، لأن هذا أيضاً ابن لك. وكان قبل أن تفيض نفسها عند موتها أنها سمته ابن أوني ـ وعند الكاثوليك: ابن ألمي ـ وأما أبوه فدعاه بَنيامين. وماتت راحيل، ودُفنت في طريق أفراتة التي هي بيت لحم.

فكيف ذكر الكاتب أنه ممن ولد بفدان أرام؟! ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ۝٨٢﴾ [النساء: ٨٢].



محبة يعقوب لابنه يوسف

[ما سببها]

وبعد ذلك قال: وكان إسرائيل يحب يوسف، لأنه كان وُلد له في شيخوخته[1].

قال أبو محمد رَحِمَهُ اللهُ: هذه العلّة توجب محبة بنيامين، لأنه ولد بعد يوسف بأزيد من ست سنين بنص توراتهم، وتوجب مشاركة يسّاكر وزبولون في المحبة ليوسف؛ لأنه ذكر قبل هذا أن يعقوب قال للابان خاله: خدمتك عشرين سنة، من ذلك أربع عشرة سنة لابنتيك، وست سنين لأدواتك[2].

وذكر أنه بعد سبع سنين أعطاه لَيئة، وبعد سبعة أيام أعطاه راحيل، ولم يكن بينهما إلا سبعة أيام، وهو أسبوع ليئة فقط، وأن ليئة ولدت له رَأوبين ثم شمعون، ثم لاوي، ثم يهوذا، ثم قعدت عن الولد، وأن راحيل أعطت بعد ذلك يعقوب أمتها بِلهة، فتزوجها، فولدت له دانا ثم نفتالي، ثم أعطت ليئة أمتها زلفة ليعقوب، فتزوجها، فولدت له جاداً ثم أشير، ثم أطلقت له راحيل مماسة ليئة في لُفّاح[3] أخذته منها، فولدت له راحيل يوسف، ثم بعد ولادة يوسف ابتدأ يعقوب بمعاملة خاله لابان على أجرة ذكرها لرعاية غنمه، فرعاها له ست سنين. هذا كله نص توراتهم[4].

---

[1] جاء في سفر التكوين ٣٧/ ٢ ـ ٤: يوسف إذ كان ابن سبع سنين، كان يرعى مع إخوته الغنم، وهو غلام مع بني بِلْهة وبني زِلفة امرأتي أبيه. وأتى يوسف بنميمتهم الرديئة إلى أبيهم ـ وعند الكاثوليك: أخبر أباهم عنهم بريبة شنيعة ـ وكان إسرائيل يحب يوسف أكثر من سائر بنيه، لأنه ابن شيخوخته، فصنع له قميصاً ملوناً، فلما رأى إخوته أن أباهم أحبَّه أكثر من الجميع أبغضوه، ولم يستطيعوا أن يكلموه بسلام.

[2] في سفر التكوين ٣١/ ٤١: الآن لي عشرون سنة في بيتك، خدمتك أربع عشرة سنة بابنتيك، وست سنين بغنمك.

[3] لُفّاح ـ كَرُمّان ـ نبت يشبه الباذنجان، وثمره اليَبْروح. [القاموس].

[4] قصة خدمة يعقوب لخاله لابان، وما زعمه اليهود فيها من تلاعب لابان وغش =

فصح أن يوسف كان له عند تمام الست سنين ست سنين فقط بلا شك،

= يعقوب مذكورة في الفصول ٢٩ و٣٠ و٣١ من سفر التكوين، ويأتي الحديث عنها في القسم الرابع إن شاء الله. والذي استشهد به ابن حزم هنا هو ما جاء في ٢٩/ ٢٠ ـ ٣٠: فخدم يعقوب براحيل سبع سنين، ثم قال للابان: أعطني امرأتي، لأن أيامي كملت، فأدخل عليها. وفي المساء أخذ لابان ليئة وأتى بها إليه، فدخل عليها، وفي الصباح إذا هي ليئة، فقال: ما الذي صنعت بي؟... فقال لابان: أكمل أسبوع هذه فنعطيك تلك أيضاً بالخدمة سبع سنين أخر. فأكمل يعقوب أسبوع ليئة، ثم دخل على راحيل، وخدم سبع سنين أخر.

ورأى الرب أن ليئة مكروهة، ففتح رحمها، وأما راحيل فكانت عاقراً. فحبلت لَيئة وولدت ابناً دعت اسمه رَأبين، وحبلت أيضاً وولدت ابناً، فدعت اسمه شِمعون، وحبلت أيضاً وولدت ابناً، دُعي اسمه لاوي، وحبلت أيضاً وولدت ابناً، ودعت اسمه يهوذا، ثم توقفت عن الولادة.

ـ ٣٠/ ١ ـ ٢٥: فلما رأت راحيل أنها لم تلد غارت من أختها، فأعطته بلهة جاريتها، فدخل عليها، فحبلت وولدت ابناً، دعت راحيل اسمه داناً، وحبلت أيضاً بلهة، وولدت ابناً ثانياً، فدعت راحيل اسمه نَفتالي.

ولما رأت ليئة أنها توقفت عن الولادة أخذت زِلفة جاريتها وأعطتها ليعقوب، فولدت ابناً، دعت ليئة اسمه جاداً، وولدت ابناً ثانياً، فدعت ليئة اسمه أَشِيْر.

ومضى رأبين فوجد لُفّاحاً في الحقل، وجاء به إلى أمه ليئة. فقالت راحيل لليئة: أعطني من لفاح ابنك. فقالت ليئة: أخذت رجلي، فتأخذين لفاح ابني أيضاً. قالت راحيل: إذاً يضطجع معك الليل عوضاً عن لفاح ابنك... فاضطجع معها تلك الليلة، فحبلت وولدت ابناً خامساً، فدعت اسمه يَسَّاكر، وحبلت أيضاً وولدت ابناً سادساً، فدعت اسمه زبولون، ثم ولدت بنتاً دعت اسمها دِينة.

وسمع الله لراحيل، فحبلت ووَلَدت ابناً، ودعت اسمه يوسف. وحدث لما ولدت راحيل يوسف أن يعقوب قال للابان: اصرفني لأذهب إلى مكاني وأرضي، أعطني نسائي وأولادي الذين خدمتك بهم فأذهب.

ـ ٣٥/ ١٦ ـ ١٩: ثم رحلوا من بيت إيل، ولما كان مسافة من الأرض حتى يأتوا إلى أفراتة ولدت راحيل وتعسَّرت ولادتها... وكان عند خروج نَفْسها أنها دعت اسمه بَنْ أُوني، وأما أباه فدعاه بنيامين. فماتت راحيل، ودفنت في طريق أفراتة التي هي بيت لحم. اهـ.

والذي يريد ابن حزم رحمه الله استنتاجَه من ذلك وإلزامَ اليهود به، أن يَسّاكر الابن الخامس لليئة، وزبولون الابن السادس لها ولدا في السنة التي ولد فيها يوسف نفسها كما يفهم من النص، فالعلة التي عللوا بها محبة يعقوب ليوسف عليه السلام غير صحيحة؛ لمشاركتهما له فيها.

ويُستنتج من النص أيضاً أن يعقوب عليه السلام طلب من لابان الانصراف بعد ولادة يوسف عليه السلام وكان قد خدم بحسب الاشتراط أربع عشرة سنة، لكن يعقوب عاد واتفق مع لابان، وبقي عنده ست سنين أخرى، فصح أن يوسف كان له عند تمام الست سنين، أي تمام العشرين، ست سنين. وأما بنيامين فولد في الطريق بعد الرحيل، فكان أصغر من يوسف بأكثر من ست سنين. فهو الذي ولد في الشيخوخة حقاً. وبذلك يبطل تعليلهم.

وأن جميع أولاد يعقوب ـ حاشا بنيامين ـ فإنما ولدوا ولا بدَّ في السبع سنين التي كانت قبل الست سنين المذكورة بلا شك، والأولاد سبعة، ففي كل عشرة أشهر ولدت ولداً، لا يمكن أقل من هذا، فلا شك أن زبولون لا يزيد على يوسف إلا سنة واحدة فقط، ولا يزيد عليه يسَّاكر إلا سنتين فقط، وأقل من هذا على أن تلغى المدة التي ذكرنا أن ليئة قعدت فيها عن الولد، والمدة التي اعتزلها فيها يعقوب، ولا بد أن لها مقداراً ما. فعلى هذا، فزبلون ويوسف ولدا معاً، والمدة المذكورة تضيق عن هذه القسمة.

ففي هذا الخبر كذب مقطوع به ضرورة ولا بدّ، ولا يجوز قليل الكذب ولا كثيره على الله تعالى، ولا على الأنبياء. فصح أنها مفتعلة مبدَّلة[1]. ولو كان لهذا الخبر وجه وإن غمض، ومخرج وإن بعد، أو أمكنت فيه حيلة، أو سانح فيه تأويل، ما ذكرناه، ونسأل الله العافية.

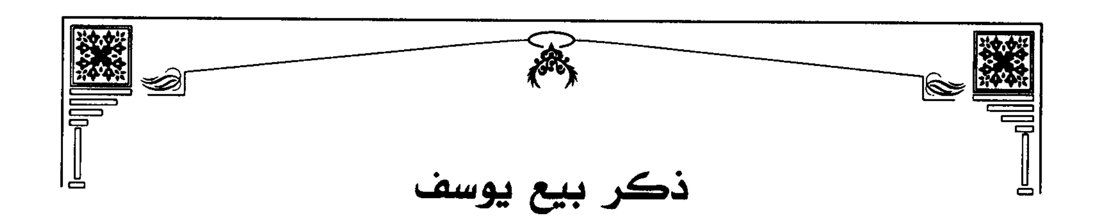
[تنبيه]: وفي توراتهم عند ذكر أولاد عيسو خَبَال شديد، وتخليط في الأسماء والوالدات[2]، إلا أنه ربما خُرِّج على وجوه بعيدة ضعيفة، فلم نعتنِ بإيراده لذلك، ولكن نبهنا عليه، فالأظهر الأغلب فيه الكذب، وأنه إيراد جاهل بتلك القضية بلا شك. وبالله تعالى نستعين.

---

(١) يريد توراة اليهود المبدَّلة.

(٢) الخَبال والخَبْل ـ بسكون الباء ـ: الفساد. وخَبَله ـ من باب ضربه ـ تخبيلاً واختبله، إذا أفسد عقله أو عضوه. [مختار الصحاح].

وقد جاء ذكر مواليد عيسو في سفر التكوين ٣٦/١ ـ ١٩ و٤٠ ـ ٤٣، وفي سفر أخبار الأيام الأول ١/٣٥ ـ ٤٢، وفيهما فساد مُعقَّد.



ذكر بيع يوسف

ثم ذكر بَيْع إخوة يوسف ليوسف عليه السلام وأن إخوته كانوا مجتمعين حينئذ يَرْعون أذوادهم(١).

---

(١) جاء في سفر التكوين ٣٧/ ٤ ـ ١١: فلما رأى إخوته أن أباهم أحبه أكثر من جميع إخوته أبغضوه، ولم يستطيعوا أن يكلّموه بسلام. وحَلُم يوسف حُلْماً، وأخبر إخوته، فازدادوا أيضاً بغضاً له، فقال لهم: اسمعوا هذا الحلم الذي حَلُمت: فها نحن حازمون حُزَماً في الحقل، وإذا حُزمتي قامت وانتصبت، فأحاطت حُزَمكم وسجدت لحزمتي. فقال له إخوته: ألعلكَ تملك علينا ملكاً، أم تتسلط علينا تسلطاً... ثم حَلُم أيضاً حُلْماً آخر وقصه على إخوته فقال: إني قد حَلُمت حلماً أيضاً، وإذا الشمس والقمر وأحد عشر كوكباً ساجدة لي. وقصَّه على أبيه وإخوته، فانتهره أبوه وقال له: ما هذا الحلم الذي حلمت؟ هل نأتي أنا وأمك وإخوتك لنسجد لك إلى الأرض؟ فحسده إخوته، وأما أبوه فحفظ الأمر.

٣٧/ ١٢ ـ ١٧: ومضى إخوته ليرعوا غنم أبيهم عند شَكيم. فقال إسرائيل ليوسف: أليس إخوتك يرعُون عند شكيم؟ تعالَ فأرسلك إليهم. فقال له: هأنذا. فقال له: اذهب انظر سلامة إخوتك وسلامة الغنم وردَّ لي خبراً... فذهب يوسف وراء إخوته، فوجدهم في دوثان.

٣٧/ ١٨ ـ ٢٤: فلما أبصروه من بعيد... احتالوا ليميتوه... فقال بعضهم لبعض:... هَلُمّ نَقْتلْه ونطرحه في إحدى الآبار، ونقول: وحش رديء أكله.... فسمع رَأْبين وأنقذه من أيديهم وقال: لا نقتله، وقال: لا تسفكوا دماً، اطرحوه في هذه البئر التي في البرية، ولا تمدوا إليه يداً، لكي ينقذه من أيديهم ليرده إلى أبيه. فكان لما جاء يوسف إلى إخوته أنهم خلعوا عنه القميص الملونَ الذي عليه، وأخذوه وطرحوه في البئر. وأما البئر فكانت فارغة، ليس فيها ماء.

ـ ٣٧/ ٢٥ ـ ٢٨: ثم جلسوا ليأكلوا طعاماً، فرفعوا عيونهم ونظروا، وإذا قافلة إسماعيليين مقبلة من جِلعاد... ذاهبين إلى مصر. فقال يهوذا: ما الفائدة أن نقتل أخانا ونخفي دمه؟ تعالوا فنبيعه للإسماعيليين، ولا تكن أيدينا عليه، لأنه أخونا ولحمنا، فسمع له إخوته. واجتاز رجال مديانيون تجار، فسحبوا يوسف وأصعدوه من البئر، وباعوه للإسماعيليين بعشرين من الفضة، فأتَوا به إلى مصر.

٣٧/ ٢٩ ـ ٣٥: ورجع رأبين إلى البئر، وإذا يوسف ليس في البئر، فمزق ثيابه، ثم رجع إلى إخوته وقال: ليس الولد موجوداً... فأخذوا قميصه، وذبحوا تيساً من المعزي، وغمسوا القميص في الدم، وأرسلوا القميص الملوَّن، وأحضروه إلى أبيهم وقالوا: وجدنا هذا، حقق أقميص ابنك هو أم لا؟... وبكَى عليه أبوه. =

= ٣٦/٣٧: وأما المديانيون، فباعوه في مصر لفوطيفار، خصيّ فرعون رئيس الشُّرَط.

تصويب القرآن لما في هذه القصة من أخطاء:

ولا ريب أن هذه القصة من بقايا الوحي في كتابهم، لكنها لم تَسْلَم من الأخطاء بسبب انعدام السند الصحيح المتصل بنقل الثقات الحافظين الفاهمين الحريصين عن مثلهم لدى أهل الكتاب. والقرآن الكريم يذكرها باختصار مفيد على حقيقتها، ويصوِّب أخطاءها. وأهمها ما يلي:

١ ـ إن يوسف عليه السلام لم يخبر إخوته برؤياه، وإنما أخبر أباه، وقد أدرك يعقوب عليه السلام منها أن ابنه سيكون له شأن عند الله وعند الناس، لكنه خشي عليه من حسد إخوته، فأوصاه بالكتمان، لئلا يغريهم الشيطان بالكيد له، ثم بيَّن له أن الله سبحانه سيصطفيه بالنبوة، ويعلِّمه تفسير الرؤى، ويتم نعمته عليه. قال تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَـٰجِدِينَ ۝٤ قَالَ يَـٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [يوسف: ٤ ـ ٦].

٢ ـ إن تآمر إخوته عليه والتفكير في قتله أو طرحه في البئر إنما تمَّ وهم عند أبيهم قبل أن يذهبوا إلى المرعَى. قال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَـٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَـٰلِحِينَ ۝٩ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَـٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ﴾ [يوسف: ٧ ـ ١٠].

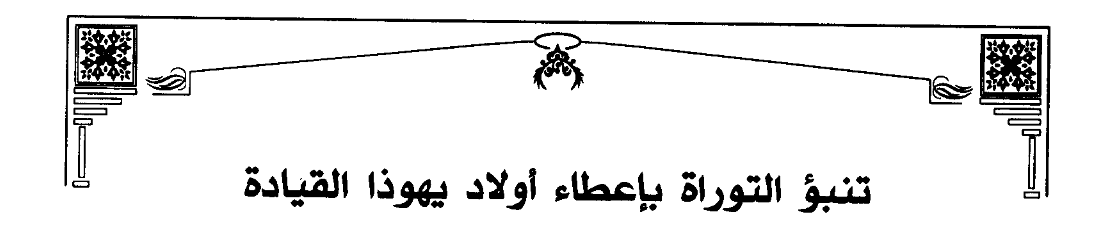
٣ ـ لم يرسل يعقوب عليه السلام ابنه يوسف عليه السلام خَلْف إخوته إلى المَرْعَى بعد خروجهم، بل هم الذين طلبوا من أبيهم أن يرسله معهم، فإنهم شعروا أن أباهم يبعده عنهم، فراحوا يحتالون كي يأخذوه معهم، وألحوا في ذلك، فأبدَى مخاوفه بطريقة لبقة، ثم وافق. قال سبحانه: ﴿قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَـٰصِحُونَ ۝١١ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝١٢ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَـٰفِلُونَ ۝١٣ قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ۝١٤ فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَـٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَـٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: ١١ ـ ١٥].

٤ ـ في توراتهم أن رَأبين هو الذي مانع في قتله، واقترح طرحه في البئر. وعارض في ذلك المحقِّق لوسيان جوتيه، فرجَّح أنه يهوذا اعتماداً على أن المذكور في بقية سياق الجملة (٢٦) هو يهوذا وليس رأبين. [الفكر الديني اليهودي لحسن ظاظا ص٢٩].

جاء في سفر التكوين ٢١/٣٧ ـ ٢٢: فسمع رأبين وأنقده من أيديهم وقال لهم: لا تسفكوا دماً، اطرحوه في هذه البئر، ولا تمدوا إليه يداً، لكي ينقذه من أيديهم، ليرده إلى أبيه.

٢٦/٣٧ ـ ٢٧: فقال يهوذا لإخوته: ما الفائدة أن نقتل أخانا ونخفي دمه؟ تعالوا فنبيعه للإسماعيليين، ولا تكن أيدينا عليه، لأنه أخونا ولحمنا. فسمع له إخوته.

٥ ـ من الذي باعه في مصر؟ =



تنبؤ التوراة بإعطاء أولاد يهوذا القيادة

ثم ذكر أنه ﷺ قال ليهوذا حينئذ: لا تنقطع من يهوذا المِخْصرة، ولا من نسله قائد، حتى يأتي المبعوث الذي هو رجاء الأمم[1].

= جاء في سفر التكوين ٣٧/٢٨: واجتاز رجال مديانيون تجار، فسحبوا يوسف وأصعدوه من البئر، وباعوه للإسماعيليين بعشرين من الفضة، فأتوا به إلى مصر.

ـ ٣٧/٣٦: وأما المديانيون، فباعوه في مصر لفوطيفار خصي فرعون رئيس الشرط.

ففي الجملة (٢٨) ذكر الكاتب أن المديانيين أصعدوه من البئر وباعوه للإسماعيليين، فأتى به الإسماعيليون إلى مصر. وهذا يعني أنهم هم الذين باعوه في مصر. وفي الجملة (٣٦) ذكر أن المديانيين هم الذين باعوه في مصر. فهذا اضطراب كبير.

وفي القرآن الكريم توضيح وتصويب لهذا الاضطراب والتناقض، حيث قال سبحانه بعد أن ذكر عودة إخوة يوسف إلى أبيهم بقميصه الملطَّخ بالدم المكذوب: ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ﴾ [يوسف: ١٩ ـ ٢١] فالقافلة أصعدته، والقافلة باعته في مصر، كل ذلك بعد ذهاب إخوته. وذكر هذه القصة وما فيها من حقائق وتصويبات دليل على نبوة محمد ﷺ ونزول الوحي عليه بهذا الكتاب.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨ ـ ٤٩].

(١) **وصية يعقوب لبنيه وبشارته بمحمد ﷺ:**

ـ جاء في سفر التكوين ٤٩/١: ودعا يعقوب بنيه وقال: اجتمعوا لأنبئكم بما يصيبكم في آخر الأيام.

٤٩/٨ ـ ٩: يهوذا، إياك يحمد إخوتك، يدك على قفا أعدائك، يسجد لك بنو أبيك. يهوذا شبل أسد، من فريسة صَعِدتَ يا بني. جثا وربض كأسد وكلبوة، من ينهضه؟

٤٩/١٠: لا يزول قضيبٌ ـ وعند الكاثوليك: صَولجانٌ ـ من يهوذا، ومُشْتَرِع من بين رجليه ـ وعند الكاثوليك: من صلبه ـ حتى يأتي شِيلُون ـ وعند الكاثوليك: شِيلُو ـ وله يكون خضوع شعوب. وعند الكاثوليك: وتطيعه الشعوب.

وقد ترجمه البروفسور عبد الأحد داود، في كتابه محمد في الكتاب المقدَّس ص٧٩ من اللغة العبرية وذكره بلفظ: «لا يزول صولجانٌ من يهوذا أو مشرع من بين قدميه حتى يأتي شَيلوه، ويكون له خضوع الشعوب». وقال: هذه هي الترجمة الحرفية للنص العبري بقدر ما أستطيع أن أفهمه.

والصولَجان ـ بفتح اللام ـ: المِجَنّ، فارسي معرب، والجمع: الصوالجة بكسر اللام. =

= والمِخصرة ـ بكسر الميم ـ كالسوط، وكل ما اختصر الإنسان بيده فأمسكه من عصا ونحوها، فهي بمعنى القضيب. [مختار الصحاح].

وذكر الشيخ رحمة الله الهندي في إظهار الحق ٢/ ٢٥٢: أن النص في الترجمات المطبوعة عام١٧٢٢ و١٨٤٤م بلفظ: «فلا يزول القضيب من يهوذا والمدبر من فخذه، حتى يجيء الذي له الكل، وإياه تنتظر الأمم». وفي الترجمة المطبوعة عام ١٨١١م: «فلا يزول القضيب من يهوذا، والراسم من تحت أمره، إلى أن يجيء الذي هو له، وإليه تجتمع الشعوب».

وعند ابن كمونة اليهودي في تنقيح الأبحاث ص٦٣: «لا يزول القضيب من يهوذا، أو الراسم من بين أقدامه، إلى أن يجيء الذي له الأمر، وله تجتمع الشعوب».

وترجمه الحكيم السموءل في بذل المجهود ص٦٠ بلفظ: «لا يزول الملك من آل يهوذا والراسم من بين ظهرانيهم إلى أن يجيء المسيح».

وفسره القَرافي في الأجوبة الفاخرة ص٧١ بما يلي: «لا يُزال الملك من آل يهوذا، والراسم من بين ظهرانيهم، إلى أن يأتي المسيح».

وفي التوراة السامرية: «لا يزول القضيب من يهوذة، والمرسم من بين بنوده، حتى يأتي سليمان، وإليه تنقاد الشعوب».

وفي الترجمة الإنكليزية للكتاب المقدس المطبوع في نيويورك:

Judah will hold the royal scepter, And his descendansts will always rule. Nutions will bring him tribute. And bow in obedience before him.

وقد اختلف الناس في معنى شيلون وفَهْم النص وتعيين المبشَّر به. وإليك آراءهم ووجهات نظرهم، ثم التحليل والموازنة.

ما معنى شيلون؟

١ ـ حرص بعضهم على أن يذكر هذا اللفظ كما هو بدون تعليق.

قال عبد الأحد داود في كتابه (محمد في الكتاب المقدس) ص٧٩ ـ ٨٠: تتكون شيلوه SHILOH في اللغة العبرية من أربعة أحرف (شين، يود، لاميد، وهي). وبقدر ما أستطيع أن أتذكر، فإن جميع نسخ العهد القديم قد احتفظت بكلمة شيلوه الأصلية دون إعطائها أية ترجمة أو تفسير. وكذلك الترجمة السبعينية، فقد احتفظت بها كما هي.

قال: وإذا كانت الكلمة مشتقة من الفعل (شَلَه ـ SHALAH) فإنها تعني المسالم والهادئ والوديع والموثوق. والصيغة الآرامية (شيليا ـ SHILYA) من نفس الجذر شالا أو شلا. أو كانت مشتقة من (شلو) بمعنى أرسل، فيكون اسم المفعول (SHLUH)، ومعناه المرسل أو النبي.

قال: وكلمة (بشيتا) باللغة السريانية تعني الشخص الذي تخصُّه. فيكون المعنى: حتى يأتي الشخص الذي تخصه.اهـ.

٢ ـ ذكر جماعة من اللاهوتيين في المجلّة الأولى من تفسير الكتاب المقدس ص٤٦٠ أن =

....

= هذه العبارة غير واضحة، ويبدو أن أفضل تفسير لها هو الذي يعد نوعاً من الحديث عن (المسيّا) وإذا تحرك الحرف الساكن، وهو أمر مسموح به في اللغة العبرية، فإن الكلمة يمكن أن تترجم بالذي له.

٣ ـ جاء في التعليق على الكتاب المقدس المطبوع عام ١٩٧٦م: «شيلون، أي أمان، وعند بعضهم معناها: الذي له».

٤ ـ وعدّه بعضهم تحريفاً من الناسخ، وحاول أن يصحح هذا التحريف.

فَسَعد بن يوسف الفيومي قال: هي شِلُو، وهي بالعبرية معناها: الذي له، الذي ينتمي له، صاحبُه.

ويرى الفرنسي جنيبير في تصحيحه أن تُقرأ موشلو بدلاً من شيلو. ومعناها حاكمه والمسيطر عليه.

والترجمة الرسمية للحاخامية اليهودية بفرنسا تقرأها شالِيُو. ومعناها المسالم المتمسك بالهدوء والسكون.

وكلها افتراضات حول نص غامض، لا سبيل إلى الوصول لوجه الحقيقة فيه. [الفكر الديني اليهودي ص٩٨ ـ ٩٩].

أما الصولجان أو المخصرة أو القضيب، فالمراد به السلطة الدنيوية، وأما المشترع أو المشرع أو الراسم، فالمراد التشريع أو النبوة. والضمير (it) وهو لغير العاقل، يشير إلى القضيب أو المشرع بصورة منفصلة أو مجتمعة. ويكون المعنى أن الطابع الملكي المتنبئ لن ينقطع من يهوذا إلى أن يجيء الشخص الذي يخصُّه هذا الطابع، ويكون له خضوع الشعوب. [محمد في الكتاب المقدس ص٧٩].

قال عبد الأحد ص٨١: وهناك إجماع بين المعلِّقين والشرَّاح على أن الصولجان والمشرع معناه السلطة والنبوة على التوالي. وهذا يعني عملياً صاحب الصولجان والشريعة، أو الذي يمتلك السلطة وحق التشريع، وتخضع له الشعوب، فمن يكون؟

أ ـ **ذهب اليهود** إلى أن المراد بشيلون المسيح المنتظر الذي يأتي في آخر الزمان، وينصر دين موسى ﷺ ويظهر الحق على يديه. وهم لا يزالون ينتظرون مسيحاً عسكرياً له سلطة دنيوية، يجمع شمل إسرائيل المبعثر، ويقيم لهم دولتهم معيداً مجد مملكة داود، وتخضع له العديد من الأمم. [الأجوبة الفاخرة ص٧٢، محمد في الكتاب المقدس ص٨٤].

غير أن ابن كمونة اليهودي؛ قال في تنقيح الأبحاث ص٦٤: والأظهر أن المراد البشارة بداود. والمعنى: لا يزول السبط من يهوذا، ولا الرئاسة من بين ظهرانيهم إلى أن تبلغ رياستهم في الزيادة إلى أن يملك داود، ويتفق على تمليكه جميع شعوب إسرائيل.

ب ـ **وذهب النصارى** إلى أن المراد بشيلون المسيح ﷺ، فهو المبشَّر به، ومعنى النص: سيبقى الملك مع اليهود إلى أن يأتي المسيح.

قالوا: وكذلك كان، فإنه ما زال لليهود ملوك ودول إلى زمن المسيح، فلما ظهر بطلت النبوة فيهم، وانقطع الملك عنهم، وصاروا محتقرين مذمومين. [وانظر: إظهار الحق ٢/ ٢٥٣، =

. . . .

= بذل المجهود ص٦٢، تنقيح الأبحاث ص٦٣، الأجوبة الفاخرة ص٦١، تعليق أحمد حجازي على التوراة السامرية ص٣٦١ و٤١٠، محمد في الكتاب المقدس ص٨٤].

مناقشة ادعاء أهل الكتاب:

ينتج عن اعتقاد اليهود أن كلاً من الصولجان الملكي والخلافة النبوية كانتا ولا تزالان في ذلك السبط، لأنهما تخصانه، ولكن هاتين المؤسستين انقرضتا منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً، فقد اختفى سبط يهوذا مع سلطتيه الملكية والتشريعية. ومن الشروط الأساسية إبقاء وجود السبط وهُويته يعيش في أرضه، أو في مكان آخر على الأقل بصورة جماعية، ويتحدث بلغته الخاصة، غير أن الوضع معكوس تماماً، فمن الصعب على اليهودي أن يثبت أنه ينتمي إلى أحد الأسباط الاثني عشر. واليهود مضطرون أن يقبلوا بواحد من أمرين: إما التسليم بأن شيلوه قد جاء من قبل وأن أجدادهم لم يتعرفوا عليه، أو أن يقبلوا بأن سبط يهوذا لم يعد له وجود، وهو السبط الذي يزعمون أن شيلوه ينحدر منه. [محمد في الكتاب المقدس ص٨٤].

وقد أدرك ابن كمونة اليهودي ذلك، إذ من الواضح أن الصولجان والمشرع سيظلان في سبط يهوذا طالما أن شيلوه لم يظهر. ولذلك قال: «والأظهر أن المراد البشارة بداود». فأوقع نفسه في خطأ أكبر؛ إذ من الأوضح أنه ليس داود ﷺ لأنه كان أول ملك ينحدر من نسل يهوذا. [محمد في الكتاب المقدس ص٨١].

وما دام اليهود ينتظرون مسيحياً عسكرياً قوياً يجمع أشتاتهم، ويعيد لهم مملكة داود، فإنهم لم ولن يعترفوا بعيسى ﷺ؛ لأنه ولد في مزود كما يقول النصارى، وكان مجرد واعظ يقف على جبل الزيتون.

وقد ردَّ ابن كمونة في تنقيح الأبحاث ص٦٤ على ادِّعاء النصارى فقال: إن الملك زال من آل يهوذا قبل إيشوع المسيح بأكثر من أربعمئة عام، والملوك في البيت الثاني كانوا من بني (حمشوناي)، وهم هارونيون من سبط لاوي، وكان الملك من بعدهم في هيرودس، وبعده في أولاده، ولم يكن أيضاً من سبط يهوذا.

وقال أيضاً: وليس لهم أن يقولوا إن يعقوب كنَّى بيهوذا عن اليهود بأسرهم، تسميةً لكل الشيء بأشرف ما فيه، لأنه يقال: إن هذا غير محتمل؛ فإن يعقوب خصَّ كل واحد من أولاده بما يكون منه، وخص يهوذا بهذا القول، فلا يكون اسمه عبارة عن الجملة. ثم قولهم: «إن القضيب هو قضيب الملك، والراسم هو النبي غير متيقَّن؛ فالنبوة انقطعت قبل ظهور المسيح بما يزيد عن ثلاثمئة عام، واللفظة المستعملة في اللغة العبرية بمعنى القضيب تستعمل بمعنى السبط أيضاً، فقد يمنع المانع أنها استعملت للقضيب، أو أن المراد بالقضيب إن استعملت له قضيب الملك.

ورد الشيخ رحمة الله الهندي في إظهار الحق ٢/ ٢٥٣ على ادِّعاء اليهود والنصارى فقال: ويفهم من رسائل القسيسين البروتستانت أن المراد من القضيب السلطة الدنيوية، ومن المدبِّر الحاكم الدنيوي، وعليه فلا يصح أن يراد بشيلون مسيح اليهود كما يزعمون، لأن السلطة الدنيوية والحاكم الدنيوي زالا من آل يهوذا من مدة هي أزيد من ألفي عام من عهد بختنصر، =

....

= ولم يسمع إلى الآن حس مسيح اليهود. ولا يصح أن يراد به عيسى ﷺ كما يزعم النصارى، لأنهما ـ أي السلطة الدنيوية والحاكم الدنيوي ـ زالا من آل يهوذا قبل ظهور عيسى ﷺ بمقدار سبعمئة سنة، وهو إجلاء بني يهوذا إلى بابل، فكيف يصدق عليه؟!

ومن الواضح أن شيلوه ليس عيسى ﷺ لأنه هو نفسه رفض الفكرة القائلة: إن المسيح الذي كانت تنتظره إسرائيل هو أحد أبناء داود. [محمد في الكتاب المقدس ص٨١].

جاء في إنجيل متى ٢٢/٤١ ـ ٤٥: سأل يسوع الفريسيين: ما تظنُّون في المسيح؟ ابن من هو؟ قالوا: ابن داود.

قال: فكيف يدعوه داود بالروح رباً قائلاً: قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك؟!

وفي مرقس ١٢/٣٥ ـ ٣٧: وبينا يسوع يعلِّم في الهيكل قال: كيف يقول معلمو الشريعة: إن المسيح هو ابن داود؟ وداود نفسه قال بوحي من الروح القدس: قال الرب لربي: اجلس عن يميني حتى أجعل أعداءك تحت قدميك. فداود نفسه يدعو المسيح رباً، فكيف يكون المسيح ابنه؟!

وفي لوقا ٢٠/٤١ ـ ٤٤: وقال لهم: كيف يقال للمسيح: إنه ابن داود، وداود نفسه يقول في كتاب المزامير: قال الرب لربي: اجلس عن يميني حتى أجعل أعداءك موطئاً لقدميك، فداود نفسه يدعو المسيح رباً، فكيف يكون المسيح ابنه؟!

ثم إن عيسى ﷺ لم يترك قانوناً مكتوباً، ولم ينقض شريعة موسى ﷺ بل أعلن أنه قَدِم لتحقيقها، ولم يحلم قط بصولجان ملكي، بل نصح اليهود أن يخلصوا لِقَيْصر ويدفعوا له الجزية. وفي إحدى المناسبات حاولت الجماهير أن تجعله ملكاً، لكنه هرب واختبأ. فلا يمكن أن ينطبق النص على المسيح ﷺ بحال.

وعلى أهل الكتاب من يهود ونصارى أن يدركوا أن النص يتضمن إشارة واضحة إلى أن شيلوه غريب تماماً عن سبط يهوذا، بل وعن جميع الأسباط، فإن النبوءة تدل على أنه عندما يأتي شيلوه، فإن الصولجان والمشرع سوف يختفيان من سبط يهوذا، وهذا لا يتحقق إلا إذا كان شيلوه غريباً عن يهوذا، ولو كان منحدراً من سبط يهوذا، كيف ينقطع هذان العنصران من ذلك السبط؟ ولا يمكن أن يكون منحدراً من سبط آخر، لأن الصولجان والمشرع كانا لمصلحة إسرائيل جميعاً، وليس لمصلحة سبط واحد. [محمد في الكتاب المقدس ص٨٥] وهذه الفكرة تنسف ادِّعاء اليهود والنصارى معاً، لأن النصارى أيضاً يزعمون أن المسيح ﷺ منحدر من سبط يهوذا، ويركبون له نسب يوسف النجار خطيب أمه. ومن المقطوع به أن مريم من سبط لاوي ومن نسل هارون ﷺ وكذلك يوسف النجار إن سلمنا بأنه خطيبها، لأن اللَّاويين، وبخاصة الهارونيين، يتزوج بعضهم من بعض، ولا يجوز أن يتزوجوا من سبط آخر بحسب تعاليم التوراة. فالمسيح ﷺ لا يمت بصلة إلى داود ﷺ لا من طرف أمه، ولا من طرف خطيب أمه. =

....

= **تحليل وموازنة:**

إن الترجمات التي عرضناها سابقاً مضطربة، وكلها افتراضات حول نص غامض، لا سبيل إلى الوصول لوجه الحق فيه، بسبب انعدام السند المتصل لدى أهل الكتاب وضياع الأصل، بل يرى دريفر أن الفصل (٤٩) من سفر التكوين الذي يبارك فيه يعقوب الأسباط مقحم على يد كاتب من المدرسة (اليَهْوية) أخذه من مصدر مستقل؛ فالملابسات التاريخية والجغرافية التي تشع منه هي الملابسات المعروفة في عصر القضاة وصموئيل وداود نفسها. [ظاظا ص٩٩ ـ ١٠٠] ومِنْ ثَمَّ لا يمكن أن نصل إلى معنى النص بدقة، ومع ذلك لو أنعمنا النظر في الترجمات كلها، وقارنا بينها لظهر لنا ما يلي:

١ ـ من الواضح أن المراد بالقضيب أو المخصرة أو الصولجان الملك والسلطة الدنيوية، كما ترجمه الحكيم السموءل والقَرَافي من اللغة العبرية، وبدليل ما نقله ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ عن الترجمة التي كانت في زمانه: «لا تنقطع من يهوذا المخصرة، ولا من نسله قائد» وبدليل ما حكاه البروفيسور عبد الأحد من إجماع المعلِّقين والشرَّاح على أن الصولجان والمشرِّع معناه السلطة والنبوة على التوالي. وليس معناه السبط كما زعم ابن كمونة اليهودي، وإلا فما معنى «لا يزول السبط من يهوذا»؟ وهل يقصد أن نسله لن ينقرض دون بقية الأسباط؟ وقد اعترف ابن النغريلة اليهودي لابن حزم رَحِمَهُ اللهُ بأنها قيادة وملك ورياسة كما سيأتي.

٢ ـ المراد بقوله: «والمرسم من بين بنوده» كما في التوراة السامرية، أو «الرسم من تحت أمره». كما في ترجمة عام ١٨١١م، شريعة التوراة التي تبقى مع علماء اليهود، وتكون هذه الشريعة من علامات ملك اليهود، فإن الرسم والتدبير إنما هو التشريع، ويؤيد هذا ما جاء في ترجمة البروتستانت والكاثوليك: «ومشترع من بين رجليه»، وهو معنى الراسم أو المدبِّر كما جاء في بعض الترجمات.

ويمكن أن يحمل معنى الراسم أو المدبِّر على عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لأنه ما جاء بعد موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من عَدَّل في شريعته زيادة أو نسخاً سواه.

٣ ـ إن المراد بقوله: (شيلون) نبي السلام والأمان كما جاء في حاشية الكتاب المقدس. وبعض الترجمات ذكرت (الذي له الكل) أو (الذي هو له) أو (الذي له الأمر) أي صاحب الأمر والذي ينتهي إليه. وهذا يدل على أن شريعة المبشَّر به عامة شاملة ناسخة لما قبلها، ولا ناسخ لها، ويؤيد ذلك الترجمة التي ذكرها ابن حزم: «حتى يأتي المبعوث».

٤ ـ يدل قوله: «وإياه تنتظر الأمم» أو «وإليه تجتمع الشعوب» أو نحو ذلك مما جاء في بعض الترجمات، على أن رسالته عالمية، وقد سبقت بشارة الأنبياء به، ويؤيد ذلك الترجمة التي ذكرها ابن حزم: «الذي هو رجاء الأمم».

ويكون معنى النص: ستبقى الشريعة التي ينزلها الله على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع علماء اليهود حتى يُبعث النبي الذي له الكل.

وهذه دلالات واضحة على أن المبشَّر به إنما هو محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء والمرسلين صاحب الشريعة العامة الشاملة التي لا ناسخ لها، المبعوث رحمة للعالمين.

والنصارى قد ناقضوا أنفسهم عندما حملوا شيلون على عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لأنه ورد في إنجيل =

= متى ما يدل على أن الراسم أو المدبر هو المسيح عليه السلام فقد جاء في ٢/ ٥ ـ ٦: «لأنه هكذا مكتوب بالنبي: وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا؛ لأنه منك يخرج مدبِّر يرعى شعب إسرائيل». فكيف يكون هو المدبِّر؟ وكيف يكون هو شيلون؟! ثم إنه عليه السلام لم يخضع له أي شعب من الشعوب، حتى إن خراف إسرائيل الضالة التي أرسل إليها لم تجتمع كلها تحت رعايته.

أما ابن كمونة اليهودي فقد جانب الحقيقة في قوله: «إلى أن يملك داود، ويتفق على تمليكه جميع شعوب إسرائيل». لأن داود عليه السلام ليس بصاحب شريعة، وإنما كان تابعاً لشريعة موسى عليه السلام وحاكماً بها، وليس في الزبور أي حكم تشريعي، ثم إنَّ سباق النص وسياقه يدلان على أن الملك والشريعة تنزع منهم بمجيء المبشَّر به، لا أنها تزداد وتقوى، كما حصل في زمن داود وابنه سليمان عليهما السلام أضف إلى ذلك أنه فسَّر الشعوب بأسباط إسرائيل. وهذا لا يتفق مع النص، فقد وردت كلمة (شعوب) معرفة في بعض الترجمات، ونكرة في بعض آخر، وإذا كانت المعرفة تدل على العموم، فإن النكرة تدل على شعوب كثيرة. ويؤيد ذلك ما جاء في بعض الترجمات: «وإياه تنتظر الأمم». و«الذي هو رجاء الأمم»، فلا يمكن حمل الشعوب على أسباط إسرائيل واجتماعها حول داود عليه السلام بل إنها تحمل على من بشَّرت به الأنبياء، وكانت تنتظره الأمم والشعوب ليأتي بشريعة كاملة شاملة ويحكم بها، دون أن تنسخ، لأنه خاتم النبيين.

[وانظر: إظهار الحق ٢/ ٣٥٢ ـ ٣٥٣، قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار ص٣٩٣ ـ ٣٩٨، محمد رسول الله لبشري ص٧٥ ـ ٧٦ و٨١ ـ ٨٢، تعليق أحمد حجازي على التوراة السامرية ص٣٩٨ ـ ٤٠٠، الأجوبة الفاخرة ص١٦٤].

أما حصر ذلك بيهوذا وسبطه إلى أن يأتي المبشَّر به أو إلى الأبد كما سيأتي في نصوص أخرى لدى الكلام عن داود وسليمان عليهما السلام، فسيذكر ابن حزم رحمه الله أن هذا مخالف للحقائق والوقائع.

وصفوة القول: إن هذه النبوءة القديمة قد تحقَّقت حرفياً وعملياً في محمد ﷺ فقد جاء بالجهاد وبالقرآن، ليحل محلَّ الصولجان اليهودي القديم والشريعة القديمة غير العملية، ونادى بتوحيد خالص لرب واحد وإلٰه حق، لا تشوبه شائبة، ووضع أفضل القواعد والضوابط السلوكية والأخلاقية للبشر، ودين الإسلام الذي دعا إليه جعل الشعوب والأمم التي تشرك بالله شيئاً تعيش في وحدة حقيقية إذا أخلصت.

والتفسير الثاني لكلمة (شيلوه)، أي المسالم الهادئ الوديع الموثوق، فإنه ينطبق أيضاً على أوصاف محمد ﷺ إذ من الحقائق المفروغة عنه أنه كان هادئاً ومسالماً لا يقابل السيئة أو الغلظة بمثلها، بل يعفو ويصفح، وكان محلاً للثقة قبل البعثة وبعدها، وكلمة (الأمين) التي أطلقها قومه عليه قبل البعثة، ولم ينتزعوها منه بعدها مع عداوتهم لدعوته، مساوية تماماً لكلمة (شيلوه) المتضمنة هذا المعنى. [وانظر محمد في الكتاب المقدس ص٨٢ ـ ٨٣].



[لم يتحقق ما ادعوه من الوعد ليهوذا وبنيه]

قال أبو محمد ﷺ: وهذا كذب، قد انقطعت من ولد يهوذا المخصرة، وانقطعت من نسله القواد، ولم يأتِ المبعوث الذي هو رجاؤهم، وكان انقطاع الملك من ولد يهوذا منذ عهد بختنصر، منذ أزيد من ألف وخمسمئة عام إلا مدة يسيرة، وهي مدة زُربابل بن شألتئيل فقط[1].

---

[1] سبق أن المراد بما جاء في سفر التكوين ٤٩/ ١٠ «لا يزول قضيب من يهوذا، ومشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلون». الملك والسلطة والقيادة كما فسره أهل الكتاب. ومعنى النص أن الملك والرياسة تبقى في بني يهوذا حتى يأتي شيلون الذي تطيعه الأمم. فهل تحقق هذا الوعد ليهوذا وأولاده؟

جاء في سفر التكوين ٤٦/ ١٢: «وبنو يهوذا: عير وأونان وشيلة وفارص وزارح. أما عير وأونان فماتا في أرض كنعان، وكان ابنا فارص حصرون وحامول».

فهؤلاء هم الذين ذهبوا معه إلى مصر. وبعد موت يعقوب ﷺ بقي بنوه وبنو بنيه في مصر معزَّزين مكرَّمين إلى أن مات يوسف ﷺ فاستضعفوا، وبقوا في مذلَّتهم إلى أن خرج بهم موسى وهارون ﷺ.

جاء في سفر الخروج ١/ ٨ ـ ١١: «ثم قام ملك جديد على مصر، لم يكن يعرف يوسف... جعل عليهم رؤساء تسخير، لكي يذلوهم بأثقالهم».

وبعد موت موسى ﷺ خَلَفه في القيادة فتاه يشوع بن نون.

جاء في سفر يشوع ١/ ١: «وكان بعد موت موسى عبد الرب أن الرب كلَّم يشوع بن نون خادم موسى».

وفي سفر القضاة ٢/ ٦ ـ ١١: وصرف يشوع الشعب، فذهب بنو إسرائيل كل واحد إلى ملكه.

وعبد الشعب الرب كل أيام يشوع وكل أيام الشيوخ الذين طالت أيامهم بعد يشوع... وقام بعدهم جيل آخر لم يعرف الرب.

٢/ ١٤ ـ ١٩: فحمي غضب الرب على إسرائيل، فدفعهم بأيدي ناهبين نهبوهم... وأقام الرب لهم قضاة فخلصوهم من يد ناهبيهم، ولقضاتهم لم يسمعوا أيضاً.

إذاً، حتى الآن لم يتولّ أحد من بني يهوذا الملك أو القيادة على بني إسرائيل، ولم يحمل أحد منهم قضيباً ولا مَخْصرة ولا صولجاناً. ثم ملك شاؤل بن قيس على بني إسرائيل، لكنه بنياميني. =

= جاء في سفر صموئيل الأول ٩/ ١٥: فأمر الرب صموئيل بمسحه رئيساً لشعب إسرائيل.

ملك شاؤل البنياميني على إسرائيل، وكان داود ﷺ أحد قواده، ثم كان بينهما من الاختلاف ـ كما يذكرون ـ ما كان. وبعد مقتل شاؤل جاء رجال يهوذا إلى داود ومسحوه ملكاً عليهم في حبرون. فهو أول ملك من سبط يهوذا.

جاء في سفر صموئيل الثاني ٥/ ١ ـ ٣: وجاء جميع شيوخ إسرائيل إلى داود، إلى حبرون، فقطع معهم عهداً أمام الرب، ومسحوه ملكاً على إسرائيل.

٥/ ٤ ـ ٥: كان داود ابن ثلاثين سنة حين ملك، وملك أربعين سنة: في حبرون ملك على يهوذا سبع سنين، وستة أشهر، وفي أورشليم ملك ثلاثاً وثلاثين سنة على جميع إسرائيل ويهوذا.

وعد لداود أيضاً:

جاء في سفر الملوك الأول ٢/ ١ ـ ٤: ولما قربت أيام وفاة داود أوصى سليمان ابنه قائلاً... لكي يقيم الرب كلامه الذي تكلم به عني قائلاً: إذا حفظ بنوك طريقهم، وسلكوا أمامي بالأمانة من كل قلوبهم وكل أنفسهم، لا يُعدم لك رجل عن كرسي إسرائيل.

وفي أخبار الأيام الأول ١٧/ ١١ ـ ١٤، و٢٢/ ٧ ـ ١٠ و٢٨/ ٦ ـ ٧، أن الرب قال لداود: متى كملت أيامك واضطجعت مع آبائك، أقيم بعدك نسلك، وأثبت مملكته، هو يبني لي بيتاً، وأنا أثبت كرسيه إلى الأبد.

فهل تحقق الوعدان، وبقيت السلطة في بني يهوذا؟ وهل دام نسل داود في الملك إلى الأبد، ولم ينقطع رجل من نسله عن كرسي إسرائيل؟ هذا ما سنراه.

وفاة داود واختلاف الأسفار في مدة ملكه:

جاء في سفر الملوك الأول ٢/ ١٠ ـ ١٢: واضجع داود مع آبائه، ودفن في مدينة داود، وكان الزمان الذي ملك فيه على إسرائيل أربعين سنة، في حبرون ملك سبع سنين، وفي أورشليم ملك ثلاثاً وثلاثين سنة.

وفي أخبار الأيام الأول ٢٩/ ٢٧: والزمان الذي ملك فيه على إسرائيل أربعين سنة، ملك سبع سنين في حبرون، وملك ثلاثاً وثلاثين سنة في أورشليم.

فأين ستة الأشهر الزائدة عن السبع السنين في المدة التي ملكها في حبرون، والتي ذكرت في سفر صموئيل الثاني ٥/ ٤ ـ ٥، ولم تذكر في سفري الملوك الأول وأخبار الأيام الأول؟!

زعمهم انحراف سليمان بعد بنائه البيت:

جاء في سفر الملوك الأول ـ وهو الثالث عند الكاثوليك ـ ٩/ ٤ ـ ٥، أن الرب قال لسليمان بعد أن أكمل بناء البيت: «وأنت إن سلكت أمامي كما سلك داود أبوك بسلامة قلب واستقامة... فإني أقيم كرسي ملكك على إسرائيل إلى الأبد، كما كلمتُ داود أباك قائلاً: لا يعدم ـ وعند الكاثوليك: لا ينقطع ـ لك رجل عن كرسي إسرائيل».

غير أنهم زعموا أن سليمان ﷺ أحبَّ والتصق بنساء غريبة، فَحمَلْنه على عمل الشر والارتداد عن دين الله كما في سفر الملوك الأول ١١/ ١ ـ ٤. =

. . . .

= جاء في ١١/ ٩ ـ ١٣: فغضب الربُّ على سليمان، لأن قلبه مال عن الرب إلٰه إسرائيل الذي تراءى له مرتين، وأوصاه ألا يتبع آلهة أخرى، فلم يحفظ ما أوصاه به، فقال له الرب: من أجل ذلك، فإني أمزق المملكة عنك تمزيقاً، وأعطيها لعبدك، إلا أني لا أفعل ذلك في أيامك، من أجل داود أبيك، لكن من يد ابنك أمزقها، على أني لا أمزق منك المملكة كلها، بل أعطي سبطاً واحداً لابنك، لأجل داود عبدي، ولأجل أورشليم التي اخترتها.

١١/ ١٤ و٢٣: وأقام الرب خصوماً لسليمان. . .

١١/ ٢٦: ويربعام بن ناباط أفرايمي من صَرَدة، عبد لسليمان، واسم أمه صَروعة، رفع يده على الملك.

١١/ ٢٩ ـ ٤٠: ولما خرج يربعام من أورشليم لاقاه أَخِيّا الشيلوني النبي، وكان لابساً رداء جديداً. . . فمزق رداءه اثنتي عشرة قطعة، وقال ليربعام: خُذْ لنفسك عشر قطع، لأنه هكذا قال الرب: أمزق المملكة من يد سليمان، وأعطيك عشرة أسباط، ويكون له سبط واحد من أجل عبدي داود وأورشليم، ولا آخذ المملكة من يده، بل أصيره رئيساً كل حياته، وآخذ المملكة من يد ابنه، وأعطيك إياها، وأعطي ابنه سبطاً واحداً. . . فإذا سمعت لكل ما أوصيك به أكون معك، وأعطيك إسرائيل وأذلّ نسل داود. . . وطلب سليمان قتل يربعام فهرب إلى مصر، وكان عند ملكها إلى وفاة سليمان.

الملوك الأول ١١/ ٤٢ ـ ٤٣ وأخبار الأيام الثاني ٩/ ٣٠ ـ ٣١: وملك سليمان على كل إسرائيل أربعين سنة، ثم اضطجع مع آبائه، ودفن في مدينة داود أبيه، وملك رَحَبْعام ابنه عوضاً عنه.

انقسام المملكة:

جاء في الملوك الأول ١٢/ ١ ـ ١٦ وأخبار الأيام الثاني ١٠/ ١ ـ ١٦: وذهب رحبعام إلى شكيم (نابلس) حيث اجتمع كل إسرائيل ليملكوه، وكان معهم يربعام بن نباط الذي عاد من مصر، فطلبوا من رحبعام تخفيف الوطأة التي كان يعاملهم بها أبوه. فقال: ارجعوا بعد ثلاثة أيام. وأشار عليه الشيوخ بالموافقة وإرضاء الشعب، لكن الأحداث الذين نشؤوا معه أبوا ذلك، فأخذ بمشورتهم. وفي اليوم الثالث لما رأى بنو إسرائيل أنه لم يسمع لهم قالوا: أي نصيب لنا في داود؟ ولا نصيب لنا في ابن يَسّى. إلى خيامك يا إسرائيل.

ـ الملوك الأول ١٢/ ١٧ ـ ٢٠ وأخبار الأيام الثاني ١٠/ ١٧ ـ ١٩: أما بنو إسرائيل الساكنون في مدن يهوذا، فملك عليهم رَحَبْعام، وأما الآخرون فأبوا، فأرسل إليهم المولى على الخراج، فرجموه بالحجارة فمات، فبادر رحبعام إلى المركبة وهرب إلى أورشليم. وتمرد إسرائيل على بيت داود إلى هذا اليوم. ثم أرسلوا إلى يربعام وملكوه على جميع إسرائيل، ولم يتبع بيت داود إلا سبط يهوذا وحده.

الملوك الأول ١٢/ ٢١ ـ ٢٤ وأخبار الأيام الثاني ١١/ ١ ـ ٤: ولما جاء رَحَبْعام إلى أورشليم جمع كل بيت يهوذا وسبط بنيامين ليحاربوا بيت إسرائيل، ويردوا المملكة، وكان كلام الرب إلى شَمِعْيا رجل الله بأن يأمر رحبعام وكل يهوذا وبنيامين وبقية الشعب بأن لا يحاربوا إخوتهم بني إسرائيل. فسمعوا ورجعوا. =

= وهكذا انقسمت المملكة بعد موت سليمان إلى مملكتين: جنوبية اسمها يهوذا، وعاصمتها القدس، وسميت بذلك، لأن حكامها من سبط يهوذا ومن نسل داود. وشمالية اسمها إسرائيل، وعاصمتها شكيم (نابلس) وكانت أوسع رقعة من أختها، وتمثل غالبية الأسباط، وقد تنقل الملك فيها بين بيوت مختلفة.

الملوك الأول ١٤/٢١ وأخبار الأيام الثاني ١٢/١٣ ـ ١٤: وملك رَحَبْعام سبع عشرة سنة في أورشليم، وكان ابن إحدى وأربعين سنة حين ملك، واسم أمه نعمة العمونية.

الملوك الأول ١٤/٣٠ ـ ٣١ وأخبار الأيام الثاني ١٢/١٥ ـ ١٦: وكانت حروب بين رحبعام ويربعام كل الأيام، ثم اضطجع رحبعام مع آبائه، ودفن في مدينة داود، وملك أَبِيَّام ـ أبيا ـ ابنه عوضاً عنه.

فهل تحقق كلام يعقوب عليه السلام وبقي الملك في بيت يهوذا؟ وهل تحقق الوعد لداود عليه السلام وثبت الملك في أولاده إلى الأبد؟

هل طرأ نسخ على الوعد لداود عليه السلام عندما حذَّر الله سبحانه سليمان عليه السلام فلم يرعَوِ كما يزعمون، ثم مات مرتداً؟

وهل هو نسخ كلي أو جزئي؟ فإن غالبية الأسباط تمرَّدت على رحبعام بن سليمان.

وإذا كان أهل الكتاب لا يقرون بالنسخ، فهل هو بداء؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

هل كان مع رحبعام سبط واحد أو سبطان؟

لم تكن العبارات في سفر الملوك الأول وسفر أخبار الأيام الثاني دقيقة، بل متناقضة ومضطربة، فإن الله سبحانه لما حذر سليمان عليه السلام في زعمهم قال له: «لا أمزق المملكة كلها، بل أعطي سبطاً واحداً لابنك». وعندما مزق النبي أخيا رداء يربعام الجديد إلى اثنتي عشرة قطعة قال له: «خذ لنفسك عشر قطع، لأنه هكذا قال الرب: أمزق المملكة من يد سليمان، وأعطيك عشرة أسباط، ويكون له سبط واحد... وآخذ المملكة من يد ابنه، وأعطيك إياها، وأعطي ابنه سبطاً واحداً».

فمع من كان السبط الثاني عشر؟ «ولما جاء رحبعام إلى أورشليم وجمع كل بيت يهوذا وسبط بنيامين ليحاربوا بيت إسرائيل كان كلام الرب إلى شمعيا أن يأمر رحبعام وكل يهوذا وبنيامين وبقية الشعب أن لا يحاربوا إخوتهم بني إسرائيل».

فهل كان مع رَحَبْعام سبط واحد؟ أو سبطان؟ أو أكثر؟ وإلا فمن هم بقية الشعب الذين مع يهوذا وبنيامين؟

لعلهم يتذرَّعون فيقولون: إن سبط لاوي لم يكن له مكان خاص، بل كان موزعاً بين الأسباط للخدمة الدينية. لكن العبارات تأبى هذا. ولعلهم يتذرَّعون أيضاً فيقولون: المراد ببقية الشعب العبيد أو الحلفاء. لكن العبارات تأبى هذا أيضاً.

إلامَ استمر تحقيق هذا الجزء من الوعد في مملكة يهوذا؟

استمرت الحرب المتقطعة بين المملكتين إلى أن سقطت إسرائيل على يد الآشوريين كما سلف في اللمحة التاريخية عن أدوار التوراة، وكما سيأتي، وبقيت بعدها مملكة يهوذا. =

....

= جاء في الملوك الأول ١٥/١ ـ ٢ وأخبار الأيام الثاني ١٣/١ ـ ٢ أنه بعد أن مات رَحَبْعام، ملك أبيام (أبيا) على يهوذا ثلاث سنين في أورشليم. واسم أمه في سفر الملوك معكة بنت أبشالوم. وفي أخبار الأيام ميخايا (ميكايا) بنت أروئيل من جَبْعة.
الملوك الأول ١٥/٨، أخبار الأيام الثاني ١٤/١: ثم اضطجع أبيام (أبيا) مع آبائه، وملك آسا ابنه عوضاً عنه.
• الملوك الأول ١٥/٩ ـ ١٠: ملك آسا على يهوذا إحدى وأربعين سنة في أورشليم، واسم أمه معكة بنت أبشالوم.
أخبار الأيام الثاني ١٦/١٢ ـ ١٤: ومرض آسا في السنة التاسعة والثلاثين من ملكه في رجليه حتى اشتد مرضه، ثم اضطجع مع آبائه ومات في السنة الحادية والأربعين لملكه، فدفنوه في قبوره التي حفرها لنفسه في مدينة داود.
تناقض في سفر الملوك الأول:
يفهم مما سبق في سفر الملوك الأول أن معكة بنت أبشالوم هي أم أبيام بن رحبعام، أي هي زوجة رحبعام وجدّة آسا بن أبيام، لكنه عاد فذكر أن معكة بنت أبشالوم هي أم آسا، أي ليست جدته. فهل هي معكة أخرى بنت أبشالوم آخر؟ أو هي هي، وقد تزوج أبيام أمه، فأنجب منها آسا؟!
أما سفر أخبار الأيام الثاني، فذكر أن اسم أم أبيام ميخايا (ميكايا) بنت أروئيل، وليست معكة بنت أبشالون، ثم أراح نفسه من ذكر أم آسا.
• الملوك الأول ٢٢/٤١ ـ ٤٣، أخبار الأيام الثاني ١٧/١ و٢٠/٣١: وملك يهوشافاط (يوشافاط) بن آسا على يهوذا، وكان ابن خمس وثلاثين سنة حين ملك، وملك خمساً وعشرين سنة في أورشليم، واسم أمه عزوبة بنت شِلْحي.
الملوك الأول ٢٢/٥٠، أخبار الأيام الثاني ٢١/١: واضطجع يهوشافاط مع آبائه في مدينة داود، فملك يهورام (يورام) ابنه عوضاً عنه.
• الملوك الثاني ٨/١٦ ـ ١٧، أخبار الأيام الثاني ٢١/٥: ملك يهورام بن يهوشافاط يهوذا، وكان ابن اثنتين وثلاثين سنة، وملك ثماني سنين في أورشليم.
الملوك الثاني ٨/٢٤: واضطجع يورام مع آبائه، ودفن في مدينة داود، وملك أَخَزْيا ابنه عوضاً عنه.
وفي أخبار الأيام الثاني ٢١/١٦ ـ ٢٠: وأهاج الرب على يهورام روح الفلسطينيين والعرب فصعِدوا إلى يهوذا واقتحموها، وسَبَوا كل الأموال الموجودة في بيت الملك مع بنيه ونسائه، ولم يبقَ له ابن إلا يهوآحاز (يوآحاز) أصغر بنيه. وبعد هذا كله، ضربه الرب في أمعائه بمرض ليس له شفاء، وبعد سنتين خرجت أمعاؤه فمات، وكان ابن اثنتين وثلاثين سنة حين ملك، وملك ثماني سنين في أورشليم، ودفنوه في مدينة داود أبيه، لكن ليس في قبور الملوك.
• الملوك الثاني ٨/٢٥ ـ ٢٦: وملك أَخَزْيا بن يهورام على يهوذا، وكان ابن اثنتين =

. . . .

= وعشرين سنة حين ملك، وملك سنة واحدة في أورشليم. واسم أمه عتليا بنت عُمْري ملك إسرائيل.

وفي أخبار الأيام الثاني ٢٢/١ ـ ٢: ومَلّك سكان أورشليم أَخَزيا ابنه الأصغر عوضاً عنه، لأن الغزاة قتلوا جميع الكبار، فملك أخزيا بن يهورام وكان ابن اثنتين وأربعين سنة حين ملك، وملك سنة واحدة في أورشليم، واسم أمه عتليا بنت عُمْري.

تناقض في سفر أخبار الأيام الثاني:

من الملاحظ في أسفار أخبار الأيام الثاني أن الجملة ٢٢/١٧ ذكرت أن الغزاة سبَوا نساء يهورام وبنيه، ولم يبقَ له ابن إلا يهوآحاز أصغر بنيه. وذكرت الجملة ٢٢/١ أن سكان أورشليم ملكوا أَخَزْيا ابنه الأصغر عوضاً عنه، لأن الغزاة قتلوا جميع الكبار.

فما اسم ابنه الأصغر؟ يهوآحاز أم أَخَزْيا؟ وهل سبَى الغزاة أبناء يهورام الكبار، أو قتلوهم؟ وإذا سَبَوهم ثم قتلوهم كان على الكاتب أن يوضح ذلك في الجملة الأولى حتى لا يقع التعارض، ولا ينفعه أن يدَّعي أن هذا مفهوم، فكم من الملوك سُبوا ولم يقتلوا، ثم عُفي عنهم وعادوا.

أين قتل ودفن أَخَزيا؟ وهل يسمى بعَزَرْيا أيضاً؟

جاء في سفر الملوك الثاني ـ الرابع عند الكاثوليك ـ ٩/١ ـ ٢٠ أن النبي أليشع أمر بمسح ياهو بن يهوشافط بن نمشي أحد القواد ملكاً على إسرائيل، وأمر بصب قارورة الدهن عليه، ليضرِب ويبيد كل بيت آخاب، انتقاماً لدماء الأنبياء وغيرهم التي أراقوها.

٩/٢١ ـ ٢٨: وخرج ملك إسرائيل يهورام بن أخاب، وأخزيا ملك يهوذا، كلٌّ في مركبته، لمقابلة ياهو بن يهوشافاط بن نِمْشي. فلما كلّمه يهورام عرف الأمر وهرب وقال لملك يهوذا: خيانة يا أخزيا. فرماه ياهو بسهم بين ذراعيه، فخرج من قلبه، وسقط في مركبته. ولما رأى أخزيا ذلك هرب أيضاً، فطارده ياهو وقال: ارموه، فرموه وأصابوه في المركبة، لكنه هرب إلى مَجِدّو ومات هناك، فحمله عبيده في المركبة إلى أورشليم، ودفنوه في قبره مع آبائه.

وجاء في أخبار الأيام الثاني ٢٢/٦ ـ ٩: ونزل عَزَريا ـ وعند الكاثوليك: أَخَزْيا ـ بن يهورام ملك يهوذا لعيادة يهورام بن أخاب في يَزْرَعيل، لأنه كان مريضاً. وحين جاء خرج مع يهورام بن أخاب إلى ياهو بن يهوشافط بن نِمشي. وإذ كان ياهو يقضي على بيت أخاب، وجد رؤساء يهوذا وبني إخوة أخزيا الذين كانوا يخدمونه، فقتلهم، وطلب أخزيا، فأمسكوه وهو مختبئ في السامرة، وأتوا به إلى ياهو فقتلوه ودفنوه. ولم يكن لبيت أخزيا من يقوى على المملكة.

فهل رمي بسهم ثم هرب إلى مجدّو فمات هناك، ثم حمل ودفن في أورشليم كما جاء في سفر الملوك؟ أو كان مختبئاً بالسامرة بعد أن قتل أبناء أخيه الذين كانوا يخدمونه، ثم أمسكوا به وأتوا به إلى ياهو فقتل هناك ودفن كما في سفر أخبار الأيام؟

وهل اسمه أخزيا كما جاء في جميع الأماكن، أو عزريا كما جاء في مكان واحد فقط عند البروتستانت ٢٢/٦ مع أنهم سبق وسموه أخزيا؟! =

....

= **خروج الملك عن بيت داود لفترة:**

الملوك الثاني ١١/١ ـ ٤، أخبار الأيام الثاني ٢٢/١٠ ـ ١٢: ولما رأت عَثَليا بنت عُمري أم أَخَزيا أنَّ ابنها قد مات، أبادت جميع النسل الملكي من بيت يهوذا، فأخذت يهوشبع [يوشابع]، بنت الملك يهورام، أخت أخزيا، وهي زوجة الكاهن يهوياداع [يوياداع]، أخت يوآش، وسرقته من وسط بني الملك الذين قتلوا، وخبأته مع مرضعته في مخدع السرير، وبقي معها مختبئاً في بيت الرب ست سنين، وعتليا مالكة على الأرض.

الملوك الثاني ١١/٥ ـ ١٦، أخبار الأيام الثاني ٢٣/١ ـ ١٢: وفي السنة السابعة أرسل الكاهن يهوياداع إلى رؤساء المئات والسُّعاة وأدخلهم إلى بيت الرب، وقطع معهم عهداً واستحلفهم وأراهم ابن الملك، ثم جالوا في يهوذا وجمعوا اللاويين من جميع المدن ورؤوس آباء إسرائيل، وجاؤوا إلى أورشليم، فوضع الكاهن معهم خطة للحراسة والدفاع في يوم السبت، ثم أخرج ابن الملك، ووضع عليه التاج، وأعطاه الشهادة فملكوه، ومسحه يهوياداع، فصفقوا له وحَيُّوه. ولما سمعت عتليا الأصوات، دخلتْ إلى بيت الرب، فإذا الملك واقف على المنبر حسب العادة، فشقَّت ثيابها وقالت: خيانة، فأمر يهوياداع بإخراجها، فأخرجوها إلى مدخل الخيل في بيت داود، وقتلوها هناك.

إذاً، فقد انقطع الوعد الجزئي أيضاً، وخرج الملك من بيت داود نهائياً قرابة سبع سنين، حيث حكمت عتليا بعد مقتل ابنها، وهي ليست من نسل داود، ولا من نسل يهوذا.

• الملوك الثاني ١١/٢١ و١٢/١، أخبار الأيام الثاني ٢٤/١: كان يهوآش ابن سبع سنين حين ملك، وملك أربعين سنة في أورشليم، واسم أمه ظبية (صبية) من بئر سبع.

الملوك الثاني ١٢/٢٠ ـ ٢١، أخبار الأيام الثاني ٢٤/٢٥ ـ ٢٧، وفتن عليه عبيده وقتلوه، فدفن مع آبائه في مدينة داود. وملك أَمَصيا ابنه عوضاً عنه.

• الملوك الثاني ١٤/١ ـ ٢، أخبار الأيام الثاني ٢٥/١: ملك أمصيا بن يوآش يهوذا، وكان ابن خمس وعشرين سنة، وملك تسعاً وعشرين سنة في أورشليم، واسم أمه يهوعَدّان (يوعدان) من أورشليم.

الملوك الثاني ١٤/١٩ ـ ٢٠، أخبار الأيام الثاني ٢٥/٢٧: وفتن عليه أبناء الذين قتلهم أبوه، فهرب إلى لخيش (لاكيش) فأرسلوا من قتله هناك، ثم حملوه ودفنوه في أورشليم.

• الملوك الثاني ١٤/٢١ و١٥/١ ـ ٢، أخبار الأيام الثاني ٢٦/١ ـ ٤: وأخذ كل الشعب عَزَريا (عَزّيا) وهو ابن ست عشرة سنة، وملكوه عوضاً عن أبيه أمصيا، وملك اثنتين وخمسين سنة في أورشليم، واسم أمه يكُليا من أورشليم.

الملوك الثاني ١٥/٧، أخبار الأيام الثاني ٢٦/٢٣: ثم اضطجع عزريا مع آبائه ودفنوه في حقل المقبرة التي للملوك، لأنه أبرص. وملك يوثام ابنه عوضاً عنه.

• الملوك الثاني ١٥/٣٢ ـ ٣٣ و٣٨، أخبار الأيام الثاني ٢٧/١ ـ ٢ و٨ ـ ٩: ملك يوثام وكان ابن خمس وعشرين سنة، وملك ست عشرة سنة في أورشليم، واسم أمه يروشة (روشا) بنت صادق، ثم اضطجع ودفن في مدينة داود مع آبائه، وملك آحاز ابنه عوضاً عنه. =

= • الملوك الثاني ١٦/٢ و٢٠، أخبار الأيام الثاني ٢٨/١ و٢٧: كان آحاز ابن عشرين سنة حين ملك، وملك ست عشرة سنة في أورشليم، ثم اضطجع مع آبائه ودفن، وملك حَزَقيّا ابنه عوضاً عنه.

سقوط إسرائيل:

الملوك الثاني ١٧/١ ـ ٦: وفي السنة الثانية عشرة لآحاز ملك يهوذا، ملك هوشع بن أيْلة في السامرة على إسرائيل تسع سنين، وعمل الشر في عيني الرب... وصعد عليه شَلْمَناسر ملك أشور، فصار هوشع له عبداً، ودفع له الجزية، ووجد أشور في هوشع خيانة... فقبض عليه وأوثقه في السجن، وصعِد إلى السامرة، وحاصرها ثلاث سنين، وفي السنة التاسعة لهوشع أخذ ملك أشور السامرة، وسبى إسرائيل إلى أشور.

١٨/٩ ـ ١١: في السنة الرابعة للملك حزقيا، وهي السابعة لهوشع بن أيلة ملكِ إسرائيل، صعِد شَلْمَنأسر ملك أشور على السامرة وحاصرها، وأخذها في نهاية ثلاث سنين.

١٧/٢٤: وأتى ملك أشور بقوم من بابل وكوثَ وعَوّا وحماة وسَفَرْوايم، وأسكنهم في مدن السامرة عوضاً عن بني إسرائيل، فامتلكوا السامرة.

هذا ما حلَّ بإسرائيل كبرى المملكتين بعد (٣٢٣) سنة تقريباً من موت سليمان عليه السلام وسوف نرى إن شاء الله ما حل بالثانية.

• الملوك الثاني ١٨/١ ـ ٣، أخبار الأيام الثاني ٢٩/١ ـ ٢: ملك حَزقِيّا بن آحاز يهوذا، وكان ابن خمس وعشرين سنة، وملك تسعاً وعشرين سنة في أورشليم، واسم أمه أبيّ (أبية) بنت زكريا، وعمل المستقيم في عيني الرب.

الملوك الثاني ٢٠/٢١، أخبار الأيام الثاني ٣٢/٣٣: ثم اضطجع حزقيا مع آبائه، فدفنوه في عقبة قبور بني داود، وملك ابنه مَنَسّى عوضاً عنه.

• الملوك الثاني ٢١/١، أخبار الأيام الثاني ٣٣/١: كان مَنَسَّى ابن اثنتي عشرة سنة حين ملك، وملك خمساً وخمسين سنة في أورشليم، واسم أمه حفصيبة.

الملوك الثاني ٢١/١٨ أخبار الأيام الثاني ٣٣/٢٠: ثم اضطجع منسَّى مع آبائه، ودفن في بستان بيته، وملك آمون ابنه عوضاً عنه.

• الملوك الثاني ٢١/١٩ و٢٣ ـ ٢٦، أخبار الأيام الثاني ٣٣/٢١ و٢٤ ـ ٢٥: كان آمون ابن اثنتين وعشرين سنة حين ملك، وملك سنتين في أورشليم، واسم أمه مُسَلَّمة بنت حاروص من يَطْبة. وفتن عليه عبيده، فقتلوه في بيته، فضرب الشعب جميع الفاتنين، ودفن في بستان عُزا، وملكوا يوشيا ابنه عوضاً عنه.

• الملوك الثاني ٢٢/١ ـ ٢، أخبار الأيام الثاني ٣٤/١ ـ ٢: كان يوشيا ابن ثماني سنين حين ملك، وملك إحدى وثلاثين سنة في أورشليم، واسم أمه يَدِيدَة بنت عداية من بُصْقة، وعمل المستقيم في عيني الرب.

كيف قتل يوشيا؟ وهل حمل ميتاً أو جريحاً؟

الملوك الثاني ٢٣/٢٩ ـ ٣٠: وفي أيام يوشيا صعِد فرعون على ملك أشور إلى نهر =

= الفرات، فصعِد يوشيا للقائه، فقتله في مَجَدّو حين رآه، وأركبه عبيده ميتاً من مجدو، وجاؤوا به إلى أورشليم فدفنوه في قبره.

وفي أخبار الأيام الثاني ٣٥/ ٢٠ ـ ٢٥: حين هيأ يوشيا البيت صعِد ملك مصر إلى كَرْميش ليحارب عند الفرات، فخرج يوشيا للقائه... وجاء ليحارب في بقعة (وادي) مجدو، وأصاب الرماة يوشيا، فقال لعبيده: انقلوني، لأني جُرحت جداً. فنقله عبيده إلى أورشليم فمات، ودفن في قبور آبائه.

فهل قتله فرعون حين رآه، وأركبه عبيده ميتاً إلى أورشليم؟ أو أصابه الرماة فجرحوه، فنقله عبيده جريحاً إلى أورشليم ثم مات هناك؟! اضطراب واضح بين السِّفْرين مهما حاولوا وتكلفوا في رتقه.

• الملوك الثاني ٢٣/ ٣٠ ـ ٣٥، أخبار الأيام الثاني ٣٦/ ١ ـ ٤: وأخذ الشعب يهوآحاز بن يوشي، ومَسَحوه وملَّكوه عوضاً عن أبيه. كان يهوآحاز ابن ثلاث وعشرين سنة حين ملك، وملك ثلاثة أشهر في أورشليم، واسم أمه حموطَل بنت إرميا من لِبْنَة... وأسره فرعون في رَبْلَة في أرض حماة، لئلا يملك في أورشليم، وعزله وملَّك أخاه ألياقيم، وغير اسمه إلى يهوياقيم، وأخذ يهوآحاز إلى مصر، فمات هناك.

• الملوك الثاني ٢٣/ ٣٦ ـ ٣٧، أخبار الأيام الثاني ٣٦/ ٥: كان يهوياقيم ابن خمس وعشرين سنة حين ملك، ملك إحدى عشرة سنة في أورشليم، واسم أمه زَبيدة بنت فِداية من رومةَ، وعمل الشر في عيني الرب.

الملوك الثاني ٢٤/ ١، أخبار الأيام الثاني ٣٦/ ٦: وفي أيامه صعِد نبوخذنصّر (نبوكَدْنصّر) ملك بابل. في سفر أخبار الأيام: وقيده بسلاسل من نحاس ليذهب به إلى بابل. وفي سفر الملوك: فكان له عبداً ثلاث سنين، ثم عاد فتمرد عليه.

الملوك الثاني ٢٤/ ٦، أخبار الأيام الثاني ٣٦/ ٨: ثم اضطجع يهوياقيم مع آبائه، وملك يهوياكين ابنه عوضاً عنه.

• الملوك الثاني ٢٤/ ٨ ـ ٩، أخبار الأيام الثاني ٣٦/ ٩: كان يهوياكين ابن ثماني عشرة سنة حين ملك، وملك ثلاثة أشهر ـ زاد في أخبار الأيام: وعشرة أيام ـ في أورشليم.

واسم أمه نحوشتا بنت ألِناثان من أورشليم. وعمل الشر في عيني الرب.

هل أخذ نبوخذنصر يهوياكين معه أسيراً، أو أرسل فأتي به إليه؟ وهل متنيا عمه أو أخوه؟ وهل ملك ثلاثة أشهر أو ثمانية أعوام؟

الملوك الثاني ٢٤/ ١٠ ـ ١٧: في ذلك الزمان صعِد عبيد نبوخذنصر إلى أورشليم، وحاصروها، ثم جاء هو في أثناء الحصار، فخرج إليه يهوياكين مع أمه وعبيده، فأخذه ملك بابل في السنة الثامنة من ملكه وسباه مع أمه ونسائه وجميع الأقوياء إلى بابل، ولم يبق في أورشليم إلا المساكين، ومَلَّك عمه مَتَّنِيّا عوضاً عنه، وغير اسمه إلى صِدْقِيّا.

أخبار الأيام الثاني ٣٦/ ١٠: وعند رجوع السنة أرسل الملك نبوخذنصر، فأتي به إلى بابل... وملّك صدقيا أخاه على يهوذا وأورشليم. =

....

= • الملوك الثاني ١٨/٢٤ ـ ٢٠، أخبار الأيام الثاني ٣٦/١٠ ـ ١٣: كان صدقيا ابن إحدى وعشرين سنة حين ملك، وملك إحدى عشرة سنة في أورشليم، واسم أمه حَميطل بنت إرمياء من لِبْنة. وعمل الشر في عيني الرب... وتمرد على ملك بابل.

الملوك الثاني ٢٥/١ ـ ٦: وفي السنة التاسعة لملكه في الشهر العاشر، في عاشر الشهر، جاء نبوخذنصر إلى أورشليم بجيشه، وحاصروها إلى السنة الحادية عشرة للملك صدقيا، واشتد الجوع، فهرب الناس ليلاً، وهرب الملك، وكان الكلدانيون مستديرين حول المدينة، فتبعوه وأدركوه في برية أريحا، وتفرقت جيوشه عنه، فأخذوه، وأصعدوه إلى ملك بابل، إلى رَبْلة، فقتلوا بنيه أمام عينيه، ثم قلعوا عينيه، وقيدوه بسلسلتين من نحاس، وجاؤوا به إلى بابل.

أخبار الأيام الثاني ٣٦/١٧: فأصعد الله عليهم ملك الكلدانيين، فقتل مختاريهم بالسيف في بيت مقدسهم، ولم يشفق على فتى أو عذراء، ولا على شيخ أو أشيب، بل دفع الجميع ليده، وأتى برؤسائهم إلى بابل.

الملوك الثاني ٢٥/٨ ـ ١٣، أخبار الأيام الثاني ٣٦/١٨ ـ ١٩: وجاء نَبُوزَرَادان رئيس الشرط عبد ملك بابل إلى أورشليم، وأحرق بيت الرب وبيت الملك وجميع قصور أورشليم، وهدم أسوارها، وسبى الذين بَقُوا من السيف إلى بابل، ولم يبق فيها إلا المساكين من الكرامين والفلاحين، وظلوا لهم عبيداً لملك بابل ولبنيه من بعده إلى أن قامت مملكة فارس.

وهذا هو التدمير الأول للمعبد.

• الملوك الثاني ٢٥/٢٢ ـ ٢٦: وأما الشعب الذي بقي في يهوذا، فوكل عليهم نبوخذنصَّرُ جَدَلْيا بن أخنيقام بن شافان، فنصح الشعب بإطاعة ملك بابل ليكونوا بخير. وفي الشهر السابع جاء إسماعيل بن نثينا بن أليشَمَع من النسل الملكي وعشرة من رجاله معه، فقتلوا جدليا مع اليهود والكلدانيين الذين معه. فخاف الناس جميعهم، وهربوا إلى مصر كباراً وصغاراً.

وصفوة القول: لم يتحقَّق الوعد ليهوذا، ولم يحمل أحد من بنيه عصا القيادة فضلاً عن الملك مدة طويلة، إلى أن جاء داود ثم ورثه ابنه سليمان ﷷ فهل كان الوعد لواحد من ذرية يهوذا؟ وهل هذا هو المراد من النص؟!

ولم يتحقق الوعد لداود إلا في ابنه سليمان ﷷ ومن بعده انقسمت المملكة، وصار التحقق جزئياً في مملكة صغيرة فيها سبط ونصف، ثم خرج الملك عن بيت داود ويهوذا بعد أخزيا قُرابة سبع سنوات خلال حكم عتليا بنت عُمري، ثم عاد إلى بيت داود عودة مخزية، حيث كان الارتداد والكفر وتسلط ملوك بابل عليهم، يأسرون ويعزلون ويولون الملوك، ويغيرون أسماء بعضهم أيضاً، إلى أن دُمرت أورشليم والبيت، وقُتل معظمهم ومن بقي سُبي إلى بابل، ولحقت المملكة الثانية بأختها، وضربت على اليهود الذلَّة والمسكنة إلى الأبد.

ولو حسبنا مدة التحقق الجزئي للوعد لكانت (٤٢٧) سنة وستة أشهر وعشرة أيام، كما جاء في مدة حكم الملوك الذين هم من نسل داود ﷷ فهل هذا إثبات كرسيه في نسله إلى الأبد؟ وإلا فما هذا الملك وما هذه الرياسة ليهوذا ولداود؟ هل تستحق البشرى؟

وقد قررت على هذا الفصل أعلمهم وأجدلهم، وهو أشموال بن يوسف اللاوي، الكاتب المعروف بابن النغرال[1] في سنة أربع وأربعمئة، فقال لي: لم تزل رؤوس الجواليت ينتسلون من ولد داود، وهم من بني يهوذا، وهي قيادة وملك ورياسة. فقلت: هذا خطأ، لأن رأس الجالوت لا ينفذ أمره على أحد من اليهود ولا من غيرهم، وإنما هي تسمية لا حقيقة لها، ولا له قيادة، ولا بيده مخصرة، فكيف وبعد أخزيا بن يورام لم يكن من بني يهوذا والٍ أصلاً مدة ستة أعوام، ثم بعده نشأ الملقَّب صدقيا بن يوشيا، لم يكن منهم لأحد له معيَّن، ولا من يملك على أحد اثنين وسبعين عاماً متصلة حتى ولي زربابيل، ثم انقطعت الولاية منهم جملة، لا رأس جالوت ولا غيره، مدة ولاية الهارونيين مَلِكاً مَلِكاً مئين من السنين، ليس لأحد من يهوذا في ذلك أمر إلى دولة المسلمين أو قبلها بيسير، فأوقعوا اسم رأس الجالوت على رجل من بني داود إلى اليوم، إلا أن بعض المؤرخين القدماء ذكر أن هيردوس وابنيه وابن ابنه أعريفاس بن أعريفاس كانوا من بني يهوذا، والأظهر أنهم من الروم عند كل مؤرخ. فظهر كذب هؤلاء الأنذال بيقين، وحاش لله أن يَكْذب نبي.

---

(١) ابن النغرال أو النغريلة أو غير ذلك، من الطارئين على الأندلس، وعلى غرناطة، نشأ بقرطبة، ودرس التلمود فيها على الكاهن حَنُّوك، كما درس الأدب العربي حتى أصبح يتقن الكتابة المنمقة بالعربية. كان من أوائل من لقيه ابن حزم من يهود، وكان بينهما مناظرات وردود. [عن مقدمة د. إحسان عباس لكتاب الرد على ابن النغريلة].



بركة يعقوب

[هل كانت لِمَنَسَّى بكر يوسف أو لابنه الأصغر أفرايم][1]

ثم ذكر بركة يعقوب ﷺ على بنيه، وأنه وضع يده اليمنى على رأس أفرايم بن يوسف، واليسرى على رأس مَنَسّى بن يوسف، وأن ذلك شقَّ على يوسف ﷺ وقال: لا يحسن هذا يا أبتِ، لأن هذا بكر ولدي، فاجعل يمينك على رأسه، يعني مَنَسَّى. فكره ذلك يعقوب وقال: علمتُ يا بني علمتُ، وستكثر ذرية هذا وتعظم، ولكن أخاه الأصغر يكون أكثر نسلاً وعدداً.

يعني أن أفرايم يكون عدد نسله أكثر من عدد مَنسَّى[2].

---

[1] جاء في سفر التكوين ٤٨/٨ ـ ٩: ورأى إسرائيل ابني يوسف فقال: من هذان؟ فقال يوسف: هما ابناي اللذان أعطاني الله ههنا.

٤٨/١٣ ـ ١٤: وأخذ يوسف الاثنين، أفرايم بيمينه عن يسار إسرائيل، ومَنَسَّى بيساره عن يمين إسرائيل، وقرَّبهما إليه، فمدَّ إسرائيل يمينه ووضعها على رأس أفرايم، وهو الصغير، ويساره على رأس مَنَسَّى، وضع يديه بفطنة، فإن منَسَّى هو البكر.

٤٨/١٧ ـ ٢٠: فلما رأى يوسف ذلك ساء في عينيه، فأمسك بيد أبيه لينقلها عن رأس أفرايم إلى رأس مَنَسَّى وقال: ليس هكذا يا أبي، لأن هذا هو البكر، ضع يمينك على رأسه. فأبى أبوه وقال: علمت يا ابني علمت، هو أيضاً يكون شعباً، وهو أيضاً يصير كبيراً، ولكن أخاه الصغير يكون أكبر منه، ونسله يكون جمهوراً من الأمم. وباركهما في ذلك اليوم... فقدم أفرايم على مَنَسَّى.

[2] ذكر كاتب سفر يشوع في الفصل الثالث عشر والسادس عشر والسابع عشر والثاني والعشرين الأرض التي أعطاها يشوع لأولاد مَنَسَّى وأفرايم ولدي يوسف ﷺ ولم يذكر عدد كل سبط، لكن جاء في سفر العدد ٢٦/٣٤: هذه عشائر مَنَسَّى. والمعدودون منهم اثنان وخمسون ألفاً وسبعمئة.

٢٦/٣٧: هذه عشائر أفرايم حسب عددهم، اثنان وثلاثون ألفاً وخمسمئة.

فظهر أن نسل مَنَسَّى أكثر من نسل أفرايم بـ(٢٠٢٠٠)، وهو عكس ما جاء في سفر التكوين، فدل على أنه من عند غير الله سبحانه.

ثم ذكر في مصحف يشوع أن بني منسَّى كانوا إذا دخلوا الشام، وقسمت عليهم الأرض اثنين وخمسين ألف مقاتل وسبعمئة، وأن بني أفرايم كانوا حينئذ اثنين وثلاثين ألفاً وخمسمئة.

وذكر في كتاب لهم معظَّم عندهم، اسمه سفطيم أنه كان لبني إسرائيل قبل داود عليه السلام أربعة من ملوك بني مَنَسَّى، وأربعة من بني أفرايم[1].

وأنَّ من جملة بني مَنَسَّى المذكورين رجلاً اسمه يفتاح بن جِلْعاد، قتل من بني أفرايم اثنين وأربعين ألف مقاتل حتى كاد يستأصلهم[2].

وفي كتاب لهم آخر معظَّم عندهم أيضاً، اسمه ملاخيم، أنه ملك عشرةَ

---

[1] هذه الأخبار مبثوثة في سفر القضاة من الفصل الأول إلى الفصل الثاني عشر.

[2] جاء في سفر القضاة ١/١١ ـ ٦: وكان يفتاح الجِلْعادي جبار بأس، وهو ابن امرأة زانية، وجِلْعاد ولَد يفتاح، ثم ولدت امرأة جلعاد له بنين، فلما كبر بنو المرأة طردوا يفتاح وقالوا له: لا ترث في بيت أبينا، لأنك ابن امرأة أخرى. فهرب يفتاح من وجه إخوته، وأقام في أرض طُوب، فاجتمع إليه رجال بطالون، وكانوا يخرجون معه... ولما حارب بنو عَمّون إسرائيل ذهب شيوخ جلعاد ليأتوا بيفتاح، وقالوا: تعالَ وكُنْ لنا قائداً.

١١/٩ ـ ١١: فقال يفتاح لهم: إذا أرجعتموني لمحاربة بني عمّون ودفعهم الرب أمامي فأنا أكون لكم رأساً. فقالوا: الرب يكون سامعاً بيننا، فذهب معهم، وجعلوه رأساً وقائداً.

١١/٢٩ ـ ٣٣: فكان روح الربِّ على يفتاح، فعبر إلى بني عَمُّون لمحاربتهم... فدفعهم الرب ليده، فضربهم ضربة عظيمة جداً.

١/١٢ ـ ٤: واجتمع رجال أفرايم وعبروا إلى جهة الشمال وقالوا ليفتاح: لماذا عبرت لمحاربة بني عمُّون ولم تدعنا للذهاب معك؟ نحرق عليك بيتك بنار. فقال لهم: كنت أنا وشعبي صاحب خصام مع بني عمون، وناديتكم فلم تخلصوني منهم، فعبرت إليهم، فدفعهم الرب ليدي؛ فلماذا صعدتم عليَّ اليوم لمحاربتي؟! وجمع يفتاح كل رجال جلعاد وحارب أفرايم.

٦/١٢ ـ ٧: فسقط في ذلك الوقت من أفرايم اثنان وأربعون ألفاً. وقضى يفتاح لإسرائيل ست سنين.

ويريد ابن حزم رحمه الله أن بني مَنَسَّى تمكنوا من بني أفرايم، لكثرتهم وشجاعتهم، فكان عكس ما جاء في سفر التكوين. لكن الغريب في هذا الخبر كيف دخل يفتاح في جماعة الرب، وكان عليه روح الله، وقضى لإسرائيل ست سنين، وهو ابن امرأة زانية؟! أليس هذا مخالفاً لما جاء في سفر التثنية ٢/٢٣: «لا يدخل ابن زنى في جماعة الرب حتى الجيل العاشر، لا يدخل أحد منه في جماعة الرب». ولما في سفر الخروج ٥/٢٠ و٧/٣٤ والعدد ١٨/١٤ والتثنية ٩/٥: «لأني أنا الله إلٰه غيور، أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي»؟!.

أسباط من بني إسرائيل بعد سليمان عليه السلام إلى أن ذهب الأسباط المذكورون وسُبُوا، من بني أفرايم مِلكان كانت مدتهما جميعاً ستة وعشرين سنة فقط، وهما ياربعام وابنه ناداب، ووليهم من بني مَنَسَّى خمسة ملوك، واتصلت دولتهم مئة عام وعامين، وهم زخريا بن يربعام بن يوآش بن يهوياحاز بن ياهو، كلهم ملك ابن ملك ابن ملك ابن ملك ابن ملك، ولم يكن فيمن ملك الأسباط العشرة أقوى ملكاً من هؤلاء المنسايين، وهذا ضد قول يعقوب الذي حكوه عنه. وحاش لله أن يكذب نبي فيما ينذر به عن الله عز وجل[1].

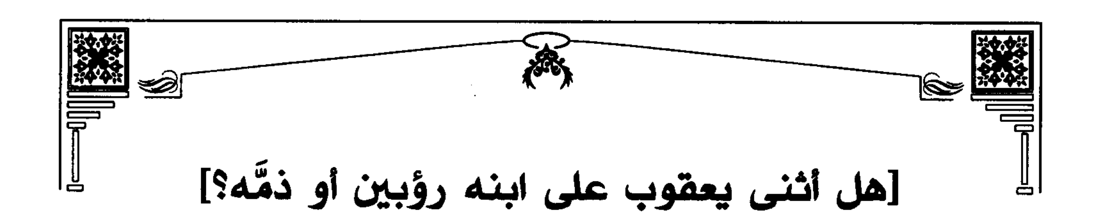
فإن قالوا: إن يشوع بن نون ودبور أنسه وميخا المورشي النبي، كلهم كان من بني أفرايم، وكان بنو أفرايم إذ خرجوا من مصر أربعين ألف مقاتل وخمسمئة مقاتل ومئتي مقاتل. وكان بنو مَنَسَّى يومئذ اثنين وثلاثين ألف مقاتل ومئتي مقاتل[2]. قلنا: لم تذكروا أنَّ يعقوب قال: يكون الشرف في نسل أفرايم، إنما حكيتم أنه قال: إن أفرايم يكون أكثر نسلاً وعدداً من مَنَسَّى على التأبيد والعموم وإيصال البركة، لا على وقت خاص قليل، ثم يعود الأمر بخلاف ذلك، فتبطل البركة، ويصير المبارك مُدْبراً، والمُدْبر مباركاً في الأبد.

***

(١) سبق في القسم الأول في اللمحة التاريخية عن الأدوار التي مرَّت بها التوراة أن المملكة انقسمت بعد موت سليمان عليه السلام إلى مملكتين: مملكة يهوذا، وملك عليها رَحَبْعام بن سليمان، ومملكة إسرائيل، وملك عليها يَرْبعام بن نباط في جبل أفرايم ثم ابنه ناداب. وذكر ابن حزم رحمه الله أن مدة حكم ياربعام وابنه ناداب ست وعشرون سنة، وكذلك ذكر في اللمحة التاريخية، وسبق التنبيه إلى أن المدة في التوراة الحالية في سفر الملوك ١٤/ ٢٠ و١٥/ ٢٦ هي أربع وعشرون سنة، لأن يربعام ملك اثنين وعشرين عاماً، وملك ابنه عامين.

(٢) جاء في سفر العدد ١/ ١٧ ـ ١٨: فأخذ موسى وهارون هؤلاء الرجال الذين تعينوا بأسمائهم، وجمعا كل الجماعة في أول الشهر الثاني، فانتسبوا إلى عشائرهم بعدد الأسماء من ابن عشرين سنة فصاعداً برؤوسهم.

١/ ٣٢ ـ ٣٥: «بنو يوسف: بنو أفرايم تواليدهم حسب عشائرهم بعدد الأسماء من ابن عشرين سنة فصاعداً، كل خارج للحرب، المعدودون منهم أربعون وخمسمئة. بنو مَنَسّى تواليدهم حسب عشائرهم بعدد الأسماء، من ابن عشرين سنة فصاعداً، كل خارج للحرب، المعدودون منهم اثنان وثلاثون ومئتان». وقد ذكر ابن حزم رحمه الله في بني أفرايم زيادة مئتين.



[هل أثنى يعقوب على ابنه رؤبين أو ذمَّه؟]

ثم ذكر عن يعقوب عليه السلام أنه قال لرؤبين: أنت أول المواهب، مفضَّل في الشرف، مفضَّل في العز، ولا تفضُل منهملة ماء[1].

قال أبو محمد رحمه الله: هذا كلام يكذب أوله آخره.

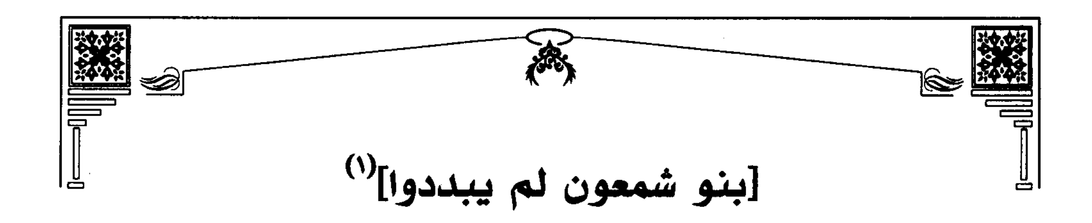
---

[1] جاء في سفر التكوين ٤٩/٣ ـ ٤ أن يعقوب قال لرأوبين وهو يوصي بنيه: «رأوبين، أنت بِكري قوتي وأول قدرتي، فضل الرفعة وفضل العز، فائراً كالماء، لا تفضُل، لأنك صعدت على مضجع أبيك، حينئذ دنسته. على فراشي صعِد.

وعند الكاثوليك: فاضل في الشرف، فاضل في العز، فُرْت كالماء، لا تفضل، لأنك عَلَوت على مضجع أبيك.

حقاً هذا كلام يناقض أوله آخره، وآخره أوله.

وجاء في سفر أخبار الأيام الأول ١/٥ ـ ٢: بنو رأوبين بكر إسرائيل، لأنه هو البكر، ولأجل تدنيسه فراش أبيه أعطيت بكوريته لبني يوسف بن إسرائيل، فلم ينسب بكراً، لأن يهوذا اعتز على إخوته، ومنه الرئيس، وأما البكورية فليوسف.



[بنو شمعون لم يبددوا][1]

ثم ذكر أن يعقوب عليه السلام قال للّاوي وشمعون: سأبدّدهما في يعقوب، وأفرقهما في إسرائيل[2].

---

[1] جاء في سفر التكوين ٤٩/ ٥ ـ ٧: شمعون ولاوي أخوان، آلات ظلم سيوفهما، في مجلسهما لا تدخل نفسي، بجمعهما لا تتحد كرامتي، لأنهما في غضبهما قتلا إنساناً، وفي رضاهما عرقبا ثوراً. ملعون غضبهما، فإنه شديد، وسخطهما فإنه قاس. أُقَسِّمهما في يعقوب، وأفرقهما ـ وعند الكاثوليك: وأبددهما ـ في إسرائيل.

فالتقسيم والتبديد عقوبة لهذين السبطين، فهل تمَّت العقوبة؟

[2] جاء في سفر العدد ٢/ ٢٢: وأما اللَّاويون، فلم يُعَدُّوا بين بني إسرائيل كما أمر الرب موسى.

وفي التثنية ١٠/ ٨ ـ ٩: وفي ذلك الوقت أفرز الرب سبط لاوي ليحملوا تابوت عهد الرب، ولكي يقفوا أمام الرب ليخدموه ويباركوا باسمه إلى هذا اليوم. لأجل ذلك لم يكن للَّاوي قسم ولا نصيب مع إخوته، الرب هو نصيبه، كما كلَّمه الرب إلٰهك.

التثنية ١٨/ ١ ـ ٢: لا يكون لكهنة اللاويين ـ كل سبط لاوي ـ قسم ولا نصيب مع إسرائيل. . . فلا يكون له نصيب في وسط إخوته، الرب هو نصيبه كما قال له.

وفي سفر يشوع ١٤/ ٤ ـ ٥: وأما اللّاويون، فلم يعطهم نصيباً في وسطهم. . . ولم يعطوا اللَّاويين قسماً من الأرض إلا مدناً للسكن ومسارحها لمواشيهم ومقتناهم، كما أمر الرب موسى، هكذا فعل بنو إسرائيل وقسموا الأرض.

يشوع ٢١/ ١ ـ ٣: ثم تقدَّم رؤساء آباء اللاويين إلى أَلِعازار الكاهن وإلى يشوع بن نون قائلين: قد أمر الرب على يد موسى أن نُعْطَى مدناً للسكن مع مسارحها لبهائمنا. فأعطى بنو إسرائيل اللَّاويين من نصيبهم حسب قول الرب هذه المدن مع مسارحها.

٣١/ ٤١: جميع مدن اللاويين في وسط ملك بني إسرائيل ثمان وأربعون مدينة مع مسارحها.

إذاً، تفريق بني لاوي قد تمَّ، لكن هل هو عقوبة على جور سيوفهم ومقت الله لهم، أو تكريم حيث كان الرب نصيبهم؟

جاء في سفر العدد ٣/ ٥ ـ ٧: وكلَّم الرب موسى قائلاً: قدم سبط لاوي، وأوقفهم قُدَّام هارون الكاهن، وليخدموه، فيحفظون شعائره وشعائر كل الجماعة.

٣/ ١١ ـ ١٢: وكلَّم الرب موسى قائلاً: وها إني قد أخذت اللَّاويين من بين بني إسرائيل بدل كل بكر فاتح رحم من بني إسرائيل، فيكون اللاويون لي.

٣/ ٤١: فتأخذ اللَّاويين لي أنا الرب بدل كل بكر في إسرائيل.

قال أبو محمد رَحِمَهُ اللَّهُ: أما لاوي فكان نسلُه مبدَّداً في إسرائيل كما ذكر.

وأما بنو شمعون فلا، بل كانوا مجتمعين في البلد الذي وقع لهم كسائر الأسباط ولا فرق. وليس إنذار النبوة مما يكذب في قصة ويصدق في أخرى، هذه صفات إنذرات الحُسَّاب القاعدين على الطرق للنساء ولمن لا عقل له[1].

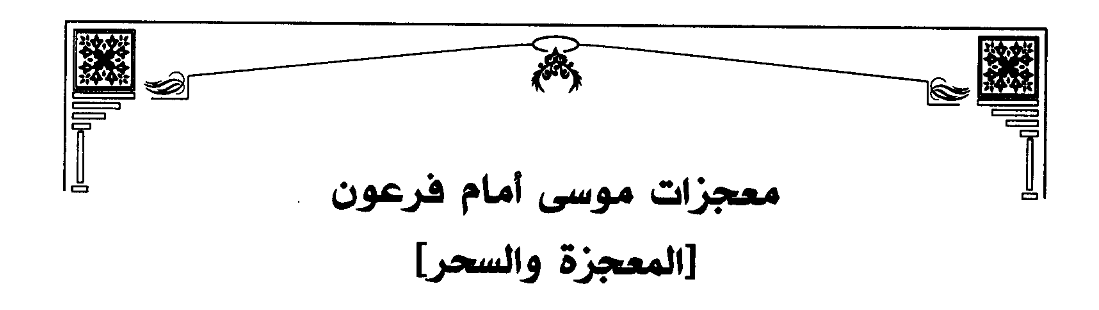
***

[1] جاء في سفر العدد ٢/١٢ ـ ١٣: والنازلون معه من سبط شمعون، والرئيس لبني شمعون شَلُومئيل بن صور يَشَدَّاي، وجنده المعدودون منهم تسعة وخمسون ألفاً وثلاثمئة.

وفي سفر يشوع ١٩/١: وخرجتْ القرعة الثانية لشمعون، لسبط بني شمعون حسب عشائرهم، وكان لهم نصيبهم داخل نصيب بني يهوذا.

١٩/٨ ـ ٩: هذا هو نصيب سبط بني شمعون حسب عشائرهم، ومن قسم بني يهوذا كان نصيب شمعون، لأن قسم بني يهوذا كان كثيراً عليهم، فملك شمعون من داخل نصيبهم.

إذاً، لم تقع العقوبة على كلا السبطين، فتفريق بني لاوي إنما كان تكريماً لهم، وأما بنو شمعون فقد أخذوا نصيباً خاصاً بهم ووزَّعوه على عشائرهم، ولم يتفرقوا بين مساكن الأسباط كما تفرق بنو لاوي.



معجزات موسى أمام فرعون
[المعجزة والسحر]

ثم ذكر أن هارون ألقَى العصا بين يدي فرعون وعبيده فصارت حيَّة، فدعا فرعون بالعلماء والسَّحَرة، وفعلوا بالرُّقى المصرية[1] مثل ذلك، لكن عصا موسى ازدردت عصيهم[2].

ثم ذكر أن موسى وهارون فعلا ما أمرهما السيد، فرفع العصا وضرب بها ماء النهر بين يدي فرعون وعبيده، فعاد دماً ومات كل حوت فيه، ونتن النهر، ولم يجد المصريون سبيلاً إلى الشرب منه، وصار الماء في جميع أرض مصر دماً، ففعل مثل ذلك سَحَرة مصر برقاهم[3].

---

[1] الرقى: جمع رقية ـ بضم الراء فيهما ـ: العُوذة ـ بضم العين ـ ورقاه رقياً: نفث في عوذته. والمراد هنا التعاويذ التي استخدمها السحرة المصريون. [القاموس ومختار الصحاح].

[2] جاء في سفر الخروج ٧/ ٨ ـ ١٣: وقال الله لموسى وهارون: إذا كلمكما فرعون وقال: هاتيا عجيبة، فقل لهارون: خذ عصاك واطرحها أمام فرعون، فتصير ثعباناً. فدخلا إلى فرعون وفعلا كما أمر الرب، فدعا فرعون أيضاً الحكماء والسَّحَرة، ففعل عرافو مصر أيضاً بسحرهم كذلك، صارت العصي ثعابين، لكن عصا هارون ابتلعت عصيهم، فلم يسمع فرعون لهما.

من الملاحظ أنهم نسبوا العصا إلى هارون، مع أنها عصا موسى، وكانت معه يوم كلَّمه ربه بالوادي المقدَّس، وذكروا أن هارون هو الذي طرحها أمام فرعون. وهذا يدل على عدم دقَّة الكاتب.

[3] جاء في سفر الخروج ٧/ ١٤ ـ ٢٤: ثم قال الرب لموسى: اذهب إلى فرعون في الصباح، إنه يخرج إلى الماء، وقف للقائه على حافة النهر، والعصا التي تحولت حيَّة تأخذها في يدك وتقول له: الرب إله العبرانيين أرسلني إليك... هأنا أضرب بالعصا التي في يدي على الماء الذي في النهر فيتحول دماً، ويموت السمك، وينتن النهر، فيعاف المصريون أن يشربوا ماء النهر. ثم قال الرب لموسى: قل لهارون: خذ عصاك ومدَّ يدك على مياه المصريين، على أنهارهم وسواقيهم وآجامهم، وعلى كل مجتمعات مياههم، لتصير دماً، فيكون دم في كل أرض مصر، في الأخشاب والأحجار. ففعل موسى وهارون كما أمر الرب أمام فرعون، فلم =

ثم ذكر أن هارون مدَّ يده على مياه مصر، وخرجت الضفادع منها، وغطَّت أرض مصر ففعل السَّحَرة برقاهم مثل ذلك، وأقبلوا بالضفادع على أرض مصر[1].

ثم ذكر أن هارون مد يده بالعصا وضرب بها غبار الأرض، فتخلق منها بعوض في الآدميين والأنعام، وعاد جميع الغبار بعوضاً في جميع أرض مصر، فلم يفعل السحرة مثل ذلك برقاهم، وراموا اختراع البعوض فلم يقدروا عليه، فقال السحرة لفرعون: هذا صنع الله[2].

قال أبو محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذه الآبدة المُصْمَئِلَّة والصيلم المطبقة[3]، ولو صحَّ هذا لبطلت نبوة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بل نبوة كل نبي، ولو قَدَر السحرة على شيء من جنس ما يأتي به النبي، لكان باب السَّحَرة وباب مدَّعي النبوة واحداً، ولما انتفع موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بازدراد عصاه لعصيهم، ولا بعجزهم عن البعوض، وقد قَدَروا على قلب العصي حيَّات، وعلى إعادة الماء دماً، وعلى المجيء بالضفادع، ولما كان لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عليهم بنبوته أكثر من أنه أعلم بذلك العمل منهم فقط، ولو كان كما قال هؤلاء الكذَّابون الملعونون، لكان فرعون صادقاً في قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى

= يقدر المصريون أن يشربوا ماء من النهر، وكان الدم في كل أرض مصر. وفعل عرافو مصر كذلك بسحرهم، ثم انصرف فرعون ودخل بيته. وحفر جميع المصريين حوالي النهر، لأجل ماء ليشربوا، لأنهم لم يقدروا أن يشربوا من ماء النهر.

[1] جاء في سفر الخروج ٧/ ٢٥ و٨/ ١ ـ ٧: ولما كملت سبعة أيام بعد ما ضرب الرب النهر، قال الرب لموسى: قل لفرعون: يقول الرب: أطلق شعبي ليعبدوني، وإلا فهأنا أضرب جميع تخومك بالضفادع، فيفيض النهر ضفادع، فتصعد وتدخل إلى بيتك ومخدع فراشك وعلى سريرك وإلى بيوت عبيدك وعلى شعبك وإلى تنانيرك ومعاجنك. فقال الرب لموسى: قل لهارون: مدَّ يدك بعصاك على الأنهار والسواقي والآجام، وأصعد الضفادع على أرض مصر. ففعل فصعِدت الضفادع وغطَّت أرض مصر وفعل كذلك العرافون بسحرهم، وأصعدوا الضفادع على أرض مصر.

[2] الخروج ٨/ ١٦ ـ ١٩: ثم قال الرب لموسى: قل لهارون: مدّ عصاك واضرب تراب الأرض ليصير بعوضاً في جميع أرض مصر. ففعلا كذلك، فصار البعوض على الناس وعلى البهائم، كل تراب الأرض صار بعوضاً في جميع أرض مصر. وفعل كذلك العرافون بسحرهم ليخرجوا البعوض فلم يستطيعوا. فقال العرافون لفرعون: هذه أصبع الله.

[3] الآبدة: الداهية، يبقى ذكرها أبداً واصمأل اصمئلالاً: اشتد، والمصمئلة: الداهية، والصَّيْلَم: الأمر الشديد، والداهية، ووقعة صيلمة: مستأصلة. [القاموس، مختار الصحاح].

عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾، ولا منفعة لهم في قول السحرة في البعوض: هو صنع الله، لأنه يقال لبني إسرائيل: فعلى موجب قول السحرة لم يكن من صنع الله قلب العصا حية والماء دماً والمجيء بالضفادع، بل من غير صنع الله. وهذه عظيمة تقشعر منها الجلود.

أين هذا الإفك المفترى البارد من نور الحق الباهر؟ إذ يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ﴾ [طه: ٦٩]، وإذ يقول تعالى: ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الأعراف: ١١٣ - ١٢٢]، وإذ يقول تعالىٰ: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦]، فأخبر ﷻ أن الذي عمل موسى حق، وأن عصاه صارت ثعباناً على الحقيقة بقوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ١٠٧، والشعراء: ٣٢].

فصحَّ أنه تبين ذلك لكل من رآه يقيناً، وأخبر أن الذي عمل السحرة إنما هو إفك وتخييل وكيد. وهذا هو الحق الذي تشهد به العقول، لا في الكتاب المبدَّل المحرَّف، فصح أن فعل السحرة حيلة مموَّهة لا حقيقة لها، وهذا الذي يصحِّحه البرهان، إذ لا يحيل الطبائع إلا خالقها، شهادة لرسله وأنبيائه، وفرقاً بين الصدق والكذب، لا قولهم: عمل السحرة مثل ما عمل موسى في وقت تكليفه برهاناً على صدق قوله، وعند تحدِّيه لهم على أن يأتوا بمثله إن كانوا صادقين وهو كاذب، فأتوا بمثله. فانظروا النتيجة يرحمكم الله.

هذه سَوْءة تشهد شهادة قاطعة صادقة بأن صانع ذلك الكتاب الملعون المكذوب الذي يسمونه (الحماش) ويدعون أنه توراة موسى عليه السلام إنما كان زنديقاً مستخفاً بالباري تعالى ورسله وكتبه، وحاش لموسى عليه السلام منه، وإنهم إلى الآن يزعمون أن إحالة الطبائع وقلب الأجناس عن صفاتها الذاتية إلى أجناس أخر واختراع الأمور في المعجزات البيِّنة يُقدر على ذلك بالرُّقَى والصناعات. واعلموا أنَّ من صدق بهذا فهو مبطل للنبوة بلا مرية، إذ لا فرق بين النبي وغيره إلا في هذا الباب، فإذا أمكن لغير النبي فلم يبقَ إلا دعوى لا برهان عليها. ونعوذ بالله من الضلال.

○ [استخفاف خبثائهم بعقول عامتهم]:

ولقد شاهدناهم متفقين إلى اليوم على أن رجلاً من علمائهم ببغداد دخل من بغداد إلى قرطبة في يوم واحد، وأنبت قرنين في رأس رجل من بني الإسكندراني، كان ساكناً بقرب دار اليهود، عند فندق الحرقة، كان يؤذي يهود تلك الجهة ويسخر منهم.

وهذه كذبة وفضيحة لا نظير لها، والموضع مشهور عندنا بقرطبة داخل المدينة، وبنو عبد الواحد بن يزيد الإسكندراني من بيئة رفيعة مشهورة، أدركنا آخرهم، كانت فيهم وزارة وعمالة، ليس فيهم مغمور ولا خفي إلى أن بادوا، ما عرف قط أحد منهم ولا من جيرانهم هذه الأحموقة المختلقة.

والقوم بالجملة أكذب البرية، أسلافهم وأخلافهم، على كثرة ما شاهدنا منهم، ما رأيت فيهم قط متحرياً إلا رجلين فقط.

○ [هل بقي ماء تحيله السحرة دماً؟]:

قال أبو محمد رَحِمَهُ اللهُ: وفي قصة قلب الماء دماً فضيحة أخرى ظاهرة الكذب، وهي أن في نص الكلام الذي يزعمونه التوراة: «ثم قال السيد لموسى: قل لهارون: مدَّ يدك بالعصا على مياه مصر وأنهارها وأوديتها ومروجها وجناتها لتعود دماً، ويصير الماء في آنية التراب والخشب دماً. ففعل موسى وهارون كل ما أمرهما به السيد» إلى قوله: «وصار الماء في جميع أرض مصر دماً. ففعل مثل ذلك سَحَرة مصر برقاهم، واشتد قلب فرعون، ولم يسمع لهما على حال، ثم انصرف فرعون ودخل بيته، ولم يوجه قلبه إلى هذا أيضاً. وحفر جميع المصريين حوالي النهر ليصيبوا الماء منها، لأنهم لا يقدرون على شرب الماء من النهر»[1].

قال أبو محمد رَحِمَهُ اللهُ: هذا نص كتابهم، فأخبر أن كل ماء كان بمصر في أنهارها وأوديتها ومروجها وجناتها وأواني الخشب والتراب، والماء كله في جميع أرض مصر صار دماً، فأي ماء بقي حتى تقلبه السَّحَرة دماً، كما فعل موسى وهارون؟ أبى الله إلا فضيحة الكذابين وخزيهم.

---

(١) سبق ذكر النص لدى الكلام عن معجزات موسى أمام فرعون. وهو في سفر الخروج ٧/ ١٤ ـ ٢٤.

فإن قالوا: قلبوا ماء الآبار التي حفرها المصريون حول النهر. **قلنا لهم:** فكيف عاش الناس بلا ماء أصلاً؟ أليست هذه فضائح مردودة؟ وهل يخفى أن هذا من توليد ضعيف العقل أو زنديق مستخفٌ لا يبالي بما أتى من الكذب. ونعوذ بالله من الضلال[1].

---

[1] أو تراهم فعلوا ذلك في آنية صغيرة مخصصة للشرب. وإذا كان كذلك فهل فيه مزية تضارع ما فعله موسى وهارون عليهما السلام؟ وكان الأولى بالسحرة أن يعيدوا الماء الذي صار دماً إلى ما كان عليه، ليبطلوا دعوى موسى عليه السلام إن استطاعوا، كما فعل هو بعصيهم.

ويشبه هذا ما ذكروه في الضفادع التي غطَّت أرض مصر بفعل موسى وهارون عليهما السلام؛ فهل بقي ماء آخر لم تخرج منه الضفادع بفعل موسى وهارون عليهما السلام ليخرجَ العرَّافون منه الضفادع بسحرهم؟ وكيف يميزون ويميز الناس ضفادع السَّحَرة من ضفادع موسى وهارون عليهما السلام؟ وهل فعلوا ذلك لتكثر الضفادع والدماء على المصريين، فلا يجدوا ماء للشرب؟ أما كان الأولى بهم - لو كان الخبر صحيحاً - أن ينقذوا المصريين من الضفادع، لا أن يزيدوا فيها؟ أو على الأقل إن أرادوا إبطال ما فعلاه أن يحصروا الضفادع في مكان واحد؟!



ذكر بعض المعجزات لموسى

وبعد ذلك ذكر أن الله تعالى أمر موسى أن يقول لفرعون: ستكون يدي على مكسبك الذي لك في الفحوص[١]، وخيلك وحميرك وجمالك وبقرك وأغنامك بوباء شديد، ويظهر السيد أعجوبة فيما يملكه بنو إسرائيل، ووقت السيد لذلك وقتاً، وقال: غداً يفعل السيد هذا في الأرض. ففعل السيد ذلك في يوم آخر، وماتت جميع دواب المصريين، ولم يمت لبني إسرائيل دابة. فاشتد قلب فرعون، ولم يأذن لهم[٢].

ثم ذكر بعد ذلك أمر الله تعالى موسى بأن يأخذ ما حملت الكف من رماد الكانون[٣]، ويلقيه إلى السماء بين يدي فرعون ليصير غباراً في جميع أرض مصر، فيكون في الآدميين والأنعام خراجات ونفاطات[٤]، فأخذ رماداً من كانون، ووقف بين يدي فرعون ورماه موسى إلى السماء، وصارت منه نفاطات في الآدميين والأنعام، ولم تقدر السحرة على الوقوف عند موسى، لما كان أصابهم من ألم النفاطات، وكان مثل ذلك في جميع أرض مصر والسحرة.

---

[١] جمع فحص: وهو كل موضع يُسْكَن. والمفحص ـ كمقعد ـ، والأفحوص ـ كعصفور ـ مَجثِم القطا. [القاموس ومختار الصحاح].

[٢] جاء في سفر الخروج ٩/ ١ ـ ٧: ثم قال الرب لموسىٰ: قل لفرعون: يقول الرب إلٰه العبرانيين: أطلق شعبي ليعبدوني، فإن أبيت، فيد الرب تكون على مواشيك التي في الحقل، على الخيل والحمير والجمال والبقر والغنم وباء ثقيلاً جداً، ويميز الرب بين مواشي إسرائيل ومواشي المصريين، فلا يموت من كل ما لبني إسرائيل شيء، وعَيَّن الرب وقتاً قائلاً: غداً يفعل الرب هذا. ففعل الرب هذا في الغد، فماتت جميع مواشي المصريين، ولم يمت واحد من مواشي بني إسرائيل. وأرسل فرعون، وإذا مواشي إسرائيل لم يمت منها ولا واحد، ولكن غلظ قلبه، فلم يطلق الشعب.

[٣] الكانون والكانونة: الموقد. [القاموس ومختار الصحاح].

[٤] الخُراج ـ كالغراب ـ: القروح. والنَّفَط ـ بفتحتين ـ: المجل، والنفطة ـ بكسر النون وفتحها ـ: الجدري والبثرة، وقد نفطت يده نفيطاً ونفطاً: قرحت أو مجلت. [القاموس ومختار الصحاح].

فشدّد الله قلب فرعون، ولم يسمع لهما على حال ما عهد السيد إلى موسى[1].

○ [هل بقي للمصريين مواش؟]:

وبعد ذلك قال: إن الله تعالى أمر موسى أن يقول لفرعون: غداً، هذا الوقت، أمطر بَرَداً كثيراً جداً، لم ينزل مثله على مصر من اليوم الذي أسست فيه إلى هذا الوقت، فابعث واجمع أنعامك وكل من تملكه في الفدان، فكل ما أدركه البرد في الفدان ولم يدخل البيوت يموت. فمن خاف وعيد السيد من عبيد فرعون أدخل عبيده وأنعامه في البيوت، ومن استهان بوعيد السيد أبقى عبيده وأنعامه في الفدان. وقال السيد لموسى: مدَّ يدك إلى السماء لينزل البرد في جميع أرض مصر، فمدَّ موسى يده بالعصا، فأتى السيد بالرعد والبرد المختلف على الأرض، ثم أمطر السيد البرد في جميع أرض مصر مخلوطاً بنار. ولم ينزل بعظمة في تلك الأرض من حين سكن ذلك الجنس، فأهلك البرد في جميع أرض مصر كل ما ظهر به في الفدادين من الآدميين والأنعام وجميع عشبهما، وكسر جميع شجرها، ولم ينزل منه شيء في أرض قوص[2] حيث كان بنو إسرائيل[3].

---

[1] جاء في الخروج ٩/٨ ـ ١٢: ثم قال الرب لموسى وهارون: خُذا ملء أيديكما من رماد الأتون، وليذره موسى نحو السماء أمام فرعون، ليصير غباراً على كل أرض مصر، فيصير على الناس والبهائم دمامل طالعة ببثور في كل مصر. فأخذا رماد الأتون، وذرَّه موسى نحو السماء، فصار دَمامِلَ بثور طالعة في الناس والبهائم، ولم يستطع العرافون أن يقفوا أمام موسى من أجل الدمامل التي فيهم، ولكن فرعون لم يسمح لهما.

[2] مدينة كبيرة، قصبة صعيد مصر، تقع على الضفة الشرقية للنيل، قريبة من البحر الأحمر، وقد سماها الكتاب المقدس جاسان كما سيأتي في الحاشية التالية. [وانظر معجم البلدان].

[3] جاء في سفر الخروج ٩/١٣: ثم قال الرب لموسى: بكِّر في الصباح، وقل لفرعون: يقول إلٰه العبرانيين: أطلق شعبي ليعبدوني.

٩/١٨ ـ ٢١: هأنا غداً، مثل الآن، أمطر برداً عظيماً جداً، لم ينزل مثله في مصر منذ تأسيسها إلى الآن، فالآن أرسل واجمع مواشيك وكل مالك، جميع الناس والبهائم الذين يكونون في الحقل ولا يجمعون إلى البيوت، ينزل عليهم البرد فيموتون. فالذي خاف كلمة الرب من عبيد فرعون هرب بعبيده ومواشيه إلى البيوت، والذي لم يوجه قلبه إلى كلمة الرب تركهم في الحقل.

٩/٢٢ ـ ٢٦: ثم قال الرب لموسى: مدَّ يدك نحو السماء، ليكون برد في كل أرض مصر، على الناس والبهائم وعلى كل عشب الحقل. فمدَّ موسى عصاه نحو السماء، فأعطى =

قال أبو محمد رحمه الله: تأملوا هذا الكذب الهجين اللائح. ذكر أولاً أن موسى أتى بالوباء، وأخبر عن الله تعالى أنه قال لفرعون: سأهلك مكسبك الذي في الفحوص وخيلك وحميرك وجمالك وبقرك وأغنامك، فعمَّ جميع الناس، ما أدخل في البيوت وما لم يدخل، يعمُّ جميع الحيوانات صنفاً صنفاً، ثم أخبر أن جميع دواب المصريين ماتت، ولم تمت لبني إسرائيل ولا دابة، ثم ذكر أمر النفاطات، ثم ذكر أمر البرد، وأن موسى أنذر فرعون عن الله تعالى، وأمره بإدخال أنعامه في البيوت، وأن ما أدرك البردُ منها في الفحص يهلك. فليت شعري، أي دابة بقيت لفرعون وأهل مصر، وقد ذكر أن الوباء أهلك جميعها؟! وأين الإبل والحمير والخيل والغنم والبقر؟

أليس هذا عجيباً؟! وليس يمكن أن يقول: إنَّ دواب بني إسرائيل هلكت آخراً، إذ سَلِمت أولاً؛ لأنه قد بيَّن أنه لم يقع من البرد شيء في أرض قوص حيث سُكْنى بني إسرائيل، ولم يكن بين آية وآية بإقرارهم وقت يمكن فيه جلب أنعام إليهم من بلد آخر؛ لأنه لم يكن بين الآية والآية إلا يوم أو يومان أو قريب من ذلك، ومصر واسعة الأعمال، ولا تتصل بشيء من العمائر، بل بين جميع انتهاء أقطارها من كل جهة وبين أقرب العمائر مسيرة أيام كثيرة، كالشام وبلاد الغرب وأرض النوبة والسودان وإفريقية، فظهر كذب من عمل ذلك الكتاب المبدَّل المحرَّف المفترَى الذي يزعمونه التوراة، وحاشَ لله من ذلك، والحمد لله على السلامة من مثل عملهم وضلالهم كثيراً.

❊ ❊ ❊

= الرب رعوداً وبرداً، وجرت نار على الأرض، فكان برد، ونار متواصلة في وسط البرد، شيء عظيم جداً... فضرب البرد كل أرض مصر، جميع ما في الحقل من الناس والبهائم والعشب، وكسر جميع الشجر، إلا أرض جاسان حيث كان بنو إسرائيل، فلم يكن فيها برد.



وصف التوراة للمنِّ النازل من السماء

ثم وصف المنَّ النازل عليهم من السماء فقال: «وكان أبيض شبيهاً بزريعة الكُزبر، ومذاقُه كمذاق السميذ المعسَّل»[1].

ثم قال في السفر الرابع: كان المن شبيهاً بزريعة الكزبر، ولونه إلى الصفرة، وكان طعمه كطعم الخبز المعجون بالزيت[2].

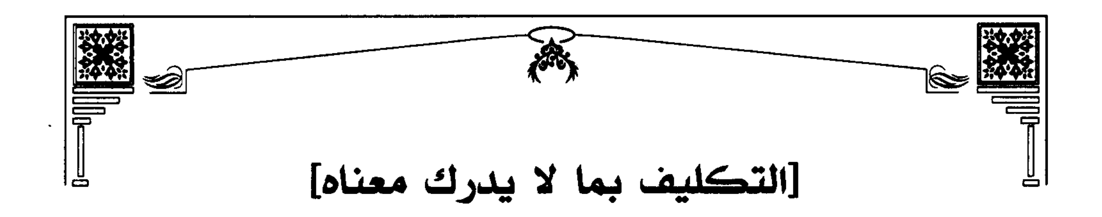
قال أبو محمد رحمه الله: هذا تناقض في الصفة واللون والطعم، وإحدى الصفتين تكذب الأخرى بلا شك.

---

[1] الكُزبُرة ـ بضم الباء وقد تفتح ـ: من الأبازير. والسميذ: السميد. [القاموس ومختار الصحاح].

جاء في سفر الخروج ١٦/ ٣١: ودعا بيتُ إسرائيل اسمَه مناً، وهو كبِزْر الكزبرة، أبيض، وطعمه كرقاق بعسل. وعند الكاثوليك: كقطائف بعسل.

[2] جاء في سفر العدد ١١/ ٧ ـ ٨: وأما المن، فكان كبِزر الكزبرة، ومنظره كمنظر المُقْل... وكان طعمه كطعم قطائف بزيت.



[التكليف بما لا يدرك معناه]

في السفر الثالث أن الباري تعالى قال له: من ضاجع امرأة عمه أو خاله، أو كشف عورة بنته، فيحملان جميعاً ذنوبهما، ويموتان من غير أولاد[1].

قال أبو محمد رَحِمَهُ اللهُ: كنا ذكرنا أننا لا نخرِّج عليهم من توراتهم كلاماً لا يفهم معناه، إذ للقائل أن يقول: قد أصاب الله به ما أراد، لكن هذا المكان لم يتخلَّف فيه وعدنا، لأنها شريعة مكلِّفة ملزمة، ومن المحال أن يكلف الله الناس عملاً لا يفهمونه ولا يعقلون معنى الأمر به.

---

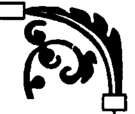
(١) جاء في سفر اللَّاويين ٢٠/١: وكلَّم الرب موسى قائلاً: وتقول لبني إسرائيل.

٢٠/٢٠ ـ ٢١: وإذا اضطجع رجل مع امرأة عمه، فقد كشف عورة عمه، يحملان ذنبهما، يموتان عقيمين. وإذا أخذ رجل امرأة أخيه فذلك نجاسة، قد كشف عورة أخيه، يكونان عقيمين.

هل المراد أن زوجة العم وزوجة الأخ تصبح محرمة حرمة أبدية؟ وإذا كان الأمر كذلك فكيف يقيم الأخ لأخيه الذي مات دون أن يخلف أولاداً، كيف يقيم له نسلاً من زوجته؟ ألا يتعارض هذا مع ما جاء في سفر التكوين ٢٨/٦ ـ ١١ من زواج ثامار من أخي زوجها أونان؟

وإذا كان المراد بيان تحريم المزني معها حال حياة عمه وأخيه، أو بعد مماتهما دون أن يعقد عليها، فهذا زنى، وحكمه كحكم الزنى بصورة عامة، لكن ما المراد بقوله: يموتان عقيمين، وقوله: يكونان عقيمين؟ هل المراد إجهاض الحمل إن تم، أو قتل الولد بعد ولادته؟ أو المراد أنهما لن ينجبا؟!

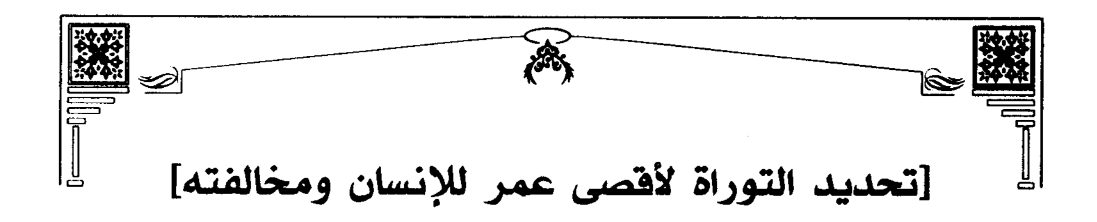
ومن هذا القبيل ما جاء في سفر الخروج ٢١/٢٨: وإذا نطح ثور رجلاً أو امرأة فمات، يرجم الثور ولا يؤكل لحمه، أما صاحب الثور فيكون بريئاً!!.


الفصل الثاني

خطؤها في العدّ والحساب والأنساب



[تحديد التوراة لأقصى عمر للإنسان ومخالفته]

وفي خلال هذا قال: «لا يدين روحي في الإنسان إلى الدهر، إذ هم منتشرون لزيغانه، هو بشر، فتكون أعمارهم مئة وعشرين سنة»(١).

وهذا كذب فاحش ومصيبة الأبد، لأنه ذكر بعد هذا القول أن سام بن نوح عاش بعد ذلك ستمئة سنة، وأرفخشاذ بن سام عاش أربعمئة وخمساً وستين سنة، وشالح بن أرفخشاذ عاش أربعمئة سنة وثلاثاً وثلاثين سنة، وعابر بن شالح عاش أربعمئة سنة، وأربعاً وستين سنة، وفالغ بن عامر عاش مئتي سنة وسبعاً وثلاثين سنة، ورعو بن فالغ عاش مئتي سنة وتسعاً وعشرين سنة، وسروغ بن رعو عاش مئتي سنة وثلاثين سنة، وناحور بن سروغ عاش مئة وثمانياً وأربعين سنة، وتارَح بن ناحور عاش مئتي سنة وخمسين سنة، وإبراهيم بن تارح عاش مئة سنة وخمساً وسبعين سنة، وإسحاق بن إبراهيم عاش مئة سنة وثمانين سنة، وإسماعيل بن إبراهيم عاش مئة سنة وسبعاً وثلاثين سنة، ويعقوب بن إسحاق عاش مئة سنة وسبعاً وأربعين سنة، ولاوي بن يعقوب عاش مئة سنة وسبعاً وثلاثين سنة، وعمران بن فَهَث عاش كذلك أيضاً، وفَهَث بن لاوي عاش مئة سنة وثلاثاً وثلاثين سنة، وأن سارح بنت أشر ومريم بنت عمران وهارون بن عمران عاش كل واحد منهم أزيد من مئة وعشرين سنة بسنيهم(٢).

---

(١) جاء في سفر التكوين ٦/٣: فقال الرب: لا يَدينُ روحي في الإنسان إلى الأبد لزيغانه، هو بشر ـ وعند الكاثوليك: لا يحل روحي على الإنسان أبداً، لأنه جسد ـ وتكون أيامه مئة وعشرين سنة.

جاء في الحواشي على الكتاب المقدس ص١: «لأنه جسد» أي لأن الإنسان منهمك في لذات الجسد المحرمة.

(٢) هذا التحديد لم يتحقق، فإنَّ أعمار البشر الذين كانوا في سالف الزمان طويلة جداً، وقد ذكرت توراتهم طرفاً منهم، فناقضت نفسها.

جاء في سفر التكوين ٩/٢٩: فكانت كل أيام نوح تسعمئة وخمسين سنة ومات.

وفي ١١/١٠ ـ ٢٦: هذه مواليد سام: لما كان سام ابن مئة سنة ولَد أرْفَكْشاد بعد =

فاعجبوا لهذه الفضائح، ولعقول تتابعت على التصديق والتدين بمثل هذا الإفك الذي لا خَفاء به.

= الطوفان بسنتين، وعاش سام بعدما ولد أرفكشاد خمسمئة سنة، وولَد بنين وبنات، وعاش أرفكشاد خمساً وثلاثين سنة وولد شالح، وعاش أرفكشاد بعدما ولد شالح أربعمئة وثلاث سنين، وولد بنين وبنات، وعاش شالح ثلاثين سنة وولد عابر، وعاش شالح بعدما ولد عابرَ أربعمئة وثلاث سنين، وولد بنين وبنات، وعاش عابر أربعاً وثلاثين سنة وولد فالَج، وعاش عابر بعدما ولد فالج أربعمئة وثلاثين سنة، وولد بنين وبنات، وعاش فالج ثلاثين سنة وولد رَعُوَ، وعاش فالج بعدما ولد رعو مئتين وتسع سنين، وولد بنين وبنات، وعاش رعو اثنتين وثلاثين سنة وولد سَرُوج، وعاش رعو بعدما ولد سروج مئتين وسبعَ سنين، وولد بنين وبنات، وعاش سَرُوج ثلاثين سنة وولد ناحور، وعاش سروج بعدما ولد ناحور مئتي سنة وولد بنين وبنات، وعاش ناحور تسعاً وعشرين سنة وولد تارَح، وعاش ناحور بعدما ولد تارح مئة وتسع عشرة سنة، وولد بنين وبنات، وعاش تارح سبعين سنة وولد أبرام وناحور وهاران.

١١/ ٣٢: وكانت أيام تارح مئتين وخمس سنين، ومات تارَح في حاران.

٢٥/ ٧: وهذه سنيُّ حياة إبراهيم التي عاشها مئة وخمس وسبعون سنة.

٢٥/ ١٧: وهذه سِنُو حياة إسماعيل، مئة وسبع وثلاثون سنة.

٣٥/ ٢٨: وكانت أيام إسحاق مئة وثمانين سنة.

٤٧/ ٢٨: وعاش يعقوب في أرض مصر سبع عشرة سنة، فكانت أيامه، سِنُو حياته مئة وسبعاً وأربعين سنة.

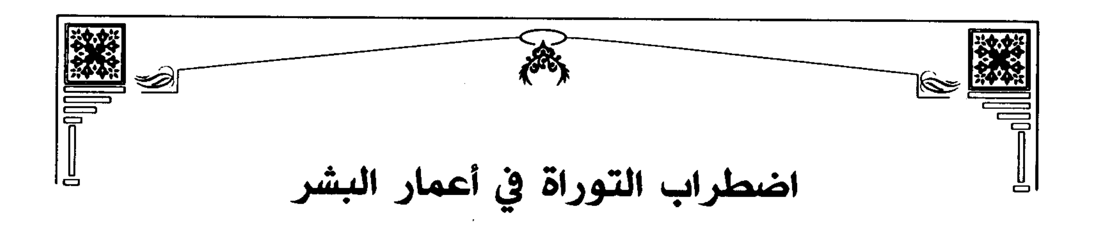
٥٠/ ٢٢: وعاش يوسف مئة وعشر سنين. ونحوه في ٥٠/ ٢٦.

وفي سفر الخروج ٦/ ١٦: وكانت سِنُو حياة لاوي مئة وسبعاً وثلاثين سنة.

٦/ ١٨: وكانت سنو حياة قَهَات مئة وثلاثاً وثلاثين سنة.

٦/ ٢٠: وكانت سنو حياة عمرام مئة وسبعاً وثلاثين سنة.

وفي سفر العدد ٣٣/ ٣٩: وكان هارون ابن مئة وثلاث وعشرين سنة حين مات في جبل هُور.



اضطراب التوراة في أعمار البشر

وبعد ذلك ذكر أن (متوشالح بن حنوك بن مارد) عاش تسعمئة سنة وتسعاً وستين سنة، وأنه ولد له (لامك) وهو ابن مئة سنة وسبع وثمانين سنة، وأن لامك المذكور إذ بلغ مئة سنة واثنين وثمانين سنة ولد له نوح عليه السلام[1]. فلا شك من أن متوشالح كان إذ ولد له نوح عليه السلام ابن ثلاثمئة سنة وتسع وستين سنة، فوجب من هذا ضرورة أن نوحاً عليه السلام كان ابن ستمئة سنة إذ مات متوشالح. فاضبطوا هذا[2].

ثم قال: «إن في اليوم السابع عشر من الشهر الثاني من سنة ستمئة من عمر نوح اندفعت المياه بالطوفان»[3].

ثم قال: «إن في اليوم سبعة وعشرين يوماً من الشهر الثاني من سنة إحدى وستمئة لنوح، خرج نوح من التابوت ـ يعني السفينة ـ هو ومن كان معه»[4].

---

[1] جاء في سفر التكوين ٥/ ٢٥ ـ ٢٧: وعاش متوشالح مئة وسبعاً وثمانين سنة، وولَد لامك وعاش متوشالح بعدما ولَد لامك سبعمئة واثنتين وثمانين سنة، وولَد بنين وبنات، فكانت كل أيام متوشالح تسعمئة وتسعاً وستين سنة، ومات.

٥/ ٢٨ ـ ٢٩: وعاش لامك مئة واثنين وثمانين سنة، وولَد ابناً، ودعا اسمه نوحاً قائلاً: هذا يعزينا عن عملنا وتعب أيدينا من قِبل الأرض التي لعنها الرب.

[2] يريد ابن حزم رحمه الله أن عمر متوشالح عندما رزق بلامك كان ١٨٧ سنة.

وأن لامك بن متوشالح رزق بنوح عندما بلغ ١٨٢ سنة.

ومن ثَم يكون عمر متوشالح عندما ولد نوح ١٨٧ + ١٨٢ = ٣٦٩ سنة.

وإذا عاش متوشالح ٩٦٩ سنة، فإن عمر نوح يكون عندما مات جده متوشالح يساوي ٩٦٩ - ٣٦٩ = ٦٠٠ سنة.

[3] جاء في سفر التكوين ٧/ ٦: ولما كان نوح ابن ستمئة سنة، صار طوفان الماء على الأرض.

٧/ ١١: وفي سنة ستمئة من حياة نوح في الشهر الثاني في اليوم السابع عشر من الشهر. في ذلك اليوم انفجرت كل ينابيع الغَمْر العظيم، وانفتحت طاقات السماء.

[4] جاء في سفر التكوين ٨/ ١٣ ـ ١٥: وكان في السنة الواحدة والستمئة، في الشهر الأول، في أول الشهر، أن المياه نشفت عن الأرض، فكشف نوح الغطاء عن الفلك ونظر، =

فوجب من هذا ضرورة لا محيد عنها أن متوشالح بن حنوك دخل السفينة، وأنه مات قبل خروجهم منها بشهرين غير ثلاثة أيام. وقد قطع فيها وبت على أنه لم يدخل التابوت أحد من الناس إلا نوح وبنوه الثلاثة، وامرأة نوح، وثلاث نساء لأولاده. وقد قطع فيها وبت على أنه لم ينج من الغرق إنسي أصلاً، ولا حيوان في غير التابوت[1].

وهذه كذبات فواضح، نعوذ بالله من مثلها، لأن في نصوص توراتهم كما أوردنا أن متوشالح لم يغرق، لأنه لو غرق لم يستوفِ تمام السنة الموفية ستمئة سنة لنوح، وفي نصها أنه استوفاها. وأيضاً فإنه عندهم محمود ممدوح لم يستحق الهلاك قط.

وأبطلوا أيضاً أن يكون دخل التابوت، إذ قطعوا بأنه لم يدخلها إنسي ـ أعني السفينة ـ إلا نوح وبنوه الثلاثة ونساؤهم.

= فإذا وجه الأرض قد نشف. وفي الشهر الثاني في اليوم السابع والعشرين من الشهر جفت الأرض. وكلَّم الله نوحاً قائلاً: اخرج من الفلك...

(1) جاء في سفر التكوين ٧/٧ ـ ٩: فدخل نوح وبنوه وامرأته ونساء بنيه معه إلى الفلك من وجه مياه الطوفان. ومن البهائم الطاهرة، والبهائم التي ليست بطاهرة، ومن الطيور وكل ما يدبُّ على الأرض، دخل اثنان اثنان إلى نوح إلى الفلك، ذكراً وأنثى كما أمر الله نوحاً.

٧/١٣ ـ ١٦: في ذلك اليوم عينه دخل نوح وسام وحام ويافث بنو نوح، وامرأة نوح وثلاث نساء بنيه معهم إلى الفلك، هم وكل الوحوش... والداخلات دخلت ذكراً وأنثى من كل ذي جسد، كما أمره الله، وأغلق الرب عليه.

٧/٢١ ـ ٢٣: فمات كل ذي جسد كان يدب على الأرض من الطيور والبهائم والوحوش وكل الزحَّافات التي كانت تزحف على الأرض وجميع الناس، كل ما في أنفه نسمة روح حياة من كل ما في اليابسة مات، فمحا الله كل قائم كان على وجه الأرض، الناسَ والبهائم والدبابات وطيور السماء، فانمحت من الأرض، وتبقى نوح والذين معه في الفلك.

التكوين ٩/١٨ ـ ١٩: وكان بنو نوح الذين خرجوا من الفلك ساماً وحاماً ويافث، وحام هو أبو كنعان. هؤلاء الثلاثة هم بنو نوح، ومن هؤلاء تشعبت الأرض.

ويقصد ابن حزم رحمه الله أن الطوفان حدث في اليوم (١٧) من الشهر الثاني من سنة (٦٠٠) من عمر نوح عليه السلام، ومعنى هذا أن جدَّه متوشالح لم يمت بعد، لأنه عندما مات كان نوح قد أكمل (٦٠٠) سنة وفق النص وقد انتهى الطوفان وجفت الأرض في اليوم (٢٧) من الشهر الثاني من سنة (٦٠١) من عمر نوح، فأين كان متوشالح خلال سنة الطوفان؟ فإما أن يكون مات غرقاً، وإما أن يكون ركب في السفينة ومات فيها قبل خروجهم بشهرين إلا ثلاثة أيام. وسيذكر ابن حزم رحمه الله مزيداً من الإيضاح، ليبين أن الكذب لائح والتناقض واضح.

وأبطلوا أن ينجو في غير التابوت بقطعهم أنه لم ينج إنسي ولا حيوان في غير التابوت.

ولا بدَّ لمتوشالح من أحد هذه الوجوه الثلاثة، فلاح الكذب البحت في نقل توراتهم ضرورة، وتَيَقَّن كل ذي عقل أنها غير منزَّلة من الله تعالى، ولا جاء بها نبي أصلاً، لأن الله تعالى لا يكذب، والأنبياء لا تأتي بالكذب، فصحَّ يقيناً أنها من عمل زنديق جاهل، أو مستخفٌ متلاعب بها، ونعوذ بالله من مثل مقامهم. وفي هذا الفصل كفاية، فكيف ومعه أمثاله كثيرة!



اضطراب التوراة في أعمار أبناء نوح

وقالت توراتهم: إن نوحاً ﷺ لما بلغ خمسمئة سنة ولد له يافث وسام وحام[1]. ثم ذكرت أن نوحاً إذ بلغ ستمئة سنة كان الطوفان، ولسام يومئذ مئة سنة[2]. وقالت بعد ذلك: إنَّ سامَ بن نوح لما كان ابن مئة سنة ولد أرفخشاذ لسنتين بعد الطوفان[3].

وهذا كذب فاحش، وتَلَوّنٌ سمج، وجهل مظلم، لأنه إذا كان نوح إذ ولد له سام ابن خمسمئة سنة، وبعد مئة سنة كان الطوفان، فسام حينئذ ابن مئة سنة، وإذ ولد له بعد الطوفان بسنتين أرفخشاذ، فسام كان إذ ولد له أرفخشاذ ابن مئة سنة وسنتين، وفي نص توراتهم أنه كان ابن مئة سنة، وهذا كذب لا خفاء به، حاش لله من مثله[4].

---

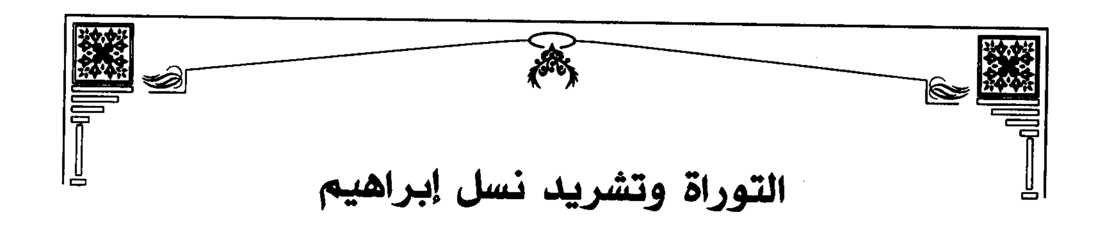
[1] جاء في التكوين ٥/ ٣٢: وكان نوح ابن خمسمئة سنة، وولَد ساماً وحاماً ويافَث.

[2] ٦/٧: ولما كان نوح ابنَ ستمئة سنة صار طوفان الماء على الأرض.

[3] ١١/١٧: في سنة ستمئة من حياة نوح في الشهر الثاني في اليوم السابع عشر من الشهر، في ذلك اليوم انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم، وانفتحت طاقات السماء.

١١/ ١٠: لما كان سام ابن مئة سنة وَلَد أرفكشاد بعد الطوفان بسنتين.

[4] يريد رحمه الله أنه كان على الكاتب أن ينتبه إلى ما كتب، فيقول في الجملة ١١/ ١٠: ولما كان سام ابن مئة سنة وسنتين ولد أرفكشاد، وكان ذلك بعد الطوفان بسنتين، ليستقيم كلامه. فإنه إذا كان عمره عند الطوفان (١٠٠) سنة، وولد أرفكشاد بعد سنتين من الطوفان، فإن عمره يكون حين ولد له أرفكشاد (١٠٢) سنة، وليس كما ذكرت توراتهم. أو يكون الطوفان حدث وسن سام (٩٨) عاماً، وليس (١٠٠) كما ذكرت توراتهم.



التوراة وتشريد نسل إبراهيم

وبعد ذلك أن الله تعالى قال لإبراهيم عليه السلام: اعلم عِلْماً أنه سيكون نسلك غريباً في بلد ليس له، ويستعبدونهم ويعذبونهم أربعمئة سنة، وأيضاً القوم الذين يعذبونهم يحكم لهم... وبعد ذلك يخرجون بسرح عظيم، وأنت تسير لآبائك بسلام، وتدفن بشيبة صالحة، والجيل الرابع من البنين يرجعون إلى ههنا[1].

قال أبو محمد رحمه الله: في هذا الفصل على قلته كذبتان فاحشتان شنيعتان منسوبتان إلى الله تعالى، وحاش لله من الكذب والخطأ.

○ [هل كان الجيل الرابع داخلاً مصر أو خارجاً منها؟]:

فإحداهما قوله: «والجيل الرابع من البنين يرجعون إلى ههنا». وهذا كذب فاحش لا خفاء به، لأن الجيل الأول من بني إبراهيم عليه السلام هم إسحاق وإخوته عليهم السلام والجيل الثاني هم يعقوب وعيصا وبنو أعمامهما، والجيل الثالث أولاد يعقوب لصلبه، وهم دوبان وشِمعون ويهوذا ولاوي وساخار، وزابلون ويوسف وبنيامين وداي وهباد وعاذ وأشاد، وأولاد عيصا ومن كان في تعدادهما من سائر عقب إبراهيم، والجيل الرابع هم أولاد المذكورين، وهم والجيل الثالث آباؤهم ويعقوب جدهم، هم الداخلون مصر، لا الخارجون منها بنص توراتهم وإجماعهم كلهم بلا خلاف من أحد منهم، وإنما رجع إلى الشام بنص توراتهم وإجماعهم كلهم الجيل السادس من أبناء إبراهيم، وهم أولاد [أولاد] الجيل الرابع المذكور، وما رجع من الجيل الرابع ولا من الجيل الخامس ولا واحد إلى الشام. وحاش لله من أن يكذب في خبره[2].

---

[1] جاء في سفر التكوين ١٥/١٣ ـ ١٦: فقال الله لأبرام: اعلم يقيناً أن نسلك سيكون غريباً في أرض ليست لهم، ويُستعبدون لهم، فيذلونهم أربعمئة سنة، ثم الأمة التي يُستعبدون لها أنا أدينُها، وبعد ذلك يخرجون بأملاك جزيلة، وأما أنت فتمضي إلى آبائك بسلام وتدفن بشيبة صالحة. وفي الجيل الرابع يرجعون إلى ههنا، لأن ذنب الأموريين ليس إلى الآن كاملاً.

[2] جاء في سفر التكوين ١١/٢٧ ـ ٣١: وهذه مواليد تارَح: ولَد تارح أبرام وناحور =

. . . .

= وهاران. وولد هاران لوطاً، ومات هاران قبل تارح أبيه في أرض ميلاده في أور الكلدانيين. واتخذ أبرام وناحور لأنفسهما امرأتين، اسم امرأة أبرام ساراي، واسم امرأة ناحور مِلْكة بنت هاران.

وكانت ساراي عاقراً. وأخذ تارح أبرام ابنه ولوطاً ابن ابنه وساراي كنته، فخرجوا معاً من أور الكلدانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان، فأتَوا إلى حاران وأقاموا هناك.

فهذه رحلة تارح مع ابنه إبراهيم وابن ابنه لوط بن هاران من أور الكلدانيين في العراق حيث ولدوا إلى أرض الكنعانيين، وأتوا إلى حاران في سورية.

وجاء في ١٦/١ ـ ٢: وأما ساراي فلم تلد له، وكانت لها جارية مصرية اسمها هاجر، فقالت ساراي لأبرام: الرب أمسكني عن الولادة، ادخل على جاريتي لعلي أرزق منها بنين.

١٦/ ١٥: فولدت هاجر لأبرام ابناً، ودعا اسمه إسماعيل.

٢١/ ٢ ـ ٣: فحبلت سارة، وولدت لإبراهيم ابناً في شيخوخته، ودعا اسمه إسحاق.

٢٥/ ١ ـ ٢: وعاد إبراهيم، فأخذ زوجة اسمها قَطورة، فولَدت زِمْران ويَقْشان ومَدَان ومِدْيان ويِشْباق وشوحا.

فهذا هو الجيل الأول من أولاد إبراهيم عليه السلام دون تخصيص. وأهل الكتاب قد خصوا بذلك إسحاق دون إخوته، مع أن النص في الجملة ١٥/ ١٣ يقول: «إن نسلك» بدون تخصيص. فَلْنُسايرهم في ذلك، ولنقل: أطلق الكل وأراد الجزء، وفهم إبراهيم القصد.

وجاء في سفر التكوين ٢٥/ ١٩ ـ ٢٦: وهذه مواليد إسحاق بن إبراهيم. وكان إسحاق ابن أربعين سنة لما اتخذ لنفسه زوجة، رِفْقة بنت بتوئيل الأرامي من فَدَّان أرام. . . فحبلت وتزاحم الولدان في بطنها. . . فلما كملت أيامها لتلد، إذا في بطنها توءمان، فخرج الأول أحمرَ كله، كفروة شعر، فدعوا اسمه عيسو، وبعد ذلك خرج أخوه، ويده قابضة بعقب عيسو، فدعي اسمه يعقوب.

فهذان ولدا إسحاق عليه السلام الذي خصوه من الجيل الأول، وهما الجيل الثاني من أولاد إبراهيم عليه السلام، وقد خصوا منهما يعقوب عليه السلام دون مخصص ظاهر، فَلْنسايرهم ولنقل خصوه لدلالات قامت عندهم.

وجاء في سفر التكوين ٣٧/ ١ ـ ٢: وسكن يعقوب في أرض غُربة أبيه في أرض كنعان. وهذه مواليد يعقوب: يوسف.

٤١/ ٥٠: وولد ليوسف ابنان قبل أن تأتي سنة الجوع.

٤٦/ ٨ ـ ٢٥: وهذه أسماء بني إسرائيل الذين جاؤوا إلى مصر، يعقوب وبنوه: بِكْر يعقوب رأوبين، وبنو رأوبين. . . وبنو شِمْعون. . . وبنو لاوي. . . وبنو يهوذا. . . وبنو يَساكر. . . وبنو زَبُولون. . . هؤلاء بنو ليئة. . . وبنو جاد. . . وبنو أشير. . . هؤلاء بنو زلفة. . . ابنا راحيل يوسف وبَنيامين. . . ابن دان حوشيم، وبنو نفتالي. . . هؤلاء بنو بلهة.

٤٦/ ٢٦ ـ ٢٧: جميع النفوس ليعقوب التي أتت إلى مصر، الخارجة من صلبه، ما عدا نساء بني يعقوب ست وستون نفساً، وابنا يوسف اللذان ولدا له في مصر نفسان، جميع نفوس بيت يعقوب التي جاءت إلى مصر سبعون. =

فإن قيل: إنما تعدُّ الأجيال من الجيل المعذب. **قلنا**: هذا خلاف نص توراتهم، لأن نصها «الجيل الرابع من الأبناء». وأيضاً فإنه لم يعذَّب أحد من أولاد يعقوب، بل كانوا مبرورين، وهم الجيل الثالث بنص توراتهم حرفاً حرفاً على ما نورد بعد هذا إن شاء الله تعالى. فإنما ابتدأ التعذيب في أبناء [أبناء] يعقوب، وهم الداخلون مع آبائهم، وهم الجيل الرابع، فعُدَّ من حيث شئت، لست تخرج من شَرَك الكذب الفاضح. وفي هذا كفاية[1].

○ [متى بدأ اضطهاد بني إسرائيل؟]:

والكذبة الثانية طامّة من الطامات، وهي قوله لإبراهيم: «إن نسلك سيكون غريباً في بلد ليس له، ويستعبدونهم ويعذبونهم أربعمئة سنة، وبعد ذلك يخرجون». فهذه سَوْءة وعار الدهر، لأنه إذا عذب الأربعمئة سنة من وقت بدأ بتعذيب بني إسرائيل بمصر، فإنما ذلك بعد موت يوسف ﷺ إلى أن خرج بهم موسى ﷺ نصاً، إذ في سياق توراتهم: «ولما مات يوسف وجميع إخوته وذلك الجيل كله، كثر بنو إسرائيل وتكاثروا وتقووا، فملكوا الأرض، وولي عند ذلك بمصر ملك جديد لم يعرف يوسف، فقال لأهل مملكته: إن بني إسرائيل قد كثروا، وصاروا أقوى منا، فأذلوهم بيننا، لئلا يزدادوا كثرة ويكونوا عوناً لمن رام محاربتنا، فقدم عليهم أصحاب صناعته لسخرتهم». هذا نص

= فأبناء يعقوب ﷺ هم الجيل الثالث، وقد دخلوا مصر مع أبيهم الذي هو من الجيل الثاني، ومع أولادهم الذين هم الجيل الرابع، ولم يخرجوا منها ولم يعودوا إلى أرض الكنعانيين كما جاء في الجملة ١٥/ ١٦، فظهر الخطأ الأول الذي ذكره ابن حزم ﷺ.

(١) جاء في سفر التكوين ٤٧/ ٢٧ ـ ٢٨: وسكن إسرائيل في أرض مصر، في أرض جاسان، وتملكوا فيها، وأثمروا وكثروا جداً، وعاش يعقوب في أرض مصر سبع عشرة سنة.

٥٠/ ٣١ ـ ٣٢: وسكن يوسف في مصر هو وبيت أبيه، وعاش يوسف مئة وعشر سنين، ورأى يوسف لأفرايمَ أولاد الجيل الثالث، وأولاد ماكير بن مَنَسّى أيضاً، وولدوا على ركبتي يوسف.

وجاء في سفر الخروج ١/ ١ ـ ٥: وهذه أسماء بني إسرائيل الذين جاؤوا إلى مصر مع يعقوب، جاء كل إنسان وبيته: رَأوبين وشمعون ولاوي ويهوذا ويَسَّاكر وزَبُولون وبَنيامين ودان ونفتالي وجاد وأشير. وكانت جميع نفوس الخارجين من صلب يعقوب سبعين نفساً، ولكن يوسف كان في مصر.

إذاً، فقد كان الجيل الثالث وأولادهم مبرورين غير معذَّبين، ويأتي قريباً متى بدأ الاضطهاد.

توراتهم شاهد بما قلناه[1].

وقد ذكر في توراتهم إذ ذكر من دخل مع يعقوب من ولده وولد ولده أن فاهث بن لاوي بن يعقوب والد عمران بن فاهاث، وهو جد موسى عليه السلام كان ممن ولد بالشام ودخل مصر مع أبيه لاوي وجده يعقوب[2].

○ [البرهان لأول على خطئهم]:

وذكر فيها أيضاً أن جميع عمر فاهاث بن لاوي المذكور كان مئة سنة، وثلاثاً وثلاثين سنة، وأن جميع عمر عمران بن فاهاث المذكور كان مئة سنة وسبعاً وثلاثين سنة، وذكر فيها نصاً أن موسى عليه السلام كان إذ خرج ببني إسرائيل من مصر ابن ثمانين سنة.

هذا كله نص توراتهم حرفاً بحرف بإجماع منهم أولِهم عن آخرهم[3].

---

(١) جاء في سفر الخروج ١/٦ ـ ١٤: ومات يوسف وكل إخوته وجميع ذلك الجيل. وأما بنو إسرائيل فأثمروا وتوالدوا ونموا، وكثروا كثيراً جداً، وامتلأت الأرض منهم. ثم قام ملك جديد على مصر، لم يكن يعرف يوسف، فقال لشعبه: بنو إسرائيل شعب أكثر وأعظم منا، هلم نحتال لهم لئلا ينموا... فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذلوهم... فاستعبد المصريون بني إسرائيل بعنف، ومرروا حياتهم بعبودية قاسية في الطين واللبِن، وفي كل عمل الحقل.

فقوله في الجملة ١/٨: «ثم قام ملك جديد لم يكن يعرف يوسف» يدل على أنه الملك الذي أتى مباشرة بعد الملك الذي عرف يوسف عليه السلام، وهذا يعني أن الاضطهاد إنما بدأ في أواخر الجيل الرابع.

(٢) جاء في سفر التكوين ٤٦/٨: وهذه أسماء بني إسرائيل الذين جاؤوا إلى مصر، يعقوب وبنوه.

٤٦/١١، وسفر العدد ٣/١٧، وأخبار الأيام الأول ٦/١ و١٦: وبنو لاوي جَرْشون وقهات ومراري.

العدد ٣/١٩، وأخبار الأيام الأول ٦/٢ و١٨: وبنو قهات: عَمْرام ويِصْهار وحبرون وعِزّئيل.

أخبار الأيام الأول ٦/٣: وبنو عمرام: هارون وموسى ومريم.

وفي سفر الخروج ٦/٢٠: وأخذ عمرام يوكابَد عمته زوجة له، فولدت له هارون وموسى.

تنبيه: ورد في النص الذي ذكره ابن حزم أن اسم جد موسى فاهاث، وفي ترجمتي البروتستانت والكاثوليك اللتين بحوزتي اسمه قهات.

(٣) جاء في سفر الخروج ٦/١٦ ـ ٢٠: وهذه أسماء بني لاوي بحسب مواليدهم: =

فهَبْك أن فاهات كان إذ دخل مصر ابن أقل من شهر، وأن عمران ولد له سنة موته أو بعد موته، وأن موسى ولد لعمران سنة موته أو بعد موته، فالمجتمع من هذا العدد كله ثلاثمئة سنة وخمسون سنة، وهذه كانت مدتهم بمصر من يوم دخولها إلى أن خرجوا منها على هذا الحساب، فأين الأربعمئة؟(١).

فكيف ولا بدَّ أن يسقط سِنُّ فاهاث إذ دخل مصر مع أبيه لاوي، والمدة التي كانت من ولادة عمران لفاهاث إلى موت فاهاث، والمدة التي كانت من ولادة موسى عليه السلام إلى موت أبيه عمران(٢).

○ [البرهان الثاني]:

وفي كتب اليهود أن فاهث دخل مصر وله ثلاث سنين، وأنه كان إذ ولد له عمران ابن ستين سنة، وأن عمران كان إذ ولد له موسى عليه السلام ابن ثمانين سنة(٣).

= جِرشُون وقَهات ومراري. وكانت سِنُو حياة لاوي مئة وسبعاً وثلاثين سنة. وبنو قهات: عَمْرام ويِصهار وحبرون وعُزّيئيل. وكانت سِنُو حياة قهات مئة وثلاثاً وثلاثين سنة، وكانت سِنو حياة عَمرام مئة وسبعاً وثلاثين سنة.

٧/٧: وكان موسى ابن ثمانين سنة، وهارون ابن ثلاث وثمانين سنة حين كلما فرعون.

(١) يريد رحمه الله أن قهات جد موسى عليه السلام ولد قبل مجيء بني إسرائيل إلى مصر، كما سبق في سفر التكوين ٤٦/١١، فإذا فرضنا أن عمره كان أقل من شهر عندما دخل مصر، وأن ابنه عمرام ولد له سنة موته، أي بعد (١٣٣) سنة من دخولهم مصر، وأن موسى عليه السلام ولد سنة موت أبيه عمرام، أي بعد (١٣٧) سنة من موت قهات، فيكون الناتج ١٣٣ سنة عمر قهات + ١٣٧ عمر عمرام + ٨٠ عمر موسى عندما خرج بهم = ٣٥٠ سنة، وهي مدة إقامتهم بمصر على أبعد تقدير.

(٢) يريد رحمه الله أن هذه المدد لا بدَّ من إسقاطها لو عُرفت، وإذا أسقطت كانت مدة إقامتهم بمصر أقل من (٣٥٠) سنة يقيناً، وسيوضِح هذا فيما يأتي.

(٣) لم يذكر رحمه الله أسماء هذه الكتب. لكن جاء في سفر الخروج ٦/١٦: هذه أسماء بني لاوي بحسب مواليدهم: جرشون وقَهاتُ ومَراري.

٦/١٨: وبنو قهات: عمرام ويِصهار وخبرون وعُزئيل.

٦/٢٠: وأخذ عمرام يوكابد عمته زوجة له، فولدت له هارون وموسى. وكانت سنو حياة عمرام مئة وسبعاً وثلاثين سنة.

وفي سفر العدد ٢٦/٥٩: واسم امرأة عمرام يوكابد بنت لاوي التي ولدت للاوي في مصر، فولدت لعمرام هارون وموسى ومريم أختيهما.

إذاً، يوكابد بنت لاوي، وموسى ابن بنت لاوي، أي سبطه، وهو ابن عمران بن قهات ابن =

فعلى هذا لم يكن بقاء بني إسرائيل بمصر مذ دخلوها مع يعقوب إلى أن خرجوا منها مع موسى إلا مئتي عام وسبعة عشر عاماً، فأين الأربعمئة عام؟ فكيف ولا بدَّ أن يسقط من هذا العدد الأخير مدة حياة يوسف عليه السلام منذ دخل إخوته وأبوهم وبنوهم مصر إلى أن مات يوسف عليه السلام؛ فطول هذا الأمد لم يكونوا مستخدَمين ولا معذَّبين ولا مستعبدين، بل كانوا أعزاء مكرمين[1].

○ [البرهان الثالث]:

وفي نص توراتهم أن يوسف عليه السلام كان إذ دخل على فرعون ابن ثلاثين سنة، ثم كانت سِنُو الخصب سبع سنين، وبدأت سنو الجوع، ودخل يعقوب ونسله مصر بعد سنتين من سني الجوع، فليوسف حينئذ تسع وثلاثون سنة[2].

وفي نص توراتهم أن يوسف عليه السلام كان إذ مات ابن مئة سنة وعشر سنين. فصح أن مدَّتهم مذ دخلوا مصر إلى أن مات يوسف عليه السلام كانت إحدى وسبعين سنة فقط ولا بدّ. فالباقي مئة سنة وست وأربعون سنة، يسقط منها ولا بدَّ بنص

= لاوي، أي ابن ابن لاوي. وقهات جد موسى لأبيه ولد قبل مجيء بني إسرائيل إلى مصر.

جاء في التكوين ٤٦/٨: هذه أسماء بني إسرائيل الذين جاؤوا إلى مصر، يعقوب وبنوه.

٤٦/١١: وبنو لاوي جرشون وقهات ومراري.

[١] يريد رحمه الله أنه إذا كان عمر قهات جد موسى ٣ سنوات حين دخل مصر، و(٦٠) سنة حين رزق بعمرام، فالمدة التي قضاها في مصر ٦٠ - ٣ = ٥٧ سنة، وأن عمرام عندما رزق بموسى كان عمره (٨٠) سنة، فتكون مدة بقاء بني إسرائيل في مصر ٥٧ + ٨٠ + ٨٠ = ٢١٧ سنة، وليس ٤٠٠ سنة كما ذكرت توراتهم، فكيف لو أسقطنا من ذلك مدة حياة يوسف عليه السلام حيث كانوا مكرَّمين؟ وسيوضِح هذا فيما يلي.

[٢] جاء في سفر التكوين ٤١/٤٦ ـ ٤٨: وكان يوسف ابن ثلاثين سنة لما وقف قُدَّام فرعون ملك مصر... وأثمرت الأرض في سبع سني الشِّبَع الذي كان في أرض مصر، وابتدأت سبع سني الجوع تأتي كما قال يوسف، فكان جوع في جميع البلدان.

٤٥/٤ ـ ١٢: فقال يوسف لإخوته: تقدَّموا إلي. فتقدَّموا. فقال: أنا يوسف أخوكم... لأن للجوع في الأرض سنتين، وخمس سنين أيضاً لا تكون فيها فلاحة ولا حصاد... أسرعوا وأصعدوا إلي أبي وقولوا له: هكذا يقول ابنك يوسف... انزل إلي، لا تقف فتسكن في أرض جاسان، وتكون قريباً مني أنت وبنوك وبنو بنيك وغنمك وبقرك وكل مالك، وأعولك هناك، لأنه يكون أيضاً خمس سنين جوعاً.

٣٠ سنة عمر يوسف عندما وقف أمام فرعون + ٧ سنوات خصب + ٢ سنتين جوع = ٣٩ سنة عمر يوسف عندما دخل عليه إخوته، وطلب منهم الإتيان بوالده.

توراتهم مدة بقاء من بقي من إخوة يوسف بعده، ولم نجد من ذلك إلا عمر لاوي فقط على نص التوراة، كان يزيد على يوسف ثلاثة أعوام أو أربعة، فعاش بعد يوسف ثلاثة وعشرين عاماً فقط، تسقط ولا بد من هذا العدد، فالباقي مئة سنة وثلاث وعشرون سنة، هذه مدة عذابهم واستخدامهم واستعبادهم على أبعد الأعداد، وقد تكون أقلّ، فأين الأربعمئة سنة؟[1].

○ [استدراك]:

ولعل وقاح الوجه يقول: ما أُعدّ ذلك إلا من دخول يوسف مصر مستعبداً مستخدماً معذباً ثم مسجوناً. فاعلم أنه لا يزيد على المئتي عام وسبعة عشر عاماً التي ذكرنا قبل إلا اثنين وعشرين عاماً فقط، فذلك مئتا عام وتسعة وثلاثون عاماً، فأين الأربعمئة سنة؟ فظهر الكذب المفضوح الذي لا يُدرى كيف خفي عليهم جيلاً بعد جيل[2].

---

[1] جاء في سفر التكوين ٥٠/٢٢: وسكن يوسف في مصر، هو وبيت أبيه، وعاش يوسف مئة وعشر سنين.

٥٠/٢٦: ثم مات يوسف وهو ابن مئة وعشر سنين، فحنطوه، ووضع في تابوت في مصر.

ويريد رَحِمَهُ اللَّهُ أن عمر يوسف ١٢٠ سنة - ٣٩ سنة من عمره عندما دخل عليه إخوته = ٧١ سنة، وهي مدة مكوث بني إسرائيل في مصر إلى أن مات يوسف.

وصحَّ سابقاً في البرهان الثاني أن مدة بقاء بني إسرائيل في مصر ٢٧٠ سنة - ٧١ سنة مدة بقائهم مع يوسف معزَّزين قبل موته = ١٤٦ سنة مدة بقائهم بعد موته.

ولا بدَّ أن نسقط منها أيضاً مدة بقاء من بقي من إخوته بعد موته، وهم الجيل الثالث لإبراهيم.

جاء في سفر الخروج ٦/١٦: وكانت سنو حياة لاوي ١٣٧ سنة.

فإذا كان عمر يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ ١١٠ سنوات، ولاوي أكبر منه بـ٤ سنوات، فالمجموع ١١٤ سنة، وهو عمر لاوي عندما مات يوسف.

وإذا كان عمر لاوي ١٣٧ سنة - ١١٤ سنة وهو عمره عندما مات يوسف = ٢٣ سنة عاشها لاوي بعد موت يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ وبها انتهى الجيل الثالث.

فإذا كانت مدة بقائهم في مصر بعد موت يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ ١٤٦ سنة، ومدة بقائهم مع لاوي بعد موت يوسف ٢٣ سنة، فإن مدة بقائهم في مصر بعد موت لاوي وانقراض الجيل الثالث تكون ١٤٦ - ٢٣ = ١٢٣ سنة، وهي مدة الاضطهاد على أكبر تقدير.

[2] جاء في سفر التكوين ٣٧/٢: يوسف إذ كان ابن سبع عشرة سنة، كان يرعى مع إخوته الغنم.

=

○ [رَدٌّ على تأويل أقبح من الخطأ ذاته]:

ورأيت لِنَذْلٍ منهم مقالة ظريفة، وهي أنه ذكر هذه القصة وقال: إنما ينبغي أن تعدَّ هذه الأربعمئة سنة من حين خاطب الله ﷻ إبراهيم بهذا الكلام.

قال أبو محمد رحمه الله: وأراد هذا الساقط الخروج من مزبلة فوقع في كنيف عذرة، لأنه جاهر بالباطل وتعجل الفضيحة ونسبةَ الكذب إلى الله تعالى؛ إذ نص ما حكَوه عن الله تعالى أنه قال لإبراهيم عليه السلام: «إن نسلك يستعبد أربعمئة سنة»، ولم يقل له قط: من الآن إلى انقضاء استخدامهم أربعمئة سنة.

○ [رَدٌّ آخر على التأويل الأقبح]:

وأيضاً فإنَّ نص توراتهم أن الله تعالى إنما قال هذا الكلام لإبراهيم قبل ولادة إسماعيل، فكان إبراهيم حينئذ ابن أقل من ستة وثمانين عاماً، ثم عاش بعد ذلك أربعة عشر عاماً وولَد إسحاق وعاش إسحاق مئة وثمانين سنة، ومات إسحاق وليعقوب مئة وعشرون سنة، ودخل يعقوب مصر وله مئة وثلاثون سنة.

كل هذا نص توراتهم بلا اختلاف منهم[1].

= ٤١/٤٦: وكان يوسف ابن ثلاثين سنة لما وقف قُدَّام فرعون ملك مصر.

٣٠ - ١٧ = ١٣ سنة مكثها في مصر قبل أن يقف أمام فرعون، أو نقول ٣٠ سنة عمره لما وقف قدام فرعون + ٧ سنين خصب كما سيأتي + ٢ سنتين جوع = ٣٩ - ١٧ = ٢٢ سنة مدة مكثه في مصر قبل أن يكلم إخوته.

فإذا كانت مدة بقاء بني إسرائيل في مصر ٢١٧ سنة على ما جاء سابقاً في البرهان الثاني + ٢٢ سنة مدة مكثه قبل أن يكلم إخوته = ٢٣٩ سنة، أو + ٢٣ = ٢٤٠ سنة، فأين الأربعمئة؟!

(١) جاء في سفر التكوين ١١/ ٣٠: وكانت ساراي عاقراً، ليس لها ولد.

١٢/ ٤ ـ ٥: وكان أبرام ابن خمس وسبعين سنة لما خرج من حاران. . . فأتَوا إلى أرض كنعان.

١٥/ ١ ـ ٢: صار كلام الرب إلى أبرام في الرؤيا. . . فقال أبرام: أيها السيد ماذا تعطيني وأنا ماضٍ عقيماً؟

١٥/ ١٢ ـ ١٣: ولما صارت الشمس إلى المغيب وقع على أبرام سبات، وإذا رُعْبة مظلمة عظيمة واقعة عليه. فقال لأبرام: اعلم يقيناً أن نسلك سيكون غريباً في أرض ليست لهم، ويستعبدون لهم، فيذلونهم أربعمئة سنة.

١٦/ ١ ـ ٤: وأما ساراي فلم تلد، وكانت لها جارية مصرية، اسمها هاجر. . . فأخذت ساراي جاريتها هاجر من بعد عشر سنين لإقامة أبرام في أرض كنعان، وأعطتها لأبرام زوجة له، فدخل عليها فحبلت. =

فمات إسحاق قبل دخول يعقوب مصر بعشرة أعوام، فمن حين ادَّعَوا أن الله تعالى قال هذا الكلام لإبراهيم إلى دخول يعقوب مصر مئتا عام وأربعة أعوام، ومن دخول يعقوب مصر إلى خروج موسى عنها كما ذكرنا مئتا عام وسبعة عشر عاماً، فحصلنا على أربعمئة عام وأربعة وعشرين عاماً، فلا منجَى من الكذب إما بزيادة أو نقصان، وحاشَ لله أن يكذب في حساب بدقيقة، فكيف بأعوام؟![1].

= فإخبار الرب لإبراهيم عليه السلام بأن نسله يستعبد أربعمئة سنة كان قبل ولادة إسماعيل عليه السلام وكان عمره أقل من ٨٦ سنة كما هو واضح.

١٧/١ ـ ٢: ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة، ظهر الرب له ـ وفي التوراة السامرية: ملائكة الرب ـ وقال له: أنا الله القدير، سِرْ أمامي وكن كاملاً، فأجعل عهدي بيني وبينك، وأكثرك كثيراً جداً.

١٧/١٧ ـ ١٩: فسقط إبراهيم على وجهه وضحك وقال في قلبه: هل يولد لابن مئة سنة؟!

وهل تلد سارة، وهي بنت تسعين سنة؟! وقال إبراهيم: ليت إسماعيل يعيش أمامك.

فقال الله: بل سارة امرأتك تلد ابناً وتدعو اسمه إسحاق.

٢١/٥: وكان إبراهيم ابن مئة سنة حين ولد له إسحاق ابنه.

٢٥/٢٠: وكان إسحاق ابن أربعين سنة لما اتخذ لنفسه زوجة.

٢٥/٢٤: فلما كملت أيامها لتلد إذا في بطنها توءمان.

٢٥/٢٦: وكان إسحاق ابن ستين سنة لما ولدتهما. [أي عيسو ويعقوب].

٣٥/٢٨ ـ ٢٩: وكانت أيام إسحاق مئة وثمانين سنة، فأسلم روحه ومات.

إذاً، فعمر إسحاق ١٨٠ سنة - ٦٠ سنة وهي عمره عندما رزق بيعقوب وعيسو = ١٢٠ سنة وهي عمر يعقوب عندما مات إسحاق.

٤٧/٩: فقال يعقوب لفرعون: أيام سني غربتي مئة وثلاثون سنة.

٤٧/٢٨: وعاش يعقوب في أرض مصر سبع عشرة سنة، فكانت أيامه مئة سنة وسبع وأربعون سنة.

١٤٧ سنة عمر يعقوب - ١٧ سنة مدة إقامته في مصر = ١٣٠ سنة عمر يعقوب عندما دخل مصر.

[1] إذاً، كان عمر يعقوب ١٢٠ سنة عندما مات والده إسحاق، و١٣٠ سنة عندما دخل مصر، فيكون موت إسحاق قبل دخول يعقوب مصر بعشرة أعوام.

وبناء على دعوى هذا المتأوِّل، فإن الله سبحانه خاطب إبراهيم عليه السلام بهذا الكلام قبل دخول يعقوب مصر بـ(٢٠٤) أعوام. وتحصل هذا مما يلي:

عندما خاطب الله سبحانه إبراهيم بهذا الكلام كان عمره (٨٦) عاماً، وعندما ولد له إسحاق كان عمره (١٠٠) سنة كما سبق، ١٠٠ - ٨٦ = ١٤ سنة مضت على الخطاب قبل أن يولد إسحاق، عمر إسحاق (١٨٠) سنة، وبعد موته بعشرة أعوام دخل يعقوب مصر كما سبق، =

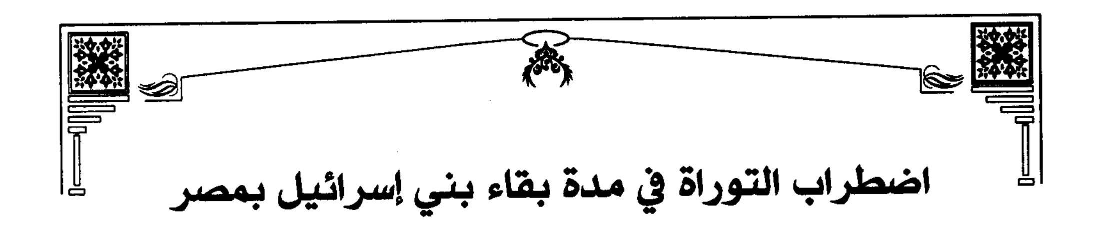
والله خالق الحساب ومعلمه عبادَه، ومعاذ الله أن يكذب موسى عليه السلام أو يخطئ فيما أوحى الله تعالى إليه به، فوضح يقيناً لكل من له أدنى فهم وضوحاً يقينياً ـ كما أمسِ قبل اليوم ـ أنها ليست من عند الله تعالى ولا من إخبار نبي، ولا من تأليف عالم يتقي الكذب، ولا من عمل من يُحسن الحساب، ولا يخطئ فيما لا يخطئ فيه صبي يحسن الجمع والطرح والقسمة والتسمية، ولكنها بلا شك من عمل كافرٍ مستخفٌ ماجنٍ، سخر بهم، وتطايب عليهم، وكتب لهم ما سَخَّم الله به وجوههم عاجلاً في الدنيا بالفضيحة، وآجلاً في الآخرة بالنار والخلود فيها، أو من عمل تَيْس أرعن، تكلَّف إملاء ما لم يقم بحفظه، جاهل مع ذلك مظلم الجهل بالهيئة وصفة الأرض وبالحساب، وبالله تعالى وبرسله عليهم السلام فأملى ما خرج إلى فمه من خبيث وطيب، ولقد كان في هذا الفصل كفاية لمن نصح نفسه لو لم يكن غيره، فكيف ومعه عجائب جمَّة؟! ونحمد الله تعالى على نعمة الإسلام كثيراً.

* * *

= فالمجموع ١٩٠ سنة، ١٩٠ + ١٤ سنة التي مضت على الخطاب قبل ولادة إسحاق = ٢٠٤ سنوات مضت على خطاب الله لإبراهيم عليه السلام قبل دخول يعقوب عليه السلام مصر.

٢٠٤ + ٢١٧ سنة من دخول يعقوب إلى خروج موسى كما سبق في البرهان الثاني = ٤٢١ سنة، وليس (٤٠٠) سنة كما في توراتهم.

تنبيه: ورد في نص ابن حزم رحمه الله أنّ ناتج الجمع ٤٢٤ عاماً، فلعله من خطأ النساخ أو غيرهم.



اضطراب التوراة في مدة بقاء بني إسرائيل بمصر

وبعد ذلك قال: وكان مسكن بني إسرائيل بمصر أربعمئة وثلاثين سنة، فلما انقضت هذه السنون، خرج في ذلك اليوم معسكر السيد من أرض مصر[1].

قال أبو محمد رَحِمَهُ اللهُ: هذه فضيحة الدهر وشهرة الأبد وقاصمة الظهر، يقول ههنا: إن مسكن بني إسرائيل بمصر أربعمئة سنة وثلاثون سنة، وقد ذكَر قبلُ ما ذكَر!

فإن قالوا: نضيف إلى ذلك مدة بقاء يوسف بمصر قبل دخول أبيه وإخوته. قلنا: قد بيَّن في التوراة أنه كان إذ دخلها ابن سبع عشرة سنة، وأنه كان إذ دخلها أبوه وإخوته ابن تسع وثلاثين سنة. فإذا كان مقامه بمصر قبل أبيه وإخوته اثنتين وعشرين سنة، ضمها إلى ثلاثمئة سنة وخمسين سنة، يقوم من الجميع بلا شك ثلاثمئة واثنتان وسبعون سنة، أين الثماني والخمسون الباقية من أربعمئة وثلاثين سنة؟![2].

---

(١) جاء في سفرالخروج ١٢/ ٤٠ ـ ٤١: وأما إقامة بني إسرائيل التي أقاموها في مصر فكانت أربعمئة وثلاثين سنة، وكان عند نهاية أربعمئة وثلاثين سنة، في ذلك اليوم عينه أن جميع أجناد الرب خرجت من أرض مصر.

وسبق أن مدة بقاء بني إسرائيل في مصر على أبعد تقدير هي ١٣٣ سنة عمر قهات + ١٣٧ سنة عمر عمرام + ٨٠ سنة عمر موسى عندما وقف أمام فرعون = ٣٥٠ سنة.

٤٣٠ - ٣٥٠ = ٨٠ سنة الفارق بين ما ذكرته توراتهم مجملاً وما ذكرته مفصلاً.

(٢) جاء في سفر التكوين ٣٧/ ٢: هذه مواليد يعقوب: يوسف إذ كان ابن سبع عشرة سنة، كان يرعى مع إخوته الغنم، وهو غلام عند بني بِلْهة وبني زِلفة امرأتي أبيه.

٤١/ ٤٦: وكان يوسف ابن ثلاثين سنة لما وقف قُدَّام فرعون ملك مصر.

٤١/ ٥٣ ـ ٥٥: ثم كملت سبع سنيِّ الشبع الذي كان في أرض مصر، وابتدأت سني الجوع تأتي.

٤٥/ ٤: فقال يوسف لإخوته: تقدَّموا إليَّ، أنا يوسف أخوكم الذي بعتموه إلى مصر.

٤٥/ ٦: لأن للجوع في الأرض الآن سنتين، وخمس سنين أيضاً لا تكون فيها فلاحة ولا حصاد.

=

هذه شهرة لا نظير لها، وكذب لا يخفَى على أحد، وباطل نقطع بأنه لا يمكن ألبتة أن يعتقده أحد في رأسه شيء من دماغ صحيح، لأنه لا يمكن أن يكذب الله تعالى في دقيقة، ولا أن يكذب رسوله عامداً ولا مخطئاً في دقيقة فيقره الله تعالى على ذلك، فكيف ولا بدَّ أن يسقط من هذه المدة سن فاهاث إذ ولد له عمران، وسنّ عمران إذ ولد له موسى ﷺ؟!.

والصحيح الذي يُخَرَّج على نصوص كتبهم أن مدة بني إسرائيل مذ دخل يعقوب وبنوه مصر إلى أن خرجوا منها مع موسى ﷺ لم تكن إلا مئتي عام وسبعة عشر عاماً. فهذه كذبة في مئتي عام وثلاثة عشر عاماً[1].

= ٩/٤٥: أسرعوا واصعدوا إلى أبي وقولوا له: هكذا يقول ابنك يوسف: انزل إلي لا تقف.

إذاً، كان عمر يوسف عندما كلم إخوته ٣٠ + ٧ + ٢ = ٣٩ سنة.

٣٩ - ١٧ سنة وهي عمره عندما جاء إلى مصر = ٢٢ سنة مدة إقامته في مصر قبل أن يكلم إخوته ويطلب منهم المجيء بأبيه إليه.

٣٥٠ سنة مدة بقاء بني إسرائيل في مصر على أبعد تقدير كما سلف + ٢٢ سنة = ٣٧٢ سنة مدة مكوث بني إسرائيل في مصر منذ دخلها يوسف.

٤٣٠ - ٣٧٢ = ٥٨ سنة الفارق بين ما ذكر في توراتهم مجملاً وما ذكر مفصلاً بناء على ادِّعائهم إضافة مدة مكث يوسف قبل مجيء أبيه وأمه وإخوته.

(١) سبق في البرهان الثاني على وقوع الخطأ في مدة تشريد نسل إبراهيم ﷺ أن ابن حزم رحمه الله توصل من كتب اليهود إلى أن مدة بقاء بني إسرائيل في مصر هي مجموع ٥٧ سنة المدة التي قضاها قهات جدُّ موسى في مصر + ٨٠ سنة عمر عمران عندما رزق بموسى + ٨٠ سنة عمر موسى عندما وقف أمام فرعون ثم خرج ببني إسرائيل = ٢١٧ سنة.

تناقض بين الأسفار في هاتين الغلطتين:

سبق زعمهم في سفر التكوين ١٣/١٥ أن الرب قال لأبرام: «اعلم يقيناً أن نسلك سيكون غريباً في أرض ليست لهم، ويستعبدون لهم، فيذلونهم أربعمئة سنة».

فبين الفقرتين في السفرين اختلاف، فإما أن يكون الكاتب أسقط من الأولى ثلاثين، أو زاد في الثانية ثلاثين. وبغض النظر عن هذا الاختلاف، فإن المدة في كلتيهما غلط يقيناً من النواحي التالية:

أ ـ ما سلف من النصوص والأرقام في الأربعمئة سنة في سفر التكوين، فما يسري عليها يسري على الأربعمئة والثلاثين في سفر الخروج.

ب ـ تحقيقات العلماء، فمؤرخو أهل الكتاب ومفسروهم متفقون على أن مدة إقامة بني إسرائيل في مصر كانت (٢١٥) سنة.

ففي كتاب مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدَّس الثمين ـ وهو من تأليف علماء البروتستانت =

ولو لم يكن في توراتهم إلا هذه الكذبة وحدها لكفت في أنها موضوعة مبدَّلة من حمار في جهله، أو مُسْتَخِفٌ سخر بهم ولا بدّ.

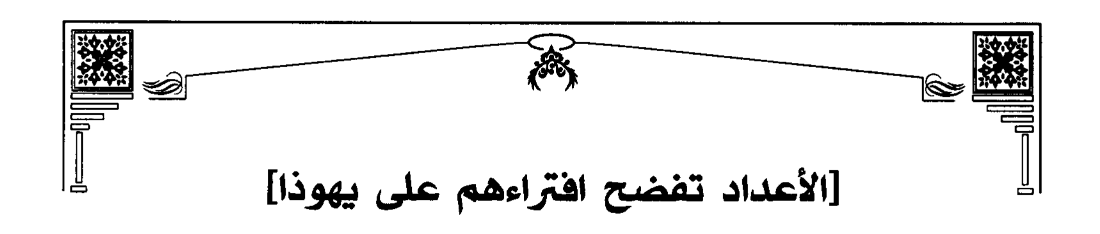
= في اللغة العربية عام ١٨٤٠م ـ ضبط لتواريخ حوادث العالم من بدء التكوين إلى ميلاد المسيح ﷺ، وقد كتبت السنون في جانب كل حادثة، ففي الجانب الأيمن كتبت السنون من بدء التكوين إلى الحادثة المذكورة، وفي الجانب الأيسر كتبت السنون من الحادثة إلى ميلاد المسيح ﷺ. وقد جاء في الجزء الثاني من الباب السابع عشر منه ص٣٤٦ ما يلي: «٢٢٩٨» بدء إقامة إخوة يوسف وأبيه في مصر «١٧٠٦». وجاء ص٤٣٧: «٢٥١٣» عبور الإسرائيليين بحر القلزم وغرق فرعون «١٤٩١». فإذا أسقطنا الأقل من الأكثر نتج ١٧٠٦ - ١٤٩١ = ٢١٥ و٢٥١٣ - ٢٢٩٨ = ٢١٥ سنة، وهو اختيار المؤرخين.

جـ ـ عدلت الفقرة ١٢/ ٤٠ من سفر الخروج في التوراة السامرية واليونانية فصارت كما يلي: «فكان جميع ما سكن بنو إسرائيل وآباؤهم وأجدادهم في أرض كنعان وأرض مصر أربعمئة وثلاثين سنة». فزيد في هاتين النسختين «آباؤهم وأجدادهم وأرض كنعان».

قال آدم كلارك في المجلد الأول من تفسيره ص٣٦٩ في ذيل شرح الفقرة المذكورة: اتفق الكل على أن مضمون هذه الآية في غاية الإشكال. ثم نقل عبارة التوراة السامرية وقال: وعبارة إسكندر يافوس وكثير من الأفاضل على أن السامرية في حق الكتب الخمسة لموسى أصح... لأنه من دخول إبراهيم أرض كنعان إلى ولادة إسحاق (٢٥) سنة، وإسحاق كان ابن (٦٠) سنة حين ولد له يعقوب، ويعقوب لما دخل مصر كان ابن (١٣٠) سنة فالمجموع (٢١٥) سنة، وإن مدة إقامة بني إسرائيل في مصر (٢١٥) سنة، فالكل (٤٣٠) سنة. اهـ.

وجامعو تفسير هنري واسكات بعدما سلموا أن مدة إقامة بني إسرائيل في مصر (٢١٥) سنة نقلوا عبارة السامرية وقالوا: لا شبهة في أن هذه العبارة صادقة، وتزيل كل مشكل وقع في المتن.

وهذا اعتراف بأن ما في العبرانية غلط. [إظهار الحق ١/ ٤٠٨ ـ ٤١٢].



[الأعداد تفضح افتراءهم على يهوذا]

قال أبو محمد رَحِمَهُ الله: وأما الكذبة الفاحشة المفضوحة التي هي من المحال المحض والافتراء المجرد، فهي ما أذكره إن شاء الله تعالى فتأملوه تَرَوا عجباً:

• ذكر في توراتهم نصاً أن يهوذا بن يعقوب كان مع إخوته يرعون أذوادهم إذ باعوا أخاهم يوسف، وأن يهوذا أشار عليهم ببيعه وإخراجه من الجبِّ، ليخلِّصه بذلك من الموت[1].

• ثم ذكر بعد ذلك أن يهوذا اعتزل عن إخوته وصار مع حيرة العَدُلّامي، ورأى ابنة رجل كنعاني، اسمه شوع، فتزوج بها، وولدت له ولداً اسمه عيرا، ثم ولداً آخر اسمه أونان، ثم ولداً آخر اسمه شيلة[2].

• وذكر بعد ذلك أن عير تزوج امرأة اسمها ثامار، ودخل بها، وكان مذنباً، ولذلك قتله الله تعالى، فزوجها من أخيه أونان، فكان يعزل عنها، فمات لذلك، وبقيت أرملة ليكبر شيلة وتُزوج منه، وأن شيلة كبر، ولم تزوج منه. وقد اعترف بذلك يهوذا إذ قال: هي أعدل مني، إذ منعتها شيلة ابني. وذكر بعد ذلك أنها تحيَّلت حتى زنت بيهوذا نفسه والد زوجها، وحبلت منه، وولدت توأمين: فارص وزارح[3].

• ثم ذكر بعد ذلك نسل يعقوب عليه السلام وأولاد أولاده المولودين بالشام،

---

[1] سبق ذكر قصة يوسف عليه السلام في الفصل الأول من هذا القسم.

[2] جاء في سفر التكوين ٣٨/ ١ ـ ٥: وحدث في ذلك الزمان أن يهوذا نزل من عند إخوته ومال إلى رجل عَدُلّامي اسمه حِيرة. ونظر يهوذا هناك ابنة رجل كنعاني اسمه شُوع، فأخذها ودخل عليها، فحبلت وولدت ابناً، ودعا اسمه عيراً، ثم حبلت أيضاً وولدت ابناً ودعت اسمه أونان، ثم عادت فولدت أيضاً ابناً، ودعت اسمه شيلة. وكان في كَزِيبَ حين ولدته.

[3] قصة زنى يهوذا بكنته ثامار، وحملها منه مذكورة في سفر التكوين ٣٨/ ٦ ـ ٣٠، ويأتي ذكرها إن شاء الله في القسم الرابع: (افتراؤهم على الأنبياء) مفصلاً.

ودخلوا معه مصر. فذكر فيهم حصرون وحامول ابني فارص بن يهوذا. فاضبطوا هذا[1].

وذكر في توراتهم أن يوسف عليه السلام إذ بلغ ست عشرة سنة، كان يرعى ذَوْداً مع إخوته، وأنهم باعوه، فصحَّ أنه كان ابن سبع عشرة سنة إذ باعوه، وهكذا ذكر في توراتهم[2].

ثم ذكر في توراتهم أن يوسف عليه السلام كان إذ دخل على فرعون وفسَّر له رؤياه في البقرات والسنابل، وولاه أمر مصر ابن ثلاثين سنة.

ثم ذكر في توراتهم أن يوسف عليه السلام كان إذ دخل أبوه يعقوب مصر مع جميع أهله ابن تسع وثلاثين سنة[3].

هذا منصوص فيها بلا خلاف بين أحد منهم. فصح يقيناً أنه لم يكن بين دخول يعقوب مع نسله مصر، وبين بيع يوسف عليه السلام إلا اثنان وعشرون عاماً، وربما أشهر يسيرة زائدة، لا أقل ولا أكثر[4]. هذا حساب ظاهر لا يخفى على جاهل ولا عالم.

وقد ذكر في توراتهم أن يهوذا تزوج في هذه المدة بنت شوع، وولدت له ولداً، ثم ثانياً، ثم ثالثاً، وأن الأكبر بلغ فزُوج زوجة ثم مات بعد دخوله بها، فزُوجت بعده من أخيه، فكان يعزل عنها فمات، وبقيت مدة حتى كبر الثالث،

---

[1] جاء في سفر التكوين ٤٦/٨ ـ ١٢: وهذه أسماء بني إسرائيل الذين جاؤوا إلى مصر: يعقوب وبنوه... وبنو يهوذا: عير وأونان وشيلة وفارص وزارح... وكان ابنا فارص حصرون وحامول.

[2] لم أجد في التوراة الحالية أن يوسف عليه السلام إذ بلغ ست عشرة سنة كان يرعى ذَوْداً مع إخوته. وفي سفر التكوين ٣٧/٢: «يوسف إذ كان ابن سبع عشرة سنة، كان يرعى مع إخوته الغنم، وهو غلام عند بني بِلهة وبني زِلفة امرأتي أبيه»، لأن الذَّوْد من الإبل، ما بين الثلاث إلى العشر.

[3] وقوف يوسف عليه السلام قدام فرعون في سفر التكوين ٤١/٤٦، وكلامه مع إخوته وطلبه منهم المجيء بأبيه إليه في سفر التكوين ٤٥/٦ و٩ ـ ١١، وسبق ذكرها قريباً.

[4] عمر يوسف إذ وقف أمام فرعون ٣٠ سنة + ٧ سنين خصب + ٢ سنتين جوع = ٣٩ سنة عمره عندما جاء إليه إخوته، ٣٩ - ١٧ سنة عمره عندما بيع = ٢٢ سنة مضت عليه قبل تكليمه إخوته. أو تقول ٣٠ سنة - ١٧ = ١٣ + ٧ خصب + ٢ جوع = ٢٢ سنة بين بيع يوسف ودخول يعقوب مصر.

ولم تُزَوج منه، فزنت بيهوذا والد زوجها، فولد له منها توءمان، ثم ولد لأحد ذينك التوءمين ابنان[1].

وهذا محال ممتنع لا خفاء به، ولا يمكن ألبتة في طبيعة بشر، ولا سبيل إليه في الجِبلة والبنية بوجه من الوجوه.

هَبْك أن يهوذا اعتزل عن إخوته وتزوج بنت شوع بإثر بيع يوسف بيوم، وحبلت زوجته وولدت الولد الأكبر في عامها الثاني، ثم الثاني في عام آخر، ثم الثالث في عام ثالث.

وهَبْك أن الأكبر زُوج وله اثنا عشر عاماً، فهذه ثلاثة عشر عاماً من جملة اثنين وعشرين عاماً، وبقي معها ما بقي، ثم زُوجت من الثاني وله اثنا عشر عاماً، فبقي يعزل عنها لئلا يُنسب إلى أخيه من يولد له منها، ثم مات وبقيت تنتظر أن يكبر شيلة وتُزَوَّج منه، حتى طال عليها، ورأت أنه قد كبر ولم تُزَوَّج منه. وهذا لا يكون ألبتة في أقل من عام، فهذه أربعة عشر عاماً، ثم زَنَت بيهوذا، فحملت فولدت، فهذا عام أو أقل بيسير، فلم يبقَ من الاثنين وعشرين عاماً إلا سبعة أعوام إلى ثمانية أعوام، لا أكثر ألبتة، فمن المحال الممتنع في العقل أن يوجد لرجل ابن ثمان سنين أو سبع سنين ولدان[2]

ما رأيت أجهل بالحساب من الذي عمل لهم التوراة، وحاش لله أن يكون هذا الخبر البارد الكاذب عن الله تعالى، أو عن موسى عليه السلام ولا عن إنسان يعقل ما يقول ويستحي من تعمد الكذب الفاضح. ونسأل الله العافية.

---

[1] ذكر ابن حزم رحمه الله قبل قليل هذه الأمور. وقد أشرتُ إلى مكانها في الكتاب المقدس، وإلى مكان ترتيبي لها في هذا الكتاب.

[2] يريد رحمه الله أن زوجة يهوذا حملت بالولد الأول عير ثم ولدته بعد سنة من الزواج + ١٢ سنة حتى كبر = ١٣ سنة مضت حتى تزوج عير، ثم مات.

ولا بدَّ من سنة أخرى حتى يبلغ أخوه أونان ١٢ عاماً ليتزوج، فصار لدينا ١٤ عاماً، لكنه كان يعزل ثم مات، ولا بدَّ من سنة أخرى حتى يبلغ شيلة ١٢ سنة ليصبح قادراً على الزواج، ثم تيأسُ من زواجها منه، فتحتال على يهوذا ليزني بها وتحمل منه التوءم فصار لدينا على الأقل ١٥ سنة، ولا بدّ من سنة أخرى لوضع الحمل، فصار المجموع ١٦ عاماً من جملة ٢٢ سنة، فهل يمكن أن يتزوج فارص بن يهوذا المخلوق من زناه بكنته، هل يمكن أن يتزوج وعمره ست سنوات أو سبع وينجب وهو بهذا العمر ولدَيْن هما حصرون وحامول، ثم يهاجر بهما مع جده يعقوب إلى مصر؟! وابن حزم رحمه الله قَلَّص مدة الانتظار.



أولاد يعقوب المولودون بالشام

وبعد ذلك ذكر عدد بني يعقوب المولودين بالشام عند خاله لابان الداخلين معه مصر.

- فذكر الذين ولدت له ليئة، وهم ستة ذكور وابنة واحدة.

وذكر أولاد هؤلاء الستة وسمَّاهم، فذكر لرأوبين أربعة ذكور، ولشمعون ستة ذكور، وللاوي ثلاثة ذكور، وليهوذا ثلاثة ذكور وابني ابن له، فهم خمسة، وليساخر أربعة ذكور، ولزابلون ثلاثة ذكور.

المجتمع من بني ليئة ستة ذكور وابنة سابعة، وخمسة وعشرون أولاد الأولاد، فهؤلاء اثنان وثلاثون.

وقال في نص توراتهم بعقب تسميتهم: «هؤلاء بنو ليئة، وعدد أولادها وبناتها ثلاثة وثلاثون» هكذا نص توراتهم[١].

---

[١] يُعلم من سفر التكوين ٢٩/ ٣١ ـ ٣٥ و٣٠/ ١ ـ ٢٤ ومن سفر أخبار الأيام الأول ٢/ ١: أن أولاد يعقوب الذين ولدوا له عند خاله لابان هم:

من لَيئة ستة ذكور: رَأوبين وشمعون ولاوي ويهوذا ويَسَّاكَر وزَبولون، وأنثى واحدة هي دينة.

ومن زِلفة جارية ليئة اثنان: جاد وأشير.

ومن راحيل يوسف.

ومن بلهة جارية راحيل اثنان: دان ونفتالي. ٧ + ٢ + ١ + ٢ = ١٢.

وجاء في سفر التكوين ٣٥/ ٢٢ ـ ٢٦ أيضاً: وكان بنو يعقوب اثني عشر: بنو ليئة: رأوبين بكر يعقوب وشمعون ولاوي ويهوذا ويساكر وزبولون. وابنا راحيل: يوسف وبنيامين. وابنا بلهة جارية راحيل دان ونفتالي. وابنا زِلفة جارية لَيئة: جاد وأشير. هؤلاء بنو يعقوب الذين ولدوا له في فدان أرام.

ومن الملاحظ أنه هنا لم يذكر دينة بنت يعقوب، وذكر بنيامين بن يعقوب من راحيل.

وفي سفر التكوين٤٦/ ٨ ـ ١٤: وهذه أسماء بني إسرائيل الذين جاؤوا إلى مصر، يعقوب وبنوه:

- بكر يعقوب رَأوبين. وبنو رَأوبين: حَنُوك وفَلُّو وحَصرون وكرمي. ١ + ٤ = ٥. =

وهذا خطأ في الحساب، تعالى الله عن أن يخطئ في الحساب، أو أن يخطئ فيه موسى ﷺ، فصح أنها من توليد جاهل غَثٍّ، أو من باعث سخر بهم، وكشف سوءاتهم.

● ثم ذكر بعد هذا أولاد راحيل، فذكر يوسف وبنيامين وبنيهما وقال: هم أربعة عشر ذكراً.

● أولاد زلفى: عاد وأشار وبنيهما. قال: وهم ستة عشر.

● وذكر أولاد بلهة: دان ونفتالي وبنيهما وقال: وهم سبعة.

ثم وصل ذلك بأن قال: وعدد نسل يعقوب الذين دخلوا معه مصر سوى نساء أولاده ستة وستون، وابنا يوسف اللذان ولدا بمصر اثنان، فجميع الداخلين إلى مصر سبعون[1].

= ● وبنو شمعون: يموئيل ويامين وأوهد وياكين وصوحر وشاؤل ابن الكنعانين = ٧.
● وبنو لاوي: جِرشون وقهات ومراري. ١ + ٣ = ٤.
● وبنو يهوذا: عير وأونان وشيلة وفارص وزارح. وأما عير وأونان فماتا في أرض كنعان. وكان ابنا فارص حصرون وحامول. ١ + ٧ - ٢ = ٦.
● وبنو يسَّاكر: تولاع وفُوَّةُ ويُوب (ياشوب) وشِمْرون. ١ + ٤ = ٥.
● وبنو زبولون: سارد وإيلون وياحَلْئيل. ١ + ٣ = ٤.

٤٦/١٥: هؤلاء بنو لَيئة الذين ولدتهم ليعقوب في فدان أرام مع دينة ابنته. جميع نفوس بنيه وبناته ثلاث وثلاثون.

وهذا خطأ بيّن، بل هم ٥ + ٧ + ٤ + ٦ + ٥ + ٤ + ١ = ٣٢.

فقوله: «ثلاث وثلاثون» غلط، والصحيح اثنان وثلاثون مع ابنته دينة. وقد اعترف بذلك المفسر الشهير رسلي. [إظهار الحق ١/١١١].

(١) جاء في سفر التكوين ٤٦/١٦ ـ ١٨: وبنو جاد: صِفيون وحجي وشوني وأصبون وعيري وأروى وأرئيلي. وبنو أشير: يِمنة ويِشوة ويِشوي وبريعة وسارَح، هي أختهم. وابنا بريعة: حابَر وملكئيل. هؤلاء بنو زلفة التي أعطاها لابان لليئة ابنته، فولدت هؤلاء ليعقوب، ست عشر نفساً.

٤٦/١٩ ـ ٢٢: ابنا راحيل امرأة يعقوب: يوسف وبنيامين. وولد ليوسف بمصر مَنَسَّى وأفرايم. اللذان ولدتهما له أسناتُ بنتُ فوطي فارَعَ كاهنِ أون. وبنو بنيامين: بالَع وباكَر وأشبيل وجيرا ونَعمان وإيحي ورُوش ومُفَيِّم وحُفيِّم وأرْد. هؤلاء بنو راحيل الذين ولدوا ليعقوب، جميع النفوس أربع عشرة.

٤٦/٢٣ ـ ٢٥: وابن دان حوشيم. وبنو نفتالي: ياحصئيل وجوني ويِصر وشَلِّيم. هؤلاء بنو بلهة التي أعطاها لابان لراحيل ابنته، فولدت هؤلاء ليعقوب، جميع الأنفس سبع. =

قال أبو محمد رَحِمَهُ اللهُ: هذا خطأ فاحش؛ لأن المجتمع من الأعداد المذكورة تسعة وستون، فإذا أسقطت منهم ولدي يوسف اللذين ولدا بمصر، بقي سبعة وستون، وهو يقول: ستة وستون؛ فهذه كذبة[1].

ثم قال: فجميع الداخلين معه إلى مصر سبعون. فهذه كذبة ثانية[2].

وقد قلنا: إن الذي عمل لهم التوراة كان ضعيف البصارة بالحساب، وليست هذه صفة الله ﷻ، ولا صفة من معه مُسْكة عقل تردعه عن الكذب وتعمُّدِه على الله تعالى، وعن تكلُّف ما لا يحسن ولا يقوم به.

[تنبيه]: وذكر في هذا الفصل قصة أخرى فيها الاعتراض، إلا أنها تخرج على وجه، فلذلك لم نفرد لها فصلاً، وهي أنه ذكر أولاد بنيامين فقال: بالَع وباكَر وأشبيل وأجير ونَعمان وأيحي ورُوش ومُضّيم وخُضِّيم وأَرْد[3].

= ٤٦/٢٦ ـ ٢٧: جميع النفوس ليعقوب التي أتت إلى مصر الخارجة من صلبه، ما عدا نساء بنيه، جميع النفوس ست وستون نفساً. وابنا يوسف اللذان ولدا له في مصر نفسان. جميع نفوس بيت يعقوب التي جاءت إلى مصر سبعون.

وقد جاء في سفر أخبار الأيام الأول ٢/١ ـ ٥ و٥/٣ و٦/١ و١٦ و٧/١ ـ ٦ و٣٠ و٨/١ وغيرِ ذلك تعداد بني إسرائيل، ولا تختلف الأسماء والأعداد التي ذكرت هناك عن سفر التكوين تقريباً.

[1] بنو ليئة المذكورون سابقاً ٣٢ + بنو زلفة ١٦ + بنو راحيل ١٤ + بنو بلهة ٧ = ٦٩، وليس ٦٦ كما قال.

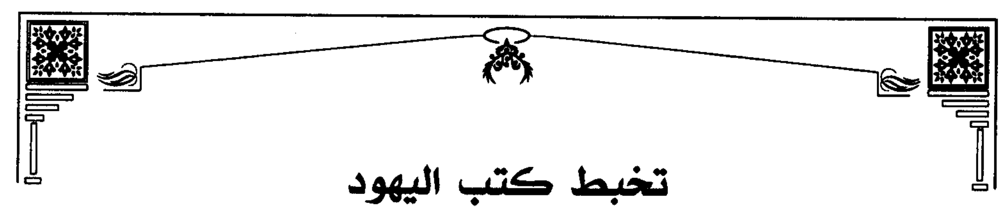
فإذا أسقطنا منهم ولدي يوسف اللذين ولدا بمصر، لأنهما حسبا مع أولاد راحيل سابقاً، ولم يدخلا مصر مع الداخلين، بقي ٦٧، وكاتب التوراة يقول ٦٦. فظهر خطؤه.

[2] لأن الذين أتَوا إلى مصر من أولاد يعقوب معه كانوا (٦٧) كما سبق، وليس (٦٦) كما ذكر، فإذا أضفنا إليهم يعقوب عليه السلام صار المجموع (٦٨)، وليس (٧٠) كما ذكر، فهل نسي أن يسقط ولدي يوسف عليه السلام؟

ولو بنينا على خطئه السابق في أولاد ليئة، حيث ذكر أنهم (٣٣) لازداد الخطأ أيضاً، فإن ٣٣ + ٣٧ وهم بنو زلفة وراحيل وبلهة = ٧٠ وليس ٦٦، فإذا أسقطنا ولدي يوسف اللذين ولدا بمصر، بقي (٦٨)، فإذا أضفنا إليهم يعقوب عليه السلام صار العدد (٦٩) وليس (٧٠).

[3] جاء في سفر أخبار الأيام الأول ٧/٦: لبنيامين: بالَع باكَر ويديعَئيل ثلاثة.

وفي ٨/١ ـ ٢: وبنيامين ولَد بالَعَ بكرَه وأَشْبيلَ الثاني وأَخْرَخَ الثالث ونُوحةَ الرابعَ ورافا الخامس.



تخبط كتب اليهود
في عددهم حين خروجهم من مصر
[والأرض والمدن التي تتسع لهم]

وفي السفر الرابع ذكر أن عدد بني إسرائيل الخارجين من مصر القادرين على القتال خاصة، ـ من كان ابن عشرين سنة فصاعداً ـ كانوا ستمئة ألف مقاتل، وثلاثة آلاف مقاتل، وخمسمئة مقاتل، وخمسين مقاتلاً، وأنه لا يدخل في هذا العدد من كان له أقل من عشرين، ولا من لا يطيق القتال ولا النساء جملة(١).

وأن عددهم إذ دخلوا الأرض المقدَّسة ستمئة ألف رجل، وألف رجل، وسبعمئة رجل، وثلاثون رجلاً، لم يُعدَّ فيهم من له أقل من عشرين سنة، وأنَّ على هؤلاء قُسِّمت الأرض المغنومة، وعلى النساء، وعلى من كان دون العشرين(٢).

---

[١] جاء في سفر العدد ١/١ ـ ٣: وكلَّم الرب موسى في برية سيناء في خيمة الاجتماع في أول الشهر الثاني في السنة الثانية لخروجهم من مصر قائلاً: احصوا كل جماعة بني إسرائيل بعشائرهم وبيوت آبائهم بعدد الأسماء، كل ذكر برأسه، من ابن عشرين سنة فصاعداً، كل خارج للحرب في إسرائيل.

١/٤٥ ـ ٤٩: فكان جميع المعدودين من بني إسرائيل حسب بيوت آبائهم من ابن عشرين سنة فصاعداً ستمئة ألف وثلاثة آلاف وخمسمئة وخمسين [٦٠٣٥٥٠]، وأما اللاويُّون حسب سبط آبائهم، فلم يعدوا منهم.

[٢] جاء في سفر العدد ٢٦/١ ـ ٣: ثم بعد الوباء كلَّم الرب موسى وألِعازارَ بنَ هارون الكاهن قائلاً: خُذا عدد كل جماعة بني إسرائيل، من ابن عشرين فصاعداً، حسب بيوت آبائهم، كل خارج للجند في إسرائيل. فكلمهم موسى وألعازار الكاهن في عربات موآب على أردن أريحا.

٢٦/٥١ ـ ٥٥: هؤلاء المعدودون من بني إسرائيل ستمئة ألف وألف وسبعمئة وثلاثون [٦٠١٧٣٠]، ثم كلَّم الرب موسى قائلاً: لهؤلاء تقسم الأرض نصيباً على عدد الأسماء، الكثير تكثر له نصيبه، والقليل تقلل له نصيبه، كل واحد حسب المعدودين منه يعطى، إنما بالقرعة تقسم الأرض.

وفي كتبهم أن داود ﷺ أحصَى في أيامه بني إسرائيل، فوجد بني يهوذا خاصة خمسمئة ألف مقاتل، ووجد التسعة الأسباط الباقية ـ حاش بني لاوي وبني بنيامين، فلم يحصهما ـ ألف ألف مقاتل، غير ثلاثين ألفاً، سوى النساء، وسوى من لا يقدر على القتال من صبي أو شيخ أو معذور، وكل هؤلاء إنما كانوا في فلسطين والأردن وبعض عمل الغور فقط. والبلد المذكور بحالته كما كان، لم يزد بالاتساع ولا نقص[1].

وفي كتبهم أيضاً أن أَبِيّا بن رَحَبْعام بن سليمان بن داود ﷺ قتل من العشرة الأسباط من بني إسرائيل خمسمئة ألف رجل، وأن ابنه أنتيا بن أبيا كان معه من بني يهوذا خاصة ثلاثمئة ألف مقاتل، ومن بني بنيامين خاصة اثنان وخمسون ألف مقاتل[2].

قال أبو محمد رحمه الله: البلد المذكور باقٍ، لم ينقص ولا صَغُرت أرضه، وحَدُّه بإقرارهم في الجنوب غزة وعسقلان ورفح وطرف من جبال الشراة بلد عيسو. ولا خلاف بينهم في أنهم لم يملكوا قط قرية فما فوقها من هذه البلاد،

---

[1] جاء في سفر أخبار الأيام الأول ٢١/٢: فقال داود ليوآب ولرؤساء الشعب: اذهبوا عِدوا إسرائيل من بئر سبع إلى دان، وأتوا إلي فأعلم عددهم.

٢١/٤ ـ ٦: فخرج يوآب وطاف في كل إسرائيل، ثم جاء إلى أورشليم، فدفع جملة عدد الشعب إلى داود، فكان كل إسرائيل ألفَ ألفٍ ومئةَ ألف رجل مستلي السيف [١١٠٠٠٠٠]، ويهوذا أربعمئة وسبعين ألف رجل مستلي السيف [٤٧٠٠٠٠]، وأما لاوي وبنيامين فلم يعدوهم معهم، لأن كلام الملك كان مكروهاً لدى يوآب.

تنبيه: ذكر ابن حزم رحمه الله أن عدد بني يهوذا خاصة [٥٠٠٠٠٠] مقاتل، وفي السفر الذي بين أيدينا اليوم [٤٧٠٠٠٠]، وذكر أن عدد تسعة الأسباط الباقية ـ حاش بني لاوي وبني بنيامين ـ كان [٩٩٧٠٠٠] مقاتل، وفي السفر الذي بين أيدينا [١١٠٠٠٠٠] مقاتل.

[2] جاء في سفر أخبار الأيام الثاني ١٦/١٣ ـ ١٧: فانهزم بنو إسرائيل من أمام يهوذا، ودفعهم الله ليدهم، وضربهم أبيًّا وقومه ضربة عظيمة، فسقط قتلى من إسرائيل خمسمئة ألف رجل مختار [٥٠٠٠٠٠].

٨/١٤: وكان لآسا جيش يحملون أتراساً ورماحاً، من يهوذا ثلاثمئة ألف [٣٠٠٠٠٠]، ومن بنيامين الذين يحملون الأتراس ويشدون القسي مئتان وثمانون ألفاً [٢٨٠٠٠٠]، كل هؤلاء جبابرة بأس.

تنبيه: ذكر ابن حزم رحمه الله أن عدد بني بنيامين [٥٢٠٠٠]، وفي السفر الذي بين أيدينا [٢٨٠٠٠٠].

وأنهم لم يزالوا من أول دولتهم إلى آخرها محاربين، مرة لبني إسرائيل ومراراً عليهم. وحدُّ ذلك البلد في الغرب البحر الشامي، وحده في الشمال صور وصيدا وأعمال دمشق التي لا يختلفون في أنهم لم يملكوا قط منها مضرب وتد، وأنهم لم يزالوا من أول دولتهم إلى آخرها محاربين لهم، فمرة عليهم ومرة لهم، وفي أكثر ذلك يملكون بني إسرائيل، ويسومونهم سوء العذاب، ومرة يخرج بنو إسرائيل عن ملكهم فقط، وحد البلد المذكور في الشرق بلاد مؤاب وعمون وقطعة من صحراء العرب التي هي الفلوات والرمال.

ولا خلاف بينهم في أن نص توراتهم أن الله تعالى قال لموسى وبني إسرائيل: «إلى هنا لا تحاربوا بني عيسو ولا بني مؤاب ولا بني عمون، فإني لم أورِّثكم من بلادهم وطأة قدم فما فوقها، لأني قد ورَّثت بني عيسو وبني لوط هذه البلاد، كما ورَّثت بني إسرائيل تلك التي وعدتهم بها»[1]، وأنهم لم يزالوا من أول دولتهم إلى آخرها يحاربونهم، فمرة يملكهم بنو عمون وبنو مؤاب، ومرة يخرجون عن رقهم فقط. وطول بلاد بني إسرائيل المذكورة بمساحة الحلفاء[2] المحققة من عقبة أفيق - وهي على أربعة وخمسين ميلاً من دمشق - إلى طبرية ثمانية أميال، وهي جبل أفرايم، إلى الطور نحو اثني عشر ميلاً، إلى اللجون نحو اثني عشر ميلاً، إلى عَلَمين، عندها ينقطع عمل الأردن ويبدأ عمل فلسطين، ميل واحد، إلى الرملة نحو أربعين ميلاً، إلى عسقلان ثمانية عشر ميلاً، وموضع

---

[1] جاء في سفر التثنية ٢/ ٤ ـ ٥: أنتم مارون بتخم إخوتكم بني عيسو الساكنين في سِعير... لا تهجموا عليهم، لأني لا أعطيكم من أرضهم ولا وطأة قدم، لأني لعيسو قد أعطيت جبل سعير ميراثاً.

ـ ٢/ ٨ ـ ١٢: فعبرنا عن إخوتنا بني عيسو... ثم تحوَّلنا ومررنا في طريق برية موآب، فقال لي الرب: لا تُعادِ موآب، ولا تثر عليهم حرباً، لأني لا أعطيك من أرضهم ميراثاً، لأني لبني لوط قد أعطيت عارَ ميراثاً... وفي سعير سكن قبلاً الحوريون، فطردهم بنو عيسو وأبادوهم وسكنوا مكانهم كما فعل إسرائيل بأرض ميراثهم.

ـ ٢/ ١٧ ـ ٢٠: كلمني ربي قائلاً: أنت مار اليوم بتخم موآب بعارَ، فمتى قربت تجاه بني عمون لا تعادهم، ولا تهجموا عليهم، لأني لا أعطيك من أرض بني عمون ميراثاً، لأني لبني لوط قد أعطيتها ميراثاً.

[2] الحَلْفاء: نبت أطرافه محدَّدة كأنها سعف النخل والخوص، ينبت في مغايص المياه وعلى شواطئ القنوات وفوق الجبال، واحدتها حَلَفة كقصبة. [مختار الصحاح والمنجد].

الرملة هو كان آخر عمل بني إسرائيل، فذلك ثلاثة وسبعون ميلاً[1]. وعرضه من البحر الشامي إلى أول عمل جبل الشراة وأول عمل مؤاب وأول عمل عمان نحو ذلك أيضاً، وعمل صغير شرقي الأردن يسمَّى الغور، فيه مدينة بيسان[2] يكون أقل من ثلاثين ميلاً في ثلاثين ميلاً، ولا يزيد، وكان هذا العمل الذي بشرقي الأردن بزعمهم وقع لبني رأوبين وبني جاد ونصف بني منسى بن يوسف عليه السلام لأنه كان يصلح لرعي المواشي، وكان هؤلاء أصحاب بقر وغنم.

فاعجبوا لهذا الكذب الفاحش المفضوح، وهذا المحال الممتنع أن تكون المسافة المذكورة تقسم أرضها على عدد يكون أبناء العشرين منهم فصاعداً أزيد من ستمئة ألف، فأين من دون العشرين؟ وأين النساء؟ والكل بزعمهم أخذ سهمه من الأرض المذكورة ليعيش من زرعها وثمرتها، واعلموا أنه لا يمكن ألبتة أن يكون في المساحة المذكورة ـ على أن تكون مساحة كل قرية ميلاً في ميل، مزارعها ومشاجرها ـ إلا ستة آلاف قرية ومئتي قرية، هذا على أن يكون جميع العمل المذكور عمراناً متصلاً، لا مرج فيه ولا شجر، ولا أرض محجَّرة لا تعمر، ولا أرض مرملة كذلك، ولا سبخة ملح كذلك، وهذا محال أن يكون. فعلى هذا يقع لكل قرية من الرجال المذكورين مئة رجل أو نحو ذلك سوى من هو دون العشرين منهم، وسوى النساء، ولا سبيل ألبتة على هذا أن يدركوا فيها المعاش، وهذا كذب لا خفاء به، لا سيما إذ بلغوا ألف ألف مقاتل وخمسمئة مقاتل، سوى من لا يقاتل، وسوى النساء.

أين هذا الكذب البارد من الحق الواضح في قوله تعالىٰ حاكياً عن فرعون أنه قال إذ تتبع بني إسرائيل: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ﴾ [الشعراء: ٥٤]. هذا هو الذي لا يجوز غيره، ولا يمكن سواه أصلاً.

○ [خطأ جغرافي آخر في سفر يشوع]:

وكذبة أخرى، وهي أنهم ذكروا في كتاب يشوع أن البلد المذكور كان فيه

---

[1] اللجون بلد بالأردن، بينه وبين طبرية عشرون ميلاً، والرملة: بلدة في فلسطين شمال شرقي القدس.

والرقم الذي ذكره هو مجموع ٨ + ١٢ + ١٢ + ١ + ٤٠ = ٧٣ ميلاً، وإذا أضفنا إليها ١٨ ميلاً التي هي إلى عسقلان يصبح المجموع ٩١ ميلاً.

[2] بيسان: قرية في الأردن بالغور الشمالي بين حوران وفلسطين جنوب طبرية. [المنجد].

من المدن: في سهم بني يهوذا مئة مدينة وأربعة مدن، وفي سهم بني شمعون سبع عشرة مدينة، وفي سهم بنيامين ثمان وعشرون مدينة، وفي سهم بني زبلون اثنتا عشرة مدينة، وفي سهم بني نفتالي تسع عشرة مدينة، وفي سهم بني دان ثماني عشرة مدينة، فذلك مئتا مدينة وست وثلاثون مدينة. قال في الكتاب المذكور: سوى قراها، لا يحصيها إلا الله ﷻ[1].

وذكر فيه أنه وقع لنصف بني مَنَسَّى بن يوسف بشرقي الأردن باشان وعملها، وأن مدائنهم المحصنة ستون مدينة سوى قراها، لا يحصيها إلا الله[2].

فالمجتمع من هذه المدن المذكورة ثلاثمئة مدينة غير أربع مدن. ولم يذكر

---

[1] جاء في سفر يشوع ١٥/ ٣٠ ـ ٦٢ أن عدد مدن بني يهوذا: ٢٩ + ١٤ + ١٦ + ٩ + ١ + ١١ + ١٠ + ٦ + ٢ + ٦ = ١٠٤ مدن مع قراها كما ذكر ابن حزم رحمه الله.

وفي ١٨/ ٢١ ـ ٢٦ أن عدد مدن بني بنيامين ١٦ + ١٤ = ٣٠ مدينة مع قراها. وقد ذكر ابن حزم رحمه الله أن عددها ٢٨ مدينة.

وفي ١٩/ ١ ـ ٩ أن عدد مدن بني شمعون ١٣ + ٤ = ١٧ مدينة.

وفي ١٩/ ١٠ ـ ١٦ أن عدد مدن بني زبولون ١٢ مدينة.

وفي ١٩/ ٣٢ ـ ٣٩ أن عدد مدن بني نفتالي ١٩ مدينة.

وفي ١٩/ ٤٠ ـ ٤٨ أن عدد مدن بني دان ١٨ مدينة.

هذه هي الأسماء التي ذكرها رحمه الله وذكر أن مجموعها (٢٣٦) مدينة، وليس كذلك، فقد سبق قلمه رحمه الله، وإن مجموع ما ذكره (١٩٨) مدينة، وبعد تصحيح عدد مدن بنيامين يصبح (٢٠٠) مدينة. وقد سبق قلمه أيضاً فلم يذكر مدن بني يسَّاكر ولا مدن بني أشير. وجاء في السفر نفسه ١٩/ ١٧ ـ ٢٣ أن عدد مدن بني يسَّاكر ١٦ مدينة، وفي ١٩/ ٢٤ ـ ٣١ أن عدد مدن بني أشير ٢٢ مدينة، فيكون المجموع (٢٣٨) مدينة مع تصحيح عدد مدن بنيامين. ولو أنه ذكر ذلك لكان غلطهم أفدح.

[2] جاء في سفر يشوع ١٧/ ١ ـ ٧: وكانت القُرْعة لسبط مَنَسَّى، لأنه هو بكر يوسف، لماكير بكر مَنَسَّى أبي جلعاد، لأنه كان رجل حرب، وكانت له جلعاد وباشان. وكانت لبني مَنَسَّى الباقين حسب عشائرهم. . . وأما صلفاد بن حافر بن جلعاد بن ماكير بن مَنَسَّى، فلم يكن له بنون، بل بنات. . . فتقدمن أمام أَلِعازار الكاهن وأمام يشوع وأمام الرؤساء وقلن: الربُّ أمر موسى أن يعطينا نصيباً بين إخوتنا. فأعطاهن حسب قول الرب نصيباً بين إخوة أبيهن. فأصاب مَنَسَّى عشرة حصص ما عدا أرض جلعاد وباشان التي في عَبْر الأردن، لأن بنات مَنَسَّى أخذن نصيباً بين بنيه، وكانت أرض جلعاد لبني مَنَسَّى الباقين.

ولم يذكر في السفر عدد مدنهم، ولعل ابن حزم رحمه الله أخذ العدد من كتاب آخر أو كانت مذكورة في الترجمة التي لديه.

عدد مدائن بني رأوبين، ولا عدد مدائن بني عاد، ولا عدد مدائن نصف بني مَنَسَّى الذي بغرب الأردن، ولا مدائن بني أفرايم.

وهذه الأسباط التي لم تذكر مدنها، تقع على ما توجبه توراتهم في الربع من جميع بني إسرائيل، يقع لهم على هذا الحساب نحو مئة مدينة، إذا ضمت إلى العدد الذي ذكرناه، فتمام الجمع نحو أربعمئة مدينة.

فاعجبوا لهذه الشهرة أن تكون البقعة التي قد ذكرنا مساحتها على قلتها وتفاهتها، تكون فيها هذه المدن.

وقد ذكر أن نصف سبط بني منسى الذين وقعوا بشرقي الأردن، ووقع في خطهم ستون مدينة كانوا ستة وعشرين ألف رجل مقاتلين، كلهم ليس فيهم ابن أقل من عشرين سنة[1]. والعمل باقٍ إلى اليوم، لعله اثنا عشر ميلاً في مثلها، ما رأيت أقلَّ حياء من الذي كتب لهم تلك الكتب المرذولة، وسَخَّم بها وجوههم. ونعوذ بالله من الضلال.

---

[1] جاء في سفر يشوع ٢٢/٧ ـ ٨: ولنصف سبط مَنَسَّى أعطى موسى في باشان، وأما نصفه الآخر، فأعطاهم يشوع مع إخوتهم في عَبْر الأردن غرباً. وعندما صرفهم يشوع أيضاً إلى خيامهم باركهم قائلاً: بمال كثير ارجعوا إلى خيامكم وبمواش كثيرة جداً، بفضة وذهب ونحاس وحديد وملابس كثيرة جداً، اقسموا غنيمة أعدائكم مع إخوتكم.



ذكر التوراة لقبائل بني إسرائيل الخارجين من مصر

ذكر في صدر السفر الثاني، إذ ذكر خروج بني إسرائيل عن مصر مع موسى عليه السلام؛ أن الله تعالى أمر موسى أن يعدَّ بني إسرائيل بعد خروجهم من مصر بسنة واحدة وشهر واحد فقط[1].

○ [إحصاء بني رؤبين]:

فعد جميع قبائلهم فقال: هؤلاء أكابر البيوت في قبائلهم:

حنوك وفلو وحصرون وكرمي، وهم بنو رأوبين بكر ولد إسرائيل. هذه قبائل رأوبين[2].

وذكر في أول السفر الرابع أن مقدمهم كان أليصور بن شديئور، وأن عددهم كان ستة وأربعين ألف رجل. لم يعد فيهم من له أقل من عشرين سنة، ولا من لا يطيق الحرب[3].

---

[1] يقصد رحمه الله أن إخبار الله لموسى عليه السلام وبشارته بالخروج مذكورة في سفر الخروج ٦/ ١ ـ ٩، أما أمره له بِعَدِّ بني إسرائيل، فمذكور في سفر العدد.

جاء في سفر العدد ١/١ ـ ٥: وكلَّم الرب موسى في برية سيناء في خيمة الاجتماع، في أول الشهر الثاني، في السنة الثانية لخروجهم من أرض مصر قائلاً: احصوا كل جماعة بني إسرائيل بعشائرهم وبيوت آبائهم بعدد الأسماء، كل ذكر برأسه، من ابن عشرين سنة فصاعداً، كل خارج للحرب في إسرائيل، تحسبهم أنت وهارون حسب أجنادهم، ويكون معكما رجل لكل سبط، رجل هو رأس لبيت آبائه. وهذه أسماء الرجال الذين يقفون معكما: لرأوبين أليصور بن شَدَيْئور...

[2] جاء في سفر التكوين ٤٦/٨ ـ ٩: وهذه أسماء بني إسرائيل الذين جاؤوا إلى مصر، يعقوب وبنوه: بكر يعقوب رَأوبين، وبنو رأوبين: حَنوك وفَلّو وحصرون وكرمي.

وجاء في سفر الخروج ٦/ ١٤: هؤلاء رؤساء بيوت آبائهم، بنو رأوبين بكر إسرائيل: حَنوك وفلو وحصرون وكرمي. هذه عشائر رأوبين.

[3] جاء في سفر العدد ١/١٨ ـ ٢١: وجمعا كل الجماعة في أول الشهر الثاني، فانتسبوا إلى عشائرهم وبيوت آبائهم بعدد الأسماء، من ابن عشرين فصاعداً برؤوسهم، كما أمر الرب موسى، فعدهم في برية سيناء، فكان بنو رأوبين بكر إسرائيل، تواليدهم حسب =

○ [إحصاء بني شمعون]:

وذكر في صدر السفر الثاني فقال: وبنو شمعون: يموئيل ويامين وأوهد وياكين وصوحر وشاؤل بن الكنعانية. هذه قبائل شمعون[1].

وذكر في أول السفر الرابع أن مقدَّمهم كان شلومئيل بن صور يشداي، وأن عددهم كان تسعة وخمسين ألف رجل. لم يعد فيهم من له أقل من عشرين سنة، ولا من لا يطيق الحرب[2].

○ [إحصاء بني لاوي]:

وقال في صدر السفر الثاني: هذه تسمية بني لاوي في قبائلهم: جِرشون وقهات ومراري، وابنا جرشون: لِبنى وشِمعي في قبائلهم. وبنو قهات: عمرام ويصهار وحبرون وعُزّيئيل. وابنا مراري: مَحْلي وموشى. هذه أنساب بني لاوي في قبائلهم[3].

فتزوج عمرام يوكابد عمته، فولدت له موسى وهارون. وبنو يصهار: قورَح ونافَج وذكرى. وبنو قورح: أشير والقانة وأبياساف. وبنو عزئيل: ميشائيل وألْصافان وسِتْري. فتزوج هارون إلى يشبَع بنت عميناداب أخت نحشون، فولدت

= عشائرهم، وبيوت آبائهم بعدد الأسماء برؤوسهم، كل ذكر من ابن عشرين سنة فصاعداً، كل خارج للحرب كان المعدودون منهم لسبط رأوبين ستة وأربعين ألفاً وخمسمئة [٤٦٥٠٠].

وقد جاء في كتاب الفصل أن عددهم [٤٦٠٠٠] فلعله سهو من النُسَّاخ، أو أن ذلك كان في الترجمة التي اطلع عليها ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(١) جاء في سفر التكوين ٤٦/ ١٠، والخروج ٦/ ١٥: وبنو شِمعون: يموئيل ويامين وأوهَد وياكين وصوحَر وشاؤل ابن الكنعانية. هذه عشائر شمعون.

(٢) جاء في سفر العدد ١/ ٦: لشمعون شلوميئيل بنُ صورِ يشدَّاي.

وفي ١/ ٢٢ ـ ٢٣: بنو شمعون، تواليدهم حسب عشائرهم وبيوت آبائهم، المعدودون منهم بعدد الأسماء برؤوسهم، كل ذكر من ابن عشرين سنة فصاعداً، كل خارج للحرب، المعدودون منهم لسبط شمعون تسعة وخمسون ألفاً وثلاثمئة [٥٩٣٠٠].

فزاد عما ذكره ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٣٠٠) رجل.

(٣) جاء في سفر التكوين ٤٦/ ١١: وبنو لاوي: جِرْشون وقَهات ومَراري.

وفي سفر الخروج ٦/ ١٦ ـ ١٩: وهذه أسماء بني لاوي بحسب مواليدهم: جِرشون وقهات ومراري. . . ابنا جِرشون: لِبنى وشمعي بحسب عشائرهما. وبنو قهات عمرام ويِصهار وحبرون وعُزّيئيل. وابنا مراري: مَحْلي وموشي. هذه عشائر اللاويين بحسب مواليدهم.

له ناداب وأبيهوا وألعازار وإيثامار. فتزوج ألعازار بن هارون في بنات بني فوطيئيل، فولدت فينحاس[1].

وقال في صدر السفر الرابع: فكلَّم السيد موسى في مغار سينا وقال له: عدَّ بني لاوي في بيوت آبائهم وأهاليهم، فكل ذكر ابن شهر فصاعداً حسبهم موسى كما عهد إليه السيد، فوجد وُلْد لاوي على أسمائهم مُسمَّين: جرشون وقهاث ومراري.

وولد جرشون لِبنى وشِمعي، وولد قهاث عمرام ويصهار [وحبرون] وعزيئيل، وولد مراري: مَحْلي وموشي[2].

وأنه عَدَّ عامة ذكور بني جِرشون ابن شهر فصاعداً، فكانوا ستة آلاف وخمسمئة، كانوا في ساقة القبة في الغرب، تحت أيدي ألياساف بن لابِل[3].

---

[1] الخروج ٦/ ٢٠ ـ ٢٥: وأخذ عمرام يوكابَد عمته زوجة له، فولدت له هارون وموسى... وبنو يِصْهار: قُورَح ونافج وذِكْري. وبنو عُزيئيل: ميشائيل وأَلْصَافان وسِتْري. وأخذ هارون أليشابَع بنت عَمّيناداب أخت نَحْشون زوجة له، فولدت له ناداب وأبيهو وألِعازار وإيثامار. وبنو قورَح: أَسّير وأَلقَانَة وأَبِيَأَساف. هذه عشائر القورحيين. وألِعازار بن هارون أخذ لنفسه من بنات فوطيئيل زوجة، فولدت له فينحاس. هؤلاء هم رؤساء آباء اللاويين بحسب عشائرهم.

وجاء في سفر اللاويين ١٠/ ١ ـ ٢: وأخذ ابنا هارون ناداب وأبيهو، كل منهما مِجْمرته، وجعلا فيها ناراً، ووضعا عليها بَخُوراً، وقربا أمام الرب ناراً غريبة لم يأمرهما بها، فخرجت نار من عند الرب وأكلتهما، فماتا أمام الرب.

وفي سفر العدد ٣/ ١ ـ ٤: وهذه تواليد هارون وموسى يوم كلم الرب موسى في جبل سيناء، وهذه أسماء بني هارون الكهنة الممسوحين الذين ملأ أيديهم للكهانة، ولكن مات ناداب وأبيهو أمام الرب عندما قربا ناراً غريبة أمام الرب في برية سيناء، ولم يكن لهما بنون، وأما ألِعازار وإيثامار، فكهنا أمام هارون أبيهما.

[2] جاء في سفر العدد ٣/ ١٤ ـ ٢٠: وكلم الرب موسى في برية سيناء قائلاً: عُدَّ بني لاوي حسب بيوت آبائهم وعشائرهم، كل ذكر من ابن شهر فصاعداً تعدهم. فعدَّهم موسى حسب قول الرب. وكان هؤلاء بني لاوي بأسمائهم: جرشون وقهات ومراري. وهذان اسما ابني جرشون حسب عشائرهما: لِبنى وشِمعي. وبنو قهات حسب عشائرهم: عَمرام ويصهار وحبرون وعُزيئيل. وابنا مراري حسب عشائرهما مَحْلي وموشي. هذه عشائر اللاويين حسب بيوت آبائهم.

[3] جاء في سفر العدد ٣/ ٢١ ـ ٢٤: لجرشون عشيرة اللِّبنِيين وعشيرة الشمعيين. هذه عشائر الجرشونيين المعدودون منهم بعدد كل ذكر من ابن شهر فصاعداً سبعة آلاف وخمسمئة. =

وبعد ذلك ذكر أنه حسب ألفي رجل وستمئة رجل وثلاثين رجلاً[1].

ثم قال: هذه نسبة قهات، خرج منه رهط عمرام ويصهار وحبرون وعزيئيل، فحسب من كان منهم ذكراً ابن شهر فصاعداً، فوجدهم ثمانية آلاف رجل وستمئة ذكر. مقدَّمهم لصافان بن عزيئيل المذكور، وأمرهم أن يكونوا في جنوب القبة، حاش موسى وهارون وأولادهما، فإنهم يكونون أمام القبة في الشرق، وأنه حسب من كان منهم ابن ثلاثين سنة إلى ابن خمسين سنة فقط، فوجدهم ألفي رجل وسبعمئة رجل وخمسين رجلاً[2].

وذكر أنه حسب بني مراري، مَحلي وموشي بني مراري، ومن كان منهم ابن شهر فصاعداً من الذكور، فوجدهم ستة آلاف ومئتين. مقدَّمهم صوريئيل بن أبيحايل، وأمرهم أن يكونوا في شمال القبة، وأنه حسب من كان منهم ابن ثلاثين سنة فصاعداً إلى خمسين سنة، فوجدهم ثلاثة آلاف رجل ومئتي رجل[3].

= عشائر الجرشونيين ينزلون وراء المسكن إلى الغرب، والرئيس لبيت أبي الجرشونيين ألياساف ابن لابِل.

تنبيه: ذكر ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن عامة ذكور بني جرشون ستة آلاف وخمسمئة (٦٥٠٠)، وفي التوراة التي بحوزتي سبعة آلاف وخمسمئة (٧٥٠٠).

[1] جاء في سفر العدد ٤/ ٣٨ ـ ٤١: والمعدودون من بني جَرْشون حسب عشائرهم وبيوت آبائهم، من ابن ثلاثين سنة فصاعداً، إلى ابن خمسين سنة، كل الداخلين في الجند للخدمة في خيمة الاجتماع، كان المعدودون منهم ألفين وستمئة وثلاثين [٢٦٣٠]. هؤلاء هم المعدودون من عشائر بني جرشون.

[2] جاء في سفر العدد ٣/ ٢٧ ـ ٣٠: ولقهات: عشيرة العَمْراميين وعشيرة اليصهاريين وعشيرة الحبرونيين وعشيرة العزيئيليين. هذه عشائر القهاتيين، بعدد كل ذكر من ابن شهر فصاعداً ثمانية آلاف وستمئة، [٨٦٠٠] حارسين حراسة القدس. وعشائر بني قهات ينزلون على جانب المسكن إلى التَّيْمَن، والرئيس لبيت أبي عشيرة القهاتيين أليصافان بن عزيئيل.

وفي ٤/ ٣٤ ـ ٣٧: فعدَّ موسى وهارون ورؤساء الجماعة بني القهاتيين حسب عشائرهم وبيوت آبائهم من ابن ثلاثين سنة فصاعداً إلى ابن خمسين، كل الداخلين في الجند للخدمة في خيمة الاجتماع، فكان المعدودون منهم حسب عشائرهم ألفين وسبعمئة وخمسين.

[٢٧٥٠] هؤلاء هم المعدودون من عشائر القهاتيين.

[3] جاء في سفر العدد ٣/ ٣٣ ـ ٣٥: ولمراري عشيرة المَحْليين وعشيرة الموشيين. هذه عشائر مراري. والمعدودون منهم بعدد كل ذكر من ابن شهر فصاعداً ستة آلاف ومئتان [٦٢٠٠].

والرئيس لبيت أبي عشائر مراري صوريئيل بن أبيجايل، ينزلون على جانب المسكن إلى الشمال. =

وبعد أن ذكر من كان من بني لاوي ابن شهر فصاعداً من الذكور كما أوردنا قال: فجميع اللاويين الذين حسب موسى وهارون، من كل ذكر، من ابن شهر فصاعداً، اثنان وعشرون ألفاً[1].

وأن السيد أوحى إلى موسى: احسبْ بكور ذكور ولد إسرائيل المذكور، من ابن شهر فصاعداً، وتأخذ لي اللّاويين عن بكور جميع ولد إسرائيل. فعدَّ موسى بكور ولد بني إسرائيل الذكور، من ابن شهر فصاعداً، فوجدهم اثنين وعشرين ألفاً ومئتين وثلاثة وسبعين. فقال السيد لموسى: خُذْ بني لاوي عن بكور ذكور ولد إسرائيل، ليكون بنو لاوي لي، وعن المئتين والثلاثة والسبعين الزائدين عن عدد بني لاوي، تأخذ عن كل واحد خمسة أثقال بوزن الهيكل. فأخذ موسى دراهم الزائدين فبلغت ألفاً وثلاثمئة وخمسة وستين ثقلاً، وأعطاها لهارون وولده، على ما عهد عليه السيد[2].

= وفي ٤/ ٤٢ ـ ٤٥: والمعدودون من عشائر بني مراري حسب عشائرهم وبيوت آبائهم، من ابن ثلاثين سنة فصاعداً إلى ابن خمسين سنة، كل الداخلين في الجند للخدمة في خيمة الاجتماع، كان المعدودون منهم ثلاث آلاف ومئتين [٣٢٠٠]. هؤلاء هم المعدودون من عشائر بني مراري.

(١) جاء في سفر العدد ٣/ ٣٩: جميع المعدودين اللّاويين الذين عدهم موسى وهارون حسب قول الرب بعشائرهم، كل ذكر من ابن شهر فصاعداً، اثنان وعشرون ألفاً. [٢٢٠٠٠].

ولو أحصينا ما ذكره ابن حزم ﷺ لوجدنا عدد الذكور بصورة عامة ٦٥٠٠ لجرشون + ٨٦٠٠ لقهات + ٦٢٠٠ لمراري = ٢١٣٠٠ ذكر.

وفي التوراة الحالية يزيد عدد بني جرشون ألفاً عما ذكره، فالمجموع ٢٢٣٠٠، وهو خلاف ما ذكره في الفقرة السابقة ٣/ ٣٩ من سفر العدد. وسيذكر ﷺ تفنيداً آخر لهذا الإحصاء.

(٢) جاء في سفر العدد ٣/ ٤٢ ـ ٤٣: فعدّ موسى كما أمره الرب كل بكر في بني إسرائيل، فكان جميع الأبكار الذكور بعدد الأسماء من ابن شهر فصاعداً، اثنين وعشرين ألفاً ومئتين وثلاثة وسبعين [٢٢٢٧٣].

٣/ ٤٤ ـ ٥١: وكلّم الرب موسى قائلاً: خذ اللّاويين بدل كل بكر في إسرائيل، وبهائم اللّاويين بدل بهائمهم، فيكون لي اللّاويون أنا الرب. وأما فداء المئتين والثلاثة والسبعين الزائدين على اللّاويين من أبكار بني إسرائيل، فتأخذ خمسة شواقل لكل رأس، على شاقل القدس تأخذها، عشرون جِيرةً الشاقل، وتعطي الفضة لهارون وبنيه فداء الزائدين عليهم... وأعطى موسى الفداء لهارون وبنيه حسب قول الرب.

○ [تفنيد إحصاء بني لاوي]:

ذكر أن بني لاوي ثلاثة رجال فقط: فهات وجِرشوم ومراري، وأن ذكور نسل هؤلاء الثلاثة فقط كانوا اثنين وعشرين ألفاً من الذكور خاصة من ابن شهر فصاعداً[١].

من جملتهم ثمانية آلاف رجل وخمسمئة رجل وثمانون رجلاً، ليس فيهم ابن أقل من ثلاثين سنة، ولا ابن أكثر من خمسين سنة[٢].

ثم ذكر أولاد مراري، فلم يذكر له إلا ولدين: محلي وموشي فقط. وذكر أولاد جرشون بن لاوي، فلم يذكر له إلا ولدين فقط: لبنى وشمعي. وذكر أولاد فهات بن لاوي، فلم يذكر إلا أربعة فقط: عمرام ويصهار وحبرون وعزيئيل. فرجع نسل لاوي كله إلى هؤلاء الثمانية فقط.

ثم لم يجعلوا لتوجيه التأويل في كذبهم مساغاً، بل عدَّ أولاد عمرام بأنهم موسى وهارون عليهما السلام فقط، وألعازار وفرصوم ابني موسى عليه السلام وكانا صغيرين حينئذ جداً، وأربعة أولاد لهارون عليه السلام[٣].

وعدَّ أولاد يَصْهار، فذكر قورح وأخويه، وثلاثة أولاد لقورح.

---

[١] وهو ما جاء في سفر العدد ٣/ ٣٩، وقد ذكر النص سابقاً، وتم التنبيه إلى الفرق بين العدد وبين مجموع ما فَصَّله السفر، وهو (٢٠٣٠٠)، وبين مجموع ما ذكره ابن حزم رحمه الله، وهو (٢١٣٠٠)، حيث نقص عدد بني جِرشون ألفاً عما في التوراة الحالية.

[٢] جاء في سفر العدد ٤/ ٤٦ ـ ٤٨: جميع المعدودين اللّاويين الذين عدهم موسى وهارون ورؤساء إسرائيل حسب عشائرهم وبيوت آبائهم، من ابن ثلاثين سنة فصاعداً إلى ابن خمسين سنة، كل الداخلين ليعملوا عمل الخدمة في خيمة الاجتماع، كان المعدودون منهم ثمانية آلاف وخمسمئة وثمانين [٨٥٨٠].

وهذا العدد مكوَّن مما ذكره سابقاً عن المعدودين من أهل الخدمة: ٢٧٥٠ لقهات + ٢٦٣٠ لجرشون + ٣٢٠٠ لمراري = ٨٥٨٠.

[٣] أولاد هارون مذكورون في سفر الخروج ٦/ ٢٣، وسبق ذكر النص، أما ولدا موسى عليه السلام فقد جاء ذكرهما في السفر نفسه ٢/ ٢١ ـ ٢٢: فأعطى ـ أي كاهن مديان ـ موسى صِفورة ابنته، فولدت ابناً، فدعا اسمه جِرشوم، لأنه قال: كنت نزيلاً في أرض غريبة.

١٨/ ٢ ـ ٤: فأخذ يثرون حمو موسى صفورة امرأة موسى بعد صرفها وابنيها اللذين اسم أحدهما جِرشوم، واسم الآخر ألعازار، لأنه قال: إله أبي كان عوني، وأنقذني من سيف فرعون.

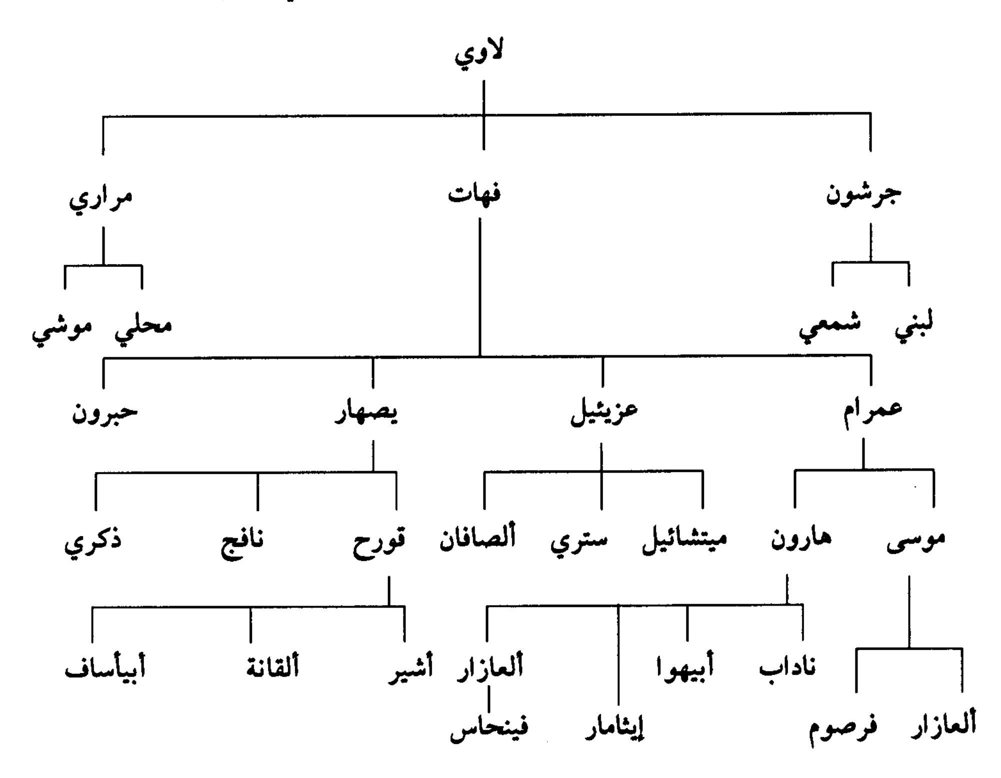
وبقي سائر العدد المذكور من الألوف، وهي ثمانية آلاف رجل وستمئة رجل، لا يعدُّ فيهم ابن أقل من شهر من بني فهاث خاصة، راجعاً إلى أولاد حبرون وعِزّيئيل وأخوي قورح فقط.

هذا، وألصافان بن عزيئيل حي مقدم طبقته، سوى النساء، ولعل عددهن كعدد الرجال[1].

وهذا من الحمق الذي لا نظير له، ومن قلّة الحياء في الدرجة العليا، ومن الكذب البحت في المقدّمة، ومن المحال في المحل الأقصى، وجار مجرى الخرافات التي تقال عند السمر بالليل، ولعمري، لو ضلَّ بتصديق هذا الهَوَس الفاجر واحد واثنان لكان عجباً، فكيف أن يُضَل به عالَم عظيم، وجيل بعد جيل، مذ أزيد من ألف وخمسمئة عام، مذ كتب لهم عزرا الوراق هذا السُّخام الذي أضلَّهم به؟! ونحمد الله على عظيم نعمته علينا حمداً كثيراً، ونسأله العصمة في باقي أعمارنا مما امتحن به من شاء إضلاله. آمين آمين.

---

[1] سبق ذكر نصوص هذا الإحصاء، وإليك شجرة نسب بني لاوي.



وثمَّة كذبة ظريفة جداً، وهي أنه ذكر في توراتهم أن عدد بني جرشون بن لاوي من ابن شهر فصاعداً كانوا ستة آلاف وخمسمئة، وأن عدد ذكور بني قهاث بن لاوي من ابن شهر فصاعداً كانوا ثمانية آلاف وستمئة، وأن عدد ذكور بني مراري بن لاوي من ابن شهر فصاعداً كانوا ستة آلاف ومئتين. ثم قال: فجميع الذكور من بني لاوي من ابن شهر فصاعداً اثنان وعشرون ألفاً. فكان هذا ظريفاً جداً، وشيئاً تندى منه الآباط. وهل يجهل أحد أن الأعداد المذكورة إنما يجتمع منها واحد وعشرون ألفاً وثلاثمئة؟[١].

هذا أمر لا ندري كيف وقع، أتراه بلغ المسخَّم الوجه الذي كتب لهم هذا الكتاب الأحمق من الجهل بالحساب هذا المبلغ؟ إن هذا لعجب، ولقد كان الثَّوْر أهدى منه، والحمار أنبه منه بلا شك، أترى لم يأتِ بعده من اليهود منذ أزيد من ألف وخمسمئة عام من تبين له أن هذا خطأ وباطل؟ ولا يمكن أن يُدَّعى هنا غلط من الكاتب، ولا وَهَم من الناسخ، لأنه لم يَدَعْنا في لَبْس من ذلك، ولا في شك من فساد ما أتى به، بل أكد ذلك وبيَّنه وفضحه وأوضحه بأن قال: «إن بكور ذكور بني إسرائيل كانوا اثنين وعشرين ومئتين وثلاثة وسبعين، وأن الله تعالى أمر موسى أن يأخذ بني لاوي الذكور عن بكور ذكور بني إسرائيل، وأن يأخذ عن المئتين والثلاثة والسبعين الزائدين من بكور ذكور بني إسرائيل عن الاثنين وعشرين ألفاً من بني لاوي عن كل رأس خمسة أشقال فضة، فاجتمع من ذلك ألف شقل وثلاثمئة شقل، وخمسة وستون شقلاً، فارتفع بذلك الإشكال جملة، وبالله التوفيق[٢].

---

[١] سبق التنبيه في أول التفنيد إلى أن عدد بني جرشون الذي ذكره ابن حزم رحمه الله ينقص عما في التوراة الحالية ألف شخص، ولعل هذا ما كان في الترجمة التي لديه ثم عُدل فيما بعد، لأنه يصرُّ عليه ويؤكد.

[٢] اجتمع لدينا من هذا الإحصاء تناقضات مركَّبة، ما لها من دافع:

١ ـ جاء في الفقرة ٣/ ٣٩ من سفر العدد أن جميع المعدودين اللَّاويين الذكور من ابن شهر فصاعداً (٢٢٠٠٠) ولو أحصينا ما فصَّله السفر عن أبناء لاوي لوجدنا أن المجموع هو (٢٢٣٠٠) كما سبق. وهذا تناقض فاحش.

٢ ـ جاء في سفر العدد ٣/ ٤٢ ـ ٤٣ أن عدد جميع الأبكار الذكور في بني إسرائيل كلهم (٢٢٢٧٣) كما سبق، وأمر الرب موسى عليه السلام أن يأخذ اللاويين بدل كل بكر في إسرائيل، وأما فداء الـ(٢٧٣) الزائدين على اللاويين من أبكار بني إسرائيل، فيأخذ خمسة شواقل لكل رأس =

○ [نصيب اللاويين من المدن المتفرقة]:

ثم ذكر في سفر يشوع أنَّ ألعازار بن هارون بنفسه أتى إلى يشوع بن نون إذ فتحت الأرض المقدَّسة، وكلمه في أن يُعطي بني لاوي مدائن للسكن ففعل، وأنه وقع لبني هارون خاصة ثلاث عشرة مدينة من مدائن بني يهوذا وبنيامين وشمعون، وأنه وقع لسائر بني فاهاث بن لاوي عشر مدائن من مدائن بني دان وبني أفرايم ونصف سبط منسى الذين مع سائر الأسباط، وأنه وقع لبني جِرشون بن لاوي ثلاث عشرة مدينة من مدن يساخر وأشار ونفتالي ونصف سبط منسى الذي بشرق الأردن، وأنه وقع لبني مراري بن لاوي اثنتا عشرة مدينة من مدائن بني زابلون وبني رأوبين وجاد بن يعقوب بشرقي الأردن، فذلك لبني لاوي ثمان وأربعون مدينة(١).

= كما سبق في ٣/ ٤٤ ـ ٥١ من السفر نفسه، لكن ما فَصَّله في السفر نفسه عن إحصاء ذكور بني لاوي يزيد عن عدد الأبكار الذكور في جميع بني إسرائيل بـ(٢٧) ذكراً، إذ لجرشون (٧٥٠٠) + لقهات (٨٦٠٠) + لمراري (٦٢٠٠) كما سبق = ٢٢٣٠٠ عدد ذكور بني لاوي جميعاً.

٢٢٣٠٠ - ٢٢٢٧٣ = ٢٧. وهذا تناقض آخر، فلمن تدفع الشواقل وعمّن؟.

٣ ـ جاء في سفر العدد ٢٦/ ١ ـ ٢: ثم بعد الوباء كلَّم الرب موسى وألعازار بن هارون الكاهن قائلاً: خُذا عدد كل جماعة بني إسرائيل من ابن عشرين سنة فصاعداً حسب بيوت آبائهم، كل خارج للجند في إسرائيل.

٢٦/ ٦٣: وكان المعدودون منهم ثلاثة وعشرين ألفاً [٢٣٠٠٠] كل ذكر من ابن شهر فصاعداً، لأنهم لم يعدوا بين بني إسرائيل.

فهل زادوا بعد الوباء، أو قلَّ عددهم كسائر الأسباط؟ هذا تناقض آخر.

أما من كان منهم ابن ثلاثين فصاعداً من الذكور فقد ذكر في سفر العدد ٤/ ٣٤ ـ ٣٧: لقهات (٢٧٥٠)، وفي ٤/ ٣٨ ـ ٤٠: لجرشون (٢٦٣٠)، وفي ٤/ ٤٢ ـ ٤٥: لمراري (٣٢٠٠)، والمجموع (٨٥٨٠)، فلا ينسجم ما ذكروه مع أي عدد من الأعداد.

(١) جاء في سفر يشوع ٢١/ ١ ـ ٨: ثم تقدم رؤساء آباء اللاويين إلى ألعازار الكاهن وإلى يشوع بن نون وإلى رؤساء آباء أسباط بني أسرائيل وكلّموه في شيلُوهَ في أرض كنعان قائلين: قد أمر الرب على يد موسى أن نعطى مدناً للسكن مع مسارحها لبهائمنا. فأعطى بنو إسرائيل اللّاويين من نصيبهم حسب قول الرب هذه المدن مع مسارحها:

فخرجت القرعة لعشائر الفهاتيين، فكان لبني هارون الكاهن من اللاويين بالقرعة ثلاث عشرة مدينة من سبط يهوذا ومن سبط شمعون ومن سبط بنيامين. ١٣ +.

ولبني فَهات الباقين عشر مدن بالقرعة من عشائر سبط أفرايم ومن سبط دان ومن نصف سبط مَنَسّى. ١٠ +. =

وثمَّة كذبة أخرى، وهي أنه وقع لبني هارون ثلاث عشرة مدينة، وألعازار بن هارون حيٌّ قائم. فياللناس، أفي المحال أكثر من أن يدخل في عقل أحد أن نسل هارون بعد موته بسنة وأشهر يبلغ عدداً لا يسعه للسكنى إلا ثلاث عشرة مدينة؟! هل لهذا الحمق دواء إلا الغَلُّ والقَيْد والمَجْمعة، وما يتبع ذلك من الكي والسوط؟ ونعوذ بالله من الخذلان.

○ [إحصاء بني جاد بن يعقوب]:

ثم ذكر في السفر الرابع أنه أحصى أيضاً بني جاد بن يعقوب الرجال خاصَّة، من كان منهم ابن عشرين سنة فصاعداً، المبارزين للحرب، فوجدهم خمسة وأربعين ألف رجل وخمسين رجلاً، مقدَّمهم ألياساف بن رعوئيل[1].

○ [إحصاء بني يهوذا]:

وأنه أحصى بني يهوذا الذكور خاصة، من كان منهم ابن عشرين سنة فصاعداً المبارزين للحرب خاصة، فوجدهم أربعة وسبعين ألفاً وستمئة رجل.

وقد ذكر قَبْل وبَعْد أن هذا العدد كلَّه إنما هم من ولد شيلة وفارص وزارح

= ولبني جَرشون ثلاث عشرة مدينة بالقرعة من عشائر سبط يسَّاكر ومن سبط أشير ومن سبط نفتالي ومن نصف سبط منسى في باشان. ١٣ +.

ولبني مراري حسب عشائرهم اثنتا عشرة مدينة من سبط راوبين ومن سبط جاد ومن سبط زبولون. ١٢ = ٤٨.

فأعطى بنو إسرائيل اللاويين هذه المدن ومسارحها بالقرعة، كما أمر الرب على يد موسى.

٢١/٤١: جميع مدن اللاويين في وسط ملك بني إسرائيل ثمان وأربعون مدينة مع مسارحها.

(١) جاء في سفر التكوين ٤٥/١٦: ونبو جاد: صفيون وحجي وشوني وأصبون وعيري وأرودي وأرئيلي.

وفي العدد ١/٢٤ ـ ٢٥: بنو جاد، تواليدهم حسب عشائرهم وبيوت آبائهم بعدد الأسماء، من ابن عشرين سنة فصاعداً، كل خارج للحرب، المعدودون منهم خمسة وأربعون ألفاً وستمئة وخمسون [٤٥٦٥٠].

وفي ٢/١٤ ـ ١٥: وسبط جاد، والرئيس لبني جاد أليساف بن رَعوئيل، وجنده المعدودون منهم خمسة وأربعون ألفاً وستمئة وخمسون.

وقد ذكر ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن عددهم [٤٥٠٥٠].

بني يهوذا فقط، مقدَّمهم نحشون بن عمينادات بن أرام بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن إسرائيل[1].

○ [إحصاء بني يساكر]:

وأنه أحصى بني يساكر الذكور خاصة من كان منهم ابن عشرين سنة فصاعداً، المبارزين للحرب خاصة، فوجدهم أربعة وخمسين ألف رجل وأربعمئة رجل، مقدَّمهم نثنائيل بن صوغر[2].

○ [إحصاء بني زبُلون]:

وأنه أحصى بني زبُلون الذكور خاصة من كان منهم ابن عشرين سنة فصاعداً، المبارزين للحرب خاصة، فوجدهم سبعة وخمسين ألف رجل وأربعمئة رجل، مقدَّمهم ألياب بن حيلون[3].

---

[1] جاء في سفر التكوين ٤٦/ ١٢: وبنو يهوذا: عير وأونان وشيلة وفارص وزارح، وأما عير وأونان فماتا في كنعان، وكان ابنا فارص حصرون وحامول.

وفي العدد ١/ ٢٦ ـ ٢٧: بنو يهوذا، تواليدهم حسب عشائرهم وبيوت آبائهم، بعدد الأسماء، من ابن عشرين سنة فصاعداً، كل خارج للحرب، المعدودون منهم أربعة وسبعون ألفاً وستمئة [٧٤٦٠٠].

وفي ٢/ ٣ ـ ٤: والرئيس لبني يهوذا نحشون بن عَمّيناداب، وجنده المعدودون منهم أربعة وسبعون ألفاً وستمئة.

[2] جاء في سفر التكوين ٤٦/ ١٣: وبنو يساكر: تولاع وفوه ويوب وشمرون.

وفي العدد ١/ ٢٨ ـ ٢٩: بنو يَسَّاكر، تواليدهم حسب عشائرهم وبيوت آبائهم بعدد الأسماء، من ابن عشرين سنة فصاعداً، كل خارج للحرب، المعدودون منهم أربعة وخمسون ألفاً وأربعمئة [٥٤٤٠٠].

وفي ٢/ ٥ ـ ٦: والرئيس لبني يَسَّاكر نثنائيل بن صوغر، وجنده المعدودون منهم أربعة وخمسون ألفاً وأربعمئة.

[3] جاء في التكوين ٤٦/ ١٤ ـ ١٥: وبنو زبولون: سارد وإيلون وياطيل... مع دينة ابنته.

وفي العدد ١/ ٣٠ ـ ٣١: بنو زبولون، تواليدهم حسب عشائرهم وبيوت آبائهم بعدد الأسماء، من ابن عشرين سنة فصاعداً، كل خارج للحرب، المعدودون منهم سبعة وخمسون ألفاً وأربعمئة [٥٧٤٠٠].

وفي ٢/ ٧ ـ ٨: وسبط زبولون، والرئيس لبني زبولون أليآب بن حيلون، وجنده المعدودون منهم سبعة وخمسون ألفاً وأربعمئة.

○ [إحصاء بني يوسف]:

وأنه حسب بني يوسف عليه السلام الذكور خاصة، من كان منهم ابن عشرين فصاعداً المبارزين للحرب خاصة، فوجدهم اثنين وسبعين ألف رجل وسبعمئة رجل، منهم من ولد أفرايم بن يوسف أربعون ألف رجل وخمسمئة رجل، ومقدَّمهم أليشمع بن عميهود، ومن ولد منسى بن يوسف اثنان وثلاثون ألف رجل ومئتا رجل، مقدمهم جملئيل بن فدهصور[1].

○ [إحصاء بني بنيامين]:

وأنه حسب بني بنيامين الذكور خاصة، من كان منهم ابن عشرين سنة فصاعداً المبارزين للحرب خاصة، فكانوا خمسة وثلاثين ألف رجل وأربعمئة رجل، مقدّمهم أبيدَن بن جدعوني[2].

---

[1] جاء في سفر التكوين٤٦/ ٢٠: وولد ليوسف في أرض مصر مَنَسَّى وأفرايم، ولدتهما له أسنات بنت فوطي.

وفي العدد ١/ ٣٢ ـ ٣٥: بنو يوسف: بنو أفرايم، تواليدهم حسب عشائرهم وبيوت آبائهم بعدد الأسماء، من ابن عشرين سنة فصاعداً، كل خارج للحرب، المعدودون منهم أربعون ألفاً وخمسمئة [٤٠٥٠٠].

بنو مَنَسَّى، تواليدهم حسب عشائرهم وبيوت آبائهم بعدد الأسماء، من ابن عشرين سنة فصاعداً، كل خارج للحرب، المعدودون منهم اثنان وثلاثون ألفاً ومئتان [٣٢٢٠٠].

٤٠٥٠٠ + ٣٢٢٠٠ = ٧٢٧٠٠.

وفي ٢/ ١٨ ـ ٢١: راية محلة أفرايم حسب أجنادهم إلى الغرب، والرئيس لبني أفرايم أليشَمَع بن عَمّيهود، وجنده المعدودون منهم أربعون ألفاً وخمسمئة. ومعه سبط مَنَسَّى، والرئيس لبني مَنَسَّى جَمْليئيل بن فَدَهْصور، وجنده المعدودون منهم اثنان وثلاثون ألفاً ومئتان.

[2] جاء في سفر التكوين ٤٦/ ٢١: وبنو بنيامين بالعَ وباكَر وأَشْبيل وجيرا ونَعْمان وإيحي ورُوش ومُفّيم وحُفّيم وأرْد.

وفي العدد ١/ ٣٦ ـ ٣٧: بنو بنيامين، تواليدهم حسب عشائرهم وبيوت آبائهم، بعدد الأسماء، من ابن عشرين سنة فصاعداً، كل خارج للحرب، المعدودون منهم خمسة وثلاثون ألفاً وأربعمئة [٣٥٤٠٠].

وفي ٢/ ٢٢ ـ ٢٣: وسبط بنيامين، والرئيس لبني بنيامين أبيدَن بن جدعون، وجنده المعدودون منهم خمسة وثلاثون ألفاً وأربعمئة [٣٥٤٠٠].

وفي العدد ٢/ ٢٤: جميع المعدودون لمحلة أفرايم مئة ألف وثمانية آلاف ومئة بأجنادهم.

أي ٤٠٥٠٠ + ٣٢٢٠٠ + ٣٥٤٠٠ = ١٠٨١٠٠.

○ [إحصاء بني دان]:

وأنه حسب بني دان، الذكور خاصة، من كان منهم ابن عشرين فصاعداً، من المبارزين للحرب خاصة، فكانوا اثنين وستين ألف رجل وسبعمئة رجل، مقدمهم أخَيعَزَر بن عميشداي، وكلهم من ولد حوشِم بن دان[1].

○ [إحصاء بني أشير]:

وأنه حسب بني أشير، الذكور خاصة من كان منهم ابن عشرين فصاعداً من المبارزين للحرب خاصة، فوجدهم واحداً وأربعين ألف رجل وخمسمئة رجل، مقدمهم فجعيئيل بن عكران[2].

○ [إحصاء بني نفتالي]:

وأنه حسب بني نفتالي من كان منهم من الذكور خاصة ابن عشرين فصاعداً المبارزين للحرب خاصة، فوجدهم ثلاثة وخمسين ألف رجل وأربعمئة رجل، مقدمهم أخيرع بن عينين[3].

---

[1] جاء في سفر التكوين ٤٦/٢٣: وابن دان حوشيم.

وفي العدد ١/٢٨ ـ ٢٩: بنو دان، تواليدهم حسب عشائرهم وبيوت آبائهم بعدد الأسماء، من ابن عشرين سنة فصاعداً، كل خارج للحرب، المعدودون منهم اثنان وستون ألفاً وسبعمئة [٦٢٧٠٠].

وفي ٢/٢٥ ـ ٢٦: راية محلة دان إلى الشمال حسب أجنادهم، والرئيس لبني دان أخيعَزَر بن عَمّيشدّاي، وجنده المعدودون منهم اثنان وستون ألفاً وسبعمئة.

[2] جاء في سفر التكوين ٤٦/١٧: وبنو أشير: يمنة ويشوة وبريعة وسارَح هي أختهم.

وفي العدد ١/٤٠ ـ ٤١: بنو أشير تواليدهم حسب عشائرهم وبيوت آبائهم، بعدد الأسماء، من ابن عشرين سنة فصاعداً، كل خارج للحرب، المعدودون منهم واحد وأربعون ألفاً وخمسمئة. [٤١٥٠٠].

٢/٢٧ ـ ٢٨: والرئيس لبني أشير فَجْعيئيل بن عُكْرَن، وجنده المعدودون منهم واحد وأربعون ألفاً وخمسمئة.

[3] جاء في سفر التكوين ٤٦/٢٤: وبنو نفتالي: ياحَصْئيل وجوني ويِصْر وشَلّيم.

وفي العدد ١/٤٢ ـ ٤٣: بنو نفتالي، تواليدهم حسب عشائرهم وبيوت آبائهم بعدد الأسماء من ابن عشرين سنة فصاعداً، كل خارج للحرب، المعدودون منهم ثلاثة وخمسون ألفاً وأربعمئة [٥٣٤٠٠].

٢/٢٩ ـ ٣٠: وسبط نفتالي، والرئيس لبني نفتالي أخيرَع بن عينين، وجنده المعدودون منهم ثلاثة وخمسون ألفاً وأربعمئة.

وأن هذا الحساب كان بعد عام واحد وشهر واحد من خروجهم من مصر، حاش قسمة المدائن المذكورة، وأنها بعد دخولهم فلسطين والأردن.

○ [تفنيد ما ذكر من الإحصاء]:

فليتأمل كل ذي تمييز صحيح من الخاصَّة والعامَّة هذا الكذب الفاحش الذي لا خَفاء به، والمحال الممتنع والجهل المُفْرط، الموجب كل ذلك ضرورة أنها كتب محرّفة مبدَّلة من تحريف فاسق سخر بهم، وأنها لا يمكن ألبتة أن تكون من عند الله، ولا من عند نبي، ولا من عند صادق اللهجة.

ـ فمن ذلك إخباره بأن رجال بني دان كانوا إذ خرجوا من مصر اثنين وستين ألفاً وسبعمئة رجل. ولم يعدَّ فيهم من كان منهم ابن أقل من عشرين سنة، ولا من لا يطيق البروز للحرب، ولا النساء، وأنهم كلهم راجعون إلى حوشيم بن دان وحده، ولم يكن لدان بإقرارهم ولد غير حوشيم، مع قرب أنسابهم من حوشيم؛ لأن في نص توراتهم أن الله تعالى قال لإبراهيم عليه السلام: إن الجيل الرابع من الأولاد يرجعون إلى الشام. فاضبطوا هذا يظهر لكم الكذب علانية لا خَفاء به[1].

ـ وأن بني يهوذا كانوا أربعة وسبعين ألفاً وستمئة رجل، ليس يعد فيهم من له أقل من عشرين سنة، وكلهم راجعون كما ذكرنا إلى ثلاثة أولاد ليهوذا، لم يعقِّب غيرهم، وفي الحياة يومئذ رئيسهم نحشون بن عميناداب بن أرام بن حصرون بن فارص بن يهوذا[2].

ـ وأن بني يوسف عليه السلام كانوا اثنين وسبعين ألف رجل وسبعمئة رجل، ليس يُعَدُّ فيهم من له أقل من عشرين سنة، وكلهم راجع إلى أفرايم ومَنَسّى، لم يعقب ليوسف غيرهما، وفيهم يومئذ في الحياة صلفحاد بن حافر بن جلعاد بن مَنَسَّى بن يوسف عليه السلام، وقد ذكر أيضاً في توراتهم أولاد أفرايم، فلم يجعل له إلا ثلاثة

---

[1] سبق ذكر هذه النصوص وتخريجها في إحصاء بني دان وفي بحث تشريد نسل إبراهيم.

ويريد رحمه الله أنه هل قُدِّر لكل جيل مئة سنة؟ وهل يمكن أن يتكاثر نسل رجل واحد خلال هذه المدة بهذا المقدار!

[2] سبق ذكر هذه النصوص وتخريجها في إحصاء بني يهوذا.

ذكور، ولم يجعل لِمَنَسَّى إلا ولدين، وذكر أولاد جلعاد المذكور ابن مَنَسَّى، ولم يجعل له إلا ستة ذكور فقط[1].

فاجعلوا لِمَنَسَّى وأفرايم أقصى ما يمكن أن يكون للرجل من الأولاد، ثم لجلعاد وإخوته وبني عمه مثل ذلك، ثم لحافر وطبقته مثل ذلك، وانظروا هل يمكن أن يبلغ ذلك ثلث هذا العدد؟!

والأمر في ولد دان أفحش من سائر ما في ولد إخوته، وإن كان الكذب في كل ذلك فاحشاً، لأن البضع والسبعين ألف رجل وزيادة، لم يُعَدَّ فيهم ابن أقل من عشرين سنة، يرجعون إلى ثلاثة من ولد يهوذا واثنين من ولد يوسف. وأما الاثنان والستون ألف رجل ونيِّف، لا يُعَدُّ فيهم ابن أقل من عشرين سنة، فإنما يرجعون إلى واحد فقط، لم يكن لدان غيره بلا خلاف منهم، فكيف إذا أضيف

---

[1] جاء في سفر التكوين٤١/ ٥٠ ـ ٥٢: وولد ليوسف ابنان قبل أن تأتي سنة الجوع، وولدتهما له أسنات بنت فوطي فارَع كاهن أون. ودعا اسم البكر مَنَسَّى... واسم الثاني أفرايم.

٥٠/ ٢٣: ورأى يوسف لأفرايم أولاد الجيل الثالث، وأولاد ماكير بن مَنَسَّى أيضاً، ولدوا على ركبتي يوسف.

وجاء في سفر العدد ٣٦/ ٢٨ ـ ٣٤: ابنا يوسف حسب عشائرهما: منسى وأفرايم. بنو مَنَسَّى. لماكير عشيرة الماكيريين، وماكير ولَد جِلعاد، ولجلعاد عشيرة الجلعاديين، هؤلاء بنو جِلعاد. لإيعَزَر عشيرة الإيعزريين، لحالق عشيرة الحالقيين، لإسرائيل عشيرة الإسرائيليين، لشكَم عشرة الشكَميين، لشَميداع عشيرة الشميعداعيين، لحافر عشيرة الحافريين. وأما صَلُفْجاد بن حافر، فلم يكن له بنون، بل بنات... هذه عشائر بني مَنَسَّى، والمعدودون منهم اثنان وخمسون ألفاً وسبعمئة [٥٢٧٠٠].

٣٦/ ٣٥ ـ ٣٧: وهؤلاء بنو أفرايم حسب عشائرهم: لشوتالح عشيرة الشوتالحيين، لباكر عشيرة الباكريين، لتاحَن عشيرة التاحنيين. وهؤلاء بنو شاتالح: لِعيران عشيرة العيرانيين. هذه عشائر بني أفرام حسب عددهم اثنان وثلاثون ألفاً وخمسمئة [٣٢٥٠٠] هؤلاء بنو يوسف حسب عشائرهم.

وفي سفر يشوع ١٤/ ٤: لأن بني يوسف كانوا سبطين مَنَسَّى وأفرايم.

١٧/ ١ ـ ٣: وكانت القرعة لسبط مَنَسَّى، لأنه هو بكر يوسف: لماكير بكر مَنَسَّى أبي جلعاد، لأنه كان رجل حرب، وكانت جلعاد وباشان له، وكانت لبني مَنَسَّى الباقين حسب عشائرهم: لبني أبيعَزَ، ولبني حالَق، ولبني إسْرِئيل، ولبني شكيم، ولبني حافَر، ولبني شميداع، هؤلاء هم بنو منسى بن يوسف الذكور حسب عشائرهم. وأما صَلُفاد بن حافَر بن جلعاد بن ماكير بن مَنَسَّى، فلم يكن له بنون، بل بنات.

إلى هذا العدد من له أقل من عشرين سنة من الرجال؟ والأغلب أنهم قريب من عدد المتجاوزين عشرين سنة أو أقل بيسير، وجميع النساء والأغلب أنهن في عدد الرجال أو قريباً من ذلك، فيجتمع من ولد حوشيم بن دان وحده في مدة مئتي عام وسبعة عشر عاماً نحو مئة ألف وستين ألف إنسان. هذا المحال الممتنع الذي لم يكن قط في العالم على حسب بنيته ورتبته[1].

ويجتمع من ولد يوسف عليه السلام على هذا أرجح من مئتي ألف إنسان، ومن ولد يهوذا نحو ذلك.

○ **[استدراك وسدُّ ذريعة]:**

وليس يمكنهم أن يقولوا إنَّ الطبقات من الولادات كانت كثيرة جداً، لوجهين:

أحدهما: قوله في توراتهم: إن الجيل الرابع من الأولاد يرجعون إلى الشام.

والثاني: أن الذي ذكر من أنسابهم من بني لاوي وبني يهوذا وبني يوسف وبني رأوبين، كانوا متقاربين في التعداد، كموسى وهارون ومريم بني عمران بن فاهاث بن لاوي بن إسرائيل، وأليصابات بن عزيئيل بن فاهاث بن لاوي بن إسرائيل، وقورح وإخوته بنو يصهار بن فاهاث بن لاوي بن إسرائيل، ونحشون وإخوته بنو عميناداب بن آرام بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن إسرائيل، وأحار بن كرمي بن سيداي بن شيلة بن يهوذا بن إسرائيل، ودابان وأبيرام ابنا الباب بن ملوكن بن روبان بن إسرائيل وإخوتهم وأولادهم وأولاد أولادهم. هذا نص ذكر أنسابهم في توراتهم، فوضح أن الأمر متقارب في تعدادهم، وظهر بهذا عظيم الكذب الفاحش في الأعداد التي ذكروا.

ولا يمكنهم البتة أن يقولوا: إنه كان لإسرائيل غير من سمَّينا من الأولاد الاثني عشر، ولا أنه كان لأولاد إسرائيل المذكورين غير من سمَّينا من الأولاد.

---

[1] يريد رحمه الله أن الكذب في تعداد أولاد دان أفحش مما في غيره، ثم وضح ذلك بأن البضع والسبعين ألف رجل وزيادة التي جعلوها ليهوذا، تعود إلى بنيه الثلاثة، وكذلك البضع والسبعين التي جعلوها ليوسف عليه السلام فإنها تعود إلي ابنيه الاثنين، أما عشيرة دان، فإنما تعود إلى ابنه الوحيد الذي لم يكن له غيره، فكيف يبلغ تعداد الذكور الكبار فيهم (٦٢٧٠٠) مقاتل؟ بل كيف لو أضفنا إليهم مثلهم من النساء ومثلهم من الأولاد الصغار؟!

وعددهم واحد وخمسون رجلاً فقط: لبنيامين عشرة، ولجاد سبعة، ولشمعون ستة، ولراوبين وأشير ويساخر ونفتالي، لكل واحد منهم أربعة أربعة، وليهوذا ولاوي وزبلون، لكل واحد منهم ثلاثة ثلاثة، وليوسف ولدان اثنان[1].

فيالَلناس، كيف يمكن أن يتناسل من ولادة واحد وخمسين رجلاً فقط، في مدة مئتي عام وسبعة عشر عاماً فقط أزيد من ألفي ألف إنسان؟! هذا غاية المحال الممتنع، لأنه نص في توراتهم أنه انتسل منهم ستمئة ألف وثلاثة آلاف رجل، كلُّهم لم يُعَدَّ فيهم ابن أقل من عشرين، ولعل من دون العشرين عاماً منهم يقاربون هذا العدد، ثم النساء ولعلَّهن نحو هذا العدد، فاعجبوا لهذه الفضائح[2].

---

[1] لم يذكر معهم ابن دان الوحيد لقرب ذكره سابقاً، فيكون المجموع ١٠ + ٧ + ٦ + ١٦ + ٩ + ٢ + ١ = ٥١، وهو إنما يحصي الذكور من أحفاد يعقوب ﷺ دون أولادهم.

وقد ذكر في سفر التكوين ٤٦/٨ ـ ٢٥ أسماءهم وأعدادهم، ثم قال في الجملتين ٢٦ ـ ٢٧: «جميع النفوس ليعقوب التي أتت إلى مصر، الخارجة من صلبه ما عدا نساء بني يعقوب ست وستون نفساً، وابنا يوسف اللذان ولدا في مصر نفسان. جميع نفوس بيت يعقوب التي جاءت إلى مصر سبعون».

[2] جاء في سفر العدد ١/ ٤٥ ـ ٤٧: فكان جميع المعدودين من بني إسرائيل حسب بيوت آبائهم من ابن عشرين سنة فصاعداً، كل خارج للحرب في إسرائيل ستمئة ألف وثلاثة آلاف وخمسمئة وخمسين [٦٠٣٥٥٠]، وأما اللاويون حسب سبط آبائهم، فلم يُعدُّوا بينهم.

وجاء في ٢/ ٣٢ ـ ٣٣: هؤلاء هم المعدودون من بني إسرائيل حسب بيوت آبائهم، جميع المعدودين من المحلات بأجنادهم ستمئة ألف وثلاثة آلاف وخمسمئة وخمسون [٦٠٣٥٥٠]، وأما اللّاويون فلم يعدوا بين بني إسرائيل كما أمر الرب موسى.

فاللّاويون ذكوراً وإناثاً خارجون عن هذا العدد، وكذلك إناث جميع الأسباط مطلقاً، وذكورهم الذين لم يبلغوا سن العشرين، فلو ضممنا المتروكين والمتروكات إلى المعدودين، فإن عددهم يكون قرابة مليونين ونصف. وهذا غير صحيح لوجوه:

الأول: إن عدد بني إسرائيل عندما دخلوا مصر كان سبعين كما في سفر التكوين ٤٦/ ٢٦ ـ ٢٧، وسفر الخروج ١/ ٥، وسفر التثنية ١٠/ ٢٢، ومدة إقامتهم فيها كانت (٢١٥) عاماً كما سَلَف، وقد أمر ملك مصر بقتل كل مولود ذكر منهم.

جاء في سفر الخروج ١/ ١٥ ـ ١٦: وكلَّم ملك مصر قابلتي العبرانيات اللتين اسم إحداهما شِفْرة، واسم الأخرى فوعة، وقال: حينما تولدان العبرانيات وتنظرانهن على الكراسي، إن كان ابناً فاقتلاه، وإن كان بنتاً فتحيا.

١/ ٢٢: ثم أمر فرعون جميع شعبه قائلاً: كل ابن يولد تطرحونه في النهر، وكل بنت تستحيونها.

فلو قطعنا النظر عن القتل، وقلنا: إن القابلتين لم تنفذا، والشعب المصري لم يلتزم، =

. . . .

= وفرضنا أن بني إسرائيل يضاعفون في كل خمس وعشرين سنة، فلن يصل عددهم إلى ستة وثلاثين ألفاً [٣٦٠٠٠] في المدة المذكورة، فضلاً عن أن يصل عدد الذكور الصالحين للحرب إلى ستمئة ألف وثلاثة آلاف وخمسمئة وخمسين [٦٠٣٥٥٠]، وعدد الجميع إلى قرابة مليونين ونصف. ولو لوحظ القتل الذي كان يقع بهم لكان امتناع العقل عن القبول أظهر.

الثاني: يبعد كل البعد أن يكثر بنو إسرائيل هذه الكثرة في مثل ذلك الظرف، ولا يكثر المصريون مع راحتهم وغناهم مثل كثرتهم.

جاء في سفر الخروج ١٢/ ٣٧ ـ ٣٨: فارتحل بنو إسرائيل من رَعَمْسيس إلى سُكُّوت نحو ستمئة ألف ماشٍ من الرجال عدا الأولاد، وصعِد معهم لفيف كثير من غنم وبقرٍ مواشٍ وافرة جداً.

غير أن السِّفر صرَّح بأنهم عبروا البحر في ليلة واحدة، وَصرَّح أيضاً أنهم كانوا يرتحلون كل يوم، وكان يكفي لارتحالهم الصوت الذي يصدر عن موسى ﷺ.

جاء في سفر الخروج ١٤/ ١٠: فلما اقترب فرعون رفع بنو إسرائيل عيونهم وإذا المصريون وراءهم ففزعوا جداً، وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب.

١٤/ ١٣: فقال موسى للشعب: لا تخافوا، قِفُوا وانظروا خلاص الربِّ الذي يصنعه لكم اليوم.

١٤/ ١٥: فقال الرب لموسى: ما لك تصرُخ إلي؟ قل لبني إسرائيل أن يرحلوا، وارفع أنت عصاك ومدَّ يدك على البحر وشقه، فيدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة.

١٤/ ٢١ ـ ٢٣: ومد موسى يده على البحر، فأجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة كل الليل، وجعل البحر يابسة وانشق الماء، فدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة، وتبعهم المصريون.

١٤/ ٢٦ ـ ٢٧: فقال الرب لموسى: مُدَّ يدك على البحر ليرجع الماء على المصريين. فمدَّ موسى يده على البحر، فرجع البحر عند إقبال الصبح إلى حاله الدائمة.

١٤/ ٣٠: فخلَّص الرب في ذلك اليوم إسرائيل من يد المصريين.

الثالث: لا بدَّ أن يكون موضع نزولهم يتسع لكثرتهم ومواشيهم.

جاء في سفر الخروج ١٥/ ٢٢ ـ ٢٥: ثم ارتحل موسى بإسرائيل من بحر سُوفَ وخرجوا إلى برية شُورٍ. فساروا ثلاثة أيام في البرية ولم يجدوا ماء، فجاؤوا إلى مارَّة، ولم يقدروا أن يشربوا ماءها، لأنه مُر. فتذمر الشعب على موسى، فصرخ إلى الرب، فأراه شجرة، فطرحها في الماء، فصار الماء عذباً.

١٥/ ٢٧: ثم جاؤوا إلى إيليم، وهناك اثنتا عشرة عين ماء وسبعون نخلة، فنزلوا هناك عند الماء.

١٦/ ١: ثم ارتحلوا من إيليم إلى برية سين التي بين إيليم وسيناء.

والمكان الذي حوالي طور سيناء، واثنتا عشرة عين وسبعون نخلة في إيليم، لا يتسع ولا يكفي لمثل هذه الكثرة التي يذكرون. =

○ [إفحام مجادل]:

وقد رام بعض من صككتُ وجهه من علمائهم بهذه الفضيحة أن يلوذ بهذا الشَّغَب[1]. فقلت: دَعْ عنك هذا التمويه، فقد سَدَّتْ عليك توراتك كل المذاهب، لأن فيها - بعلمك - حيث ذكر خروجهم من مصر، وحيث ذكر دخولهم إلى الشام، وحيث ذكر قسمة الأرض عليهم في سفر يشوع، ذكر أفخاذ قبائلهم وتسمية أسباطهم اسماً اسماً، فلم يزد على من سمَّينا ولا واحداً. فلو كان ما تقول لكانتْ قد كَذَبَتْ في هذا الموضع إذَا ذَكَرَتْ - بزعمك هذا - قسمة الأرض ورتبة الجيوش وأعداد الأسباط بخلاف ما تزعم، فلا بدَّ فيها من الكذب المتيقن كيفما تصرفت الحال. فسكت خاسئاً[2].

= الرابع: جاء في سفر التثنية ٧/٢٢: ولكن الربَّ إلهك يطرد هؤلاء الشعوب من أمامك قليلاً قليلاً، لا تستطيع أن تفنيهم سريعاً، لئلا تكثر عليك وحوش البرية.

وقد ثبت أن طول فلسطين كان يقدر بـ(٢٠٠) ميل، وعرضها بـ(٩٠) ميلاً. فلو كان عدد بني إسرائيل كما ذكر السفر، وكانوا متسلِّطين على فلسطين مرة واحدة بعد إهلاك أهلها لما كثرت عليهم دواب البر، لأن الأقل من هذا العدد يكفي لعمارة المملكة التي تكون بهذا القدر. [إظهار الحق ١/١١٢ - ١١٤].

[١] يشير إلى ما سبق من الاستدراك وسدِّ الذريعة حيث قال: «ولا يمكنهم أن يقولوا إن الطبقات من الولادات كانت كثيرة جداً لوجهين». ثم قال: «ولا يمكنهم ألبتة أن يقولوا إنه كان لإسرائيل غير من سمينا من الأولاد الاثني عشر».

[٢] ذكر في سفر التكوين ٤٦/٨ - ٢٧ أسماء بني إسرائيل الذين جاؤوا إلى مصر مع يعقوب عليه السلام وعددهم. وسبق قريباً ذكر هذا النص.

وذكر أيضاً في السفر نفسه ٤٩/١ - ٢٨ أسماء الأسباط ثم قال: جميع هؤلاء أسباط إسرائيل الاثنا عشر. وهذا ما كلمهم به أبوهم وباركهم.

وذكر في سفر الخروج ١/١ - ٧ أسماء بني إسرائيل الذين جاؤوا إلى مصر مع يعقوب، جاء كل إنسان وبنيه.

ثم قال: «وكانت جميع نفوس الخارجين من صلب يعقوب سبعين نفساً، ولكن يوسف كان في مصر».

وذكر في السفر نفسه ٦/١٠ - ٢٥ رؤساء بيوت بني إسرائيل مع أولادهم.

وذكر في سفر العدد ١/١ - ٤٣ إحصاء جميع بني إسرائيل مع عشائرهم من ابن عشرين سنة فصاعداً، كل خارج للحرب. ثم قال في ١/٤٤ - ٤٧: هؤلاء هم المعدودون الذين عدهم موسى وهارون ورؤساء بني إسرائيل، اثنا عشر رجلاً... وسبق ذكر هاتين الفقرتين.

وذكر في السفر نفسه ٢/١ - ٣٤ منزل كل سبط قُبالة خيمة الاجتماع مع إحصاء لجند كل سبط. =

○ [دفع جدال متوقع]:

فإن قيل: ألم يقل يعقوب، إذ عَرَض عليه يوسف ابنُه أفرايم وَمَنَسَّى، فقال له يعقوب: أفرايم وَمَنَسَّى يكونان لي، وينسبان إليَّ، ومن ولد لك بعدهما يُنسبان إليك؟[1].

قلنا: لا يخلو يوسف عليه السلام من أن لا يكون له ولد غيرهما ممن أعقب خاصة، كما نقول نحن، وتشهد به نصوص توراتكم وجميع كتبكم، أو يكون ليوسف ولد أعقب غير أفرايم ومَنَسَّى، فلو كان ذلك، فكتبكم كلها كاذبة، أولها عن آخرها من التوراة فما وراءها، لأنه في كل مكان ذكر فيه رتبة معسكر الأسباط سبطاً سبطاً، وعددَهم إذ خرجوا من مصر، وعددهم إذ دخلوا الشام، وعددهم إذ أهدوا الكباش والعجول وحقاق الذهب، وعددهم إذ وقفوا على الجبلين للبركة واللعنة، وعددهم إذ نُقشت أسماؤهم في الفصوص المرتبة على صدر هارون، في أزيد من ألف موضع في سائر كتبهم، لم يذكر ليوسف إلا سبطين فقط، سبط مَنَسَّى وسبط أفرايم. فبطل الاعتراض بذلك الكلام المذكور، وبالله التوفيق.

○ [ندرة من كثرت أولادهم]:

وقد علم كلُّ من يميز من الرجال والنساء أن الكثرة الخارجة من الأولاد لم

= وعدَّد في السفر نفسه ٢٦/١ ـ ٥١ كل جماعة بني إسرائيل من ابن عشرين فصاعداً كل خارج للحرب بعد الوباء ثم قال: «هؤلاء المعدودون من بني إسرائيل ستمئة ألف وألف وسبعمئة وثلاثون». [٦٠١٧٣٠].

٦٠٣٣٥٠ - ٦٠١٧٣٠ = ١٦٢٠ عدد الذكور الصالحين للحرب الذين ماتوا بعد الوباء.

والغريب في الأمر أن النقص تفاوت بين الأسباط، غير أن عدد بني لاوي ازداد.

العدد ٩/٢٥: وكان الذين ماتوا بالوباء أربعة وعشرين ألفاً.

وذكر في سفر يشوع في الفصول (١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١) قسمة الأرض والمدن بين الأسباط. فليس في موضع منها زيادة عما ذكر من الأسماء، وإلا كانت معارضة أخرى.

[1] جاء في سفر التكوين ٤٨/٥ ـ ٦: والآن، ابناك المولودان لك في أرض مصر، قبلما أتيتُ إليك إلى مصر، هما لي، أفرايم ومَنَسَّى كرأوبين وشِمعون، يكونان لي، وأما أولادك الذين تلد بعدهما، فيكونون لك، على اسم أخويهم يُسَمَّوْن في نصيبهم.

ولم يذكر أنه ولد ليوسف غيرهما ألبتة كما سيذكر رحمه الله.

توجد في العالم لصعوبة الأمر في تربية أطفال الناس، ولكون الإسقاط في الحوامل، ولإبطاء حمل المرأة بين بطن وبطن، ولكثرة الموت في الأطفال. فهذه أربع عوارض قواطع دون الكثرة الخارجة في الأولاد للناس، ثم كون الإناث في الولادات أيضاً.

ولو طلبنا أن نعدّ من عاش له عشرون ولداً فصاعداً من الذكور وبلغوا الحلم، لما وجدناهم إلا في النُّدْرة، ثم في القليل من الملوك وذوي اليسار المفرط الذين تنطلق أيديهم على الكثير من النساء والإماء، ثم على الخدَّام اللواتي هنَّ العون على التربية والكفاية، وعلى كثرة المال الذي لا يكون المعاش إلَّا به. وأما من لا يجد إلا الكفاف وفوقه، مما لا يبلغ الإكثار من الوفر، ولا يقدر إلا على المرأة والمرأتين ونحو ذلك، فلا يوجد هذا فيهم ألبتة بوجه من الوجوه، ولا يمكن ذلك أصلاً لهم، لما ذكرنا آنفاً من القواطع الموانع.

وقد شاهدنا الناس، وبلغتنا أخبار أهل البلاد البعيدة، وكثر بحثنا عما غاب عنا منا، ووصلت إلينا التواريخ الكثيرة المجموعة في أخبار من سَلَف من عرب وعجم في كثير من الأمم، فما وجدنا في كل ذلك المعهود من عدد أولاد الذكور في المكثرين الذين يُتحدث بهم عند كثرة الولد إلا من أربعة عشر ذكراً فأقل، فأما ما زاد إلى العشرين فنادر جداً، هذه الحال في جميع بلاد أهل الإسلام، والذي بلغنا عن ممالك النصارى إلى أرض الروم وممالك الصقالبة والترك والهند والسودان قديماً وحديثاً، وأما الثلاثون فأكثر، فما بلغنا ذلك إلا عن نفر يسير عمن سلف.

منهم أنس بن مالك الأنصاري ﷺ وخليفة بن أبي السعدي وأبو بكرة، فإن هؤلاء لم يموتوا حتى مشى بين يدي كل واحد منهم مئة ذكر من ولده، وعمر بن عبد الملك فإنه كان يركب معه ستون رجلاً من ولده، وجعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس، فإنه عاش له أربعون ذكراً من ولده سوى أبنائهم، وعبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية، فإنه ولد له خمسة وأربعون ذكراً، عاش منهم نَيف وثلاثون، وموسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ فإنه بلغ له منهم مبلغ الرجال واحد وثلاثون ابناً ذكوراً كلهم، وكان أبوه أميراً على اليمن، مرة قائماً، ومرة والياً للمأمون، ووصيف مولى المعتصم التركي كان خمسة وخمسون

ذكراً بالغين من ولده الأدنَيْن، وتامرت مولى ابن مناد صاحب طرابلس، فإنه كان يركب معه ثمانون ذكراً من أولاده الأدْنَين، إلا أن هذا كان يغتصب كل امرأة أعجبته من أَمَةٍ أو حرة ويولدها، ورجل من ملوك البربر من بني دمر معتزلي، كان يركب معه مئتا فارس من ولده وولد ولده، وتميم بن زيد بن يزيد بن يَعْلَى بن محمد العرني، فإنه بلغنا أنه كان له نيف وخمسون ذكراً بالغين، وكان ملك بني نفر ممن ملك بلاداً عظيمة، وأبو النهار بن زيري بن منكاد، فكان يركب معه ثلاثون ذكراً من ولده الأدْنَيْن، ومرزوق بن الثغري بجهة لاردة، فكان يركب معه ثلاثون فارساً من ولده الأدْنَيْن، وبلغنا عن ملك من ملوك الهند أنه كان له ثمانون ولداً ذكراً بالغون.

وتذكر اليهود في تواريخهم أن رئيساً كان يدبر أمرهم كلهم، يسمى جدعون بن يوآش من بني مَنَسَّى بن يوسف عليه السلام كان له سبعون ولداً ذكوراً، وأن آخر من مُدَبِّريهم أيضاً من سبط مَنَسَّى، يسمى بابين بن جلعاد، كان له اثنان وثلاثون ولداً ذكوراً، وآخر من مدبِّريهم، اسمه عبدون بن هلال من بني أفرايم بن يوسف، كان له أربعون ابناً ذكراً بالغون، وآخر من مدبِّريهم من سبط يهوذا، اسمه أفصان من سكان بيت لحم، كان له ثلاثون زوجة، وثلاثون ابناً ذكوراً، وثلاثون بنتاً. وتزعم الفرس أن جودرز الملك على كرمان، كان له تسعون ابناً ذكوراً بالغون.

فإذا كانت هذه الصفة لم نجدها منذ نحو ثلاثة آلاف عام إلا في أقل من عشرين إنساناً في مشارق الأرض ومغاربها، في الأمم السالفة والخالفة ممن عَلَت حاله، وامتد عمره، وكثرت أمواله وعياله، فكيف يتأتَّى من هذا العدد ما لم يُسمع بمثله قط في الدهر، لا في نادر ولا في شاذ لبني إسرائيل بمصر؟! وحالهم فيها معروفة مشهورة، لا يقدر أحد على إنكارها، وهي أنهم كانوا في حياة يوسف عليه السلام في كفاف من العيش أصحاب غنم فقط، ولم يكونوا في يَسار فائض، ثم كانوا بعد موت يوسف عليه السلام وإخوته في فاقة عظيمة وعذاب ونَصَب وسُخْرة متصلة، وذلٍّ راتب وبلاء دائب وتعب زاهق، يكاد يقطع عن الشبع، فكيف عن الاتساع في العيال، والأشر في الاستكثار من الولد؟ فهذه **كذبة عظيمة مطبقة فاضحة**[1].

---

(١) الأشر: البطر، وبابه طرب، فهو أَشِر وأَشْران، أي مرح نشيط. [مختار الصحاح والقاموس]. =

وثانية، وهي أنَّ في توراتهم أنهم كانوا ساكنين في أرض قوص فقط، وأن معاشهم كان من المواشي فقط[1].

وذكر في توراتهم أنَّهم إذ خرجوا من مصر خرجوا بجميع مواشيهم[2]. فاعجبوا أيها السامعون وتفكروا، ما الذي يكفي ستمئة ألف وثلاثة آلاف ـ لم يُعَدَّ فيهم ابن أقل من عشرين سنة سوى النساء ـ للقوت والكسوة من المواشي؟ ثم اعلموا يقيناً أن أرض مصر كلها تضيق عن مسرح هذا المقدار من المواشي، فكيف أرض قوص وحدها؟

وهم يقولون في توراتهم: إن إبراهيم ولوطاً عليهما السلام لم تحمل كثرةَ مواشيهم أرض واحدة، ولا أمكنهما أن يسكنا معاً. فكيف بمواشٍ تقوم بأزيد من ألف ألف وخمسمئة إنسان؟ لقد كان الذي عمل لهم هذه الكتب الملعونة المكذوبة ضعيف العقل قليل الفكرة فيما يطلق به قلمه. فهذه كذبة فاحشة ثانية عظيمة جداً[3].

= جاء في سفر الخروج ١/٨ ـ ١٦: ثم قام ملك جديد على مصر، لم يكن يعرف يوسف، فقال لشعبه: هَلُمَّ نحتال لبني إسرائيل لئلا ينموا، فيكونون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا. فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذلّوهم بأثقالهم... فاستعبد المصريون بني إسرائيل بعنف، ومرّروا حياتهم بعبودية قاسية في الطين واللبن وفي كل عمل الحقل.

(١) جاء في سفر التكوين ٤٦/٣١ ـ ٣٤: ثم قال يوسف لإخوته ولبيت أبيه: أُخبرُ فرعون وأقول له: إخوتي وبيت أبي الذين في أرض كنعان جاؤوا إلي، والرجال رعاة غنم، فإنهم كانوا أهل مواشٍ، وقد جاؤوا بغنمهم وبقرهم وكل ما لَهم. فيكون إذا دعاكم فرعون وقال: ما صناعتكم؟ أن تقولوا: عبيدك أهل مواش منذ صبانا إلى الآن، نحن وآباؤنا جميعاً، لكي تسكنوا أرض جاسان، لأن كل راعي غنم رجس للمصريين.

٤٧/ ٥ ـ ٦: فقال فرعون ليوسف: أرض مصر قدامك، في أفضل الأرض أسكن أباك وإخوتك في أرض جاسان، وإن علمت أنه يوجد بينهم ذوو قدرة، فاجعلهم رؤساء مواشٍ على التي لي.

٤٧/ ١١: فأسكن يوسف أباه وإخوته، وأعطاهم ملكاً في أرض مصر، في أفضل الأرض، في أرض رَعَمْسيس كما أمر فرعون.

(٢) جاء في سفر الخروج ١٢/ ٢٤ ـ ٤٠: فحمل الشعب عجينهم قبل أن يختمر، ومعاجنُهم مصرورة في ثيابهم على أكتافهم. وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى، طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً، وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم، فسلبوا المصريين. فارتحل بنو إسرائيل من رَعَمْسيس إلى سُكّوتَ نحو ستمئة ألف ماش من الرجال عدا الأولاد، وصعد معهم لفيف كثير أيضاً من غنم وبقر ومواش وافرة جداً، وخبزوا العجين الذي أخرجوه من مصر خبز مَلَّةٍ فطيراً، إذ كان لم يختمر.

(٣) جاء في سفر التكوين ١٣/ ٥ ـ ١٣: ولوط السائر مع أبرام كان له غنم أيضاً وبقر =

وثالثة؛ أنه ذكر في توراتهم أنهم كانوا كلُّهم يُسَخَّرون في عمل الطوب. وتالله إن ستمئة ألف طوَّاب لكثير جداً، لا سيما في قوص وحدها[1].

وليس يمكنهم أن يقولوا: إنهم كانوا متفرقين، فإن توراتهم تقول غير هذا، وتخبر أنهم كانوا مجتمعين. ذكر ذلك في مواضع جمة:

منها حيث أمرهم بذبح الخرفان ومس العِتب بالدم[2].

ومنها حيث أباح لهم فرعون الخروج مع موسى عليه السلام، فكانوا كلهم مجتمعين بمواشيهم يوم خروجهم[3].

وهذه كذبة عظيمة ثالثة، لا خفاء بها.

وتالله ما سمعنا قط بأخبث طينة، ولا أفسد جبلة ممن كتب لهم هذا الضلال إلا من اتبعه وصدَّق بضلاله.

= وخيام، ولم تحتملهما الأرض أن يسكنا معاً، إذ كانت أملاكهما كثيرة، فلم يقدرا أن يسكنا معاً، فحدثت مخاصمة بين رعاة مواشي أبرام ورعاة مواشي لوط. وكان الكنعانيون والفَرِزّيون حينئذ ساكنين في الأرض. فقال أبرام للوط: لا تكن مخاصمة بيني وبينك، وبين رعاتي ورعاتك، لأننا نحن أخوان، أليست كل الأرض أمامك؟ اعتزل عني، إن ذهبت شمالاً فأنا يميناً، وإن يميناً فأنا شمالاً. فرفع لوط عينيه ورأى كل دائرة الأردن، أن جميعها سقي، فاختار لوط لنفسه كل دائرة الأردن، وارتحل لوط شرقاً، فاعتزل الواحد عن الآخر، أبرام سكن في أرض كنعان، ولوط سكن في مدن الدائرة، ونقل خيامه إلى سدوم.

(١) جاء في سفر الخروج ١/١٣ ـ ١٤: فاستعبد المصريون بني إسرائيل بعنف، ومرّروا حياتهم بعبودية قاسية في الطين واللَّبِن، وفي كل عمل في الحقل.

٥/٦ ـ ٨: فأمر فرعون في ذلك اليوم مُسَخِّري الشعب ومدبِّريه قائلاً: لا تعطوا الشعب تبناً لصنع اللبن كأمس وأول من أمس، ليذهبوا هم وليجمعوا لأنفسهم، ومقدار اللبن الذي كانوا يصنعونه أمس وأول أمس، تجعلون عليهم، لا تَنْقُصوا منه، فإنهم متكاسلون.

(٢) جاء في سفر الخروج ١٢/٢١ ـ ٢٣: فدعا موسى جميع شيوخ إسرائيل وقال لهم: اسحبوا وخذوا لكم غنماً بحسب عشائركم، واذبحوا الفصح، وخذوا باقة زُوفا، واغمسوها في الدم الذي في الطَّسْت، ومُسُّوا العتبة العليا والقائمتين بالدم الذي في الطست، وأنتم لا يخرج أحد منكم من باب بيته حتى الصباح، فإنه الرب يجتاز ليضرب المصريين، فحين يرى الدم على العتبة العليا والقائمتين يعبر عن الباب، ولا يدع المُهلك يدخل بيوتكم ليضرب.

(٣) جاء في سفر الخروج ١٢/٣١ ـ ٣٢: فدعا ـ أي فرعون ـ موسى وهارون ليلاً وقال: قوموا اخرجوا من بين شعبي أنتما وبنو إسرائيل جميعاً، واذهبوا اعبدوا الرب كما تكلمتم. خذوا غنمكم أيضاً وبقركم كما تكلمتم، واذهبوا وباركوني أيضاً.

فهذه بضع كذبات في نَسَق، لو لم يكن في توراتهم منها إلا واحدة لكان برهاناً قاطعاً موجباً لليقين بأنها كتاب موضوع بلا شك، مبدَّل محرَّف مغيَّر مكذوب. فكيف بجميع ما أوردنا من ذلك ونورد إن شاء الله؟ ونعوذ بالله من الخذلان.

ويتلو هذا كذبة أخرى بشيعة شنيعة، وهي أنهم لا يختلفون في أن داود عليه السلام هو ابن أبشاي بن عونيذ بن بوعز بن شلومون بن نَحْشُون بن عَمِّيناداب بن أرام بن حصرون.

ولا يختلفون في أن عونيذ المذكور جد داود أبا أبيه كانت أمه روث العمونية التي لها عندهم كتاب مفرد من كتب النبوة[1].

ولا يختلفون في أن من خروجهم من مصر إلى ولاية داود عليه السلام كانت ستمئة سنة وستاً وستين.

وفي نص التوراة عندهم، وبلا خلاف منهم أن مقدَّم بني يهوذا إذ خرجوا من مصر كان نحشون ابن عميناداب المذكور، وأنه أخو امرأة هارون عليه السلام[2].

---

[1] جاء في سفر راعوث ٤/١٣ ـ ١٧: فأخذ بوعَزُ راعوث امرأة ودخل عليها، فأعطاها الرب حبلاً، فولدت ابناً، فقالت النساء لنُعْمي: مبارك الرب الذي لم يعدمك ولياً... لأن كنتك التي أحبتك قد ولدته، وهي خير لك من سبعة بنين... وسمته الجارات عوبيد، هو أبو يَسَّى أبي داود.

٤/١٨ ـ ٢٢: وهذه مواليد فارَص: فارَص ولَد حصرون، وحصرون ولَد رام، ورام ولد عَمّيناداب، وعميناداب ولد نَحْشون، ونحشون ولد سلمون، وسلمون ولد بوعز، وبوعز ولد عوبيد، وعوبيد ولد يسى، ويسى ولد داود.

وفي صموئيل الأول ١٦/١: فقال الرب لصموئيل: حتى متى تنوح على شاول وأنا قد رفضته... املأ قرنك دهناً، وتعالَ أرسلك إلى يَسَّى البَيْتَلَحْمي، لأني رأيت لي في بنيه مَلِكاً.

وفي أخبار الأيام الأول ٢/٥: ابنا فارَص: حصرون وحامول.

٢/٩ ـ ١٧: وبنو حصرون الذين ولدوا له: يَرْحَمْئيل ورام وكلوباي، ورام ولد عميناداب، وعميناداب ولد نحشون رئيس بني يهوذا، ونحشون ولد سلمو، وسلمو ولد بوعز، وبوعز ولد عوبيد، وعوبيد ولد يَسَّى، ويَسَّى ولد بكره أليآت... وداود السابع، وأختاهم صروية وأبيحايل. وبنو صروية: أبشاي ويوآب وعسائيل، ثلاثة.

[2] جاء في سفر العدد ١/٤: ويكون معكما لكل سبط، هو رأس لبيت آبائه.

١/٧: ليهوذا نحشون بن عميناداب.

٢/٣: والرئيس لبني يهوذا نحشون بن عميناداب.

وفي نص توراتهم أنهم قالوا: قال الله تعالىٰ: إنَّه لا يدخل الأرض المقدَّسة أحد خرج من مصر وله عشرون سنة فصاعداً، إلا يشوع بن نون الأفرايمي وكالب بن يَفُنَّة اليهوذاني[1].

فصحَّ ضرورة أن نحشون مات في التيه، وأن الداخل في أرض الشام هو ابنه شلومون. فاقسموا الآن ستمئة وستاً وستين على أربع ولادات فقط، وهي ولادة بوعز بن شلومون الداخل، ثم ولادة داود عليه السلام ثم أبشاي.

ثم لا تختلف كتبهم في أن داود عليه السلام وليَ وله ثلاث وثلاثون سنة عند تمام الستمئة سنة وست سنين[2]. فينبغي أن تسقط سنو داود إذ ولي من العدد

---

[1] جاء في سفر العدد ١٤/ ٢٢ ـ ٢٤: إن جميع الرجال الذين رأوا مجدي وآياتي التي عملتها في مصر، وفي البرية، وجربوني الآن عشر مرات، ولم يسمعوا لقولي، لن يروا الأرض التي حَلَفْتُ لآبائهم، وجميع الذين أهانوني لا يرونها، وأما عبدي كالب، فمن أجل أنه كانت معه روح أخرى، وقد اتبعني تماماً، أدخله إلى الأرض التي ذهب إليها، وزرعه يرثها.

١٤/ ٢٩ ـ ٣٤: في هذا القفر تسقط جثثكم، جميع المعدودين منكم حسب عددكم من ابن عشرين سنة فصاعداً، الذين تذمروا علي، لن تدخلوا الأرض التي رفعت يدي لأسكننكم فيها، ما عدا كالب بن يَفُنَّة ويشوع بن نون، وأما أطفالكم الذين قلتم: يكونون غنيمة، فإني سأدخلهم فيعرفون الأرض التي احتقرتموها، فجثثكم أنتم تسقط في هذا القفر، وبنوكم يكونون رعاة في القفر أربعين سنة، ويحملون فجوركم حتى تفنى جثثكم في القفر.

٢٦/ ٦٥: لأن الرب قال لهم: إنهم يموتون في البرية، فلم يبقَ منهم إنسان إلا كالب بن يفنة ويشوع بن نون.

٣٢/ ١٠ ـ ١٣: فحمي غضب الرب في ذلك اليوم، وأقسم قائلاً: لن يرى الناس الذين صعِدوا من مصر، من ابن عشرين سنة فصاعداً، الأرض التي أقسمت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب، لأنهم لم يتبعوني تماماً، ما عدا كالب بن يفنة القِنِّزي ويشوع بن نون، لأنهما اتبعا الرب تماماً. فحمي غضب الرب على إسرائيل، وأتاههم في البرية أربعين سنة، حتى فني كل الجيل الذي فعل الشر.

وفي سفر التثنية ١/ ٣٥ ـ ٣٨: لن يرى إنسان من هؤلاء الناس، من هذا الجيل الشرير الأرض الجيدة التي أقسمت أن أعطيها لآبائكم، ما عدا كالب بن يفنة، هو يراها، وله أعطي الأرض التي وطئها ولبنيه، لأنه اتبع الرب تماماً، وأنت أيضاً لا تدخل إلى هناك، يشوع بن نون الواقف أمامك هو يدخل هناك، سَدِّدْه، لأنه هو يقسمها لإسرائيل.

[2] جاء في سفر صموئيل الثاني ٥/ ٤ ـ ٥: كان داود ابن ثلاثين سنة حين ملك، وملك أربعين سنة، في حَبْرون ملك على يهوذا سبع سنين وستة أشهر، وفي أورشليم ملك ثلاثاً وثلاثين سنة على جميع إسرائيل ويهوذا.

المذكور، يكون الباقي خمسمئة سنة وثلاثاً وسبعين سنة لثلاث ولادات، وهي ولادة أبشاي، وولادة عوبيد، وولادة بوعز. فتأملوا ابن كم كان عمر الواحد منهم إذ ولد له ابنه المذكور، تعلموا أنه كذب مستحيل في نسبة ذلك من أعمارهم يومئذ؛ لأن في كتبهم نصاً أنه لم يعش أحد بعد موسى ﷺ في بني إسرائيل مئة وثلاثين سنة إلا يهوياراع الكوهن الهاروني وحده.

وبالضرورة يجب أن يكون كل واحد ممن ذكرنا كان له أزيد من مئة ونيف وأربعين إذ ولد له ابنه المذكور[1].

وهذه أقوال يكذِّب بعضها بعضاً، فصحَّ ضرورة لا محيد عنها أنها كلَّها مبدَّلة مستعملة محرَّفة مكذوبة ملعونة، وثبت أن ديانتهم المأخوذة من هذه الكتب ديانة فاسدة مكذوبة من عمل الفُسَّاق ضرورة، كالشيء المدرك بالعيان واللمس. ونحمد الله على السلامة.

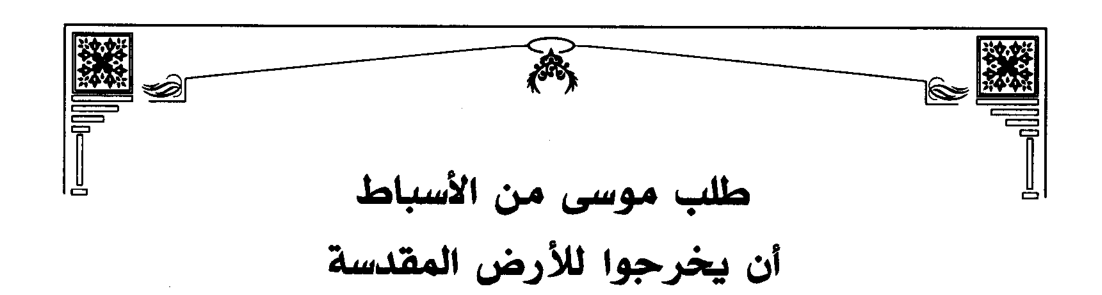
***

= وفي أخبار الأيام الأول ٢٩/٢٦ ـ ٢٧: وداود بن يَسَّى ملك على كل إسرائيل، والزمان الذي ملك فيه على إسرائيل أربعون سنة، ملك سبع سنين في حبرون، وملك ثلاثاً وثلاثين سنة في أورشليم.

تنبيه: ذكر ابن حزم رحمه الله أن داود ﷺ ولي وله ثلاث وثلاثون سنة، وفي سفر صموئيل الثاني أنه كان ابن ثلاثين سنة حين ملك. كما أن مدَّة ملكه في صموئيل الثاني على يهوذا سبع سنين وستة أشهر، وفي أخبار الأيام الأول سبع سنين فقط في حبرون.

(١) يظهر من ناتج الطرح الذي ذكره ابن حزم رحمه الله أن المدة من خروج بني إسرائيل من مصر إلى ولاية داود ﷺ كانت ٦٠٦ سنوات، وليست ٦٦٦ كما ذكر، ٦٠٦ - ٣٣ سنة عمر داود = ٥٧٣ سنة لثلاث ولادات كما ذكر رحمه الله.

٥٧٣ ÷ ٣ = ١٩١ سنة عمر الواحد منهم، مع أنه جاء أيضاً في سفر التكوين ٦/٢: فقال الرب: لا يدين روحي في الإنسان إلى الأبد، لزيغانه وهو بشر، وتكون أيامه مئة وعشرين سنة.



طلب موسى من الأسباط أن يخرجوا للأرض المقدسة

وجَّه موسى ﷺ الاثني عشر رجلاً الذين كان من جملتهم هوشع بن نون الأفرايمي وكالب بن يُفنَّة اليهوذاني ليروا الأرض المقدَّسة، وذكر أنهم طافوها في أربعين يوماً، ثم رجعوا وخَوَّفوا بني إسرائيل، حاش كالب وهوشع، وأن الله تعالى سخط عليهم وأهلكهم، وأوحَى إلى موسى: أما جيفكم، فستكون ملقاة في المفاز، ويكون أولادكم سابحين في المفاز أربعين سنة على عدد الأربعين يوماً التي دوَّختم فيها البلد، أجعل لكم كل يوم سنة. فلما أتموها أمرهم الله بالحركة فتحركوا[1].

---

[1] جاء في سفر العدد ١٠/١١ ـ ١٢: وفي السنة الثانية، في الشهر الثاني، في العشرين من الشهر، ارتفعت السحابة عن مَسْكَن الشهادة، فارتحل بنو إسرائيل في رحلاتهم من برية سيناء، فحلَّت السحابة في برية فاران.

١٣/١ ـ ٣: ثم كلَّم الرب موسى قائلاً: أرسل رجالاً ليتجسسوا أرض كنعان التي أنا معطيها لبني إسرائيل، رجلاً واحداً لكل سبط من آبائه ترسلون. فأرسلهم موسى من برية فاران.

١٣/٢١: فصعدوا وتجسَّسوا الأرض من برية صِين إلى رَحُوبَ في مدخل حماة.

١٣/٢٥ ـ ٣٢: ثم رجعوا من تجسُّس الأرض بعد أربعين يوماً، فساروا حتى أتَوا إلى موسى وهارون وكل جماعة إسرائيل... وقالوا: قد ذهبنا إلى الأرض، وحقاً إنها تفيض لبناً وعسلاً، وهذا ثمرها، غير أن الشعب الساكن في الأرض معتز، والمدن حصينة جداً، وأيضاً قد رأينا بني عَناق هناك: العمالقة ساكنون في أرض الجنوب... والكنعانيون ساكنون عند البحر وعلى جانب الأردن، لكن كالب أنصت الشعب إلى موسى وقال: إننا نصعد ونمتلكها، لأننا قادرون عليها. وأما الرجال الذين صعِدوا معه فقالوا: لا نقدر أن نصعد إلى الشعب، لأنهم أشدُّ منا.

فأشاعوا مذمَّة الأرض التي تجسسوها في بني إسرائيل.

١٤/١ ـ ١٢: فرفعت كل الجماعة صوتها وصرخت، وبكى الشعب تلك الليلة، وتذمَّر على موسى وهارون وقال لهما: ليتنا متنا في مصر، أو في هذا القفر، ولماذا أتى بنا الربُّ إلى هذه الأرض؟ لنسقط بالسيف، تصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة؟ أليس خيراً لنا أن نرجع إلى مصر؟ =

ثم ماتت مريم أخت موسى عليه السلام، ثم مات هارون عليه السلام[1].

ثم حارب موسى عليه السلام عُوج وسيحون المِلكين، وأخذ بلادهما لبني رأوبين وبني جاد ونصف سبط مَنَسَّى[2].

= فقال بعضهم لبعض: نقيم رئيساً ونرجع إلى مصر. فسقط موسى وهارون على وجهيهما، ويشوع بن نون وكالب بن يُفُنَّة مزَّقا ثيابهما، وكلَّما بني إسرائيل. . . لا تتمردوا على الرب، ولا تخافوا، والرب معنا، لكن قال كلُّ الجماعة أن يرجما بالحجارة، ثم ظهر مجد الرب في خيمة الاجتماع لكل بني إسرائيل، وقال الرب لموسى: حتى متى يهينني هذا الشعب؟ وحتى متى لا يصدِّقونني بجميع الآيات التي عملتُ في وسطهم.

ولذلك عاقبهم سبحانه، بمنعهم من دخول الأرض المقدسة، وبالتيه كعدد الأيام التي تجسسوا فيها الأرض أربعين يوماً، للسنة يوم، يحملون ذنوبهم أربعين سنة كما في سفر العدد ١٤/٢٢ ـ ٢٤، و١٤/٢٩ ـ ٣٤ و٢٦/ ٦٥ و٣٢/ ١٠ ـ ١١، وفي سفر التثنية ١/ ٣٥ ـ ٣٨، وسبق ذكر هذه النصوص.

وفي سفر العدد ١٤/ ٣٦ ـ ٣٨: أما الرجال الذين أرسلهم موسى ليتجسَّسوا الأرض فماتوا بالوباء أمام الرب، وأما يشوع بن نون وكالب بن يفنة فعاشا.

[1] جاء في سفر العدد ٢٠/ ١: وأتى بنو إسرائيل إلى برية صِينَ في الشهر الأول، وأقام الشعب في قادَش، وماتت هناك مريم ودفنت.

٢٠/ ٢٢ ـ ٢٩: فارتحل بنو إسرائيل من قادش، وأتوا إلى جبل هور. وكلَّم الرب موسى وهارون في جبل هور قائلاً: يضم هارون إلى قومه، لأنه لا يدخل الأرض التي أعطيت لبني إسرائيل. . . خذ هارون وألعازار ابنه، واصعد بهما إلى جبل هور. . . فيضم هارون ويموت هناك. ففعل موسى كما أمر الرب، وصعدوا أمام أعين الجماعة. . . فمات هارون هناك على رأس الجبل.

٣٣/ ٣٨ ـ ٣٩: فصعد هارون الكاهن إلى جبل هور حسب قول الرب، ومات هناك في السنة الأربعين لخروج بني إسرائيل من مصر، في الشهر الخامس في الأول من الشهر، وكان هارون ابن مئة وثلاث وعشرين سنة حين مات.

وفي سفر التثنية ١٠/ ٦: وبنو إسرائيل ارتحلوا من أبّار بني يَعْقان إلى مُوسير، هناك مات هارون، وهناك دفن.

[2] جاء في سفر العدد ١:/ ٢١ ـ ٢٤: وأرسل إسرائيل رسلاً إلى سيحون ملك الأموريين قائلاً: دعني أمرُّ في أرضك، لا نميل إلى حقل، ولا نشرب ماء بئر حتى نتجاوز تخومك. فلم يسمع، بل جمع قومه وخرج للقاء إسرائيل وحاربه. فضربه إسرائيل بحد السيف، وملك أرضه من أرنون إلى يبهوق إلى أرض بني عمون.

٢١/ ٣١ ـ ٣٥: فأقام إسرائيل في أرض الأموريين، فأخذوا قراها وطردوا الأموريين، ثم تحولوا وصعِدوا في طريق باشان، فخرج عُوج ملك باشان للقائهم في إذْرَعي. فقال الرب لموسى: لا تخفْ منه، لأني دفعته إلى يدك مع جميع قومه وأرضه، فتفعل به كما فعلت بسيحون. =

ثم حارب المِدْيَنيين وقتل ملوكهم[1].

ثم إنه عليه السلام مات وله مئة سنة وعشرون سنة[2].

وفي صَدْر توراتهم أنه إذ خرج عن مصر كان له ثمانون سنة[3].

هذا كله نص توراتهم حرفاً حرفاً.

قال أبو محمد رحمه الله: هذا كذب فاحش، وقد قلنا: إن الذي عمل لهم التوراة التي بأيديهم كان قليل العلم بالحساب، ثقيل اليد فيه جداً، أو عيّاراً ماجناً مستخفاً لا دين له، سخر منهم بأمثال التيوس والحمير، لأنه إذا خرج وله ثمانون سنة. وبقي بعد خروجه سنة وشهراً، ثم تاهوا أربعين سنة، ثم قاتلوا ملوكاً عدة، وقتلوهم وأخذوا بلادهم وأموالهم، فقد اجتمع من ذلك ضرورة زيادة على المئة والعشرين سنة أكثر من سنة ولا بد، والأغلب أنهما سنتان زائدتان،

= فضربوه وبنيه وجميع قومه، حتى لم يبق له شارد، وملكوا أرضه.

٣٢/٣٣: فأعطى موسى لبني جاد وبني رأوبين ونصف سبط مَنَسَّى بن يوسف مملكة سيحون ملك الأموريين، ومملكة عوج ملك باشان، الأرض مع مدنها، بتخوم مدن الأرض حواليها.

(١) جاء في سفر العدد ٢٥/١٦: ثم كلَّم الرب موسى قائلاً: ضايقوا المديانيين واضربوهم، لأنهم ضايقوكم بمكايدهم التي كادوكم بها في أمر فَغور.

٣١/١ ـ ٤: وكلم الرب موسى قائلاً: انتقم لبني إسرائيل من المديانيين، ثم تُضم إلى قومك، فكلم موسى الشعب قائلاً: جردوا منكم رجالاً للجند، فيكونوا على مديان، ألفاً واحداً من كل سبط.

٣١/٧ ـ ٨: فتجندوا على مديان، وقتلوا كل ذكر، وملوك مديان قتلوهم فوق قتلاهم.

(٢) جاء في سفر التثنية ٣٢/٤٨ ـ ٥٠: وكلّم الرب موسى قائلاً: اصعد إلى جبل عباريم هذا، جبل نَبو الذي في أرض موآب، الذي قُبالة أريحا، وانظر إلى أرض كنعان التي أنا أعطيها لبني إسرائيل ملكاً، ومُتْ في الجبل الذي تصعد إليه، وانضم إلى قومك كما مات هارون أخوك في جبل هور.

٣٤/١: وصعد موسى من عَرَبات موآب إلى جبل نبو إلى رأس الفِسجة الذي قبالة أريحا، فأراه الرب جميع الأرض.

٣٤/٥ ـ ٧: فمات هناك عبد الرب موسى في أرض موآب حسب قول الرب، ودفنه في الجِواء في أرض موآب مقابل بيت فَغُور، ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم. وكان ابن مئة وعشرين سنة حين مات.

(٣) جاء في سفر الخروج ٧/٧: وكان موسى ابن ثمانين سنة، وهارون ابن ثلاث وثمانين سنة حين كلما فرعون.

فكذب ولا بدّ في سن موسى عليه السلام إذ مات، أو كذب الوعد الذي أخبر عنه الله تعالى بتيههم أربعين سنة. حاش لله تعالى أن يكذب أو أن يغلط في دقيقة أو أقل، وحاش لنبيه ﷺ من مثل ذلك، وصح أنها مولَّدة موضوعة[1].

---

[1] جاء في سفر الخروج ٧/٧: وكان موسى ابن ثمانين سنة، وهارون ابن ثلاث وثمانين سنة حين كلما فرعون.

• ولا شك أنه بقي في مصر يدعو فرعون ويريه الآيات وطلب منه السماح بإرسال بني إسرائيل معه عدة أشهر، كما في الفصول ٧ - ١١ من سفر الخروج.

• ثم ارتحلوا وقضوا في الطريق ثلاثة أشهر على الأقل.

جاء في سفر الخروج ١٣/١٧ - ١٨: وكان لما أطلق فرعون الشعب أن الله لم يهدهم في طريق أرض الفلسطينيين مع أنها قريبة، لئلا يندموا ويرجعوا إلى مصر إذا رأوا حرباً، فأدار الله الشعب في طريق برية سُوف.

١/١٩ - ٢: في الشهر الثالث بعد خروج بني إسرائيل من أرض مصر، في ذلك اليوم جاؤوا إلى برية سيناء، ونزلوا مقابل الجبل.

• وفي الشهر السابع أمروا بإقامة عيد المظال.

جاء في سفر اللّاويين ٢٣/٣٣: وكلَّم الرب موسى قائلاً: كلّم بني إسرائيل قائلاً في اليوم الخامس عشر من هذا الشهر السابع عيد المظال سبعة أيام.

• وفي أول الشهر الثاني في السنة الثانية تَمَّ إحصاء بني إسرائيل.

جاء في سفر العدد ١/١ - ٣: وكلَّم الرب موسى في برية سيناء في خيمة الاجتماع في أول الشهر الثاني في السنة الثانية لخروجهم من مصر قائلاً: احصوا كل جماعة بني إسرائيل بعشائرهم بعدد الأسماء كل ذكر من ابن عشرين فصاعداً، كلَّ خارج للحرب.

• ثم أرسل موسى عليه السلام اثني عشر رجلاً للتجسُّس على أرض كنعان، فمكثوا هناك أربعين يوماً ثم عادوا ونشروا الرعب في بني إسرائيل، فنكص بنو إسرائيل على أعقابهم.

جاء في سفر العدد ١٣/١ - ٣: ثم كلَّم الربُّ موسى قائلاً: أرسل رجالاً ليتجسسوا أرض كنعان التي أنا معطيها لبني إسرائيل، رجلاً واحداً لكل سبط ترسلون. فأرسلهم موسى من برية فاران.

١٣/٣٢: فأشاعوا مذمة الأرض التي تجسسوها في بني إسرائيل.

• فعاقبهم الله في التيه أربعين سنة، بعدد الأيام التي قضوا في التجسس.

جاء في سفر العدد ١٤/٢٩ - ٣٤: في هذا القفر تسقط جثثكم، جميع المعدودين منكم، من ابن عشرين سنة فصاعداً الذين تذمَّروا عليَّ، لن تدخلوا الأرض... وأما أطفالكم، فإني سأدخلهم... فجثثكم تسقط في هذا القفر، وبنوكم يكونون رعاة في القفر أربعين سنة، ويحملون فجوركم حتى تفنى جثثكم، كعدد الأيام التي تجسستم فيها الأرض أربعين يوماً، للسنة يوم، تحملون ذنوبكم أربعين سنة، فتعرفون ابتعادي.

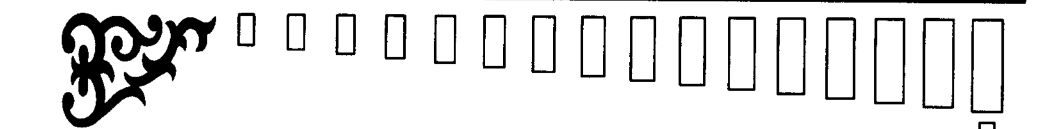
وفي سفر التثنية ٨/٢: وتتذكر كل الطريق التي سار بك الرب إلٰهك هذه الأربعين سنة في القفر، لكي يُذلك ويجربك.

=

. . . .

= • ثم حاربوا عدَّة ملوك، ومنهم ملك الأموريين، وسيحون ملك حشبون، وعوج ملك باشان وغيرهم، ونزلت عليهم الأحكام كما في سفر التثنية.

وصفوة القول: قضى موسى وهارون ما لا يقل عن ثلاثة أشهر في دعوة فرعون + ثلاثة أشهر قضاها بنو إسرائيل في الطريق = ستة أشهر قضيت بعد وقوف موسى أمام فرعون وفي منتصف الشهر السابع أمروا بعيد المظال. وفي الشهر الثاني في السنة الثانية تَمَّ الإحصاء، ثم أرسل سرية التجسس فمكثت أربعين يوماً، فصار لدينا سنة وثلاثة أشهر على الأقل، فإذا أضفنا إليه مدة التيه أربعين سنة، صار لدينا إحدى وأربعون سنة وثلاثة أشهر. وعليه يكون عمر موسى عليه السلام على أقل تقدير كما يلي: ٨٠ سنة عندما وقف أمام فرعون + ٤١,٣، إحدى وأربعين سنة وثلاثة أشهر قضاها بعد الوقوف = ١٢١,٣، مئة وإحدى وعشرين سنة وثلاثة أشهر. فإذا أضفنا إليها المدة التي حارب فيها الملوك يكون عمره أكثر من ذلك. فكيف يزعمون أن عمره (١٢٠) سنة حين مات؟! وكيف يعتقدون بقدسية هذه الأسفار؟!



القسم الثالث

وصفها لله تعالى بصفات يتنزَّه عنها من تشبيه وتجسيم وتعدُّد

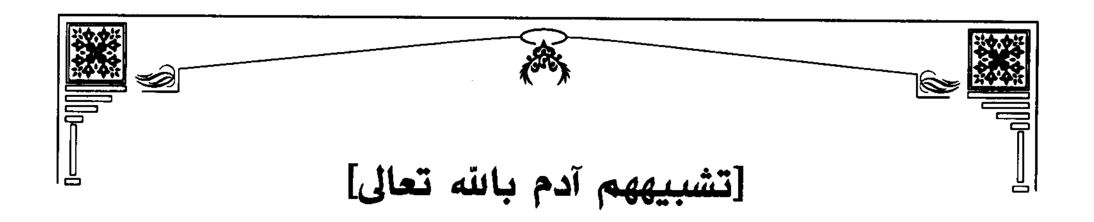





الفصل الأول

ورود نصوص تُشبِّه الخالق بالمخلوق
وتفيد تعدّد الآلهة،
وتنافي ما ثبت عقلاً
من وحدانيته سبحانه



[تشبيههم آدم بالله تعالى]

في صدر توراتهم أن الله تعالى قال: «أصنع بناء آدم كصورتنا كشبهنا»(1).

---

(1) جاء في سفر التكوين ١/٢٦ ـ ٢٧: «وقال الله: نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا... فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه، ذكراً وأنثى خلقهم».

وعند الكاثوليك: «وقال الله: لنصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا... فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه، ذكراً وأنثى خلقهم».

وجاء أيضاً في سفر التكوين ٩/٦: «سافك دم الإنسان بالإنسان يسفك دمه؛ لأن الله على صورته عمل الإنسان».

وعند الكاثوليك: «إن يكن سافك دم الإنسان إنساناً، فدمه يسفك، لأنه بصورة الله صُنع الإنسان».

جاء في الحواشي على المجلد الأول من الكتاب المقدس ص٢: «قال الآباء القدّيسون في تفسير قوله (لنصنع): إن سبب هذا الجمع امتياز الأقانيم في الله تعالى».

فهذا التحريف في توراة اليهود أدّى بالنصارى إلى استغلاله من أجل بدعتهم في تثليث الأقانيم، وتصوُّرهم أن الله سبحانه واحد في ثلاثة، وثلاثة في واحد.

وثَمَّة نصوص كثيرة في العهد القديم تنص صراحة على الوحدانية ونفي المماثلة ومنع التشبيه، منها ما يلي:

جاء في سفر التثنية ٣٣/٢٦: ليس مثلَ الله يا يَشُورون.

وفي صموئيل الثاني ٧/٢٢: لذلك قد عظمتَ أيها الرب الإلٰه؛ لأنه ليس مثلُك، وليس إلٰه غيرك.

وفي أخبار الأيام الأول ١٧/٢٠: يا ربّ، ليس مثلُك، ولا إله غيرك.

وفي سفر أيوب ٩/٣٢: لأنه ـ أي الربّ ـ ليس هو إنساناً مثلي فأجاوبه.

وفي المزامير ٧١/١٩: يا الله، من مثلك؟!

وفي إشعياء ٤٠/١٨: فيمن تشبّهون الله، وأيُّ شبه تعادلون به؟

إشعياء ٤٠/٢٥: فيمن تشبهونني فأساويه، يقول القدُّوس.

٤٦/٥: بمن تشبهونني وتسوُّونني وتمثلونني لنتشابه؟

ولعل هٰذه النصوص من بقايا الوحي، فقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

أي ليس له سبحانه مثيلٌ ولا نظيرٌ لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فهو الواحد الأحد الفرد الصمد. والكاف هنا لتأكيد النفي. والمراد تنزيه الله سبحانه عن مشابهة المخلوقين مطلقاً.

قال أبو محمد رَحِمَهُ اللهُ: ولو لم يقل إلا كصورتنا، لكان له وجه حسن ومعنى صحيح، وهو أن نضيف الصورة إلى الله تعالى إضافة الملك والخلق، كما تقول: هذا عمل الله، وتقول للقرد والقبيح والحسن؛ هذه صورة الله، أي تصوير الله، والصفة التي انفرد بملكها وخلقها، لكن قوله (كشبهنا) منع التأويلات وسدَّ المخارج، وقطع السبل، وأوجب شبه آدم لله ﷻ، ولا بدَّ ضرورة. وهذا يعلم بطلانه ببديهة العقل؛ إذ الشبه والمثل معناهما واحد، وحاش لله أن يكون له مثيل أو شبيه[1].

---

[1] قال بعض المحقِّقين: التوحيد إثباتُ ذاتٍ غيرِ مُشْبِهَةٍ للذوات، ولا معطَّلة من الصفات، فليس كذاته ذات، ولا كاسمه اسم، ولا كفعله فعل.

تنبيه: ورد في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «خلق الله آدم على صورته». [أخرجه الشيخان وأحمد والطبراني وغيرهم].

واختلف العلماء فيمن يعود الضمير إليه في قوله «على صورته»:

أ ـ ذهب الجمهور إلى أنه يعود إلى أقرب مذكور، وهو آدم، أي خلقه على الصورة التي كان عليها من مبدأ خلقه، واستمر عليها إلى موته، لم تضمه رحم، ولم ينتقل في النشأة كما ينتقل ولُدُه من حالة إلى حالة، بل خلق من أول الأمر على هذه الصورة، ولم تتغيَّر هيئته، بخلاف أولاده.

ويؤيد ذلك ما جاء في رواية أحمد: «ولم ينتقل أطواراً كذريته».

ب ـ وقيل: يعود الضمير إلى الله تعالى، والمراد الصفة، أي على صفته من العلم والسمع والبصر وغير ذلك، وإن كانت صفات الله لا يشبهها شيء، لأنها الكمال المطلق. [وانظر فتح الباري ٥/٢٢٦ و١١/٥ ـ ٦، التمهيد والتعليق عليه ٧/١٤٧ و١٥٠، فيض القدير ٣/ ٤٤٥ ـ ٤٤٦ و٤٥٠].

فائدة: عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «خُلقت الملائكة من نور، وخُلق الجان من مارج من نار، وخُلق آدم مما وصف لكم». [أخرجه مسلم وأحمد].

أي من نار مختلطة بهواء مشتعل، والمرج: الاختلاط. وقوله: «مما وصف لكم» أي كما وصفه الله لكم في كتابه، فقد ورد أنَّه خَلَقه من ماء، وورد من تراب، وفي بعضها من المركب منهما، وهو الطين، وفي بعضها من صلصال، وهو طين ضربته الشمس صار كالفخار. [الفيض ٣/ ٤٥٠].



ادّعاء التوراة أن آدم إلٰه من الآلهة

ثم قال: وقال الله: هذا آدم قد صار كواحد منا معرفة في الخير والشر، والآن كيلا يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة، ويأكل ويحيا إلى الدهر. فطرده الله من جنات عدن[1].

قال أبو محمد رَحِمَهُ اللهُ: حكايتهم عن الله تعالى أنه قال: «هذا آدم قد صار كواحد منا» مصيبة من مصائب الدهر، وموجب ضرورة أنهم آلهة أكثر من واحد، ولقد أدَّى هذا القول الخبيث المفترَى كثيراً من خواص اليهود إلى الاعتقاد أن الذي خلق آدم لم يكن إلا خَلْقاً خلقه الله تعالى قبل آدم، وأكل من الشجرة التي أكل منها آدم، فعرف الخير والشر، ثم أكل من شجرة الحياة، فصار إلٰهاً من جملة الآلهة. نعوذ بالله من هذا الكفر الأحمق، ونحمده إذ هدانا للملَّة الزاهرة الواضحة التي تشهد سلامتها من كل دَخَل[2] بأنها من عند الله تعالىٰ.

وبعد ذلك قال: وأسكن في شرقي جنة عدن الكروبيم، ولهيب سيف متقلب بحراسة شجرة الحياة.

---

[1] جاء في سفر التكوين ٣/٢٣ ـ ٢٤: وقال الرب الإلٰه: هوذا الإنسان ـ وعند الكاثوليك: آدم ـ قد صار كواحد منا، عارفاً الخير والشر، والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً، ويأكل ويحيا إلى الأبد، فأخرجه الرب الإلٰه من جنة عَدْن ليعمل ـ وعند الكاثوليك: ليحرث ـ الأرض التي أُخذ منها. فطرد الإنسان ـ وعند الكاثوليك: آدم ـ وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم ـ وعند الكاثوليك: الكروبين ـ ولهيب ـ وعند الكاثوليك: وبريق ـ سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة.

وفي التوراة السامرية: وقال الله القديم: إن آدم صار كالأصل منه، معرفة الخير والشر، والآن كيلا يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة، ويأكل ويحيا إلى الأبد.

فهذا النص، ولا سيما قوله: «إن آدم صار كواحد منا» يفيد وجود آلهة متعدّدة، وينافي الوحدانية التي يصرِّحون بها.

[2] الدخَل: ما داخل الجسم والعقل من الفساد. ويطلق على الداء والخديعة والعيب في النسب، وعلى القوم الذين ينتسبون إلى من ليسوا منهم. [القاموس].

ويريد رَحِمَهُ اللهُ أن سلامة هذه الملَّة من دخول أمور غريبة فيها، تشهد بأنها من عند الله.

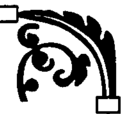
ورأيت في نسخة أخرى منها: ووكّل بالجنان المشتهر إسرافيل، ونصب بين يديه رمحاً نارياً ليحفظ طريق شجرة الحياة.

قال أبو محمد رَحِمَهُ اللَّهُ: إن لم يكن أحدهما خطأ من المترجم، وإلا فلا أدري كيف هذا[1].

---

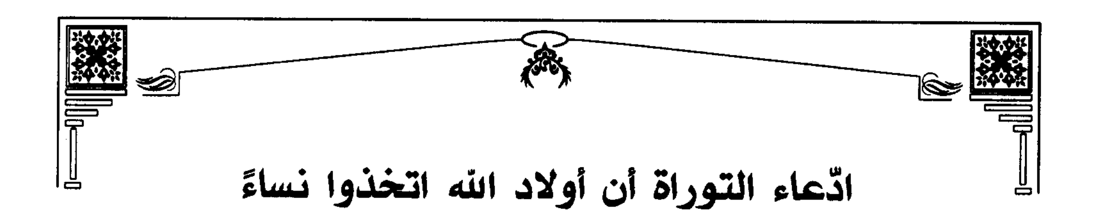
[1] هذا يدل على أنه كان لدى ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ أكثر من نسخة مترجمة. وسبق ذكر النص في التوراة التي بحوزتي. ولا شك أن الترجمة والنقل غير الدقيق يعتريهما التحريف والتبديل المتعمَّد وغير المتعمّد من زمن لآخر، ولا سيما مع فقدان الأصل والسند كما سلف في القسم الأول.

وقد ظهر الفرق الآن في هذا النص بين النسخة العبرانية والسامرية.


نسبة البنوَّة والمصاهرة للّه تعالى



ادّعاء التوراة أن أولاد الله اتخذوا نساءً

وبعد ذلك قال: «فلما ابتدأ الناس يكثرون على ظهر الأرض، وولد لهم البنات، فلما رأى أولاد الله بنات آدم أنهن حسان، اتخذوا منهن نساء».

وقال بعد ذلك: «كان يدخل بنو الله إلى بنات آدم، ويولد لهم جميعاً، وهم الجبابرة الذين على الدهر لهم أسماء»[1].

وهذا حمق ناهيك به، وكذب عظيم، إذ جعل لله أولاداً ينكحون بنات آدم، وهذه مصاهرةٌ تعالى الله عنها، حتى إن بعض أسلافهم قال: إنما عنى بذلك الملائكة، وهذه كذبة، إلا أنها دون الكذبة الأولى في ظاهر اللفظ[2].

---

[1] جاء في سفر التكوين٦/١ ـ ٤: وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض، وولدت لهم بنات، أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حَسَنات، فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا.

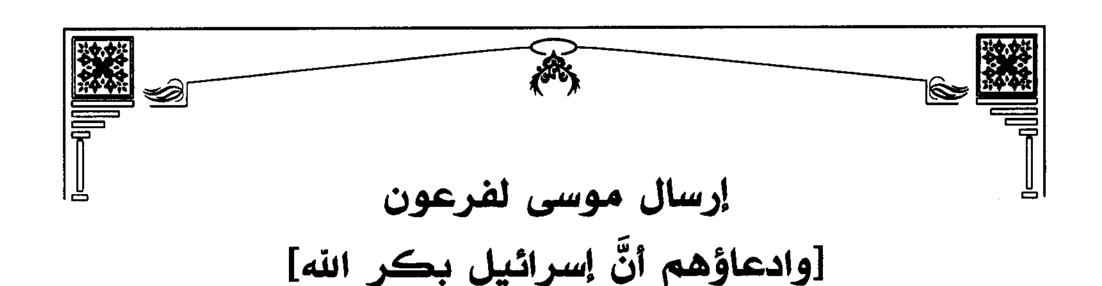
... وبعد ذلك أيضاً، إذ دخل بنو الله على بنات الناس، وولدنَ لهم أولاداً. هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذوو اسم. وعند الكاثوليك: أولئك هم الجبابرة المذكورون منذ الدهر.

وفي السامرية: وكان لما ابتدأ الناس للكثرة على وجه الأرض، وبناتٌ وُلِدْنَ لهم، نظر بنو السلاطين بنات الناس، إذ حسانٌ هُنَّ، فأخذوا لهم نسوة من كل ما اختاروا... وأيضاً بعد ذلك دخل بنو السلاطين إلى بنات الناس، فولدن لهم، هم الجبابرة الذين من العالم ذوي الاسم.

وإنك لتلاحظ أن جملة «ويولد لهم حراماً» سقطت من نصوص التوراة الحالية عند البروتستانت والكاثوليك، مما يدل على أن أهل الكتاب استدركوا هذه الاعتراضات فأسقطوا هذا الوصف فيما بعد.

[2] جاء في حواشي الكتاب المقدّس ص١: بنو الله هم على الرأي الأعم أولاد شيث، وإنما سموا بذلك؛ لأنهم كانوا متديِّنين معروفين بالعبادة، مزكَّيْن بتقوى الله ﷻ، وأما بنات الناس، فكن من ذرية قاين الفاجرة الفاسقة.

وهذا عجيب، فهلّا فسروا بنوة المسيح التي ادّعوها في نصوص العهد الجديد بذلك. ثم هل هم أبناء الله، أو أبناء السلاطين، أو أبناء شيث، أو أبناء الملائكة؟ هل البنات بنات الناس بصورة عامة، أو ذرية قاين الفاجرة؟



إرسال موسى لفرعون
[وادعاؤهم أنَّ إسرائيل بكر الله]

وقال في السفر الثاني من توراتهم: إن الله تعالى قال لموسى ﷺ: قل لفرعون: السيد يقول: إسرائيل بكر ولدي، ويقول لك: ائذن لولدي ليخدمني، وإن كرهتَ الإذن سأهلك بكر ولدك[1].

قال أبو محمد ﷺ: هذا عجب ناهيك به، ليت شعري ماذا ينكرون على النصارى بعد هذا؟ وهل طَرَّق للنصارى سبيل الكفر في أن يجعلوا لله ولداً، ونَهَّج لهم طريق التثليث إلا هذه الكتب الملعونة المبدلة؟! إلا أن النصارى لم يدَّعوا بنوة لله تعالى إلا لواحد أتى بمعجزات عظيمة، وأما هذه الكتب السخيفة، وكلٌّ من تديَّن بها، فإنهم ينسبون بنوةً لله إلى جميع بني إسرائيل، وهم أوسخ الأمم وأرذلهم جملة، وكفرهم أوحش، وجهلهم أفحش[2].

---

[1] جاء في سفر الخروج ٤/ ٢١ ـ ٢٣: وقال الرب لموسى: عندما تذهب لترجع إلى مصر، انظر جميع العجائب ـ وعند الكاثوليك: المعجزات ـ التي جعلتها في يدك، اصنعها قُدَّام فرعون، ولكني أشدِّد قلبه حتى لا يطلق الشعب، فتقول لفرعون: هكذا يقول الرب: إسرائيل ابني البكر، أطلق ابني ليعبدني، فإن أبيتَ أن تطلقه، هأناذا أقتل ابنك البكر.

وهل قتل الرب ابن فرعون البكر، أو خُدع بحيلة صَفورة؟ فقد جاء في السفر نفسه ٤/ ٢٤ ـ ٢٦: وحدث في الطريق إلى المنزل أن الرب التقاه وطلب أن يقتله، فأخذت صَفورة صوانة، وقطعت غُرلة ابنها، ومست رجليه، فقالت: إنك عروس دَمٍ لي. فانفك عنه حينئذ من أجل الختان.

ولم يكتف كاتب السفر بنسبة البنوة إلى الله، بل جعل موسى إلٰهاً لفرعون، وجعل هارون نبياً لموسى، فقد جاء في ٧/ ١: فقال الرب لموسى: انظر، أنا جعلتك إلٰهاً لفرعون. وهارون أخوك يكون نبيك.

وفي التوراة السامرية: جعلتك سلطاناً على فرعون، وهارون أخوك يكون نائباً عنك.

وفي السفر نفسه ٤/ ١٦: وهو ـ أي هارون ـ يكلِّم الشعب عنك، وهو يكون لك فماً، وأنت تكون له إلٰهاً.

[2] **تنبيه**: ورد التعبير بالبنوة في أسفار الكتاب المقدَّس كثيراً، ووصف به أشخاص =

. . . .

= متعددون منهم إسرائيل وداود وسليمان ﷺ وغيرهم، وإنما يراد به وصفهم بالصلاح ومحبة الله لهم. ومن ذلك ما يلي:

جاء في أخبار الأيام الأول ٢٢/١٠ أن الربَّ قال لداود عن سليمان: هو يبني بيتاً لاسمي، وهو يكون لي ابناً وأنا له أباً، وأثبّت كرسي ملكه على إسرائيل إلى الأبد.

وفي المزمور الثاني /٧: إني أخبر من جهة قضاء الرب، قال لي: أنت ابني، أنا اليوم ولدتك.

وفي سفر إشعياء ٦٣/١٦: فإنك أنت أبونا وإن لم يعرفنا إبراهيم، وإن لم يَدْرِ بنا إسرائيل، أنت يا رب أبونا ولينا، منذ الأبد اسمك.

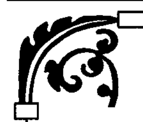
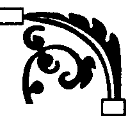
غير أن كثيراً من اليهود والنصارى بتأثير من بولس جعلوها بنوة حقيقية، وليست مجازية، بل جعلوا له زوجة أيضاً، جاء في سفر هُوشَع ٢/٢ ـ ٥: حاكموا أمكم حاكموا، لأنها ليست امرأتي، وأنا لست رَجُلَها، لكي تعزل زناها عن وجهها، وفسقَها من بني ثدييها، لئلا أجردها عريانة وأوقفها كيوم ولادتها، وأجعلها كقفر... ولا أرحم أولادها لأنهم أولاد زنى، لأن أمهم قد زنت، التي حبلت بهم صنعت خزياً.

٢/١٠: والآن اكشف عورتها أمام عيون محبيها، ولا ينقذها أحد من يدي.

٢/١٦: ويكون في ذلك اليوم يقول الرب: أنت تَدْعينني رجلي ولا تدعينني بعد بَعْلي.

وإذا كان هذا مجازاً، فما أقبح هذا المجاز، وهلّا نزَّهوا كتابهم عنه، فإن الكريم يأنف أن يتفوه بأقل منه.

قال تعالى في سورة الأنعام: ١٠٠ ـ ١٠١: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

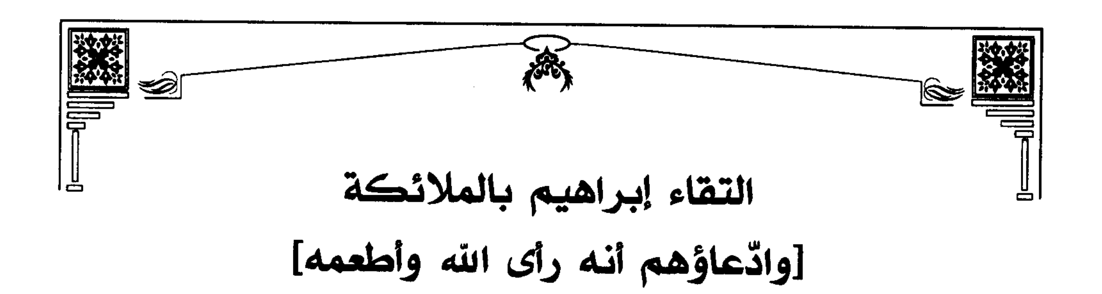





الفصل الثالث

تجسيم توراة اليهود للّه تعالى ووصفه بصفات البشر



التقاء إبراهيم بالملائكة
[وادّعاؤهم أنه رأى الله وأطعمه]

وبعد ذلك قال: وتجلّى الله لإبراهيم عِنْد بَلّوطات مَمْرا، وهو جالس عند باب الخباء، عند حَمِيِّ النهار، ورفع عينيه ونظر، فإذا بثلاثة نَفَر وقوف أمامه، فنظر وركض لاستقبالهم عند باب الخباء،، وسجد على الأرض وقال: يا سيدي، إن كنتُ قد وجدتُ نعمة في عينك فلا تتجاوز عبدك، ليُؤخذ قليل من ماء، واغسلوا أرجلكم واستندوا تحت الشجرة، وأقدِّم لكم كِسْرة من الخبز تشتد بها قلوبكم، وبعد ذلك تمضون، فمن أجل ذلك مررتم على عبدكم، فقالوا: اصنع كما قلت. فأسرع إبراهيم إلى الخباء إلى سارة وقال لها: اصنعي ثلاث صيعان من دقيق سميذ، اعجنيه واصنعي خبز ملَّة، وحضر إبراهيم إلى البقر، وأخذ عجلاً رَخْصاً سميناً، ودفعه للغلام، واستعجل بإصلاحه، وأخذ سمناً ولبناً والعجل الذي صنعوه، وقُدم بين أيديهم، وهو واقف تحت الشجرة، وقال: كلوا[1].

---

(١) **زعم أهل الكتاب أن إبراهيم عليه السلام رأى الله بعد أن تجلّى له:**

ففي سفر التكوين ١٧/ ١ ـ ٣: ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر له الرب وقال: أنا الله القدير، سِرْ أمامي وكُنْ كاملاً، فأجعل عهدي بيني وبينك، وأكثرك كثيراً جداً. فسقط أبرام على وجهه، وتكلَّم الله معه...

١٧/ ٢٢: فلما فرغ من الكلام معه، صعد الله عن إبراهيم.

وفي التوراة السامرية: «تجلّى ملاك الرب لأبرام وقال له:... وارتفع ملاك الله عن إبراهيم.

بل وزعموا أنه رآه ثانية وأطعمه وصحبه:

جاء في سفر التكوين ١٨/ ١ ـ ٥: في قصة إهلاك قوم لوط وتدمير قريتي سَدوم وعَمورة: «وظهر له الرب عند بَلُوطات مَمْرا ـ وفي السامرية: وتجلّى له الله في مروج مَمْرا ـ وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار، فرفع عينيه ونظر، وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه، فركض لاستقبالهم وسجد إلى الأرض وقال: يا سيّدُ ـ وعند الكاثوليك: يا سيدي ـ إن كنتُ وجدتُ نعمة في عينيك، فلا تتجاوز عبدك ـ وفي السامرية: يا مواليَّ، إنِ الآن وجدتُ حظاً عندكم، =

قال أبو محمد رَحِمَهُ اللهُ: في هذا الفصل آيات من البلاء شنيعة، نعوذ بالله من قليل الضلال وكثيره.

فأول ذلك إخباره أن الله تعالى تجلَّى لإبراهيم، وأنه رأى الثلاثة النفر، فأسرع إليهم وسجد، وخاطبهم بالعبودية، فإن كان الثلاثة هم الله، فهذا هو التثليث بعينه بلا كلفة، بل أشدُّ من التثليث، لأنه إخبار بشخوص ثلاثة، والنصارى يهربون من التشخيص، وقد رأيت في بعض كتب النصارى الاحتجاج بهذه القصة في إثبات التثليث، وهذا كما ترى في غاية الفضيحة، فإن كان أولئك الثلاثة ملائكة ـ وهكذا يقولون ـ فعليهم في ذلك أيضاً فضائح عظيمة وكذب فاحش من وجوه:

- أولها: من المحال والكذب أن يخبر بأن الله تعالى تجلَّى له، وإنما تجلَّى له ثلاثة من الملائكة.

- وثانيها: أنه يخاطب أولئك الملائكة بخطاب الواحد، وهذا مما يزيد في ضلال النصارى، في هذا الفصل، وهذا أيضاً محال في الخطاب.

- وثالثها: سجوده للملائكة، فإن من الباطل أن يسجد رسول الله وخليله عَلَيْهِ السَّلَامُ لغير الله تعالى ولمخلوق مثله، فهذه كذبة. وإن قالوا: بل لله سجد، فهذه كذبة ولا بدَّ، أو يكون الله عندهم هم الثلاثة المتجلُّون، لا بدَّ من إحداها. وعادت البلية أشد مما كانت.

= لا الآن تعبرون عن عبدكم ـ ليُؤخذ قليل ماء، واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة، فآخذ كِسرة خبز، فتُسندون قلوبكم ثم تجتازون، لأنكم مررتم على عبدكم. فقالوا: هكذا تفعل.

١٨/٦ ـ ٨: فأسرع إبراهيم إلى سارة وقال: أسرعي بثلاث كِيلاتٍ دقيقاً سميذاً، اعجني واصنعي خبز مَلَّة، ثم ركض إبراهيم إلى البقر، وأخذ عجلاً رَخْصاً وجيداً وأعطاه للغلام، فأسرع ليعمله، ثم أخذ زُبداً ولبناً والعجل الذي عمله، ووضعها قُدَّامهم. وإذ كان واقفاً لديهم تحت الشجرة أكلوا.

والقلق والاضطراب ظاهران بين العبارات وفيها: ففي ١٧/١ ـ ٣: ظهر له الرب وحده وكلَّمه، وفي ١٨/١ ـ ٥: ظهر له ومعه ملكان مرافقان، غير أن الخطاب كان للرب وحده بصيغة المفرد في التوراة العبرانية، وكان في السامرية بصيغة الجمع للجميع، ثم صار في العبرانية بصيغة الجمع للجميع بعد أن عرض ضيافته وأكلوا. ويأتي مزيد من هذا الاضطراب، فلا تنسه. واستمع الآن إلى ما يقوله ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ.

تنبيه: كثيراً ما يلتبس الأمر على كُتَّاب أسفار العهد القديم، فيخلطون بين مَلَاك الرب والرب نفسه، فتراهم يتحدثون عن الملاك ثم فجأة يصبح الملاك هو الرب.

• ورابعها: خطابه لهم بأنه عبدهم، فإن كان المخاطب بذلك هو الله تعالى، وهو المتجلِّي له، فقد عادت البلية، وإن كان المخاطبون بذلك الملائكة، فحاش لله أن يخاطب إبراهيمُ ﷺ بالعبودية غير الله تعالى ومخلوقاً مثله، مع أنه من المحال أن يخاطب ثلاثة بخطاب واحد[1].

• وخامسها: قوله: «يؤخذ قليل من ماء، ويغسل أرجلكم، وأقدم كِسْرة من الخبز تشتدُّ بها قلوبكم». فهذه الحالة، لئن كان خاطب بهذا الخطاب الله تعالى،فهي التي لا سوى ولا بقية بعدها، والتي تملأ الفم، وإن كان خاطب بها الملائكة فهذا أكذب، لأن إبراهيم ﷺ لا يجهل أن الملائكة لا تشتد قلوبهم بأكل كِسَر الخبز، فهذه على كل حال كذبة باردة سمجة.

• وسادسها: إخباره أنهم أكلوا الخبز والشوي والسمن واللبن. وحاشَ له أن يكون هذا خبراً عن الله تعالى، ولا عن الملائكة[2].

---

[1] استغل بولس وأتباعه اضطراب هذه النصوص فحملوها على تعدّد الأقانيم ـ أي الأصول ـ فقالوا: ثلاثة أقانيم في أقنوم واحد ـ أي ثلاثة في واحد، وواحد في ثلاثة ـ وكل أقنوم إلٰه تام. وزعموا بذلك أنهم موحِّدون.

جاء في الحواشي على الكتاب المقدس ص٢: «تجلّى الرب بصورة ثلاثة رجال، أي ثلاثة ملائكة، دلالة على تثليث الأقانيم في الجوهر الإلٰهي، وأما الملاك الواقف بين الملاكين الآخرين، فكان يشير إلى وحدانية الذات الموجودة في الثلاثة الأقانيم الإلٰهية، وهذا هو السبب الذي من أجله سجد إبراهيم للملائكة الثلاثة، كأنه يسجد للأب والابن والروح القدس. وخاطبهم بالإفراد، كأنه يخاطب الإلٰه الواحد. كذا فسّره بعضهم، والكنيسة موافقة لهذا التفسير، إذ تقول في طَقْسها: إن إبراهيم رأى ثلاثة، وخَرَّ سَاجداً لواحد».

وقد زاد مفسرو النصارى الأمر غموضاً واضطراباً: كيف يتجلّى الواحد بصورة ثلاثة رجال؟ وإذا كان كذلك، فَلِمَ فسروا الرجال بالملائكة؟ فهل هو إلٰه واحد، أو ثلاثة رجال، أو ثلاثة ملائكة؟! وَلِمَ خَصُّوا الملاك الواقف بين الملاكين الآخرين بأنه يشير إلى وحدانية الذات الموجودة في ثلاثة الأقانيم؟ أين الدلالة على ذلك؟ ثم يقولون: وهذا هو السبب الذي من أجله سجد إبراهيم للملائكة، كأنه يسجد للأب والابن والروح القدس.

فهل سجد للخالق، أو للملائكة الذين أتوا بصورة رجال؟! وهل خَلَا العرش آنذاك من وجود أي أقنوم عليه؟

لو كان النص منقولاً بالسند المتصل عن أحد الأنبياء، لقلنا: إنما سجد للملائكة الذين أتوه بصورة رجال سجود تحية لا سجود عبودية، كما فعل إخوة يوسف ﷺ معه، وكانت عادةً جائزة في شرعهم.

[2] ذكرت التوراة العبرانية ـ حسب زعمهم ـ أن الرب أكل مع ملاكيه ليسندوا قلوبهم، =

أين هذا الكذب البارد الفاضح الذي يُشْبه عقول اليهود المصدِّقين به، من الحق المنير الواضح، عليه ضياء اليقين من قول الله ﷻ في هذه القصة نفسها: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ...﴾ الآيات. هَيْهات نور الحق من ظُلُمات الكذب. والحمد لله رب العالمين كثيراً[1].

● وفيها أيضاً وجه سابع: ليس كهذه الوجوه في الشناعة، وهو إقرارهم بأن إبراهيم عليه السلام أطعم الملائكة اللحم واللبن والسمن معاً، والربانيون منهم يحرِّمون هذا اليوم، فأقل ما فيه النسخ، على أن يكون سلامته من أطَمِّ الدواهي، والسلامةُ ـ والله ـ منهم بعيدة.

❊ ❊ ❊

= وذكرت التوراة السامرية أن ثلاثة الملائكة أكلوا. وإذا ماشينا النصارى فثلاثة الأقانيم أكلوا. فهل الربُّ والملائكة أو الأقانيم بحاجة إلى الطعام والشراب ليسندوا قلوبهم؟ وإذا أكلوا، فهل صَرَّفوا بعد ذلك كما يفعل البشر الضعفاء؟

[1] فالذين جاؤوا ملائكة في صورة بشر، أرسلهم سبحانه إلى إبراهيم عليه السلام لتبشيره بإنجاب ولد ولإهلاك قوم لوط عليه السلام، كما سيأتي ـ فسلَّموا على إبراهيم ـ عليه السلام ـ قالوا: سلاماً. ورد التحية بأحسن منها قال: سلام. ولما كانوا في صورة بشر لم يعرف حقيقتهم، فصنع لهم طعاماً وقدَّمه إليهم على سبيل الضيافة، فلما رأى أيديهم لا تمتد إلى الطعام ـ لأن الملائكة لا تأكل ولا تشرب ـ أوجس منهم خيفة، فبينوا له حقيقة أمرهم، وأخبروه بالمهمة التي أرسلهم الله بها، ثم حَدَث ما سيأتي. والآيات من سورة هود: ٦٩ ـ ٧٠.



بشرى إبراهيم بإنجاب ولد

ثم قال متصلاً بهذا الفصل: وقالوا له: أين سارة زوجتك؟ فقال: ها هي ذه في الخباء. قال: سأرجع إليك مثل هذا الوقت من قابل، ويكون لها ابن، وسارة تسمع في الخباء، وهو وراءها. وكان إبراهيم وسارة شيخين قد طعنا في السن، وانتهى لسارة ألّا يكون لها عادة كالنساء، فضحكت سارة في نفسها قائلة: أبعد أن بليت يصير لي ذا، وسيدي شيخ؟! قال لإبراهيم: لماذا ضحكت سارة قائلة: هل لي أن ألد وأنا عجوز؟ وهل يَخْفَى عن الله أمري في هذا الوقت، إذ قال عز من قائل: يكون لسارة ابن، فجحدت سارة وقالت: لم أضحك، لأنها خافت. وقال السيد: ليس كما تقولين، بل قد ضحكت. فقام القوم من ثَمَّ[1].

---

[1] جاء في سفر التكوين ١٨/٩ ـ ١٥: وقالوا له: أين سارة امرأتك؟ فقال: ها هي في الخيمة. فقال: إني أرجع إليك نحو زمان الحياة ـ وعند الكاثوليك: في مثل هذا الوقت من قابل ـ ويكون لسارة امرأتك ابن. وكانت سارة سامعة في باب الخيمة، وهو وراءه. وكان إبراهيم وسارة شيخين متقدمين في الأيام، وقد انقطع لسارة عادة كالنساء، فضحكت سارة في باطنها قائلة: أبعد فنائي يكون لي تنعم وسيدي قد شاخ؟ فقال الرب لإبراهيم: لماذا ضحكت سارة قائلة: أفبالحقيقة ألد وأنا قد شخت؟ هل يستحيل على الرب شيء؟ في الميعاد أرجع إليك نحو زمان الحياة، ويكون لسارة ابن، فأنكرت سارة قائلة: لم أضحك، لأنها خافت. فقال: لا بل ضَحِكْت.

ومن الملاحظ أن النص بدأ بسؤال الملائكة «وقالوا له: أين سارة امرأتك». فلما أخبرهم أنها في الخيمة جاءت البشرى من واحد «فقال: إني أرجع إليك نحو زمان الحياة، ويكون لسارة امرأتك ابن» فلمَ كان السؤال في البدء صادراً من الجميع؟ (وقالوا). ولم جاءت البشرى من أحدهم (فقال) فهل الضمير يعود إلى الرب سبحانه؟ أو إلى أحد الملائكة؟ ولم كانت هذه المغايرة؟ وإذا تابعنا ما في السفر عن إهلاك قوم لوط وجدنا أعجب.

جاء في ١٨/١٦ ـ ١٧: ثم قام الرجال وتطلعوا نحو سَدوم، وكان إبراهيم ماشياً ليشيعهم، فقال الرب: هل أخفي عن إبراهيم ما أنا فاعله...

١٨/ ٢٠: وقال الرب: إن صُراخ سدوم وعمورة قد كثر، وخطيتهم قد عظمت جداً.

١٨/ ٢٢ ـ ٢٣: وانصرف الرجال من هناك، وذهبوا نحو سدوم، ولم يزل إبراهيم قائماً أمام الرب. فتقدَّم إبراهيم وقال: أفتهلك البار مع الأثيم؟ =

قال أبو محمد رَحِمَهُ اللَّهُ: عاد الخبر بين سارة وإبراهيم وبين الله عَزَّ وَجَلَّ، وعاد الحديث الماضي، ثم في هذا زيادة أن الله تعالى قال: إن سارة ضحكت، وقالت سارة: لم أضحك، فقال الله: بلى قد ضحكت. فهذه مراجعة الخصوم وتعارض الأكفاء، حاشَ لسارة الفاضلة المنبأة من الله عَزَّ وَجَلَّ بالبشارة من أن تكذبَ الله عَزَّ وَجَلَّ فيما يقول، وتكذب هي في ذلك فتجحد ما فعلت، فتجمع بين سوءتين، إحداهما كبيرة من الكبائر، قد نزَّه الله عَزَّ وَجَلَّ الصالحين عنها، فكيف الأنبياء؟ والأخرى أدهى وأمر، وهي التي لا يفعلها مؤمن، ولو أنه أفسق أهل الأرض، لأنها كفر، ونعوذ بالله من الضلال[1].

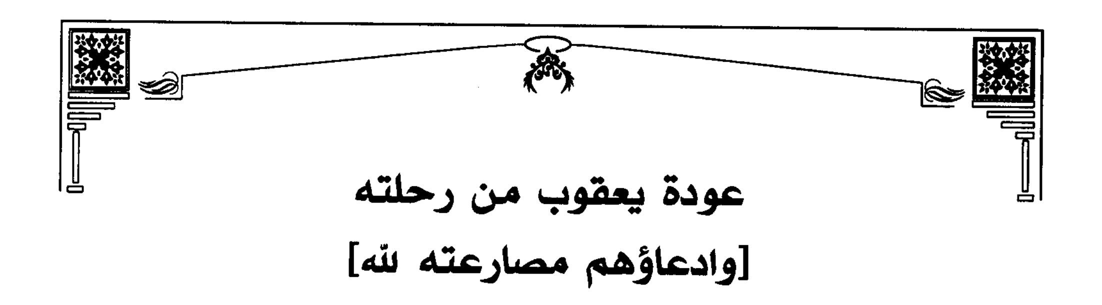
= ١٨/٣٣: وذهب الرب عندما فَرَغ من الكلام مع إبراهيم، ورجع إبراهيم إلى مكانه.

وفي التوراة السامرية: فسار ملاك الله عندما انتهى من مخاطبة إبراهيم، وإبراهيم عاد إلى موضعه.

١٩/١: فجاء الملاكان إلى سدوم مساءً، وكان لوط جالساً في باب سدوم.

وإنك لتلحظ الاضطراب والتناقض بين العبارات من أولها إلى آخرها، فبالإضافة لما سَلَف، ورد في ١٨/٩ ـ ١٤ أن الثلاثة سألوا عن سارة، وكان المبشر بالولد هو الربُّ وحده على حد زعمهم، وفي ١٨/١٦ ـ ١٧ قام الثلاثة وشيعهم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فأخبره الرب عن المهمة التي جاؤوا من أجلها، وفي ١٨/٢٢ ـ ٢٣: انصرف الرجال من هناك وذهبوا نحو سَدوم، ولم يزل إبراهيم قائماً أمام الرب. فكيف عبر عن الاثنين بصيغة الجمع فقال: انصرف الرجال وذهبوا نحو سدوم؟ فهل كان مع الرب رجلان أو ثلاثة؟ أو هل جاء آخر فأصبحوا أربعة؟ لكنه عاد في ١٩/١ فذكر أن مَلَكين جاءا إلى سَدوم. فهل بقي الرب مع إبراهيم، أو غادر وترك مهمة الإهلاك إلى الملكين؟!.

(١) وقد ذكر القرآن الكريم هذه القصة على حقيقتها، لا لَبْس فيها ولا غموض، قال تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧١ ـ ٧٣].



عودة يعقوب من رحلته

[وادعاؤهم مصارعته لله]

وبعد ذلك ذكر أن يعقوب رجع من عند خاله لابان بنسائه وأولاده. قال: ولما أصبح أجاز امرأتيه وجاريتيه وأحد عشر من ولده المخاضةَ، وبقي وحده، وصارعه رجل إلى الصبح، فلما عجز عنه ضرب حُق فخذه، فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه، وقال له: خَلِّني لأنه قد طلع الفجر. قال: لست أدعك حتى تبارك علي، فقال له: كيف اسمك؟ قال: يعقوب. قال له: لست تُدْعى من اليوم يعقوب، بل إسرائيل من أجل أنك كنت قوياً على الله، فكيف على الناس؟ فقال له يعقوب: عرِّفني باسمك؟ فقال له: لمَ تسألني عن اسمي؟ وبارك عليه في ذلك الموضع، فسمى يعقوب ذلك الموضع فَنُيل وقال: رأيت الله تعالى مواجهة وسلِمتْ نفسي. وبزغت الشمس بعد أن جاوز فنئيل وهو يعرج من رجله، ولهذا لا يأكل بنو إسرائيل العقب الذي على حق الفخذ إلى اليوم، لأنه ضرب حُقَّ فخذ يعقوب، لمسّ الله وانقباضه[1].

---

(١) جاء في سفر التكوين ٣١/ ٢٠ ـ ٢٣: وخدع يعقوب قلب لابان الأرامي، إذ لم يخبره بأنه هارب، فهرب هو وكل ما كان له، وقام وعبر النهر، وجعل وجهه نحو جبل جِلْعاد. فأُخبر لابان في اليوم الثالث بأن يعقوب قد هرب، فأخذ إخوته معه وسعى وراءه مسيرة سبعة أيام، فأدركه في جبل جلعاد.

٣١/ ٤٤ ـ ٤٩: وبعد أن جرى العتاب وتم الاتفاق قال لابان لابن أخته يعقوب: فالآن هَلُمَّ نقطع عهداً أنا وأنت، فيكون شاهداً بيني وبينك. فأخذ يعقوب حجراً وأوقفه عموداً، وقال يعقوب لإخوته: التقطوا حجارة. فأخذوا حجارة وعملوا رُجْمة، وأكلوا على الرجمة... وقال لابان: هذه الرجمة شاهدة بيني وبينك اليوم. لذلك دُعي اسمها جَلْعِيد.

٣١/ ٥٥: ثم بكر لابان صباحاً، وقبل بنيه وبناته، وباركهم ومضى، ورجع إلى مكانه.

٣٢/ ١ ـ ٢: وأما يعقوب فمضى في طريقه، ولاقته ملائكة الله، وقال إذ رآهم: هذا جيش الله.

٣٢/ ٢٢ ـ ٣٢: ثم قام في تلك الليلة، وأخذ امرأتيه وجاريتيه وأولاده الأحد عشر، وعبر مخاضة يَبّوقَ، أخذهم وأجازهم الوادي وأجاز ما كان له، وبقي يعقوب وحده، وصارعه =

قال أبو محمد رَحِمَهُ اللهُ: في هذا الفصل شُنْعة عَفَتْ على كل ما سلف[1]، يقشعر منها جلود أهل العقول، وباللهِ العظيم لولا أنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ قصَّ علينا كفرهم بقولهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾، وبقولهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾[2]، لما نطقت ألسنتنا بحكاية هذه العظائم، لكنا نحكيه منكرين له، كما نتلوه فيما قصه عَزَّ وَجَلَّ، تحذيراً من إفكهم.

= رجل حتى طلوع الفجر، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حُقَّ فخذه ـ وعند الكاثوليك: لمس حُقَّ وَرِكه ـ فانخلع حُقُّ فخذ يعقوب في مصارعته معه. وقال: أطلقني لأنه قد طلع الفجر. فقال: لا أطلقك إن لم تباركني. فقال له: ما اسمك؟ قال: يعقوب. فقال: لا يُدعَى اسمك فيما بَعْد يعقوب، بل إسرائيل، لأنك جاهدت مع الله والناس وقَدَرت، ـ وعند الكاثوليك: لأنك رؤست عند الله، فعلى الناس أيضاً تستظهر ـ وسأله يعقوب وقال: أخبرني باسمك؟ فقال: لماذا تسأل عن اسمي؟ وباركه هناك. فدعا يعقوب اسم ذلك المكان فَنُوئيل قائلاً: لأني نظرت الله وجهاً لوجه، ونَجَت نفسي. وأشرقت الشمس له إذ عبر فنوئيل وهو يجمع على فخذه ـ وعند الكاثوليك: وهو يظلع من وركه ـ لذلك لا يأكل بنو إسرائيل عِرْق النَّسا الذي على حق الفخذ إلى هذا اليوم، لأنه ضرب حق فخذ يعقوب على عرق النسا.

وفي التوراة السامرية: وتبقَّى يعقوب وحده، وصارعه رجل حتى ارتفع الدُّجَى ونظر أن ليس يقدر عليه، فدنا بحُق وركه، ووهنت حُقّ ورك يعقوب بمصارعته، فقال: أطلقني إذ ارتفع الدجى، فقال: لا أطلقك حتى تباركني، فقال: ما اسمك؟ فقال: يعقوب، فقال: لا يعقوب يقال أيضاً اسمك، بل إسرائيل، إذ رأسْتَ مع الملائكة ومع الناس وقدرت... ودعا يعقوب اسم ذلك الموضع (حضرة القادر)، إذ نظرتُ الملائكة وجهاً لوجه، وخلصت نفسي.

فالعبرانية تذكر أن المصارعة كانت مع الله ـ تعالى الله عن ذلك ـ وأن يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ انتزع منه البركة بالقوة، وإلا لما خلَّى سبيله، وأنه نظر إلى الله وجهاً لوجه. أما السامرية فتذكر أن المصارعة كانت مع الملائكة، وأنه رأى الملائكة، ولم ير الله.

وكلتا التوراتين لم تنصَّ على وجود حَكَم ينظِّم المصارعة، ولذلك وقع فيها حركات ممنوعة حتى في قانون المصارعة الحرة، واستغرقت وقتاً طويلاً، وعند طلوع الفجر انتزع منه البركة بالقوة، وهذا يعني أنه استسلم وانسحب من المصارعة.

وادَّعوا أنه رآه مرة أخرى، ففي سفر التكوين ٣٥/٩ ـ ١٥: وظهر الله ليعقوب أيضاً حين جاء من فَدَّان أرام، وباركه وقال له: لا يُدْعى اسمك فيما بعد يعقوب، بل يكون اسمك إسرائيل. فدعا اسمه إسرائيل وقال له: أنا الله القدير... ثم صعد عنه في المكان الذي فيه تكلم معه ـ وفي السامرية: وارتفع عنه ملاك الله من الموضع الذي خاطبه ـ ودعا يعقوب اسم ذلك المكان بيت إيل.

وهذا إقرار آخر بالهزيمة في المصارعة، واستبعاد لفكرة التحدِّي والأخذ بالثأر لرد الاعتبار. ولنستمع الآن إلى ما يقوله ابن حزم.

(١) أي غطَّت، والعفاء: التراب. والشناعة: الفظاعة. [القاموس ومختار الصحاح].

(٢) الآية الأولى من سورة المائدة: ٦٤، والثانية من آل عمران: ١٨١.

قال أبو محمد رَحِمَهُ اللهُ: ذكر في هذا المكان أن يعقوب صارع الله ﷻ، تعالى الله عن ذلك وعن كل شبهة لخلقه، فكيف عن لعب الصراع الذي لا يفعله إلا أهل البَطالة؟ وأما أهل العقول فلا يفعلونه لغير ضرورة، ثم لم يكتفوا بهذه الشَّوْهة[1] حتى قالوا: إن الله ﷻ عَجَز عن أن يصرع يعقوب بنص كلام توراتهم، وحقَّق ذلك قولهم عن الله تعالى أنه قال له: كنتَ قوياً على الله تعالى، فكيف على الناس.

○ **[إفحام مجادل]:**

ولقد أخبرني بعض أهل البصر بالعبرانية أنه لذلك سماه إسرائيل، وإيل بلغتهم هو اسم الله تعالى بلا شك ولا خلاف، فمعناه: إسر الله، تذكيراً بذلك الضبط الذي كان بعد المصارعة، إذ قال له: دَعْني، فقال له يعقوب: لا أدعك حتى تبارك علي.

ولقد ضربت بهذا الفصل وجوه المتعرِّضين منهم للجدال في كل محفل، فثبتوا على أن نص التوراة أن يعقوب صارع (ألوهيم)، وقالوا: إن لفظة ألوهيم يعبر بها عن المَلَك، فإنما صارع مَلَكاً من الملائكة. فقلت لهم: سياق الكلام يبطل ما تقولون ضرورة أن فيه: «كنت قوياً على الله، فكيف على الناس»، وفيه أن يعقوب قال: «رأيت الله مواجهة وسلَّمت نفسي»، ولا يمكن ألبتة أن يعجب من سلامة نفسه إذا رأى الملك، ولا يبلغ من مسِّ الملك ـ كما نص يعقوب ـ أن يحرم على بني إسرائيل أكل عروق الفخذ في الأبد من أجل ذلك، وفيه أنه سمَّى الموضع بذاك (فنئيل)، لأنه قابل فيه (إيل) وهو الله ﷻ بلا احتمال عندكم، ثم لو كان مَلَكاً كما تدَّعون عند المناظرة، لكان من الخطأ تصارع نبي ومَلَك لغير معنى، فهذه صفة المتَّحِدين في العُنْصر، لا صفة الملائكة والأنبياء[2].

---

[1] الشَّوهة ـ بفتح الشين ـ: القبيحة. يقال: شاهت الوجوه شوهاً وشوهة: أي قبحت، والرجل أشوه. وبابه قال. [القاموس ومختار الصحاح].

[2] **أسباب اختلاف اليهود في اسم الإله:**

جرى العرف بين اليهود على تفسير ذلك بأن طريقة لفظ اسم الجلالة المقدَّس غير معروفة، وذلك لتحريم نطقه على العامة من اليهود، ثم اندثرت بعد ذلك. ولعل الزمن الطويل الذي انقضى بين جمع التوراة وتأليفها بعد فقدها وبين تحريرها بشكلها النهائي هو أهم أسباب عدم معرفة اليهود لاسم إلٰههم، فإن الفترة الطويلة المتعاورة بين تعدد الآلهة والتوحيد، التي =

○ [استدراك]:

فإن قيل: قد رويتُم أن نبيكم صارع رُكانة بن يزيد. قلنا: نعم، لأن رُكانة كان من القوة بحيث لا يجد أحداً يقاومه في جزيرة العرب، ولم يكن رسول الله ﷺ موصوفاً بالقوة الزائدة، فدعاه إلى الإسلام. فقال له: إن صرعتني آمنت بك. ورأى أن هذا من المعجزات. فأمره ﷺ بالتأهب لذلك، ثم صرعه للوقت، وأسلم ركانة بعد مدة[1]. فبين الأمرين فرق كما بين العقل والحمق،

= دامت ما لا يقل عن أربعمئة سنة جعلت اسم الإلٰه يتعدَّد، فكلما أدلى أحد المحرِّرين بِدَلْوِه في وضع الشريعة، أتت محاولته مختلفة عن غيره في الأسلوب واللغة واسم الإلٰه كما هو واضح، ومن ثم تعددت الأسماء بحسب الطوائف والقبائل وامتداد الزمن.

• ومن أسماء الإلٰه عندهم (إيل)، ومعناه باللغات السامية ـ ومنها العبرية والسريانية ـ الله، وهي التسمية التي استخدمها الموحِّدون الحقيقيون.

• ومنها (إيلوهيم) أي الآلهة، وهذا هو الدارج عند اليهود اليوم، ولعل هذه التسمية أتت من المشركين الذين رأوا فيما بعد انصهار جميع الآلهة في إلٰه واحد.

وقيل: هو علم على الله باسمه المنتشر في الأسباط العشرة في الشمال، ويرجع إلى القرن الثامن قبل الميلاد.

• ومنها (أدوناي) أي سيدي باللغات السامية.

• ومنها (يَهْوَه) وهو اسم أحد آلهة العبرانيين القبلية، ثم أصبح علماً على ربِّهم، ويعتقدون أن هذا الإلٰه ربهم وحدهم دون الأمم، وهو يرجع إلى القرن التاسع قبل الميلاد، ورواته من الجنوب من مملكة يهوذا. [التوراة بين الوثنية والتوحيد لسهيل ديب ص١٥ ـ ١٦، التوراة تاريخها وغاياتها ترجمة سهيل ديب وتعليقه ص٩٤، الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه لحسن ظاظا ص٢٦ ـ ٢٧].

ويدل على هذا الاضطراب ما جاء في سفر الخروج ٣/ ١٣ ـ ١٥: فقال موسى لله: هأنا آتي إلى بني إسرائيل، وأقول لهم: إلٰه آبائكم أرسلني إليكم، فإذا قالوا لي: ما اسمه؟ فماذا أقول لهم؟ فقال الله لموسى: أَهْيَهِ الذي أهيهْ. وقال: هكذا تقول لبني إسرائيل: أهيه أرسلني إليكم ـ وعند الكاثوليك: فقال الله: أنا هو الكائن. وقال: كذا قل لبني إسرائيل: الكائن أرسلني إليكم ـ وقال الله أيضاً لموسى: هكذا تقول لبني إسرائيل: يَهْوَه إلٰه آبائكم... أرسلني إليكم. هذا هو اسمي إلى الأبد، وهذا ذكري إلى دَوْر فدَوْر.

٦/ ٢ ـ ٣: ثم كلَّم الله موسى وقال له: أنا الرب، وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب بأني الإلٰه القادر على كل شيء، وأما باسمي يَهْوه فلم أعرف عندهم.

وعند الكاثوليك: وأما اسمي يَهْوه فلم أعلنه لهم.

١٧/ ١٥: فبنى موسى مذبحاً، ودعا اسمه يهوه نِسّي.

وعند الكاثوليك: وسماه الرب رايتي.

(١) ركانة بن يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي القرشي، من مسلمة =

ولكل مقام مقال، ولكن إذا أكل الملائكة عندكم كِسَر الخبز حتى تشتد بها قلوبهم، والشواء واللبن والسمن والفطائر[1]، فما ينكر بعضهم للصراع مع الناس في الطرقات! وهذه مصائب شاهدة بضلالهم وخذلانهم وصحة اليقين بأن توراتهم مبدَّلة.

= الفتح، كان من أشد الناس قوة، سأل رسول الله ﷺ أن يصارعه قبل إسلامه ففعل، وصرعه النبي ﷺ مرتين أو ثلاثاً، توفي أول خلافة معاوية ﷺ سنة ٧٢هـ.

أخرج البخاري في التاريخ الكبير وأبو داود والترمذي والحاكم من طريق أبي الحسن العسقلاني عن أبي جعفر بن محمد بن علي بن ركانة عن أبيه، أن ركانة صارع النبي ﷺ فصرعه النبي ﷺ. . . الحديث. وضعفه الترمذي بقوله: «حديث غريب، وإسناده ليس بالقائم، ولا نعرف أبا الحسن العسقلاني ولا ابن ركانة». وقال ابن حبان: «في إسناده نظر». وللحديث شاهد مرسل صحيح أخرجه البيهقي من طريق موسى بن إسماعيل عن حماد بن سلمة عن عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير أن رسول الله ﷺ كان بالبطحاء، فأتى عليه يزيد بن ركانة ـ أو ركانة بن يزيد. شك الراوي ـ ومعه أعنز له، فقال: يا محمد، هل لك أن تصارعني؟ فقال: ما تسبقني ـ أي ما تعطيني ـ إن صرعتك؟ قال: شاة من غنمي. فصارعه فصرعه، فأخذ شاة. قال ركانة: هل لك في العود؟ قال: ما تسبقني؟ قال: أخرى. ذكر ذلك مراراً. فقال: يا محمد، والله ما وضع أحد جنبي إلى الأرض، وما أنت الذي تصرعني. فأسلم، وردَّ عليه رسول الله ﷺ غنمه. وقال البيهقي: «هو مرسل جيد، وقد روي بإسناد آخر موصولاً، إلا أنه ضعيف» يشير إلى الذي قبله. وقد رواه أبو الشيخ في كتاب السبق: ثنا إبراهيم بن علي المقري عن حماد عن عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﷺ فذكره. وهذا إسناد جيد متصل. والحديث بصورة عامة جيد، لا ينزل عن درجة الحسن. وانظر إرواء الغليل ٥/٣٢٩ ـ ٣٣١.

(١) يشير ﷺ إلى ما سبق من مقابلة إبراهيم ﷺ لثلاثة الملائكة الذين أتوه بصورة رجال، وزعم أهل الكتاب أنه قدَّم لهم الطعام والشراب، فأكلوا وشربوا.



[هل رأى شيوخ إسرائيل ربهم]

وبعد ذلك قال: إن الله ﷻ قال لبني إسرائيل: لقد رأيتموني كلُّكم من السماء، فلا تتخذوا معي آلهة الفضّة[1].

ثم قال بعد ذلك: ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون رجلاً من المشايخ، ونظروا إلى إلٰه إسرائيل، وتحت رجليه كَلَبنة من زمرد فيروزي، وكسماء صافية، ولم يمدَّ الرب يده إلى خيار بني إسرائيل الذين نظروا إلى الله، وأكلوا وشربوا[2].

وقال بمقربة من ذلك: وكان منظر عظمة السيد كنار آكلة في قرن الجبل يراه جماعة من بني إسرائيل[3].

---

[1] جاء في سفر الخروج ٢٠/ ٢٢ ـ ٢٣: فقال الرب لموسى: هكذا تقول لبني إسرائيل: أنتم رأيتم أنني من السماء تكلمت معكم. لا تصنعوا معي آلهة فضة، ولا تصنعوا لكم آلهة ذهب.

[2] وجاء في الخروج ٢٤/ ٩ ـ ١١: ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل، ورأوا إلٰه إسرائيل، وتحت رجليه شِبْهُ صنعةٍ من العقيق الأزرق الشفاف، وكذات السماء في النقاوة، ولكنه لم يمدَّ يده إلى أشراف بني إسرائيل، فرأوا الله وأكلوا وشربوا.

وفي التوراة السامرية: ونظروا إلى ولي إسرائيل، وتحت رجليه كصنعة حجر المها، وكجِرْم السماء من النقاء، وإلى جانب إسرائيل لم يمد يده، فلما شاهدوا ملاك الله أكلوا وشربوا.

وفي سفر العدد ١١/ ٢٤ ـ ٢٥: فخرج موسى وكلَّم الشعب بكلام الرب، وجمع سبعين رجلاً من شيوخ الشعب، وأوقفهم حوالي الخيمة، فنزل الرب في سحابة، وتكلم معه، وأخذ من الروح الذي عليه، وجعل على السبعين، فلما حلَّت عليهم الروح تنبؤوا، ولكنهم لم يزيدوا.

وفي العدد ١٤/ ١٤: ويقولون لسكان هذه الأرض الذين قد سمعوا أنك يا رب في وسط هذا الشعب الذي أنت يا رب قد ظهرت لهم عيناً بعين ـ وعند الكاثوليك: وجهاً لوجه ـ وسحابتك واقفة عليهم، وأنت سائر أمامهم بعمود سحاب نهاراً، وبعمود نار ليلاً.

[3] جاء في الخروج ٢٤/ ١٧: وكان منظر مجد الرب كنار آكلة على رأس الجبل أمام عيون بني إسرائيل.

=

○ [استدراك]:

قال أبو محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا تجسيم لا شك فيه، وتشبيه لا خفاء به، وليس هذا كقول الله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] ولا كقوله تعالىٰ: ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠].

ولا كقول رسول الله ﷺ: «ينزل الله تبارك وتعالى كل ليلة في ثلث الليل الباقي إلى سماء الدنيا» لأن هذا كله على ظاهره بلا تكلف تأويل، إنما هي أفعال يفعلها الله ﷻ تسمى مجيئاً وإتياناً وتنزلاً[1].

= وإنك لتلحظ الاضطراب بين النصوص مع فقدان الأصل الموثق: ففي الخروج ٢٠/٢٢: تكلم معهم، وفي الخروج ٢٤/١١: صرح بالرؤية، وفي العدد ١١/٢٤: تكلم معه، وفي العدد ١٤/١٤: صرح بالرؤية أيضاً، وفي الخروج ٢٤/١٧: رأوا مجد الرب، وفي السامرية: رأوا ملائكة الله. الأمر الذي يؤدي إلى فقدان الثقة بها جميعاً.

وجاء في سفر حَزْقيال ١/٢٥ ـ ٢٧: فكان صوت من فوق المُقَبَّب الذي على رؤوسها. وفوق المقبب شِبْهُ عرشٍ كمنظر حجر العقيق الأزرق، على شبْهِ العرش شِبْهٌ كمنظر إنسان عليه من فوق.

٨/١ ـ ٣: وأنا جالس في بيتي، ومشايخ يهوذا جالسون أمامي أن يد السيد الرب وقعت علي هناك، فنظرت وإذا شِبْهٌ كمنظر نار، من منظر حَقْويه إلى تحتُ نار، ومن حقويه إلى فوقُ كمنظر لمعان، كشبه النحاس اللامع، ومَدَّ شبهَ يدٍ، وأخذني بناصية رأسي...

[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له». [أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه ومالك، ورواه مسلم وأحمد عن أبي هريرة وأبي سعيد معاً بألفاظ متقاربة].

قال ابن عبد البر في التمهيد ١٢٨/٧: هذا حديث ثابت من جهة النقل صحيح الإسناد، لا يختلف أهل الحديث في صحته... وهو منقول من طرق متواترة ووجوه كثيرة من أخبار العدول عن النبي ﷺ.اهـ. واختلف العلماء في معنى هذا الحديث:

أ ـ ذهب بعضهم ـ ومنهم ابن العربي وابن دقيق العيد ـ إلى تأويله على وجه مستعمل في كلام العرب يليق بمعنى الحديث. قالوا: المراد نزول رحمة ومزيد لطف وإجابة دعوة وقبول معذرة، لا نزول حركة وانتقال لاستحالته عليه. فهو نزول معنوي. ويمكن حمله على الحسّ، فيكون راجعاً إلى أفعاله، لا إلى ذاته. [فتح الباري ٣٩/٣، فيض القدير ٣١٦/٢].

قال ابن عبد البر في التمهيد ١٤٣/٧ ـ ١٤٤: حدثنا مُطَرِّف عن مالك بن أنس أنه سئل عن الحديث: «إن الله ينزل في الليل إلى سماء الدنيا» فقال ـ أي مالك ـ: يتنزل أمره.

قال ابن عبد البر: وقد يحتمل أن يكون كما قال مالك على معنى أنه تتنزل رحمته وقضاؤه بالعفو والاستجابة، وذلك من أمره، أي أكثر ما يكون ذلك في ذلك الوقت، والله أعلم. =

ولا مثل قوله تعالىٰ: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وسائر القرآن من مثل هذا، فكله ليس بمعنى الجارحة، لكن على وجوه ظاهرة في اللغة، قد بيناها في غير هذا المكان، عمدتها أن كل ذلك خبر عن الله تعالى، لا يرجع بشيء من ذلك إلى سواه أصلاً[1].

= ب ـ وذهب جمهور السلف ـ ونقله البيهقي عن الأئمة الأربعة والأوزاعي والليث وغيرهم ـ إلى إجرائه على ما ورد مؤمناً به على طريق الإجمال وتفويض التفصيل في ذلك إلى الله تعالى، منزهاً إياه عن الكيفية والتشبيه.

قال ابن عبد البر في التمهيد ٧/١٤٣: جمهور أهل السنة يقولون: ينزل، كما قال رسول الله ﷺ، ويصدِّقون بهذا الحديث ولا يكيِّفون.

وقال أيضاً في ٧/١٤٨: الذي عليه أهل السنة وأئمة الفقه والأثر في هذه المسألة وما أشبهها الإيمان بما جاء عن النبي ﷺ فيها والتصديق بذلك وترك التحديد والكيفية في شيء منه.

وقال في ٧/١٤٩: روى أبو داود عن الوليد بن مسلم قال: سألت الأوزاعي وسفيان الثوري ومالك بن أنس والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التي جاءت في الصفات فقال: أمِرُّوها كما جاءت بلا كيف. اهـ.

قال البيهقي: وأسلمها الإيمان بلا كيف، والسكوت عن المراد، إلَّا أن يرد ذلك عن الصادق ﷺ فيصار إليه. [وانظر الفتح ٣/٣٩].

(١) أما الآيات التي ذكرها ابن حزم رحمه الله فالقول فيها كالقول الذي سَلَف في النزول: فقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾. أي وجاء ربك مجيئاً يليق بذاته وجلاله لفصل القضاء بين العباد، ليس كمجيء المخلوقات.

وقوله سبحانه: ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾. أي يأتيهم الله يوم القيامة لفصل القضاء بين الخلائق. فالإتيان معلوم، والكيف مجهول.

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾. أي إن الذين يبايعونك أيها النبي يوم الحديبية تحت الشجرة بيعة الرِّضوان، إنما يبايعون الله في الحقيقة. وهذا تشريف للنبي ﷺ حيث جعل مبايعته بمنزلة مبايعة الله. وقوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي إن الله حاضرٌ معهم يسمع أقوالهم، ويعلم ما في ضمائرهم، فهو سبحانه المبايع بوساطة رسوله ﷺ؛ فمن بايع الرسول فقد بايع الله.

وقوله سبحانه: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾. أي يبقى ذات الله الواحد الأحد ذي العظمة والإنعام، والكبرياء والإكرام.

قال ابن عبد البر في التمهيد ٧/١٤٥: أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيِّفون شيئاً من ذلك ولا يحدُّون فيه صفة محصورة. =

ثم كيف يجتمع ما ذكرنا عن توراتهم مع قوله في السفر الخامس: «كلمكم الله من وسط اللهيب، فسمعتم صوته، ولم تروا له شخصاً».

وهاتان قضيتان، تُكذِّب كل واحدة منهما الأخرى ولا بد[1].

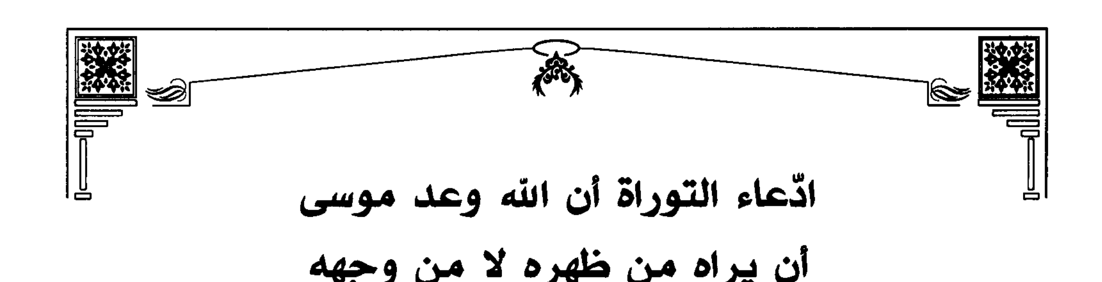
= فائدة في الحقيقة والمجاز:

جاء في التمهيد ٧/١٣١: من حق الكلام أن يحمل على حقيقته حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز، إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا إلا على ذلك، وإنما يوجه كلام الله ﷻ إلى الأشهر والأظهر من وجوهه، ما لم يمنع من ذلك ما يجب التسليم له، ولو ساغ ادّعاء المجاز لكل مُدّعٍ، ما ثبت شيء من العبارات، وجَلَّ الله عن أن يخاطب إلا بما تفهمه العرب في معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين.

وصفوة القول: الأصل في الكلام الحقيقة، ولا يصار إلى المجاز إلا إذا تعذَّرت الحقيقة، لأنّ المجاز خَلَف عن الحقيقة بالاتفاق. ويستدل على ذلك بقرينة قوية تمنع الحقيقة، والله أعلم.

(١) جاء في سفر التثنية ٤/١٠ ـ ١٥: في اليوم الذي وقفتَ فيه أمام الرب إلٰهك في حوريب حين قال لي: اجمع لي الشعب، فأسمعهم كلامي لكي يتعلَّموا أن يخافوا كل الأيام التي هم فيها أحياء على الأرض، ويعلموا أولادهم، فتقدمتم ووقفتم في أسفل الجبل، والجبل يضطرم بالنار إلى كبد السماء، بظلام وسحاب وضباب، فكلمكم الله من وسط النار وأنتم سامعون صوت كلام، ولكن لم تروا صورة، بل صوتاً... فاحتفظوا حداً لأنفسكم، فإنكم لم تروا صورة ما يوم كلمكم الرب في حوريب من وسط النار.

وقد أعظَم أهل الكتاب الفِرْية على الله بادعائهم أنه أعلن ذاته للإنسان بوسائل مختلفة، فتجسد له، ورآه تارة، وأكل معه، وصارعه تارة أخرى. قال سبحانه في القرآن الكريم: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ [الشورى: ٥١].



ادّعاء التوراة أن الله وعد موسى أن يراه من ظهره لا من وجهه

وفي خلال هذه الفصول قال: وكان السيد يكلِّم موسى مواجهة، فماً بفم، كما يكلم المرء صديقه، وأن موسى رغب إلى الله تعالى أن يراه، وأن الله تعالى قال له: سأدخلك في حجر، وأحفظك بيميني حتى أجتاز، ثم أرفع يدي، وتبصر ورائي، لأنك لا تقدر أن ترى وجهي[1].

ففي هذين الفصلين تشبيه شنيع قبيح جداً من إثبات آخر بخلاف الوجه. وهذا لا مخرج منه[2].

---

[1] جاء في سفر الخروج ٣٣/١١: ويكلِّم الرب موسى وجهاً لوجه، كما يكلِّم الرجل صاحبه.

٣٣/١٨ ـ ٢٣: فقال ـ أي موسى ـ: أرني مجدك. فقال: أجيز كل جودتي قدامك، وأنادي باسم الرب قدّامك، وأتراءف على من أتراءف، وأرحم من أرحم. وقال: لا تقدر أن ترى وجهي، لأن الإنسان لا يراني ويعيش. وقال الرب: هو ذا عندي مكان، فتقف على الصخرة، ويكون متى اجتاز مجدي أني أضعك في نقرة من الصخرة، وأسترك بيدي حتى اجتاز، ثم أرفع يدي، فتنظر ورائي ـ وعند الكاثوليك: قفاي ـ وأما وجهي فلا يرىٰ.

وجاء في السفر نفسه ٣/٦ أن الله قال لموسى في جبل حوريب: أنا إلٰه أبيك إبراهيم وإلٰه إسحاق وإلٰه يعقوب. فغطّى موسى وجهه، لأنه خاف أن ينظر إلى الله.

وفي التوراة السامرية: فستر موسى وجهه إذ خاف من التأمل إلى ملاك الله.

ولا يدري المفكر أيَّ نص أعجب، فالأول منع إمكانية رؤية البشر لله سبحانه، لأنهم لا يحتملونها، والثاني في ٣/٦: أثبت إمكانية الرؤية، غير أن موسى عليه السلام خاف ولم يفعل. وفي التوراة السامرية ذكر أن الخوف إنما كان من التأمل في الملاك. وإذا كان الله سبحانه يكلِّم موسى عليه السلام مباشرة، فما دَوْر الملاك بينهما؟!

[2] أراد رحمه الله أن تشبيه الخالق بالمخلوق أمر شنيع لا يجوز، لأنه تشبيه للقوي والكامل المطلق بالضعيف الناقص، وبخاصة عندما ذكروا أنه رأى قفاه.

وقد ورد في القرآن الكريم ذكر طلب موسى عليه السلام الرؤية بدون هذه التشبيهات والزيادات. قال سبحانه: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ =

= صَعِقًاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣ ـ ١٤٤].

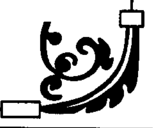
اشتاق موسى ﷺ إلى رؤية ربه لما سمع كلامه، فسأله النظر إليه، فأجابه: لن تستطيع رؤيتي ـ أي في الدنيا؛ فإن هذه البنية البشرية لا طاقة لها بذلك ـ ولكن سأتجلَّى لما هو أقوى منك وهو الجبل، فإن ثبت مكانه ولم يتزلزل، فسوف تراني، وإلا فلا طاقة لك بذلك، فلما تجلَّى الله سبحانه للجبل اندك وتفتت وساخ، وسقط موسى ﷺ مغشياً عليه، فلما صحا من غشيته قال: تبت من سؤالي إليك رؤيتك في الدنيا، وأنا أول المؤمنين بعظمتك وجلالك.






الفصل الرابع

وَصْفها للّه تعالى بصفات يتنزه عنها كالكَذِب والضَّعْف وغير ذلك ومخاطبتُه على وجه لا يليق بجلاله



[نسبة الكذب والغفلة إلى الله تعالى]

في الفصل السابق أن الله تعالى قال ليعقوب: «لستَ تُدْعى من اليوم يعقوب، لكن إسرائيل» ثم في السفر الثاني من توراتهم، قال الله تعالى: قُلْ لآل يعقوب، وعَرِّف بني إسرائيل». فقد سماه بعد ذلك يعقوب. وهذه نسبة الكذب إلى الله تعالى[1].

---

[1] سبق لدى عودة يعقوب من رحلته ومصارعته الله في الطريق حَسْب زعمهم أن الله قال له: «لا يُدْعى اسمك فيما بعد يعقوب، بل إسرائيل» كما في سفر التكوين ٣٢/٢٨ و٣٥/ ١٠، غير أن كاتب سفر الخروج يخالف ذلك ويحكي عن الله أنه عاد فسمَّاه يعقوب، فقد جاء في السفر ٣/ ١٥ ـ ١٦: وقال الله أيضاً لموسى: هكذا تقول لبني إسرائيل: يهوه إلٰه آبائكم، إلٰه إبراهيم وإلٰه إسحاق وإلٰه يعقوب أرسلني إليكم... اذهب واجمع شيوخ إسرائيل وقل لهم: الرب إلٰه آبائكم، إلٰه إبراهيم وإسحاق ويعقوب ظهر لي قائلاً...

٦/ ٢ ـ ٣: ثم كلم الله موسى وقال له: أنا الرب، وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب بأني الإلٰه القادر على كل شيء، وأما باسمي يهوه، فلم أعرف عندهم.

٦/ ٦ ـ ٨: لذلك قل لبني إسرائيل: أنا الرب وأنا أخرجتكم من أثقال المصريين... وأدخلتكم إلى الأرض التي رفعتُ يدي أن أعطيها لإبراهيم وإسحاق ويعقوب.

٣/١٩: وأما موسى فصعَد إلى الله، فناداه الرب من الجبل قائلاً: هكذا تقول لبيت يعقوب وتخبر بني إسرائيل.

فهل هذا اتهام لله سبحانه بالكذب أو بالنسيان؟ مع أنه جاء في سفر العدد ٢٣/ ١٩: ليس الله إنساناً فيكذب، ولا ابن إنسان فيندم، هل يقول ولا يفعل؟ أو يتكلم ولا يفي؟ وعند الكاثوليك: أو يتكلم كلاماً ولا يتمه؟

بعض ما في توراتهم من أوصاف يتنزه الله عنها

أ ـ فقد نسبوا إليه التعب والحاجة إلى الراحة:

١ ـ جاء في سفر التكوين ٢/ ٢ ـ ٣: وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل، فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل، وبارك الله اليوم السابع وقدَّسه، لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً.

وعند الكاثوليك: من جميع عمله الذي خلقه ليصنعه.

وفي التوراة السامرية: لأن فيه بطل في جميع صناعته التي صنع الله للفعل.

٢ ـ وجاء في سفر الخروج ٣١/ ١٣ ـ ١٧: وكلَّم الرب موسى قائلاً: وأنت تكلم بني =

. . . .

= إسرائيل قائلاً: سُبوتي تحفظونها، لأنه علامة بيني وبينكم في أجيالكم، لتعلموا أنّي أنا الرب الذي يقدّسكم، فتحفظون السبت، لأنه مقدَّس لكم، من دنَّسه يقتل قتلاً. . . لأنه في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض، وفي اليوم السابع استراح وتنفَّس.

وفي التوراة السامرية: قل لبني إسرائيل قولاً: بل سُبوتي تحفظون، إنها آية بيني وبينكم. . . أنَّ في ستة أيام صنع الله السماوات والأرض، وفي اليوم السابع عطل وأراح، وفي ملاخي ٢/ ١٧: لقد أتعبتم الرب بكلامكم، وقلتم: بمَ أتعبناه؟فقد جعلوه ضعيفاً كالبشر يتعب بعد العمل، ويحتاج إلى الراحة والتنفس. وقد ردَّ الله سبحانه في القرآن الكريم على زعمهم هذا فقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨].

أي تعب. أما مقدار اليوم فلا يعلمه إلا الله.

ب ـ واتهموه بالمخادعة والكذب والجهل:

١ ـ جاء في سفر التكوين ٢/ ١٥ ـ ١٧: وأخذ الرب الإلٰه آدم، ووضعه في جنة عَدْن ليعملها ويحفظها، وأوصاه قائلاً: من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها، لأنك حين تأكل منها موتاً تموت.

١/٣ ـ ٣: وكانت الحيَّة أحْيَل جميع الحيوانات البرية التي عملها الرب، فقالت للمرأة: أحقاً قال الله: لا تأكلا من كل شجر الجنة؟ فقالت المرأة: من ثمر الجنة نأكل، وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله: لا تأكلا منه ولا تمسَّاه لئلا تموتا. فقالت الحية: لن تموتا، بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما، وتكون كالله ـ وعند الكاثوليك: كآلهة ـ عارفَين الخير والشر. فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل. . . فأخذت من ثمرها وأكلت، وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل، فانفتحت أعينهما، وعلما أنهما عُريانين؛ فخاطا أوراق تين، وصنعا لأنفسهما مآزر، وسمعا صوت الرب الإلٰه ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار، فاختبآ من وجه الرب في وسط شجر الجنة. فنادى الرب الإلٰه آدم وقال: أين أنت؟ فقال: سمعت صوتك فخشيت لأني عُريان فاختبأت. فقال: من أعلمك أنك عُريان؟ هل أكلتَ من الشجرة التي أوصيتك ألّا تأكل منها؟ فقال آدم: المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلتُ. فقال الرب الإلٰه للمرأة: ما هذا الذي فعلتِ؟ فقالت: الحية غرتني فأكلتُ.

ففي هذه القصة من الافتراءات على الله ما يأباه العاقل:

• فيها نسبة الكذب والمخادعة إلى الله سبحانه، فإنه كذب على آدم وامرأته، لأنه يريد إبقاءهما جاهلَين كي لا يشاركاه في صفة من أخص صفاته، وهي معرفة الخير والشر، لكن الحيَّة كشفت هذه الكذبة والخدعة، فلم يموتا كما حذرهما الرب، بل اختبآ.

• وفيها تشبيه الله بالمخلوقات، حيث يسير في الجنة، فيسمع آدم وحواء وَقْع مشيته، فيختبئان منه، كأنه لا يراهما إلا إذا ظهرا أمامه.

• رميه بالجهل، فإنه لا يدري ماذا صنعا، ولا يعلم أين اختبآ، فيناديهما مستفهماً عن مكانهما، ثم يستنتج من أقوالهما أنهما أكلا من الشجرة. =

. . . .

= وقد عرض القرآن الكريم في عدَّة سور جوانب من قصة آدم وزوجه، وأكلهما من الشجرة التي امتحنه الله بها، وإغواء الشيطان لهما، وليس الحيَّة، وذكر توبتهما وخروجهما من الجنة، دون أن يكون فيها ما يتعارض مع كمال علم الله وقدرته وتنزيهه عما لا يليق به ولا يجوز عليه سبحانه.

٢ ـ جاء رَمْيه بالمخادعة صراحة في سفر إرمياء ٤/ ١٠: فقلت آه يا سيد الرب، حقاً إنك خداعاً خادعت هذا الشعب وأورشليم قائلاً: يكون لكم سلام، وقد بلغ السيف النَّفس.

جـ ـ ونسبوا إليه الغَفْلة والنوم والنسيان:

١ ـ جاء في سفر الخروج ٢/ ٢٣ ـ ٢٥: وحدث في تلك الأيام الكثيرة أن ملك مصر مات، وتنهَّد بنو إسرائيل من العبودية وصرخوا، فصعِد صراخهم إلى الله، فسمع الله أنينهم، فتذكر الله ميثاقه مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ونظر الله بني إسرائيل وعلم.

٢ ـ وجاء في السفر نفسه ١٢/ ١ ـ ٣: وكلَّم الرب موسى وهارون في أرض مصر قائلاً . . . كلِّما جماعة إسرائيل: في العاشر من هذا الشهر يأخذ كل واحد شاة بحسب بيوت الآباء، شاة للبيت.

١٢/ ٦ ـ ٧: ثم يذبحه كل جمهور جماعة إسرائيل في العشية، ويأخذون من الدم، ويجعلونه على القائمتين والعتبة العليا في البيوت التي يأكلونه فيها.

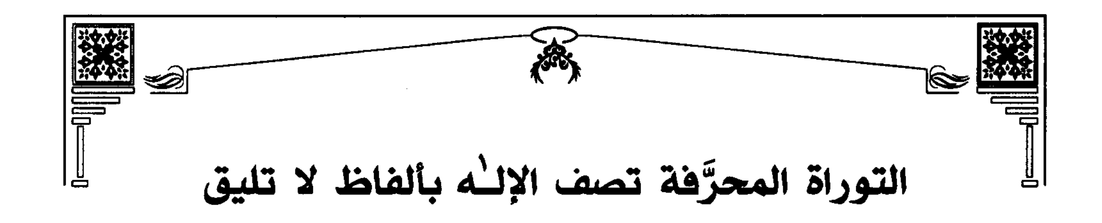
١٢/ ١٢ ـ ١٤: فإني أجتاز في أرض مصر هذه الليلة وأضرب كل بِكْر فيها من الناس والبهائم، وأصنع أحكاماً بكل آلهة المصريين، ويكون لكم الدم علامة على البيوت التي أنتم فيها، فأرى الدم وأعبُر عنكم، فلا يكون عليكم ضربة للهلاك حين أضرب أرض مصر.

١٢/ ٢١ ـ ٢٤: فدعا موسى جميع شيوخ إسرائيل وقال لهم: اسحبوا وخذوا لكم غنماً بحسب عشائركم واذبحوا الفصح، وخذوا باقة زُوفا واغمسوها في الدم الذي في الطَّسْت، ومُسّوا العتبة العليا والقائمتين بالدم الذي في الطَّسْت، وأنتم لا يخرج أحد منكم من باب بيته حتى الصباح، فإن الرب يجتاز ليضرب المصريين، فحين يرى الدم على العتبة العليا والقائمتين يعبر عن الباب، ولا يدع المهلك يدخل بيوتكم ليضرب. فتحفظون هذا الأمر فريضة لك ولأولادك إلى الأبد.

فالرب بحاجة إلى علامة يميِّز بها بيوت شعبه من بيوت المصريين، ولولاها لاختلطت عليه البيوت، فيترك المهلك يضرب بيوت شعبه.

٣ ـ وجاء في المزمور ٧٨/ ٦٥: فاستيقظ الرب كنائم، كجبَّار معيط من الخمر، فضرب أعداءه.

سبحان الله، أما وجدوا أن يشبهوه إلا بمن لعبت به الخمر! ويأتي في الفصل الخامس في قصة إغراق قوم نوح بالطوفان أنه اتخذ لنفسه علامة تذكره لئلا يهلك البشر مرة أخرىٰ.



التوراة المحرَّفة تصف الإلٰه بألفاظ لا تليق

قال: وعند ذلك مَجَّد موسى وبنو إسرائيل بهذه السورة وقالوا: مَجِّدَ بنا السيِّد، فإنه يَعْظُم ويَشْرُف، وأغرق في البحر الفرس وراكبه، قوتي ومديحي للسيِّد الذي صار لي مسلماً، هذا إلٰهي أمجده، وإلٰه أبي أعظمه، السيد قاتل، كالرجل القادر(١).

وفي السفر الخامس: اعلموا أن السيِّد إلٰهكم الذي هو نار أكول(٢).

قال أبو محمد رَحِمَهُ اللَّهُ: هذه سَوْءة من السَّوْءات، لتشبيه الله عَزَّ وَجَلَّ بالرجل القادر، ويخبر بأنه نار. هذه مصيبة لا تجبر.

○ **[إفحام مغالط]:**

ولقد قال بعضهم: أليس الله تعالى يقول عندكم: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؟ قلت: بلى، وقد قال رسول الله ﷺ ـ إذ سأله أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٣): هل

---

(١) جاء في سفر الخروج ١٤/ ٣٠ ـ ٣١: فخلَّص الرب في ذلك اليوم إسرائيل من يد المصريين، ونظر إسرائيل المصريين أمواتاً على شاطئ البحر، ورأى الفعل العظيم الذي صنعه الرب بالمصريين.

١/١٥ ـ ٤: حينئذ رنَّم ـ وعند الكاثوليك: سبَّح ـ موسى وبنو إسرائيل هذه التسبيحة للرب وقالوا: أرنِّم للرب، فإنه قد تعظَّم ـ زاد الكاثوليك: بالمجد ـ الفرسَ وراكبه طرحهما في البحر، الرب قوتي ونشيدي، وقد صار خلاصي، هذا إلٰهي فأمجده، إلٰه أبي فأُرَفّعه، الرب رجل الحرب ـ وعند الكاثوليك: صاحب الحرب ـ الرب اسمه.

وإنك لتلحظ الفرق بين الترجمة التي نقل ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ عنها وبين الترجمة التي في حوزتي، مما يدل على أنهم يتصرفون بالترجمة في أمور حساسة هامة بين حين وآخر، مع فقدان الأصل وخفاء البديل.

(٢) جاء في سفر التثنية ٤/ ٢٣ ـ ٢٤ أن موسى قال لهم: فاحذروا لأنفسكم من أن تنسَوا عهد الرب إلٰهكم الذي قطعه معكم... لأن الرب إلٰهك هو نار آكلة إلٰه غيور.

وفي سفر التثنية ٢٤/ ١٧: وكان منظر مجد الرب كنار آكلة على رأس الجبل.

(٣) الآية من سورة النور: ٣٥، وأبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو الصحابي الجليل جُنْدُب بن جُنادة، أحد السابقين إلى الإسلام، كان رأساً في العلم والزهد والجهاد، قال عنه الرسول ﷺ: «ما أظلَّت =

رأيت ربك؟ فقال: «نورٌ أنَّى أراه؟» وهذا بيِّن ظاهر أنه لم يَعْنِ النور المرئي، لكن نوراً لا يُرى[1].

فلاحَ أنَّ معنى ﴿نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ إذا ثبت أنه ليس هو النور المرئي الملوَّن، إنه الهادي لأهلهما فقط، وأن النور اسم من أسماء الله تعالى فقط[2].

وأما قوله تعالىٰ: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ . . .﴾ إلى قوله: ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾، فإنه شبه نوره الذي يهدي به أولياءه بالمصباح الذي ذُكر، فإنه شبه مخلوقاً بمخلوق. وبيان ذلك قوله تعالى متصلاً بالكلام

= الخضراء ولا أقلَّت أصدق لهجة من أبي ذر». توفي عام ٣٢هـ. [تذكرة الحفاظ ١/ ١٧ ـ ١٨].

[١] اختلف الصحابة ﷺ في رؤية النبي ﷺ ربَّه ليلة الإسراء والمعراج:

أ ـ ذهب بعضهم إلى أنه رآه. فعن ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «رأيت ربِّي ﷻ». [أخرجه أحمد، قال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح»، ورمز السيوطي لصحته. ورواه الدارقطني وغيره عن أنس ﷺ].

وهل كانت الرؤية بالمشاهدة العينية أو القلبية، بمعنى التجلّي التام؟ فقد صحَّ عن ابن عباس ﷺ أنه قال: «رآه بفؤاده». وعند ابن خزيمة عن أبي ذر ﷺ قال: رآه بقلبه، ولم يره بعينه.

وليس المراد برؤية القلب مجرّد حصول العلم، لأنه ﷺ كان عالماً بالله على الدوام، فمراد من أثبت الرؤية القلبية أنها خُلِقَت في قلبه كما تخلق الرؤية بالعين لغيره، فإن حاسة العين ليست الركن الوحيد للرؤية.

ب ـ وذهب بعض آخر إلى إنكار الرؤية، فعن أبي ذر ﷺ قال: سألت النبي ﷺ: هل رأيت ربك؟ قال: «نور أنَّى أراه؟». [أخرجه مسلم وغيره] أي حال بيني وبين رؤيته النور، كما جرت العادة بإغشاء الأنوار الأبصار، ومنعها من إدراك ما حالت بين الرائي وبينه، كما في الرواية الأخرى: «رأيت نوراً» أي رأيت نوراً فحسب. [فيض القدير ٤/ ٦، مختصر السيرة ص١٤٥ ـ ١٤٦].

[٢] • قال ابن عباس ﷺ: هادي أهل السماوات والأرض، يدبر الأمر فيهما.

وعن أنس ﷺ قال: إن الله تعالى يقول: نوري هدى.

واختاره ابن جرير الطبري ١٨/ ١٠٥ وقال: «أي هادي أهل السماوات والأرض، فهم بنوره إلى الحق يهتدون، وبهداه من حَيْرة الضلال يعتصمون». وهو بمعنى منور قلوب عباده المؤمنين.

• وقال القرطبي ١٢/ ٢٥٦: النور عند العرب الضوء المدرك بالبصر، واستعمل مجازاً في المعاني، فيقال: كلام له نور. . . فيجوز أن يقال: الله نور على جهة المدح، لأن جميع الأشياء، منه ابتداؤها، وعنه صدورها، وبقدرته استقامت أمورها.

• وقال ابن مسعود ﷺ: ليس عند ربكم ليل ولا نهار، نور السماوات والأرض نور وجهه.

المذكور في الآية نفسها: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۚ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ فصحَّ ما قلناه يقيناً من أنه تعالى إنما عنى بنوره هُداه للمؤمنين فقط، وهذا أصح تشبيه يكون، لأنَّ نور هداه في ظلمة الكفر، كالمصباح في ظلمة الليل[1].

---

[1] ذكر ابن حزم رحمه الله سابقاً أن معنى ﴿نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾: «الهادي لأهلهما، وأن النور اسم من أسماء الله تعالىٰ». ورجَّح هنا أنه إنما عنى بنوره هداه للمؤمنين.

وقال ابن القيم رحمه الله: سمَّى الله سبحانه نفسه نوراً، وجعل كتابه نوراً، ورسوله نوراً، واحتجب عن خلقه بالنور... وما قاله ابن مسعود رضي الله عنه أقرب إلى تفسير الآية من قول من فسرها بأنه هادي أهل السموات والأرض.

وقال الراغب في المفردات ص٨٢٨: سمَّى الله تعالى نفسه نوراً من حيث إنه هو المنور، وتسميته تعالى بذلك لمبالغة فعله.

وقال بعضهم: ما جاء في الأحاديث من تسميته سبحانه بالنور، فمعناه ذو نور السماوات والأرض وخالقه.

أما المشكاة، فقد قال الراغب في المفردات ص٤٦٣: «كُوة غير نافذة، وذلك مثل القلب، والمصباح مثل نور الله».

ومعنى الآية: مثل نور الله وهداه في قلب عبده المؤمن ككوة في جدار لا منفذ لها، وبذلك تكون أجمع للضوء، وضع فيها مصباح موضوع في قنديل من الزجاج الصافي الذي يشبه الكوكب الدريّ في صفائه، وهذا المصباح يستمد اشتعاله من زيت شجرة مباركة، هي الزيتونة التي ليست في جهة الشرق، فلا تصل إليها الشمس من أول النهار، ولا في جهة الغرب، فيتقلّص عنها الفيء قبل الغروب، بل هي في مكان وسط في أرض منكشفة، تعمدها الشمس من أول النهار إلى آخره، فتكون ثمرتها أنضج، وزيتها أصفى، يكاد لصفائه يضيء ولم لم تمسسه نار، وبذلك يكتمل النور الممثل به. يوفق الله من يشاء من عباده لاتباع نوره، ويبين الله الأمثال تقريباً لأفهام الناس. [مختصر ابن كثير ٢/ ٦٠٥ ـ ٦٠٧، صفوة التفاسير ٢/ ٣٤٠ ـ ٣٤١].

بل إنهم خاطبوه بألفاظ لا تليق:

اعتاد كتّاب التوراة وسائر الأسفار أن يضعوا على لسان الأنبياء والصالحين في مخاطبة الله سبحانه ألفاظاً وقحة، لا تستخدم في مخاطبة كرام الناس، ولا تليق بأصحاب المروءة والأخلاق ليبرِّروا كفرهم ونقضهم الميثاق. ومن ذلك ما يلي:

١ ـ جاء في سفر الخروج ٥/ ٢٠ ـ ٢٣: وصادفوا موسى وهارون واقفَين للقائهم حين خرجوا من لدن فرعون، فقالوا لهما: ينظر الرب إليكما ويقضي، لأنكما أنتما رائحتنا في عيني فرعون وفي عيون عبيده ـ وعند الكاثوليك: ينظر الرب ويحكم عليكما كما أفسدتما أمرنا عند فرعون وعند عبيده ـ حتى تعطيا سيفاً في أيديهم ليقتلونا. فرجع موسى إلى الرب وقال: يا سيد، لماذا أسأت إلى هذا الشعب؟ لماذا أرسلتني؟ فإنه منذ دخلت إلى فرعون لأتكلم باسمك، أساء إلى هذا الشعب، وأنت لم تُخلِّص شعبك. =

....

= وفي ٧/٣٢: فقال الرب لموسى: اذهب انزل، لأنه قد فسد شعبك.

١٠/٣٢ ـ ١٤: فالآن اتركني ليحمى غضبي عليهم وأفنيهم.. فتضرَّع موسى أمام الرب وقال: لماذا يا رب يحمى غضبك على شعبك... ارجع عن حُمُوِّ غضبك، واندم على الشر بشعبك.

٢ ـ وجاء في سفر العدد ٣٥/١٠ ـ ٣٦: وعند ارتحال التابوت كان موسى يقول: قم يا رب، فلتبدد أعداءك ويهربْ مبغضوك من أمامك. وعند حلوله كان يقول: ارجع يا رب إلى رِبْوات ألوف إسرائيل.

١٠/١١ ـ ١٥: فلما سمع موسى الشعب يبكون بعشائرهم، كل واحد في باب خيمته، وحمي غضب الرب جداً، ساء ذلك في عيني موسى فقال للرب: لماذا أسأتَ إلى عبدك؟ ولماذا لم أجد نعمة في عينيك؟ حتى إنك وضعت ثقلَ جميع هذا الشعب علي، ألعلي حبلتُ بجميع هذا الشعب، أو لعلي ولدته حتى تقول لي: احمله في حِضْنك كما يحمل المربي الرضيع إلى الأرض التي حلفت لآبائه... لا أقدر وحدي أن أحمل جميع هذا الشعب، لأنه ثقيل عليَّ، فإن كنت تفعل بي هكذا فاقتلني قتلاً، إن وجدتُ نعمة في عينيك فلا أرى بليتي.

وشتَّان بين الاسترحام والتضرع وبين هذه الوقاحات، مع أنه جاء في السفر نفسه ٣/١٢: وأما الرجل موسى فكان حليماً جداً، أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض.

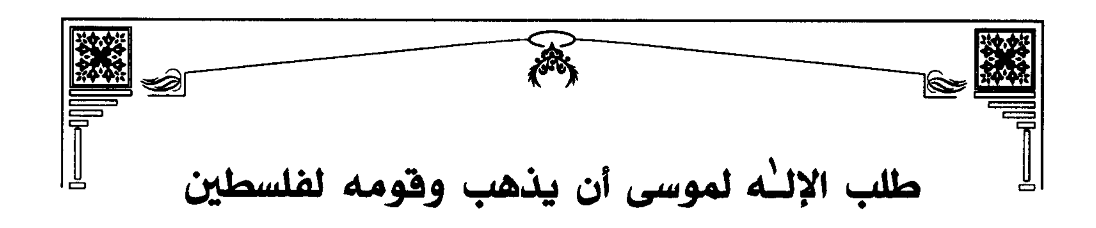
قابل هذا الافتراء على موسى ﷺ بما أورده ابن إسحاق أن النبي ﷺ دعا ربَّه عندما رجع من الطائف إلى مكة محزوناً فقال: اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلَّة حيلتي، وهواني على الناس، أنت أرحم الراحمين، وربُّ المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى عدوٌ بعيد يتجهمني؟ أو إلى عدوٌ ملكتَه أمري، إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، غير أن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصَلُح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي غضبك أو يحل عليَّ سخطك، لك العُتْبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك.

٣ ـ وجاء في سفر الملوك الثاني ١٥/١٩ ـ ١٦ وإشعياء ١٧/٣٧: وصلّى حَزْقِيّا أمام الرب وقال:... أمِلْ يا ربِّ أذنك واسمع، افتح يا ربِّ عينيك وانظر، واسمع كلام سنحاريب.

٤ ـ وجاء في سفر نَحَمْيا ٦/١: لتكن أذنك مُصْغية، وعيناك مفتوحتين، لتسمع صلاة عبدك الذي يصلي.

٥ ـ جاء في المزمور ٣٨/٨٩ ـ ٤٧: لكنك رفضتَ ورَذَلْتَ، غضبتَ على مسيحك، نقضتَ عهدك، نجَّست تاجه في التراب، هدمت كل جدرانه... حتى متى يا رب تختبئ كل الاختباء؟ حتى متى يَتَّقد كالنار غضبك؟ اذكر كيف أنا زائل، إلى أيِّ باطل خلقت جميع بني آدم.

٦ ـ وجاء في سفر إشعياء ١٧/٣٧: أمِلْ يا ربُّ أذنك واسمع، افتح يا ربُّ عينيك وانظر كل كلام سنحاريب الذي أرسله ليُعيِّر الله الحيّ. =



طلب الإلـه لموسى أن يذهب وقومه لفلسطين

وبعد هذا ذكر أن الله تعالى قال لموسى: اذهب واصعد من هذا الموضع أنت وأمتك التي أخرجت من مصر، إلى الأرض التي وعدتُ بها مُقْسماً، إبراهيم وإسحاق ويعقوب لأورثها نسلهم، وأبعث بين يديك مَلَكاً لإخراج الكنعانيين والأموريين والحثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين، تدخل في أرض تفيض لبناً وعسلاً، لست أنزل معكم، لأنكم أمة قُساة الرقاب، لئلا تهلك بالطريق. فلما سمعت العامة هذا الوعيد الشديد، عجبت ولم تأخذ زينتها. فقال السيّد لموسى: قل لبني إسرائيل، أنتم أمة قد قَسَتْ رقابكم، سأنزل عليكم مرة وأهلككم، فضعوا زينتكم لأعلم ما أفعل بكم[1].

= وجاء في سفر إشعياء ٦٣/١٧ ـ ١٨: لماذا أضللتنا يا رب عن طرقك؟ قَسَّيتَ قلوبنا عن مخافتك؟ ارجع من أجل عبيدك أسباط ميراثك... مضايقونا داسوا مَقْدِسَك.

٧ ـ وجاء في سفر دانيال ١٨/٩: أمِلْ أذنك يا إلٰهي واسمع، وافتح عينيك وانظر.

قال الحكيم السموءل في كتابه بذل المجهود في إفحام اليهود ص١١١ ـ ١١٢: وإنما نطقوا بهذه الهذيانات والكفريات من شدة الضجر من الذلّ والعبودية والصَّغار، وانتظار فرج لا يزداد منهم إلا بُعْداً، فأوقعهم ذلك في الطيش، وأخرجهم إلى نوع من الزندقة، فتجرؤوا بهذه المناجاة القبيحة، كأنهم يُنْخونه بذلك لِيَحْمِي نفسه، أو ينبِّهونه ليصحو من الخمول، فترى أحدهم إذا تلا هذه الكلمات: «لم تقول الأمم أين إلههم؟ انتبه يا رب، لِمَ تنام؟ استيقظ من رَقْدتك». في الصلاة، يقشعر جلده، ولا يشك في أن كلماته تقع عند الله بموقع عظيم، وأنه يؤثر في ربه ويحركه بذلك.

قابل هذا الهَذَيان بدعاء المؤمنين من أمة محمد ﷺ كما جاء في سورة البقرة: ٢٨٥ ـ ٢٨٦: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

[1] جاء في سفر الخروج ٣٣/١ ـ ٦: وقال الرب لموسى: اذهب، اصعَد من هنا، أنت والشعب الذي أصعدتَه من أرض مصر إلى الأرض التي حَلَفْتُ لإبراهيم وإسحاق ويعقوب =

وبعد ذلك بفصول قال: إن موسى قال لله تعالى: إن كنت سيِّدي عني راضياً، فأنا أرغب إليك أن تذهب معنا.

وبعد ذلك: إن الله تعالى قال لموسى: سأخرج بنفسي بين يديك[1].

قال أبو محمد رَحِمَهُ اللَّهُ: في هذا الفصل كذبتان، وتشبيه محقَّق. أما الكذبتان: فإحداهما قوله: إنه سيبعث بين يدي موسى مَلَكاً لإخراج الأعداء، وأما هو تعالى فليس ينزل معهم، ثم نزل معهم. وهذا كذب لا مخلص منه، تعالَى الله عن هذا، وحاش له من أن يقول: سأفعل، ثم لا يفعل، وأن يقول: لا أفعل، ثم يفعل.

والثانية قوله: «إني سأنزل إليكم مرة وأهلككم» ثم لم يفعل. حاش لله من هذا.

وأما التشبيه المحقَّق، فامتناعه من أن ينزل بنفسه، واقتصاره على أن يبعث ملكاً لنصرتهم، ثم أجاب إلى النزول معهم[2]. وهذا لا يسوغ فيه ما يسوغ في

= قائلاً: لنسلك أعطيها. وأنا أرسل أمامك مَلَاكاً، وأطرد الكنعانيين والأموريين والحِثّيين والفِرزّيين والحِوِّيين واليبوسيين إلى أرض تفيض لَبَناً وعسلاً؛ فإني لا أصعد في وسطك، لأنك شعب صَلْب الرقبة، لئلا أفنيك في الطريق. فلما سمع الشعب هذا الكلام السوء ناحوا، ولم يضع أحد زينته عليه. وكان الرب قد قال لموسى: قل لبني إسرائيل: أنتم شعب صلب الرقبة، إن صعِدت لحظة واحدة في وسطكم أُفنيكم، ولكن الآن، اخلع زينتك عنك، فأعلم ماذا أصنع بك. فنزع بنو إسرائيل زينتهم من جبل حوريب.

[1] جاء في سفر الخروج ٣٣/ ١٢ ـ ١٧: وقال موسى للربِّ: انظر، أنت قائل لي: أصعِد هذا الشعب. وأنت لم تُعَرِّفني من ترسل معي، وأنت قد قلت: عرفتك باسمك، ووجدتَ أيضاً نعمة في عينيَّ ـ وعند الكاثوليك: وأنت قد قلت: إني عرفتُك باسمك، وأصبتَ عندي حُظوة ـ فالآن، إن كنتُ قد وجدتُ نعمة في عينيك ـ وعند الكاثوليك: إن كنتُ قد حظيت في عينيك ـ فعلمني طريقك حتى أعرفك، لكي أجد نعمة في عينيك. وانظر، إن هذه الأمة شعبك. فقال: وجهي يسير ـ وعند الكاثوليك: أمامك ـ فأريحك. فقال: إن لم يسر وجهك فلا تصعدنا من ههنا، فإنه بماذا يُعلم أني وجدت نعمة في عينيك أنا وشعبك؟ أليس بمسيرك معنا؟ فنمتاز أنا وشعبك عن جميع الشعوب الذين على وجه الأرض. فقال الرب لموسى: هذا الأمر أيضاً الذي تكلمت عنه أفعله؛ لأنك وجدتَ نعمة في عيني ـ وعند الكاثوليك: أصبت حظوة في عيني ـ وعرفتك باسمك.

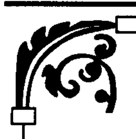
[2] جاء في سفر الخروج ٢٣/ ٢٠ ـ ٣٣: هأنا مرسل ملاكاً أمام وجهك، ليحفظك في الطريق، وليجيء بك إلى المكان الذي أعددته... فإن ملاكي يسير أمامك، ويجيء بك إلى الأموريين والحثيين والفرِزّيين والكنعانيين والحِويين واليبوسيين، فأبيدهم... أرسل هيبتي =

حديث التنزيل، من أنه فعل يفعله تعالى، لأنه لو كان هذا، لكان إرسال الملك أقوى ما يوجد في العالم، فإذا قد بطل، فقد صح أنه نزول نقلة ولا بدّ.

= أمامك، وأزعج جميع الشعوب الذين تأتي عليهم، وأعطيك جميع أعدائك مُدْبرين، وأرسل أمامك الزنابير، فتطرد الحِويِّين والكنعانيين والحِثيين من أمامك، لا أطردهم من أمامك في سنة واحدة. . . قليلاً قليلاً أطردهم من أمامك إلى أن تثمر وتملك الأرض، وأجعل تخومك من بحر شوف إلى بحر فلسطين، ومن البرية إلى النهر، فإني أدفع إلى أيديكم سكان الأرض، فتطردهم من أمامك.

فهل سار الله أمامهم؟ أو سار المَلَاك؟ ومع من كانت الهيبة؟

وهل تحقق الوعد، فدفع إلى أيديهم سكان الأرض؟ أو دفعهم إلى سكان الأرض، وضرب عليهم الذلة والمسكنة، فلجؤوا إلى المكر والكيد من خلف الأمم؟

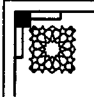
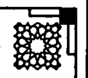





الفصل الخامس

إنكار اليهود للنسخ وإقرارهم بالبداء



الفرع الأول

نسخ الأحكام بين المسلمين وأهل الكتاب

* * * * *

[حقيقة النسخ وتخبُّط أهل الكتاب فيه]

انقسم اليهود جملة إلى قسمين: قسم أبطل النسخ ولم يجعلوه ممكناً. والقسم الثاني أجازوه، إلا أنهم قالوا: لم يقع. وعمدة من أبطل النسخ أن قالوا: إن الله ﷻ يستحيل منه أن يأمر بالأمر ثم ينهى عنه، ولو كان كذلك لعاد الحق باطلاً، والطاعة معصية، والباطل حقاً، والمعصية طاعة.

قال أبو محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا نعلم لهم حجّة غير هذه، وهي من أضعف ما يكون من التمويه الذي لا يقوم على ساق، لأن من تدبر أفعال الله كلَّها، وجميع أحكامه وآثاره تعالى في هذا العالم تيقن بطلان قولهم هذا، لأن الله تعالى يحيي ثم يميت ثم يحيي، وينقل الدولة من قوم أعزَّة فيذلهم، إلى قوم أذلَّة فيعزهم، ويمنح من شاء ما شاء من الأخلاق الحسنة والقبيحة. ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣][1].

---

[1] يعيب أهل الكتاب على المسلمين وجود النسخ في شريعتهم، ويفهمون من ذلك أن الله سبحانه أعطى عن عمد حكماً ناقصاً، ويرون أن هذا وصف لله بالجهل وعدم الحكمة، ويقولون: كيف يجوز أن ينسب إلى الله تعالى كتاب ينقض بعضه بعضاً. وهذا الفهم إنما نشأ من كتمانهم الحق أولاً، ومن جهلهم بحقيقة النسخ ثانياً. ويغالط اليهود، فيزعمون أن الشريعة لا تكون إلا واحدة، وقد ابتدأت بموسى عليه السلام وتمَّت به، ولم يكن قبله إلا حدود عقلية وأحكام مصلحية، ولا يكون بعده شريعة أخرى، لأن النسخ في الأوامر بداء، ولا يجوز على الله. لذا سأوضح هذا بشيء من التفصيل.

تعريف النسخ:

النسخ لغة: الإزالة أو التبديل، وهو جعل شيء مكان شيء آخر. واصطلاحاً بيان انتهاء مدة حكم عملي جامع للشروط. =

= وهذا يعني أن الله سبحانه كان يعلم في الأزل أن هذا الحكم سيكون مقرراً ومعمولاً به لدى المكلفين إلى وقت محدود في علمه، ثم سينسخ عند انتهاء هذا الوقت. فهو في الحقيقة بيان انتهاء المدة المعينة للحكم الأول، لكن لما لم يكن الوقت المحدَّد مذكوراً معه، تقرر في أوهام الناس استمراره، فلما حان ميعاد انتهائه وابتداء الحكم الثاني وظهر الأمر، صار بحسب الظاهر للناس نسخاً وتبديلاً.

حكمه:

النسخ جائز عقلاً، وواقع شرعاً قديماً وحديثاً بين الشرائع وضمن شريعة واحدة، من لدن آدم إلى أن ختم الله النبوات والشرائع بمحمد ﷺ كما سيأتي إن شاء الله.

حكمته:

لا ريب أن في نسخ الأحكام حِكَماً ومصالح للناس؛ نظراً إلى حال المكلَّفين والزمان والمكان، كما أن الطبيب الحاذق يبدِّل الأدوية والأغذية بملاحظة حال المريض والمراحل التي وصل إليها وغير ذلك، وفق المصلحة التي يراها مع الرفق بحاله. قال تعالىٰ: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦]، وقال سبحانه: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩].

أمثلته:

١ ـ كان الصحابة ﷺ في أول الإسلام مأمورين بالصبر على أذى المشركين وترك القتال، وقيل لهم كما في الآية: ﴿كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ﴾ ثم نسخ هذا الحكم بعد الهجرة، فأنزل الله سبحانه: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩].

٢ ـ ثم فرض الله عليهم الجهاد، وأوجب عليهم الثبات للمشركين في الحرب بمعدل واحد من المسلمين لعشرة من المشركين؛ نظراً للحالة التي كانوا عليها، ثم نسخ ذلك الحكم بوجوب مصابرة الواحد من المسلمين لاثنين من المشركين. قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ۝٦٥ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٦٥ ـ ٦٦].

٣ ـ كان أهل الجاهلية إذا مات لهم قريب أظهروا من الجزع والتسخُّط ما لا يقره عاقل، ولما كان الناس حديثي عهد بالإسلام نهى النبي ﷺ عن زيارة القبور، ثم لما تمكن الإيمان من قلوبهم رخص لهم في زيارتها لما فيها من عبرة واتِّعاظ.

عن بريدة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها». [أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي وابن حبان والحاكم].

وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروا القبور؛ فإنها تزهِّد في الدنيا، وتذكِّر الآخرة». [أخرجه ابن ماجه، قال المنذري: إسناده صحيح]. =

○ [استدراك على ما يغالطون به]:

ولا فرق في العقول بين شيء أحلَّه الله تعالى ثم حرَّمه، وبين شيء حرَّمه ثم أحلّه، والمفرِّق بين هذين مكابر للعيان، مجاهر بالقِحَة، ولو قلب عليه قالِب كلامه، ما كان بينهما فرق(1).

= تنبيهان:

١ ـ إنما يقع النسخ من صاحب الشرع عن طريق الوحي، وليس نتيجة اجتهاد من شخص مهما علا كعبه في العلم والصلاح.

٢ ـ لا يطرأ النسخ على الأمور القطعية العقليّة، ولا على الأمور الحسيَّة، ولا على الأخبار كالقصص ونحوها؛ لأنه المخبر عن الشيء إن كان أو يكون، إذا رجع عنه، لم يخلُ من السهو أو الكذب، وذلك لا يعزى إلى الله ولا إلى رسله ﷺ فيما يخبرون به عن ربهم في دينه. ولا يطرأ النسخ على الأحكام الواجبة نظراً إلى ذاتها، ولا على الأحكام المؤبدة، ولا على المؤقتة قبل وقتها المعين، ولا على المحظورات لعينها، وهي ما يترتب على الإتيان به ضرر أو فساد أو نحو ذلك.

فلا نسخ في الأمر ببر الوالدين وصلة الرحم ومساعدة الضعفاء ونحو ذلك، ولا نسخ في تحريم القتل والزنى والسرقة والخيانة والكذب وسائر الظلم، ولا نسخ في تحريم نكاح الأمهات والبنات وسائر المحارم، ولا في نحو ذلك من المحظورات التي يكرهها الله لعينها، فهذه الأمور مفروض تحريمها في كل الأزمنة، فلا يتأتى فيها النسخ ألبتة.

وإنما يطرأ النسخ على الأحكام العملية المحتملة للوجود والعدم، وتسمَّى الأحكام المطلقة. ويشترط فيها ألا يكون الوقت والمكلف والوجهة متحدة فيها، بل لا بدَّ من الاختلاف في كلها أو بعضها، لما شاء الله من مصالح عباده، وذلك من حكمته، لا إلٰه إلا هو. [وانظر: أصول الشاشي ص٢٦٨ ـ ٢٦٩، التمهيد ٣/ ٢١٥، إظهار الحق ١/ ٥٠٩ ـ ٥١١، بذل المجهود ص٢٧ ـ ٢٨].

وصفوة القول: ليس معنى النسخ أن الله سبحانه أمر أو نهى دون أن يعلم العاقبة وما تؤول إليه الأمور، ثم بدا له رأي آخر، فنسخ الحكم الأول ليلزم الجهل وعدم العلم بالغيب، أو أمر أو نهى، ثم نسخ مع الاتحاد في الأمور المسطورة، لتحصل الشناعة عقلاً، بخلاف الأمر بشيء وضده في زمانين مختلفين، نظراً إلى الأحوال والظروف ومصلحة العباد، فإنه لا تناقض في ذلك كما سنرى إن شاء الله.

(1) هذا استدراك عليهم فيما لو قالوا: إنما حظرت التوراة أموراً كانت مباحة من قبل، ولم تأت بإباحة محظور، والنسخ المكروه إنما هو إباحة المحظور. فالجواب: أنَّ من أحلَّ ما حظره الشرع بمنزلة من حرَّم ما أحلَّه الشرع، إذ كل منهما قد خالف المشروع، فإذا جاز أن يأتي شرع التوراة بتحريم ما كان مباحاً في شرع إبراهيم ﷺ ومن تقدمه، فجائز أن تأتي شريعة أخرى بتحليل ما كان محظوراً في التوراة، والنسخ بين الشرائع وفيها موافق للحكمة وواقع، لا ينكره إلا جاهل معاند، فقد نسخت شريعة موسى بعض الأحكام التي كانت عليها الشرائع =

○ [إلزام اليهود بوقوع النسخ]:

ثم نقول لهم ـ وبالله التوفيق ـ: ما تقولون فيمن كان قبلكم من الأمم المقبول دخولها فيكم إذا غزوكم؟ أليس دماؤهم لكم حلالاً، وقتلهم حقاً وفرضاً وطاعة؟ فلا بدّ من بلى. فنقول لهم: فإن دخلوا في شريعتكم، أليس قد حُرِّمت دماؤهم، وصار عندكم قتلهم حراماً وباطلاً ومعصية بعد أن كان فرضاً وحقاً وطاعة؟ فلا بدّ من بلىٰ. ثم إن عَدَوا في السبت وعملوا، أليس قد عاد قتلهم فرضاً بعد أن كان حراماً؟ فلا بد من بلى.

فهذا إقرار ظاهر منهم ببطلان قولهم، وإثباتٌ منهم لما أنكروه من الحق يعود باطلاً، والأمر يعود نَهْياً، وأن الطاعة تعود معصية.

وهكذا القول في جميع شرائعهم، لأنها إنما هي أوامر في وقت محدد، فإذا خرج ذلك الوقت عاد ذلك الأمر منهياً عنه، كالعمل هو عندهم مباح في يوم الجمعة محرم يوم السبت، ثم يعود مباحاً يوم الأحد، وكالصيام والقرابين وسائر الشرائع كلها. وهذا بعينه نسخ الشرائع الذي أَبَوه وامتنعوا منه، إذ ليس معنى النسخ إلا أن يأمر الله ﷻ بأن يُعمل عمل ما مدة معينة، ثم ينهى عنه بعد انقضاء

السابقة، إذ لا شك أن التوراة أتت بزيادة على تلك الشرائع، وإلا كانت عبثاً، ولا بدَّ من أن يكون في الزيادة تحريم ما تقدمت إباحته، أو إباحة ما تقدم تحريمه، فشريعة موسى ﵇ نسخت بعض الأحكام التي كان عليها إبراهيم ﵇، وما أتى به عيسى ﵇ نسخ بعض أحكام التوراة، وشريعة محمد ﷺ نسخت جميع الشرائع السابقة، لأن الأحكام العملية التي تقبل النسخ إنما تشرع لمصلحة البشر، والمصلحة تختلف باختلاف الزمان، فالعليم الحكيم يشرع لأهل كل زمان ما يناسبهم.

جاء في سفر إرمياء ٣١/٣١ ـ ٣٣: ها أيام تأتي ـ يقول الرب ـ وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً ليس كالعهد الذي قطعته مع آبائهم يوم أمسكتهم بيدهم لأخرجهم من أرض مصرحين نقضوا عهدي فرفضتهم، بل هو العهد الجديد الذي أقطعه مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام، أجعل شريعتي في داخلهم، وأكتبها على قلوبهم.

فما يدَّعيه أهل الكتاب من امتناع النسخ باطل مخالف لكتابهم المقدس. وكما تنسخ شريعة بأخرى، يجوز أن تنسخ بعض الأحكام في شريعة ما بأحكام أخرى فيها. وكان النسخ معروفاً بكثرة في الشرائع السابقة، سواء كان ذلك في شريعة واحدة أو في شريعة نبي لاحق لحكم كان في شريعة نبي سابق، وأمثلة النوعين كثيرة في الكتاب المقدس، وسيأتي ذكر بعضها. [وانظر: بذل المجهود ص١٩ و٢٥ و٢٧ ـ ٢٨، إظهار الحق ١/٥٢٩، تفسير المنار ٢/١٣٨].

تلك المدة، ولا فرق في شيء من العقول بين أن يُعَرِّف الله تعالى ويخبر عباده بما يريد أن يأمرهم به قبل أن يأمرهم به، ثم بأنه سينهى عنه بعد ذلك، وبين ألّا يعرفهم به؛ إذ ليس عليه تعالى شرط أن يعرِّف عباده بما يريد أن يأمرهم قبل أن يأتي الوقت الذي يريد إلزامهم فيه بالشريعة.

○ [أمثلة وقوع النسخ من نص كتابهم]:

وفي توراتهم أن الله تعالى افترض عليهم بالوحي إلى موسى عليه السلام، وأمرهم موسى بذلك في نص توراتهم ألا يتركوا من الأمم السبعة الذين كانوا سكاناً في فلسطين والأردن أحداً أصلاً إلا قتلوه، ثم إنه لما اختدعتهم الأمة التي يقال لها عيارون، وهي إحدى الأمم التي افترض الله عليهم قتلهم، واستئصالهم، فتحيلوا عليهم وأظهروا لهم أنهم أتَوا من بلاد بعيدة حتى عاهدوهم، فلما عرفوا بعد ذلك أنهم من السكان في الأرض التي أمروا بقتل أهلها، حرَّم الله عز وجل قتلهم على لسان يوشع النبي، بنص كتاب يوشع عندهم، فأبقَوهم ينقلون الماء والحطب إلى مكان التقديس. وهذا هو النسخ الذي أنكروا بلا كلفة[1].

---

[1] جاء في سفر العدد ٣٣/ ٥٠ ـ ٥٢: وكلم الرب موسى في عربات موآب على أردن أريحا قائلاً: كلِّم بني إسرائيل وقل لهم: إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان، فتطردون سكان الأرض من أمامكم، وتمحون جميع تصاويرهم.

٣٣/ ٥٥ ـ ٥٦: وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين تستبقون منهم أشواكاً في أعينكم ومناخس في جوانبكم، ويضايقونكم على الأرض التي أنتم ساكنون فيها، فيكون أني أفعل بكم كما هممت أن أفعل بهم.

وفي سفر يشوع ٣/ ٩ ـ ١٢: فقال يشوع لبني إسرائيل: تقدَّموا إلى هنا واسمعوا كلام الرب إلٰهكم.

ثم قال يشوع: بهذا تعلمون أن الله الحيَّ في وسطكم، وطَرْداً يطرد من أمامكم الكنعانيين والحِثيين والحِويين والفِرِزّيين والجِرْجاشيين والأَمُوريين واليَبُوسيين.

٩/ ٣ ـ ٢٦: وأما سكان جِبْعون لما سمعوا بما عمله يشوع بأريحا وعاي، عملوا بغدر ومضَوا وداروا، وأخذوا جوالق بالية لحميرهم وزقاق خمر بالية مشقَّقة ومربوطة ونعالاً بالية ومرقعة في أرجلهم وثياباً رثة عليهم، وكل خبزهم يابس قد صار فُتاتاً، وساروا إلى يشوع وقالوا له: من أرض بعيدة جئنا، والآن اقطعوا لنا عهداً. . . من أرض بعيدة جداً جاء عبيدك على اسم الرب إلٰهك، لأننا سمعنا خبره وكل ما عمل بمصر. . فكلَّمنا شيوخنا وجميع سكان أرضنا قائلين: خذوا بأيديكم زاداً للطريق، واذهبوا للقائهم، وقولوا لهم: نحن عبيدكم. والآن =

= اقطعوا لنا عهداً. . . فعمل يشوع لهم صلحاً، وقطع لهم عهداً لاستحيائهم، وحلف لهم رؤساء الجماعة. وفي نهاية ثلاثة أيام سمعوا أنهم ساكنون في وسطهم. . فتذمَّر كل الجماعة على الرؤساء، فقال الرؤساء: إنا قد حلفنا لهم بالرب إلٰه إسرائيل، فلا نتمكن من مسِّهم. لكن يَحيَون ويكونون محتطبي حطب ومستقي ماء لكل الجماعة. فدعاهم يشوع وقال: لماذا خدعتمونا؟ فالآن ملعونون أنتم، فلا ينقطع منكم العبيد ومحتطبو الحطب ومستقو الماء لبيت إلٰهي. ففعل بهم هكذا، وأنقذهم من يد بني إسرائيل، فلم يقتلوهم.

ومن أمثلة النسخ في كتابهم المقدَّس ما يلي:

١ ـ فدية الولد الكبش:

أمر الله سبحانه نبيه إبراهيم ﷺ بذبح ولده الوحيد ـ أي البكر، وهو في اعتقادهم إسحاق ﷺ، مع أنه ليس الوحيد ـ ثم نسخ هذا الحكم قبل العمل به وإتمامه.

جاء في سفر التكوين ٢٢/١ ـ ٣: وحدث أن الله امتحن إبراهيم، فقال: خُذْ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق، واذهب به إلى أرض المُرِيّا، وأصعده هناك مُحرقة على أحد الجبال الذي أقول لك. فبكَّر إبراهيم صباحاً، وشدَّ على حماره، وأخذ اثنين من غلمان معه وإسحاق ابنه، وشقق حطباً لمحرقة. . .

٢٢/٦: فأخذ إبراهيم حطب المحرقة، ووضعه على إسحاق، وأخذ بيده النار والسكين، فذهبا معاً.

٢٢/٩ ـ ١٣: فلما أتيا إلى الموضع رتَّب الحطب، وربط إسحاق، ووضعه على المذبح فوق الحطب، ثم مدَّ يده وأخذ السكين، فناداه الملاك من السماء وقال: لا تمد يدك إلى الغلام. . . فرفع إبراهيم عينيه ونظر، فإذا كبش وراءه، فذهب إبراهيم، وأخذ الكبش، وأصعده محرقة عوضاً عن ابنه.

٢ ـ نسخ استكثار الملك من الخيل والنساء:

جاء في سفر التثنية ١٧/١٥ ـ ١٧: فإنك تجعل عليك مِلكاً الذي يختاره الرب إلٰهك. . . ولكن لا يُكَثِّر له الخيل. . . ولا يُكثر له نساء، لئلا يزيغ قَلبه، وفضة وذهباً لا يكثر له كثيراً.

مع أن داود وسليمان ﷺ قد استكثرا من الخيل والنساء والذهب والفضة وغير ذلك استكثاراً عظيماً. فهل خالفا التوراة أو وقع النسخ؟

جاء في سفر صموئيل الثاني ٥/١٣: وأخذ داود أيضاً سراري ونساءً من أورشليم بعد مجيئه من حَبْرون، فولد لداود أيضاً بنون وبنات.

وفي قصة اتهامهم له بعشق جارته التي كانت تستحم ـ كما سيأتي في القسم الرابع إن شاء الله ـ أن الرب عاتبه على ذلك رغم كثرة ما عنده من النساء.

جاء في صموئيل الثاني ١٢/١ ـ ٧: فأرسل الرب ناثان إلى داود فقال له: كان رجلان في مدينة واحدة، أحدهما غني والآخر فقير، وكان للغني غنم وبقر كثيرة جداً، وأما الفقير فلم يكن له إلا نعجة واحدة. . . فأخذ الغني نعجة الفقير، فغضب داود على الغني. . . فقال ناثان: أنت هو الرجل. =

. . . .

= وجاء في سفر الملوك الأول ١١/ ١ ـ ٣: وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون. . . فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة. وكانت له سبعمئة من النساء السيدات وثلاثمئة من السراري، فأمالت نساؤه قلبه.

٣ ـ زيادتهم في الصوم:

جاء في سفر التثنية ٤/ ١ ـ ٢: فالآن يا إسرائيل اسمع الفرائض والأحكام التي أنا أعلمكم لتعلموها. . . لا تزيدوا على الكلام الذي أنا أوصيكم به، ولا تنقصوا منه، لكي تحفظوا وصايا الرب إلٰهكم التي أنا أوصيكم بها.

واليهود من بعد موسى ﷺ قد جعلوا صوم إحراق بيت المقدس وصوم حصاره وصوم كداليا وصوم صلب هامان فرضاً. فهل صيام هذه الأيام مفروض بالتوراة؟ أو أمر بها موسى؟ أو صامها خليفة من بعده يوشع وأمر بها؟ أو زيدت لأسباب اقتضت زيادتها في الأمصار اللاحقة؟ ولا شك أن الزيادة نسخ. [بذل المجهود ص٤٠].

٤ ـ نسخ تقديس أبكار بني إسرائيل:

جاء في سفر الخروج ١٣/ ١ ـ ٢: وكلّم الرب موسى قائلاً: قدّس لي كل بِكر فاتح رحم من بني إسرائيل من الناس والبهائم، إنه لي.

١٣/ ١١ ـ ١٣: ويكون متى أدخلك الرب أرض الكنعانيين. . . أنك تقدِّم للرب كل فاتح رحم وكل بكر من نِتاج البهائم التي تكون لك، الذكور للرب، ولكن لك بكر حمار تفديه بشاة، وإن لم تُفده فتكسر عنقه، وكل بكر إنسان من أولادك تفديه.

١٣/ ١٤ ـ ١٦: ويكون متى سألك ابنك غداً: ما هذا؟ تقول له: بيد قوية أخرجنا الرب من مصر من بيت العبودية، وكان لما تَقَسّى قلبُ فرعون عن إطلاقنا أن الرب قتل كل بكر في أرض مصر، من بكر الناس إلى بكر البهائم، لذلك أنا أذبح للرب الذكور من كل فاتح رحم، وأفدي كل بكر من أولادي.

فالرب قد اختار الأبكار من بني إسرائيل ليكونوا خواص في الخدمة للأقداس. لكن لما نزل موسى ﷺ من الجبل ومعه الألواح، ووجد القوم عاكفين على عبادة العجل، وقف بطرف المعسكر ونادى: من كان لله فليحضرني. فانضم إليه بنو لاوي، ولم ينضم إليه البكور. فأخذ اللاويين عوضاً عن كل بكر في بني إسرائيل.

جاء في سفر الخروج ٣٢/ ٥: فانصرف موسى ونزل من الجبل ولوحا الشهادة في يده.

٣٢/ ١٩ ـ ٢٦: وكان عندما اقترب موسى إلى المحلّة أنه أبصر العجل والرقص، فحمي غضبه. . . ولما رأى أن الشعب مُعَرًّى. . . وقف في باب المحلّة وقال: من للرب فإليّ. فاجتمع إليه جميع بني لاوي.

من بين بني إسرائيل بدل كل بكر فاتح رحم من بني إسرائيل، فيكون اللّاويون لي.

٣/ ٤١: فتأخذ اللّاويين لي أنا الرب، بدل كل بكر في بني إسرائيل.

٨/ ١٦: لأنهم موهوبون لي هبَة من بين بني إسرائيل، بدل كل فاتح رحم بكر من بني إسرائيل، قد اتخذتهم لي. =

= ٥ ـ سلب الكَهانة من عالي وإعطاؤها لآخر:
جاء في سفر صموئيل الأول ٢/ ٣٠ ـ ٣٥ أن الله قال للكاهن عالي: لذلك يقول الربُّ إله إسرائيل: إني قلت: إن بيتك وبيت أبيك يسيرون أمامي إلى الأبد، والآن يقول الرب: حاشا لي، فإني أكرم الذين يكرمونني، والذين يحتقرونني يصغرون. تأتي أيام، أقطع فيها ذراعك وذراع بيت أبيك حتى لا يكون شيخ في بيتك، وأقيم لنفسي كاهناً أميناً يعمل حسب ما بقلبي ونفسي، وأبني له بيتاً.

ذكر الشيخ رحمة الله الهندي في إظهار الحق ص٣١١ طبعة قطر أنه جاء في تفسير (دوالي ورجر دمينيت) قول العالم باترك: «ينسخ الله ههنا حكماً كان وعده وأقرَّ به، بأن رئيس الكهنة يكون منكم إلى الأبد. أعطي هذا المنصب أَلِعازار الولد الأكبر لهارون، ثم أعطي تامار الولد الأصغر لهارون، ثم انتقل بسبب ذنب أولاد عالي الكاهن إلى أولاد أَلِعازار».

٦ ـ نسخ التخيير في مكان ذبائح السلامة وحصره:
جاء في سفر الأخبار ٣/١٧ ـ ٥: كل إنسان من بيت إسرائيل يذبح بقراً أو غنماً أو مِعْزى في المحلَّة أو يذبح خارج المحلَّة، وإلى باب خيمة الاجتماع لا يأتي ليقرب قرباناً للرب أمام مسكن الرب، يحسب على ذلك الإنسان دم قد سفك دماً، فيقطع ذلك الإنسان من شعبه، لكي يأتي بنو إسرائيل بذبائحهم التي يذبحونها على وجه الصحراء، ويَقدِّموها للرب إلى باب خيمة الاجتماع إلى الكاهن، ويذبحوها ذبائح سلامة.

ثم نسخ هذا الحكم.

جاء في سفر التثنية ١٢/ ١٣ ـ ١٤: احترز من أن تُصعِد محرقاتك في كل مكان تراه، بل في المكان الذي يختاره الربُّ في أحد أسباطك. . .

١٢/ ٢٠ ـ ٢٢: إذا وسّع الرب تخومك كما كلمك، وقلت: آكل لحماً. . . فمن كل ما تشتهي نفسك تأكل لحماً. إذا كان المكان الذي يختاره الرب إلهك ليضع اسمه فيه بعيداً عنك، فاذبح من بقرك وغنمك التي أعطاك الرب كما أوصيتك، وكُلْ في أبوابك من كل ما اشتهت نفسك. كما يؤكل الظبي والأيّل هكذا تأكله. النجس والطاهر يأكلانه سواء.

٧ ـ نسخ خرء الإنسان بخَثْي البقر:
جاء في سفر حزقيال ٤/ ١٠ ـ ١٥: وطعامك الذي تأكله يكون بالوزن، كل يوم عشرين شاقلاً ـ أي مثقالاً ـ وتأكل كعكاً من الشعير على الخُرء الذي يخرج من الإنسان، تخبزه أمام عيونهم. وقال الرب: هكذا يأكل بنو إسرائيل خبزهم النجس بين الأمم الذين أطردهم إليهم. فقلت: آه يا سيدُ الربُّ، ها نفسي لم تتنجس، ومن صباي إلى الآن لم آكل ميتة أو فريسة، ولا دَخَل فمي لحم نجس. فقال لي: انظر، قد جعلتُ لك خثْي البقر بدل خرء الإنسان، فتصنع خبزك عليه.

٨ ـ التطهير برماد البقرة الحمراء:
يتعبدُ اليهود بفرائض مباينة للعقول، كطهارة أنجاسهم برماد البقرة الحمراء التي كان الهاروني يحرقها قبيل أوان الحج، فطهور أحدهم إذا مس عظماً أو وطئ قبراً أو حضر ميتاً عند =

○ [وقوع النسخ بين الشرائع السابقة]:

وأيضاً، فإن جميعهم مقر بأن شريعة يعقوب عليه السلام كانت غير شريعة موسى عليه السلام وأن يعقوب تزوَّج ليئا وراحيل ابنتي لابان، وجمعهما معاً في عِصْمته. وهذا حرام في شريعة موسى عليه السلام[1].

هذا مع قولهم: إن أم موسى عليه السلام كانت عمة أبيه أخت جده، فهم ينسبون إلى عمرام بن قهث أنه تزوج عمته أخت والده، واسمها يوخابد بنت لاوي، فولد

= موته، ماء ممزوج برماد تلك البقرة التي كان الإمام الهاروني يحرقها.

جاء في سفر اللّاويين ١/٢١ ـ ٣: وقال الرب لموسى: كلِّم الكهنة بني هارون. وقل لهم: لا يتنجس أحد منكم لميت في قومه، إلا لأقربائه الأقرب إليه.

وفي سفر العدد ١/١٩ ـ ٤: هذه فريضة الشريعة التي أمر بها الرب... أن يأخذوا إليك بقرة حمراء صحيحة لا عيب فيها، ولم يَعْلُ عليها نير، فتعطونها لأَلِعازار الكاهن، فتخرج إلى خارج المحلَّة وتذبح قدامه، ويأخذ من دمها بأصبعه، وينضح من دمها إلى جهة وجه خيمة الاجتماع سبع مرات.

٥/١٩ ـ ٦: وتحرق البقرة أمام عينيه مع فَرْثها، ويأخذ الكاهن خشب أرزٍ وزُوفاً وقِرمزاً ويطرحهن وسط حريق البقرة.

٩/١٩: ويجمع رجل طاهر رماد البقرة، ويضعه خارج المحلة في مكان طاهر، ويكون محفوظاً، لأجل ماء النضح.

١١/١٩ ـ ١٣: من مسّ ميتة إنسان ما يكون نجساً سبعة أيام يتطهر بهذا الماء في اليوم الثالث، وفي اليوم السابع يكون طاهراً. فإن لم يتطهر ينجس مسكن الرب، فتقطع تلك النفس من إسرائيل.

وقد عدموا اليوم أسباب هذه الطهارة من بقرة حمراء وإمام مطهِّر مستغفَر، فإما أن يقروا بالنسخ لتلك الفريضة لحال اقتضاها الزمان، أو يبقوا أنجاساً أبداً ما داموا لا يقدرون على تلك الأسباب. [وانظر: بذل المجهود مع التعليق عليه ص٢٨ ـ ٢٩ و٣٣ ـ ٣٦].

[1] جمع يعقوب بين الأختين ليئة وراحيل ابنتي خاله لابان كما في سفر التكوين٢٩/ ٢١ ـ ٣٠، ويأتي ذكر القصة كاملة إن شاء الله في القسم الرابع، وهذا الجمع حرام في الشريعة الموسوية.

جاء في سفر اللاويين ١٨/١٨: ولا تأخذ امرأة على أختها للضر، لتكشف عورتها معها في حياتها فتحزنها، ولا تكشف عورتهما جميعاً فتحزنهما.

فلو لم يكن هذا الجمع جائزاً في شريعة يعقوب للزم أن يكون أولاده منهما أولاد زنى، وأكثر أنبياء بني إسرائيل من أولادهما كما في سفر التكوين ٢٩/ ٣١ ـ ٣٥ و٣٠/١ ـ ٢٤، وسفر العدد الفصل السادس والعشرين.

له منها هارون وموسى عليهما السلام، وهذا حرام في شريعة موسى عليه السلام[1].

---

[1] جاء في سفر الخروج ٢/ ١: وذهب رجل من بيت لاوي وأخذ بنت لاوي.

وفي ٦/ ٢٠: وأخذ عَمْرامُ يوكابد عمته زوجة له، فولدت له هارون وموسى.

وفي سفر العدد ٢٦/ ٥٩: واسم امرأة عمران يوكابد بنت لاوي التي وُلدت للاوي في مصر، فولدت لعمرام هارون وموسى ومريم أختهما.

وهذا النكاح حرام في الشريعة الموسوية؛ لأن العمة والخالة من المحارم.

جاء في سفر الأخبار ١٨/ ١٢: عورة أخت أبيك لا تكشِف إنها قريبة أبيك.

٢٠/ ١٩: عورة أخت أمك أو أخت أبيك لا تكشِف، إنه قد عرى قريبته، يحملان ذنبهما.

فلو لم يكن هذا الزواج جائزاً في شريعة يعقوب للزم أن يكون هارون وموسى وأختهما مريم أولاد زنى بنص توراتهم، وللزم ألا يدخلوا في جماعة الرب عشرة أجيال كما في سفر التثنية ٢٣/ ٢: «لا يدخل ابن زنى في جماعة الرب حتى الجيل العاشر، لا يدخل من أحد في جماعة الرب». [وإذا كان هؤلاء ليسوا من جماعة الرب، فمن يصلح للدخول فيها؟! فلا بد من الاعتراف بأنه كان جائزاً ثم نسخ].

وقد تزوَّج الإخوة بالأخوات في عهد آدم عليه السلام وهذا حرام في الشريعة الموسوية.

جاء في سفر الأخبار ١٨/ ٩: عورة أختك بنت أبيك أو بنت أمك لا تكشف.

٢٠/ ١٠٧: وإذا أخذ رجل أخته بنت أبيه أو بنت أمه، ورأى عورتها ورأت هي عورته، فذلك عار، يُقطعان أمام أعين بني شعبيهما، قد كشف عورة أخته، يحمل ذنبه.

وفي سفر التثنية ٢٧/ ٢٢: ملعون من يضطجع مع أخته بنت أبيه أو بنت أمه.

فلو لم يكن هذا النكاح جائزاً في شريعة آدم عليه السلام للزم أن يكون الناس كلهم أولاد زنى. فلا بد من الاعتراف بالنسخ.

ومن أمثلة النسخ بشريعة لاحقة لأحكام في شريعة سابقة ما يلي:

١ ـ ختان المولود الذكر في اليوم الثامن من ميلاده:

لم يكن الختان مشروعاً قبل إبراهيم عليه السلام ثم شرع حال حياته، وصار حكماً أبدياً. وهذا هو النسخ بين الشرائع بعينه.

جاء في سفر التكوين ١٧/ ١٠ ـ ١٤: هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم، وبين نسلك من بعدك، يُختن منكم كل ذكر، فتختنون في لحم غُرلتكم، فيكون علامة عهد بيني وبينكم. ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر في أجيالكم، وليد البيت والمبتاع بفضة من كل ابن غريب ليس من نسلك... فيكون عهدي في لحمكم عهداً أبدياً، وأما الذكر الأغلف الذي لا يختن في لحم غرلته، فتقطع تلك النفس من شعبها، إنه قد نكث عهدي.

وفي سفر الأحبار ١٢/ ٢ ـ ٣: إذا حبلت امرأة وولدت ذكراً، تكون نجسة سبعة أيام، كما في أيام طمث علّتها تكون نجسة. وفي اليوم الثامن يختن لحم غرلته.

إذاً، فقد صار حكماً أبدياً في شريعة إبراهيم عليه السلام بعد أن كان غير مشروع في شرائع الأنبياء الذين كانوا قبله، كنوح عليه السلام، وبقي في أولاد إسماعيل وإسحاق عليهما السلام وأكدته شريعتنا موسى =

. . . .

= ومحمد ـ عليهما الصلاة والسلام ـ وقد خُتن المسيح ﷺ؛ ففي إنجيل لوقا ٢/ ٢١: «ولما تمت ثمانية أيام ليختتنوا الصبي سُمي يسوع، كما تسمى من الملاك قبل أن حُبل به في البطن».

ولا زال لدى النصارى صلاة يؤدونها يوم ختان المسيح ﷺ تذكرة لذلك اليوم، لكن بولس صاحب الشخصية الغامضة ومن تبعه نسخوا هذا الحكم كما في الفصل الخامس عشر من سفر الأعمال. وقد شدَّد بولس في نسخه تشديداً بالغاً، ففي رسالته إلى أهل غلاطية ٥/ ٢ ـ ٦: هأنا بولس أقول لكم: إنه إن اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئاً . . . وقد تبطَّلتم عن المسيح أيها الذين تتبررون بالناس، سقطتم من النعمة، لأنه في المسيح يسوع، لا الختان ينفع شيئاً ولا الغُرلة، بل الإيمان العامل بالمحبة.

١٦/ ١٥: لأنه في المسيح يسوع، ليس الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة، بل الخليقة الجديدة.

٢ ـ نسخ حِلِّ بعض الأطعمة:

جاء في سفر التكوين ٩/ ٢ ـ ٣: وكل طيور السماء مع كل ما يدب على الأرض، وكل أسماك البحر، قد دفعت إلى أيديكم. كل دابة حية تكون لكم طعاماً كالعشب الأخضر، دفعتُ إليكم الجميع.

فكانت الحيوانات كلها مُباحة في شريعة نوح ﷺ ثم حَرَّمت الشريعة الموسوية حيوانات كثيرة، أولها الخنزير، كما في الفصل (١١) من سفر الأحبار و(١٤) من سفر التثنية. ثم جاء بولس فأفتى بالإباحة العامة، كما في رسائله إلى رومية ١٤/ ١٤، وإلى تيطس ١/ ١٥، وإلى تيموثاوس ٤/ ٤ ـ ٥.

٣ ـ تعظيم السبت وتحريم العمل فيه:

لم يكن يوم السبت معظَّماً قبل شريعة موسى ﷺ، ثم جاءت التوراة بتعظيمه وتحريم العمل فيه، فصار عيداً للأسبوع عندهم، ومدته من غروب شمس يوم الجمعة إلى غروب شمس يوم السبت، وأهم شعائره الكف عن أي عمل.

جاء في سفر الخروج ٢٠/ ٨ ـ ١١: اذكر السبت لتقدِّسه، ستة أيام تعمل، وتصنع جميع عملك، وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلٰهك، لا تصنع عملاً ما، أنت وابنك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذي داخل أبوابك، لأن في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها، واستراح في اليوم السابع، لذلك بارك الرب يوم السبت وقدَّسه.

٢٣/ ١٢: ستة أيام تعمل عملك، وأما اليوم السابع ففيه تستريح، لكي يستريح ثورك وحمارك، ويتنفس ابن أمتك والغريب.

٣١/ ١٣ ـ ١٧: سبوتي تحفظونها، لأنه علامة بيني وبينكم في أجيالكم، لتعلموا أني أنا الرب الذي يقدسكم، فتحفظون السبت لأنه مقدَّس لكم، من دنَّسه يقتل قتلاً . . . لأنه في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض، وفي اليوم السابع استراح وتنفَّس.

وفي التوراة السامرية: بل سُبوتي تحفظون، إنها آية بيني وبينكم لأحيا لكم . . . مبذلها قتلاً يقتل . . . ستة أيام تصنع صناعة، وفي السابع أعطل . . . إن في ستة أيام صنع الله السموات والأرض، وفي اليوم السابع عطَّل وأراح. =

. . . .

= ٣٤/ ٢١: ستة أيام تعمل، وأما اليوم السابع فتستريح فيه، في الفلاحة والحصاد تستريح.
٣٥/ ٢ ـ ٣: ستة أيام يُعمل عمل، وأما اليوم السابع ففيه يكون لكم سبتُ عطلةٍ، مقدَّس للرب.
كل من يعمل فيه عملاً يقتل، لا تشعلوا ناراً في جميع مساكنكم يوم السبت.
وفي سفر اللَّاويين ٢٣/ ٣: ستة أيام يُعمل عمل، وأما اليوم السابع ففيه سبت عطلةٍ محفَل مقدَّس. عملاً ما لا تعملوا، إنه سبت للرب في جميع مساكنكم.
٢٣/ ٨: وسبعة أيام تقربون وقوداً للرب. في اليوم السابع يكون محفلٌ مقدس، عملاً ما من الشغل لا تعملوا.
وفي سفر العدد ١٥/ ٣٢ ـ ٣٦: ولما كان بنو إسرائيل في البرية وجدوا رجلاً يحتطب حطباً في يوم السبت، فقدَّموه إلى موسى وهارون وكل الجماعة، فوضعوه في المحرس، لأنه لم يُعلَن ماذا يُفعل به، فقال الرب لموسى: قتلاً يقتل الرجل، يرجُمه بحجارة كل الجماعة خارج المحلة، فأخرجوه ورجموه فمات.
وفي سفر التثنية ٥/ ١٢ ـ ١٥: احفظ يوم السبت لتقدسه كما أوصاك الرب إلٰهك ستة أيام تشتغل وتعمل جميع أعمالك، وأما اليوم السابع، فسبت للرب إلٰهك، لا تعمل فيه عملاً ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وثورك وحمارك وكل بهائمك ونزيلك الذي في أبوابك، لكي يستريح عبدك وأمتك مثلك.
فصار تعظيم السبت حكماً أبدياً في شريعة موسى ﷺ، وما كان لأحد أن يعمل فيه أدنى عمل، ومن عمل فيه ولم يحفظه فقد وجب قتله. وقد تكرر هذا الحكم والتأكيد عليه في مواضع كثيرة من العهد القديم، منها أيضاً سفر نَحَميا ٩/ ١٤، وإشِعْياء ٥٦/ ٧ و٣٨/ ١٣، وسفر إرمياء ١٧/ ٢١ ـ ٢٧ وغير ذلك.
وإنك لتلحظ الاختلاف بين النصوص في حكمة تعطيل العمل فيه، فأكثر الروايات تعلِّل ذلك بأن الله استراح في هذا اليوم بعد انتهائه من تكوين الخليقة، ولذلك باركه وقدَّسه. وبعض الروايات تجعل ذلك من أجل تمكين الإنسان والحيوان من الراحة بعد أسبوع من العناء، دون ارتباط صريح ومباشر بأن الله استراح في اليوم السابع.
فإن كان النهي عن العمل فيه لِعَيْن السبت، فيجب أن يكون هذا التحريم سارياً أيضاً على آدم ونوح وإبراهيم وغيرهم من الأنبياء ﷺ لأن عَيْن السبت كانت موجودة في زمانهم، وهي علَّة التحريم، وإذا كان العمل فيه غير محرم عليهم، فليس النهي لعين اليوم، ولا يمتنع أن ينسخ في زمن آخر. وهذا ما حصل. [بذل المجهود ص٢٨، ظاظا ص١٩٦].
تفنّن فقهائهم في تفسير الكف عن العمل:
وتفنن فقهاء اليهود في تفسير الكف عن العمل يوم السبت والتفريع منه، فحرموا فيه كل ما يشعر بالسعي وراء الرزق أو الانشغال بحرفة أو صناعة أو إنتاج أو بذل جهد في تحقيق معين، ولذلك حرَّموا إيقاد نار فيه، شدّدوا فشدَّد الله عليهم، وأباح بعضهم بقاء النار التي كانت مشتعلة قبل السبت كالشموع والقناديل والأفران ونحوها، وأباح الانتفاع بها. وحرَّموا أيضاً السفر في يوم السبت، لتحريم ركوب الدواب قديماً وتحريم إيقاد النار في وسائل المواصلات =

. . . .

= حديثاً. وقرروا أن عبور الجداول والأنهار والانتقال في البحر يعدُّ من السفر. وحرموا أيضاً إنفاق النقود وتسليمها، لأن فيه مشابهة بالاكتساب بين الناس، وحرموا الكتابة، لأنها تكون في عرفهم لإبرام العقود، فهي داخلة في مفهوم الشغل، ولذلك جرى العرف على ألَّا يخرج اليهودي من بيته يوم السبت إلا وقد تأكد أنه لا يحمل أوراقاً ولا أقلاماً ولا نقوداً ولا أدوات إشعال نار. وحرموا عقد الزواج لاحتياجه إلى الكتابة ودفع الأموال وقبضها والعمل في إعداد حاجات الزفاف. وتحرم عندهم الحرب الهجومية إلا أن يعلن الكاهن أن ثَمَّة خطر، فآنئذ تعد دفاعية. وهذا هو النسخ بعينه. [ظاظا ص١٦٧].

نسخ السبت بالصوم الأكبر عند التوافق:

يزعم اليهود أن الله فرض عليهم تعظيم يوم السبت في أول إعطائهم المنّ، وحرَّم عليهم فيه الصنائع العملية والمشتقات منها، وسرى التحريم إلى حميرهم وسائر بهائمهم، وأمرهم فيه بالراحة والدعة كما سلف.

ويزعمون أيضاً أن الله فرض عليهم الصوم الأكبر بعد نزول اللوحين ومخالفتهم موسى بعبادتهم العجل، فلما رفع عنهم العقاب، فرض عليهم صوم ذلك اليوم وتعظيمه.

وإذا اتفق اليومان، بأن وقع يوم الصوم الأكبر في يوم السبت، فإنهم يصومونه، مع أن في الصوم مشقة. وهذا في الحقيقة نسخ لفريضة السبت، لأنه أقدم من الصوم الأكبر. [بذل المجهود ص٣١].

نسخ السبت بالختان عند التوافق:

تنطق توراتهم بوجوب الختان في اليوم الثامن من الولادة.

فإذا اتفق ثامن يوم المولود مع يوم السبت، فلا بدَّ من أن ينسخ أحدهما الآخر، لوقوع التعارض، والمتأخر هو الذي ينسخ المتقدم. وإيجاب الختان كان أسبق. [تنقيح الأبحاث ص٤٧].

المسيح يُفحم اليهود:

جاء في إنجيل متى ١٢/١ ـ ١٢، وفي مرقس ٢/٢٣ ـ ٢٧ و٣/١ ـ ٦، وفي لوقا ٦/١١ أن المسيح ﷺ مرَّ يوم السبت بين الحقول. فجاع تلاميذه، فأخذوا يقطفون السنابل ويفركونها بأيديهم ويأكلون. فلما رآهم الفرِّيسيون قالوا ليسوع: تلاميذك يعملون ما لا يحلُّ في يوم السبت. فقال لهم: أما قرأتم ما عمل داود عندما جاع هو ورجاله؟ كيف دخل بيت الله في أيام أبياتار رئيس الكهنة، فأكل خبز القربان، وأعطى منه رجاله، وأكله لا يحل لهم، بل للكهنة وحدهم؟ ـ زاد في متى: أو ما قرأتم في شريعة موسى أن الكهنة في السبت ينتهكون حرمة السبت في الهيكل، ولا لوم عليهم؟ أقول لكم: هنا ما هو أعظم من الهيكل. وفي مرقس: وقال يسوع: الله جعل السبت للإنسان، وما جعل الإنسان للسبت ـ ورجع من هناك إلى مجمعهم. ـ وعند لوقا: وفي سبت آخر دخل المجمع وأخذ يعلِّم ـ فوجد رجلاً يده اليمنى يابسة، فسألوه ليتهموه: أيحل الشفاء في يوم السبت؟ فأجابهم: من منكم له خروف واحد، ووقع في حفرة يوم السبت، ألا يمسكه ويخرجه؟ والإنسان كم هو أفضل من الخروف؟ لذلك =

= يحل عمل الخير يوم السبت ـ وفي مرقس ولوقا: فراقب معلّمو الشريعة والفريسيون يسوع ليروا هل يشفي في السبت، فيجدوا ما يتهمونه به. زاد لوقا: وعرف يسوع أفكارهم ـ فقال للرجل الذي يده يابسة: قِفْ في وسط المجمع، وقال للحاضرين: أيحل في السبت عمل الخير أم عمل الشر؟ وإنقاذ نفس أم إهلاكها؟ فسكتوا. فأجال نظره فيهم جميعاً وهو غاضب حزين لقساوة قلوبهم، وقال للرجل: مُدَّ يدك، فمدها فعادت صحيحة كالأخرى. فخرج الفرّيسيون وتشاوروا مع الهيرودسيين ليقتلوا يسوع.

وفي إنجيل يوحنا ٥/٥ ـ ١٦: وكان هناك رجل مريض من ثمان وثلاثين سنة، فلما رآه يسوع مُسْتَلْقياً عرف أن له مدة طويلة على هذه الحال... فقال له: قم واحمل فراشك وامش، فتعافى الرجل في الحال، وحمل فراشه ومشى، وكان ذلك يوم السبت، فقال اليهود للذي تعافى: هذا يوم السبت، فلا يحلُّ لك أن تحمل فراشك. فأجابهم: الذي شفاني قال لي: احمل فراشك... فأخذ اليهود يضطهدون يسوع، ويطلبون أن يقتلوه، لأنه كان يفعل ذلك يوم السبت.

ويظهر ـ والله أعلم ـ أن المسيح ﷺ إنما أنكر عليهم الغلو والتشدُّد في أمر السبت، ولم ينكر تعظيمه، أو بين لهم أنه بعث ليخفف عنهم بعض الذي فرض أو حرم عليهم عقوبة لهم، لكنهم لم يفهموا ذلك. ثم جاء بعد رفعه إلى السماء بولس، فأسقط تعظيم السبت، وغَيَّر وبدَّل في دين المسيح، ونسخ جميع الأحكام.

جاء في رسالته إلى أهل كولوسي ١٦/٢ ـ ١٧: لا يحكم عليكم أحد في المأكول والمشروب، أو في الأعياد والأهلّة والسُّبوت، فما هذه كلها إلا ظل الأمور المستقبلة، أما الحقيقة فهي في المسيح.

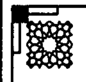
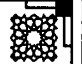
وقد ظهر من الأمثلة السابقة جميعها ما يلي:

١ ـ إن نسخ بعض الأحكام في شريعة سابقة بشريعة لاحقة، لم تنفرد بها شريعة محمد ﷺ؛ بل كان معروفاً في الشرائع السابقة كلها.

٢ ـ إن كثيراً من الأحكام العملية في التوراة نُسخت ببعثة المسيح ﷺ، أما بولس فقد صرح بنسخ جميع الأحكام حتى الأبديَّة.

٣ ـ إنما يقع الإشكال في نسخ الأحكام التي جاء التصريح بأنها أبدية، أو يجب رعايتها طبقة بعد طبقة. وهذا ما حصل مع اليهود. مما يدل على وقوع التحريف والدسّ.

٤ ـ من العجيب أن أهل الكتاب من يهود ونصارى يعيبون على المسلمين وجود نسخ بعض الأحكام في شريعتهم، مع أن أسفار العهد القديم التي يزعمون أنها وحي ناطقة بإخلاف الله وعده، وبندمه على أفعال قام بها. وهذا هو البَداء بعينه كما سنرى، تعالَى الله عن ذلك علواً كبيراً.

الفرع الثاني

إقرار اليهود بالبَداء

* * * * *

[حقيقة البداء ووقوعه في توراتهم]

وفي توراتهم البداء الذي هو أشد من النسخ(١).

○ [الإله يستجيب لموسى في العفو بعد أن قرر إفناء بني إسرائيل]:

وذلك أنّ فيها أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام: سأهلك هذه الأمة، وأقدمك على أمة أخرى عظيمة، فلم يزل موسى يرغب إلى الله تعالى في أن لا يفعل ذلك حتى أجابه وأمسك عنهم. فقد ذكروا أن الله عز وجل قال لموسى: دَعْني أغضب عليهم وأهلكهم وأُقْدِمك على أمة عظيمة، وأن موسى رغب إليه وقال له: تذكَّر إبراهيم وإسرائيل وإسحاق عبيدك الذين خلقتهم بيدك، وقلت لهم: سأكثر ذريتكم

---

(١) البَداء لغة: الظهور والإبانة. قال تعالىٰ: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٨] ويطلق ويراد به تغير الإرادة وتبديل العزم تبعاً لتغير العلم.

واصطلاحاً: له معان كثيرة منها: البداء في العلم: وهو أن يظهر له خلاف ما علم، والبداء في الإرادة: وهو أن يظهر له صواب على خلاف ما أراد وحكم، والبداء في الأمر: وهو أن يأمر بشيء ثم يأمر بخلافه. وتدور كلها حول تغير الرأي لظهور أمر لم يكن في الحسبان.

وكل هذه المعاني لا تليق بذات الله؛ لأنها انتقاص من علمه وإرادته وكماله المطلق. بخلاف النسخ، فإنه كان مشترطاً في التقدير منذ الأزل كما سلف، وليس هو الانتقال من عزيمة إلى عزيمة، ولا من تعقُّب الرأي. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وتوراة اليهود ملأى بوصف الله بالبداء، فقد نسبوا إليه سبحانه الهم بالفعل ثم العدول عنه، كما نسبوا إليه الندم والحزن على أفعال كان قد فعلها. فإذا كان علم الله وإرادته وأمره ونهيه مضطربة ومتغيِّرة على الشكل الذي يصفونه، فليس هناك شيء أكثر هجوماً على ذات الله، وأكثر هَدْماً لصفاته من توراتهم. وإليك الأمثلة.

حتى يكونوا كنجوم السماء، وأورثهم جميع هذه الأرض التي وعدتهم بها ويملكونها. فَحَنَّ السيد، ولم يتم ما كان أراد إنزاله من المكروه بأمته[1].

---

[1] جاء في سفر الخروج ٣٢/ ٩ ـ ١٤ أن الرب قال لموسى بعد أن عبد قومه العجل: رأيت هذا الشعب، وإذا هو شعب صَلْب الرقبة، فالآن اتركني ليحمى غضبي عليهم وأفنيهم، فأصيِّرك شعباً عظيماً ـ وعند الكاثوليك: وأجعلك أنت أمة عظيمة ـ فتضرع موسى أمام الرب إلٰهه وقال: يا رب، لِمَ يحمَى غضبك على شعبك الذي أخرجته من مصر بقوة عظيمة ويد شديدة؟ لماذا يتكلم المصريون قائلين: أخرجهم بخبث ليقتلهم في الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض؟! ارجع عن حمو غضبك، واندم عن الشر بشعبك ـ وعند الكاثوليك: وعُدْ عن مساءة شعبك ـ اذكر إبراهيم وإسحاق وإسرائيل عبيدك الذين حَلَفْتَ لهم بنفسك، وقلت لهم: أكثِّر نسلكم كنجوم السماء، وأعطي نسلكم كل هذه الأرض التي تكلَّمتُ عنها، فيملكونها إلى الأبد. فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه.

وفي سفر العدد ١٤/ ١١ ـ ٢٠ أن الرب قال لموسى بعد أن امتنع قومه عن الدخول إلى الأرض الموعودة: حتى متى يهينني هذا الشعب؟ وحتى متى لا يصدقونني بجميع الآيات التي عملت في وسطهم؟ إني أضربهم بالوباء، وأبيدهم، وأصيرك شعباً أكبر وأعظم منهم. فقال موسى: فيسمع المصريون الذي أصعدتَ بقوتك هذا الشعب من وسطهم... فإن قتلت هذا الشعب كرجل واحد يتكلم الشعوب الذين سمعوا بخبرك قائلين: لأن الرب لم يقدر أن يدخل هذا الشعب إلى الأرض التي حلف لهم، قتلهم في القفر، فالآن لتعظُم قوة سيدي... اصفح عن ذنب هذا الشعب كعظمة نعمتك، وكما غفرتَ له من مصر إلى ههنا. فقال الرب: قد صفحت حَسَب قولك.

والطريف في هذين النصَّين أنهم جعلوا موسى ﵇، وهم يصفونه بحدَّة الطبع أحلَمَ من ربه وأبصر بعواقب الأمور، ولذلك لم يتركه يُفني الشعب، بل ذكره بيمينه وعهده لآبائهم، وبشماتة الناس فيهم، فهدأ غضبه وعدل عن إبادتهم.

والعبارات في التوراة السامرية ألطف من عبارات العبرانية نوعاً ما وإن كانت لا تليق بمخاطبة الله ﷻ. فقد جاء فيها: وعلى هارون تواجد الله جداً لاستئصاله ـ أي بسبب صنعه العجل ودعوة بني إسرائيل لعبادته كما يزعمون ـ فشفع موسى بسبب هارون، وابتهل في حضرة الله إلٰهه وقال: لا يا الله يشتد وجدك على قومك الذين أخرجتهم من مصر.. عُدْ عن حمية وجدك، واصفح عن سيئة قومك.

ونسبوا إليه الندم على خلقه البشر:

فقد زعموا أن الله تعالى لما رأى فساد البشر في الأرض وأنَّ شرهم قد عظم، ندم على خلقه إياهم، وشقَّ عليه ذلك.

جاء في سفر التكوين ٦/ ٥ ـ ٧: ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شر كل يوم، فحزن ـ وعند الكاثوليك: فندم ـ الرب أنه عمل الإنسان في الأرض، وتأسَّف في قلبه. فقال الرب: أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي =

. . . .

= خلقته مع البهائم والدبابات وطير السماء، لأني حزنت ـ وعند الكاثوليك: ندمت ـ أني عملتهم.

وهذا يعني أن الله سبحانه لم يكن يدرك عندما خلق الإنسان أن فساد البشر في الأرض سيكثر بهذا الشكل، فندم على خلقه إياهم بعد أن تفلت الأمر منه، ورأى كثرة شرورهم، فعزم على إبادتهم.

والعبارات في التوراة السامرية ألطف قليلاً، فقد جاء فيها: «ونظر الله أنْ كثرت سيئات الإنسان في الأرض. . . وتواجد الله لما صنع الناس في الأرض، واشتد على خصيصه وقال: أمحو الناس الذي خلقت من على وجه الأرض، من إنسان إلى بهيمة إلى دبيب إلى طير السماء، إذ تواجدت لما صنعتهم.

ونسبوا إليه الندم على إغراقه قوم نوح بالطوفان:

جاء في سفر التكوين ٦/ ١١ ـ ١٤: وفسدت الأرض أمام الله، وامتلأت الأرض ظلماً، ورأى الله الأرض، فإذا هي قد فسدت، إذ كان كل بشر قد أفسد طريقه على الأرض. فقال الله لنوح: نهاية كل بشر قد أتت أمامي، لأن الأرض امتلأت ظلماً منهم، فهأنا مهلكهم مع الأرض، اصنع لنفسك فُلْكاً من خشب جُفْر. . .

والطريف في هذا النص استخدام (إذا) الفجائية، وسيأتي ما هو أطرف.

٦/ ١٧: فهأنا آتٍ بطوفان الماء على الأرض، لأهلك كل جسد فيه روح حياة تحت السماء، كل ما في الأرض يموت.

٧/ ١ ـ ١٠: وقال الله لنوح: ادخل أنت وجميع بنيك إلى الفُلك. . . لأني بعد سبعة أيام أمطر على الأرض أربعين يوماً وأربعين ليلة، وأمحو عن وجه الأرض كل قائم عملتُه. . . وحدث بعد السبعة أيام أن مياه الطوفان صارت على الأرض.

٧/ ٢١: فمات كل ذي جسد يدب على الأرض من الطيور والبهائم والوحوش وكل الزحافات التي كانت تزحف على الأرض وجميع الناس.

٨/ ٢٠ ـ ٢٢: وبنى نوح مذبحاً للرب ـ أي بعد أن ذهبت المياه وغادر السفينة ـ وأخذ من كل البهائم الطاهرة، ومن كل الطيور الطاهرة، وأصعد مُحرقات على المذبح، فتنسم الرب رائحة الرضى، وقال في قلبه ـ وعند الكاثوليك: في نفسه ـ: لا أعود ألعن الأرض أيضاً من أجل الإنسان، لأن تصوُّر قلب الإنسان شرير منذ حداثته، ولا أعود أميت كل حي كما فعلت.

إذاً فقد ندم على ما فعله بالبشر والبهائم والطيور، وعزم على ألّا يعود لمثلها أبداً بعد أن تنسم رائحة القرابين، وزعموا أيضاً في تلمودهم أن الله سبحانه بكى على ما فعله بالبشر وسائر ذوات الأرواح، وعضَّ أنامله حتى رمدت عيناه، فعادته الملائكة وواسته. [هداية الحيارىٰ ص٥٨٣ ـ ٥٩٠].

وأدهَى من ذلك وأَمَرّ زعمُهم أن الله سبحانه خشي أن يأخذه الغضب ثانية فينسى، ولذلك اتخذ لنفسه علامة تذكّره، لئلا يهلك البشر مرة أخرىٰ مع غيرهم. =

= جاء في سفر التكوين ٩/٨ ـ ١١: وكلَّم الله نوحاً وبنيه قائلاً: هأنا مقيم ميثاقي معكم ومع نسلكم من بعدكم، ومع كل ذوات الأنفس الحية التي معكم... فلا ينقرض كل ذي جسد أيضاً بمياه الطوفان، ولا يكون أيضاً طوفان ليخرب الأرض.

٩/١٣ ـ ١٧: وقال الله: هذه علامة الميثاق الذي أنا واضعُه بيني وبينكم وبين كل ذوات الأنفس إلى أجيال الدهر، وضعت قوسي في السحاب، فتكون علامة ميثاق بيني وبين الأرض، فيكون متى أنشر سحاباً على الأرض، وتظهر القوس في السحاب، أني أذكر ميثاقي الذي بيني وبينكم وبين كل نفس حيَّة في كل جسد، فلا تكون أيضاً المياه طوفاناً لتهلك كل ذي جسد، فمتى كان القوس في السحاب أبصرها لأذكر ميثاقاً أبدياً بين الله وبين كل نفس حية.

وفي التوراة السامرية: قَوْسي أجعل في الغمام، لتكون آية عهد بيني وبين الأرض، ويكون عند تغميمي غماماً على الأرض، ويُنظر القوس في الغمام أراعي عهدي الذي بيني وبينكم... ويكون القوس في الغمام، وينظر تذكار عهد الدهر بيني وبين كل النفس الحيوانية من كل البشر على الأرض.

إذاً، فقد اتهموه بإقراره على نفسه بالغفلة والنسيان، وحاجته إلى علامة تذكره بميثاقه الذي قطعه على نفسه بأن لا يهلك البشر بطوفان هلاكاً جماعياً مرة ثانية، فاتخذ قوس قزح ليذكره، غير أننا لا زلنا نسمع عن الفيضانات الكثيرة والكبيرة التي تشرِّد الملايين من البشر، وتهلك الحرث والنسل، ولا سيما في قارتي آسيا وأمريكا، فهل القوس هو العلامة التي تذكره بميثاقه؟

ونسبوا إليه الندم على تسليط أعداء بني إسرائيل عليهم:

جاء في سفر القضاة ٢/١١ ـ ١٢: وفعل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب، وعبدوا البعليم، وتركوا الرب إله آبائهم، وساروا وراء آلهة أخرى...

٢/١٤ ـ ١٥: فحمي غضب الرب على إسرائيل، فدفعهم بأيدي ناهبيهم نهبوهم، وباعهم بيد أعدائهم حولهم... حيثما خرجوا كانت يد الرب عليهم للشر، فضاق بهم الأمر جداً.

٢/١٦ ـ ٢٠: وأقام لهم الرب قضاة فخلَّصوهم من يد ناهبيهم، ولقضاتهم أيضاً لم يسمعوا، بل زَنَوا وراء آلهة أخرى وسجدوا لها... وحينما أقام الرب لهم قضاة كان الرب مع القاضي، وخلصهم من يد أعدائهم كل أيام القاضي، لأنَّ الربَّ ندم من أجل أنينهم بسبب مضايقيهم وزاحميهم. وعند موت القاضي كانوا يرجعون ويَفْسُدون أكثر من آبائهم بالذهاب وراء آلهة أخرى... فحمي غضب الرب على إسرائيل.

إذاً، فقد غضب عليهم لكفرهم، فسلَّط عليهم أعداءهم، ثم ندم من أجل أنينهم، ثم عاد فغضب عليهم. فهل هناك تجهيل للرب سبحانه بأكثر من هذا؟!

ونحو ذلك ما جاء في المزمور ١٠٦/ ٤٠ ـ ٤٦: فحمي غضب الرب على شعبه، وكره ميراثه، وأسلمهم ليد الأمم، وتسلَّط عليهم مبغضوهم، وضغطهم أعداؤهم، فذلوا تحت يدهم، مرات كثيرة أنقذهم، أما هم فعصَوه بمشورتهم، وانحطُّوا بإثمهم، فنظر إلى ضيقهم إذ سمع صراخهم، وذكر لهم عهده، وندم حسب كثرة رحمته، وأعطاهم نعمة قُدَّام كل الذين سَبَوهم. =

. . . .

= **ونسبوا إليه الندم على تمليك شاول:**

جاء في سفر صموئيل الأول ١٥/ ١٠ ـ ١١: وكان كلام الرب إلى صموئيل قائلاً: ندمتُ على أني جعلتُ شاولَ ملكاً، لأنه رجع من ورائي ولم يعم كلامي.

١٥/ ٢٥: ولم يعد صموئيل لرؤية شاول إلى يوم موته، لأن صموئيل ناح على شاول، والرب ندم لأنه ملَّك شاول على إسرائيل.

١٥/ ٣٥: والربُّ ندم لأنه ملك شاول على إسرائيل.

وإن المفكر ليعجب كيف يندم على تمليكه، وهو الذي قد اختاره للملك ونبأه مع زمرة الأنبياء، وأحلَّ روحه عليه بعد أن أعطاه قلباً آخر!

جاء في صموئيل الأول ٩/ ١٥: والرب كشف أذن صموئيل قبل مجيء شاول بيوم قائلاً: غداً في مثل الآن أرسل إليك رجلاً من أرض بنيامين، فامسحه رئيساً لشعبي.

وفي ١٠/ ٥ ـ ٧: أن صموئيل قال لشاول: ويكون عند مجيئك إلى المدينة أنك تصادف زمرة من الأنبياء نازلين. . . فيحل عليك روح الله، فتتنبأ معهم، وتتحول إلى رجل آخر، وإذا أتت هذه الآيات عليك فافعل ما وجَدَتْه يدك، لأن الله معك.

١٠/ ٩ ـ ١٠: وكان عندما أدار كتفه لكي يذهب من عند صموئيل أن الله أعطاه قلباً آخر، وأتت الآيات في ذلك اليوم. ولما جاء إلى هناك إذا بزُمْرة من الأنبياء لقيته، فحلّ عليه روح الله، فتنبأ في وسطهم.

ونسبوا إليه الندم بعد إهلاكه الكثيرين من بني إسرائيل:

جاء في سفر صموئيل الثاني ٢٤/ ١٥ ـ ١٦، وفي أخبار الأيام الأول ٢١/ ١٤ ـ ١٥: فجعل الرب وَبَأً في إسرائيل من الصباح إلى الميعاد، فمات من الشعب من دان إلى بئر سبع سبعون ألف رجل، وبسط الملاك يده على أورشليم ليهلكها ـ زاد في أخبار الأيام: وفيما هو يهلك رأى الرب ـ فندم الرب عن الشر، وقال للملاك المهلك: كفى الآن، ردَّ يدك.

فما الشر الذي ندم عليه؟ هل كان حكمه الأول ظلماً فندم عليه؟ أو ظهرت له أدلة جديدة لم تكن في الحسبان قطعت ببراءتهم، فأمر الملك بإيقاف التنفيذ؟

ونسبوا إليه الندم على همه بإهلاك قوم يونس:

جاء في سفر يونان ١/ ١ ـ ٢: وصار قول الرب إلى يونان بن أمِتّاي: قُمْ اذهب إلى نِينوى المدينة العظيمة، ونادِ عليها، لأنه قد صعد شرهم أمامي.

٣/ ٣ ـ ٥: فقام يونان إلى نينوى، ونادى وقال: بعد أربعين يوماً تنقلب نينوى. فآمن أهل نينوى بالله، ونادَوا بصوم ولبسوا مسوحاً من كبيرهم إلى صغيرهم.

وفي ٣/ ٩ ـ ١٠ أن ملك نينوى قال: لعل الله يعود ويندم ويرجع عن حمو غضبه فلا نهلك. فلما رأى الله أعمالهم أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة، ندم على الشر الذي تكلم أنه يصنعه بهم، فلم يصنعه.

٤/ ٢: وصلَّى ـ أي يونان ـ إلى الرب وقال: آه يا رب، أليس هذا كلامي إذ كنت بعد في أرضي؟ لذلك بادرت إلى الهرب إلى ترشيس، لأني علمت أنك رؤوف ورحيم، بطيء =

. . . .

= الغضب وكثير الرحمة ونادم على الشر.

ونسبوا إليه الندم أيضاً على الهم بإهلاك قوم إرمياء:

جاء في إرمياء ٢٦/ ٢ ـ ٣: لا تُنقص كلمة، لعلهم يسمعون ويرجعون، كل واحد عن طريقه الشرير فأندم عن الشر الذي قصدت أن أصنعه بهم من أجل شر أعمالهم.

١٣/٢٦: فالآن أصلحوا طرقكم وأعمالكم واسمعوا لصوت الرب إلهكم، فيندم عن الشر الذي تكلم به عليكم.

١٩/٢٦: فندم الربُّ عن الشر الذي تكلم به عليهم.

وفي عاموس ٣/٧: فندم الرب على هذا، لا يكون قال الرب.

وهذا غيض من فيض مما في توراتهم من وصف الله سبحانه بصفة الجهل بعواقب الأمور ثم الندم على الفعل أو على الهم بالفعل. والأعجب من هذا أنهم يعبِّرون عن عقوبته للظالمين بالشر. والترجمة التي أنقل النصوص منها للبروتستانت، وهي حرفية تقريباً، مع أن في توراتهم نصاً ـ لعله من بقايا الوحي ـ ينفي صفة الندم عن الله وغير ذلك من النقائص.

جاء في سفر العدد ١٩/٢٣: ليس الله إنساناً فيكذب، ولا ابن إنسان فيندم. هل يقول ولا يفعل؟ أو يتكلم ولا يفي؟

وهذا فيما يزعمون أنه التوراة، **أما أسفار التلمود فحدِّث ولا حَرَج عن وصفها لله سبحانه بكثير من صفات النقص،** فالتلمود يصف حالة الإله بعد هدم الهيكل وتشريد بني إسرائيل بصورة مُزْرية. كما سيأتي إن شاء الله في القسم الخامس. ويقرر التلمود كذلك أن الله سبحانه قد تستولي عليه نَزْوة غضب، فيقسم ليأتين بأفعال شريرة أو فيها ظلم، ثم يثوب إلى رشده، فيتحلل من يمينه، فقد غضب على بني إسرائيل مرة فأقسم أن يبيدهم، لكنه ندم على ذلك بعد أن هدأ غضبه، فرجع عن عزمه وتحلَّل من يمينه. [وانظر: بذل المجهود في إفحام اليهود ص١١ ـ ١٢ و٤٠ ـ ٤٢].

وقد حاول بعض اليهود أن يحمل تلك النصوص وأمثالها على المجاز، قال ابن كمونة اليهودي في كتابه تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث ص٣٤ ـ ٣٥: من يفعل ما يفعله النادم منَّا يسمَّى نادماً بالمجاز، وقد نطقت التوراة وكتب النبوات بأن الله لا يصح عليه الندم، فلا بدَّ من حمل الندم المنسوب إليه على التأويل بما قلناه، وذلك أنه لما أهلك الخلائق بالطوفان، أخبر قبل ذلك أنه يهلكهم، وعبَّر عن ذلك بأنه ندم على خلقهم، تمثيلاً بمن يندم على شيء فعله. ثم قال: وعلى مثل هذا تأويل كل ما ورد من ذلك بما يناسبه في كتب سائر الأنبياء على ملَّة موسى، وفي كتب الأحبار والعلماء.

قلت: وما أقبح هذا المجاز، فإن نسبة الندم إلى الله تعالى نقيصة تدل على الجهل يتنزه عنها، سواء كانت حقيقة أو مجازاً، ومهما حاولوا ستر هذه العورات والتشبث بالمجاز وغيره، فلن يغنيهم من الحق والواقع شيئاً، وقد اتسع الخرق على الراقع.

أما النصارى، وهم يعتقدون بهذه الأسفار، فقد خرجوا بتقليعة أخرى، فيزعمون أن الله سبحانه إنما أراد أن يخاطب الإنسان على قدر إدراكه، ليدرك طبيعة الله وشريعته، وفي حدود =

قال أبو محمد رَحِمَهُ اللَّهُ: في هذا الفصل عجائب:

• أحدها: إخباره بأن الله تعالى لم يتم ما أراد إنزاله من المكروه بهم، وكيف يجوز أن يريد الله ﷻ إهلاك قوم قد تقدم وعده لهم بأمور، ولم يتمها بعد؟! وحاشَ لله من أن يريد إخلاف وعده، فيريد الكذب.

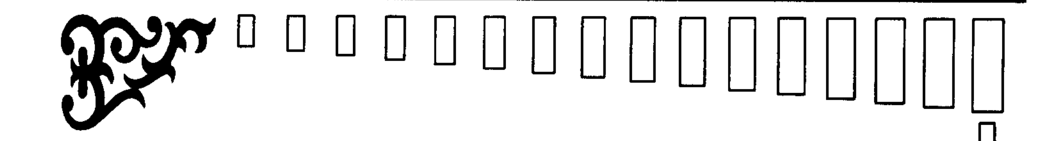
• وثانيها: نسبتهم البداء إلى الله ﷻ، وحاشَ لله من ذلك، والعجيب من إنكار من أنكر النسخ بعد هذا، ولا نكرة في النسخ، لأنه فعل من أفعال الله، أتبعه بفعل آخر من أفعاله، مما قد سبق في علمه كونه كذلك، وهذه صفة كل ما في العالم من أفعاله تعالى، وأما البداء فمن صفات من يهم بالشيء، ثم يبدو له غيره، وهذه صفة المخلوقين، وليست صفة من لم يزل، ولا يخفى عليه شيء في المستأنف.

• وثالثها: قوله فيها: (ويملكونها) وهذا كذب ظاهر، ما ملكوها إلا مدة، ثم خرجوا عنها إلى الأبد، واللهُ تعالى لا يكذب ولا يخلف وعده.

= منطقه، ليستوعب تعاليمه ووصاياه، فالله إنما قصد بذلك مخاطبة الناس بما يفهمونه. [اليهود لزكي شنودة ص٤٠٢ ـ ٤٠٣].

ويقول زكي شنودة ص٤٠٨: أراد الله أن يكون كلامه إلى اليهود قريباً من أفهامهم، فتنازل وخاطبهم باللغة التي يفهمونها، وأراد أن يكون تصويره لنفسه قريباً من إدراكهم، فتنازل وأعطى لهم الصورة التي يمكن أن يتصوروها، لعلهم يدركون طبيعته، ويعرفون شريعته، ويسيرون على مقتضى أحكامه.

ويعيب على اليهود أنهم لِعَمى أبصارهم وغِلْظة مشاعرهم وغَباء قلوبهم، ظَنُّوا أن الله ليس إلا واحداً من تلك الآلهة الزائفة التي تتمثل في صورة الإنسان أو الحيوان أو غير ذلك من الكائنات التي كان جيرانهم الوثنيون يعبدونها، ومن ثم أخذوا أقوال التوراة على ظاهرها غافلين عن جوهرها وفحواها، وتمسكوا بحرفيتها، متعامين عن روحها ودلالتها ومرماها.



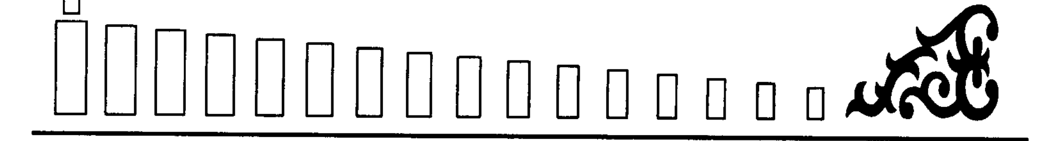
القسم الرابع

افتراؤهم على الأنبياء

ـ قال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧].

ـ وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١].

ـ وقال جل شأنه: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: ٧٠].



[توطئة في صفات الأنبياء]

وتالله ما رأيت أمةً تقرُّ بالنبوة، وتنسب إلى الأنبياء ما ينسبه هؤلاء الأنذال الكَفَرة[1].

---

[1] النبوَّة ضرورية في حياة البشر، لا معدلَ عنها ولا مَحيد، ويذكر التاريخ، وينقل الناس عن بعضهم أنَّ الأنبياء كانوا ممن اشتهروا في قومهم بالصدق والأمانة والعفَّة وحسن السيرة، حتى إنَّ من عرفهم عن قرب أو خالطهم وصفهم بأنهم صَفْوة بني الإنسان والمَثَلُ الأعلى له، وثَمَّة صفات لا بدَّ من تحققها في كل نبي، أهمها ما يلي:

١ ـ العصمة: وهي لغة: المنع والحفظ، وشرعاً: لطف من الله يحمل النبي على فعل الخير، ويحفظه من فعل الشر، مع بقاء الدافع والاختيار، ويشمل ذلك ما يلي:

أ ـ العصمة من الكفر والفواحش.

ب ـ العصمة من الخطأ والنسيان في تبليغ الرسالة وأدائها.

٢ ـ الصدق والأمانة: وهاتان الصفتان وإن كانتا ضروريتين في جميع البشر، غير أنهما في الأنبياء أشد ضرورة وألزم.

فلا يمكن أن يصدر عن النبي ما يخلُّ بالمروءة أو يهدر الكرامة، كالكذب والغش والخيانة والغدر وأكل أموال الناس بالباطل وغير ذلك من الصفات القبيحة التي تنفر الناس من اتباعهم وتصديقهم.

٣ ـ الفطانة: وهي الذكاء والنباهة مع كمال الرشد وسرعة الإدراك وحضور البديهة وقوة الحجة.

٤ ـ السلامة من العيوب البدنيَّة المنفِّرة: كالقصر الفاحش أو الطول الشديد النابي أو التشوّه في الخلقة ونحو ذلك مما يجعل الناس ينفرون منهم، ويأنفون من الاستماع لدعوتهم.

غير أن أسفار العهد القديم تنسب إلى الأنبياء من الأعمال الفاحشة الشنيعة ما يتنافى مع وضعهم الديني والاجتماعي، ويستحيل عقلاً وشرعاً أن يصدر عنهم، بل إنه ليتنافَى مع الخلق الكريم وقواعد المروءة، ولا يتصور وقوعه عادة إلا من سفلة الناس، مما يدل على أن هذه الأسفار قد لعبت بها الأقلام لعباً كثيراً وكبيراً. ومن هذه الافتراءات ما يلي:

اتهام نوح بالسُّكْر والتعرِّي والظلم في الدعاء:

جاء في سفر التكوين ٩/ ٢٠ ـ ٢٧: وابتدأ نوح يكون فلاحاً، وغرس كرماً، وشرب من الخمر فسكر، وتعرَّى داخل خبائه، فأبصر حام أبو كنعان عَوْرة أبيه، وأخبر أَخَويه خارجاً، فأخذ سام ويافث الرداء، ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء، وسترا عورة أبيهما، ووجهاهما إلى الوراء، فلم يبصرا عورة أبيهما، فلما أفاق نوح من خَمْره، علم ما فعل به ابنه =



إخراج إبراهيم من أتُّون الكلدانيين إلى بلد آمن

ومنها أن الله تعالى قال لإبراهيم ﷺ: أنا الله الذي أخرجتك من أتون الكلدانيين لأعطيك من هذا البلد حوزاً. فقال له إبراهيم: يا ربّ بماذا أعرف أني أرث هذا البلد؟[1].

قال أبو محمد رحمه الله: حاش لله أن يقول إبراهيم ﷺ لربه هذا الكلام،

= الصغير، فقال: ملعون كنعان، عبد العبيد يكون لإخوته، وقال: مبارك الرب إله سام، وليكن كنعان عبداً لهم، ليفتح الله ليافث، فيسكن في مساكن سام، وليكن كنعان عبداً لهم.

وهكذا اتهموا نبي الله ﷺ بالإفراط في الشرب، حتى سكر وأضاع رشده، فلم يَعُد يعي ما يفعل، ولذلك تعرى داخل خبائه دون أن يسدّ المنافذ، فأبصر ابنه حام عورته وأخبر أخويه، فكان منهما ما كان.

وإن العاقل ليتساءل: ما ذنب كنعان ليلعنه جده لو فرضنا أن أباه قد أخطأ؟ إن كان ثَمَّة خطأ يستحق صاحبه اللعن، فليكن على مرتكبه دون أولاده، هذا من ناحية، ومن ناحية لِمَ اختص كنعان بن حام باللعن دون إخوته؟! فإن لحامٍ أبناء آخرين، وهم كوش ومصرايم وفوط كما في التكوين ٦/١٠، فلم خصَّ نوح كنعان وحْده باللعن دون سائر إخوته؟! وأيضاً ما الخطأ الذي ارتكبه حام؟ ليس في القصة أنه تلصَّص على أبيه واسترق النظر، بل كل ما في الأمر أنه أبصر أباه عارياً، سواء كان ذلك مصادفة أو عن قصد، فخشي أن يخرج من خبائه على تلك الحالة، فأخبر أخويه الكبيرين ليتداركا الأمر، وقد تداركاه فعلاً حسب الرواية، فهل كان الأولى به أن يسكت؟ ولو كان سيئ النية وأراد السخرية من أبيه لما أخبر أخويه، ولو كان إخباره لهما على وجه التهكم لزجراه فوراً، لكن ليس في القصة ما يدل على ذلك.

ومن الواضح أن اليهود إنما أرادوا من اتهام نوح ﷺ بهذه الفرية أن يثبتوا حقَّهم في أرض الكنعانيين، فلوَّثوا صورة النبي الكريم ليحققوا إرْبهم، وسبق في القسم الثاني أن هذا الدعاء وهذا اللعن لم يتحقق منه شيء.

[1] جاء في سفر التكوين ١٥/٧ ـ ٨: وقال له: أنا الرب الذي أخرجك من أُور الكلدانيين ليعطيك هذه الأرض لترثها. فقال: أيها السيد الرب بماذا أعلم أني أرثها؟

وأراد النصارى تلطيف ذلك فجاء في حواشي الكتاب المقدس ص٢: «لا شك عند إبراهيم في مواعيد الرب، إلا أنه استخبر الله عن كيفية وقوع الأمر مثلما استعلمت مريم العذراء من الملاك جبرائيل: كيف تحبل وتبقى بتولاً».

جاء في لوقا ١/٢٤: فقالت مريم للملاك: كيف يكون هذا، وأنا لست أعرف رجلاً؟!

فهذا كلام من لم يثق بخبر الله ﷻ حتى طلب على ذلك برهاناً.

فإن قال قائل جاهل: ففي القرآن: ﴿... قَالَ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾[1] وأن زكريا عليه السلام قال لله تعالى إذ وعده بابن يسمّىٰ يحيىٰ: ﴿رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾[2]. قلنا: بين المراجعات المذكورة فَرْق كما بين المشرق والمغرب. أمّا طلب إبراهيم عليه السلام رؤية إحياء الموتى، فإنما طلب ذلك ليطمئن قلبه المنازع له إلى رؤية الكيفية في ذلك فقط. بيان ذلك قوله تعالى له: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾، فواضح أن إبراهيم لم يطلب ذلك برهاناً على شك أزاله عن نفسه، لكن ليرى الهيئة فقط. أما زكريا عليه السلام فإنما طلب آية تكون له عند الناس لئلا يكذبوه، هذا نص كلامه. والذي ذكروه عن إبراهيم عليه السلام كلام شاكٍّ يطلب برهاناً يعرف به صحة وعد ربِّه له. تعالى الله عن ذلك، وحاش لإبراهيم منه.

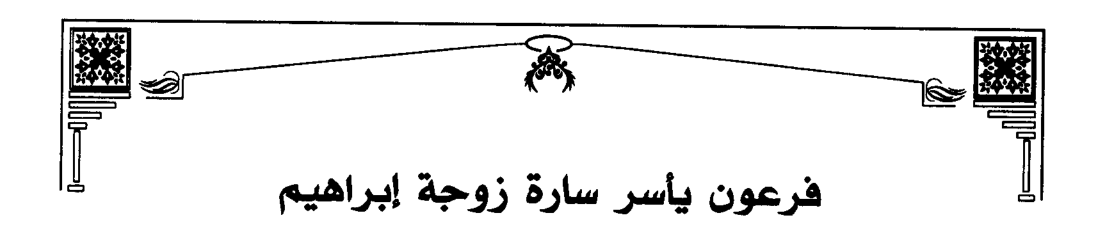
---

[1] قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠].

سأل إبراهيم عليه السلام عن الكيفية مع إيمانه الجازم بالقدرة الربانية، فكان يريد أن يعلم بالعيان ما كان يوقن به بالوجدان، فقال: أرني بعيني كيفية إحيائك الموتى، لهذا خاطبه ربُّه بقوله: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ أي: ألم يوحَ إليك بذلك وقد آمنت؟ ﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن﴾ أردتُ أن أزداد بصيرة وسكون قلب برؤية ذلك. وليس في الكلام ما يشعر بالشك، فإنه ما من أحد إلا وهو يؤمن بأمور كثيرة إيماناً جازماً، وهو لا يعرف كيفيتها، ويود لو يعرفها. [الصفوة ١/١٦٦، المنار ٣/ ٥٣ ـ ٥٤].

[2] قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ [آل عمران: ٣٨ ـ ٤١].

فهو عليه السلام قد دعا ربه أن يهب له ذرية طيبة، ولو كان شاكاً بقدرة الله لما دعاه بهذا الدعاء، فلما بشَّرته الملائكة بغلام على هذه الصفة والفضل تعجب من قدرة الله على ذلك مع عدم توفر الأسباب العاديَّة له بكبر سنه وعقر زوجته وكبر سنها، ثم طلب علامة تتقدم هذه العناية وتؤذن بها: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً﴾ أي علامة على حمل امرأتي، فأحبَّ بمقتضى الطبيعة البشرية أن يتعين لديه الزمن الذي ينال به تلك المنحة الإلٰهية ليطمئن قلبه. [المنار ٣/ ٢٩٥ ـ ٢٩٩].



فرعون يأسر سارة زوجة إبراهيم

وهم ينسبون إلى إبراهيم عليه السلام أنه تزوج أخته، فولدت له إسحاق عليه السلام؛ ففي موضعين من توراتهم المبدَّلة أن سارة امرأة إبراهيم عليه السلام أخذها فرعون ملك مصر، وأخذها ملك الخِلْص أبو مالك مرة ثانية، وأن الله سبحانه أرى المَلِكين في منامهما ما أوجب ردَّها إلى إبراهيم عليه السلام[1].

وذكر أن سنَّ إبراهيم عليه السلام إذ انحدر من حرَّان خمسة وسبعون عاماً، وأن إسحاق عليه السلام ولد له وهو ابن مئة سنة، ولسارة إذ ولد تسعون عاماً، فصحَّ أنه كان يزيد عليها عشر سنين.

---

(١) جاء في سفر التكوين ١٢/ ١٠ ـ ٢٠: وحدث جوع في الأرض، فانحدر أبرام إلى مصر ليتغرب هناك، لأن الجوع كان شديداً. ولما قَرُب أن يدخل مصر قال لساراي امرأته: إنك حسنة المنظر، فإذا رآك المصريون يقولون: هذه امرأته، فيقتلونني ويستبقونك، قولي لهم: إنك أختي، ليكون لي خير بسببك، وتحيا نفسي من أجلك، فحدث لما دخل إلى مصر أن المصريين رأوا المرأة حسنة جداً، ورآها رؤساء فرعون، ومدحوها لديه، فأخذت إلى بيته، فصنع إلى أبرام خيراً بسببها، وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وجمال، فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ساراي، فدعا أبرام وقال: ما هذا الذي صنعتَ بي؟ لماذا لم تخبرني أنها امرأتك؟ لماذا قلت: هي أختي، حتى أخذتها لتكون زوجتي؟ والآن، هوذا امرأتك، خُذْها واذهب، فأوصى عليه فرعون رجالاً، فشيعوه وامرأته وكل ما كان لديه.

١/١٣: فصعد أبرام من مصر هو وامرأته، وكل ما كان له، ولوط معه إلى الجنوب.

وجاء في ٢٠/ ١ ـ ١٤: وانتقل إبراهيم من هناك إلى أرض الجنوب، وسكن بين قادش وشور، وتغرَّب في جَرار. وقال عن سارة: هي أختي. فأرسل أبيمالك جَرار وأخذ سارة، فجاء الله إلى أبيمالك في حُلْم الليل وقال له: ها أنت ميِّت من أجل المرأة التي أخذتها، فإنها متزوجة ببَعْل. ولم يكن أبيمالك قد اقترب منها، فقال له: يا سيد أأمَةً بارة تقتل؟ ألم يقل هو لي: إنها أختي، وهي نفسها قالت: هو أخي، ثم دعا أبيمالك إبراهيم وقال له: ماذا فعلت بنا؟ وبماذا أخطأت إليك...؟ فقال إبراهيم: إني قلت: ليس في هذا الموضع خوف الله ألبتة، فيقتلونني لأجل امرأتي، وبالحقيقة أيضاً هي أختي ابنة أبي، غير أنها ليس ابنة أمي، فصارت لي زوجة، وحدث لما أتاهني ـ وعند الكاثوليك: رَحَّلني ـ الله من بيت أبي أني قلت لها: هذا معروفك الذي تصنعين إليَّ في كل مكان نأتي إليه، قولي عني: هو أخي. فأخذ أبيمالك غنماً وبقراً وعبيداً وإماءً، وأعطاها لإبراهيم، وردَّ إليه سارة امرأته.

وذكر أن ملك الخِلْص أخذها بعد أن ولدت إسحاق، وهي عجوز مُسنَّة بإقرارها بلسانها إذ بُشرت بإسحاق، فكيف بعد أن ولدته، وقد جاوزت تسعين عاماً؟! ومن المحال أن تكون في هذا السن تفتن ملكاً، وأن إبراهيم قال في كلتا المرتين: هي أختي[1].

---

[1] جاء في سفر التكوين ٤/١٢: فذهب أبرام كما قال له الرب، وذهب معه لوط، وكان أبرام ابن خمس وسبعين سنة لما خرج من حاران.

١٧/١٧: فسقط إبراهيم على وجهه وضحك وقال في قلبه: هل يولد لابن مئة سنة؟ وهل تلد سارة، وهي بنت تسعين سنة؟!

١٨/١١ ـ ١٢: وكان إبراهيم وسارة شيخَين متقدِّمين في الأيام، وقد انقطع أن يكون لسارة عادة كالنساء، فضحكت سارة في باطنها قائلة: أبعد فنائي يكون لي تنعم، وسيدي قد شاخ؟

٢١/١ ـ ٢: فحبلت له سارة، وولدت لإبراهيم ابناً في شيخوخته، ودعا إبراهيم اسم ابنه المولود له الذي ولدته سارة إسحاق.

٢١/٥: وكان إبراهيم ابن مئة سنة حين ولد له إسحاق ابنه.

٢١/٧: وقالت: من قال لإبراهيم: سارة ترضع بنين حتى ولدت ابناً في شيخوخته.

ويستخلص من عَرْضهم لهاتين الحادثتين ما يلي:

١ ـ زواج إبراهيم من أخته لأبيه حسب زعمهم.

٢ ـ اتفاقه معها بعد أن سافر بها على أن تقول في كل مكان يذهبان إليه: «هو أخي» خوفاً من المكروه وطمعاً في المكسب: «قولي لهم: إنك أختي، ليكون لي خير بسببك»، «هذا معروفك الذي تصنعين إليَّ في كل مكان نأتي إليه، قولي عني: هو أخي». فكأنه هو الذي ينوي ويريد تقديمها والمتاجرة بها، ليصير له بسببها خير كثير، وليس خوفاً على حياته فحسب.

٣ ـ أشار ابن حزم رحمه الله إلى عدم صحة القصة الثانية، فإنها عندما ذهبت مع زوجها إلى جرار كانت قد ولدت إسحاق عليه السلام، فهي عجوز قاربت المئة عام، فكيف تسحر عقل الملك أبيمالك ورجاله!

هذا، وقد قص النبي ﷺ القصة الأولى على أصحابه رضي الله عنهم على حقيقتها دون تلك الشبهات.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لم يكذب إبراهيم النبي عليه السلام قط إلا ثلاث كذبات: ثنتين في ذات الله، قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣]، وواحدة في شأن سارة، فإنه قدم أرض جبار، ومعه سارة، وكانت أحسن الناس، فقال لها: إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك، فإن سألك فأخبريه أنك أختي، فإنك أختي في الإسلام، فإني لا أعلم في الأرض مسلماً غيري وغيرك. فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار، فأتاه فقال: لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي أن تكون إلا لك. فأرسل إليها فأتي بها ـ وفي رواية ثانية للبخاري: فأرسل إليه فسأله عنها، فقال: من هذه؟ قال: هي أختي. =

وذكر عن إبراهيم عليه السلام أنه قال للملك: هي أختي بنت أبي، لكن ليست من أمي، فصارت لي زوجة، فنسبوا في نص توراتهم إلى إبراهيم عليه السلام أنه تزوج أخته، وقد وقفتُ على هذا الكلام من بعض من شاهدناه منهم، وهو إسماعيل ابن يوسف الكاتب، المعروف بابن النغرالي، فقال لي: إن نص اللفظة في التوراة (أخت) وهي لفظة تقع في العبرانية على الأخت وعلى القريبة، فقلت: يمنع من صرف هذه اللفظة إلى القريبة ههنا قوله: «لكن ليست من أمي، وإنما بنت أبي». فوجب أنه أراد الأخت بنت الأب، وأقل ما في هذا إثبات النسخ الذي تفرون منه. فخلط ولم يأت بشيء[1].

= فأتى سارة فقال: يا سارة، ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك، وإن هذا سألني، فأخبرته أنك أختي، فلا تكذبيني، فأرسل إليها ـ فقام إبراهيم إلى الصلاة. فلما دخلت عليه، لم يتمالك أن بسط يده إليها، فقبضت يده قبضة شديدة ـ وفي رواية للبخاري: فقالت: اللهم إن كنت آمنت بك وبرسولك، وأحصنت فرجي إلا على زوجي، فلا تسلِّط علي يد هذا الكافر ـ فقال لها: ادعي الله أن يطلق يدي ولا أضرك، ففعلت، فعاد، فقبضت أشد من القبضة الأولى، فقال لها مثل ذلك، ففعلت، فعاد، فقبضت أشد من القبضتين الأوليين، فقال: ادعي الله أن يطلق يدي، فلك [الله] أن لا أضرك، ففعلت، وأطلقت يده. ودعا الذي جاءه بها فقال له: إنك إنما جئتني بشيطان، ولم تأتني بإنسان، فأخرجها من أرضي، وأعطِها هاجر. قال: فأقبلت تمشي، فلما رآها إبراهيم انصرف، فقال [لها]: مَهْيم؟ قالت: خيراً، كفَّ الله يد الفاجر، وأخدم خادماً، قال أبو هريرة رضي الله عنه: فتلك أمكم يا بني ماء السماء. [أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي مختصراً. وانظر: جامع الأصول ١٠/ ٦٠٥ ـ ٦٠٨].

فإبراهيم عليه السلام إنما أراد التورية لدفع الهلاك عن نفسه، فهي أخته في الإسلام والإيمان، إذ ليس في تلك الأرض مسلم غيرهما، وليست أخته بنت أبيه دون أمه كما زعموا.

(١) ناظر ابن حزم رحمه الله كثيراً من اليهود الذين استغلوا سماحة المسلمين في الأندلس، وكان في مقدمتهم إسماعيل بن يوسف هذا، المعروف بابن النغريلة، وألف كتاباً في نقده أسماه (الرد على ابن النغريلة)، وهو لا يكتفي بالرد، بل يشفعه بانتقاد إحدى المسائل التي وردت في توراتهم، لافتاً نظره إلى أن بيته من زجاج.

هذا، وقد استغلَّ النصارى مغالطة ابن النغريلة وغيره من اليهود في الفقرة السابقة ٢٠/ ١٣ فراغوا بها، جاء في حواشي الكتاب المقدس ص٢ عن الفقرة السابقة ٢٠/ ١٣: «ومع ذلك فاللفظة العبرانية المترجمة بلفظة (أخت) معناها ذات القرابة أيضاً».

ويظهر ـ والله أعلم ـ أن هذه الفقرة أُقحمت في القصة الثانية التي يستبعدها النظر السليم، ويدل على ذلك ادعاؤهم أن هذا حدث مع إسحاق عليه السلام أيضاً.

جاء في سفر التكوين ٢٦/ ١ ـ ٢: وكان في الأرض جوع غير الجوع الأول الذي كان في أيام إبراهيم، فذهب إسحاق إلى أبيمالك ملك الفلسطينيين إلى جَرار، وظهر له الرب =



طلب إبراهيم من ربِّه عدم إهلاك قوم لوط جميعاً

وذكر أن إبراهيم عليه السلام قال لله عز وجل إذ ذكر له هلاك قوم لوط في كلام كثير: «أنت معاذ من أن تصنع هذا الأمر، لا تقتل الصالح مع الطالح، فيكون الصالح كالطالح، فأنت معاذ يا حاكم جميع العالم من هذا». ولم ينكر الله تعالى عليه هذا القول[1].

= وقال: لا تنزل إلى مصر، اسكن في الأرض التي أقول لك.

٢٦/٦ ـ ١١: فأقام إسحاق في جَرار. وسأله أهل المكان عن امرأته فقال: هي أختي، لأنه خاف أن يقول امرأتي، لعل أهل المكان يقتلونني من أجل رفقة، لأنها كانت حسنة المنظر. وحدث إذ طالت له الأيام هناك أن أبيمالك ملك الفلسطينيين أشرف من الكُوَّة ونظر، وإذا إسحاق يلاعب رفقة امرأته، فدعا أبيمالك إسحاق وقال: إنما هي امرأتك، فكيف قلت هي أختي؟ فقال له إسحاق: لأني قلت: لعلي أموت بسببها، فقال أبيمالك: ما هذا الذي صنعت بنا؟ لولا قليل لاضطجع أحد الشعب معها، فجلبتَ علينا ذنباً، فأوصى أبيمالك جميع الشعب قائلاً: الذي يمسُّ هذا الرجل أو امرأته، موتاً يموت.

فهم قد نسبوا الكذب إلى إسحاق عليه السلام أيضاً في أمر زوجته، ولكن هل كان يلاعب زوجته في العراء، أو في أرض مكشوفة حتى نظر إليه الملك نفسه خِلْسة؟!

جاء في حواشي الكتاب المقدس ص٢ عن الفقرة ٢٦/٧: إسحاق ورفقة، كلاهما من نسل تارَح، وتارح هو جد إسحاق، وأبو جد رفقة.

(١) سبق ذكر قصة إبراهيم عليه السلام مع الملائكة في القسم الثالث، وينسبون إليه هنا الوقاحة في خطابه لله تعالى. جاء في سفر التكوين ١٨/١٦ ـ ١٨: ثم قام الرجال من هناك، وتطلعوا نحو سدوم، وكان إبراهيم ماشياً معهم ليشيِّعهم. فقال الرب: هل أخفي عن إبراهيم ما أنا فاعله، وإبراهيم يكون أمة كبيرة وقوية، ويتبارك به جميع أهل الأرض؟

١٨/٢٠ ـ ٢٥: وقال الرب: إن صراخ سَدُوم وعَمُورة قد كثر، وخطيتهم قد عظمت جداً. . . وانصرف الرجال من هناك، وذهبوا نحو سدوم، وأما إبراهيم فكان لم يزل قائماً أمام الرب، فتقدم إبراهيم وقال: أفتهلك البار مع الأثيم؟ عسى أن يكون خمسون باراً في المدينة، أفتهلك المكان ولا تصفح عنه من أجل الخمسين باراً الذين فيه؟ حاشا لك أن تفعل هذا الأمر، أن تميت البار مع الأثيم، فيكون البار كالأثيم، حاشا لك، أدَيّان كل الأرض لا يصنع عدلاً؟! وعند الكاثوليك: لا يدين بالعدل؟ ١٨/٢٦ ـ ٣٣:

فقال الرب: إن وجدت في سدوم خمسين باراً في المدينة فإني أصفح عن المكان كله من =



[مبيت الملكين عند لوط]

وبعد ذلك وصف أن الملكين باتا عند لوط، وأكلا عنده الخبز والفطير، وأن لوطاً سجد لهما على الأرض وتعبَّد لهما.

وقد مضى مثل هذا، وأنه كذب، وأن الملائكة لا تأكل فطيراً ولا مختمراً، وأن الأنبياء عليهم السلام لا يسجدون لغير الله تعالى، ولا يتعبدون لسواه(١).

= أجلهم، فأجاب إبراهيم وقال: إني قد شرعت أكلم المولَى، وأنا تراب ورماد، ربما نقص الخمسون باراً خمسة، أتهلك كل المدينة بالخمسة؟ فقال: لا أهلك إن وجدت هناك خمسة وأربعين، فعاد يكلمه أيضاً. . . فقال: لا يسخط المولَى فأتكلم هذه المرة فقط، عسى أن يوجد هناك عشرة. فقال: لا أهلك من أجل العشرة. وذهب الرب عندما فرغ من الكلام مع إبراهيم، ورجع إبراهيم إلى مكانه.

وإنك لترى المجادلة الحادة وما جرى فيها من كلام يخرج عن الأدب، وكأنها بين شريكين في التجارة يتهم أحدهما الآخر.

وقد ذكر الله سبحانه هذه القصة على حقيقتها في القرآن الكريم فقال: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ [هود: ٧٤ ـ ٧٦]، أي فلما ذهب عن إبراهيم الخوف الذي أوجسه في نفسه، لأنهم لم يأكلوا الطعام الذي قدّمه إليهم، واطمأن حين علم أنهم ملائكة والملائكة لا تأكل، وجاءته البشارة بالولد، أخذ يجادل ملائكتنا في شأن إهلاك قوم لوط، وغرضه تأخير العذاب عنهم لعلهم يؤمنون، إنَّ إبراهيم لحليم غير عجول في الانتقام من المسيء إليه، كثير التأوُّه والتأسف على الناس لرقَّة قلبه، وهو منيب رجاع إلى طاعة الله، فقالت الملائكة: يا إبراهيم دَعْ عنك الجدال في قوم لوط، فقد نفذ قضاء الله بإهلاكهم، وإنه نازل بهم عذاب غير مردود. وقد ذكر الله سبحانه العبارات التي دارت بين إبراهيم عليه السلام والملائكة في سورة العنكبوت: ٣١، ٣٢، حيث قال سبحانه: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾.

هذه هي حقيقة القصة، ليس فيها مجادلة حادة مع الله مباشرة، وليس فيها اعتراض ينمُّ عن قلّة الأدب «أفتهلك البار مع الأثيم؟!» وليس فيها وقاحة يتنزه عنها الأنبياء: «أدَيّان كل الأرض لا يصنع عدلاً؟!».

(١) جاء في سفر التكوين ١٩/١ ـ ٤: فجاء الملاكان إلى سدوم مساء، وكان لوط =

وقال بعد ذلك: إن لوطاً كلم أصهاره المتزوجين بناته، وقال لهم: اخرجوا من هذا الموضع، فإن الله مهلكهم، وأنه صار عندهم كاللاعب[1].

ثم قال بعد ذلك: إن الملائكة أمسكوا بيد لوط وبيد زوجته وابنتيه لشفقة الله عليهم، وأخرجوهم خارج القرية، ثم ذكر هلاك القرية بكل ما فيها[2].

= جالساً في باب سدوم، فلما رآهما قام لاستقبالهما، وسجد بوجهه إلى الأرض وقال: يا سيديَّ ميلا إلى بيت عبدكما وبيتا، واغسلا أرجلكما، ثم تبكران وتذهبان في طريقكما، فقالا: لا، بل في الساحة نبيت، فألح عليهما جداً، فمالا إليه ودخلا بيته، فصنع لهما ضيافة وخبزاً فطيراً فأكلا، وقبل أن يضطجعا أحاط بالبيت رجال المدينة، رجال سدوم، من الحدث إلى الشيخ، كل الشعب من أقصاها.

وسبق في الفصل الثالث أن ثَمَّة اضطراب في عدد الملائكة لا يمكن دَفْعه، ففي ١٨/ ٢: فرفع عينيه ونظر، وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه.

ثم أكَّد ذلك في ١٨/ ١٦ حيث قال: ثم قام الرجال من هناك وتطلعوا نحو سدوم، وكان إبراهيم ماشياً معهم ليشيِّعهم.

ثم ذكر كاتب السفر أن الرب أخبر إبراهيم بخطايا سدوم وعمورة، وقال في ١٨/ ٢٢: وانصرف الرجال من هناك، وذهبوا نحو سدوم، وأما إبراهيم، فكان لم يزل قائماً أمام الرب.

ثم ذكر المجادلة الحادة بين إبراهيم وربِّه كما سلف، ثم قال في ١٨/ ٣٣: «وذهب الرب عندما فرغ من الكلام مع إبراهيم، ورجع إبراهيم إلى مكانه».

إذاً، انصرف الرجال من عند إبراهيم، وذهبوا نحو سدوم، وبقي إبراهيم أمام الرب يجادله. فهل كانوا أربعة، ثم ذهب ثلاثة منهم؟ لأنه قال: «انصرف الرجال»، ولم يقل انصرف اثنان منهم، وبقي واحد مع إبراهيم، ثم أكَّد الجمع فقال: «وذهبوا نحو سدوم»، ثم ناقض نفسه فقال في ١٩/ ١: «فجاء الملاكان إلى سدوم».

[1] جاء في سفر التكوين ١٩/ ١٢ ـ ١٤: وقال الرجلان للوط: من لك أيضاً ههنا؟ أصهارَك وبنيك وبناتك وكل من لك في المدينة أخرج من المكان، لأننا مهلكان هذا المكان، إذ قد عظم صراخهم أمام الرب، فأرسلنا لنهلكه، فخرج لوط وكلم أصهاره، الآخذين بناته، وقال: اخرجوا من هذا المكان، لأن الرب مهلك المدينة. فكان كمازح في أعين أصهاره.

[2] وجاء في التكوين ١٩/ ١٥ ـ ١٧: ولما طلع الفجر كان الملكان يعجلان لوطاً قائلين: خُذْ امرأتك وابنتيك الموجودتين، لئلا تهلك بإثم المدينة، ولما توانَى أمسك الرجلان بيده وبيد امرأته وبيد ابنتيه لشفقة الربِّ عليه، وأخرجاه ووضعاه خارج المدينة، وكان لما أخرجاه قال: اهربْ لحياتك، لا تنظر إلى ورائك، ولا تقف في كل الدائرة، اهرب إلى الجبل لئلا تهلك.

١٩/ ٢٣ ـ ٢٦: وإذ أشرقت الشمس على الأرض، دخل لوط إلى صوغر، فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتاً وناراً من السماء، وقلب تلك المدن وكل الدائرة وجميع سكان المدن وبنات الأرض.

قال أبو محمد رَحِمَهُ اللهُ: لا يخلو أصهار لوط وبنوه وبناته الناكحات من أن يكونوا صالحين أو طالحين، فإن كانوا صالحين فقد هلكوا مع الطالحين، وبطل عقد الله تعالى مع إبراهيم في ذلك، وحاش لله من هذا، وإن كانوا طالحين فكيف تأمر الملائكة بإخراج الطالحين، وهم كانوا مبعوثين لهلاكهم؟! فلا بدَّ من الكذب في أحد الوجهين، وبالجملة فأخبارهم معفونة جداً[1].

❊ ❊ ❊

---

[1] أراد رَحِمَهُ اللهُ أن الملكين قالا للوط كما في ١٩/ ١٢ ـ ١٤: «من لك أيضاً ههنا، أصهارك وبنيك وبناتك، وكل من في المدينة ـ أخرج من المدينة» فقد ورد لفظ الأصهار والبنات بصيغة الجمع، فدلَّ على أن له أكثر من بنتين متزوجتين، ويؤكد ذلك ما جاء في ١٩/ ١٤: «فخرج لوط وكلَّم أصهاره الآخذين بناته، وقال: قوموا اخرجوا من هذا المكان... فكان كمازح في أعين أصهاره». ثم جاء في ١٩/ ١٥ ـ ١٦: «ولما طلع الفجر كان المَلَكان يعجِّلان لوطاً قائلين: خذ امرأتك وابنتيك الموجودتين.. ولما توانى أمسك الرجلان بيده وبيد امرأته وبيد ابنتيه وأخرجاه». إذاً فقد خرج معه بنتان فقط، وهما غير متزوجتين، ويؤكد ذلك ما جاء في ١٩/ ٣٠: «وصعد لوط من صُوغر، وسكن في الجبل وابنتاه معه».

وهذا يعني أن بنيه وبناته المتزوجات وأزواجهن قد هلكوا في المدينة مع مَنْ هلك، وهو تناقض فاضح، وإلا فلماذا طلب منه الملكان أول مرة أن يخرج بنيه وبناته وأصهاره وسائر أهله؟ فهل كانوا صالحين أو طالحين؟ فإن كانوا طالحين، فكيف تأمر الملائكة بإخراجهم، وهم قد جاؤوا لإهلاكهم. وإن كانوا صالحين، فقد هلكوا مع الطالحين، وهذا مخالف للاتفاق الذي تمَّ مع إبراهيم.

وكذلك امرأة لوط هل كانت صالحة أو طالحة؟ فإن كانت طالحة، فلم أمر الملكان بإخراجها مع لوط ثم أمسكا بيدها، وأخرجاها؟ وإن كانت صالحة، فلم هلكت؟ فقد جاء في ١٩/ ٢٦: «ونظرت امرأته من ورائه، فصارت عمود ملح».



ادِّعاء التوراة على لوط بمضاجعة ابنتيه

وبعد ذلك قال: وأقام لوط في المغارة هو وابنتاه، فقالتِ الكبرى للصغرى: أبونا شيخ، وليس في الأرض أحد يأتينا كسبيل النساء، تعالَي نسقِ أبانا الخمر، ونضاجعه ونَسْتَبْقِ منه نَسْلاً، فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة، فأتت الكبرى فضاجعت أباها، ولَم يعلم بنومِها ولا بقيامها، فلما كان من الغد قالت الكبرى للصغرى: قد ضاجعت أبي أمسِ، تعالَي نسقيه الخمر هذه الليلة، وضاجعيه أنت، ونستبقي من أبينا نسلاً، فسقتاه تلك الليلة خمراً، وأتت الصغرى فضاجعته، ولم يعلم بنومها ولا بقيامها، وحملت ابنتا لوط من أبيهما، فولدت الكبرى ابناً وسمته (مؤاب) وهو أبو المؤابيين إلى اليوم، وولدت الصغرى ابناً سمته (عمّون) وهو أبو العمونيين إلى اليوم[1].

---

(١) النص من سفر التكوين ١٩/ ٣٠ ـ ٣٨ بألفاظ متقاربة.

جاء في بذل المجهود ص١٧٠: «وسمَّته موآب، تعني أنه من الأب، وسمته الثانية بني عمون تعني أنه من قبيلتها».

وجاء أيضاً ص١٧٢ ـ ١٧٣: «إن العداوة التي ما زالت بين بني عمون وموآب وبين بني إسرائيل بَعَثَتْ واضع هذا الفصل على تلفيق المحال لِيُكَوِّن أعظم الأخبار فحشاً في حق بني عمون وموآب».

قلت: وقد جاء في الفصول ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، من سفر العدد أن العمونيين والموآبيين منعوا بني إسرائيل من المرور بأراضيهم عند خروجهم من مصر، ورفضوا تزويدهم بالماء والطعام، بل استَعْدَوا عليهم بَلْعَام بن بَعُورِ، وأغروه بالفضَّة إن حاربهم، لكنه لم يفعل. وجاء في سفر التثنية ٢٣/ ٢ ـ ٤: لا يدخل ابن زِنَى في جماعة الرب حتى الجيل العاشر، لا يدخل منه أحد في جماعة الرب. لا يدخل عموني ولا موآبي في جماعة الرب حتى الجيل العاشر، لا يدخل منهم أحد في جماعة الرب إلى الأبد. من أجل أنهم لم يلاقوكم بالخبز والماء في الطريق عند خروجكم من مصر، ولأنهم استأجروا عليك بَلْعام من بَعُور من فَتُورِ أرام النهرين لكي يلعنك.

٢٣/ ٦: لا تلتمس سلامتهم ولا خيرهم كل أيامك إلى الأبد.

وجاء في بذل المجهود ص١٧٣ ـ ١٧٤: «وأيضاً فإن عندهم أن موسى ﷺ جعل الإمامة في الهارونيين، فلما ولي طالوت، وثقلت وطأته على الهارونيين، وقتل منهم مقتلة عظيمة، ثم =

وفي السفر الخامس من التوراة بزعمهم أن موسى قال لبني إسرائيل: إن الله تعالى قال لي لما انتهينا إلى صحراء بني مؤاب: لا تحارب بني مؤاب ولا تقاتلهم، فإني لم أجعل لكم فيما تحت أيديهم سهماً، لأني قد ورثت بني لوط (أدوا) وجعلتها مسكناً لهم[1].

ثم ذكر أن موسى قال لهم: إن الله تعالى قال له أيضاً: أنت تخلف اليوم حوز بني مؤاب، المدينة التي تُدْعى عاد، وتنزل في حوز بني عمون، فلا تحاربهم، ولا تقاتل أحداً منهم، فإني لم أجعل لكم تحت أيديهم سهماً، لأنهم من بني لوط، وقد وَرَّثتهم تلك الأرض[2].

قال أبو محمد ﷺ: في هذه الفصول فضائح وسوءات، تقشعر من سماعها جلود المؤمنين بالله تعالى العارفين حقوق الأنبياء:

• فأولها: ما ذكر عن بنتي لوط ﷺ من قولهما: «ليس أحد في الأرض يأتينا كسبيل النساء، تعالَيْ نسق أبانا خمراً ونضاجعه، ونَسْتَبق منه نسلاً» فهذا كلام أحمق في غاية الكذب والبرد أترى كان انقطع نسل ولد آدم كله حتى لم يبق في الأرض أحد يضاجعهما؟ إن هذا لعجب، فكيف والموضع معروف إلى

= انتقل الأمر إلى داود، بقي في نفوس الهارونيين التشوُّف إلى الأمر الذي زال عنهم. وكان عَزْرا خادماً لملك الفرس حظياً عنده، فتوصل إلى بناء بيت المقدس، وعمل لهم هذه التوراة التي بأيديهم، فلما كان هارونياً كره أن يتولَّى عليهم في الدولة الثانية داودي، فأضاف إلى التوراة فصلَين طاعنين في نسب داود، أحدهما قصة بنات لوط، والآخر قصة ثامار. ولقد بلغ لعمري غرضه، فإن الدولة الثانية التي كانت بَنَت لهم بيت المقدس لم يتملك عليهم فيها داوديون، بل كان ملوكهم هارونيين».

[1] جاء في سفر التثنية ٢/٨ ـ ٩: ثم تحورنا ومررنا في طريق برية موآب، فقال لي الرب: لا تُعادِ موآب، ولا تثر عليهم حرباً، لأني لا أعطيك من أرضهم ميراثاً، لأني لبني لوط قد أعطيت عار ميراثاً.

[2] جاء في سفر التثنية ٢/١٨ ـ ١٩: كلمني الرب قائلاً: أنت مار اليوم بتُخْم موآب بعار، فمتى قربت إلى تجاه بني عَمّون لا تُعادِهم، ولا تهجموا عليهم، لأني لا أعطيك من أرض بني عمون ميراثاً، لأني لبني لوط قد أعطيتها ميراثاً.

وما دام الأمر كما قالوا، فأي شرف لبني موآب وبني عمون حتى يعطيهم الله أرضاً، ويأمر موسى ﷺ بعدم التصدِّي لهم، ويمنع بني إسرائيل من حربهم والاستيلاء على أرضهم؟ بل نسبهم صراحة إلى نبيه لوط ﷺ.

اليوم؟ ليس بين تلك المغارة التي كان فيها لوط عليه السلام مع بنتيه، وبين قرية سكنى إبراهيم عليه السلام إلا فرسخ واحد لا يزيد، وهو ثلاثة أميال فقط، فهذه سوءة[1].

● والثانية: إطلاق الكذاب الواضع لهم هذه الخرافة ـ لعنه الله ـ هذه الطُّومَة[2] على الله عز وجل، من أنه أطلق نبيه ورسوله عليه السلام على هذه الفاحشة العظيمة من وطء ابنتيه واحدة بعد الأخرى.

فإن قالوا: لا ملامة عليه في ذلك، لأنه فعل ذلك وهو سكران، وهو لا يعلم من هما، قلنا: فكيف عمل إذ رآهما حاملتين؟ وإذ رآهما قد ولدتا ولدين لغير رِشْدة[3]؟ وإذ رآهما تربيان أولاد الزنى؟ هذه فضائح الأبد، وتوليد الزنادقة المبالغين في الاستخفاف بالله تعالى وبرسله.

● والثالثة: إطلاقهم على الله تعالى أنه نسب ذينك الزنيمين فرخي الزنى إلى ولادة لوط، حتى ورَّثهما بلدين كما ورَّث بني إسرائيل وبني عيسو ابني إسحاق، سواء بسواء، تعالى الله عن هذا علواً كبيراً.

---

[1] فسَّر الربانيون قول بنتي لوط هذا بأنهما حسبتا أن الأرض ومن عليها قد دمِّرت كما حدث في طوفان نوح، وهذا غير صحيح، إذ لا شك أنهما تعلمان أن إبراهيم عمَّ أبيهما قريب منهم، وله أموال وأولاد، فكيف تظنان أنه ليس في الأرض أحد يأتيهما كعادة كل أهل الأرض؟ ثم ما الذي دعا لوطاً إلى الصعود إلى الجبل؟ لعل فيما يلي الجواب والرد على الادعاء.

جاء في التكوين ١٩/١٧ ـ ٢٣: وكان لما أخرجاهم إلى خارج... قالا: اهرب إلى الجبل لئلا تهلك. فقال لهما: لا يا سيد... لا أقدر إلى الجبل، لعل الشر يدركني فأموت، هو ذا المدينة قريبة، وهي صغيرة أهرب إليها. فقال له: إني قد رفعتُ وجهي في هذا الأمر أيضاً أن لا أقلب المدينة التي تكلمتُ عنها، أسرع إلى هناك، لأني لا أستطيع أن أفعل شيئاً حتى تجيء إلى هناك. ولذلك دُعي اسم المدينة صوغر، وإذ أشرقت الشمس على الأرض دخل لوط إلى صوغر، فأمطر الربُّ على سدوم وعمورة كبريتاً وناراً...

١٩/٣٠: وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه، لأنه خاف أن يسكن في صوغر، فسكن في المغارة هو وابنتاه.

إذاً، كان وقت الإهلاك مع ابنتيه في مدينة صوغر، ولا ريب أن ابنتيه تعلمان أن فيها رجالاً ونساءً.

[2] الطُّومة ـ بضم الطاء ـ: المنية والداهية. [القاموس].

[3] رِشدة ـ بفتح الراء وكسرها ـ ضد زِنية ـ بفتح الزاي وكسرها ـ. [مختار الصحاح].

فإن قالوا: كان مباحاً حينئذٍ، قلنا: قد صح النسخ الذي تنكرونه بلا كُلْفة[1].

وقال قبل هذا: إن إبراهيم إذ أمره الله تعالى بالمسير من حران إلى أرض كنعان أخذ مع نفسه امرأته سارة وابن أخيه لوط بن هاران[2].

وذكروا في بعض توراتهم أنه كلمته الملائكة، وأن الله تعالى أرسلهم إليه، فصحَّ بإقرارهم أنه نبي لله ﷺ[3]، وهم يقولون: إنه بقي في تلك المغارة شريداً طريداً فقيراً لا شيء له يرجع إليه. فكيف يدخل في عقل من له أقل إيمان أن إبراهيم عليه السلام يترك ابن أخيه الذي تغرب معه وآمن به، ثم تنبأ مثله، يضيع ويسكن في مغارة مع ابنتيه فقيراً هالكاً، وهو على ثلاثة أميال منه؟! وإبراهيم على ما ذكر في التوراة عظيم المال، مُفْرط الغنى، كثير اليسار من الذهب والفضة والعبيد والإماء والجمال والبقر والحمير[4]، ويقولون في توراتهم: إنه ركب في ثلاثمئة مقاتل وثمانية عشر مقاتلاً لحرب الذين سَبَوا لوطاً وماله حتى استنقذوه وماله. فكيف يضيِّعه بعد ذلك هذا التضييع؟ لكن صفات الكلاب الذين وضعوا لهم هذه الخرافات الباردة التي لا فائدة فيها ولا

---

[1] سبق في القسم الثالث أن أهل الكتاب ينكرون نسخ الأحكام، ويعيبون على المسلمين وقوعه في شريعتهم، فأراد ابن حزم رحمه الله هنا إقامة الحجة عليهم بوقوعه عندهم وإظهار إفكهم: فإنْ قالوا: إن نكاح المحارم كان جائزاً، والتوراة لم تكن نزلت، فقد أقروا بالنسخ، وظهر كذبهم أيضاً؛ فإن في سفر التكوين ١٢/ ١٠ ـ ٢٠ أن إبراهيم عليه السلام لما انحدر إلى مصر مع زوجته سارة بسبب الجوع، وخاف أن يقتله المصريون بسبب جَمالها، أخفَى نكاحها، وقال: هي أختي، حتى لا يبقى للظنون إليه سبيل، وقد تكرر هذا الادعاء مع ملك جرار كما في ٢٠/ ١ ـ ١٨، وقد سبق قريباً عرض هاتين القصتين. فإن أقروا بذلك، وإلا فقد حكموا ضرورة بأن ذينك الولدين من أولاد الزنى، لأنهما من الأب وابنتيه.

[2] جاء في سفر التكوين ١٢/ ٤ ـ ٥: فذهب أبرام كما قال له الرب، وذهب معه لوط، وكان أبرام ابن خمس وسبعين سنة لما خرج من حاران، فأخذ ساراي امرأته ولوطاً ابن أخيه وكل مقتنياتهما التي اقتنيا، والنفوس التي امتلكا في حاران، وذهبوا إلى أرض كنعان.

[3] سبق ذكر القصة في القسم الثالث، وسبق قريباً ذكر الحوار الذي دار بين إبراهيم والملائكة عن إهلاك قوم لوط، وهو في سفر التكوين ١٩/ ١ ـ ٢٢.

[4] جاء في سفر التكوين ١٣/ ١ ـ ٣: فصعد أبرام من مصر هو وامرأته، وكل ما كان لديه، ولوط معه إلى الجنوب، وكان أبرام غنياً جداً في المواشي والفضة والذهب، وسار في رِحلاته من الجنوب إلى بيت إيل.

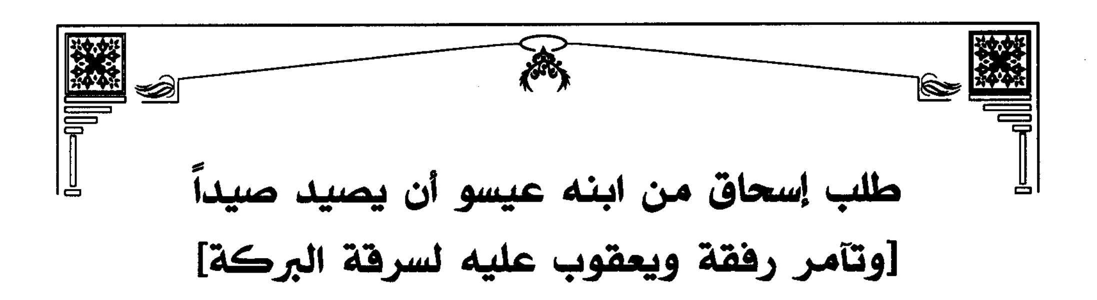
موعظة ولا عبرة، حتى ضلّوا بها، ونعوذ بالله من الخذلان[1].

❊ ❊ ❊

[1] جاء في سفر التكوين ١٤/١٢ ـ ١٦: فأخذوا ـ أي الملوك المهاجمون ـ جميع أملاك سدوم وعمورة، وأخذوا لوطاً وأملاكه ومضَوا، فأتى من نجا وأخبر أبرام العبراني، فلما سمع أن أخاه سبي جرّ غلمانه المتمرنين (٣١٨)، وتبعهم إلى دان، وانقسم عليهم ليلاً هو وعبيده فكسرهم، وتبعهم إلى حُوبة التي عن شمال دمشق، واسترجع لوطاً أخاه وأملاكه والنساء أيضاً والشعب.

فكيف ينساه الآن وهو يعلم أن الهلاك سيحيق بالقوم الذين يساكنهم؟ بل جاء في سفر التكوين ١٩/٢٧ ـ ٢٨: «وبكر إبراهيم في الغد إلى المكان الذي وقف فيه أمام الرب، وتطلع نحو سدوم وعمورة ونحو كل أرض الدائرة ونظر، وإذا دخان الأرض يصعد كدخان الأتّون».

فكيف لا يذهب ويتفقد ابن أخيه ومن نجا معه من أهله، ويقدِّم لهم المساعدة بعد هذه الحادثة العظيمة؟! كل هذا يدل على أن هذه القصة بهتان عظيم.



طلب إسحاق من ابنه عيسو أن يصيد صيداً [وتآمر رفقة ويعقوب عليه لسرقة البركة]

ثم ذكر أن إسحاق قال لابنه عيسو: يا بني، قد شخت، ولا أعلم يوم موتي، فاخرج وصِدْ لي صَيْداً، واصنع لي منه طعاماً كما أحب، وائتني به لآكله، كي تباركك نفسي قبل أن أموت. وأن رِفقة أم عيسو ويعقوب أَمَرَتْ يعقوب ابنها أن يأخذ جَدْيَيْن، وتصنع هي منهما طعاماً، ويأتي يعقوب إلى إسحاق أبيه ليأكله ويبارك عليه. وأن يعقوب قال لأمه: إن عيسو أخي أشعر، وأنا أجرد، لعل أبي أن يحس بي وأكون عنده كاللاعب، وأجلب على نفسي لعنة لا بركة. فقالت له أمه: عليَّ استدفاع لعنتك.

وأنَّ يعقوب فعل ما أمرته به أمه، فأخذت هي ثياب عيسو ابنها الأكبر وألبستها يعقوب، وجعلت جلود الجَدْيَيْن على يديه وعلى حلقه، وأعطته الطعام، وجاء به إلى أبيه فقال له: يا أبي، فقال له إسحاق: من أنت يا ولدي؟ قال يعقوب: أنا ابنك عيسو بكرك، صنعت جميع ما قلت لي، فاجلس وتأكل من صيدي لتبارك علي. وأن إسحاق قال ليعقوب: تقدم حتى أجسك يا بني، هل أنت ابني عيسو أم لا؟ فتقدم يعقوب، فجسَّه إسحاق وقال: الصوت صوت يعقوب، واليدان يدا عيسو، وقال: هل أنت هو ابني عيسو؟ فقال: أنا، فبارك عليه وقال في بركته تلك: تَخْدُمُك الأمم، وتخضع لك الشعوب، وتكون مولى إخوتك، وتسجد لك بنو أمك[1].

ثم ذكر أن عيسو أتى بالصيد إلى إسحاق، فلما عرف إسحاق القصة قال لعيسو عن يعقوب: قد صيرتُه سلطاناً، وجعلتُ جميع إخوته عبيداً. فرغب إليه عيسو في أن يباركه أيضاً، ففعل وقال في بركته: هوذا بلا دَسَم الأرض يكون مسكنك، وبلا نَدَى السماء من فوق، وبسيفك تعيش، ولأخيك تُستعبد، ولكن

---

(١) هذه القصة مذكورة في سفر التكوين ٢٧/ ١ ـ ٢٩، وقد هذبها ابن حزم رحمه الله.

يكون حينما تجمح أنك تكسر نيره عن عنقك[1].

قال أبو محمد رَحِمَهُ اللَّهُ: وفي هذا الفصل أكذوبات، وأشياء تشبه الخرافات:

• فأول ذلك: إطلاقهم على نبي الله يعقوب عليه السلام أنه خدع أباه وغشَّه. وهذا مبعد عمن فيه خير من أبناء الناس مع الكفار والأعداء، فكيف من نبي مع أبيه النبي أيضاً؟! هذه سوءات مضاعفات، أين ظلمة هذا الكذب من نور الصدق في قوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ﴾ [البقرة: ٩][2].

---

[1] جاء في سفر التكوين ٢٧/ ٣٠ ـ ٤٠: وحدث عندما فرغ إسحاق من بركة يعقوب، وخرج يعقوب، أن عيسو أتى من صيده، فصنع أطعمة ودخل بها إلى أبيه وقال: ليقم أبي ويأكل من صيد ابنه حتى تباركني نفسك. فقال إسحاق: من أنت؟ قال: أنا ابنك بكرك عيسو. فارتعد إسحاق جداً وقال: فمن هو الذي اصطاد صيداً وأتى به إلي فأكلت قبل أن تجيء وباركته؟ نعم ويكون مباركاً. فصرخ عيسو صرخة عظيمة ومُرّة جداً، وقال لأبيه: باركني أنا أيضاً يا أبي. فقال: قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك. فقال: قد تعقبني مرتين: أخذ بكوريتي، وهو الآن آخذ بركتي، ثم قال: أما بقيت لي بركة؟... ألك بركة واحدة فقط، باركني أنا أيضاً يا أبي، ورفع صوته وبكى. فقال إسحاق: هوذا بلا دَسَم الأرض يكون مسكنك، وبلا ندى السماء من فوق، وبسيفك تعيش، ولأخيك تُستعبد ولكن يكون حينما تجمح أنك تُكَسِّر نِيره عن عنقك.

فهل هذا دعاء ومباركة له، أو دعاء عليه؟ وهل تحقَّق؟ سوف نرى بعد قليل إن شاء الله.

٢٧/ ٤١ ـ ٤٥: فحقد عيسو على يعقوب من أجل البركة، وقال في قلبه: قَرُبت أيام مناحة أبي، فأقتل يعقوب. فأُخبرت رفقة بكلام عيسو، فأرسلت ودَعت يعقوب وقالت له: هو ذا أخوك مُتَسَلٍّ من جهتك بأنه يقتلك، فالآن قُمْ واهرب إلى أخي لابان، إلى حاران، وأقم عنده أياماً قليلة حتى يرتد سخط أخيك وغضبه عنك، وينسى ما صنعت به، ثم أرسل فآخذك من هناك، لماذا أُعدم اثنيكما في يوم واحد؟

[2] ولا ريب أن هذه القصة مختلقة من أجل تدنيس بيت النبوة، ورفع شأن يعقوب فوق إخوته، ومما يدل على كذبها أنهم زعموا أن الله كره عيسو وأحب يعقوب منذ كانا توءمين في رحم أمهما، وزعموا أيضاً أن يعقوب استغل جوع أخيه فما أعطاه ما يأكله إلا بعد أن اشترى منه حق البكورية.

جاء في سفر التكوين ٢٥/ ٢٩ ـ ٣٤: وطبخ يعقوب طبيخاً، فأتى عيسو من الحقل وقد أعيا، فقال ليعقوب: أطعمني من هذا الأحمر. فقال يعقوب: بِعْني اليوم بَكوريتك، فقال عيسو: هأنا ماضٍ إلى الموت، فلماذا لي بكورية؟ فقال يعقوب: احلف لي اليوم، فحلف له، فباع بكوريته ليعقوب، فأعطاه خبزاً وطبيخ عدس، فأكل وشرب وقام ومضى. فاحتقر عيسو البكورية.

فلِمَ احتقر البكورية من قبل، ولِمَ حرص الآن على البركة، وحقد على أخيه، إذ سلبها =

● وثانية: وهي إخبارهم أن بركة يعقوب إنما كانت مسروقة مأخوذة بغش وخديعة وتخابث. وحاش للأنبياء ﷺ من هذا، ولعمري إنها لطريقة اليهود، فما تلقى منهم إلا الخبيث المخادع، إلا الشاذ[1].

● وثالثة: وهي إخبارهم أن الله أجرى حكمه وأعطى نعمته على طريق الغش والخديعة. وحاش لله من هذا.

● ورابعة: وهي التي لا يشك أحد في أن إسحاق عليه السلام إذ بارك يعقوب عليه السلام إذ خدعه، بزعم النذل الذي كتب لهم هذا الهَوَس إنما قصد بتلك البركة عيسو وله دعا، لا ليعقوب، فأيُّ معنى للخديعة هنا لو كان لهم عقل[2]. وما أشبه هذه العقول في هذه القضية بحمق الغالية من الرافضة القائلين: إن الله تعالى بعث جبريل عليه السلام إلى علي رضي الله عنه فأخطأ جبريل، وأتى إلى محمد ﷺ[3] وهكذا بارك

= منه؟ مع أن حق البكر في وراثة عهد أبيه وحكمه كان متبعاً منذ القديم.

جاء في سفر التثنية ٢١/ ١٥ ـ ١٧: إذا كان لرجل امرأتان، إحداهما محبوبة والأخرى مكروهة، فولدتا له بنين، فإن كان الابن البكر للمكروهة، فيوم يَقْسِم لبنيه ما كان له، لا يحل له أن يقدم ابن المحبوبة بكراً على ابن المكروهة البكر، بل يَعرف ابن المكروهة بكراً ليعطيه نصيب اثنين من كل ما يوجد عنده، لأنه هو أول قدرته، له حق البكورية.

[١] يتحيَّر العاقل المفكر في وضع الأحبار لهذه الأخبار، هل أرادوا منها الإحسان إلى يعقوب عليه السلام وذريته؟ أو الإساءة إليهما؟ فإن المجد الذي صنعوه له: من شراء البكورية وسرقة البركة واقتسامه الماشية مع خاله لابان كما سيأتي وغير ذلك إنما كان عن طريق المكر والخديعة، وليس عن طريق الجدارة والاستحقاق. ويبدو أن الغاية من اختلاق هذه القصص إنما هي لتبرير خداعهم وتعويد صغارهم.

[٢] لأن إسحاق عليه السلام إنما نوى أن يبارك عيسو ويدعو له، فسوف تذهب البركة إليه مهما تزيَّ يعقوب بزيِّه وادَّعى أنه هو. فإن الأعمال والأقوال بالنيات، والله مطلع على ما في النفوس، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

[٣] وهم الذين يسمَّوْن بالغرابية، زعموا أن الله سبحانه أرسل جبريل عليه السلام إلى علي رضي الله عنه فتاه وذهب إلى محمد ﷺ: لأنه كان يشبهه كما يشبه الغراب الغراب، وينسب إليهم هذا البيت:

تاه الأمين فصدَّ عن حَيْدر   تالله ما كان الأمين أمينا

ومن غلوهم أنهم يلعنون جبريل عليه السلام ومحمداً ﷺ مع أن الفوارق في العمر والجسم بين محمد ﷺ، وعلي رضي الله عنه كبيرة وكثيرة، والخطأ من الملائكة المبعوثين لا يجوز عقلاً، لأنه انتقاص من قدرة الله سبحانه، ووصف له بالجهل. [وانظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص٣٠٣، والغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية ص١٠٣، ١٠٤].

إسحاق على عيسو، فأخطأت البركة، ومضت إلى يعقوب، فعلى كلتا الطائفتين لعنة الله.

فهذه وجوه الخبث والغش في هذه القضية، وأما وجوه الكذب فكثيرة جداً.

من ذلك نسبتهم الكذب إلى يعقوب عليه السلام وهو نبي الله تعالى ورسوله في أربعة مواضع: أولها قوله لأبيه إسحاق عليه السلام: أنا ابنك عيسو وبكرك، فهذه كذبتان في نسق؛ لأنه لم يكن ابنه عيسو، ولا كان بكره. وثانية قوله لأبيه: صنعتُ جميع ما قلتَ لي، فاجلس وكُلْ من صيدي. فهذه كذبتان في نسق، لأنه لم يكن قال له شيئاً، ولا أطعمه من صيده.

● وكذبات أخر، وهي بطلان بركة إسحاق إذ قال له: تخدمُك الأمم، وتخضع لك الشعوب، وتكون مولى إخوتك، ويسجد لك بنو أبيك، وقوله لعيسو: ولأخيك تستعبد. فهذه كذبات متواليات، واللهِ ما خدمت الأمم قط يعقوب، ولا بنيه من بعده، ولا خضعتْ لهم الشعوب، ولا كانوا موالي إخوتهم، ولا سجد لهم ولا له بنو أبيه، بل بنو إسرائيل خدموا الأمم في كل بلدة، وفي كل أمة، وهم خضعوا للشعوب قديماً وحديثاً في أيام دولتهم وبعدها. فإن قالوا: سيكون هذا. قلنا لهم:

قد حصلتم على الصَّغار قديماً ... والأماني بضائع السخفاء[1]

هيهات.

تَرَجَّى ربيع أن ستحيا صغارها ... بخير، وقد أعيا ربيعاً كبارها[2]

---

[1] هذا البيت من بحر الخفيف، ولعله من قصيدة لابن الرومي يهجو بها أحد الأمراء الشعراء:

قد بلينا في دَهْرنا بملوك ... أدباء - علمتهم - شعراء

إن أجدنا في مدحهم حسدونا ... فحرمنا منهم ثواب الثناءِ

أو للمتنبي من قصيدة يهجو بها كافوراً:

فارمِ بي حيثما أردتَ فإني ... أسد القلب آدميُّ الرواءِ

وفؤادي من الملوك وإن كا ... نَ لساني يرى من الشعراءِ

[2] هذا البيت من قصيدة للفرزدق يهجو بها بني ربيع بن الحارث رهط مرة بن محكان. وأولها:

كأن ربيعاً من عماية منقر ... أتانٌ دعاها فاستجابت حمارُها =

لا سيما مع تَقَضّي جميع الآماد التي كانوا ينبئون بأنها لا تنقضي حتى يرجع أمرهم.

واعلموا أن كل أمة أدبرت، فإنهم ينتظرون من العودة، ويُمنّون أنفسهم من الرجعة بمثل ما تُمني به بنو إسرائيل أنفسها، ويذكرون في ذلك مواعيد كمواعيدهم، فأمل كأمل، ولا فرق، كانتظار مجوس الفرس (بهرام هماوند) راكب البقرة، وانتظار الروافض للمهدي، وانتظار النصارى الذين ينتظرون المسيح في السحاب، وانتظار الصابئين أيضاً لقصة أخرى، وانتظار غيرهم للسفياني(١).

= أترجو ربيع أن يجيء صغارها ... بخير، وقد أعيا ربيعاً كبارها

وقد تنحَّل هذا البيت كثير من الشعراء. [وانظر: ديوان الفرزدق ص٣٣٨].

(١) بَهْرام اسم ستة ملوك ساسانيين حكم أولهم ما بين عامي ٢٧٣ ـ ٢٧٦م، ثم خلفه ابنه، وبهرام شوبين قائد فارسي ردَّ هجمات الأتراك عن إيران، ثم ثار مع جنوده إلى هرمز وقتله عام ٥٩٠م، ونادى بنفسه ملكاً باسم بهرام، وهو السادس، خلف كسرى بمساعدة البيزنطيين عام ٥٩١م. [وانظر المنجد].

أما فكرة انتظار مخلص، فالظاهر أنها في الأصل فكرة يهودية رَشَحت إلى غيرهم من الأمم والطوائف، فاليهود مجمعون على أن في التوراة بشارة بنبي يأتي في آخر الزمان مماثل لموسى في أوصافه ونهجه، يجاهد وينتصر، ولن تقف أمام دعوته قوة، ويبقى دينه ظاهراً إلى يوم القيامة. ووصفوه بأنه رسول السماء، وأطلقوا عليه اسم المسيح المنتظر وملك السلام.

وانتشرت عقيدة المخلص الذي يأتي ليعيد مجد إسرائيل ويجمع أشتات اليهود بفلسطين، ويجعل أحكام التوراة نافذة، ويجعل بالقوة من القدس محور العالم، ويقيم الموتى ويرمي الشعوب بقضيب موسى، ويبني الهيكل.

وتهيأ الرأي العام اليهودي لهذا المسيح الذي سينال الشعب المختار على يديه ما يستحقه من سؤدد، وطال الانتظار، فمنذ العودة من سبي بابل وهم ينتظرون. [وانظر: كتابي المسيح المنتظر ونهاية العالم ص١٦٢ ـ ١٦٤] للمؤلف.

ويعتقد النصارى برجوع المسيح ﷺ، ويزعم أكثرهم أن لعودته ظاهرتين:

• الظاهرة الأولى: مجيئه لقدِّيسيه. وفيها يقوم الموتى بالمسيح، ويتغير النصارى الأحياء، وكلاهما سيختطف إلى السُّحُب لملاقاة المسيح، فأبناء الإله الذين ماتوا على مر العصور يبعثون من قبورهم أحياء في أجساد إعجازية جديدة، ويصعدون لمقابلة المسيح في الفضاء، أما الأحياء، فيختطفون من الأرض إلى السماء، ليبتعدوا عن الدَّجال والضيق العظيم الذي يحلُّ في الأرض، وسينطلق بهم المسيح سريعاً إلى احتفال النصر الأعظم الذي لم يكن له مثيل في يوم من الأيام، ألا وهو عشاء زواج الخروف في السماء.

وفي فترة الضيق هذه ينصبُّ غضب الله العظيم على الأرض ضدَّ القوى المعادية للمسيح، فيبحث الناس عن الموت ولا يجدونه، وفي غضون ذلك يؤمن من بقي من بني إسرائيل =

= بالمسيح، ويصبحون رُسلاً للإنجيل.

• الظاهرة الثانية: مجيئه مع قدِّيسيه للملك والدينونة، فعندما توشك فترة الضيق على الانتهاء، يأتي ضيوف السماء، ويعود المسيح مع قدِّيسيه، ويسيطر بقوته على العالم، ويقيِّد الشيطان ويُدين الأمم، ويملك مع قدِّيسيه لألف عام، ويحكم بالطريقة التي يجب أن يحكم بها لو لم يَعْصِ الإنسان ربَّه. وبذلك تبدأ فترة ألف عام من السلم والخير الكثير. وهو ما يسمى بالجنة الأرضية. [هذه عقائدنا لـ ج. كلايد تارنر ص١٦٥].

وسرت فكرة رجوع الغائب المنتظر أيضاً إلى طوائف الشيعة ـ حاشا الزيدية ـ فنادت كل فرقة بعودة الإمام الذي آمنت به بعد غيبته أو اختفائه:

أ ـ فنادت الإسماعيلية برجعة إمامهم محمد بن إسماعيل، بل زعم بعضهم أن المهدي المنتظر هو عبد الله المهدي الذي ظهرت على يده الدولة الفاطمية.

ب ـ ونادت الكَيْسَانية بعودة محمد بن الحنفية بعد موته، أو بظهوره بعد اختبائه عند من لم يؤمن بموته، ويزعمون أنه حي بجبل رَضْوى في الحجاز، وعنده عينان تجريان بماء وعسل، وعن يمينه أسد، وعن يساره نَمِر، يحفظانه من أعدائه إلى وقت خروجه، علماً بأنه مات بالمدينة المنورة سنة ٨١هـ، وصلَّى عليه المسلمون، ودفن بالبقيع.

ج ـ ونادت الاثنا عشرية برجعة آخرِ أئمتهم محمد بن الحسن العسكري، وزعموا أنه المهدي المنتظر، ويعتقدون أنه دخل سِرْداباً بدار أبيه بعد موته بسامراء، وكان عمره سنتين أو ثلاثاً أو خمساً، وسيخرج في آخر الزمان، فيملأ الأرض عدلاً.

والذي دعا الشيعة إلى تبنِّي فكرة ظهور الإمام بعد الغيبة أو الاختفاء والتركيز عليها هو ما آلت إليه أحوالهم بعد استشهاد الإمام علي وتنازل الحسن ابنه لمعاوية ﷺ ومبايعته له، ثم استشهاد الحسين ﷺ وإخفاق الحركات التي قاموا بها، فتدخلت الأصابع الخفية، وعلى رأسهم السبئية، واستغلوا عواطف الناس، فربطوا الأتباع بأمل يتطلعون إليه، فكان ذلك.

وقد غالت طوائف من الشيعة في عقيدة الرجعة، فنادوا بعودة الأئمة وعودة أعدائهم معهم إلى الحياة، لكي ينال كلٌّ جزاءه الدنيوي، ويُعذَّب من اعتدى على الأئمة وغصبهم حقوقهم أو قتلهم. واستشهدوا بقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ٨٣] قال الطبرسي في مجمع البيان: وقد تظاهرت الأخبار عن أئمة الهدى من آل محمد أن الله سيعيد عند قيام المهدي قوماً ممَّن تقدم موتهم من أوليائه وشيعته ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته، ويبتهجوا بظهور دولته، ويُعيد قوماً من أعدائه لينتقم منهم، وينالوا بعض ما يستحقونه من العذاب على أيدي شيعته. [وانظر: دراسة الفرق في تاريخ المسلمين الخوارج والشيعة لـ د. أحمد محمد جلي ص١٧٥ ـ ١٧٦ و٢٠٨ ـ ٢٠٩، و٢٢١ ـ ٢٢٢، والغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية لعبد الله سلوم السامرائي ص٢٩٤ ـ ٢٩٦، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص٢٩٩ ـ ٣٠٤].

أما السفياني فقد ذكر القرطبي في التذكرة ص٧٠٢ أن المهدي يقاتل السفياني ومن معه من أخواله من قبيلة كلب. فيحاصره المسلمون، ثم يقتلونه، ويغنمون غنائم كبيرة.

وغيظٌ على الأيام كالنار في الحَشَا ولكنه غَيْظ الأسير على القَد[1]

وأما قوله: «تكون مولى إخوتك، ويسجد لك بنو أبيك»[2]، فلعمري لقد صحَّ ضدَّ ذلك جهاراً، إذ في توراتهم أن يعقوب كان راعي خاله لابان بن ناحور بن لامك، وخادمه عشرين سنة[3]، وأنه بعد ذلك سجد له وجميع ولده، حاش من لم يكن خلق، لأخيه عيسو مراراً كثيرة، وما سجد عيسو ليعقوب قط، ولا ملك قط أحد من بني يعقوب بني عيسو، وأن يعقوب تعبَّد لعيسو في جميع خطابه له، وما تعبَّد قط عيسو ليعقوب، وسأله عيسو عن أولاده، فقال له يعقوب: هم أصاغر، مَنَّ الله بهم على عبدك، وأن يعقوب طلب رضاء عيسو وقال له: إني نظرت إلى وجهك كمن نظر إلى بهجة الله، فارضَ عني، واقبل ما أهديت لك، وأن عيسو بالحرَّا قبل هدية يعقوب حينئذٍ، فما نرى عيسو وبنيه إلا موالي يعقوب وبنيه[4].

---

(١) القِد ـ بكسر القاف وفتحها ـ: السوط، وجمعه أَقُد وقدود [المنجد]:
والبيتان للمتنبي، مطلعها:
نسيت وما أنسى عتاباً على الصدّ ولا خفراً زادت به حمرة الخدّ
[ديوان المتنبي بشرح البرقوقي ٢/١٦١].

(٢) سبق ذكر هذه الجملة في كلام ابن حزم رحمه الله وهي في سفر التكوين ٢٧/٢٩: «وليسجد لك بنو أمك». وعند الكاثوليك: «ولك بنو أمك يسجدون».

(٣) ذكر ابن حزم رحمه الله هنا أن يعقوب كان راعي ابن عمه لابان بن ناحور بن لامك، وأنه خادمه عشرين سنة، وفي سفر التكوين أنه خاله، ففي ٢٨/٢ أن إسحاق قال لابنه يعقوب: «قم اذهب إلى فدان أرام إلى بيت بَتوئيل أبي أمك، وخذ لنفسك زوجة من هناك من بنات لابان أخي أمك»، وفي ٢٨/٥: «فصرف إسحاق يعقوب، فذهب إلى فدان أرام، إلى لابان بن بتوئيل الأرامي أخي رفقة أم يعقوب وعيسو»، فيبدو أنه قصد العمومة البعدي، ففي التكوين ١١/٢٧: «ولد تارَح أبرام وناحور وهاران»، وفي ١١/٢٩: «واسم امرأة ناحور مِلْكة بنت هاران» وفي ٢٤/١٥: «رفقة التي وُلِدت لبتوئيل بن ملكة امرأة ناحور أخي إبراهيم»، وفي ٢٤/٢٩: «وكان لرفقة أخ اسمه لابان». إذاً، فلابان بن بتوئيل بن ناحور أخي إبراهيم. ولذلك جاء في ٢٩/٥: «فقال لهم: هل تعرفون لابان بن ناحور». فذكر جده ولم يذكر أباه.

(٤) جاء في سفر التكوين ٣٢/١ ـ ١١: وأما يعقوب فمضى في طريقه ـ أي بعد أن ودَّع خاله لابان ـ وأرسل رُسلاً قدامه إلى عيسو أخيه إلى أرض سعير بلاد أدوم، وأمرهم قائلاً: هكذا تقولون لسيدي عيسو: هكذا قال عبدك يعقوب: تغربت عند لابان، ولبثت إلى الآن، وقد صار لي بقر وحمير وغنم وعبيد وإماء، وأرسلتُ لأخبر سيِّدي لكي أجد نعمة في عينيك، فرجع الرسل إلى يعقوب قائلين: أتينا إلى عيسو، وهو أيضاً قادم للقائك، وأربعمئة رجل =

وكذلك ملك بنو عيسو بإقرار توراتهم ميراثهم بساعير، وهي جبال الشراة، وبنو لوط ميراثهم بمؤاب وعمان قبل أن يملك بنو إسرائيل ميراثهم بفلسطين والأردن بدهر طويل، ثم لم يزالوا يتغلبون على بني إسرائيل أو يساوونهم طول دولة بني إسرائيل بإقرار كتبهم، وما ملك بنو إسرائيل قط بني عيسو ولا بني لوط، ولا بني إسرائيل بإقرارهم، ولقد بقي عيسو وبنو لوط بإقرار كتبهم في ميراثهم بساعير ومؤاب وعمان بعد هلاك دولة بني إسرائيل وإخراجهم عن ميراثهم[1]، ثم ملكهم بنو إسماعيل إلى اليوم، فما نرى تلك البركة كانت إلا

= معه. خاف يعقوب جداً، فقسم القوم الذين معه والغنم والبقر والجمال إلى جيشين، وقال: إن جاء عيسو إلى أحدهما وضربه يكون الثاني ناجياً. وقال يعقوب: يا إله أبي إبراهيم وإله أبي إسحاق، الرب الذي قال لي: ارجع إلى أرضك وعشيرتك فأحسن إليك ونجّني من يد أخي عيسو، لأني خائف منه.

٣٢/١٣ ـ ٢٣: وبات تلك الليلة، وأخذ مما أتى بيده هدية لعيسو أخيه... ودفعها إلى عبيده قطيعاً قطيعاً على حِدَة، وقال: اجتازوا قُدَّامي، واجعلوا فسحة بين قطيع وقطيع، وأمر الأول قائلاً: إذا صادفك أخي وسألك لمن أنت وإلى أين تذهب ولمن هذا؟ تقول: لعبدك يعقوب، هو هدية مرسلة لسيدي عيسو، وها هو أيضاً وراءنا، وأمر جميع السائرين وراء القطعان بمثل هذا الكلام، تقولون هو ذا عبدك يعقوب وراءنا... وأما هو فبات في المحلَّة، ثم قام في تلك الليلة وأخذ امرأتيه وجاريتيه وأولاده الأحد عشر، وعبر مخاضة يَبّوق، وأجازهم الوادي وأجاز ما كان له.

٣٣/١ ـ ١١: ورفع يعقوب عينيه ونظر وإذا عيسو مقبل ومعه أربعمئة رجل... فاجتاز قُدَّام عياله وسجد إلى الأرض سبع مرات حتى اقترب إلى أخيه. فركض عيسو للقائه وعانقه، ووقع على عنقه وقبله وبكيا. ثم رفع عينيه وأبصر النساء والأولاد وقال: ما هؤلاء منك؟ فقال: الأولاد الذين أنعم الله بهم على عبدك. فاقتربت الجاريتان وأولادهما وسجدتا، ثم اقتربت لَيئة وأولادها وسجدوا، وبعد ذلك اقترب يوسف وراحيل وسجدا، فقال: ماذا منك كل هذا الجيش الذي صادفته؟ فقال: لأجد نعمة في عيني سيدي. فقال عيسو: لي كثير ليكن لك الذي لك. فقال يعقوب: إن وجدتُ نعمة في عينيك تأخذ هديتي، لأني رأيت وجهك كما يُرى وجه الله، فرضيتَ علي... وألح عليه فأخذ.

٣٣/١٢ ـ ١٤: ثم قال: لنرحل ونذهب... فقال: ليجتز سيدي قدام عبده، وأنا أستاق على مَهَلي حتى أجيء إلى سيِّدي إلى سِعير.

ويظهر من هذا أن كلام إسحاق في ابنيه لم يتحقق، فلم يستعبِد سارق البركة من سُرقت منه، بل العكس حدث.

[1] جاء في سفر التثنية ٢/٤ ـ ٦: أنتم مارون بتخم إخوتكم بني عيسو الساكنين في سعير فيخافون منكم فاحترزوا جداً، لا تهجُموا عليهم، لأني لا أعطيكم من أرضهم ولا وطأة =

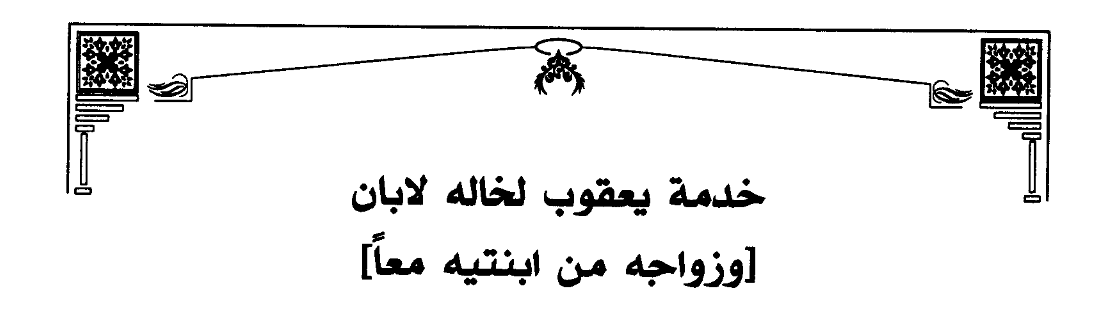
معكوسة، ونعوذ بالله من الخذلان، ولكن حق البركة المسروقة المأخوذة بالخبث في زعمهم أن تخرج معكوسة منكوسة.

* * *

= قدم، لأني لعيسو قد أعطيت جبل سعير ميراثاً.

٢/٨ ـ ٩: فعبرنا عن إخوتنا بني عيسو الساكنين في سعير على طريق العربة، ثم تحوَّلنا ومررنا في طريق برية موآب، فقال لي الرب: لا تُعادِ موآب ولا تُثِرْ عليهم حرباً، لأني لا أعطيك من أرضهم ميراثاً، لأني لبني لوط قد أعطيت عار ميراثاً.

٢/١٨ ـ ١٩: أنت مار اليوم بتخم موآب بعار، فمتى قربت إلى تُجاه بني عَمُّون ولا تُعادهم ولا تهجموا عليهم، لأني لا أعطيك من أرض بني عمون ميراثاً، لأني لبني لوط قد أعطيتها ميراثاً.



خدمة يعقوب لخاله لابان
[وزواجه من ابنتيه معاً]

ثم ذكر أن يعقوب إذ مضى إلى خاله لابان بن بتوئيل خطب إليه ابنته راحيل، وقال له: أخدمك سبع سنين في راحيل ابنتك الصغرى، فقال له لابان: أن أعطيك إياها أحسن من أن أعطيها رجلاً آخر، أقِمْ عندي، وخدم يعقوب في راحيل سبع سنين، وصارت عنده أياماً يسيرة في محبته لها، وقال يعقوب للابان: أعطني زوجتي، إذ قد كملت أيامي فأدخل بها. وجمع لابان جميع أهل الموضع، وصنع وليمة، فلما كان بالعشي أخذ ليئة ابنته وزفها إليه، ودخل بها، فلما كان بالغد ورأى أنها ليئة، قال للابان: ماذا صنعت؟ أليس في راحيل خدمتك؟ فلم خدعتني؟ فقال لابان: لا نصنع هكذا في موضعنا، أن نزوج الصغرى قبل الكبرى، أكمل أسبوع هذه، وأعطيك هذه بخدمة تخدمها سبع سنين أخرى، وصنع يعقوب كذلك، وأكمل أسبوع ليئة، وأعطى راحيلَ ابنته لتكون له زوجة(١).

---

[١] بعد أن خدع يعقوب أباه، وانتشل منه البركة التي كانت لأخيه عيسو وبتدبير أمهما رفقة، وحقد عيسو على أخيه كما سلف، خافت الأم على يعقوب، فأشارت عليه بالهرب إلى خاله لابان والإقامة عنده إلى أن يرتد سخط عيسو، وتذرعت بما يلي:

جاء في سفر التكوين ٢٧/٤٦: وقالت رفقة لإسحاق: مللتُ حياتي من أجل بنات حِثّ، إن كان يعقوب يأخذ زوجة من بنات حث مثل هؤلاء من بنات الأرض، فلماذا لي حياة؟

٢٨/١ ـ ٢: فدعا إسحاق يعقوب وباركه وأوصاه وقال له: لا تأخذ زوجة من بنات كنعان، اذهب إلى فَدَّان أرام، إلى بيت بَتُوئيل أبي أمك، وخذ لنفسك زوجة من هناك من بنات لابان أخي أمك.

٢٩/١ ـ ٦: ثم ذهب يعقوب إلى أرض بني المشرق، ونظر وإذا في الحقل بئر، وهناك ثلاثة قطعان غنم رابضة عندها... فقال لهم: من أين أنتم؟ قالوا: من حاران. قال: هل تعرفون لابان بن ناحور؟ قالوا: نعرفه... وهو ذا راحيل ابنته آتية مع الغنم.

٢٩/١٠ ـ ١٤: فلما أبصر راحيل وغنم خاله تقدَّم ودحرج الحجر عن فم البئر وسقى الغنم، وقبَّل راحيل ورفع صوته وبكى، وأخبرها أنه أخو أبيها وأنه ابن رفقة. فركضت =

قال أبو محمد رَحِمَهُ اللهُ: في هذا الفصل آبدة الدهر[1] وهي إقرارهم أن يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ تزوج راحيل فأدخلت عليه غيرها، فحصلت ليئة إلى جنبه بلا نكاح، وولد لها منه ستة ذكور وابنة. وهذا هو الزنى بعينه، أخذ امرأة لم يتزوجها بخديعة، وقد أعاذ الله نبيه من هذه السوءة، وأعاذ أنبياءه موسى وهارون وداود وسليمان من أن يكونوا من مثل هذه الولادة، وهذا يشهد ضرورة أنها من توليد زنديق متلاعب بالديانات[2].

= وأخبرت أباها فركض للقائه وعانقه وقبله وأتى به إلى بيته، فأقام عنده شهراً.

١٥/٢٩ ـ ٣٠: ثم قال لابان ليعقوب: ألأنك أخي تخدمني مجاناً، أخبرني ما أجرتك؟ وكان للابان ابنتان، اسم الكبرى لَيئة، واسم الصغرى راحيل، وكانت عينا ليئة ضعيفتين، وأما راحيل فكانت حسنة الصورة والمنظرة، وأحب يعقوب راحيل، فقال: أخدمك سبع سنين براحيل، فقال: أن أعطيك إياها أحسن من أن أعطيها لرجل آخر، أقم عندي. فخدم يعقوب براحيل سبع سنين، وكانت في عينيه كأيام قليلة بسبب محبته لها، ثم قال يعقوب للابان: أعطني امرأتي، لأن أيامي قد كملت، فأدخل عليها. فجمع لابان جميع أهل المكان وصنع وليمة، وكان في المساء أن أخذ ليئة وأتى بها إليه، فدخل عليها... وفي الصباح إذا هي ليئة. فقال للابان: ما هذا الذي صنعت بي؟ أليس براحيل خدمت عندك؟ فلماذا خدعتني؟ فقال لابان: لا يفعل في مكاننا أن تعطى الصغيرة قبل البكر، أكمل أسبوع هذه، فنعطيك تلك أيضاً بالخدمة سبع سنين أخر. ففعل يعقوب هكذا، فأعطاه راحيل زوجة له... فدخل عليها أيضاً، وأحبها أكثر من ليئة. وعاد فخدم سبع سنين أخر.

[1] الآبدة: الداهية التي تبقى أبداً. [القاموس].

[2] هذه القصة ظاهرة الكذب، لأن يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يعرف الأختين حق المعرفة وجهاً وجسماً وصوتاً، فقد عاش معهما سبع سنين، وسمع صوتيهما وعرف حجم جسميهما وأحب إحداهما وطلبها من أبيها وعمل من أجلها، فهبِ الظلام كان دامساً، وأن ليئة ادعت أنها راحيل، ألم يميز صوتها خلال حديثه معها؟ ولنفرض أنها لم تكلمه البتة، ألم يلمسها بيده؟! وكان في ليئة علامة بينة وهي استرخاء العينين، ثم إن قلب المحب يميز كما يقولون، فالعجب أن تكون في فراشه الليل كله ويضاجعها ويلمسها ولا يعرفها؟! إلا أن يقولوا: كان سكران، فهذا لا يناسب رتبة النبوة، لا سيما وقد باركه أبوه. لكن يبدو أن الجزاء من جنس العمل، فكما خدع يعقوب أباه وسرق البكرة من أخيه عيسو، خدعه خاله لابان، إذ الأمور كلها مبنية عند كتاب التوراة على المخادعة، لكن يبقى التساؤل الذي مرَّ في القسم الثالث: هل كان يجوز الجمع بين الأختين في شريعة إبراهيم وإسحاق ويعقوب عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ثم نسخ بشريعة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أو أن القصة محض افتراء؟ الراجح الثاني لأنهم ينكرون النسخ ويعيبونه على المسلمين، ويكونون بذلك قد قذفوا يعقوب بالزنى بليئة، لأنه دخل بها من غير عقد، واستمر على ذلك، ثم جمع بين الأختين.

فإن قالوا: لا بدَّ أنه قد تزوَّجها، إذ يعلم أنها ليست التي تَزَوَّج. قلنا: فعلى أن يسمح لكم بهذا، فقد دخل بها بغير نكاح، لأنه ذكر أنه لم يدرِ أنها ليئة إلا بالغداة، وقد صرح بالدخول بها، إلا أن يقولوا: لم يدخل بها بل علم أنها ليست راحيل. فإن قلتم هذا كذبتم النص في قوله: «دخل بها، فلما كان بالغداة»، فليس لكم من الفضيحة بدٌّ، وإن سكتم عن هذا فالنسخ ثابت ولا بد، لأن نكاح الأختين معاً حرام في توراتكم[1].

وقد قال لي بعضهم في هذا: لم تكن الشرائع نازلة من عند الله تعالى قبل موسى عليه السلام، فقلت: هذا كذب، أليس في نص توراتكم أن الله تعالى قال لنوح عليه السلام: «كل دبيب حيٍّ يكون لكم أكله، كخضراء العشب أعطيتكم، لكن اللحم بدمه لا تأكلوه، وأما دماؤكم في أنفسكم فسأطلبها».

فهذه شريعة إباحة وتحريم قبل موسى عليه السلام[2].

---

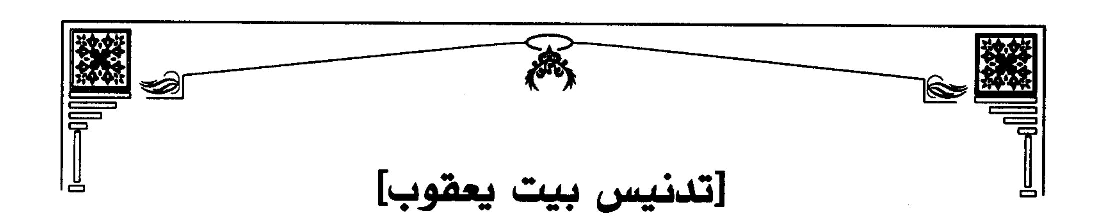
[1] جاء في سفر الأحبار ١٨/١٨: ولا تأخذ امرأة على أختها للضُر، لتكشف عورتها معها في حياتها.

[2] جاء في سفر التكوين ٩/٣ ـ ٤: كل دابة حيَّة تكون لكم طعاماً كالعشب الأخضر، دفعت إليكم الجميع، غير أن لحماً بحياته دمه لا تأكلوه ـ وعند الكاثوليك: ولكن لحماً بدمه لا تأكلوا ـ وأطلب أنا دَمَكم لأنفسكم فقط، من كل حيوان أطلبه، ومن يد الإنسان أطلب نفس الإنسان من يد أخيه.

اتهام يعقوب بالمكر والخديعة

جاء في سفر التكوين ٣٠/٢٣ ـ ٤٣: فلما ولدت راحيل يوسف قال يعقوب للابان: اصرفني فأمضي إلى أرضي، أعطني نسائي وأولادي الذين خدمتك بهم. فقال لابان: لو أني نِلْت حُظوة عندك، فقد صدقت فراستي وباركني الرب بسببك، وقال: عيِّن لي أجرتك فأعطيك، فقال له: أنت تعلم كيف خدمتك، وكيف صارت مواشيك معي، فإنها كانت قليلة قبل مجيئي، وقد نَمَت كثيراً، وباركك الرب بعد مجيئي. فقال: ماذا أعطيتك؟ فقال يعقوب: لا تعطني شيئاً، لكن إذا صنعت لي هذا الأمر، فأنا أعود إلى رعي غنمك وأحفظها، أجتاز بين غنمك كلها اليوم، واعزل أنت منها كل أرقط وأبلق وأسود من الضأن، وكل أبلق وأربط من المعز، فيكون مثل ذلك أجرتي، ويشهد في بري يوم غد إذا جئت من أجل أجرتي قدامك. كل ما ليس أرقط أو أبلق بين المعز، وأسود بين الخرفان، فهو مسروق عندي. فقال لابان: ليكن بحسب كلامك.

فعزل في ذلك اليوم التيوس المخطَّطة والبَلْقاء، كل عنز رَقْطاء وبَلْقاء، كلّ ما فيه بياض، وكل أسود من الضأن، ودفعها إلى أيدي بنيه، وجعل مسيرة ثلاثة أيام بينه وبين يعقوب، وكان يعقوب يرعى غنم لابان الباقية، فأخذ لنفسه قضباناً خضراً من لُبْنى ولَوْز ودُلْب، وقشر فيها =



[تدنيس بيت يعقوب]

○ [اتهام رأوبين بن يعقوب بالزنى بزوجة أبيه]:

ثم قال: وبينا إسرائيل بذلك الموضع ضاجع رأوبين بن لَيْئَة سُرِّية أبيه بِلْهة،

= خطوطاً بيضاً، كاشطاً عن البياض الذي على القضبان، وجعل القضبان التي قشرها تجاه الغنم في مساقي الماء، حيث كانت الغنم ترد، لتتوحم عند مجيئها لتشرب، فتوحَّمت الغنم عند القضبان، وولدت مخططة ورقطاء وبلقاء، وفرز يعقوب الخرفان، وجعل وجوه الغنم إلى المخطط، وكل أسود بين غنم لابان، وجعل له قطعاناً وحده، ولم يجعلها مع غنم لابان، وكان كلما توحَّمت الغنم القوية ـ وعند الكاثوليك: الربعية ـ وضع القضبان أمامها في الحياض لتتوحم عليها، وحين استضعفت الغنم ـ وعند الكاثوليك: وإذا كان الغنم في الخريف ـ لم يضعها، فصارت الضعيفة للابان والقوية ليعقوب. فأيسر الرجل كثيراً جداً، وكان له غنم كثير وجَوارٍ وعبيد وجمال وحمير.

اتهام يعقوب بالكذب على الله:

وجاء في ٣١/١ ـ ٢١: فسمع يعقوب بني لابان يقولون: أخذ يعقوب كل ما كان لأبينا، وممَّا لأبينا صنع هذه الثروة، ورأى وجه لابان، فإذا هو ليس معه كأمس وأول من أمس. وقال الرب ليعقوب: ارجع إلى أرض آبائك وأكون معك. فدعا راحيل وليئة إلى الحقل حيث كانت غنمه، وقال لهما: أرى وجه أبيكما ليس كما كان أمسِ وأول من أمسٍ، ولكن إلٰه أبي كان معي، وأنتما تعلمان أني خدمت أباكما بكل طاقتي، وقد غَدَر بي وغيَّر أجرتي عشر مرات، ولكن الله لم يسمح له أن يصنع بي شراً، إن قال: الرقط تكون أجرتك، ولدت كل الغنم رُقطاً، وإن قال: المخططة تكون أجرتك، ولدت كل الغنم مخططة، فقد سلب الله مواشي أبيكما وأعطاني، وحدث في وقت توحم الغنم أني رفعت عينيَّ ونظرت في حُلْم، وإذا الفحول الصاعدة على الغنم مخططة، ورقطاء ومتميزة، وقال لي ملاك الله في الحلم: يا يعقوب ارفع عينيك وانظر، جميع الفحول الصاعدة على الغنم مخطَّطة ورقطاء ومتميزة؛ لأني رأيت كل ما يصنع بك لابان، أنا إلٰه بيت إيل، حيث مسحتَ عموداً، ونذرت لي نذراً، قم اخرج من هذه الأرض، وارجع إلى أرض ميلادك، فقالت راحيل وليئة: هل بقي لنا نصيب وميراث في بيت أبينا؟ ألسنا عنده بمنزلة غرباء؟ وقد باعنا وأكل ثمننا، إن كل الغنى الذي سلبه الله من أبينا هو لنا ولأولادنا، فالآن كل ما قال الله لك افعل. فقام يعقوب وحمل أولاده ونساءه على الجمال، وساق مواشيه وجميع مُقتناه الذي امتلكه من فدان آرام، ليجيء إلى أرض كنعان. وأما لابان فكان قد مضى ليجز غنمه، وخدع يعقوب قلب لابان الأرامي، إذ لم يخبره بفراره، وهرب هو وكل ما كان له، فعبر النهر واستقبل جبل جلعاد.

وهي أم دان ونفتالي، وهما أخواه وابنا يعقوب عليه السلام[1].

ثم أكَّد هذا بأن ذكر في قرب آخر السفر الأول موت يعقوب عليه السلام ومخاطبته لبنيه ابناً ابناً، وأن يعقوب قال لرأوبين ابنه: إنك صَعِدت على سرير أبيك، ووسَّخت فراشه، وليس مما ابتذلت فراشي تَخْلُص[2].

○ [اغتصاب بنت يعقوب وغدر بعد أمان]:

وذكر في توراتهم أن شكيم بن حمور الحِوّي أخذ دِينة بنت يعقوب عليه السلام واضطجع معها وأذلَّها، ثم بعد ذلك خطبها إلى يعقوب أبيها. إلى أن ذكر قتل

---

(١) جاء في سفر التكوين ٣٥/ ٢١ ـ ٢٢: ثم رحل إسرائيل ونصب خيمته وراء مجدَل عوْر ـ وعند الكاثوليك: وراء برج القطيع ـ وحدث إذ كان إسرائيل ساكناً في تلك الأرض أن رَأوبين ذهب واضطجع مع بِلْهَة سُرِّية أبيه، وسمع إسرائيل.

وفي النسخة اليونانية بزيادة: وكان قبيحاً في نظره.

(٢) جاء في سفر التكوين ٤٩/ ١ ـ ٤: ودعا يعقوب بنيه وقال: اجتمعوا لأنبئكم بما يصيبكم في آخر الأيام... رأوبين أنت بكري قوتي وأول قدرتي، فضل الرفعة وفضل العز، فائراً كالماء، لا تتفضل؛ لأنك صعِدت على مضجع أبيك، حينئذٍ دنسته، على فراشي صعد.

وعند الكاثوليك: فُرت كالماء، لا تَفضُل، لأنك عَلَوت مضجع أبيك.

وهكذا اتهموا يعقوب عليه السلام بالدياثة وتعطيل الحدود. علماً بأن ابنه وسريته يستحقان القتل بنص توراتهم، ففي سفر اللّاويين ٢٠/ ١٠ ـ ١١: وإذا زنى رجل مع امرأة، فإذا زنى مع امرأة قريبه، فإنه يقتل الزاني والزانية، وإذا اضطجع رجل مع امرأة أبيه فقد كشف عورة أبيه، إنهما يقتلان كلاهما، دمهما عليهما.

وفي سفر التثنية ٢٢/ ٢٣: وإذا وجد رجل مضطجعاً مع امرأة زوجة بَعْل، يقتل الاثنان، الرجل المضطجع مع المرأة والمرأة، فتنزع الشر مع إسرائيل.

والقصة مختلقة، وإنما أرادوا تدنيس بيت النبوة، وقد ذكرت في القرآن الكريم على حقيقتها، قال تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

ونفى بعض أحبار اليهود أن يكون رأوبين ضاجع سُرّية أبيه، وفسروا النص بأنه إنما وسخ فراش أبيه كما في التلمود ص٢٥٦ طبعة لندن. ولكن هيهات، فإن الفقرة ٣٥/ ٢٢ صريحة في الاضطجاع وسماع إسرائيل بذلك. والزيادة في النسخة اليونانية تؤكد ذلك، وكذلك الفقرة ٤٩/ ٤، ولو كان الأمر مجرد توسيخ لقماش لما قامت هذه الضجة ومنع رأوبين من التفضل. وقد صاغ اليهود هذه القصة وأمثالها بأسلوب مراوغ، وحملوها على المجاز حين ترجموا التوراة إلى اللغة الآرامية، خوفاً من أن ينفر الناس حين تقرأ عليهم في المعابد.

لاوي وشِمعون لحمور وشكيم ابنه وجميع أهل مدينته، وإنكار يعقوب على ابنيه قتلهما لهم[1].

قال أبو محمد كَلَلهُ: معاذ الله أن يخذل الله نبيه ولا يعصمه في حرمة امرأته وابنته من هذه الفضائح، ثم لا ينكر ذلك بأكثر من التقرير الضعيف[2].

---

[1] جاء في سفر التكوين ٣٤/١ ـ ٣١: وخرجت دِينة ابنة لَيْئة التي ولدتها ليعقوب لتنظر بنات الأرض، فرآها شَكيم بن حَمُور الحِوّي رئيس الأرض، فأخذها واضطجع معها وأذلَّها، وتعلَّقت نفسه بها وأحبها ولاطفها، وقال لأبيه: خُذْ لي هذه الصبية زوجة. وسمع يعقوب أنه نجس دينة، وكان بنوه في الحقل مع المواشي، فسكت حتى جاؤوا.

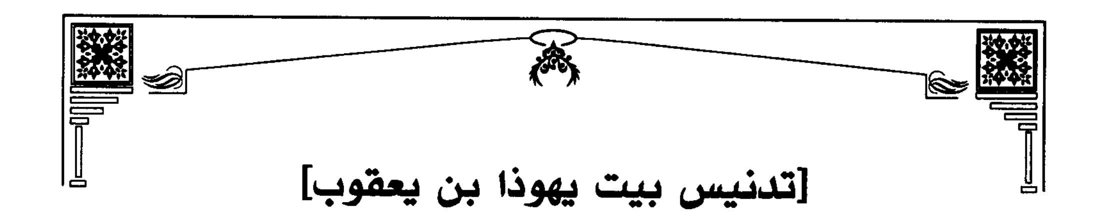
وخرج حمور إلى يعقوب ليكلمه، وأتى بنو يعقوب غاضبين حين سمعوا. قال لهم حمور: ابني تعلَّقت نفسه بابنتكم، أعطوه إياها زوجة وصاهرونا، تعطوننا بناتكم وتأخذون بناتنا وتسكنون معنا... دعوني أجد نعمة في أعينكم، فالذي تقولون لي أعطي. فأجاب بنو يعقوب بمكر وقالوا: لا نستطيع أن نعطي أختنا لرجل أغلف، لأنه عار لنا، غير أننا بهذا نواتيكم، إن صرتم مثلنا بختن كل ذكر نعطيكم ونأخذ منكم ونسكن معكم ونصير شعباً واحداً، وإن لم تسمعوا لنا نأخذ ابنتنا ونمضي. فحسن كلامهم في عيني حمور وشكيم ابنه، ولم يتأخر الفتى عن الفعل، لأنه كان قد شُغف بها.

وأتى حمور وابنه إلى باب مدينتهما، وقالا لأهلها: هؤلاء القوم مسالمون لنا، فليسكنوا في الأرض ويتجروا فيها... غير أنهم لا يواتوننا إلا بخَتْن كل ذكر كما هم مختونون... فسمع لهما جميع الخارجين من باب المدينة، واختتن كل ذكر.

فحدث في اليوم الثالث إذ كانوا متوجعين أن ابني يعقوب شمعون ولاوي أخذ كل واحد سيفه، ودخلا المدينة آمنَين، وقتلا كل ذكر، وقتلا حمور وشكيم ابنه، وأخذا دينة من بيت شكيم وخرجا، ثم أتى بنو يعقوب على القتلى، ونهبوا المدينة، غنمهم وبقرهم وحميرهم، وسَبَوا ونهبوا كل ثروتهم وكل أطفالهم ونسائهم وكل ما في البيوت.

فقال يعقوب لشمعون ولاوي: كدرتماني ـ وعند الكاثوليك: قد أشقيتماني، وأخبثتما ريحي ـ عند سكان الأرض، وأنا نفر قليل، فيجتمعون علي ويضربونني فأبيد أنا وبيتي، فقالا: أنظير زانية يفعل بأختنا.

[2] يريد كَلَلهُ أن هذه القصص واضحة الوضع بعيدة الوقوع، وحاشا لله أن لا يعصم حرمة زوجة النبي وابنته، وحاشا ليعقوب عليه السلام أن يرضى بمثل هذه الخسَّة والدناءة، غير أن أحبار اليهود وزعماءهم يحبكون ويسبكون هذه القصص وأمثالها، ليطبعوا عامة اليهود بطابع المكر والخديعة والغدر والخيانة، بدلاً من المروءة والشهامة.



[تدنيس بيت يهوذا بن يعقوب]

○ [زواج يهوذا ثم بكره عِيرا]:

ثم قال: وفي ذلك الزمان اعتزل يهوذا عن إخوته، وكان مع رجل من أهل عَدُلّام، يُدعى اسمه حيرة، فبصر في ذلك الموضع بابنة رجل كنعاني، اسمه شوع، فتزوجها وضاجعها، فحملت وولَدت ولداً اسمه عِيرا، ثم حملت ووضعت ثانياً، وسماه أونان، ثم حملت ووضعت، وسمته شِيلة، ثم أمسكت عن الولد. فزوج يهوذا عيرا بكر ولده امرأة. وكان عيرا مذنباً بين يدي السيد، ولذلك قتل[1].

○ [إقامة الأخ نسلاً لأخيه الذي مات دون إنجاب]:

فقال يهوذا لابنه أونان: ادخل إلى امرأة أخيك وضاجعها، لتحيي نَسْلَه، فلما علم أنه لا ينسب إليه مَنْ وُلد منها، ودخل إلى امرأة أخيه، وكان يعزل عنها، لئلا يولد لأخيه منه، ولذلك أهلكه السيد للفاحشة التي اطَّلع عليها منه. فعند ذلك قال يهوذا لثامار كنته: كوني أرملة في بيت أبيك إلى أن يكبر ابني شيلة. وكان يتوقع أن يصيبه من الموت ما أصاب أخاه إن ضاجعها. فسكنت في بيت أبيها[2].

---

[1] جاء في سفر التكوين ٣٨/ ١ ـ ٧: وحدث في ذلك الزمان ـ أي بعدما فعلوه بيوسف ـ أن يهوذا نزل من عند إخوته، ومال إلى رجل عَدُلَّامي، اسمه حِيرة، ونظر يهوذا هناك ابنة رجل كنعاني، اسمه شوع، فأخذها ودخل عليها، فحبلت وولدت ابناً، ودعا اسمه عيرا، ثم حبلت وولدت ابناً، ودعت اسمه أونان، ثم عادت فولدت أيضاً ابناً، ودعت اسمه شِيلة، وأخذ يهوذا زوجة لعيرا بكره، اسمها ثامار. وكان عيرا شريراً في عيني الرب فأماته الرب.

وقد ذكر السموءل بن يحيى المغربي القصة في بذل المجهود ص١٧٤ وقال: وكان عيرا يأتيها مستدبراً فغضب الله من فعله فأماته.

[2] التكوين ٣٨/ ٨ ـ ١١: فقال يهوذا لأونان: ادخل على امرأة أخيك، وتزوج بها، وأقم نسلاً لأخيك. فعلم أونان أن النسل لا يكون له، فكان إذا دخل على امرأة أخيه أفسد على الأرض، لكيلا يعطي نسلاً لأخيه، فقبح في عيني الرب ما فعله فأماته أيضاً، فقال يهوذا =

○ [زنى يهوذا بكنته]:

وبعد أيام كثيرة توفيت بنت شوع امرأة يهوذا، فتصبَّر يهوذا، وتسلَّى عن حزنها، وتوجه إلى جُزَاز أغنامه مع حَيْرة صديقه العَدُلّامي إلى تِمنة. وقيل لثامار: إن خَتنك صاعد إلى تمنة ليجز أغنامه، فألقت عن نفسها ثياب الأرامل وتقنَّعت وقعدت في مجمع الطرق المسلوكة إلى تمنة. فعلت ذلك مذ كبُر شيلة ولم تزوج منه. فلما رآها يهوذا ظنَّها زانية، وكانت غطَّت وجهها لئلا تُعرف، فمال إليها وقال: ائذني لي في مضاجعتك، وكان يجهل أنها كنته، فقالت له: ماذا تعطيني إن أمكنتك من مضاجعتي؟ قال لها: أبعث إليك جَدْياً من الغنم، فقالت: نعم إن أعطيتني رهناً إلى أن تبعث ما وعدت. فقال لها يهوذا: وما أرهنه لك؟ قالت: ارهن لي خاتمك وحزامك والعصا التي بيدك. فحبلت من مضاجعة واحدة، ثم انطلقت وألقت الشكل الذي كانت فيه، وعادت إلى شكل الأرامل، وبعث يهوذا الجدي مع صديقه العَدُلَّامي ليأخذ من المرأة الرهن الذي وضعه عندها، فسأل عنها إذ لم يجدها من سكان ذلك الموضع، فقال: أين المرأة القاعدة في مجمع الطرق؟ فقالوا له: لم تكن في هذا الموضع زانية، فانصرف إلى يهوذا فقال له: لم أجدها، وقال لي سكان ذلك الموضع: لم تكن ههنا زانية، فقال يهوذا: تأخذ ما عندها مخافة أن تكون ضحكة، فإني قد أرسلت إليها، وأنت تقول لم أجدها[1].

○ [ظهور الحمل وإصدار الحكم ثم نقضه بعد معرفة الحقيقة]:

وبعد ثلاثة أشهر قيل ليهوذا: إن كنتك ثامار قد زنت، وقد بدأ بطنها يظهر،

= لثامار كنته: اقعدي أرملة في بيت أبيك حتى يكبُر شيلة. لأنه قال: لعله يموت أيضاً كأخويه. فمضت وقعدت في بيت أبيها.

ولا زال هذا الحكم مرعياً عندهم، ويسمى (البياما والحالوص)، وتفصيل الحكم وعقوبة من أباه مذكور في سفر التثنية ٢٥/ ٥ ـ ١٠، وانظر: بذل المجهود بتعليقي عليه ص١٧٩ ـ ١٨١.

(١) النص في سفر التكوين ٣٨/ ١٢ ـ ٢٣: بألفاظ متقاربة وزيادات بسيطة، منها ما يلي:

١ ـ وقعدت في مجمع الطرق المسلوكة إلى تمنة. وفي السفر الحالي: وجلست في مدخل عَينايم التي على طريق تمنة، وعند الكاثوليك: وجلست في مأتى العينين.

٢ ـ ارهن لي خاتمك وحِزامك. وفي السفر: خاتمك وعصابتك، وعند الكاثوليك: وعمامتك.

٣ ـ تأخذ ما عندها مخافة أن تكون ضحكة، وفي السفر: لئلا نصير إهانة، وعند الكاثوليك: لئلا يلحقنا خزي.

فقال يهوذا: أخرجوها لتحرق. فلما أخرجت بعثت إلى يهوذا: إنما حبلت من الذي له هذا، فاعرف هذا الخاتم والزنار والعصا. فلما عرف قال: هي أعدل مني، إذ منعتها شيلة ولدي، ولم يضاجعها بعد ذلك[1].

○ [الولادة بتوءم وتسميتهما]:

فلما أدركتها الولادة، ظهر فيها توءمان، ففي وقت خروجهما بدر أحدهما وأخرج يده، فربطت القابلة في يده خيطاً أُرجوانياً وقالت: هذا يخرج أولاً، فأدخل يده إلى نفسه، وأخرج الولد الآخر، فقالت له القابلة: لم افترصت أخاك؟ فسمي فارصاً، وبعده خرج الذي ربط في يده الخيط الأرجوان، وسمي زارَح[2].

قال أبو محمد ﷺ: ففي هذا الكلام عار وفضيحة مكذوبة، وكذب فاحش مفرط القبح: فأما العار، فالذي ذكره عن يهوذا من طلبه الزنى بامرأة لقيها في الطريق على أن يعطيها جَدياً، ثم جَوْره في الحكم عليها بالحرق، فلما علم أنه صاحب الخصلة، أسقط الحكم عن نفسه وعنها[3]. ثم شنيعة أخرى، وهي قوله:

---

(١) النص في سفر التكوين ٣٨/ ٢٤ ـ ٢٦ بألفاظ متقاربة.

(٢) جاء في سفر التكوين ٣٨/ ٢٧ ـ ٣٠: وفي وقت ولادتها، إذا في بطنها توءمان، وكان في ولادتها أن أحدهما أخرج يداً، فربطت القابلة على يده قِرْمِزاً قائلة: هذا خرج أولاً، ولكن حين رد يده إذا أخوه قد خرج. فقالت: لماذا اقتحمت، عليك اقتحام، فدعي اسمه فارِص، وبعد ذلك خرج أخوه الذي على يده القِرْمِز، فدعي اسمه زارح.

وعند الكاثوليك: لماذا انقطع لأجلك السياج. فدعي اسمه فارص.

والفرص: لغة القطع، وفرصه: قطعه وشقَّه. والفُرصة: النُهزة. يقال: انتهز فلان الفرصة، وافترصها، أي اغتنمها. [القاموس ومختار الصحاح].

وزرَح ـ كمنع ـ: شجَّ،وكفرح: زال من مكان لآخر. والزُّراح ـ كرمان ـ النشيط. [القاموس].

(٣) جاء في بذل المجهود ص١٧٧: ففي هذه الحكاية دقيقة ملزمة بالنسخ، وهي أن يهوذا لما أخبر بأن كنته قد عَلِقَتْ من الزنى، أفتى بإحراقها، فبعثت إليه بخاتمه وعصاه، وقالت: من ربُّ هذين أنا حامل. فقال: صدقت، مني ذلك، واعتذر بأنه لم يعرفها، ولم يعاودها، وهذا يدل على أن شريعة ذلك الزمان كانت مقتضية إحراق الزواني، وأن التوراة أتت بنسخ ذلك، وأوجبت عليهن الرجم. اهـ.

جاء في سفر اللاويين ٢٠/ ١٢: وإذا اضطجع رجل مع كنته، فإنهما يقتلان كلاهما، قد فعلا فاحشة، دمهما عليهما.

وإن الإنسان ليعجب، كيف يخطئ يهوذا هذه الخطيئات وقد باركه أبوه يعقوب! وإذا كان =

«إن أونان بن يهوذا لما عرف أنه لا ينسب إليه من يولد من امرأته التي تزوجها بعد موت أخيه جعل يعزل عنها» وهذا عجيب جداً أن تلد امرأة رجل من زوجها من لا ينسب إليه، لكن إلى غيره ممن قد مات قبل أن يتزوجها هذا. فلعلّ فيهم الآن ولادات وأنساب في كتبهم مثل هذه. فهذه والله أمور سمْجة[1].

○ [نِتاج تلك الفريات الطَّعْن في نسب أنبيائهم]:

ثم دع يهوذا، فليس نبياً، ولا ينكر ممن ليس نبياً مثل هذا، إنما الشأن كلُّه والعجب في أنهم مطبقون بأجمعهم قطعاً على أن سليمان بن داود بن إشماي بن عونين بن بوعز بن بشاي بن نحشون بن عمينا داب بن نورام بن حصرون بن فارص المذكور ابن يهوذا، فجعلوا الرسولَين الفاضلين مولودَين من تلك الولادة الخبيثة، راجِعَيْن إلى ولادة الزنى، ثم أقبح ما يكون من الزنى رجل مع امرأة ولده. حاشَ لله من هذا الإفك المُفْتَرى[2].

= الرب قتل عيرا لكونه رديئاً، فهل كانت رداءته أكبر من رداءة عمه رأوبين الذي زَنَى بسرية أبيه؟ وهل هي أكبر من رداءة أبيه حيث زنى بكنته وأنجب منها، ثم حكم بإحراقها ثم فسخ الحكم؟ والعجب أيضاً أن الرب قتل أونان على عزل المني عن زوجة أخيه، ولم يقتل عمه وأباه! فهل العزل أشد ذنباً من كل ذلك؟

[١] أي قبيحة. وسمُج: قبح، وبابه ظرُف، فهو سمْج. [مختار الصحاح].

ووالله لقد دنَّسوا بأكاذيبهم هذه بيت النبي الذي يفخرون بانتسابهم إليه، فقد جعلوه يستغل جوع أخيه عيسو ويشتري البكورية، فأين المروءة؟ وجعلوه يتآمر مع أمه على أخيه فيخدع والده الكفيف ويستغل جوعه، ويكذب عليه ليحصل على مباركته التي كانت لأخيه ومن حقه، فيسرقها منه، أين طاعة الزوجة لزوجها؟ وأين بر الولد بأبيه؟ وأين صلة الرحم؟ ثم إنَّ لابان خدع ابن أخته يعقوب، فأدخل عليه ليئة بدل أختها راحيل التي تم العقد عليها، فاضطر أن يخدم سبع سنوات أخر من أجل راحيل، فجمع بين الأختين، ثم ردَّ إليه الصاع صاعين، فخدعه عند قسمة الماشية وعند انصرافه من عنده، فأين الصفح واكتساب الناس بالبر؟ ونسبوا إلى شمعون ولاوي قتل ذكور أهل البلدة بخدعة خسيسة، فارتكبا مجزرة بشعة، ثم جاء إخوتهما فنهبوا أموال البلدة، وسبوا نساءها وأولادها، فيا لها من جرائم حرب وإرهاب، اكتفى يعقوب بالحزن عليها. وهذا رأوبين بن يعقوب يدنِّس فراش والده ويضاجع سرية أبيه أم أخويه، فيكتفي أبوه بلومه، ولم يقم عليه الحد.

وماذا بعد هذا؟ هل هناك اتهامات أخرى أكبر؟ سوف نرى إن شاء الله.

[٢] سبق أنهم نسبوا إلى يعقوب عليه السلام أنه تزوج راحيل بنت خاله لابان، فدسَّت إليه أختها ليئة بدون عقد، فعاشرها معاشرة الأزواج، ثم جمع بينها وبين أختها راحيل. وولَدت =

. . . .

= ليئة له أولاداً، منهم انتسل موسى وهارون وداود وسليمان وعيسى ﷺ.

جاء في سفر التكوين ٣٢/٢٢ ـ ٢٣: وكان بنو يعقوب اثني عشر: بنو ليئة: رأوبين بكر يعقوب وشمعون ولاوي ويهوذا وزبولون.

وموسى وهارون ﷺ من سبط لاوي، وكذلك أم المسيح ﷺ، أما داود وسليمان ﷺ فمن سبط يهوذا.

جاء في سفر التكوين ٤٦/١١: وبنو لاوي جَرشون وقهات ومراري.

وفي سفر العدد ٢٦/٥٨ ـ ٥٩: وأما قهات فولد عمرام، واسم امرأة عمرام يوكابد بنت لاوي التي ولدت له بمصر، فولدت لعمرام هارون وموسى ومريم أختيهما.

وفي سفر الخروج ٦/ ٢٠: وأخذ عمرام يوكابد عمته زوجة له، فولدت له هارون وموسى.

وفي أخبار الأيام الأول ٦/ ١ ـ ٣ بنو لاوي: جِرْشون وقهات ومراري. وبنو قهات: عَمرام ويصهار وعُزّئيل، وبنو عمرام: هارون وموسى ومريم.

وجاء في سفر أخبار الأيام الأول ٢/ ٣ ـ ١٥: بنو يهوذا: عيرا وأونان وشيلة، ولد الثلاثة من بنت شوح الكنعانية. وكان عيرا بكر يهوذا شريراً في عين الرب فأماته. وثامار كنته ولدت فارص وزارح، كل بني يهوذا خمسة. ابنا فارص حصرون وحامول. . . وبنو حصرون الذين ولدوا له: يرحمئيل ورام وكلوباي. ورام ولد عَمِّينا داب، وعمينا داب ولد نحشون رئيس بني يهوذا، ونحشون ولد سَلْمو، وسلمو ولد بوغر، وبوعز ولد عوبيد، وعوبيد ولد يَسَّى، ويَسَّى ولد بكره أليآب وأبينا داب الثاني. . . وداود السابع.

ففارص هذا جد كلٍّ من داود وسليمان ﷺ وجد المسيح ﷺ في زعم النصارى في نسب يوسف النَّجار الذي وضعوه له ووصلوه إلى داود ﷺ.

جاء في إنجيل متى ١/١ ـ ١٦: يسوع المسيح بن داود بن إبراهيم: إبراهيم ولد إسحاق، وإسحاق ولد يعقوب، ويعقوب ولد يهوذا وإخوته، ويهوذا ولد فارص وزارح من ثامار، وفارص ولد حصرون، وحصرون ولد أرام، وأرام ولد عميناداب، وعميناداب ولد نحشون، ونحشون ولد سَلْمون، وسلمون ولد بوعَز من راحاب، وبوعز ولد عوبيد من راعوث، وعوبيد ولد يَسَّى، ويَسَّى ولد داود الملك، وداود ولد سليمان من التي لأوريّا، وسليمان ولد رحبعام، ورحبعام ولد أبيّا. . .

فعوبيد، أمه روث أو راعوث المؤابية، فهي من جدات داود وسليمان والمسيح ﷺ وسليمان ولد من التي لأوريا الحِثي، واسمها بَتْشابَع بنت أليعام، ويتهمون داود ﷺ بعشقها والزنَى بها في غياب زوجها ثم العمل على قتله كما في سفر صموئيل الثاني ١١/١ ـ ٢٧ وسيأتي ذكر هذه الفِرْية. ورحبعام بن سليمان، اسم أمه نعمة العمونية كما في سفر الملوك الأول ١٤/ ٢١ وهو من أجداد المسيح ﷺ كما يزعمون.

وصفوة القول: طَعَن أهل الكتاب في نسب خمسة أنبياء من النواحي التالية:

١ ـ نسبوا إلى يعقوب أنه تزوَّج امرأة فدُسَّت إليه أختها، فولدت له أولاداً، انتسل منهم =

○ **[إفحام مجادل]:**

ولقد قال لي بعضهم إذ قررته هذا الفصل: إن هذا كان مباحاً حينئذٍ. فقلت له: لمَ امتنع عن مضاجعتها بعد ذلك؟ وكيف يكون مباحاً، وهي لم تعرِّفه بنفسها؟ ولا عرفها عند تلك المعاملة الخبيثة بالجدي المسخوط والرهن الملعون، وإنما وطئها على أنها زانية، إذ اغتلم إليها، لا على أنها امرأة الميت ولده؟ إلا إن قلتم: إن الزنى جملة كان مباحاً حينئذٍ، فقد قرت عيونكم. فسكت خزيان.

= داود وسليمان وموسى وهارون، والمسيح حسب ادعاء النصارى، وأنه جمع بين الأختين.

٢ ـ جعلوا فارص المخلوق من زنى يهوذا بكنته جدَّ داود وسليمان والمسيح عليهم السلام.

٣ ـ جعلوا راعوث المؤابية جدَّةَ داود وسليمان والمسيح، ونعمة العمونية جدَّة المسيح عليه السلام.

٤ ـ جعلوا عشيقة داود زوجة أوريا أماً لسليمان، فهي جدة المسيح عليه السلام.

٥ ـ جعلوا هارون وموسى عليهما السلام ولدا من زواج عِمْرام بعمته يوكابد.

والعجب من أهل الكتاب كيف دخل داود وسليمان والمسيح عيسى عليهم السلام في جماعة الرب.

والأعجب من هذا أن مسيح اليهود المنتظر من نسل داود عليه السلام حسب زعمهم، فتناله هذه الطعون كلها.



التوراة تتهم هارون بصناعة العجل

قال: فلما أطال موسى المقام اجتمع بنو إسرائيل إلى هارون وقالوا: قُمْ واعمل لنا إلٰهاً يتقدمنا، فإننا لا ندري ما أصاب موسى، الرجلَ الذي أخرجنا من مصر. فقال لهم هارون: اقلعوا أقراط الذهب عن آذان نسائكم وبناتكم وائتوني بها. ففعلوا ما أمرهم به وأتَوه بالأقراط، فلما قبضها هارون أفرغها وعمل لهم منها عجلاً وقال: هذا إلٰهكم يا بني إسرائيل الذي أخرجكم من مصر، فلما بَصُر بها هارون بنى مذبحاً بين يدي العجل، وبرح مُسْمِعاً: غداً عيد السيِّد. فلما قاموا صباحاً قرَّبوا له قرباناً، وأهدَوا له هدايا، وقعدت العامة تأكل وتشرَب، وقاموا للعب[1].

ثم ذكر إقبال موسى، وأنه لما تدانَى من المعسكر بَصُر بالعجل وجماعات تتغنَّى. وبعد ذلك ذكر أنه قال لهارون: ماذا فعلتْ بك هذه الأمة، إذ جعلتم تذنبون ذنباً عظيماً؟ فقال له هارون: لا تغضب سيدي، فإنك تعرف رَأْيَ هذه الأمة في الشر، قالوا لي: اعمل لنا إلٰهاً يتقدمنا، لأننا نجهل ما أصاب موسى الذي أخرجنا من مصر. فقلت لهم: من كان عنده منكم ذهب فليقبل به إليَّ، وألقيته في النار، وخرج لهم منه هذا العجل. فلما رأى موسى القوم قَد تَعَرَّوا وكان هارون قد عراهم بجهالة قلبه، وصيَّرهم بين يدي أعدائهم عراة ـ [وقف على باب المحلّة وقال: من للرب فإليَّ. فاجتمع إليه جميع بني لاوي][2].

---

(١) جاء في سفر الخروج ٣٢/١ ـ ٦: ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل، اجتمع على هارون وقالوا له: اصنع لنا آلهة تسير أمامنا، لأن موسى الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه، فقال لهم هارون: انزعوا أقراط الذهب في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتوني بها. فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم، وأتَوا بها إلى هارون. فأخذ ذلك من أيديهم، وصوَّره بالإزميل ـ وعند الكاثوليك: وصوَّرها في قالب ـ وصنعه عجلاً مسبوكاً. فقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر. فلما نظرها هارون بنى مذبحاً أمامه ونادى: غداً عيد الرب. فبكروا وأصعدوا محرقات، وقدَّموا ذبائح سلامة، وجلس الشعب للأكل والشرب، ثم قاموا للعب.

(٢) الخروج ٣٢/١٩ ـ ٢٦: وكان عندما اقترب إلى المحلَّة أبصر العجل والرقص، =

قال أبو محمد رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا الفصل عفا على ما قبله، وطمَّ عليه، أن يكون هارون ـ وهو نبي مرسل ـ يتعمَّد أن يعمل لقومه إلٰهاً يعبدون من دون الله عَزَّ وَجَلَّ، وينادي عليه: غداً عيد السيد، ويبني للعجل مَذْبحاً، ويساعدهم على تقريب القربان للعجل، ثم يجرّدهم ويكشف أستاههم للرقص والغناء أمام العجل، إلا أن تكون أحق أستاه كشفت[1]. إن هذا لعجب! نبي مرسل كافر مشرك، يعمل لقومه إلٰهاً من دون الله، أو يكون العجل ظهر من غير أن يتعمد هارون عمله، فهذه والله معجزة كمعجزات موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ولا فرق، ألا إن هذا هو الضلال والتلبيس والإشكال والتدليس المبعد عن الله تعالى، إذ لو كان هذا لما كان موسى أولى بالتصديق من عابد العجل الملعون، أترى بعد استخفاف النذل الذي عمل لهم هذه الخرافة بالأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ استخفافاً؟ حاش لله من هذا. أو ترون بعد حمق من يؤمن بأن هذا من عند موسى رسول الله وكليمه عن الله تعالى حمقاً؟ نحمد الله على العافية.

أين هذا الهوس البارد والكذب المفترَى من نور الحق الذي يشهد له العقل بالصحة؟ الذي جاء به محمد رسول الله ﷺ عن الله عَزَّ وَجَلَّ حقاً؟ إذ يقول في هذه القصة نفسها ما لا يمكن سواه: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٨].

= فحمي غضبه، وطرح اللَّوحين من يديه وكسرهما في أسفل الجبل، ثم أخذ العجل الذي صنعوا وأحرقه بالنار، وطحنه حتى صار ناعماً، وذَرّاه على وجه الماء وسقى بني إسرائيل.

وقال موسى لهارون: ماذا صنع بك هذا الشعب، حتى جلبت عليه خطيَّة عظيمة؟ فقال هارون: لا يحمَ غضب سيدي، أنت تعرف الشعب أنه في شر، فقالوا لي: اصنع لنا آلهة تسير أمامنا، لأن موسى لا نعلم ما أصابه، فقلت لهم: من له ذهب فلينزعه ويعطني، فطرحته في النار، فخرج هذا العجل، ولما رأى موسى الشعب مُعَرّىً، لأن هارون كان قد عرّاه للهزء بين مقاوميه ـ وعند الكاثوليك: لأن هارون كان قد عرَّاهم أمام أعدائهم، لأجل ما هو عارُ نجاسةٍ ـ وقف موسى على باب المحلة وقال: من للرب فإلي. فاجتمع إليه جميع بني لاوي.

ويلاحظ الفرق بين الجملة ٣٢/ ٤: «فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالإزميل، وصنعه عجلاً مسبوكاً». وبين الجملة ٣٢/ ٢٤: «فطرحته في النار فخرج هذا العجل».

(١) كأنه رَحِمَهُ اللَّهُ يقصد أن أحق الناس بكشف استه ذلك الذي وضع لهم هذه الخرافة، فإنهم نسبوا إلى هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه هو الذي صنع العجل لبني إسرائيل، وبنى له مذبحاً، وقرَّب له القربان، وأمرهم بذلك، وعرَّاهم للرقص والغناء أمام العجل، وجرد أستاههم أمام أعدائهم.

وقوله ﷻ: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾[1] أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي﴾ [طه: ٨٣ ـ ٩٤].

وقوله: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٠، ١٥١].

فهذا هو الصدق حقاً، وإنما عمل لهم العجلَ الكافرُ الضالُّ السامري، وأما هارون عليه السلام فنهاهم جهده، فعصَوه وكادوا يقتلونه، وقد تبين الصبح لذي عينين، ولاح صدق قوله تعالى من كذب الآفكين[2].

---

[1] قال ابن عباس رضي الله عنهما: «أي نسي أن يذكركم أن هذا إلٰهكم، فعكفوا عليه وأحبوه».

وقال قتادة: أي نسي موسى ربه عندكم، فعكفوا يعبدونه. وقيل: أي نسي موسى إلٰهه هنا، وذهب يطلبه في الطور. [الصفوة ٢/ ٢٤٤، مختصر ابن كثير ٢/ ٤٩٠].

[2] من العجيب أن يتهم واضعو التوراة هارون عليه السلام بصناعة العجل وعبادته وإضلال قومه، فيناقضوا أنفسهم، فقد ذكروا في توراتهم أن الله اصطفاه واصطفى بنيه، وأعطاهم جميع رفائع الأقداس التي يرفعها بنو إسرائيل للرب، وذكروا أيضاً أن الله سبحانه وهب اللّاويين كلَّهم لهارون، وأمرهم بالوقوف أمامه وأمام بنيه.

جاء في سفر العدد ٣/ ١١ ـ ١٢، ونحوه في ٣/ ٤١ و٨/ ٥ و١٦: وكلَّم الرب موسى قائلاً: وها إني قد أخذت اللاويين من بين بني إسرائيل، بدل كل فاتح رحم منهم، فيكون اللاويون لي.

٨/ ١٣ ـ ١٤: فتُوقف اللّاويين أمام هارون وبنيه، وترددهم ترديداً للرب، وتفرز اللاويين =

وأما الخوار، فقد صحَّ عن ابن عباس رضي الله عنهما ما لا يجوز سواه، وأنه إنما كان دويُّ الريح تدخل من قُبله وتخرج من دُبره[1].

وهذا هو الحق، لأنه تعالى أخبر أنه لا يكلمهم، ولو خار من عند نفسه لكان ضرباً من الكلام، ولكانت حياة فيه، وهو محال؛ إذ لا تكون معجزة ولا إحالة لغير نبي أصلاً، وبالله التوفيق.

= من بين بني إسرائيل، فيكون اللاويون لي.

١٨/٨ ـ ١٩: فاتخذت اللَّاويين بدل كل بكر في بني إسرائيل، ليخدموا خدمة بني إسرائيل في خيمة الاجتماع.

١/١٨ ـ ٣: وقال الرب لهارون: أنت وبنوك وبيت أبيك معك، تحملون ذنب المقدس... وأيضاً إخوتك سبط لاوي، سبط أبيك، قرِّبهم معك، فيقترنوا بك ويؤازروك، وأنت وبنوك قدام خيمة الشهادة.

٨/١٨ و١٩: وقال الرب لهارون: وها أنذا قد أعطيتك حراسة رفائعي من جميع أقداس بني إسرائيل لك أعطيتها حق المسحة ولبنيك [وبناتك] معك فريضة دهرية.

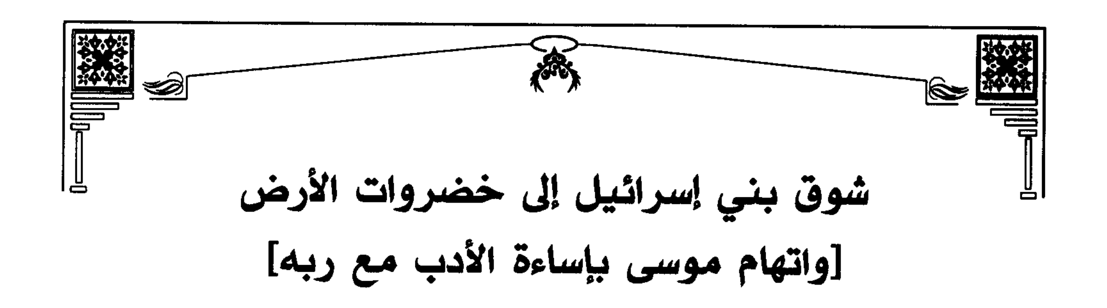
فهل يعقل بعد هذا أن يكون هو الذي صنع العجل وعبده وأمر بعبادته؟! إن الذي صنع العجل وفتن بني إسرائيل به هو السامري الشمروني، وإن هارون عليه السلام لم يألُ جهداً في نهيهم ونصحهم، لكنهم لم يستجيبوا له، وكل ما أخذه موسى عليه السلام عليه، أنه لم يتركهم ويلحق به، أو لم يقاتلهم بمن معه.

ومما يدل على أن هارون عليه السلام لم يصنع هو العجل ما جاء في سفر التثنية ٩/٢١: «وأما خطيتكم العجل الذي صنعتموه ـ وعند الكاثوليك: وأما ما خَطِئتم به العجل الذي صنعتموه ـ فأخذته وأحرقته النار ورضضته لكم وطحنته جيداً حتى نَعِمَ كالغبار، ثم طرحت غباره في النهر المنحدر من الجبل». فقال: الذي صنعتموه. ولم يقل عبدتموه، أو صنعه هارون لكم وعبدتموه أنتم.

[1] شكل لهم السامري من الحلي عجلاً جسداً، لا روح فيه، وقد احتال بإدخال الريح فيه، حتى صار يُسمع له خوار. والخوار صوت البقر.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا والله ما كان خواره إلا أن يدخل الريح في دبره فيخرج من فمه، فيسمع له صوت. [الصفوة ١/٧١، مختصر ابن كثير ٢/٥١ و٤٩٠].

وسواء دخلت الريح من دبره وخرجت من فمه أو العكس، فإنما هي حيلة احتالها السامري.



شوق بني إسرائيل إلى خضروات الأرض
[واتهام موسى بإساءة الأدب مع ربه]

ثم وصف قيام بني إسرائيل على موسى عليه السلام وطلبهم منه اللحم للأكل، وذكروا شوقهم إلى القرع والقثاء والبصل والكراث والثوم الذي تشبه رائحته في الروائح عقولَهم في العقول، وذكروا ضجرهم من المن[1]. والله عز وجل قال لموسى عليه السلام: تقول للعامة: تقدسوا غداً تأكلوا اللحم، هأنا أسمعكم قائلين: من ذا يعطينا اللحم لنأكل؟ قد كنَّا بخير بمصر، ليعطينكم السيد اللحم فتأكلون، ليس يوماً واحداً ولا يومين ولا خمسة ولا عشرة، حتى تكتمل أيام الشهر، حتى يخرج على مناخركم، ويصيبكم التخم لما تخليتم عن السيد الذي هو في وسطكم، وتبكون قدامه قائلين: لماذا خرجنا من مصر؟ فقال موسى لله تعالى: هم ستمئة ألف رجل، وأنت تقول: أنا أعطيهم اللحوم شهراً طعماً؟ أترى تكثر بذبائح البقر والغنم فيقتاتون بها؟ أم تجمع حيتان البحر معاً لتشبعهم؟ فقال له الرب: أترى يد السيد عاجزة؟ سترى إن يوافيك كلامي أم لا[2].

---

[1] المنّ: كل طَلٍّ ينزل من السماء على شجر أو حجر، ويحلو وينعقد عسلاً ويجفُّ جفاف الصمغ. [القاموس].

[2] جاء في سفر العدد ١١/ ٤ ـ ٩: واللفيف الذي في وسطهم اشتهى شهوة، فعاد بنو إسرائيل أيضاً وبكوا وقالوا: من يطعمنا لحماً؟ قد تذكرنا السمك الذي كنا نأكله في مصر مجاناً والقِثاء والبطيخ والكراث والبصل، والثوم، والآن قد يَبست أنفسنا، ليس شيء، غير أن أعيننا إلى هذا المن.

١١/ ١٠ ـ ١٥: فلما سمع موسى الشعب يبكون، وحمي غضب الرب قال: لماذا أسأتَ إلى عبدك؟ حتى إنك وضعت ثقل جميع هذا الشعب علي. ألعلي حَبِلت بجميع هذا الشعب، أو لعلي وَلدته حتى تقول لي: احمله في حِضْنك كما يحمل المربي الرضيع إلى الأرض التي حلفت لآبائه. من أين لي لحم حتى أعطي جميع هذا الشعب؟ لأنهم يبكون علي قائلين: أعطنا لحماً لنأكل، لا أقدر أنا وحدي أن أحمل جميع هذا الشعب، لأنه ثقيل علي، فإن كنت تفعل بي هكذا فاقتلني قتلاً، فلا أرى بليتي.

١١/ ١٨ ـ ٢٣: وللشعب تقول: تقدسوا للغد فتأكلوا لحماً، لأنكم قد بكيتم في أذني =

ثم ذكر أن الله تعالى أرسل ريحاً، فأتت بالسماني من خلف البحر إلى بني إسرائيل فأكلوها، ودخل اللحم بين أضراسهم، وأصابتهم التُّخَم، وأخذهم وباء شديد، مات منهم به كثير، وأن هذا كان في الشهر الثاني من السنة الثانية من خروجهم من مصر(١).

قال أبو محمد رَحِمَهُ اللَّهُ: ذكر في هذا الفصل آيات من رب العالمين، وما تأتي له طامة إلا تكاد تنسي ما قبلها.

فأول ذلك إخبار اللعين المبدِّل للتوراة بأن الله تعالى إذ قال لموسى: غداً تأكلون اللحم إلى تمام الشهر. قال له موسى: هم ستمئةُ ألف رجل، وأنت تقول: أنا أعطيهم اللحوم طعاماً شهراً، أترى تكثر بذبائح البقر والغنم يقتاتون بها، أو تجمع حيتان البحر معاً لتشبعهم.

قال أبو محمد رَحِمَهُ اللَّهُ: حاش لله أن يراجع رجل له مُسْكة عقل ربه عَزَّ وَجَلَّ هذه المراجعة، وأن يشك في قوته على ذلك وعلى ما هو أعظم منه. فكيف رسول نبي؟ أترى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ دخله قط شك في أن الله تعالى قادر على أن يكثر بذبائح

= الرب قائلين: من يطعمنا لحماً؟ إن كان لنا خير في مصر. فيعطيكم الرب لحماً فتأكلون لا يوماً واحداً ولا يومين ولا خمسة أيام ولا عشرة أيام ولا عشرين يوماً، بل شهراً من الزمان حتى يخرج من مناخركم، ويصير لكم كراهة، لأنكم رفضتم الربَّ الذي في وسطكم، وبكيتم أمامه قائلين: لماذا خرجنا من مصر؟! فقال موسى: ستمئة ألف ماشٍ هو الشعب الذي أنا في وسطه، وأنت قد قلت: أعطيهم لحماً ليأكلوا شهراً من الزمان، أيُذبح لهم غنم وبقر ليكفيهم؟ أم يجمع لهم سمك البحر ليكفيهم؟ فقال الرب لموسى: هل تقصر يد الرب؟ الآن ترى أيوافيك كلامي أم لا.

(١) جاء في سفر العدد ١١/ ٣٠ ـ ٣٤: ثم انحاز موسى إلى المحلَّة هو وشيوخ إسرائيل، فخرجت ريحٌ من قبل الرب، وساقت سَلْوى من البحر، وألقتها على المحلَّة نحو مسيرة يوم من هنا ومسيرة يوم من هناك حوالي المحلة، ونحو ذراعين فوق الأرض، فقام الشعب كل ذلك النهار وكل الليل وكل يوم الغد، وجمعوا السلوى، الذي قَلَّلَ جَمَعَ عشرة حوامر، وسطحوها لهم مساطح حوالي المحلة. وإذ كان اللحم بَعْدُ بين أسنانهم قبل أن ينقطع، حمي غضب الرب على الشعب، وضرب الرب الشعبَ ضربة عظيمة جداً، فدعي اسم ذلك الموضع قَبَروت هَتَّأوة، لأنهم هناك دفنوا القوم الذين اشتهوا.

والسلوى: طائر، واحدته سلواة. [القاموس]. وقال الأخفش: لم أسمع له بواحد. [مختار الصحاح]. أما المنّ فكل طلّ ينزل من السماء على شجر أو حجر، ويحلو وينعقد عسلاً، ويجف جفاف الصمغ.

البقر والغنم حتى يشبعهم؟ أو على أن يأتيهم من حيتان البحر بما يشبعهم منه؟ حاش لله من ذلك. أتراه خفي على موسى ﷺ أن الله تعالى هو الذي يرزق جميع بني آدم في شرق الأرض وغربها اللحم وغير اللحم؟ وأنه تعالى رازق سائر الحيوانات كلها من الطائر والعائم والمنساب والماشي على رجلين وأربع وأكثر، حتى يستنكر أن يشبع شرذمة قليلة لا قدر لهم من اللحم. حاش له من ذلك. فكيف يقول موسى ﷺ هذا الكلام الأحمق؟ حاش لله من ذلك وقبل ذلك بعام وشهر وبعض آخر طلبوا اللحم، فأتاهم بالسُّمَانَى والمن، وأكلوا بنص توراتهم[1]. أتراه نسي ذلك في هذه المدة اليسيرة؟ أو يظن أنه قدر على الأولى ويعجز عن الثانية؟ حاش له من هذا الهوس.

ثم زيادة في بيان هذا الكذب أن في توراتهم أن بني إسرائيل إذ خرجوا من مصر مع موسى خرجوا بجميع مواشيهم من البقر والغنم، وأن أهل كل بيت منهم ذبحوا جدياً أو خروفاً في تلك الليلة[2].

وذكر في مواضع منها أنهم أهدوا الكباش والتيوس والخرفان والجديان والبقر والعجول إلى قبة العهد[3].

وذكروا في آخرها أن بني رأوبين وبني جاد ونصف سبط مَنَسَّى كان معهم

---

[1] سبق معنى المن والسلوى، أما السُّمانَى ـ كَحُبَارَى، ولا يشدد ـ فطائر أيضاً، للواحد والجمع. أو الواحدة سُماناة، والجمع سُمانيات. [القاموس ومختار الصحاح].

[2] جاء في سفر الخروج ١٢/٢ ـ ٩ أن الرب قال لموسى وهارون: قولا لجماعة إسرائيل: في العاشر من هذا الشهر يأخذون لهم، كل واحد شاة بحسب بيوت الآباء، شاة للبيت... تكون لكم شاة صحيحة، ذكراً ابن سنة، تأخذون من الخرفان أو المواعز، ويكون عندكم تحت الحفظ إلى اليوم الرابع عشر من هذا الشهر، ثم يذبحه كل جمهور جماعة إسرائيل في العشية... ويأكلون اللحم تلك الليلة مشوياً مع فطير.

١٢/٣١ ـ ٣٣: فدعا فرعون موسى وهارون ليلاً وقال: اخرجوا من بين شعبي أنتما وبنو إسرائيل جميعاً، خذوا غنمكم وبقركم كما تكلمتم واذهبوا.

١٢/٣٧ ـ ٣٨: فارتحل بنو إسرائيل من رَعْمَسيس إلى سُكّوت نحو ستمئة ألف ماش من الرجال عدا الأولاد، وصعد معهم لفيف كثير أيضاً من غنم وبقر ومواشٍ وافرة جداً.

[3] ومن ذلك ما جاء في سفر الخروج ١٣/١١ ـ ١٥ و٢٠/٢٤ و٢٩/٣١ ـ ٣٩ و٣٤/١٩ ـ ٢٠، وفي سفر الأحبار ١/٢ ـ ٣ و١/١٠ و١/١٤ و٧/١ ـ ٣ و٧/١٢ ـ ٨٨، وفي سفر العدد ٢٨/٣ ـ ٧، و٢٨/٩ و٢٨/١١ و٢٩/١ ـ ٦، و٣٩/٧ ـ ١٦ و٢٩/٣٥ ـ ٣٩.

غنم كثير، ومن البقر عدد لا يحصى في حين ابتداء قتالهم وفتحهم لأرض الشام[1].

فأيُّ عِبْرة في إشباعهم من اللحم، واللحم حاضر معهم كثير لا قليل؟ ثلاثة من الغنم كانت تكفي الواحد منهم شهراً كاملاً، وثور واحد يكفي أربعة منهم شهراً كاملاً على أن يأكلوا اللحم وقتاً حتى يشبعوا بلا خبز، فكيف إذا تأدَّموا به؟ فأيُّ عجب في إشباعهم باللحم حتى يراجع موسى ربه تعالى بإنكار ذلك من قوة ربه ﷻ؟ فهل في العالم أحمق ممن كتب لهم هذه الكذبة الشنيعة الباردة السخيفة الممزوجة بالكفر؟! اللهم لك الحمد على تسليمك لنا مما امتحنتهم به.

○ **[استدراك]:**

فإن قالوا: إنَّ في كتابكم أن الله تعالى قال لزكريا: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ﴾ الآية، وأن زكريا قال لربه تعالى: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ۝٨ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ﴾ الآية، ﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ۝١٠﴾ [مريم: ٧ ـ ١٠].

وفي كتابكم أيضاً أن المَلَك قال لمريم: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ۝١٩ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ۝٢٠ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ﴾ [مريم: ١٩ ـ ٢١].

قلنا: ليس في جواب زكريا ومريم عليهما السلام اعتراض على بُشْرى الباري ﷻ لهما كما في كتابكم عن موسى عليه السلام، ولا في كلام زكريا ومريم عليهما السلام إنكار على أن يعطيهما ولدين وهما عقيم وبكر، وإنما سألا أن يعرفا الوجه الذي منه يكون الولد فقط، لأن (أنى) في اللغة العربية التي بها نزل القرآن بلا خلاف، معناها من أين. فصح ما قلنا من أنهما سألا أن يعرفهما الله تعالى من أين يكون لهما الولدان؟ أو من أي جهة؟ أبنكاح زكريا لامرأة أخرى؟ أم نكاح رجل لمريم؟ أم من اختراعه تعالى وقدرته؟ فإنما سأله زكريا الآية ليظهر صدقه عند قومه، ولئلا يُظن أنهما أخذاه وادعياه، هذا هو ظاهر الآيتين اللتين ذكرنا من القرآن دون

---

[1] جاء في سفر العدد ٣٢/١: وأما بنو رأوبين، وبنو جاد، فكان لهم مواش كثيرة وافرة جداً، ولذلك طلبوا من موسى أن يعطيهم أرض يَعَزّير وأرض جلعاد، وقالوا له: هي أرض مواش، ولعبيدك مواش.

تكلف تأويل بنقل لفظ أو زيادة أو حذف، بخلاف ما حكيتم عن موسى من الكلام الذي لا يحتمل إلا التكذيب فقط[1].

---

[1] والآيات القرآنية يوضح بعضها بعضاً، فقد قال تعالى في سورة آل عمران: ٣٨ ـ ٤٠: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾.

وقال في سورة مريم: ٥ ـ ٩ حكاية عن زكريا: ﴿وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾.

فإنه ﷺ حين دعا ربه كان يَعْلَمُ حاله وحال امرأته، ولولا اعتقاده بقدرة الله لما دعا بذلك. وحين بُشِّر بإجابة دعائه فرح وسأل عن الوجه الذي يأتيه منه الولد. فهو استفهام سرور وتعجب أراد به أن يعرف الوسيلة التي يرزقه بها الغلام.

وكذلك قوله تعالى في سورة آل عمران: ٤٥ ـ ٤٧ عن مريم: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

وقال في سورة مريم: ٢٠ ـ ٢١: ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾.

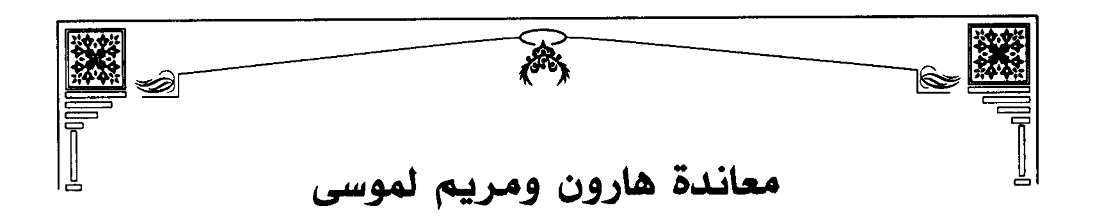
أي كيف يكون لي غلام؟ وعلى أي صفة يوجد، ولست ذات زوج ولم أفجر؟ فكان الجواب: ﴿كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ و﴿كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ﴾.

وشتَّان بين أسلوب الفرح بالإجابة والتعجب والاستفهام عن الطريقة، وبين تلك الوقاحات التي ينسبونها إلى موسى ﷺ ولو كانت من أخ صغير إلى أخ أكبر لخاصمه.

تنبيهان:

١ ـ ليس في الخلق هيّن وصعب على الله، لأن وسيلة الخلق واحدة، وهي قوله سبحانه: (كن) فيكون، وإنما هو هين في نظر الناس.

٢ ـ جاء التعبير عن ولادة مريم العذراء بقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾، وفي قصة يحيى ﴿كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾، والسر هو أن خلق عيسى من غير أب إيجاد من غير سبب عادي، فناسب ذكر الخلق، وفي قصة زكريا الزوجان موجودان، غير أن الشيخوخة والعقم مانعان في العادة من الولد، فناسب ذكر الفعل. [الصفوة ١/١٩٩ ـ ٢٠٤ و٢/٢١٢ ـ ٢١٤. مختصر ابن كثير ٢/٢٤٤ و٢٤٧].



معاندة هارون ومريم لموسى

وذكر قيام مريم وهارون أخي موسى عليه السلام معاندَين لموسى، من أجل المرأة الحبشية[1].

قال أبو محمد رحمه الله: وكيف تكون حبشية وقد قال: في أول توراتهم: إنها بنت يثرون المِدْياني، وهو بلا شك من ولد مِدْين بن إبراهيم عليه السلام؟ فأحد هذين القولين يكذِّب الآخر[2].

---

[1] جاء في سفر العدد ١٢/١ ـ ١٦: وتكلَّمت مريم وهارون على موسى بسبب المرأة الكوشية ـ وعند الكاثوليك: الحبشية ـ التي اتخذها، فقالا: هل كلَّم الربُّ موسى وحدَه؟ ألم يكلمنا نحن أيضاً؟ فسمع الرب. وأما موسى فكان حليماً جداً أكثر من جميع الناس. فقال الرب لموسى وهارون ومريم: اخرجوا إلى خيمة الاجتماع. فخرجوا، فنزل الرب في عمود سحاب، ووقف في باب الخيمة، ودعا هارون ومريم، فخرجا فقال: اسمعا كلامي: إن كان منكم نبي، فبالرؤيا أستعلن له، في الحُلم أكلمه، وأما عبدي موسى فليس هكذا، بل هو أمين في كل بيتي، فماً إلى فم وعَياناً أتكلم معه، لا بالألغاز، وشبه الرب يعاين، فلماذا لا تخشيان أن تتكلما على عبدي موسى؟ فحمي غضب الرب عليهما ومضى. فلما ارتفعت السحابة عن الخيمة، إذا مريم برصاء كالثلج. فقال هارون لموسى: أسألك يا سيدي لا تجعل علينا الخطية التي حَمُقْنا وأخطأنا بها.. فصرخ موسى إلى الرب قائلاً: اللهم اشفِها. فقال الرب لموسى: ولو بصق أبوها بصقاً في وجهها، أما كانت تخجل؟ سبعة أيام تُحجز خارج المحلَّة، وبعد ذلك ترجع، فخرجت مريم سبعة أيام، ولم يرتحل الشعب حتى أُرجعت مريم، وبعد ذلك ارتحل الشعب من حَضَيْرُوت ونزلوا في برية فاران.

وحاشَ للنبي هارون ولأخته مريم التي يُضرب المثل بهما في الصلاح والتقوى أن يتفوَّها بمثل هذا الكلام الذي ينمُّ عن غَيْرة وحسد.

ثم إن في النص تناقضاً: كيف يقول لهما: «إن كان منكم نبي فبالرؤيا أستعلن له، في الحلم أكلِّمه» وهو الآن يكلِّمها مباشرة حسب ظاهر النص.

وهل رأى موسى عليه السلام ربَّه؟ أو عاين شبهه؟ ومن يشبه الرب؟

إذا كان غضب الرب قد حمي على هارون ومريم، فلماذا عُوقبت مريم وحدها؟

وهل يعقل أن يصدر مثل هذا الكلام من الرب في حق مريم: «ولو بصق أبوها بصقاً في وجهها، أما كانت تخجل»؟ ولكن من هان عليهم دَمُ الأنبياء واتهامهم بالردَّة والكبائر وغيرها، كان التفوُّه بالقبائح عليهم أهون.

[2] جاء في سفر التكوين ٢٥/١ ـ ٤: وعاد إبراهيم، فأخذ زوجة اسمها قَطُورة، فولدت =

....

= له: زِمْران ويَقْشان ومَدَان ومِدْيان وِيشباق وشُوحاً... وبنو مديان: عَيْفة وعِفْر وحَنُوك وأبيداع وأَلْدَعَة.

وفي أخبار الأيام الأول ١/ ٣٢ ـ ٣٣: وأما بنو قَطُورة سُرِّيّة إبراهيم، فإنها ولدت: زِمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوحا... وبنو مديان: عِيفة وعِفْر وحَنوك وأبيداع وأَلْدَعَة.

وجاء في سفر الخروج ٢/ ١٥ ـ ٢٢: فهرب موسى من وجه فرعون، وسكن في أرض مِدْيان، وجلس عند البئر. وكان لكاهن مِدْيان سبع بنات، فأتَيْن واستقين وملأن الأجران ليسقين غنمهن، فأتى الرعاة وطردوهن، فنهض موسى وأنجدهن وسقى غنمهن، فلما أتين إلى رَعُوئيلَ أبيهن قال: ما بالكن أسرعتن في المجيء اليوم؟ فقلن: رجل مصري أنقذنا من أيدي الرعاة، وإنه استقى لنا أيضاً وسقى الغنم، فقال لبناته: وأين هو؟ لماذا تركتن الرجل؟ ادعونه ليأكل طعاماً، فرضي موسى أن يسكن مع الرجل، فأعطاه صِفّورة ابنته، فولدت ابناً، فدعا اسمه جِرْشوم، لأنه قال: كنت نزيلاً في أرض غريبة.

٣/ ١ ـ ٤: وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان. فساق الغنم إلى وراء البرية، وجاء إلى جبل حوريب، فظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عُلّيقة... فقال: أميل لأنظر... فلما رأى الربُّ أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العلّيقة.

٤/ ١٨ ـ ٢٠: فمضى موسى ورجع إلى يثرون حميه وقال له: أنا أرجع إلى إخوتي في مصر، لأرى هل هم أحياء؟ فقال يثرون: اذهب بسلام، وقال الرب لموسى في مديان: ارجع إلى مصر، لأنه مات جميع الذين كانوا يطلبونك، فأخذ موسى امرأته وبنيه وأركبهم على الحمير، ورجع إلى مصر.

إذاً، تزوج بنت يثرون، وعاش عنده، وأنجب منها أولاداً، ثم عاد بهن إلى مصر، فمن أين جاءت المرأة الحبشية؟ مما يدل على أن قصة معاندة هارون ومريم لموسى ﷺ غير صحيحة.

تنبيه: ورد في الجملة ٢/ ١٨: «فلما أتينَ إلى رعوئيلَ أبيهن»، وورد في ٣/ ١: «فكان يرعى غنم يَثْرون حميه»، وعند الكاثوليك: «غنم يِتْرُوَحميه». فهل هما اسمان.

متى أخذ موسى زوجته وأولاده إلى مصر؟

جاء في سفر الخروج ١٨/ ١ ـ ٨: فسمع يَثرون كاهن مديان حمو موسى كل ما صنع الله إلى موسى وإلى إسرائيل شعبة، أنَّ الرب أخرج إسرائيل من مصر، فأخذ يثرون حمو موسى صفورة امرأة موسى بعد صرفها ـ وعند الكاثوليك: بعدما أرجعها ـ وابنيها اللذين اسم أحدهما جِرشوم، لأنه قال: كنت نزيلاً في أرض غريبة، والآخر ألعازار، لأنه قال: إلٰه أبي كان عوني وأنقذني من سيف فرعون. وأتى يثرون حمو موسى وابناه وامرأته إلى موسى إلى البرية حيث كان نازلاً عند جبل الله، فقال لموسى: أنا حموك يثرون، آت إليك، وامرأتك وابناها معها. فخرج موسى لاستقبال حميه، وسجد وقبله، وسأل كل واحد صاحبه عن سلامته، ثم دخلا إلى الخيمة، فقص موسى على حميه ما صنع الرب بفرعون.

١٨/ ٢٧: ثم صرف موسى حماه، فذهب إلى أرضه. =



[اتهام موسى بقتل النبي بَلْعام]

○ [ما نسبوه إلى النبي بلعام]:

ونسبوا إلى بَلْعَام بن ناعور - وهو نبي عندهم يوحي الله تعالى إليه مع الملائكة - العون على الكفر، وأن موسى وجيشه قتلوه(1).

= فهل أخذ موسى ﷺ زوجته وابنيه معه عندما ذهب إلى مصر كما في الجملة ٤/ ٢٠، أو أبقاهم عند حميه، وذهب وحده إلى مصر، ثم أتى بهم حموه إليه بعد خروج بني إسرائيل من مصر كما في الجملتين ١٨/ ٥ - ٦؟ ولم يذكر السفر أن موسى أعادهم إلى حميه بعد أن خرج بهم إلى مصر وأركبهم على الحمير بكلام صريح أو بدلالات واضحة، والتعبير عند البروتستانت بصرفها، وعند الكاثوليك: أرجعها، مع غياب اللغة الأصلية يدعو للتساؤل.

(1) جاء في سفر العدد ٢٢/ ١ - ٣٥: وارتحل بنو إسرائيل ونزلوا في عربات موآب من عَبْر أردن أريحا. ولما رأى بالاق بن صِفّور ملك موآب ما فعل إسرائيل بالأموريين أرسل إلى بَلْعَام بن بَعور، إلى فَتور التي على النهر في أرض شَعبة، يدعوه إلى لعن هذا الشعب ومحاربته وطرده، وانطلق إليه شيوخ موآب ومِدْيان وحُلوان العِرافة، وكلموه وباتوا عنده، فأتى الله إلى بَلْعام، وقال له: لا تذهب معهم، ولا تلعن الشعب، لأنه مبارك. فعاد بالاق وأرسل إليه رؤساء أكثر وأعظم من أولئك، فطلب منهم أن يبيتوا عنده ليرى ماذا يكلمه الله، فأتى الله إلى بَلْعام ليلاً وقال له: إن أتى الرجال ليدعوك فاذهب معهم، إنما تعمل الأمر الذي أكلمك به فقط.

فقام صباحاً وشد على أتانه وانطلق معهم، فحمي غضب الله لأنه منطلق، ووقف ملاك الرب في الطريق ليقاومه وهو راكب على أتانه وغلاماه معه، فأبصرت الأتان ملاك الرب واقفاً في الطريق وسيفه مسلول في يده، فمالت عن الطريق ومشت في الحقل، فضرب بَلْعام الأتان ليردها إلى الطريق، ثم وقف الملاك في خندق للكروم، له حائط من هنا وآخر من هناك، فلما أبصرت الأتان ملاك الرب زحمت الحائط وضغطت رجل بَلْعام بالحائط، فضربها أيضاً، ثم اجتاز ملاك الرب أيضاً ووقف في مكان ضيق، ليس له ثَمَّة سبيل للنكوب يميناً وشمالاً، فلما أبصرت الأتان الملاك رَبَضت، فضربها بالقضيب، ففتح الرب فم الأتان فقالت: لماذا ضربتني ثلاث مرات؟ فقال: لأنك ازدريت بي.

ثم كشف الله عن عيني بَلْعام، فأبصر الملاك وسيفه مسلول، فخرَّ ساجداً على وجهه، فقال له الملاك: لماذا ضربت الأتان ثلاث مرات؟ ها أنذا خرجت للمقاومة، فأبصرتني الأتان ومالت من قدامي، ولو لم تمل لكنت قد قتلتك واستبقيتها. فقال بلعام: أخطأتُ، والآن إن =

. . . .

= قبح في عينيك فإني أرجع، فقال الملاك: اذهب مع الرجال، وإنما تتكلم بالكلام الذي أكلمك به فقط، فانطلق بلعام مع رؤساء بالاق.

٣/٢٣ ـ ٤ و١٦: ثم انطلق بلعام إلى رابية، فوافَى اللهُ بَلعامَ، فوضع كلاماً في فمه وقال: ارجع إلى بالاق وتكلم هكذا.

١/٢٤ ـ ٢: فلما رأى بلعام أنه يحسن في عيني الرب أن يبارك إسرائيل، لم ينطلق كالمرة الأولى والثانية ليوافي فألاً، بل جعل نحو البرية وجهه، فكان عليه روح الله.

وجاء في سفر العدد ٧/٣١ ـ ٨: فتجندوا على مِدْيان كما أمر الرب، وقتل كل ذكر، وملوك مديان قتلوهم فوق قتلاهم خمسة ملوك، وبَلْعام بن بَعُور قتلوه بالسيف.

إذاً، هو نبي يوحى إليه، وكان عليه روح الله، فكيف ينسبون إليه العون على الكفر ضد موسى عليه السلام وبني إسرائيل؟ وإذا كان قد ارعوَى ورجع عن ذلك، فلم قتله جيش موسى عليه السلام؟ لا ريب أن بُغض الأنبياء مطبوع في قلوبهم، والقصة غير صحيحة.

ومن افتراءاتهم على موسى وهارون

اتهامهم موسى بالتهرُّب من قبول الرسالة:

جاء في سفر الخروج ١٠/٤ ـ ١٧: فقال موسى للرب: استمع أيها السيد، لست أنا صاحب كلام منذ أمس ولا أول من أمس ولا حين كلمتَ عبدك، بل أنا ثقيل الفم واللسان، فقال له الرب:... فالآن اذهب وأنا أكون مع فمك، وأعلمك ما تتكلم به، فقال: استمع أيها السيد، أرسل من ترسل، فحمي غضب الرب على موسى وقال: أليس هارون اللاوي أخاك؟ أنا أعلم أنه هو يتكلم... فتكلمه وتضع الكلمات في فمه، وأعلمكما ماذا تصنعان، وهو يكلم الشعب عنك، وهو يكون لك فماً، وأنت تكون له إلٰهاً.

فقد جعلوه يتهرب من المهمة ويجادل ربَّه بألفاظ لا تليق، وربُّه يسترضيه بعد أن حمي غضبه عليه. وقد جاء ذكر قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم، وليس فيها هذه الافتراءات.

قال تعالى: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٢٤ ـ ٣٦].

وقال سبحانه أيضاً: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [طه: ٤٣ ـ ٤٧].

وقال جل جلاله: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ١٠ ـ ١٧]. =

= وقال سبحانه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [القصص: ٣٣ ـ ٣٥].

زوجة موسى تخدع الرب وتحمي بكرها:

جاء في سفر الخروج ٤/١٩ ـ ٢٠: وقال الرب لموسى في مِدْيان: ارجع إلى مصر... فأخذ موسى امرأته وبنيه وأركبهم على الحمير، ورجع إلى مصر.

٤/٢٢ ـ ٢٣: فتقول لفرعون: هكذا يقول الرب: إسرائيل ابني البكر، فقلت لك أطلق ابني ليعبدني فأبيت أن تطلقه، هأنا أقتل ابنك البكر.

٤/٢٤ ـ ٢٦: وحدث في الطريق في المنزل أن الرب التقاه، وطلب أن يقتله، فأخذت صَفُّورة صَوَّانة، وقطعت غُرْلة ابنها، ومست رجليه، فقالت: إنك عريس دم لي، فانفك عنه.

قالت: عريس دم من أجل الختان.

فلأن موسى عليه السلام تلكأ في الذهاب إلى فرعون لإنقاذ ابن الرب البكر ـ كما يزعمون ـ عزم الرب على قتل بكر موسى، فنزل على صورة بشر، لكن زوجة موسى خدعته وأنقذت ابنها.

موسى يبلغهم عن الرب أن يستعيروا النفائس ليسرقوها:

جاء في سفر الخروج ٣/٢٠ ـ ٢٢ أن الرب قال لموسى: فأمدُّ يدي وأضرب مصر بكل عجائبي التي أصنع فيها، وبعد ذلك يطلقكم، وأعطي نعمة لهذا الشعب في عيون المصريين، فيكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين، بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً، وتضعونها على بنيكم وبناتكم، فتسلبون المصريين.

وفي ١١/١ ـ ٣: ثم قال الرب لموسى: ضربة واحدة أيضاً أجلب على فرعون وعلى مصر، بعد ذلك يطلقكم من هنا، وعندما يطلقكم يطردكم طرداً من هنا بالتمام. تكلم في مسامع الشعب أن يطلب كل رجل من صاحبه، وكل امرأة من صاحبتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب. وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين.

١١/٤ ـ ٦: وقال موسى: هكذا يقول الرب: إني نحو نصف الليل أخرج إلى وسط مصر، فيموت كل بكر فيها، من بكر فرعون إلى بكر الجارية التي خلف الرَّحى، وكل بكر بهيمة، ويكون صراخ عظيم في أرض مصر، لم يكن مثله، ولا يكون مثله أيضاً.

١٢/٣٤ ـ ٣٦: وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى، طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً، وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم. فسلبوا المصريين.

إذاً، الربُّ أمرهم بالسرقة ورسم لهم الخطة وأعانهم عليها، وموسى بلَّغهم، وهم التزموا ونفَّذوا من غير اعتراض كما هي عادتهم في كل أمر لا يوافق هواهم. ما أقبح هذه الاتهامات! كيف يطلب الرب من موسى أن يأمرهم بالخدعة وإساءة الأمانة، ثم يعينهم على سلب أموال الذين وثقوا بهم، وأعاروهم النفائس؟ كيف يأمرهم بأن يقابلوا الإحسان بالسوء؟

هل طُرد بنو إسرائيل من مصر أو هربوا خفية؟ =

= جاء في الخروج ١١/١: ضربة واحدة أجلب على فرعون وعلى مصر، وبعد ذلك يطلقكم من هنا، وعندما يطلقكم يطردكم طرداً من هنا بالتمام.

وفي ١٢/٢٩ ـ ٣٣: فحدث في نصف الليل أن الرب ضرب كل بكر في مصر من بكر فرعون إلى بكر الأسير الذي في السجن، وكل بكر بهيمة، فقام فرعون ليلاً هو وكل عبيده وجميع المصريين... فدعا موسى وهارون ليلاً وقال: اخرجوا من بين شعبي أنتما وبنو إسرائيل جميعاً، واذهبوا واعبدوا ربكم كما تكلمتم، خذوا غنمكم وبقركم واذهبوا وباركوني أيضاً.

١٢/٣٧ ـ ٣٩: فارتحل بنو إسرائيل من رعمسيس إلى سُكّوت... وخبزوا العجين فطيراً، إذ لم يختمر، لأنهم طردوا من مصر، ولم يقدروا أن يتأخروا، فلم يصنعوا زاداً.

وجاء في ١٤/٥ ـ ٨: فلما أخبر ملك مصر أن الشعب قد هرب، تغيَّر قلبه وعبيده عليهم، فقالوا: ماذا فعلنا حتى أطلقنا إسرائيل من خدمتنا؟ فشدَّ مركبته، وأخذ قومه معه... وشدَّد الرب قلب فرعون حتى سعى وراء بني إسرائيل.

وإن المتأمل في تلك النصوص ليتساءل: متى استعار بنو إسرائيل تلك النفائس من المصريين؟ وإذا كانوا استعاروها قبل أيام، فلمَ لم يهيئوا لأنفسهم زاداً قبل أن يخرجوا ما داموا يعلمون أنهم على وشك الرحيل؟ وإذا كان المصريون هم الذين طردوهم طرداً، وسمحوا لهم بالرحيل مع أغنامهم وأبقارهم، فلِمَ لم يطلبوا منهم ردَّ ما أعاروهم إياه قبل الرحيل؟! ثمة اضطراب يدل على التحريف والدس في هذه القصة.

اتهام موسى وهارون بنقص الإيمان واستحقاق العقوبة:

جاء في سفر العدد ٢٠/١ ـ ٢: وأتى بنو إسرائيل إلى برية صين في الشهر الأول، وأقام الشعب في قادَش... ولم يكن ماء، فاجتمعوا على موسى وهارون، وخاصم الشعب موسى.

٢٠/٦ ـ ٨: فأتى موسى وهارون إلى باب خيمة الاجتماع وسقطا على وجهيهما، فتراءى لهما مجد الرب، وكلم موسى قائلاً: خُذ العصا واجمع الجماعة، وكلِّمَا الصخرة أمام أعينهم أن تعطي ماءها.

٢٠/١١ ـ ١٣: ورفع موسى يده وضرب الصخرة بعصاه مرتين، فخرج ماء غزير، فشربت الجماعة ومواشيها. فقال الرب لموسى وهارون: من أجل أنكما لم تؤمنا بي حتى تقدِّساني أمام أعين بني إسرائيل، لذلك لا تُدخِلان هذه الجماعة إلى الأرض التي أعطيتهم إياها. هذا ماء مريبة، حيث خاصم بنو إسرائيل الرب فتقدسَ فيهم.

يا ويحهم، إن لم يؤمن موسى وهارون، فمن منهم يؤمن ويقدِّس؟ وقد ذكرت قصة ماء مريبة ـ أي الشك ـ مرة أخرى في سفر الخروج ١٧/١ ـ ٧، وفي كلا الموضعين لم يظهر لموسى وهارون عليهما السلام أي تقصير في النصح والإرشاد.

٢٠/٢٣ ـ ٢٨: وكلَّم الرب موسى وهارون في جبل هور على تخم أرض أدوم قائلاً: يُضم هارون إلى قومه، لأنه لا يدخل الأرض التي أعطيت لبني إسرائيل، لأنكم عصيتم قولي عند ماء مريبة. خذ هارون وألعازار ابنه واصعد بهما إلى جبل هور، واخلع عن هارون ثيابه، =

. . . .

= وألبسها ابنه ألعازر، فيضم هارون ويموت هناك. ففعل موسى كما أمر الرب، وصعدوا إلى جبل هور أمام أعين كل الجماعة، فخلع موسى عن هارون ثيابه، وألبسها ألعازار ابنه، فمات هارون هناك على رأس الجبل.

وتجريد هارون من ثيابه قبل موته وإلباسها لابنه عقوبة، وليس ميراثاً.

وجاء في ٢٧/١٢ ـ ١٤: وقال الرب لموسى: اصعد إلى جبل عباريم هذا، وانظر الأرض التي أعطيت بني إسرائيل، ومتى نظرتها تضم إلى قومك أنت أيضاً كما ضم هارون أخوك، لأنكما في برية صين عند مخاصمة الجماعة عصيتما قولي أن تقدساني بالماء أمام أعينهم، ذلك ماء مريبة قادش في برية صين.

وجاء في سفر التثنية ٤/٢٠ ـ ٢٢: وغضب الرب علي بسببكم، وأقسم أني لا أعبر الأردن، ولا أدخل الأرض الجيدة التي الرب إلٰهك يعطيك نصيباً، فأموت أنا في هذه الأرض، لا أعبر الأردن، وأما أنتم فتعبرون وتمتلكون تلك الأرض الجيدة.

١/٣٧: وعليّ أيضاً غضب الرب بسببكم قائلاً: وأنت أيضاً لا تدخل إلى هناك.

وفي ٩/٢٠: وعلى هارون غضب الرب جداً ليبيده، فصلَّيت أيضاً من أجله في ذلك الوقت.

وفي ٣٢/٤٨ ـ ٥٢ من السفر نفسه: وكلَّم الربُّ موسى في نفس اليوم قائلاً: اصعد إلى جبل عباريم هذا جبل نبو، الذي في أرض موآب الذي قُبالة أريحا، وانظر إلى أرض كنعان التي أنا أعطيها لبني إسرائيل ملكاً، ومت في الجبل، وانضم إلى قومك كما مات هارون أخوك في جبل هور، وضُم إلى قومه، لأنكما ختنتماني في وسط بني إسرائيل ـ وعند الكاثوليك: تعدَّيتما عليَّ فيما بين بني إسرائيل ـ عند ماء مريبة ـ وعند الكاثوليك: خصومة ـ قادش في برية صين، إذ لم تقدِّساني في وسَط بني إسرائيل، فإنك تنظر الأرض من قُبالتها، ولكنك لا تدخل إلى هناك.

وفي ٣٤/٤: وقال له الرب: هذه هي الأرض التي أقسمتُ لإبراهيم وإسحاق ويعقوب قائلاً: لنسلك أعطيها، قد أريتك إياها بعينيك، ولكنك إلى هناك لا تعبر.

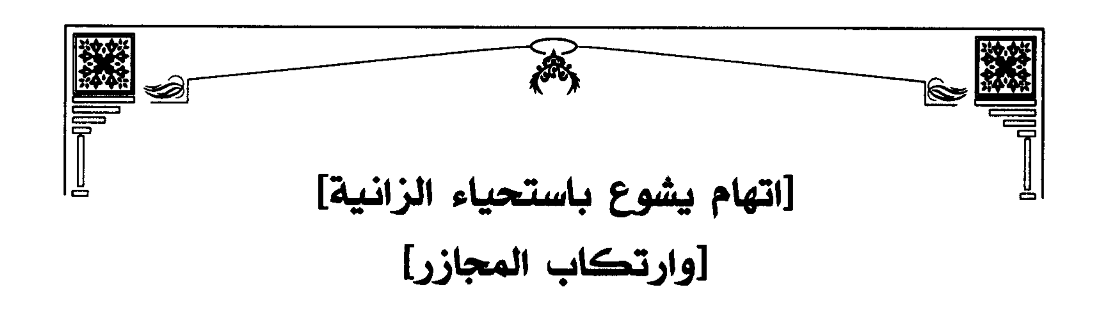
ففي هذه النصوص تصريح بصدور التقصير والتعدي والخيانة من موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ ولذلك عوقبا بالحرمان من الدخول إلى الأرض المقدسة مع سائر المذنبين.

اتهام موسى بارتكاب المجازر:

جاء في سفر العدد ٢١/٣٣ ـ ٣٥: ثم تحوَّلوا وصعدوا في طريق باشان، فخرج عوجُ ملك باشان للقائهم هو وجميع قومه إلى الحرب في إذْرَعي. فقال الرب لموسى: لا تخفْ منه، لأني قد دفعته إلى يدك، مع جميع قومه وأرضه، فتفعل به كما فعلت بسيحون ملك الأمُوريين الساكن في حَشْبون، فضربوه وبنيه وجميع قومه حتى لم يبقَ له شارد وملكوا أرضه.

وجاء في ٣١/١: وكلم الرب موسى قائلاً: انتقم نقمة لبني إسرائيل من المِدْيانيين.

٣١/٧ ـ ١٢: فتجندوا على مديان كما أمر الرب، وقتلوا كل ذكر، وملوك مِدْيان قتلوهم فوق قتلاهم... وسبَى بنو إسرائيل نساء مِدْيان وأطفالهم، ونهبوا جميع بهائمهم وجميع =



[اتهام يشوع باستحياء الزانية]
[وارتكاب المجازر]

وينسبون إلى يوشع بن نون أنه تزوج رَحَب الزانية المشهورة الموقفة نفسها للزنَى، لكل من دبَّ ودرج في مدينة أريحا(1).

= مواشيهم وكل أملاكهم، وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار، وأخذوا كل الغنيمة وكل النهب من الناس والبهائم وأتَوا إلى موسى وألعازر الكاهن.

٣١/ ١٤ ـ ١٨: فسخط موسى على وكلاء الجيش والرؤساء القادمين من جند الحرب وقال: هل أبقيتم كل أنثى حيَّة؟... فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة ذكر اقتلوها، لكن جميع الأطفال من النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر أبقوهن لكم حيّات.

ولا ريب أن موسى عليه السلام جاهد أعداءه الكفار، وانتصر عليهم، وكان عادلاً بل رحيماً بهم، شأنه كشأن محمد ﷺ إذ ثَمَّة فرق بين الجهاد المشروع والظلم الممنوع.

(1) جاء في سفر يشوع ٢/ ١: فأرسل يشوع بن نون من شِطِّيم رجلَين جاسوسين سراً قائلاً: انظرا الأرض وأريحا. فذهبا ودخلا بيت امرأة زانية اسمها راحاب، واضطجعا هناك.

٦/ ١٧: فتكون المدينة وكل ما فيها مُحَرَّماً للرب، راحاب الزانية فقط تحيا، هي وكل من معها في البيت، لأنها خبأت المرسلين اللذين أرسلناهما.

٦/ ٢٠ ـ ٢٥: وصعد الشعب إلى المدينة... وحَرَّموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ، حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف، وقال يشوع للرجلين اللذين تجسسا: ادخلا بيت المرأة الزانية وأخرجاها من هناك وكلَّ مالها كما حلفتما لها. فدخل الغلامان وأخرجا راحاب وأباها وأمها وإخوتها وكل مالها، وأخرجا كل عشائرها، وتركاهم خارج محلَّة إسرائيل، وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما فيها، إنما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد جعلوها في خزانة بيت الرب. واستحيا يشوع راحاب الزانية وبيت أبيها وكل مالها وسكنت في وسط إسرائيل إلى هذا اليوم.

مجزرة عاي أولاً:

٨/ ١ ـ ٢: فقال الرب ليشوع: خُذْ معك جميع رجال الحرب وقم اصعد إلى عاي، قد دفعتُ بيدك ملكَ عاي وشعبه ومدينته وأرضه، فتفعل بعاي وملكها كما فعلت بأريحا وملكها، غير أن غنيمتها وبهائمها تنهبونها لنفوسكم، اجعل كميناً للمدينة من ورائها.

٨/ ١٩؛ فقام الكمين بسرعة من مكانه، وركضوا عندما مدَّ يده، ودخلوا المدينة وأحرقوها بالنار. =

. . . .

= ٨/ ٢٣ ـ ٢٨: ولما رأى يشوع أن الكمين قد أخذ المدينة، وأن دخان المدينة قد صعد، انثنوا وضربوا رجال عاي حتى لم يبقَ منهم شارد ولا منفلت، وأما ملك عاي فأمسكوه وتقدموا به إلى يشوع، ولما انتهوا من قتل جميع سكان عاي في البرية حيث لحقوهم، وسقطوا جميعاً بحد السيف حتى فَنُوا، رجعوا جميعاً إلى عاي وضربوها بحد السيف. . . ويشوع لم يردَّ يده حتى حرَّم جميع سكان عاي. . . وأحرق يشوع عاي وجعلها تلاً أبدياً خراباً إلى هذا اليوم، وملك عاي علّقه على الخشبة إلى وقت المساء، وعند غروب الشمس أمر بإنزال جثته، فطرحوها عند مدخل المدينة، وأقاموا عليها رُجْمة حجارة عظيمة إلى هذا اليوم.

مجازر متتالية باسم إله إسرائيل:

٩/ ١: ولما سمع جميع الملوك الذين في عبْر الأردن في الجبل والسهل وكل ساحل البحر الكبير إلى جهة لُبنان، اجتمعوا معاً لمحاربة يشوع.

١٠/ ٥: فاجتمع ملوك الأموريين الخمسة: ملك أورشليم وملك حَبرون وملك يَرْموت وملك لَخيش وملك عجلون، وصعدوا كلهم، ونزلوا على جِبْعون، لأنها صالحت يشوع.

١٠/ ٧ ـ ١٠: فصعد يشوع من الجِلْجَال، وأتاهم بغتة، وضربهم ضربة عظيمة في جِبْعون، وطردهم في طريق عقبة بيت حورون، وضربهم إلى عَزيقة وإلى مَقَيَّدة.

١٠/ ١٥ ـ ٢٧: فهرب أولئك الخمسة الملوك واختبؤوا في مغارة مَقَيّدة، فقال يشوع: دحرجوا حجارة عظيمة على فم المغارة، وأقيموا عليها رجالاً لحفظهم، واسعوا وراء أعدائكم، واضربوا مؤخَّرهم، لا تدعوهم يدخلون مدنهم. ولما انتهى يشوع من ضربهم حتى فَنُوا، والذين شردوا منهم دخلوا المدن المحصنة، رجع إلى مقيدة وقال: افتحوا المغارة، وأخرجوا هؤلاء الخمسة، ثم قال لقواده: ضعوا أرجلكم على أعناقهم، وبعد ذلك قتلهم وعلقهم على خمس خشب حتى المساء، فأنزلوهم وطرحوهم في المغارة التي اختبؤوا فيها، ووضعوا حجارة كبيرة على فمها، إلى هذا اليوم.

١٠/ ٢٨: وأخذ يشوع مقيدة في ذلك اليوم، وضربها بحد السيف، وحَرَّم ملكها وكل نفس بها، لم يبق شارداً فعل بملكها كما فعل بملك أريحا.

١٠/ ٢٩ ـ ٤١: ثم اجتاز من مقيدة إلى لِبْنَة. . . فضربها بحد السيف وكل نفس بها، لم يبق منها شارداً، وفعل بملكها كما فعل بملك أريحا. ثم اجتاز إلى لخيش، فأخذها وضربها بحدِّ السيف وكلَّ نفس بها حسب كل ما فعله بلبنة. حينئذٍ صعد هورام ملك جازَرَ لإعانة لخيش فضربه يشوع مع شعبه حتى لم يبق له شارداً. ثم اجتاز إلى عجلون، فضربوها بحد السيف وحرم كل نفس بها، حسب كل ما فعل بلخيش. ثم صعد إلى حَبرون، فضربوها بحد السيف مع ملكها وكل مدنها وكل نفس بها، لم يبق شارداً حسب كل ما فعل بعجلون، ثم رجع إلى دبير فحاربها، وأخذها مع ملكها وكل مدنها، وضربوها بحد السيف، وحرموا كل نفس بها، لم يبق شارداً، كما فعل بحبرون وملكها وبلبنة وملكها، فضرب يشوع كل أرض الجبل والجنوب والسهل والسفوح وكل ملوكها، لم يبق شارداً، بل حرم كل نسمة كما أمر الرب إله إسرائيل. =

○ [اتهمامه بقتل الأبرياء من قومه]:

واتهموه بقصة بشعة جداً، وهي أن عَخان بن كرمي بن شذان بن شيلة بن يهوذا بن يعقوب عليه السلام غلَّ من الغنم خيطاً أُرجواناً وحُقّ ذهب[1] فيه خمسون مثقالاً ومئتا درهم فضة، فأمر يشوع برجمه ورجم بنيه وبناته حتى يموتوا كلهم بالحجارة، وأمر بإحراق مواشيه كلها[2].

= ١/١١ ـ ١٥: فلما سمع ملك حاصور أرسل إلى يوباب ملك مادون وإلى ملك شِمْرون وإلى ملك أكْشاف وإلى الملوك الذين في الشمال في الجبل وفي العربة وفي السهل وفي مرتفعات دُور غرباً... فخرجوا واجتمعوا بميعاد... فجاء يشوع وسقط عليهم بغتة، وطردوهم إلى صيدون العظيمة، فضربوهم حتى لم يبق لهم شارد. ثم رجع يشوع وأخذ حاصور، وضرب ملكها بالسيف، وضربوا كل نفس بها بحد السيف، حرموهم ولم تبقَ نسمة، وأحرق حاصور بالنار، فأخذ يشوع كل مدن أولئك الملوك وجميع ملوكها وضربهم بحد السيف... وكل غنيمة تلك المدن والبهائم نهبها بنو إسرائيل لأنفسهم، وأما الرجال فضربوهم بحد السيف جميعاً حتى أبادوهم، لم يبقوا نسمة كما أمر الرب عبده موسى، هكذا أمر موسى يشوع، وهكذا فعل.

٢١/١١ ـ ٢٣: وجاء يشوع في ذلك الوقت وقَرَض العَنَاقِيِّين... حرمهم يشوع مع مدنهم، فلم يتبق عَنَاقيون في أرض بني إسرائيل، لكن بقوا في غزة وجَتَّ وأشْدود. فأخذ يشوع كل الأرض حسب كل ما كلم به الرب موسى، وأعطاها ملكاً لإسرائيل فرقهم وأسباطهم.

لقد افتروا على الله سبحانه، وعلى موسى وفتاه يشوع عليه السلام وجعلوا منهما سفاحين مجرمي حرب، لا تعرف الرحمة إلى قلبيهما سبيلاً، وذلك ليعبِّروا عما تفيض به نفوسهم من حقد على غيرهم من الأمم، ويبرروا قسوة قلوبهم: قتل للصغار والكبار، وسلب ونهب وإحراق. أين هذا مما جاء في القرآن الكريم عن دخول يشوع الأرض المقدسة؟! قال تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩]، وقال سبحانه مذكراً اليهود بما قاله لأسلافهم ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٦١ ـ ١٦٢] أي واذكروا أيها اليهود حين قلنا لأسلافكم: اسكنوا بيت المقدس وكلوا من مطاعمها وثمارها، وقولوا: اللهم حُطَّ عنا ذنوبنا، نغفر لكم ما سلف من ذنوبكم، لكنَّ الظالمين منهم غيروا ما أمرهم الله به.

[1] غل: غش، وغل من المغنم يغُل ـ بالضم ـ غلولاً، أي: خان. قال أبو عبيد: الغلول من المغنم خاصة. والأرجُوان ـ بالضم ـ صبغة شديدة الحمرة. ويطلق على الثياب الحمر.

والحقّ ـ بالضم ـ: وعاء من خشب، والجمع حقّ وحقوق. والمراد هنا وعاء تحفظ فيه الأشياء الثمينة.

[2] جاء في سفر يشوع ١/٧: وخان بنو إسرائيل خيانة في الحرام، فأخذ عَخان بن =

وحاش لله أن يحكم نبي بهذا الحكم، فيعاقب بأغلظ العقوبة من لا ذنب له من ذرية لم تَجْنِ شيئاً بجناية أبيهم، مع أن نص التوراة: «لا يقتل الأب بذنب الابن، ولا الابن بذنب الأب»، فلا بدَّ ضرورة من أن يقولوا: نسخ يشوع هذا الحكم، فيثبتوا النسخ من نبي لشريعة نبي قبله، وفي شريعة موسى أيضاً، أو ينسبوا الظلم وخلاف أمر الله إلى يشوع، فيجعلوه ظالماً عاصياً لله مبدِّلاً لأحكامه، وما فيها حظ لمختار منهم، وبالله التوفيق[1].

= كَرْمي بن زَبْدي بن زارَح من سبط يهوذا من الحرام، فحمي غضب الرب على بني إسرائيل.

وعند الكاثوليك: وتعدّى بنو إسرائيل في أمر المُبْسَل، فأخذ عاكان بن كرمي...

٧/ ١٠ ـ ١٢: فقال الرب ليشوع... قد أخطأ إسرائيل، بل تعدَّوا عهدي الذي أمرتهم به، بل أخذوا من الحرام، بل سرقوا، بل أنكروا، بل وضعوا في أمتعتهم... ولا أعود أكون معكم إن لم تبيدوا الحرام من وسطكم.

٧/ ١٥: ويكون المأخوذ بالحرام يحرق بالنار هو وكل ماله، لأنه تعدى عهد الرب، ولأنه عمل قباحة في إسرائيل.

٧/ ١٦ ـ ٢٦: فبكر يشوع في الغد، وقدَّم إسرائيل بأسباطه فأُخذ سبط يهوذا، ثم قدم قبيلة يهوذا فأخذت عشيرة الزارحيين، ثم قدم عشيرة الزارحيين فأخذ زَبدي، فقدم بيته فأخذ عخان بن كرمي، فقال يشوع له: يا ابني أعط الآن مجداً للرب واعترف له وأخبرني ماذا عملت؟ فقال: حقاً إني قد أخطأت. رأيت في الغنيمة رداء شِنْعارياً نفيساً ومئتي شاقل فضة ولسان ذهب وزنه خمسون شاقلاً فأخذتها، وها هي مطمورة في الأرض في وسط خيمتي، والفضة تحتها، فأرسل يشوع رسلاً فأخذوها من وسط الخيمة، وأتوا بها إلى يشوع وجميع بني إسرائيل وبسطوها، فأخذها يشوع، وأخذ عخان بن زارَح وبنيه وبناته وبقره وحميره وغنمه وخيمته وكل ماله إلى وادي عَخُور ـ وعند الكاثوليك: عكور ـ وقال له: كدرتنا يكدرك الرب هذا اليوم. فرجمه جميع إسرائيل بالحجارة، وأحرقوهم بالنار، وأقاموا فوقه رُجمة حجارة عظيمة إلى هذا اليوم. فرجع الرب عن حمو غضبه، ولذلك دعي اسم ذلك المكان وادي عخور إلى هذا اليوم.

[1] سبق الكلام عن إنكار أهل الكتاب للنسخ وإقرارهم بالبداء في القسم الثالث. ونصوص أسفارهم مضطربة، بل متناقضة في أخذ البريء بذنب غيره.

جاء في سفر التثنية ٢٤/ ١٦: لا يُقتل الآباء عن الأولاد، ولا يقتل الأولاد عن الآباء، كل إنسان بخطيته يقتل.

وقد ورد في أسفارهم ما يتعارض مع هذا النص كما سيأتي في آخر هذا الفصل لدى الكلام عن التناقض بين التوراة وسائر الأسفار إن شاء الله. ويظهر أن هذا من تلاعبهم بالنصوص ليتكيفوا في إصدار الحكم بحسب رغبتهم، لكن يبقى السؤال مطروحاً: ما ذنب الحيوانات التي أحرقت؟!

[افتراؤهم على شاول]

ونسبوا إلى شاول - وهو نبي عندهم يُوحَى إليه - قتل النفوس ظلماً[1].

---

(1) صموئيل يمسح شاول ملكاً ويجمعه بزمرة الأنبياء:

سبق لدى الكلام عن التوراة في عهد الملوك أن الله سبحانه أوحَى إلى صموئيل أن يمسح شاول ملكاً على بني إسرائيل.

جاء في سفر صموئيل الأول ٩/ ١٥ - ١٦: والربُّ كشف أذن صموئيل قبل مجيء شاول بيوم قائلاً: غداً في مثل الآن أرسل إليك رجلاً من أرض بَنيامين، فامسحه رئيساً لشعبي، فيخلص شعبي من الفلسطينيين.

٩/ ٢٧: قال صموئيل لشاول: قُلْ للغلام أن يعبر قُدَّامنا، وأما أنت فقف الآن فأسمعك كلام الله.

١٠/ ١: فأخذ صموئيل قنينة الدهن، وصَبَّ على رأسه وقَبَّله وقال: أليس لأن الربَّ قد مسحك على ميراثه رئيساً.

١٠/ ٥ - ١٠: ويكون عند مجيئك إلى المدينة أنك تصادف زمرة من الأنبياء نازلين من المرتفعة، وأمامهم رباب ودُف وناي وعود، وهم يتنبؤون، فيحل عليك روح الرب، فتتنبأ معهم، وتتحول إلى رجل آخر، وإذا أتت هذه الآيات عليك، فافعل ما وَجَدتْه يدك، لأن الله معك... وكان عندما أدار كتفه ليذهب من عند صموئيل أن الله أعطاه قلباً آخر، وأتت جميع هذه الآيات في ذلك اليوم، ولما جاؤوا إلى جِبْعَة إذا بزمرة من الأنبياء لقيته، فحل عليه روح الله، فتنبأ في وسطهم.

١٠/ ٢٣ - ٢٤: فكان أطول من كل الشعب، من كتفه فما فوق، فقال صموئيل لجميع الشعب: أرأيتم الذي اختاره الرب؟ إنه ليس مثله في جميع الشعب، فهتف الشعب وقالوا: ليحيا الملك.

١١/ ٦: فحل روح الله على شاول عندما سمع هذا الكلام.

صموئيل يأمر شاول بارتكاب مجزرة:

صموئيل الأول ١٥/ ١ - ٣: وقال صموئيل لشاول: إيَّاي أرسل الرب لمسحك ملكاً على شعبه، والآن فاسمع صوت كلام الرب... فالآن اذهب واضرب عماليق، وحرِّموا كل ماله، ولا تَعْفُ عنهم، بل اقتل رجلاً وامرأة، طفلاً ورضيعاً، بقراً وغنماً، جملاً وحماراً.

ثم زعموا أن شاول تغيَّر وعصى فندم الله على تمليكه:

جاء في صموئيل الأول ١٥/ ٥ - ١٠: ثم جاء شاول إلى مدينة عماليق وكَمَن في الوادي... وضرب شاول عماليق، وأمسك أجاج ملك عماليق حياً، وحَرَّم جميع الشعب بحدِّ =

. . . .

= السيف، وعفا هو والشعب عن أجاج وعن خيار الغنم والبقر والثُنَيَّان والخراف وعن كل الجيد، ولم يرضوا أن يحرموها، وكل الأملاك المحتقرة والمهزولة حرموها. وكان كلام الرب إلى صموئيل: ندمت على أني جعلت شاول ملكاً، لأن رجع من ورائي ولم يقم كلامي.

١٥/ ١٢: فبكر صموئيل للقاء شاول صباحاً.

١٥/ ٢٩: فقال له: لماذا لم تسمع لصوت الرب، بل ثُرْتَ على الغنيمة، وعملت الشر في عيني الرب.

١٥/ ٢٤ ـ ٢٨: فقال شاول لصموئيل: أخطأتُ لأني تعديت قول الرب وكلامَك، لأني خفتُ من الشعب وسمعت لصوتهم، والآن فاغفر خطيتي وارجع معي فأسجدَ للرب، فقال صموئيل: لا أرجع، لأنك رفضت كلام الرب فرفضك الرب من أن تكون ملكاً على إسرائيل. ودار صموئيل ليمضي، فأمسك بذيل جبته فانمزق، فقال له: يمزق الله مملكة إسرائيل عنك اليوم ويعطيها لصاحبك الذي هو خير منك.

١٥/ ٣٠ ـ فقال شاول: قد أخطأت، والآن فأكرمني أمام شيوخ شعبي وارجع معي فأسجدَ للرب. فرجع صموئيل وراء شاول، وسجد شاول للرب، وقال صموئيل: قدموا إلى أجاج ملك عماليق. فذهب إليه أجاج فرحاً... فقطع صمويل أجاج أمام الرب في الجلجال، وذهب إلى الرامة، ولم يعد لرؤية شاول إلى يوم موته، لأن صموئيل ناح على شاول، والرب ندم لأنه ملك شاول على إسرائيل.

صموئيل يمسح داود ملكاً حال حياة شاول:

١٦/ ١: فقال الرب لصموئيل: حتى متى تنوح على شاول وأنا قد رفضته عن أن يملك على إسرائيل؟ املأ قرنك دهناً، وتعال أرسلك إلى يَسَّى البَيْتَلَحْمي، لأني قد رأيت لي في بنيه مَلِكاً.

١٦/ ٤ ـ ٥: فجاء صموئيل إلى بيت لحم، وقدس يسى وبنيه ودعاهم إلى الذبيحة.

١٦/ ١٢ ـ ١٣: وكان ـ أي داود ـ أشقر مع حلاوة العينين وحسن المنظر. فقال الرب: قم امسحه، لأن هذا هو، فأخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه وسط إخوته. وحلَّ روح الرب على داود من ذلك اليوم فصاعداً.

داود يقتل جالوت:

١٧/ ١ ـ ٢: وجمع الفلسطينيون جيوشهم للحرب، واجتمع شاول ورجال إسرائيل.

١٧/ ٤ ـ ٥: فخرج رجل مبارز من جيوش الفلسطينيين، اسمه جُلْيات من جَتٍّ، طوله ست أذرع وشبر، وعلى رأسه خوذة من نحاس، وكان لابساً درعاً حرشفياً.

١٧/ ١٠ ـ ١١: وقال الفلسطيني: أنا عَيَّرتُ صفوف إسرائيل هذا اليوم، أعطوني رَجلاً فنتحارب معاً. ولما سمع شاول وجميع إسرائيل كلامه ارتاعوا جداً.

١٧/ ١٦: وكان الفلسطيني يتقدم ويقف صباحاً ومساء أربعين يوماً.

١٧/ ٣٢ ـ ٤٠: فقال داود لشاول: عبدُك يذهب ويحارب هذا الفلسطيني. فقال شاول: لا تستطيع، لأنك غلام، وهو رجل حرب منذ صباه. فقال داود: كان عبدك يرعى لأبيه غنماً، =

= فجاء أسد مع دب، وأخذ شاة من القطيع، فخرجت وراءه وقتلته وأنقذتها من فيه، ولما قام عليَّ أمسكته من ذقنه وضربته فقتلته، قتل عبدك الأسد والدب جميعاً، وهذا الفلسطيني الأغلف يكون كواحد منهما، فقال شاول لداود: اذهب وليكن الرب معك. وألبس شاول داود ثيابه، وجعل خوذة من نحاس على رأسه وألبسه درعاً. فتقلد داود بسيفه فوق ثيابه وعزم أن يمشي، فقال لشاول: لا أقدر أن أمشي بهذه، لأني لم أجربها، ونزعها عنه، وأخذ عصاه بيده، وانتخب له خمسة حجارة مُلْس، ومقلاعه بيده، وتقدم نحو الفلسطيني.

١٧/٤٩ ـ ٥١: ومدَّ داود يده إلى الكِنْف وأخذ منه حجراً، ورماه بالمقلاع، فارتزَّ الحجر في جبهته، وسقط على وجهه إلى الأرض ـ فركض داود، ووقف على الفلسطيني، وأخذ سيفه، وقطع به رأسه.

اضطراب وتناقض، هل نسي شاول داود؟

١٧/٥٥ ـ ٥٨: ولما رأى شاول داود خارجاً للقاء الفلسطيني قال لرئيس الجيش: ابن من هذا الغلام؟ فقال: وحياتك، لست أعلم. فقال الملك: اسأل ابن من هذا الغلام. ولما رجع داود من قتل الفلسطيني أخذه رئيس الجيش وأحضره أمام شاول، ورأس الفلسطيني بيده. فقال له: ابن من أنت يا غلام؟ فقال: ابن عبدك يَسّى البَيْتَلَحْمي.

وإن الإنسان ليتساءل: هلا كان هذا السؤال عندما استأذنه داود في قتال الفلسطيني؟ كيف يخبره بأنه قتل الدب والأسد معاً، ولا يسأله عن اسمه واسم أبيه؟ بل كيف يلبسه درعه وخوذته وهو لا يعلم ابن من هو؟ كيف لا يعرفه وقد ضرب بالعود بين يديه كما في ١٦/١٤ ـ ٢٣، فهل نسي ذلك كله؟ أم تراه تجاهله عن عمد؟ وهو أدهى وأمر.

شاول يحاول قتل داود ويتآمر عليه:

١٨/٦ ـ ١٥: وكان عند مجيئهم حين رجع داود من قتل الفلسطيني أن النساء خرجت بالغناء والرقص للقاء شاول، وقلن: ضرب شاول ألوفه، وداود رِبْواته. وساء هذا الكلام في عيني شاول، فكان يعاين داود من ذلك اليوم فصاعداً. وكان في الغد أن الروح الرديَّ من قبل الله اقتحم شاول، وجُن في وسط البيت، وكان الرمح بيده، فأشرعه وقال: أضرب داود إلى الحائط، فتحوَّل داود من أمامه مرتين. وكان شاول يخاف داود، لأن الرب كان معه وقد فارقه، فأبعده عنه، وجعله رئيس ألف، فكان مفلحاً في جميع طرقه، وكان جميع إسرائيل يحبونه.

١٨/١٧ ـ ٢١: وقال شاول لداود: هو ذا ابنتي الكبيرة مَيْرب أعطيك إياها امرأة، إنما كن لي ذا بأس، وحارب حروب الرب، فإن شاول قال: لا تكن يدي عليه، بل لتكن عليه يد الفلسطينيين. . . وميكال ابنة شاول أحبت داود، فأخبروا شاول، فحسن الأمر في عينيه وقال: أعطيه إياها، فتكون له شَرَكاً، وتكون يد الفلسطينيين عليه. وقال شاول لداود ثانية: تصاهرني اليوم.

١٨/٢٥ ـ ٢٧: فقال شاول لعبيده: هكذا تقولون لداود: ليست مسرة الملك بالمهر، بل بمئة غُلْفة من الفلسطينيين، وكان شاول يتفكر أن يوقع داود بين الفلسطينيين. فحسن الكلام =

. . . .

= في عيني داود، ولم تكمل الأيام حتى ذهب داود ورجاله وقتل مئتي رجل، وأتى بغُلَفهم لمصاهرة الملك، فأعطاه ابنته امرأة.

١٩/١ ـ ٦: وكلم شاول يوناثان ابنه وجميع عبيده أن يقتلوا داود، فأخبره يوناثان، ونصحه بالاختباء. . . وتكلم يوناثان عن داود حسناً مع أبيه، فسمع شاول لابنه، وحلف حي هو الرب لا يقتل.

١٩/٨ ـ ٢١: وعادت الحرب، فحارب داود، وكان الروح الردي على شاول، فالتمس أن يطعن داود بالرمح حتى الحائط، ففر من أمامه، فأرسل شاول رسلاً إلى بيت داود ليراقبوه ويقتلوه في الصباح فأخبرته ميكال بذلك، وأنزلته من الكوة فهرب.

٢٠/٢٤ ـ ٣٤: فاختبأ داود في الحقل، وكان الشهر، فجلس الملك في موضعه ليأكل، وخلا موضع داود، ولم يقل شاول شيئاً، لأنه قال: لعلَّه عارضٌ غيرُ طاهر، وكان في الغد من الشهر أن موضع داود خلا، فقال ليوناثان: لماذا لم يأت ابن يَسَّى إلى الطعام، لا أمسِ ولا اليوم؟ فقال يوناثان: داود طلب مني أن يذهب إلى بيت لحم. . . فحمي غضب شاول على يوناثان ووبخه ثم قال له: والآن أرسل وأتِ به إلي، لأنه ابن الموت هو. فقال يوناثان: لماذا يقتل؟ ماذا عمل؟ فَصابى شاول الرمح نحوه ليطعنه، فعلم أن أباه قد عزم على قتل داود، فقام عن المائدة بغضب.

٢١/١ ـ ٩: فجاء داود إلى نُوبَ إلى أخيمالك الكاهن، فاضطرب وقال: لماذا أنت وحدك؟ فقال داود: الملك أمرني بشيء وأوصاني بالكتمان، وأما الغلمان فقد عينتُ لهم الموضع الفلاني والفلاني، فماذا يوجد تحت يدك؟ أعط خمس خبزات في يدي أو الموجود، فقال الكاهن: لا يوجد خبز محلّل تحت يدي، ولكن يوجد خبز مقدَّس، إذا كان الغلمان قد حفظوا أنفسهم لا سيما من النساء. فقال داود: إن النساء قد منعت عنا منذ أمسِ وما قبله عند خروجي، وأمتعة الغلمان مقدسة، وهو على نوع محلَّل. فأعطاه الكاهنُ المقدسَ، لأنه لم يكن هناك خبز إلا خبز الوجوه، وكان هناك دُوَاغُ الأدومي رئيس رعاة شاول محصوراً أمام الرب. وقال داود لأخيمالك: أما يوجد رمح أو سيف، لأني لم آخذ سلاحي، لأن أمر الملك كان مُعَجِّلاً. فقال الكاهن: ها هو سيف جُليات الذي قتلته ملفوف في ثوب خلف الأفود، فقال داود: أعطني إياه.

٢٢/١ ـ ٢: فذهب داود من هناك ونجا إلى مغارة عَدُلّام، واجتمع إليه كل رجل متضايق.

٢٢/٦: وسمع شاول أنه قد اشتهر داود والرجال الذين معه.

شاول يقتل الكهنة:

٢٢/٩ ـ ٢٠: وأخبر دُواغُ الأدومي شاول بأنه رأى داود آتياً: إلى نُوبَ إلى أخيمالك، وأنه سأله من الرب، فأعطاه زاداً. فأرسل الملك واستدعى الكاهن وجميع بيت أبيه الكهنة الذين في نوب. . . وقال له: لماذا فتنتم عليَّ أنت وابن يسَّى بإعطائك إياه خبزاً وسيفاً؟ فقال أخيمالك: ومَن مِن عبيدك مثل داود؟!. . . فقال الملك: مَوْتاً تموت أنت وكل بيت أبيك. . . =

. . . .

= فقال الملك لدُواغ: دُرْ أنت وَقَعْ بالكهنة. فقتل في ذلك اليوم خمسة وثمانين رجلاً لابسي أفُود كَتان، وضرب مدينة الكهنة بحد السيف، الرجال والنساء والأطفال والرِّضعان والثيران والحمير والغنم بحد السيف.

شاول يستعين بالجن ويستحضر الأرواح:

جاء في سفر صموئيل الأول ٢٨/ ٣ ـ ١٩: وكان شاول قد نَفَى أصحاب الجان والتوابع من الأرض، فاجتمع الفلسطينيون ونزلوا في شونَم، وجمع شاول جميع إسرائيل، ونزل في جِلْبوع، ولما رأى شاول جيش الفلسطينيين خاف واضطرب قلبه، فسأل الرب، فلم يجبه لا بالأحلام ولا بالأوريم ـ وعند الكاثوليك: ولا بالكهنة ـ ولا بالأنبياء، فقال لعبيده: فتشوا لي على امرأة صاحبة جان لأسألها. فتنكر شاول وذهب هو ورجلان إلى المرأة ليلاً، وقال: اعرفي لي بالجان وأصعدي لي من أقول لك... فقال: أصعدي لي صموئيل. فلما رأت المرأة صموئيل صرخت بصوت عظيم وقالت: لماذا خدعتني وأنت شاول. فقال لها: لا تخافي فماذا رأيت؟ فقالت: رأيت آلهة يصعدون من الأرض، فقال لها: ما صورته؟ فقالت: شيخ صاعد وهو مغطًى بجبة... فقال صموئيل لشاول: لماذا أقلقتني بإصعادك إياي؟ فقال شاول: ضاق بي الأمر، الفلسطينيون يحاربونني والرب فارقني ولم يعد يجيبني، فدعوتك لكي تُعلمني ماذا أصنع، فقال صموئيل: ولماذا تسألُني والرب قد فارقك وصار عدوك؟ وقد فعل لنفسه كما تكلم عن يدي وشق المملكة من يدك وأعطاها لداود، لأنك لم تسمع لصوت الرب ولم تفعل حُمُوَّ غضبه في عماليق، لذلك فعل بك هذا اليوم، ويدفع إسرائيل معك ليد الفلسطينيين، وغداً أنت وبنوك تكونون معي.

هل انتحر شاول بعد أن خسر المعركة؟

جاء في سفر صموئيل الأول ٣١/ ١ ـ ٥ وأخبار الأيام الأول ١٠/ ١ ـ ٦: وحارب الفلسطينيون إسرائيل، فهرب رجال إسرائيل من أمام الفلسطينيين، وسقطوا قتلى في جبل جِلْبوع. فشدَّ الفلسطينيون وراء شاول وبنيه، فضربوا يوناثان وأبيناداب ومَلْكيشوع أبناء شاول، واشتدت الحرب على شاول، فأصابته الرماة فانجرح، فقال لحامل سلاحه: استل سيفك واطعني به لئلا يأتي هؤلاء الغُلف ويقبحوني. فلم يشأ حامل سلاحه أن يفعل، فأخذ شاول السيف وسقط عليه. فلما رأى حامل سلاحه أنه قد مات، سقط هو أيضاً على سيفه ومات معه.

أخبار الأيام الأول ١٠/ ١٣ ـ ١٤: فمات شاول بخيانته التي خان بها الرب من أجل كلام الرب الذي لم يحفظه، وأيضاً لأجل طلبه إلى الجان للسؤال، ولم يسأل من الرب، فأماته وحول المملكة إلى داود.

اضطراب النصوص بين سفري صموئيل الأول والثاني:

جاء في سفر صموئيل الثاني ١/ ١ ـ ١٦: وبعد موت شاول ورجوع داود من مضاربة العمالقة أنه أقام في صِقْلع يومين، وفي اليوم الثالث: إذا برجل من المحلَّة من عند شاول وثيابه ممزقة وعلى رأسه تراب... فقال له داود: كيف كان الأمر أخبرني؟ فقال: إن الشعب =

. . . .

= قد هرب وسقط كثيرون، ومات شاول ويوناثان ابنه أيضاً. فقال داود: كيف عرفت أنهما ماتا؟ فقال: كنت في جبل جلبوع، وإذا شاول يتوكأ على رمحه، وإذا بالمركبات والفرسان يشدون وراءه، فالتفت وراءه فرآني ودعاني، فقال: من أنت؟ قلت: عماليقي، فقال: اقتلني لأنه قد اعتراني الدوار. فقتلته لأني علمت أنه لا يعيش بعد سقوطه، وأخذت الإكليل الذي على رأسه والسوار الذي على ذراعه، وأتيت بهما إليك. فمزق داود ثيابه، وكذا جميع الرجال الذين معه، وبكوا على شاول ويوناثان وعلى الشعب، ثم قال داود للغلام الذي أخبره: من أين أنت؟ فقال: أنا ابن رجل غريب عماليقي، فقال داود: كيف لم تخف أن تمد يدك لتهلك مسيح الرب؟ ثم دعا واحداً من غلمانه وقال: أوقع به، فضربه فمات، فقال داود: دمك على رأسك، لأن فمك شهد عليك قائلاً: أنا قتلت مسيح الرب.

فهل قتل شاول نفسه كما سلف في سفري صموئيل الأول وأخبار الأيام الأول، أو قتله العماليقي كما في سفر صموئيل الثاني؟ وهل كان العماليقي رجلاً أو غلاماً؟ وكيف يجرؤ العماليقي أن يخبر داود أنه قتل شاول وسلب منه إكليله وسواره؟ فهل كان العماليقي على دين إسرائيل، ويعلم بالخلاف الذي بين شاول وداود؟ وإذا كان الأمر كذلك فلماذا قتله داود؟ ولم بكى على شاول؟

ما في قصة شاول من الغرائب والعجائب:

إن المتأمل ليعجب مما في هذه النصوص من عجائب وغرائب، ومن أهمهما ما يلي:

١ ـ ذكروا أن الله قد اختار شاول للملك، فأمر صموئيل أن يمسحه ملكاً على إسرائيل، فَقَبّله وصبَّ على رأسه الدهن المقدس، ثم أرسله إلى زمرة من الأنبياء ليتنبأ في وسطهم ويعطيه الله قلباً آخر، ويتحول إلى رجل آخر.

٢ ـ وذكروا أن روح الله حلَّ عليه، وأيده بنصره المتتالي، فأنقذ الفلسطينيين، وكان حيثما توجَّه غلب أعداءه.

٣ ـ ثم ذكروا أن صموئيل أمره بأمر الرب أن يقتل العماليق شيباً وشباناً وأطفالاً ورضعاً ورجالاً ونساءً وبهائم، وأمره ألا يعفو عن أحد من البشر ولا من الحيوان.

ويا لها من مجزرة ينَدَى لها جبين الكرام، بل لا تصدر إلا من حكام لم تتزن عقولهم.

٤ ـ أدركت شاول الرحمة فعفا عن ملك أجاج، وسمع لصوت الشعب وأدرك حاجتهم، فترك لهم خيار البقر والغنم، وكل جيد لينتفعوا بها.

٥ ـ غضب الرب على شاول، وندم لأنه ملكه على إسرائيل، وعزم على أن ينزع الملك منه.

٦ ـ جاء صموئيل إليه مبكراً ووبخه على ما عمله من شر، إذ لم ينفذ كلام الله.

٧ ـ اعترف شاول بذنبه وأعلن توبته، وطلب من صموئيل أن يذهب معه إلى المعبد ليسجدا لله ويطلبا منه المغفرة.

٨ ـ رفض صموئيل في الأول، وأخبره أن الرب رفضه، وسيأخذ الملكَ منه ويعطيه لمن هو خير منه، ولما ألح شاول ورجا صموئيل عاد وسجد معه، ثم دعا بأجاج وقتله. =

= ٩ ـ ذهب صموئيل ولم يعد لرؤية شاول إلى يوم موته، وناح عليه، فعاتبه الربُّ على ذلك وأمره أن يذهب إلى داود ويمسحه عوضاً عن شاول.

١٠ ـ من أجلِ هفوة غير مقصودة أراد بها خيراً، وصفه صموئيل بالحمق، وأخبره أن مملكته لا تقوم وأنَّ الربَّ لن يقبل توبته، ولِمَ لم يفعل الرب هذا مع داود، وقد نسبوا إليه أقبح التهم؟!

١١ ـ غار شاول من داود بعد قتله جوليات وحاول قتله بيده عدة مرات، ثم تآمر عليه ليتخلص منه على يد الأعداء، فاستغل حب ابنته له، وجعل مهرها مئتي غُلفة ممن يقتلهم من الفلسطينيين ويا له من مهر يعطيه نبي لبنت مسيح الله!

١٢ ـ اتهموا داود بالكذب على الكهنة وأكله من الخبز الذي لا يحل له أكله.

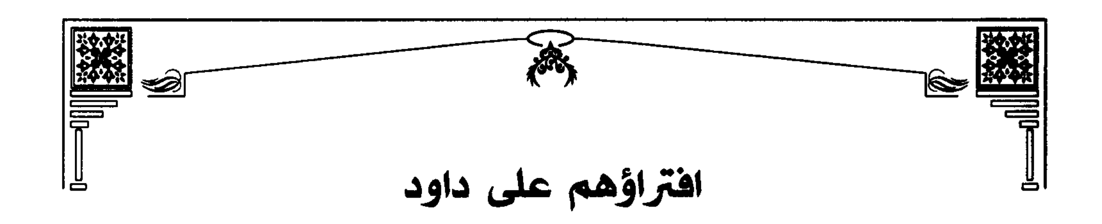
١٣ ـ اتهموا شاول بقتل الكهنة ونسائهم وأطفالهم ورِضعانهم وبهائمهم بحدِّ السيف لأنهم ساعدوا داود.

١٤ ـ استعان شاول بالعرافة والجن واستحضرت له روح صموئيل، فأعاد صموئيل كلامه السابق، وبذلك ناقض ما حكم به سابقاً، واستحق الرجم بالحجارة، كما في اللاويين ٢٠/ ٢٧.

١٥ ـ وأخيراً ذكروا أنه انتحر، لئلا تكون منيته على يد الغُلْف، وكان الأولى أن يموت شهيداً على أيديهم، ثم ليفعلوا به ما شاؤوا، وقد فعلوا.

وقد ذكر الله سبحانه هذه القصة في القرآن الكريم على حقيقتها التي تليق بهذا الرجل الصالح مبطلاً هذه الأباطيل والافتراءات، وقد سماه طالوت.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٦ ـ ٢٥٢].



افتراؤهم على داود

○ اتهامه بقتل أولاد شاول:

وينسبون إلى داود عليه السلام أنه قتل جميع أولاد شاول لذنب أبيهم، حاش صغيراً مُقْعداً كان فيهم فقط[1].

---

[1] جاء في سفر صموئيل الأول ٢٤/ ٢٠ ـ ٢٢ أن شاول قال لداود: والآن فإني قد علمت أنك تكون ملكاً، وتَثْبت بيدك مملكة إسرائيل، فاحلف لي الآن بالربّ أنك لا تقطع نسلي من بعدي، ولا تبيد اسمي من بيت أبي، فحلف داود لشاول، ثم ذهب شاول إلى بيته.

وفي صموئيل الثاني ٢/ ١ ـ ٤: وبعد ذلك سأل داود الرب قائلاً أأصعد إلى إحدى مدن يهوذا؟ فقال له الرب: اصعد. فقال: إلى أين؟ قال: إلى حَبْرون، فصعِد داود إلى هناك هو وامرأتاه وأصعد رجاله الذين معه، كلٌّ واحد وبيتَه، وسكنوا في مدن حبرون، وأتى رجال يهوذا، ومسحوه هناك ملكاً على بيت يهوذا.

٢/ ٨ ـ ١٠: وأما أَبْنَيْرُ بن نَيْر رئيس جيش شاول، فأخذ إيشْبُوشَث بن شاول وعبر به إلى مَحَنَايم، وجعله ملكاً على جلعاد وعلى الآشوريين وعلى يِزرعيل وعلى أفرايم وعلى بنيامين وعلى كل إسرائيل، وكان إيشبوشث ابن أربعين سنة حين ملك، وملك سنتين.

٣/ ١: وكانت الحرب طويلة بين بيت شاول وبيت داود، وكان بيت داود يتقوى، وبيت شاول يضعف.

٢/ ١٢ ـ ١٦: فأرسل أبنير رسلاً إلى داود أن اقطع عهدك معي، ويدي معك لردِّ جميع إسرائيل إليك. فقال: حَسَناً، أقطع معك عَهْداً، وأطلب منك أن لا ترى وجهي ما لم تأتِ لي بميكال بنت شاول حين تأتي لترى وجهي. وأرسل داود رسلاً إلى إيشبوشث يقول: أعطني امرأتي ميكال التي خطبتها لنفسي بمئة غلفة من الفلسطينيين، فأرسل إيشبوشث وأخذها من عند رجلها من فلطئيل بن لايش، وكان رجلها يسير معها ويبكي وراءها إلى بحوريم، فقال له أبنير: ارجع. فرجع.

٤/ ٤: وكان ليوناثان بن شاول ابنٌ مضروب الرجلين، كان ابن خمس سنين عند مجيء خبر شاول ويوناثان من يِزْرعيل، فحملته مربيته وهربت، ولما كانت مسرعة وقع وصار أعرج. واسمه مَفِيبوشَث.

٢١/ ١ ـ ٩: وكان جوع في أيام داود ثلاث سنين، فطلب وجه الرب، فقال الرب: هو ـ أي الجوع ـ لأجل شاول ولأجل بيت الدماء، لأنه قتل الجِبْعونيين. فدعاهم داود وقال لهم: ماذا أفعل لكم وبماذا أكفّر فتباركوا نصب الرب؟ فقالوا: الرجل الذي أفنانا والذي تآمر =

○ قذفه بالزنى بامرأة جاره ثم قتله زوجها:

وينسبون إليه الزنى جهاراً بامرأة رجل من جنده مُحْصَنة، وزوجُها حيٌّ، فولدت منه من الزنى ابناً ذكراً، ثم تزوَّجها وهي أم سليمان، ثم مات ذلك الفرخ الطيب قبل ولادة سليمان[1].

= علينا ليبيدنا، فلنعطَ سبعة رجال من بنيه، فنصلبهم للرب. فقال الملك: أنا أعطي. وأشفق على مَفيبوشث بن يوناثان بن شاول من أجل يمين الرب التي بينهما. . . فأخذ الملك سبعة من أولاد شاول، وسلمهم إلى الجبعونيين، فصلبوهم على الجبل أمام الرب.

اتهام داود بجرائم حرب:

جاء في سفر صموئيل الثاني ١٢/٢٩ ـ ٣١: فجمع داود كل الشعب، وذهب إلى رِبَّة وحاربها وأخذها، وأخذ تاج ملكهم عن رأسه، وَوَزْنُه وَزْنَةٌ من الذهب مع حجر كريم، وكان على رأس داود، وأخرج غنيمة المدينة، كثيرة جداً، وأخرج الشعب الذي فيها، ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد، وفؤوس حديد، وأمَرَّهم في أَتّون الآجر، وهكذا صنع بجميع مدن بني عَمّون، ثم رجع داود وجميع الشعب إلى أورشليم.

سبحان الله. هذا بهتان عظيم في حقِّ نبي كريم، يضع الأسرى تحت المناشير والنوارج والفؤوس الحديدية، ويصليهم في أتون الآجر، فهلّا قتلهم مباشرة بطريقة حسنة وأراحهم إن كانوا يستحقون القتل؟ حاشا لله أن يفعل داود ﷺ ذلك، غير أن قسوة قلوب رؤساء بني إسرائيل وأحبارهم وتعطشهم إلى دماء الشعوب الأخرى منذ القديم هي التي دفعتهم إلى وضع هذه الافتراءات، لتكون مستنداً لهم، يبررون بها جرائمهم.

ولا ريب أن مشكاة النبوة واحدة، وداود ﷺ يشبه أخاه محمداً ﷺ في الرحمة، وقد قال رسول الله ﷺ: إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته. [أخرجه مسلم].

وجاء في سفر الملوك الأول ١١/١٥ ـ ١٦: وحدث لما كان داود في أدوم عند صعود يوآب رئيس الجيش لدفن القتلى، ضرب كل ذكر في أدوم، لأن يوآب وكل إسرائيل أقاموا هناك ستة أشهر حتى أفنوا كل ذكر في أدوم.

ولا شك أن هذا كان ـ حسب زعمهم ـ بعلم داود وأمره، إعدامات لكل ذكر من صغير وكبير، مدة ستة أشهر، والعفو من شيم الكرام، وداود ﷺ من الأكرمين.

[1] جاء في سفر صموئيل الثاني ١١/١ ـ ٢٧: وعند تمام السنة في وقت خروج الملك أرسل داود يوآب وعبيده معه وجميع إسرائيل، فدمروا بني عَمُّون وحاصروا ربَّة، وبقي داود في أورشليم، وفي المساء قام داود عن سريره، وتمشَّى على سطح بيته، فرأى امرأة تستحم، وكانت جميلة جداً، فسأل عنها، فقيل له: هذه بَتْشابَعُ بنت أليمام امرأة أوريّا الحِثّي، فأرسل رسلاً وأخذها فاضطجع معها، وهي مُطَهرة من طَمْثها، ثم رجعت إلى بيتها. وحملت المرأة، فأخبرت داود، فأرسل إلى يوآب أن أرسل إلي أوريا الحثّي. فأتى إليه، فسأله داود عن سلامة يوآب وسلامة الشعب ونجاح الحرب ثم قال له: انزل إلى بيتك واغسل رجليك. فخرج من =

....

= بيت الملك، ونام على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده، ولم ينزل إلى بيته. فأخبروا داود بذلك، فقال له: أما جئت من السفر؟ فلماذا لم تنزل إلى بيتك؟ فقال أوريا: إنَّ التابوت وإسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام، وسيدي يوآب وعبيد سيدي الملك نازلون في وجه الصحراء، وأنا آتي إلى بيتي لآكل وأشرب وأضطجع مع امرأتي! وحياتك وحياة نفسي لا أفعل هذا. فقال داود: أقم هنا اليوم أيضاً، وغداً أطلقك. فأقام أوريا في أورشليم ذلك اليوم وغَدَه، ودعاه داود فأكل أمامه وشرب وأسكره، وخرج مساء فاضطجع مع عبيد سيده ولم ينزل إلى بيته.

وفي الصباح كتب داود كتاباً إلى يوآب، وأرسله بيد أوريا، وكتب فيه: وجِّهوا أوريا إلى حيث يكون القتال شديداً، وارجعوا من ورائه فيُضرب ويموت. وكانوا يحاصرون المدينة، فجعل يوآب أوريا في مواضع علم أن فيه شدة البأس، فخرج رجال المدينة وحاربوا، فسقط بعض عبيد داود، ومات أوريا أيضاً، فأرسل يوآب وأخبر داود، وأوصى الرسول قائلاً: إذا سألك: لماذا دنوتم من السور؟ فقل: قد مات عبدك أوريا أيضاً. فلما سمعت امرأة أوريا أن زوجها قد مات، ندبت عليه وناحت، فلما تمت أيام مناحتها، أرسل داود وضمَّها إلى بيته، فصارت زوجة له، وولدت له أبناء وساء ما صنعه داود في عيني الرب.

١٢/ ١ ـ ٧: فأرسل الرب ناثان إلى داود، فأتاه وقال له: كان رجلان في إحدى المدن، أحدهما غني والآخر فقير، وكان للغني غنم وبقر كثيرة جداً، والفقير لم يكن له إلا نعجة واحدة صغيرة، اقتناها وربَّاها... فنزل بالرجل الغنيِّ ضيفٌ، فشحَّ أن يأخذ من غنمه وبقره ليهيئ للضيف الوافد، فأخذ نعجة الرجل الفقير، وهيأها للوافد عليه. فغضب داود وقال لناثان: يقتل الرجل الفاعل ذلك، ويردّ النعجة أربعة أضعاف. فقال ناثان لداود: أنت هو الرجل، هكذا قال الرب إله إسرائيل.

١٢/ ٩ ـ ١٤: لماذا احتقرتَ كلام الرب وعملتَ الشر في عينيه؟ قتلت أوريا بسيف بني عَمُّون، وأخذت زوجته لتكون امرأة لك، والآن لا يفارق السيف بيتك إلى الأبد، لأنك احتقرتني وأخذت امرأة أوريا الحِثِّي لتكون لك امرأة. هكذا قال الرب: أقيم عليك الشر من بيتك، وآخذ نساءك أمام عينيك، وأعطيهن لقريبك ـ وعند الكاثوليك: لغيرك ـ فيضطجع مع نسائك في عين هذه الشمس، أنت فعلتَ هذا بالسر، وأنا أفعل هذا الأمر قُدَّام جميع إسرائيل وقُدَّام الشمس. فقال داود لناثان: قد أخطأتُ إلى الرب. فقال ناثان: الربُّ أيضاً قد نقل عنك خطيتك فلا تموت، غير أنه من أجل أنك قد جعلت أعداء الرب يشمتون، فالابن المولود لك يموت. وذهب ناثان إلى بيته.

١٢/ ١٥ ـ ١٨: وضرب الربُّ الولد الذي ولدته امرأة أوريا، فثقل حتى يئس منه، فسأل داود الله من أجل الصبي وصام، وبات مضطجعاً على الفراش... وكان في اليوم السابع أن الولد مات.

١٢/ ٢٤ ـ ٢٥؛ وعزَّى داود بَتْشابع امرأته، واضطجع معها، فولدت ابناً، فدعاه سليمان، =

= وأحبَّه الرب، فأرسل على لسان ناثان النبي، وسماه يَديديّا، لأجل الرب.

ما في هذه القصة من القبائح والأكاذيب:

ولا ريب أن هذه القصة مَحْض افتراء على داود ﷺ لا يتصوَّر صدورها من رجل كريم، فَضْلاً عن نبي عظيم، اختاره الله لخدمة دينه، وفيها من قبائح الافتراءات ما يلي:

١ ـ اتهموا داود بالتقاعس وعدم الخروج إلى الجهاد في وقت خروج الملوك، فأرسل جيشه وبقي في القصر يتنعَّم.

٢ ـ اتهموه باستراق النظر إلى جارته وهي عُرْيانة تغتسل، فنظر إليها بشهوة، ولم يذكروا هل كانت تغتسل في صحن دارها دون أن تحسب حساباً لمن يراها خُلسة.

والعجب من النصارى! كيف يؤمنون بهذا الكلام، وعندهم في إنجيل متى ٥/ ٢٧ ـ ٢٨: قد سمعتم أنه قيل للقدماء: لا تَزْنِ، وأما أنا فأقول لكم: إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زَنَى بها في قلبه، وفي سفر الخروج ٢٠/ ١٤: لا تزن، ٢٠/ ١٧: لا تشته امرأة قريبك.

٣ ـ رَمَوه بعشقها، فخان الجوار، واستغل غيابَ زوجها في ساح الجهاد، فأرسل إليها وزنَى بها. ولا بدَّ أنه أغراها فطاوعته، وبذلك يكون قد خان الجوار، وخالف الوصايا العشر، ولم يقم حدَّ الزنى لا على نفسه ولا عليها كما في سفر اللاويين ٢٠/ ١٠، والتثنية ٢٢/ ٢٢.

٤ ـ اتهموه بمحاولة ستر عيبه وجريمته بجريمة أخرى، وذلك بإسكار زوجها وإرساله إليها ليضاجعها، فيُنسب الولد المخلوق من الزنى فيما بعد إلى ذلك الرجل.

٥ ـ وصفوا الجندي بالمروءة والشهامة، واتهموا داود بتدبير قتله، فقد أبى أن يبيت مع زوجته، وإخوانُه في الجهاد، فهل هو أشرف من داود!!

٦ ـ تآمر مع قائد جيشه على ذلك الجندي البار، فأوقعه في مَهْلكة ليس من ورائها مصلحة، ولم تقتصر الجريمة على قتل أوريا وحده، بل قتل معه آخرون، فخالف بذلك ما جاء في سفر الخروج ٢٣/ ٧: ولا تقتل البريء والبار، لأني لا أبرر المذنب.

٧ ـ بعد نجاح المؤامرة ضمَّ المرأة إلى نسائه، وبعد الولادة أراد أن ينسب المولود من الزنَى إليه، ثم حزن لمرضه حزناً شديداً، وكان يصلي من أجل عافيته.

٨ ـ زعموا أنَّ الربَّ ضرب الولد الذي ولد من ذلك السفاح، فمات في اليوم السابع، فلمَ لم يضرب الرب مؤاب وعمون ابني لوط من ابنتيه كما زعموا؟ ولم لم يضرب فارص وزارح ابني يهوذا من كنته ثامار كما ضُرب هذا الفرخ؟ وهل الزنى بامرأة أجنبية ذات بعل أشدُّ من الزنى بالبنت وبزوجة الابن؟!

٩ ـ ادَّعوا أن الرب عاتبه على لسان النبي ناثان وأقام عليه الحجة مِنْ فيه، حيث حكم على الغني الذي أخذ نعجة الفقير بالقتل وبرد أربعة أضعاف النعجة. فهل هذا حكم عادل؟!

١٠ ـ بَيَّن له ناثان أن الربَّ سيأخذ نساءه أمام عينيه، ويعطيهن لغيره، فيضطجع معهن جهرة في عين الشمس أمام جميع إسرائيل، وإذا كان داود قد أذنب كما يزعمون فما ذنب نسائه الغافلات، ليفعل بهن هذا الأمر ويفضحن مع أهلهن أمام الجميع؟!

١١ ـ لم يتعرض ناثان لمقتل أوريا وغيره من الجند في تلك المؤامرة المزعومة، فهل =

فعلى من يُضيف هذا إلى الأنبياء ﷺ ألفُ ألفِ لَعْنة.

○ [اتهام داود بعدم إقامة الحدّ على ابنيه]:

ثم ينسبون إلى أمنون بن داود ﷺ أنه فَسَق بسراري أبيه علانية أمام الناس[1].

= دماء الأبرياء مباحة للملوك؟ وهل هفوة شاول الأولى التي عوقب عليها أشد من هذه الجرائم؟

١٢ ـ كان الأولى لو كانت القصة صحيحة أن يعاقبه بفراق تلك المرأة ودفع ديات القتلى من الجند والتوبة النصوح إلى الله، لا بإبقاء المرأة والإنجاب منها والسكوت عن القتلى.

ولو أن هذه الجرائم المركبة وقعت في زماننا لتناقلتها وكالات الأنباء، وصَعِق من هولها الشرفاء، ولا سيما إذا صدرت من شخص له مكانة اجتماعية، لكن من هان عليه قتل الأنبياء، كان الافتراء عليهم أهون.

تنبيه: ما ذكر في القرآن الكريم عن احتكام الخَصْمين إلى داود ﷺ لا يدل بأي شكل من الأشكال على أي وجه من هذا القبيل، فليتنبه القارئ، وليتأمل العبارات، وليحذر من الوقوع في الإسرائيليات.

طعنهم في نسب داود وابنه سليمان:

جاء في سفر أخبار الأيام الأول ٢/١ ـ ١٥ أن يهوذا بن يعقوب ولد فارَص، وفارص ولد حصرون، وحصرون ولد رام، ورام ولد عميناداب، وعميناداب ولد نحشون، ونحشون ولد سلمو، وسلمو ولد بوعَزَ، وبوعَزَ ولد عوبيد، وعوبيد ولد يسَّى، ويَسَّى ولد داود.

وبذلك طعنوا في نسب داود وابنه سليمان من ناحيتين:

١ ـ من ناحية فارص، وهو مولود بالزنى من المحارم، فهو ابن يهوذا من كنته ثامار كما في سفر التكوين ٢٧/٣٨ ـ ٣٠.

٢ ـ من ناحية عوبيد جدِّ داود، فإن أمه رُوث أو راعوث المؤابية كما في إنجيل متى ١/٥ ـ ٦ ومؤاب وأخوه بني عمون مولودان من الزنَى، لأنهما من الأب لوط وابنتيه كما سَلَف.

جاء في بذل المجهود ص١٦٩ ـ ١٧٤: ثم أكثر العجب منهم أنهم جعلوا داود النبي ممزير من وجهين... وعندهم أن موسى جعل الإمامة في الهارونيين، فلما ولي طالوت وثقلت وطأته على الهارونيين وقتل منهم مقتلة عظيمة، ثم انتقل الأمر إلى داود بقي في نفوس الهارونيين التشوُّف إلى الأمر الذي زال عنهم. وكان عَزْرا خادماً لملك الفرس حظياً عنده، فتوصل إلى بناء بيت المقدس وعمل لهم هذه التوراة التي بأيديهم، فلما كان هارونياً كره أن يتولَّى عليهم في الدولة الثانية داودي، فأضاف إلى التوراة فَصْلَين طاعنين في نسب داود: أحدهما قصة بنات لوط، والآخر قصة ثامار، ولقد بلغ لعمري غرضه، فإن الدولة الثانية التي بنت لهم بيت المَقْدس لم يتملك عليهم فيها داوديون، بل كان ملوكهم هارونيين.

[١] زنى أمنون بن داود بأخته:

جاء في سفر صموئيل الثاني ـ الملوك الثاني عند الكاثوليك ـ ١/١٣ ـ ٢٢: وكان =

....

= لأبشالوم بن داود أخت جميلة، اسمها ثامار، فأحبَّها أمنون بن داود، وأُحصِر للسُّقْم من أجلها؛ لأنها كانت عذراء، ويعسر عليه أن يفعل بها شيئاً، وكان له صاحب ذكي، اسمه يوناداب بن شِمعي أخي داود، فسأله عن سبب نحوله ومرضه المتزايد، فأخبره بكَلَفه بثامار، فأشار عليه بأن يضطجع على سريره ويتمارض، فإذا جاء أبوه ليراه، يطلب منه أن تأتي ثامار وتعمل الطعام وتطعمه، فذهبت ثامار إلى بيت أمنون، وصنعت له الطعام، فأمر بإخراج كل أحد من عنده، ثم قال لثامار: أدخلي الطعام إلى المخدع، ففعلت فأمسكها وقال لها: اضطجعي معي. فقالت: لا تذلِّني يا أخي، لا يفعل هكذا في إسرائيل، فلا تفعل هذه الفاحشة، أما أنا فأين أذهب بعاري، وأما أنت فتكون واحداً من السفهاء في إسرائيل، فلم يسمع لها، بل تمكن منها وقهرها واضطجع معها.

ثم أبغضها بغضاً شديداً جداً، وقال لها: قومي وانصرفي. فقالت له: هل من سبب لطردك، إن هذا أعظم مما فعلته بي، فدعا الغلام الذي كان يخدمه، وقال: اطرد هذه عني وأقفل الباب وراءها ففعل وكان عليها ثوب ملوَّن، كشأن بنات الملك العذارَى، فجعلت رَمَاداً على رأسها ومزقت ثوبها، ووضعت يدها على رأسها، وذهبت صارخة. فقال لها أبشالوم: هل كان أمنون معك؟ كُفِّي الآن يا أختي إنه أخوك، ولا يأخذ من نفسك هذا الأمر، فأقامت في بيت أبشالوم مستوحشة. وسمع داود بجميع هذه الأمور فاغتاظ جداً ـ وعند الكاثوليك بزيادة: ولكنه لم يحزن نفس أمنون؛ لأنه كان يحبه؛ إذ كان بكره ـ ولم يكلم أبشالوم أمنون بشر ولا بخير، لأنه أبغضه من أجل أنه أذلّ أخته ثامار.

أبشالوم يغدر بأمنون ويهرب:

١٣/٢٣ ـ ٣٩: وبعد سنتين، كان لأبشالوم جزازون في بعل حاصور بالقرب من أفرايم، فدعا جميع بني الملك، وألحَّ على الملك بالذهاب معه، فلم يشأ أن يذهب، بل باركه، فقال: إذاً، دَعْ أخي أمنون يذهب معنا، وألحَّ عليه، فأرسل معه أمنون وجميع بني الملك ـ زاد الكاثوليك: وصنع أبشالوم مأدبة كمأدبة الملوك ـ وقال لغلمانه: متى طاب قلب أمنون بالخمر، وقلت لكم: اضربوه، فاقتلوه، ولا تخافوا، أليس أنا أمرتكم، ففعلوا كما أمر. فقام جميع بني الملك وهربوا. وفيما هم في الطريق وصل الخبر إلى داود... وجاء بنو الملكِ، ورفعوا أصواتهم بالبكاء، وبكى الملك وعبيده بكاء عظيماً. أما أبشالوم فقد هرب والتجأ إلى تِلماي بن عَمِّيهود ملكِ جشور، ولبث هناك ثلاث سنين. وناح داود على ابنه الأيام كلها. وكان داود يتوق إلى الخروج إلى أبشالوم ـ وعند الكاثوليك: وأمسك داود عن طلب أبشالوم ـ لأنه تعزَّى عن موت أمنون.

عودة أبشالوم ودخوله إلى سراري أبيه:

١٤/١: وعلم يوآب بن صَرُويَةَ أنَّ قلب الملك على أبشالوم.

١٤/٢١ ـ ٢٤: فعمل لعودته لدى الملك، وألحَّ عليه، فقال داود: قد فعلتُ هذا الأمر، فاذهب ورد الفتى أبشالوم، فذهب يوآب إلى جشور وأتى به إلى أورشليم. فقال الملك: لينصرف إلى بيته، ولا يرى وجهي، فانصرف ولم ير وجهه. =

= ١٤/ ٢٨ ـ ٣٣: وأقام أبشالوم في أورشليم سنتين، ولم ير وجهَ الملك، فأرسل إلى يوآب ليرسله إلى الملك عدة مرات فلم يأتِ إليه، فأمر أبشالوم عبيده أن يحرِقوا حقل يوآب والشعير الذي فيه. فانطلق إلى أبشالوم يسأله عن السبب، فقال أبشالوم: لماذا جئت بي من جشور؟ كان خيراً لو بقيت هناك، والآن إني أرى وجه الملك، وإن وُجِد فيَّ إثم فليقتلني، فجاء يوآب إلى الملك وأخبره، فدعا أبشالوم، فدخل على الملك وسجد على وجهه إلى الأرض، فقبله الملك.

١٥/ ١٦: فخرج الملك وجميع بنيه وراءه، وترك عشر نساء سراري لحفظ البيت.

١٦/ ٢٠ ـ ٢٢: فقال أخيتوفَل لأبشالوم: ادخل على سراري أبيك اللواتي تركهن لحفظ البيت، فيسمع كل إسرائيل أنك قد صرت مكروهاً من أبيك، فتتشدد أيدي جميع الذين معك، فنصبوا لأبشالوم الخيمة على السطح، ودخل على سراري أبيه أمام جميع إسرائيل.

هذا ما فعله أبشالوم، فقد قتل أخاه، وأحرق حقل يوآب، ثم تآمر على أبيه ودخل على سراريه في غيابه، ومع ذلك يزعمون أنه لما أتاه نبأ مقتله جزع وبكى ولم يصبر.

ففي ١٨/ ٣٣: فارتعش الملك وصعِد إلى عِلِّيَّة الباب، وكان يبكي ويقول وهو يتمشى: يا ابني أبشالوم، يا ابني، يا ابني أبشالوم، يا ليتني مِتُّ عوضاً عنك، يا أبشالوم ابني، يا ابني.

علماً بأن أمنون وأخاه أبشالوم يستحقان القتل بنص توراتهم.

ففي سفر اللّاويين ٢٠/ ١٠ ـ ١١: وإذا زنى رجل مع امرأة، فإذا زنى مع امرأة قريبة، فإنه يقتل الزاني والزانية، وإذا اضطجع رجل مع امرأة أبيه، فقد كشف عورة أبيه، إنهما يقتلان، دمهما عليهما.

فما الذي أعاق داود ﷺ عن إقامة الحدِّ وتنفيذ حكم الله؟ هل تطغى عاطفته على دينه؟ حاش لله أن يكون كذلك، لكن رؤساء بني إسرائيل وأحبارهم كانوا إذا أذنب فيهم الشريف تركوه، وإذا أذنب الضعيف أقاموا عليه الحدَّ. ويبدو أنهم لفَّقوا هذه الافتراءات على الأنبياء لتكون مستنداً لهم.

اتهام داود في شيخوخته بعذراء جميلة:

جاء في سفر الملوك الأول ١/١ ـ ٤: وشاخ داود، وطعن في السن، وكانوا يدثرونه بالثياب فلا يدفأ.

فقال له عبيده: ليُلتمس لسيدنا الملك فتاة عذراء جميلة، تقوم بين يديه وتؤانسه، ولتضجع في حِضنك، فيدفأ سيدنا الملك، فالتمسوا له فتاة جميلة في جميع تخوم إسرائيل، فوجدوا أبيشاخ الشُونَميَّة، فأتَوا بها إلى الملك، وكانت الفتاة جميلة جداً، فكانت تؤانس الملك وتخدمه. ولكن لم يعرفها.

وهذا افتراء ظاهر، ألم يكن عنده من زوجاته وسراريه من يعتني به ويدفئه، حتى يأتوه بعذراء أجنبية تضطجع في حضنه وتؤانسه؟!

فضل داود وبراءته من افتراءاتهم:

لا ريب أن هذا كله إفكٌ مفترىً على نبي الله داود ﷺ وينقضه ما يلي: =

. . . .

= ١ ـ جاء في سفر صموئيل الثاني ٨/ ١٠: وملك داود على جميع إسرائيل، وكان يجري قضاء وعَدْلاً لكل شعبه.

١٨/٨: وبنو داود كانوا كهنة.

٢ ـ ٢٢/ ١: وكلّم داود الرب بكلام هذا النشيد في اليوم الذي أنقذه فيه الرب، من كل أعدائه، فقال الرب: صخرتي وحصني ومنقذي.

٣ ـ ٢٢/ ٢١ ـ ٢٥: كافأني الرب بحسب بِرِّي، وبحسب طهارة يديَّ أثابني، لأني حفظت طرق الرب، ولم أعصِ إلهي، لأن أحكامه كلها أمامي، وسننه لم أحِدْ عنها، صرت لديه كاملاً، واحتفظت من إثمي، فأثابني الرب بحسب بري بحسب طهارتي أمام عينيه.

٤ ـ وجاء في الملوك الأول ٣/٦: فقال سليمان: قد صنعتَ إلى عبدك داود أبي رحمة عظيمة بحسب سلوكه بين يديك، بحق و بر واستقامة قلب معك، وحفظت له تلك الرحمة العظيمة، ورزقته ابناً يجلس على عرشه كما هو اليوم.

٥ ـ وجاء في ٩/ ٤ ـ ٥ أن الربَّ قال لسليمان: وأنت إن سلكت أمامي كما سلك داود أبوك بسلامة قلب واستقامة، وعملت بجميع ما أمرتك به، وحفظت فرائضي وأحكامي، فإني أقيم كرسي ملكك على إسرائيل إلى الأبد.

ومحال أن يكون الزنى والقتل وتعطيل الحدود، والنياحة على الميت ومخالفة كتاب الله وغير ذلك من البر والطهارة وحفظ الفرائض والأحكام.

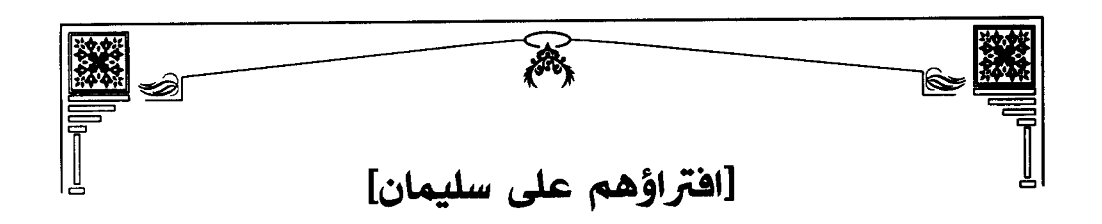
فَثَمَّة نصان متعارضان، وما من شك في أن النصوص الأخيرة هي التي تليق بنبي الله داود ﷺ فلعلها من بقايا الوحي.

قال تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

وقال سبحانه: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ١٧ ـ ٢٠].

وقال جل جلاله في حقه: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٥ ـ ٢٦].

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١٠].



[افتراؤهم على سليمان]

○ اتهامه بالزواج من نساء كافرات وارتداده:

ونسبوا إلى سليمان عليه السلام أنه تزوج نساءً لا يحلُّ له زواجهن، وأنه بنى لهن بيوت الأوثان، وقرَّب لهن القرابين على الكَدى[1].

---

[1] الكَدى ـ بفتح الكاف ـ: جمع كُدية ـ بضمها ـ وهي الأرض الغليظة والشيء الصلب بين الحجارة والطين. وتطلق على الصفات الشديدة. [القاموس ومختار الصحاح].

من المتفق عليه عند المؤرخين أن سليمان عليه السلام حكم فلسطين وما حولها في النصف الأخير من القرن العاشر قبل الميلاد، وقد نعمت المملكة في عهده بسلام ورخاء وأمن وإيمان، فكان عصره أزهى عصور بني إسرائيل، لم يسبق له مثيل، ولم يأت بعده نظير، كما في سفر الملوك الأول ٤/٢١ ـ ٢٥ وأخبار الأيام الثاني ٩/٢٦، غير أنَّ اليهود الذين كتبوا التوراة بأيديهم وقالوا: هذا من عند الله، شوَّهوا سيرته كما شوَّهوا سيرة أبيه وسيرة سائر الأنبياء عليهم السلام فقد افتروا عليه واتهموه اتهامات باطلة، لا يمكن أن تصدر عن شخص كريم، فضلاً عمَّن اصطفاه الله وآتاه الملك والحكمة، واختصه ببناء بيته دون أبيه كما يقولون.

فقد ادَّعوا أنه تزوج وتسرَّى بنساء من جنسيات مختلفة، وأنه وأباه من قبله أكثرا من النساء كثرة فاحشة، ولا سيما الغريبات، فخالف بذلك التوراة، وارتد في آخر عمره.

جاء في سفر الملوك الأول ٣/١: وصاهر سليمان فرعون ملك مصر، وأخذ بنت فرعون وأتى بها إلى مدينة داود إلى أن أكمل بناء بيته وبيت الربّ وسور أورشليم حواليها.

١١/١ ـ ١٠: وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع ابنة فرعون، موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحِثّيات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل: لا تدخلون إليهم ـ وعند الكاثوليك: لا تختلطوا بهم ـ وهم لا يدخلون إليكم، لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم. فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة، وكانت له سبعمئة من النساء السيدات، وثلاثمئة من السراري، فأمالت نساؤه قلبه في زمن شيخوخته وراء آلهة أخرى، ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلٰهه كقلب داود أبيه، فذهب وراء عَشتورَث إلٰهة الصيدونيين ومَلْكوم رِجس العمونيين، وعمل الشر في عيني الرب، فبنى مرتفعة لكَموشَ رجس الموآبيين على الجبل الذي تجاه أورشليم، ولمولَكَ رجس بني عَمّون. وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتن. فغضب الرب على سليمان، لأن قلبه مال عن الرب الذي تراءى له مرتين وأوصاه فلم يحفظ.

○ [اتهامه بقتل نبي]:

وأنه قتل يوآب بن صوريا صَبْراً، وهو نبي مثله(١).

○ [اتهامه بالظلم والرفاهية]:

وذكروا عنه أن نفقته فرضها على الأسباط، لكل سبط شهر من السنة، وأن جنده كانوا اثني عشر ألف فارس على الخيل، وأربعين ألفاً على الرمَك(٢).

---

(١) فقد نسبوا إليه أنه قام بتصفية جسدية لخصومه بعد أن تظاهر بالعفو عنهم، وإنما أرادوا بذلك تدنيس بيت النبوة.

• فزعموا أنه بطش بأخيه أدونيّا لأنه طالب بالملك سابقاً، وخاف من مطالبته لاحقاً، فتذرَّع بطلبه منه أن يزوِّجه أبيشج الشمونية امرأة أبيه.

جاء في سفر الملوك الأول ٢/١٣ ـ ٢٥: ثم جاء أدونيا إلى بَتْشَبَع أم سليمان وقال لها: أنت تعلمين أن المُلْك كان لي، فدار وصار لأخي من قبل الرب، والآن أسألك أن تقولي لسليمان الملك أن يعطيني أبيشج الشمونية امرأة. فدخلت على الملك وكلمته فقال: لماذا تسألين له ذلك؟ فاسألي له الملك، لأنه أخي الأكبر مني، له ولأبياثار الكاهن وليوآب بن صروية. وحلَف بالرب أن أدونيا قد تكلم بهذا الكلام ضد نفسه، إنه اليوم يقتل أدونيا، فأرسل بناياهو بن يهوياداع فبطش به فمات.

• وزعموا أيضاً أنه طرد أبياثار من الكهانة ثم قتله وقتل يوآب بن صروية قائد الجيش متذرعاً بوصية والده له بقتلهما كما في سفر الملوك الأول ٢/٥ ـ ٩.

وجاء في السفر نفسه ٢/٢٦ ـ ٣٥: وقال الملك لأبياثار الكاهن: اذهب إلى عناثوث إلى حقولك، لأنك مستوجب الموت، ولست أقتلك في هذا اليوم... وطرده عن أن يكون كاهناً للرب... فأتى الخبر إلى يوآب، لأنه مال وراء أدونيا ولم يمل وراء أبشالوم، فهرب إلى خيمة الرب وتمسك بقرون المذبح، فأخبر سليمان، فأرسل بناياهو قائلاً: اذهب وابطش به، فدخل بناياهو إلى خيمة الرب وقال: اخرج. فقال: كلا، ولكنني هنا أموت. فردَّ بناياهو الجواب على الملك، فقال له: افعل كما تكلم وابطش به وادفنه، فصعد وبطش به. وجعل الملك بناياهو مكانه على الجيش، وجعل صادوق الكاهن مكان أبياثار.

• وزعموا أيضاً أنه قتل شمعي بن جيرا البنياميني الذي شتم داود، ثم عفا عنه بعد أن تمكن منه.

جاء في السفر نفسه ٢/٣٦ ـ ٤٥: ثم أرسل الملك ودعا شمعي وقال له: ابْنِ لنفسك بيتاً في أورشليم وأقم هناك ولا تخرج، فيوم تخرج وتعبر وادي قدرون موتاً تموت ويكون دمك على رأسك. وفي نهاية ثلاث سنين هرب عبدان لشمعي إلى ملك جَتّ، فقام وشدَّ على حماره إلى جت وأتى بعبديه. وأُخبر الملك بذلك فدعاه وأمر بناياهو، فخرج وبطش به.

(٢) الرمَك ـ بفتح الكاف ـ: البراذين، وهي الخيل غير الأصيلة، والرَّمَكة ـ بفتحتين ـ الأنثى من البراذين، وجمعها رِماك ورَمَكات وأرماك، مثل ثمار وأثمار. [مختار الصحاح]. =

خلافاً لما في التوراة ألَّا يكثروا من الخيل[1].

= جاء في سفر الملوك الأول ٤/ ٢٦ ـ ٢٩: وكان لسليمان أربعون ألف مِذْود لخيل مركباته، واثنا عشر ألف فارس. وهؤلاء الوكلاء كانوا يمتارون للملك ولكل من تقدم إلى مائدته، كل واحد في شهره. وكانوا يأتون بشعير وتبن للخيل والجياد إلى الموضع الذي يكون فيه، كل واحد حسب قضائه. وزعموا أنه بنى قصراً استغرق بناؤه ثلاثة عشر عاماً.

جاء في سفر الملوك الأول ٧/ ١ ـ ٢: وأما بيته فبناه في ثلاث عشرة سنة، وأكمل كلَّ بيته. وبنى بيتَ وَعْرِ لُبنان.

وجاء في سفر أخبار الأيام الثاني ٩/ ١٣ ـ ٢٨: وكان وزن الذهب الذي جاء سليمان في سنة واحدة ستمئة وستاً وستين وزنة ذهب، فضلاً عن الذي جاء به التجار والمستبضعون وكل ملوك العرب وولاة الأرض، وعمل مئتي ترس من ذهب مُطَرَّق، وثلاثمئة مجنّ من ذهب مطرَّق، وجعلها في بيت وَعْرِ لبنان، وعمل كرسياً عظيماً من عاج، وغشَّاه بذهب خالص، وللكرسي موطئ من ذهب... وجميع آنية شرب الملك من ذهب، وجميع آنية بيت وعر لبنان من ذهب خالص، لم تحسب الفضة شيئاً في أيام سليمان. وكانت سفن ترشيش تأتي مرة في كل ثلاث سنين حاملة ذهباً وفضة وعاجاً... وكان جميع ملوك الأرض يأتي كل واحد بهديته بآنية فضة وآنية ذهب وحُلَل وسلاح وأطياب وخيل وبغال سنة فسنة، وكان لسليمان أربعة آلاف مذود خيل ومركبات واثنا عشر ألف فارس... وجعل الملك الفضة في أورشليم مثل الحجارة... وكان مخرج خيل سليمان من مصر ومن جميع الأراضي.

[1] جاء في سفر التثنية ١٧/ ١٥ ـ ١٧: فإنك تجعل عليك ملكاً الذي يختاره الرب إلٰهك... ولكن لا يُكَثِّر له من الخيل، ولا يرد الشعب إلى مصر لكي يكثر الخيل... ولا يكثر له نساءً، لئلا يزيغ قلبه، وفضة وذهباً لا يكثر له كثيراً.

فضل سليمان وبراءته من افتراءاتهم:

لم يثبت من أسفارهم أنه ﷺ تاب، بل الظاهر أنه مات مشركاً مرتداً حسب زعمهم، كما سبق في سفر الملوك الأول ١١/ ٩ ـ ١١ ولا ريب أن هذا محض افتراء، تردُّه نصوص أسفارهم وتنقضه.

١ ـ جاء في سفر صموئيل الثاني ٧/ ١٢ ـ ١٦ أنَّ الله قال لداود: متى كملت أيامك واضطجعت مع آبائك، أقيم بعدك نسلك الذي يخرج من أحشائك، وأثبت مملكته، هو يبني بيتاً لاسمي، وأنا أثبت كرسي مملكته إلى الأبد، أنا أكون له أباً، وهو يكون لي ابناً، إن تعوَّج أؤدبه بقضيب الناس وبضربات بني آدم، ولكن رحمتي لا تنزع منه كما نزعتها من شاول الذي أزلته من أمامك، ويأمن بيتك ومملكتك إلى الأبد أمامك، كرسيك يكون ثابتاً إلى الأبد.

٢ ـ جاء في أخبار الأيام الأول ١٧/ ١١ ـ ١٤: أن الرب قال لداود: ومتى كملت أيامك لتذهب مع آبائك، أقيم بعدك نسلك الذي يكون من بنيك، وأثبت مملكته، هو يبني لي بيتاً، وأنا أثبت كرسيه إلى الأبد، أنا أكون له أباً، وهو يكون لي ابناً، ولا أنزع رحمتي عنه كما نزعتها عن الذي كان قبلك، وأقيمه في بيتي وملكوتي إلى الأبد، ويكون كرسيه ثابتاً إلى الأبد.

فقد اختاره الله لبناء البيت، ووصفه بالبنوة ـ أي الصلاح من العبد والرحمة من الرب ـ =

. . . .

= وصرح بأنه لا ينزع عنه رحمته، وأنه يقيمه في بيته ويثبت كرسيه إلى الأبد، أفبعد كل هذا ينسبون إليه الردَّة وعبادة الأصنام؟!

٣ ـ وجاء في السفر نفسه ٢٢/٧ ـ ١٠: وقال داود لسليمان: يا بني، قد كان في قلبي أن أبني بيتاً للرب، فقال لي: يولد لك ولد يكون صاحب راحة وأريحية من جميع أعدائه حواليه؛ لأن اسمه يكون سليمان، وأجعل سلاماً وسكينة في إسرائيل في أيامه، هو يبني لي بيتاً لاسمي، وهو يكون لي ابناً، وأنا له أباً، وأثبت كرسي ملكه على إسرائيل إلى الأبد.

فهو صاحب راحة وأريحية، والسلام والسكينة يعمان في إسرائيل في أيامه.

٤ ـ وفي السفر نفسه ٢٨/٦ ـ ٧: وقال لي: إن سليمان ابنك هو يبني بيتي ودياري، لأني اخترته لي ابناً، وأنا أكون له أباً، وأثبت مملكته إلى الأبد.

فالرب سبحانه هو الذي اختاره، فهل يتهمون الله بالجهل وعدم العلم بالغيب، ولذلك فوجئ بردَّة سليمان؟ أم يتهمونه بالبداء، وهم ينكرون النسخ.

٥ ـ وفي السفر نفسه ٢٩/٢٢ ـ ٢٣: ومَلَّكوا سليمان بن داود ومسحوه رئيساً، وصادوق كاهناً، وجلس سليمان على كرسي الرب ملكاً مكان داود أبيه، ونجح وأطاعه كل إسرائيل.

٢٩/٢٥: وعظَّم الرب سليمان جداً في أعين جميع إسرائيل، وجعل عليه جلالاً ملكياً لم يكن على ملك قبله في إسرائيل.

٦ ـ جاء في سفر أخبار الأيام الثاني ١/١: وتشدَّد سليمان على مملكته، وكان الرب إلٰهه معه، وعظَّمه جداً.

٧ ـ وفي ١/٧ ـ ٨: في تلك الليلة تراءى الله لسليمان وقال له: سَلْ ماذا أعطيك؟ فقال سليمان: إنك قد فعلت مع داود أبي رحمة عظيمة، وملكتني مكانه.

٨ ـ جاء في سفر الملوك الأول ٣/٧ ـ ١٣ أن سليمان قال: والآن أيها الرب إلٰهي، أنت ملكتَ عبدك مكان داود أبي، وأنا فتى صغير، لا أعلم الدخول والخروج... فأعطِ عبدك قلباً فهيماً، لأحكم على شعبك، وأميِّز بين الخير والشر... فقال له الله: من أجل أنك قد سألت هذا الأمر، ولم تسأل لنفسك أياماً كثيرة، ولا غنى ولا أَنْفُسَ أعدائك، بل سألت لنفسك تمييزاً لتفهم الحكم، قد فعلتُ حسب كلامك، أعطيك قلباً حكيماً ومميزاً، حتى إنه لم يكن مثلك قبلك، ولا يقوم بعدك نظيرك، وقد أعطيتك أيضاً ما لم تسأله، غنى وكرامة، حتى إنه لا يكون رجل مثلك في الملوك أيامك.

٩ ـ وفي ٤/٢٩ ـ ٣٢: وأعطى الله سليمان حكمة وفهماً كثيراً جداً ورَحْبَةَ قلب كالرمل الذي على شاطئ البحر، وفاقت حكمته حكمة جميع بني المشرق وكل حكمة مصر، وكان أحكم من جميع الناس.

فهو عليه السلام في أول شبابه دعا بهذا الدعاء، وطلب هذا الطلب، وأجابه ربه سبحانه، فوهبه قلباً حكيماً فهيماً مميزاً، وأعطاه الغنى والكرامة، وحاشَ لله أن يسلب نعمة إيمان أنعم بها على أحد أنبيائه.

١٠ ـ وفي ٥/٥: ها أنا قائم على بناء بيت لاسم الرب إلٰهي، كما كلَّم الرب داود قائلاً: =

. . . .

= إن ابنك الذي أجعله مكانك على كرسيك، هو يبني البيت لاسمي.

١١ ـ وفي ٨/ ١٩ ـ ٢٠: فقال الرب لداود: إني من أجل أنه كان في قلبك أن تبني بيتاً لاسمي، إلا أنك لا تبني البيت، بل ابنك الخارج من صلبك هو يبني البيت لاسمي. وأقام الرب كلامه الذي تكلَّم به. وقد قمت أنا مكان داود، وجلست على كرسي إسرائيل، وبنيت البيت لاسم الرب.

فالرب سبحانه قد اختاره لبناء البيت دون أبيه، وقد تَمَّ ذلك، فهل يعقل أن يختار الله ـ وهو علَّام الغيوب ـ لبناء بيته من يرتد في آخر عمره؟!

١٢ ـ وفي ٨/ ٢٢ ـ ٢٣: ووقف سليمان أمام مذبح الرب تجاه جماعة إسرائيل، وبسط يديه إلى السماء وقال: أيها الرب إلٰه إسرائيل، ليس إلٰه مثلك في السماء من فوق، ولا على الأرض من أسفل، حافظ للعهد والرحمة لعبيدك السائرين أمامك بكل قلوبهم.

١٣ ـ وفي السفر نفسه ٨/ ٥٤ ـ ٦١: ولما انتهى سليمان من الصلاة إلى الرب نهض من الجثو على ركبتيه، ويداه مبسوطتان نحو السماء، ووقف قائلاً بصوت عال: مبارك الرب الذي أعطى راحة لشعبه. . . ليميل بقلوبنا إليه، لكي نسير بجميع طرقه، ونحفظ وصاياه وفرائضه وأحكامه. . . فليكن قلبكم كاملاً لدى الرب، إذ تسيرون في فرائضه وتحفظون وصاياه كهذا اليوم.

فالله سبحانه حافظ للعهد والرحمة، وقد وعد داود وسليمان ﷺ بالإكرام، وقد تم ذلك إبان حياة داود، وسليمان الآن يدعو الله أن يوجه قلبه وقلب من معه إليه تعالى، ليحفظوا وصاياه، ويحث شعبه على ذلك، فهل يرتد ويعبد الأصنام بتأثير من أزواجه؟ هذا بعيد ومحال.

١٤ ـ جاء في سفر الملوك الأول ٣/ ١: وصاهر سليمان فرعون ملك مصر، وأخذ بنت فرعون، وأتى بها إلى مدينة داود إلى أن أكمل بناء بيته وبيت الرب وسوَّر أورشليم حواليها.

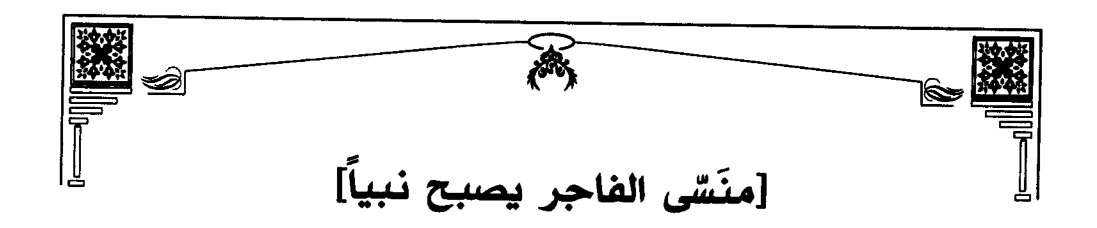
وفي أخبار الأيام الثاني ٨/ ١١: وأما بنت فرعون، فأصعدها سليمان من مدينة داود إلى البيت الذي بناه لها، لأنه قال: لا تسكن امرأة لي في بيت داود؛ لأن الأماكن التي دخل إليها تابوت الرب مقدَّسة.

فقد نأى سليمان ﷺ بزوجته بنت فرعون عن أن تسكن في بيت داود حفاظاً على الأماكن المقدسة، فكيف يشرك بالله ويجعل له أنداداً طاعة لزوجاته؟

١٥ ـ جاء في سفر أخبار الأيام الثاني ٩/ ٢٢ ـ ٢٣: فتعظَّم سليمان على كل ملوك الأرض في الغنى والحكمة، وكان جميع ملوك الأرض يلتمسون وجه سليمان ليسمعوا حكمته التي جعلها الله في قلبه.

حاش لله أن يسلب نبيه نعمة أنعمها عليه، وحاش لنبي أن يرتد في آخر عمره. هذا وقد ذكر الله سبحانه في القرآن الكريم فضل وعلم داود وابنه سليمان ﷺ وأعلى مكانتهما. ووضح ذلك النبي محمد ﷺ وأثنى على عبادة داود وحكمة سليمان.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ١٥]. =



[منَسّى الفاجر يصبح نبياً]

نَسَبوا النبوة إلى مَنَسَّى بن حزقيا الملك، وهو بإقرارهم كافر ملعون، يعبد الأوثان، ويقتل الأنبياء(1).

= وقال سبحانه حكاية عن سليمان: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

وقال سبحانه حكاية عنه أيضاً: ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠].

وقال أيضاً في حقه: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص: ٤٠].

وقـــال ﷻ: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨ ـ ٧٩].

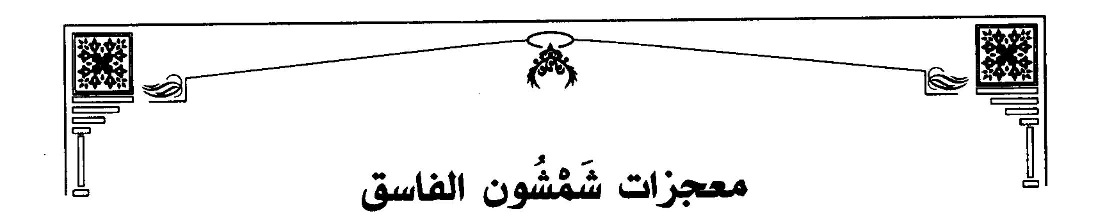
(١) جاء في سفر الملوك الثاني ٢٠/ ٢١: ثم اضطجع حزقيا مع آبائه، وملك مَنَسَّى ابنه عوضاً عنه.

٢١/ ١ ـ ٣ وأخبار الأيام الثاني ٣٣/ ١ ـ ٣: كان منسى ابن اثنتي عشرة سنة حين ملك، وملك خمساً وخمسين سنة في أورشليم، وعمل الشر في عيني الرب حَسَب رجاسات الأمم الذين طردهم الرب من أمام إسرائيل، وعاد فبنى المرتفعات التي أبادها حزقيا أبوه، وأقام مذابح للبعل.

الملوك الثاني ١ :/١٦: وسفك أيضاً دماً بريأ كثيراً جداً ملأ أورشليم من الجانب إلى الجانب، فضلاً عن خطيته التي جعل بها يهوذا يخطئ بعمل الشر في عيني الرب.

أخبار الأيام الثاني ٣٣/ ١١ ـ ١٣: فجلب الرب عليهم رؤساء الجند الذين لملك أَشُّور، فأخذوا مَنَسَّى بخِزامة، وقيَّدوه بسلاسل نحاس، وذهبوا به إلى بابل، ولما تضايق طلب وجه الرب إلٰهه، وتواضع جداً أمامه وصلَّى إليه، فاستجاب له، وسمع تضرعه، وردَّه إلى أورشليم إلى مملكته، فعلم مَنَسَّى أن الرب هو الله.

٣٣/ ١٨ ـ ١٩: وبقية أمور مَنَسَّى وصلاته إلى إلٰهه وكلام الرائين الذين كلَّموه باسم الرب إلٰه إسرائيل، هي في أخبار ملوك إسرائيل، وصلاته والاستجابة له، وكل خطاياه وخيانته والأماكن التي بنى فيها مرتفعات، وأقام سواري وتماثيل قبل تواضعه، مكتوبة في أخبار الرائين. =



معجزات شَمْشُون الفاسق

وينسبون المعجزات إلى شمشون الداني، وهو عندهم فاسق مشهور بالفسق، متعشِّق للفواسق مُولَع بهن[1].

= وليس العجب في توبته وقبولها وإعانته، وإنما العجب في أن يصبح الكافر الفاجر نبياً، ويعلمه الراؤون باسم الرب. والحقيقة إنما أرادوا الاستهانة بمقام النبوة لتبرير أعمالهم.

(١) أسطورة شمشون مذكورة في سفر القضاة في الفصل الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر، وسبق التعرض لها لدى الكلام عن اللمحة التاريخية التي مرَّت بها التوراة في القسم الأول، وإليك مقتطفات من هذه الفصول توضح ما قصده ابن حزم رحمه الله من نسبة المعجزات إلى الفُسَّاق عندهم.

جاء في سفر القضاة ١٣/ ٢ ـ ٧: وكان رجل من صُرْعَةَ من عشيرة الدانيين، اسمه منوح، وامرأته عاقر لا تلد، فتراءى لها ملاك الرب وقال: ها أنت عاقر، ولكنك تحبلين وتلدين ابناً، فاحذري ولا تشربي خمراً، ولا مسكراً، ولا تأكلي شيئاً نجساً، ولا يعمل موسى رأسه، لأن الصبي يكون نذيراً للرب من البطن إلى يوم موته، وهو يبدأ يخلِّص إسرائيل من الفلسطينيين.

١٣/ ٢٤ ـ ٢٥: فولدت المرأة ابناً، ودعت اسمه شمشون، فكبر الصبي وباركه الله، وابتدأ روح الرب يحركه في محلّة دان بين صرعة وأشتؤول.

١٤/ ١ ـ ١٠: ونزل شمشون إلى تمنة، ورأى امرأة من بنات الفلسطينيين، فطلب من أبويه أن يأخذاها له امرأة. وفي ذلك الوقت كان الفلسطينيون متسلِّطين على إسرائيل، فنزل شمشون وأبواه إلى كروم تمنة، وإذا بشبل يزمجر للقائه، فحل عليه روح الرب، فشقه كشق الجدي، ولم يخبر أبويه بما فعل. فنزل وكلم المرأة، فحسنت في عينيه، ولما رجع بعد أيام ليأخذها، مال ليرى رِمَّة الأسد، وإذا دَبْر من النحل في جوف الأسد مع عسل، فاشتار منه على كفيه، وكان يمشي ويأكل إلى أبويه، وأعطاهما فأكلا، ولم يخبرهما أنه من جوف الأسد. ونزل أبوه إلى المرأة، فعمل شمشون وليمة كما يفعل الفتيان.

١٤/ ١٩: وحلَّ عليه روح الرب، فنزل إلى أشْقَلون، وقتل من الفلسطينيين ثلاثين رجلاً، وأخذ سَلَبَهم.

١٤/ ١٣ ـ ١٦: فأوثقوه بحبلين جديدين، وأصعدوه من الصخرة، ولما جاء إلى لَحْي صاح الفلسطينيون للقائه، فحلَّ عليه روح الرب، فكان الحبلان اللذان على ذراعيه ككَتان أحرق بالنار، فانحل الوثاق عن يديه، ووجد لَحْي حمار طرياً، فمد يده وأخذه وضرب به ألف رجل فقتلهم.

١٥/ ١٨ ـ ٢٠: ثم عطش جداً، فدعا الرب وقال: إنك قد جعلت بيد عبدك هذا =

. . . .

= الخلاص العظيم، والآن أموت من العطش، وأسقط بيد الغُلْف. فشقَّ الله الكِفة التي في لَحْي، فخرج منها ماء، فشرب ورجعت روحه فانتعش... وقضى لإسرائيل في أيام الفلسطينيين عشرين سنة.

١٦/١ ـ ٣: ثم ذهب شمشون إلى غزة، ورأى هناك امرأة زانية، فدخل إليها، فكمن له الفلسطينيون ليقتلوه عند الصباح، فاضطجع إلى نصف الليل، ثم قام وأخذ مصراعي باب المدينة والقائمتين، وقلعهما مع العارضة، ووضعها على كتفه، وصعد بها إلى رأس الجبل مقابل حَبْرون.

١٦/٤ ـ ٥: وكان بعد ذلك أنه أحب امرأة في وادي سُورَق، اسمها دليلة، فصعِد إليها أقطاب الفلسطينيين وقالوا لها: تَمَلَّقيه وانظري بماذا قوته، وبماذا نتمكن منه ونوثقه.

١٦/١٧ ـ ١٩: وبعد محاولات منها كان يخدعها فيها وينجو من الفلسطينيين، كشف لها كل قلبه، وقال: لم يعل موسى رأسي، لأني نذير الله من بطن أمي، فإن حُلِقْتُ تفارقني قوتي وأصير كأحد الناس، فأخبرت الفلسطينيين، وأنامته على ركبتيها، ودعت رجلاً، وحلقت سبع خُصَل رأسه، وابتدأت بإذلاله، وفارقته قوته.

١٦/٢١ ـ ٢٢: فأخذه الفلسطينيون وقلعوا عينيه، ونزلوا به إلى غزة، وأوثقوه بسلاسل، وكان يطحن في بيت السجن. وابتدأ شعر رأسه ينبت.

١٦/٢٥ ـ ٣١: فدعوا شمشون من بيت السجن فلعب أمامهم، وأوقفوه بين الأعمدة، وكان البيت مملوءاً رجالاً ونساء، وكان جميع أقطاب الفلسطينيين على السطح مع نسائهم. فدعا شمشون الربَّ، وقبض على العمودين المتوسطين اللذين كان البيت قائماً عليهما، وقال: لتمت نفسي مع الفلسطينيين، وانحنى بقوة، فسقط البيت على من فيه، فكان الموتى الذين أماتهم في موته أكثر من الذين أماتهم في حياته. فنزل إخوته وكل بيت أبيه وحملوه وصعِدوا به ودفنوه بين صُرْعة وأشتاؤول في قبر منوح أبيه. وهو قضى لإسرائيل عشرين سنة.

ومن الواضح أن القصة موضوعة، فالله سبحانه يعطي المعجزات للأنبياء والكرامات للصالحين، لكن أن يجعل ذلك منوطاً بشعر شمشون، فهذا مستبعد، وإذا فرضنا ذلك، فكيف يغفل الفلسطينيون عن شعره بعد أن علموا أنه سِرُّ قوته؟!

ومن ناحية ثانية كيف تكون عليه روح الرب، وهو فاسق يتنقل بين الزانيات؟! فلنر الآن رأي النصارى في هذه القصة.

جاء في الحواشي على الكتاب المقدس ص٨ ـ ٩ عن الفصل الثالث عشر: «إن الله لم يُنعم على شمشون بتلك النعم مكافأة على فضائله وحسناته، بل صيانة لشعبه من ظلم أعدائهم».

ألم يكن هناك رجل صالح يختاره الله لهذه المهمة؟ أو لعله كان أصلح الموجودين وقتئذ، ولو أنه تاب وكافأه الله بذلك لكان ثمة وجه، ولكنه استمر على فسقه.

وجاء أيضاً في الحواشي ص٩ عن الفصل الرابع عشر: ليس المراد بروح الرب الوصي، بل روح القوة والقدرة التي جعلها الله في شمشون لمحاربة الفلسطينيين أعداء إسرائيل واستئصال شأفتهم، والكتاب عينه يقرر أن قوة شمشون ما كانت طبيعية، بل موهوبة من الله. =

. . . .

= سبحان الله، لكنه قضى لبني إسرائيل عشرين عاماً كما في ١٥/ ٢٠ و١٦/ ٢١، فهل كان قضاؤه دون أن تحلَّ روح الله عليه، والله هو الذي أقام لهم القضاة؟!

نبي يخدع نبياً آخر:

جاء في سفر الملوك الأول ١٢/ ٢٨ ـ ٣٠: وعمل يربعام عجلي ذهب، وقال: هُوَ ذا آلهتك يا إسرائيل، ووضع واحداً في بيت إيل وآخر في دان. وبنى بيت المرتفعات، وصيَّر كهنة من أطراف الشعب، لم يكونوا من بني لاوي.

١٢/ ٣٣: وأصعد على المذبح في بيت إيل في اليوم الخامس عشر من الشهر الثامن في الشهر الذي ابتدعه، فعمل عيداً، وصعد إلى المذبح ليوقد.

١٣/ ١ ـ ١٠: وإذا برجل الله أتى من يهوذا بكلام الرب إلى بيت إيل، ويربعام واقف لكي يوقد، فنادى: يا مذبح يا مذبح، هكذا يقول الرب: سيولد لبيت داود ابن اسمه يوشيا، ويذبح عليك كهنة المرتفعات الذين يوقدون عليك، وتحرق عليك عظام الناس، وأعطى في ذلك اليوم علامة تكلم بها الرب أن المذبح ينشق ويُذرى الرماد الذي عليه. فلما سمع الملك مَدَّ يده وقال أمسكوه. فيبست يده التي مدها نحوه، وانشق المذبح وذُرِيَ الرماد على المذبح حسب العلامة. فقال الملك لرجل الله: تضرع إلى وجه الرب إلٰهك وصلِّ من أجلي، فترجع يدي إلي. فتضرع رجل الله إلى وجه الرب، فرجعت يد الملك كما كانت في الأول. ثم قال الملك لرجل الله: ادخل معي إلى البيت وتَقَوَّت فأعطيك أجرة. فقال: لا أستطيع في هذا الموضع، لأن الرب أوصاني قائلاً: لا تأكل خبزاً ولا تشرب ماء ولا ترجع في الطريق الذي ذهبت فيه. فذهب في طريق آخر.

١٣/ ١١ ـ ١٩ كان نبي شيخ ساكناً في بيت إيل، فأتى بنوه وقَصُّوا عليه القصة. فقال: من أي طريق ذهب؟ وكانوا قد رأوا الطريق الذي سلكه رجل الله. فركب على الحمار وسار وراءه، فوجدهُ جالساً تحت البلوطة، فقال له: أنت رجل الله الذي جاء من يهوذا؟ قال: أنا هو. فقال: سِرْ معي إلى البيت وكل خبزاً. فقال: لا أقدر في هذا الموضع، لأن الرب نهاني. فقال: أنا أيضاً نبي مثلك، وقد كلمني ملاك بكلام الرب قائلاً: ارجع به معك إلى بيتك فيأكل ويشرب. كذب عليه. فرجع معه وأكل خبزاً في بيته وشرب ماء.

١٣/ ٢٠ ـ ٣٠ وبينما هما جالسان على المائدة كان كلام الرب إلى النبي الذي أرجعه. فصاح إلى رجل الله الذي جاء يهوذا: هكذا قال الرب: من أجل أنك خالفت قول الرب ولم تحفظ الوصية، فرجعت وأكلت خبزاً وشربت ماء في الموضع الذي قال لك لا تأكل فيه خبزاً ولا تشرب ماء، لا تدخل جثتك قبر آبائك. فانطلق بعدما أكل وشرب، فصادفه أسد في الطريق وقتله، وكانت جثته مطروحة في الطريق، والحمار واقف بجانبها، والأسد واقف بجانب الجثة. وإذا بقوم يعبرون ويرون ذلك، فأتوا وأخبروا بذلك المدينة التي كان الشيخ بها ساكناً. ولما سمع النبي الذي أرجعه عن الطريق قال: هو رجل الله الذي خالف قول الرب، فدفعه إلى الأسد فقتله. فذهب ووجد جثته مطروحة في الطريق والحمار والأسد واقفين بجانب الجثة، ولم يأكل الأسد الجثة ولا افترس الحمار. فرفع النبي جثة رجل الله ووضعها على =

فعلى من يصدّق بشيء من كل هذا الإفك لعنةُ الله وغضبهُ. فاعجبوا لعظيم كُفْر هؤلاء القوم، وعظيم بليتهم، وما افتراه أسلافهم الأنتان على الله تعالى وعلى رسله ﷺ، ثم على كل كتاب حقق فيه شيء من هذا، وعلى كاتبه لعنة الله وغضبه عدد خلق الله. واحمدوا الله معاشر المسلمين على السلامة وعلى ما هداكم له من الملَّة الزهراء التي لم يَشُبْها تبديل ولا تحريف، واسألوه العافية، لا إله إلا هو، والحمد لله رب العالمين[1].

= الحمار، ورجع بها إلى المدينة ليدفنه، فدفنوه في قبره.

فقد صرحوا بأن النبي الشيخ قد تقوَّل على الله، وكذب على رجل الله، فأوقعه في المعصية. والعجيب أن تكون العقوبة نالت المخدوع المغرَّر به وحده، دون المتقوِّل على الله والكاذب على أخيه؟!

[1] لا ريب أن كل قوم معجبون بدينهم وفرقتهم التي ولدوا فيها، وما أكثر الملل والنحل في بني آدم، وقد جعل الله سبحانه الدنيا دار ابتلاء وامتحان، كما جعل العقل مناط التكليف. والوصول إلى الحق ليس سهلاً، وليس في منتهى الصعوبة، فثَمَّة قواعد وأصول للبحث والتحقيق، وثمة أسانيد متصلة للوصول إلى الخبر الصحيح. فعلى العاقل المفكر أن يبحث ويتأمل ليصل إلى الحقائق، وليسأل خالقه الهداية دائماً بإخلاص، وإنه ليسير على من يسره الله عليه. وهذا ما توخيته في هذا التهذيب وهذه التعليقات.



طلب موسى من قومه عدم السماع لأدعياء النبوة

ثم ذكر في السفر الخامس فقال: إن طلع فيكم نبي، وادَّعى أنه رأى رؤيا، وأتاكم بخبر ما يكون، وكان ما وصفه، ثم قال لكم بعد ذلك: اتبعوا أبناء آلهة الأجناس، فلا تسمعوا له(١).

قال أبو محمد رَحِمَهُ اللهُ: في هذا الفصل شُنعة من شِنع الدهر، وتدسيس كافر مبطل للنبوات كلِّها، لأنه أثبت النبوة بقوله: «إن طلع فيكم نبي»، ويصدِّقه في الإخبار بما يكون، ثم أمرهم بمعصية، إذ دعاهم إلى اتباع آلهة الأجناس. وهذا تناقض فاحش، ولئن جاز أن يكون نبي يصدَّق فيما ينذر به، يدعو إلى الباطل والكفر، فلعلَّ موسى صاحب هذه الوصية من أهل هذه الصفة، وما الذي يؤمننا من ذلك؟ وهل ههنا شيء يوجب تصديقه واتباعه، ويبينه من الكذَّابين إلا ما صحح نبوته من المعجزات؟ فلما لزمت معصيته إذا أمر بباطل، فإن معصية موسى لازمة، وغير جائزة في شيء مما أخبر به، إذ لعله أمر بباطل، إذا كان في الممكن أن يكون نبي يأتي بالمعجزات يأمر بباطل. وحاشَ لله من أن يقول موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ هذا الكلام، واللهِ ما قاله قط، ولقد كذب عليه الكذَّاب المبدِّل للتوراة، وكذلك حاشَ لله من أن يكون نبي من الأنبياء يكذِّب أو يأمر بباطل، وحاشَ لله أن يظهر آية على يدي من يمكن أن يكذب أو يأمر بباطل. هذا هو التلبيس من الله لعباده، ومزج الحق بالباطل وخلطهما حتى لا يقوم برهان على تحقيق حق ولا إبطال باطل.

واعلموا أن هذا الفصل من توراتهم والفصل الملعون الذي فيه أن السَّحَرة عملوا مثل بعض ما عمل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فإنهما مبطلان على اليهود المصدِّقين بهما

---

(١) جاء في سفر التثنية ١٣/١ ـ ٣: إذا قام في وَسْطك نبي، أو حالم حُلْماً، وأعطاك آية أو أعجوبة ـ ولو حدثت الآية أو الأعجوبة التي كلمك عنها ـ قائلاً: لنذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفها وتعبدها، فلا تسمع لكلام ذلك النبي أو الحالم ذلك الحلم، لأنَّ الربَّ إلٰهكم يمتحنكم لكي يعلم هل تحبون الرب إلٰهكم من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم.

نبوة كل نبي يقرون له بنبوة قطعاً، لأنه لا فرق فيهما بين موسى عليه السلام وسائر أنبيائهم وبين الكذّابين والسحرة. وحاشَ لله من هذا، وبه تعالى نعوذ من الخذلان[1].

○ [بشارة بنبي وأمارة لمعرفته]:

هذا مع قوله بعد ذلك: «وأيُّما نبي أحدث فيكم من ذاته نبوَّة مما لم نأمر به، ولم أعهد إليه به، أو تنبأ فيكم يدعو للآلهة والأوثان فاقتلوه. فإن قلتم في أنفسكم: من أين يعلم أنه من عند الله، أو من ذاته؟ فهذا علمه فيكم: إذا أنبأ بشيء ولم يكن، فاعلموا أنه من ذاته[2].

---

[1] سبق في القسم الثاني ذكر ما ادَّعوا أنَّ السَّحَرة عملت مثل عمل موسى عليه السلام، ومراد ابن حزم أن كلامهم يهدم بعضه بعضاً، وقد انتبه بعضهم إلى ذلك فحاول إصلاحه، فقد جاء في ترجمة الكاثوليك (متنبئ) بدل نبي. ولكن هيهات، فإنه ذكر أنه أتى بآية.

[2] جاء في سفر التثنية ١٨/١٥: يقيم لك الرب إلٰهك نبياً من وَسْطك، من إخوتك مثلي، له تسمعون.

١٨/١٧ ـ ١٩: قال لي الرب: قد أحسنوا فيما تكلموا. أقيم لهم نبياً من وسط ـ وعند الكاثوليك: من بين ـ إخوتهم مثلك، وأجعل ـ وعند الكاثوليك: وألقي ـ كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي، أنا أطالبه ـ وعند الكاثوليك: فإني أحاسبه عليه ـ وأما النبي الذي يطغَى، فيتكلم باسمي كلاماً لم أوصِهِ أن يتكلَّم به، أو الذي يتكلَّم باسم آلهة أخرى، فيموت ـ وعند الكاثوليك: فليقتل ـ ذلك النبي.

١٨/٢٠ ـ ٢٢: وإن قلتَ في قلبك: كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلَّم به الرب؟ فما تكلم به النبي باسم الرب، ولم يحدث ولم يصِر، فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب، بل بطغيان تكلم به النبي، فلا تخف منه.

وقد ذكر هذا النص في التوراة السامرية مرتين، مرة في سفر الخروج وأخرى في سفر التثنية، وهأنا أنقله من المكانَين جامعاً بينهما، مبيناً ما انفرد به كل سفْر.

جاء في سفر التثنية ١٨/١٥: نبياً من جملة إخوتك مثلي، يقيم لك الله إلٰهك، ومنه تسمعون.

وجاء في سفر الخروج ٢٠/٢١، وفي سفر التثنية ١٨/١٨ ـ ٢٢: نبياً أقمت لهم، من جملة إخوتهم مثلك، وجعلت خطابي بفيه، فيخاطبهم بكل ما أوصيه به، ويكون الرجل الذي لا يسمع من خطابه الذي يخاطب باسمي أنا أطالبه. والمتنبئ الذي يتقح على الخطاب باسمي ما لم أوصه من الخطاب، ومن يخاطب باسم آلهة أخرى، فليقتل ذلك المتنبئ. وإذ تَقُول في سرك: كيف يتبين الأمر الذي لم يخاطبه الله؟ ما يقوله المتنبئ باسم الله، ولا يكون ذلك الأمر =

. . . .

= ولا يأتي، هو الأمر الذي لم يقله الله. باتقاح قاله المتنبئ، لا تخف منه.

توضيح البشارة:

ذكرت التوراة أن موسى ﷺ بشَّر شعب إسرائيل بنبي يأتي من بعده، وأوصاهم بطاعته عند مبعثه، وذكر لهم من صفاته ما يلي:

١ ـ إنه من إخوة شعب إسرائيل، وليس منهم.

٢ ـ يشابه موسى في كثير من خصائص النبوة.

٣ ـ يجعل الله سبحانه كلامه في فمه، فيخاطب الناس بكل ما يوحيه إليه ربُّه به.

٤ ـ من لا يؤمن به، ولا بالكلام الذي يتكلم به باسم الله، فإن الله سينتقم منه.

٥ ـ من علامات هذا النبي أنه يخبر عن أمور وحوادث، تقع وتتحقق كما أخبر، بخلاف المتنبئ الكاذب، فإن ما يخبر به لا يتحقق ولا يقع، لأنه كاذب. وبذلك يتميز الصادق عن الكاذب.

٦ ـ إن نهاية أدعياء النبوة القتل، فقاتلهم ولا تخف منهم. ويُفهم من هذا الكلام أن النبي المبشَّر به لن يتمكن أحد من قتله.

موقف أهل الكتاب من هذه البشارة:

تنازع في هذا النص اليهود والنصارى:

أ ـ ولليهود في صرفه ثلاثة طرق:

الأول: أنه على حذف أداة الاستفهام الإنكاري. والتقدير: أأقيم لهم نبياً مثلك من بين إخوتهم؟ أي لا أقيم لهم نبياً هذه صفته. فهو في الحقيقة نفي.

الثاني: أنه خبر ووعد، لكن المراد به يشوع بن نون. وبعضهم يقول: بل شمويل.

الثالث: ـ وهو قول جمهورهم ـ أنه نبي يبعث في آخر الزمان، يقيم مُلْك اليهود، ويعلو به شأنهم. وهم لا يزالون ينتظرونه إلى اليوم.

[هداية الحيارى ص٥٢٦ ـ ٥٢٧، مواجهة صريحة ص٢٠٨ ـ ٢٠٩، إظهار الحق ٢/ ٢٤٠، بذل المجهود ص٣٣].

وهم يزعمون أنه سيكون من بني إسرائيل؛ لأن لفظة (إخوتكم) وردت كثيراً في مخاطبة بني إسرائيل، وأريد بها من هو منهم إلا في النادر. فالمراد هنا إخبار بني إسرائيل أن النبي المنتظر سيكون منهم. لأنهم إخوة، وبعضهم لبعض. [تنقيح الأبحاث ص٩٦، بذل المجهود].

ب ـ وحمله النصارى على البشارة بالمسيح بن مريم ﷺ واحتجوا بما يلي:

١ ـ وقع في النص كلمة توضح المراد، وهي «من وسْطك» وفي بعض الترجمات «من بينك» فهذا يدلُّ دلالة واضحة على أن هذا النبي يكون من بني إسرائيل لا من غيرهم. وعيسى ﷺ أمه من بني إسرائيل.

٢ ـ إن الضمير في قوله: (لك) أو (لهم) عائد إلى بني إسرائيل، وفي (مثلك) عائد إلى موسى ﷺ فهي إشارة إلى السيد المسيح.

قالوا: وقد فسَّره بذلك شمعون الصفا فقال: «إن النبي الذي وُصِّي بنو إسرائيل بقبول =

= أمره والإيمان به هو المسيح». قالوا: وتفسير شمعون عندنا حجة قاطعة، ونحن عوَّلنا عليها، لا على مفهوم اللفظ.

٣ ـ إن المسيح نسب هذه البشارة إلى نفسه، فقد جاء في إنجيل يوحنا ٥/ ٤٦: ولو كنتم تصدِّقون موسى لصدَّقتموني، لأنه كتب فأخبر عني. [تنقيح الأبحاث ص٦٣ ـ ٦٤ و٩٦، بذل المجهود ص٣٣، إظهار الحق ٢/ ٢٤٦ ـ ٢٤٨].

وجاء في حواشي الكتاب المقدس ص٦ عن الجملة ١٨/ ١٥: «في هذه الآية نبوَّة مختصة بالمسيح وحده؛ لأن الروح القدس عينه فسرها في هذا المعنى، ووجهها إلى مخلِّص العالم جلياً في كتاب أعمال الرسل ٣/ ٢٢ و٧/ ٣٧، وقد اتفق الآباء القدِّيسون كلهم على هذا التفسير». اهـ.

وفي أعمال الرسل ٣/ ١٩ ـ ٢٠: فتوبوا وارجعوا لتُمحى خطاياكم، لكي تأتيَ أوقات الفرج من وجه الرب، ويُرسلَ يسوع المسيح المبشَّر به لكم قبل.

٣/ ٢٢ ـ ٢٤: فإن موسى قال للآباء: إن نبياً مثلي سيقيم لكم الرب إلٰهكم من إخوتكم، له تسمعون في كل ما يكلمكم به، ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبي تُباد من الشعب.

٧/ ٣٧: هذا هو موسى الذي قال لبني إسرائيل: نبياً مثلي، سيقيم لكم الرب إلٰهكم، من إخوتكم، له تسمعون.

مناقشة أدلة أهل الكتاب:

● إن الطريق الأول الذي سلكه بعض اليهود باطل من أساسه، لأنه لو كان على تقدير الاستفهام الإنكاري الذي يفيد النفي لما كان للنص كلِّه معنى، والسباق والسياق يأبيان ذلك ويدلَّان على أن النص خبر ووعد، ولذلك أمرهم بطاعته. وقد أحسَّ اليهود بضعف تأويلهم هذا، ولذلك لم يمنعوا أن يكون إثباتاً ووعداً، لكنه خاصّ بأحد أنبيائهم يشوع بن نون أو شمويل. وهذا نوع من التحريف الذي بَرَعوا فيه، ولم يحملهم عليه إلا خشية تمسك المسلمين بهذا النص والاستدلال به على بشارة الأنبياء بمحمد ﷺ. [هداية الحيارى ص٥٢٨، مواجهة صريحة ص٢٠٩].

● وأما قول النصارى: إنه وقع في الفقرة ١٨/ ٥ من سفر التثنية زيادة تدل على أن هذا النبي إنما يكون من بني إسرائيل، وهي «من بينك»؛ فيجاب عنه بأن هذه العبارة ليست أصلية، وقد زيدت في النص تحريفاً، ويدل على ذلك ثلاثة أمور:

ـ **الأول**: إن المخاطبين في هذا الموضع كانوا جميع بني إسرائيل، وليس بعضهم، ولو كانت هذه العبارة أصلية، لكان قوله: «من إخوتك» لغواً محضاً لا معنى له. غير أن لفظ «من إخوتك» جاء في الموضع الآخر ١٨/ ١٨ أيضاً، فيكون هو الصحيح، ويكون لفظ «من بينك» هو الذي ألحقه المحرِّفون بالنص.

ـ **الثاني**: إن موسى ﷺ لما نقل كلام الله في ١٨/ ١٨: لإثبات قوله الذي ذكره، لم يذكر فيه هذا اللفظ. ولا يمكن أن يكون ما قاله موسى ﷺ مخالفاً لما قاله الله تعالى زيادة أو نقصاناً. =

= - الثالث: إن الحواريين الذين نقلوا هذا الكلام لم يذكروا فيه لفظ «من بينك».

جاء في سفر الأعمال في خطبة بطرس في الهيكل ٣/ ٢٢ ـ ٢٤: فإن موسى قال للآباء: إن نبياً مثلي، سيقيم لكم الرب إلٰهكم من إخوتكم له تسمعون في كل ما يكلمكم به، ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبي تُباد من الشعب. وكذلك في ٧/ ٣٧ من السفر نفسه.

فسقوط هذه العبارة في هذه الأماكن دليل على عدم ثبوتها. وعلى فرض ثبوتها، فإنها غير مقصودة لذاتها، وليس فيها متمسك لهم.

وأما قول النصارى - إنَّ المسيح ﷺ - نسب هذه البشارة إلى نفسه، واستشهادهم بإنجيل يوحنا، فالجواب أن هذا النص إن ثبت عن المسيح ﷺ بالسند الصحيح المتصل، ليس فيه تصريح بأن موسى كتبه في حقِّه، ولم يأت أن موسى كتب في حقه في موضع كذا أو مكان كذا، وكل ما يفهم منه أن موسى كتب في حقه، وهذا يصدق على أي موضع في التوراة، وجد فيه إشارة واضحة إليه دون غيره. [إظهار الحق ٢/ ٢٤٨].

وقولهم إن الضمير في (لهم) عائد إلى بني إسرائيل، وفي (مثلك) عائد إلى موسى ﷺ صحيح لا نزاع فيه، لكن ليس فيه إشارة إلى المسيح ﷺ وإنما فيه إشارة إلى من يشابه موسى ﷺ كما سيأتي.

وأما احتجاجهم بقول شمعون الصفا، فقد أجاب عنه ابن كمونة اليهودي في كتابه (تنقيح الأبحاث) ص٦٤ فقال: «وقول شمعون غير مسلَّم به، بل هو إشارة إلى كل نبي يأتي على دين موسى، وسياقة الكلام المنزل في هذا المعنى لا تقتضي التخصيص بنبي دون غيره، وبتقدير أنها تقتضي ذلك، فنمنع أن المقصود بالتخصيص هو المسيح».

وقولهم: «ونحن عوَّلنا عليها لا على مفهوم اللفظ» تحكُّم في النص بدون أدنى دليل.

وكذلك ما جاء في حواشي الكتاب المقدس من أن الروح القدس عينه فسرها في هذا المعنى، واستشهادهم بما في أعمال الرسل ٣/ ٢٢ ـ ٢٤ و٧/ ٣٧، فإن هذه النصوص لا تقتضي التخصيص بنبي دون غيره، بل كيف تكون بشارة بالمسيح ﷺ وقد جاء في الفقرة ٣/ ٢٤ «ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبي تُباد من الشعب»، والمسيح ﷺ لم يجاهد قط، وحاول أعداؤه قتله وصلبه، وكان أتباعه مضطهدين؟!

• أضف إلى ذلك أن النصوص التي في سفر التثنية وفي أعمال الرسل بشَّرت بنبي، والمسيح ﷺ في زعم النصارى ليس نبياً، بل هو إلٰه معبود كما سيأتي لدى تحليل النص إن شاء الله.

جاء في تفسير الكتاب المقدَّس لجماعة من اللاهوتيين برئاسة الدكتور دافيد سن في تفسير هذه النبوءة ما يلي: «يعلن موسى إعلاناً مسيانياً عن النبي الذي سيخلفه في وظيفته كنبي». [المجلة الأولى ص٥٣٤ طبعة بيروت، وانظر التوراة السامرية ص٤١٠].

كما أن الجملة (٢٠) من النص تقول: «وأما النبي الذي يطغى، ويتكلم باسمي كلاماً لم أوصه أن يتكلم به أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى، فيموت ذلك النبي» وفي بعض الترجمات وفي السامرية أيضاً: «فليقتل ذلك المتنبئ». =

= والمسيح في زعم النصارى قُتل وصُلب، فلو كانت هذه البشارة في حقِّه للزم أن يكون متنبئاً كاذباً كما يدعي اليهود. [إظهار الحق ٤/٢٤٥].

تحليل النص:

ولنحلل الآن النص لنرى على من تنطبق هذه البشارة:

١ ـ جاء النص بصيغة الاستقبال ١٨/٥: «يقيم لك الربُّ إلٰهك» و١٨/١٨: «أقيم لهم نبياً». وفي بعض الترجمات: «سوف أقيم».

فالموعود به ليس يشوع بن نون؛ لأنه أقيم نبياً قبل هذا الخطاب، وعندما مات هارون ﷺ صار وصي موسى ﷺ وفتاه والقائم بالأمر من بعده، فهو من أنبياء بني إسرائيل في ذلك الوقت، والوعد إنما هو بنبي يقيمه الله في المستقبل. ويدل على ذلك الوصية بطاعته وتهديد من يخالفه. [الأجوبة الفاخرة ص١٦٤، إظهار الحق ٢/٢٤٢].

٢ ـ ذكرت البشارة أنه من إخوة شعب إسرائيل، وليس منهم حقيقة، ففي الجملة ١٨/١٥: «يقيم لك الرب إلٰهك نبياً من وسطك من إخوتك»، وفي الجملة ١٨/١٨: «أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم». وفي بعض الترجمات: «من بين إخوتهم». ولا ريب أن الخطاب ـ أو البشارة ـ كان موجهاً للأسباط الاثني عشر جميعاً، وكانوا كلهم حاضرين وقتئذ، ومن تتبع النصوص وجد أن التعبير بلفظ (إخوتكم) إنما يكون للإخوة الغائبين، ولا يكون لأحد من المخاطبين. فلو كان المبشَّر به من أحد الأسباط لقال: يقيم لك الرب إلٰهك نبياً منك، ولم يقل من إخوتك، أو لقال: أقيم لهم نبياً منهم أو من أنفسهم، ولم يقل من إخوتهم. ولو كانت البشارة بنبي منهم لما كان لذكر (الإخوة) هنا معنى، لا من حيث الحقيقة، ولا من حيث المجاز. وهذا هو الفارق بين أنبياء بني إسرائيل الذين جاؤوا من بعد موسى ﷺ وبين هذا النبي المبشر به، ولذلك أوصاهم بطاعته والسمع له. وقد جاء لفظ (الإخوة) بهذا الاستعمال الحقيقي كثيراً في توراتهم. ومن ذلك ما يلي:

أ ـ في سفر التكوين ١٦/١٢ أن الملاك قال لهاجر عندما بشَّرها بإسماعيل ﷺ: «ويكون مسكنه على تخوم جميع إخوته». وفي السامرية: «وحول كل إخوته يسكن».

وفي ٢٥/١٨: أمام جميع إخوته نزل. وفي السامرية: حول كل إخوته نزل.

ولا شك أن المراد بالإخوة هنا بنو إسحاق وبنو العيس، وغيرهم من أولاد إبراهيم ﷺ.

ب ـ في سفر اللاويين ١٠/٦ أن موسى قال لهارون وابنيه: لا تكشفوا رؤوسكم، ولا تشقُّوا ثيابكم، لئلا تموتوا ويُسخط على كل الجماعة، وأما إخوتكم كل بيت إسرائيل فيبكون على الحريق الذي أحرقه الرب.

جـ ـ في سفر العدد ٢٠/١٤: وأرسل موسى رسلاً إلى ملك أدوم: هكذا يقول أخوك إسرائيل.

د ـ في سفر التثنية ٢/٤: وأوصى الشعب قائلاً: أنتم مارُّون بتخم إخوتكم بني عيسو.

وفي ٢/٨: فعبرنا عن إخوتنا بني عيسو الساكنين في سعير. =

. . . .

= وإخوة بني إسرائيل هم بنو إسماعيل، وهم العرب، وبنو العيس، وهم الروم، ولم يقم في الروم نبي سوى أيوب، وكان قبل موسى، فلا يمكن أن يكون هو المبشَّر به، فلم يبق إلا العرب بنو إسماعيل، فتعين أن يكون المبشر به منهم، ولم يخرج من ولد إسماعيل نبي إلا محمد ﷺ فيكون هو المبشَّر به. ويدعم هذا وعد الله لإبراهيم وهاجر في إسماعيل، وكذلك البركة الثابتة له في سفر التكوين١٦/ ٢٠.

وقوله: «أقيم لهم» يدل على عموم رسالته، وخاطبهم بذلك لئلا يظنوا أنه مرسل إلى قومه خاصة. [إظهار الحق ٢/ ٢٤١ ـ ٢٤٢، بذل المجهود ص٣٣، هداية الحيارى ص٥٢٧ و٥٣٠ و٥٦٣ ـ ٥٦٤، تحفة الأريب ص١٣٤، مواجهة صريحة ص٢٠٩].

٣ ـ جاء في النص أنَّ المبشَّر به يشابه موسى عليه السلام في مهامه وأوصافه، «مثلي ـ مثلك».

وجاء في أعمال الرسل ٣/ ٢٢ ـ ٢٥: فإنَّ موسى قال للآباء: إن نبياً مثلي سيقيم لكم الرب إلٰهكم من إخوتكم له تسمعون في كل ما يكلمكم به، ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبي تُباد من الشعب. وجميع الأنبياء من صموئيل فما بعده، جميع الذين تكلموا سبقوا وأنبؤوا بهذه الأيام. أنتم أبناء الأنبياء، والعهد الذي عاهده الله آباءنا قائلاً لإبراهيم: وبنسلك تتبارك جميع قبائل الأرض.

وفي ٧/ ٣٧ منه: هذا هو موسى الذي قال لبني إسرائيل: نبياً مثلي سيقيم لكم الرب إلٰهكم من إخوتكم، له تسمعون.

وموسى عليه السلام عبد الله ورسوله، وهو نبي صاحب شريعة مشتملة على الجهاد والحدود وعلى أحكام الطهارة والعبادة والمحرَّمات من الأطعمة والأشربة والألبسة والأنكحة، وعلى قواعد وآداب في الأخلاق والسلوك الاجتماعي، وغير ذلك من أحكام التشريع. هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية، فقد جاهد أعداءه، وكان مطاعاً في قومه، وقد تزوج وأنجب أولاداً، ثم مات بتقدير الله عليه، ولم يقتل أو يصلب.

ولا توجد أية مماثلة من هذه النواحي بين موسى ويشوع عليهما السلام فإن يشوع ليس بصاحب شريعة، وإنما كان تابعاً لموسى، ولشريعته من بعده. وسواد اليهود لا ينكرون مجيء هذا النبي، ويقرون بأنه يكون صاحب شريعة، وأن شريعته تنسخ شريعة موسى، بل لا خلاف بين العبرانيين والسامريين في نسخ التوراة على يد ذلك النبي الذي لا يزالون ينتظرونه، ويحتجون على ذلك بنصوص يرونها. [تنقيح الأبحاث ص٢٧، التوراة السامرية والتعليق عليها ص٤٠٠ و٤٠٨].

وكذلك لا توجد أية مماثلة أو مشابهة بين موسى والمسيح عليهما السلام لما يلي:

أ ـ إن موسى عليه السلام عبد الله ورسوله، أرسله إلى فرعون وبني إسرائيل خاصة، وهو نبي مقر بالعبودية، أنزل الله عليه كتاباً، وأوحى إليه بشرع، والمسيح في زعم النصارى ليس عبداً ولا نبياً، بل و في اعتقادهم إلٰه تام معبود مكون من ناسوت بشري ولاهوت، وقد اتحد الناسوت باللاهوت في بطن مريم فحملت به، ثم ولدته مع مشيمة ودم نفاس وغير ذلك، فصار إلٰهاً تاماً، له مشيئة مستقلة، وهو في الوقت نفسه الأقنوم ـ أي الأصل الثاني من الأقانيم =

= الثلاثة التي تكوّن بمجموعها إلٰهاً واحداً ـ. والثالوث الأقدس الواحد ذو قدرة على الانبثاق دون أن يخسر وحدانيته، لأنه ليس شخصية مادية واحدة، ولكنه كيان روحي واحد.

فالمسيح ـ في اعتقادهم ـ إلٰه حق من إلٰه حق من جوهر أبيه، وهو مساوٍ لأبيه في الجوهر، والله متساوٍ في جوهره، وهو يشترك في جوهر واحد لا نظير له في الحياة وفي الأزل، وكل أقنوم يتحلّى بلقب اللاهوت، وجوهر الابن يخلق كل شيء، ويعمل كل عمل لاهوتي. [أقنوم الحق الفريد ص١٧ و٤٩].

وقد اختلف النصارى في طبيعة المسيح: هل له طبيعة واحدة ـ كما يقول الأرثوذكس ـ أو له طبيعتان: إلٰهية وإنسية ـ كما يقول الكاثوليك والبروتستانت ـ لأنه ابن الله وابن الإنسان معاً؟ وكذلك اختلفوا في المشيئة: هل للأقانيم الثلاثة مشيئة واحدة، أو ثلاث مشيئات مستقلة؟

فالمسيح في زعم النصارى إلٰه يرسل الرسل، والبشارة إنما هي بنبي يشابه موسى عليه السلام فكيف يرتضون حملها على المسيح؟!

ب ـ إن المهمة التي جاء من أجلها المسيح عليه السلام في اعتقاد النصارى لا تشابه المهمة التي بعث موسى عليه السلام من أجلها ألبتة.

فالمسيح في زعمهم تجسَّد لكي يفدي الإنسان الذي شوهته الخطيئة البشرية، ويموت على خشبة الصليب، كإنسان كامل بدون خطيئة، فالله قد تنازل عن أقانيمه لمدة وجيزة من الزمن كي يبارك الإنسان ويخلصه. [أقنوم الحق الفريد ص١٥ و٥٦] حسب اعتقاد الكاثوليك، وعند الأرثوذكس هو بذاته ترك العرش ونزل فصلب.

والمسيح في زعمهم أيضاً صار ملعوناً من أجل هذه المهمة، فقد جاء في رسالة بولس إلى أهل غلاطية ٣/١٣ ـ ١٤: «والمسيح حررنا من لعنة الشريعة، بأن صار لعنة من أجلنا، فالكتاب يقول: ملعون من مات معلَّقاً على خشبة، وهذا ما فعله المسيح، لتصير فيه بركة إبراهيم إلى غير اليهود».

والمسيح ـ في زعمهم ـ دخل الجحيم بعد صلبه، وأخرج الأنبياء والصالحين، ومكث هناك ثلاثة أيام لأن صلبه كان كفَّارة للخطيئة البشرية التي ارتكبها آدم وحواء، وهي ترافق كل مولود. أما موسى عليه السلام فقد كانت مهمته تنحصر في أنه بشر مخلوق، عبد لله ورسول مبلغ عنه، لم يصلب فداء عن أحد، بل مات موتاً عادياً، ولم يكن ملعوناً لشفاعته لأحد، ولم يدخل الجحيم لتخليص أحد. فبين المهمتين بون شاسع.

جـ ـ كان موسى صاحب شريعة كاملة شاملة مستقلة ـ كما سلف ـ والمسيح عليه السلام، كما تذكر أربعة الأناجيل ـ لم يكن كذلك ـ، وإنما جاء ليعمل بالتوراة، وبوصايا الأنبياء قبله.

جاء في إنجيل متى ٥/١٧ ـ ١٨: لا تظنُّوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ـ وفي ترجمة سنة ١٩٨٠م: لأبطل الشريعة وتعاليم الأنبياء ـ ما جئت لأنقض، بل لأكمِّل، فإني، الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل.

والنصارى يأخذون معظم تشريعهم وأحكامهم من العهد القديم، وقد تضمنت الأناجيل =

. . . .

= بعض عبارات للمسيح تتصل بالتشريع مع إقراره بالتشريع اليهودي القائم في ذلك الوقت، وبعد رفع المسيح وانتهاء الاضطهادات، أقام القسس على أساس تلك العبارات مع العهد القديم نظاماً قانونياً للكنيسة.

د ـ إن موسى ﷺ كان مطاعاً في قومه، أمرهم بالجهاد، وجاهد معهم، وانتصر على أعدائه، وهو متزوج، وله أولاد.

أما المسيح ﷺ فلم يكن مطاعاً في قومه بني إسرائيل، بل كان يحاورهم ويتوقاهم، وقد حَرَّشوا عليه الرومان، وأرادوا قتله وصلبه. ولم يجاهد قط، بل كان من تعاليمه كما يزعمون ما يلي:

جاء في متى ٥/٣٨ ـ ٤٠: سمعتم أنه قيل: عَيْن بعَيْن وسنٌّ بسِن، أما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشر ـ وفي طبعة ١٩٨٠م: لا تنتقموا ممن يُسيء إليكم ـ بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك، فاترك له الرداء أيضاً.

٥/٤٣ ـ ٤٤: سمعتم أنه قيل: تحب قريبك وتبغض عدوك، وأما أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وَصَلُّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم.

وفي لوقا ٦/٢٧ ـ ٣٠: أحبوا أعداءكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، باركوا لاعنيكم، وصَلُّوا لأجل الذين يسيئون إليكم، من ضربك على خدك الأيمن فاعرض له الآخر أيضاً، ومن أخذ رداءك فلا تمنعه ثوبك أيضاً، وكل من سألك فأعطه، ومن أخذ الذي لك فلا تطالبه.

٦/٣٥: بل أحبوا أعداءكم، وأحسنوا وأقرضوا وأنتم لا ترجون شيئاً.

هـ ـ لو حملت هذه البشارة على أي نبي من أنبياء بني إسرائيل للزم منه تكذيب نصوص التوراة التي بأيديهم؛ لأنها تنص على أنه لا يكون في بني إسرائيل نبي يماثل موسى ﷺ.

جاء في سفر التثنية ٣٤/ ١٠ ـ ١٢: ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرف الرب وجهاً لوجه، في جميع الآيات والعجائب التي أرسله الرب ليعملها في أرض مصر بفرعون وبجميع عبيده وكل أرضه، وفي كل اليد الشديدة وكل المخاوف العظيمة التي صنعها موسى أمام أعين جميع إسرائيل.

قال ابن كَمونة في تنقيح الأبحاث ص٩٦: «أريد به في كونه خوطب شفاهاً من غير وساطة في كل شيء».

وهذا النص يحتمل أن يكون معناه أن النبي المبشَّر به لم يأتِ حتى زمن كتابة التوراة في بابل إبان السبي، أو بعد العودة منه، لكن من الممكن أن يظهر بعد ذلك من بني إسرائيل أو من غيرهم. غير أن التوراة السامرية منعت أن يكون هذا النبي من بني إسرائيل ألبتة، فقد جاء فيها ٣٤/ ١٠: ولا يقوم أيضاً نبي في بني إسرائيل كموسى الذي ناجاه الله شفاهاً في جميع الآيات والمعجزات التي أرسله الله للفعل. . .

فمن هو إذاً النبي المنتظر الذي يكلِّمه الله، ويشابه موسى في إجراء الآيات العجيبة التي أرسله الله بها، وفي الجهاد الذي أمره الله به، ولم يظهر حتى الآن؟! علماً بأن المسيح بن =

= مريم عليه السلام آخر أنبياء بني إسرائيل، وقد مضى على القوم قرابة ألفي عام، ولم يقم فيهم نبي سواه وسوى يحيى بن زكريا عليهما السلام فلم قاطعهم الله سبحانه هذه المقاطعة؟ ولم هجرهم هذا الهجر غير الجميل؟!

مصداق البشارة:

بما أنه لا مثيل لموسى عليه السلام في بني إسرائيل، فلا بدَّ أن يكون النبي المنتظر الذي بَشَّرت به التوراة من إخوة شعب إسرائيل، فتبين أنه يكون من ولد إسماعيل أخي إسحاق عليهما السلام للبركة الممنوحة له، وللوعد بتكثير نسله كما في سفر التكوين ١٦/ ١٠ ـ ١٦ و١٧/ ٢٠، ولم يخرج من ولد إسماعيل إلا محمد ﷺ ولم يأتِ أحد غيره برسالة مستأنفة لا من بني إسرائيل ولا من غيرهم، فيكون هو المبشَّر به لا ريب في ذلك؛ لأنه من إخوة بني إسرائيل، ويماثل موسى في أمور كثيرة أهمها ما يلي:

١ ـ كلاهما عبدٌ ورسولٌ لله، فهما نبيان، ومن أب وأم، وقد تزوَّجا، ورُزقا بأولاد، وماتا على الفراش، ودفنا في قبر.

٢ ـ كلاهما كلَّمه الله، فمحمد ﷺ أسرى به الله سبحانه ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى السماوات العُلَى، حيث تنقطع علوم الخلائق، وهناك كلَّمه ربه، وفرض عليه وعلى أمته خمسَ صلوات في اليوم والليلة.

٣ ـ كلاهما صاحب شريعة كاملة مشتملة على نظام كامل للحياة البشرية دينياً ودنيوياً، فيها أحكام الطهارة والعبادات والمعاملات، وأحكام الأطعمة والأشربة والألبسة والزواج وغير ذلك، كما فيها أحكام الحدود والقصاص والتعزير ونحو ذلك.

علماً بأن شريعة محمد ﷺ ناسخة لشريعة موسى عليه السلام ومُهَيمنة عليها.

٤ ـ كلاهما رئيس مطاع في قومه وأتباعه، قادر على إجراء الأحكام فيهم، وقد أمرا بالجهاد، فجاهدا مع أصحابهما وحاربا أعداءهما، وكانت العاقبة لهما.

فالمماثلة بينهما واضحة، والبشارة تَصْدق فيه أكمل صدق، وتنطبق عليه أتمَّ انطباق، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ [المزمل: ١٥].

ومما يؤكد ذلك ما يلي:

أ ـ ورد في الجملة (١٨): «وأجعل كلامي في فمه، فيكلِّمهم بكل ما أوصيه به».

وهذا يدلُّ على أن النبيَّ المبشر سينزل الله عليه كتاباً يظهر للناس من فمه، ويشير إلى أنه أميٌّ لا يقرأ ولا يكتب، لكنه يحفظ الكلام الذي يجعله الله في فمه ولا يَنْسَى منه شيئاً. ومحمد ﷺ كان أمياً، وقد أنزل الله على قلبه كتاباً ظهر للناس من فمه، قال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٧].

فإنزال الكتاب بهذه الطريقة من علامات نبوته التي أخبر عنها الأنبياء السابقون. ولم يَقُم في الدنيا نبي أميٌّ سواه. قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨] وكان حافظاً لما أنزل عليه لا ينساه كما قال سبحانه: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى: ٦]. =

. . . .

= وقوله في البشارة: «فيكلمهم بكل ما أوصيه به» يدل على أنه لا يتكلم من تلقاء نفسه أوبحسب هواها، بل بما يوحي إليه ربه. قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ ـ ٤].

ب ـ ورد في الجملة (١٩): «ويكون الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه». وفي بعض الترجمات: «فأنا أكون المنتقم منه». وفي أعمال الرسل ٣/ ٢٤: «ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبي تُباد من الشعب».

وهذا يعني أن من يكفر بهذا النبي المبشّر به، ولا يطيع كلام الله الذي يتكلم به، ولا يقبل الشريعة التي أوحَى بها الله إليه، فإن الله سيكون هو المنتقم منه. وهذا يدل على تعظيم هذا النبي وتعظيم الكتاب الذي أنزل عليه وتعظيم شريعته، لأن الله سبحانه أضاف المطالبة والانتقام ممن لا يطيعه لنفسه. ولا يمكن أن يراد بالانتقام هنا محض العذاب في الآخرة، لأن هذا عام، لا يختص به نبي دون آخر، بل يظهر ـ والله أعلم ـ أن المراد بالانتقام هنا الانتقام التشريعي الذي يشمل القصاص وإقامة الحدود على من تعدَّاها، ويشمل الجهاد الذي يأمره الله به، وتكون العاقبة فيه له ولمن اتبعه. وهذا ما تم لمحمد ﷺ وأمته.

جـ ـ ورد في الجملة (٢٠): «وأما النبي الذي يَطْغَى، فيتكلم باسمي كلاماً لم أوصِهِ أن يتكلّم به، أو الذي يتكلّم باسم آلهة أخرى، فيموت ذلك النبي» وفي ترجمات أخرى وفي السامرية أيضاً: «فليقتل ذلك المتنبئ».

فقد صرحت بأن المتنبئ الذي يفتري على الله، وينسب إليه ما لم يأمره به، نهايته القتل. ومحمد ﷺ لم يستطع أحد قتله رغم كثرة المحاولات من قريش ثم من يهود والمنافقين وسائر المشركين في مكة والمدينة، وفي الحضر والسفر. ومصداق هذا قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ۝٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤ ـ ٤٧]، وقوله سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

وقد أوفَى الله سبحانه بما وعد، فلم يقدر أحد على قتله، حتى مرض ومات في بيته وعلى فراشه بين أهله وأصحابه، ولحق بالرفيق الأعلى. واليهود يعلمون ذلك حق العلم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما فُتحت خيبر، أُهديت لرسول الله ﷺ شاةٌ فيها سُمٌّ، فقال رسول الله ﷺ: اجمعوا لي من كان ههنا من اليهود، فجمعوا له، فقال: إني سائلكم عن شيء، فهل أنتم صادقي عنه؟ قالوا: نعم يا أبا القاسم. فقال لهم رسول الله ﷺ: من أبوكم؟ قالوا: فلان. قال: كذبتم، بل أبوكم فلان. قالوا: صدقت وبررت. فقال: هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟ قالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبناك عرفت كما عرفته في أبينا. قال لهم: من أهل النار؟ قالوا: نكون فيها يسيراً، ثم تخلُفونا فيها. قال رسول الله ﷺ: اخسؤوا فيها، والله لا نَخْلُفكم فيها أبداً. قال: هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟ قالوا: نعم يا أبا القاسم. قال: هل جعلتم في هذه الشاة سماً؟ قالوا: نعم. قال: فما حملكم على هذا؟ قالوا: أردنا، إن كنت كاذباً نستريح منك، وإن كنت صادقاً لم يضرك. [أخرجه البخاري]. =

قال أبو محمد رحمه الله: هذا كلام صحيح، وهذا مضاد للذي قبله من أنه ينبي بالشيء فيكون كما قال، وهو مع ذلك يدعو إلى عبادة غير الله. والقوم مخذولون، نقلوا دينهم عن زنادقة مستخفين، لا مؤنة عليهم أن ينسبوا إلى الأنبياء الكفر والضلال والكذب والعهر كالذي ذكرنا قبل.

* * *

= وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة، فجيء بها إلى رسول الله ﷺ فسألها عن ذلك فقالت: أردتُ لأقتلك. فقال: ما كان الله ليسلطك على ذلك. [أخرجه الشيخان وأبو داود].

وفي رواية أبي داود عن جابر رضي الله عنه قالت: قلت: إن كان نبياً فلن تضره، وإن لم يكن نبياً استرحنا منه. فعفا عنها.

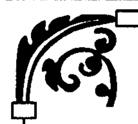
وقد ادَّعى النبوة في زمنه وبعده ناس كثيرون، وكانت نهايتهم القتل، مثل مسيلمة الحنفي، والأسود العنسي، وسجاح وطليحة، وغيرهم.

د ـ جاء في الجملة (٢٢): «فما تكلم به النبي باسم الرب، ولم يحدِّث ولم يصرّ، فهو الكلام الذي لم يتكلَّم به الرب، بل بطغيان تكلم به النبي، فلا تخف منه».

فالنبي المبشر به سيتحدث عن الغيب، ويخبر بأمور، فإذا وقع الأمر كما أخبر فهو الصادق المبشر به، وإلا فهو الكاذب. ومحمد ﷺ تحدَّث عن الغيب الماضي والحاضر في زمنه والمستقبل، فكانت أخباره كلها صادقة، ولا سيما خبره عن الغيب المستقبل، فإننا لا نزال حتى اليوم نرى مصداق ما أخبر به. وقد أوضحت ذلك في كتابي المسيح المنتظر ونهاية العالم. ومن شاء زيادة في الاطلاع على هذه البشارة وغيرها فليراجع كتابي ميثاق النبيين.

القسم الخامس

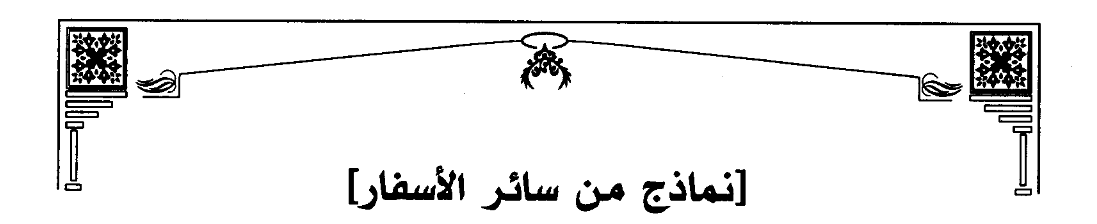
الأسفار المنسوبة إلى الأنبياء وافتراءات الأحبار






الأسفار المنسوبة إلى الأنبياء



[نماذج من سائر الأسفار]

قال أبو محمد رَحِمَهُ اللهُ: ونذكر ـ إن شاء الله تعالى ـ طَرَفاً ممَّا في سائر الكتب التي عندهم، التي يضيفونها إلى الأنبياء[1] عَلَيْهِمُ السَّلَامُ من الفساد، كالذي ذكرنا في

---

[1] يطلق لفظ النبي عند اليهود على كل كاتب مُلْهم ـ أي يُوحَى إليه ـ فيدخل في ذلك موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وصموئيل.

أما في عرف النصارى، فيُراد به من صَدَق عليه وصف النبوءة من حيث معناها الوضعي، أي الإنباء اليقيني بحوادث آتية، لا يمكن أن يهتدي إليها الإنسان بأسبابها ومقدماتها بمجرد استدلال العقل. [حواشٍ على الكتاب المقدس ص٤٧].

غير أن التنبؤ ظهر مظاهر شتى على مدى التاريخ الذي ينقله الكتاب المقدَّس، وقديماً سمي النبي رائياً ـ أي الذي يرى ما يخفَى على عامة الناس ـ ودُعي فيما بعد نبياً، كما في سفر صموئيل الأول ٩/٩، ومعناه في العبرية منادٍ ومفسر وناطق بلسان الله، فالنبي في الأصل ليس من ينبئ بالمستقبلات وإن اتفق ذلك، بل هو الناطق عن وَحْي باسم الله، فالماضي والحاضر والمستقبل كلها موضوع تنبئه، لأنه يراها بنور الله. [الحواشي ص٣٣٧].

ومن ثَمَّ أصبحت كلمة نبأ وأنبأ تعني عند النصارى أنه أعلن رسالة من عند الله كما في إنجيل متى ١١/١٣، والنبي عندهم من يعلن كلمة الله كما في لوقا ١/٧٠.

والذين دُوِّنت نبوءاتهم ونُظِّمت أسفارهم في عداد الكتب المقدَّسة من العهد القديم هم سبعة عشر نبياً، أربعة يُعرفون بالأنبياء الأكابر، وهم: إشعياء، وإرمياء، وحزقيال، ودانيال. وقيل لهم ذلك نظراً لكبر أسفارهم بالنسبة إلى ما كتبه غيرهم، وهم اثنا عشر، يعرفون بالأنبياء الأصاغر أو الصغار، دلالة على إيجاز الأسفار المنسوبة إليهم، ما خلا سفر باروك، فإن الكاثوليك ألحقوا سفره بسفر إرمياء، لأنه كان تلميذاً له، ولذلك لم يُفْردوه بنفسه، فكان السفران كسفر واحد، مع أن مكانه بعده. [الحواشي ص٤٧ و٦٨٦].

ويزعم أهل الكتاب أن هؤلاء الأنبياء جاؤوا متتابعين، بعضهم في أعقاب بعض على نحو أربعة قرون، أي من سنة ٨٣٠ق.م إلى سنة ٤٧٥ق.م. [الحواشي ص٤٧] غير أن الأسفار لم تُنسَّق في الكتاب المقدس تَبَعاً للتاريخ، فلو عدنا إلى التعاقب التاريخي لوجدنا أن أقدم الأنبياء المذكورين هم على التوالي عاموص وهوشع، يليهم إشعيا، وميخا، وجميعهم من أبناء الجيل الثامن، ويتبعهم في الجيل التالي صفنيا وناحوم ثم حَبَقُّوق، وقد عاشوا وإرمياء سني أورشليم الأخيرة قبل سقوطها، وفي أثناء سبي بابل ظهرت رسالة حزقيال والقسم الثاني من سفر إشعياء (٤٠ ـ ٥٥) وتلا ذلك في الجيل السادس الفصول (٥٥ ـ ٦٦) منه، ومواعظ حجي وعُبَديا وزكريا، ومن شأنها جميعاً تقوية آمال الشعب المَسْبي. [الحواشي ص٣٣٧].

توراتهم، ولا خلاف في أن اهتبالهم[1] بالتوراة كان أشدّ وأكثر أضعافاً مضاعفة من اهتبالهم بسائر كتب أنبيائهم.

* * *

= وهذه الأسفار مقدَّسة لدى أهل الكتاب جميعاً، لأن كل سِفْر يحمل اسم أحد أنبياء بني إسرائيل، لكن الحقيقة والواقع أن المؤلِّفين الحقيقيين مجهولون، وهم موضع تخمين يفتقر إلى توثيق، بل قد أثبتت التحقيقات والتحريات العلمية أن هذه الأسفار تنسب إلى أشخاص لم يكتبوها، وأن بعض من نسبت إليهم ليس لهم وجود في التاريخ، كما أن بعضها ليس إلا أساطير وأغنيات شعبية، لَصَقها الكتاب ببعض الأنبياء، لهدف معين كما سيظهر لدى الكلام عنها. [إظهار الحق ١/٥٩، دراسة الكتب المقدسة لموريس بوكاي ص٢٣، التوراة بين الوثنية والتوحيد ص١٢ ـ ١٣، والمقدمة ص٤ ـ ٥، اليهودية لأحمد شلبي ص٢٥٩].

ومن الجدير بالذكر أنه ليس لموسى عليه السلام ذكر في سائر أسفار العبرانيين المقدَّسة، إلا فيما ندر كما في سفر إشعياء ٦٣/١١ ـ ١٢، حيث يرد وكأنه حدث موغل في القدم، وقد طواه النسيان. [الفكر الديني اليهودي ص٢٣].

وابن حزم رحمه الله بعد أن فرغ من نقد التوراة، ذكر بعض كتب العهد القديم من كتب الأنبياء والمكتوبات، وأكَّد تحريفها أيضاً، وكأنه يسوقها مثالاً لغيرها كما سنرى إن شاء الله.

(١) أي طلبهم وعنايتهم، والاهتبال: الاغتنام، يقال: الصياد يهتبل الصيد، أي يغتنمه ويغتره. [القاموس].



[سفر يشوع]

أما كتاب يشوع، فإنَّ فيه براهين قاطعة بأنه أيضاً تاريخ ألَّفه لهم بعض متأخريهم بيقين، وأن يشوع لم يكتبه قط، ولا عرفه ولا أنزل عليه(1).

---

(1) هذا السفر أول الجزء الثاني المسمى بأسفار الأنبياء، ويتكون من أربعة وعشرين فصلاً، وهو يحمل اسم يشوع بن نون الذي كان لسنين عديدة، رفيق موسى وعضده في اقتياد بني إسرائيل حتى سهول موآب وما وراء الأردن، وبعد موت موسى عليه السلام انتقلت الزعامة إليه، فدخل على رأس الشعب إلى بلاد كنعان، فاحتلها وقَسَمها بين الأسباط، فهو فتى موسى عليه السلام وخليفته من بعده. [تقديم سفر يشوع ٣٦٠].

لم يعرف على وجه الجزم اسم مؤلفه، ولا زمن تأليفه. وللعلماء في اسم مؤلفه خمسة أقوال:

أ ـ المشهور أنه من تصنيف يشوع بن نون.

ب ـ ويرى بعضهم ـ ومنهم الدكتور لائت ـ أنَّه من تصنيف فينحاس.

جـ ـ وقال الدكتور كالون: هو من تأليف ألِعازار.

د ـ وقال وانتل: هو من تأليف صموئيل.

هـ ـ ويرى آخرون ـ ومنهم هنري ـ أنه من تأليف إرمياء. وبين يشوع وإرمياء أكثر من ثمانية قرون. [إظهار الحق ١/٦٦ ـ ٦٧، الأسفار المقدسة لعلي عبد الواحد وافي ص١٧].

أما زمان كتابته، فيستحيل أن يكون كتب في زمن يشوع، لأن فيه فقرات لا يمكن أن تكون من كلامه، ويدل بعضها على أن مؤلفه كان معاصراً لداود أو بعده كما سيأتي.

جاء في تقديم سفر يشوع في الكتاب المقدس الصادر عن الكاثوليك ص٣٦٠: «لكن المؤلف الذي نجهل اسمه وعصره كان يقصد دون شك أن يظهر هذا الفتح بمجمله عملاً عظيماً، يعود الفضل فيه إلى العناية الإلٰهية».

ومن الجدير بالذكر أنه ينقل عن أسفار غير معروفة، ففي ١٠/١٢ ـ ١٣ جاء فيه: «حينئذ كلَّم يشوع الرب يوم أسلم الرب الأَمُوريين أمام بني إسرائيل، وقال أمام عيون إسرائيل: يا شمس دومي على جِبعون، ويا قمر على وادي أيَّلون. فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم الشعب من أعدائه. أليس هذا مكتوباً في سفر ياشَر ـ وعند الكاثوليك: وذلك مكتوب في سفر المستقيم ـ فوقفت الشمس في كبد السماء، ولم تُعجِّل للغروب نحو يوم كامل».

فالكاتب ينقل عن كتاب اختلفت التراجم في بيان اسمه، ولم يعلم حاله ولا حال مصنفه ولا زمانه، غير أنه قد ذكر في سفر صموئيل الثاني ١/١٨: ورثى داود بهذه المرثاة شاول ويوناثان ابنه، وقال: أن يتعلم بنو يهوذا نشيد القوس، هوذا ذلك مكتوب في سفر ياشَر. =

○ [براهين على أن يشوع لم يكتبه]:

فمن ذلك أن فيه نصاً: «فلما انتهى ذلك إلى دوسراق ملك يبوس التي بنى فيها سليمان بن داود بيت المَقْدس. فعل أمراً ذكره».

قال أبو محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومن المحال الممتنع أن يخبر يشوع أن سليمان بنى بيت المقدس، ويشوع قبل سليمان بنحو ستمئة سنة. ولم يأتِ هذا النص في كتاب يشوع المذكور على سبيل الإنذار أصلاً، إنما مساقه ـ بلا خلاف منهم ـ مساقُ الإخبار عمَّا قد مضى[1].

= وعند الكاثوليك: وأمر بأن يُعلَّم بنو يهوذا نشيد القوس، وهو مكتوب في سفر المستقيم.

فالغالب على الظن أن يكون مؤلفه بعد داود ﷺ أو معاصراً له، وعلماء النصارى يقولون رَجْماً بالغيب: هذه الفقرات من ملحقات نبي من الأنبياء؛ بدون أدنى دليل. [إظهار الحق ١/ ٦٦ ـ ٦٧].

وقد جاء في الحواشي على الكتاب المقدس ص١١ عن الجملة ١/ ١٨ في سفر صموئيل الثاني: «هذا الكتاب من جملة الكتب التي فُقِدت على مرور الأيام، وقد جاء ذكره في أثناء سفر يشوع ١٠/ ١٣».

(١) جاء في سفر يشوع ١٥/ ٨: وصعد التُّخم في وادي ابن هِنُّوم إلى جانب اليبوسي من الجنوب، هي أورشليم.

وفي ١٥/ ٦٣: وأما اليبوسيون الساكنون في أورشليم فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم، فسكن اليبوسيون مع بني يهوذا في أورشليم إلى هذا اليوم.

وجاء في سفر صموئيل الثاني ٥/ ٦ ـ ٨: ذهب الملك ورجاله إلى أورشليم إلى اليبوسيين سكان الأرض، فكلَّموا داود قائلين: لا تدخل إلى هنا ما لم تنزع العُميان والعُرْج، أي لا يدخل داود إلى هنا، وأخذ داود حِصْن صِهيون، هي مدينة داود، وقال داود في ذلك اليوم: إن الذي يضرب اليبوسيين ويبلغ إلى القناة والعُرج والعُمي المبغَضين من نفس داود... لذلك يقولون: لا يدخل البيت أعمى أو أعرج. وأقام داود في الحِصن وسماه مدينة داود، وبنى داود مستديراً من القلعة فداخلاً.

والنص في ترجمة الكاثوليك أوضح قليلاً وقد اختفى منه الفراغ بين الكلمتين، حيث جاء فيه أن اليبوسيين قالوا لداود: إنك لا تدخل إلى ههنا حتى لا تُبقي منا أعمى ولا مقعداً... ومَنَّى داود في ذلك اليوم كلَّ من يقتل يبوسياً وكلَّ من يبلغ إلى القناة وإلى أولئك العرج والعمي المبغَضين من نفس داود. فلذلك يقولون...

فلو قارنَّا فقرات السفرين لظهر أن سفر يشوع كتب قبل السنة السابعة من جلوس داود على كرسي الملك كما قال جامعو تفسير هنري واسكات في تعليقهم على شرح هذه الفقرة.

وجاء في سفر يشوع ٤/ ١٩: وصعِد الشعب من الأردن في اليوم العاشر من الشهر الأول، وحلوا في الجَلْجَال في تخم أريحا الشرقي. =

وفيه أن كل من دخل من بني إسرائيل الأرض المقدَّسة، فإنهم كانوا مختونين، وفيهم أبناء تسعة وخمسين عاماً وأقل، وأن موسى عليه السلام لم يختِنْ ممَّن ولد بعد خروجه من مصر أحداً. هذا مع إقرارهم أن الله تعالى شدَّد في الختان وقال: «من لم يختتن في يوم أسبوع ولادته فلْتنتفِ نفسه من أمته» بمعنى فليقتل. فكيف يُضيع موسى هذه الشريعة الوكيدة، حتى يختنهم كلهم يشوع بعد موسى بدهر؟![1].

ولقد فضحت بهذا وجه بعض علمائهم فقال لي: كانوا في التيه في حلٍّ وارتحال. فقلت له: فكان ماذا؟ فكيف وليس كما تقولون؟ بل كانوا يبقون المدة الطويلة في مكان واحد، وفي نص كتاب يشوع بزعمكم أنه إنما ختنهم إذ جازوا الأردن قبل الشروع في الحرب، وفي أضيق وقت، وختنهم كلهم حينئذ، وهم رجال كهول وشبان، وتركوا الختان إذ لا مؤونة في ختانهم أطفالاً، تحمله أمه مختوناً كما تحمله غير مختون ولا فرق. فسكت منقطعاً.

= جاء في الحواشي ص٧: لم يكن هذا الموضع يسمَّى يومئذ بالجلجال، وإنما دعي بذلك فيما بعد كما هو مذكور في الفصل ٩/٥، غير أن يشوع أطلق عليه هذا الاسم الذي سمي به بعد ذلك بأيام قلائل.

(١) جاء في سفر يشوع ٥/ ٢ ـ ٩: في ذلك الوقت قال الرب ليشوع: اصنع لنفسك سكاكين من صَوّان، وعُد فاختِن بني إسرائيل ثانية. فصنع وختنهم في تل القُلَف. وسبب ذلك أن جميع الشعب الخارجين من مصر الذكور جميع رجال الحرب ماتوا في البرية على الطريق بخروجهم من مصر، لأن جميع الشعب الذين خرجوا كانوا مختونين، وأما جميع الشعب الذين ولدوا في القَفْر على الطريق بخروجهم من مصر فلم يختتنوا، لأن بني إسرائيل ساروا أربعين سنة في القفر حتى فني جميع الشعب الخارجين من مصر الذين لم يسمعوا لقول الرب... وأما بنوهم فأقامهم مكانهم، فإياهم ختن يشوع، لأنهم كانوا قُلفاً إذ لم يختنوهم في الطريق. وكان بعدما انتهى جميع الشعب من الاختتان أنهم أقاموا في أماكنهم في المحلَّة حتى برئوا. وقال الرب ليشوع: قد دحرجت عنكم اليوم عار مصر. فدُعي اسم ذلك المكان الجلجال إلى هذا اليوم.

وجاء في سفر التكوين ١٧/ ٩ ـ ١٤: وقال الله لإبراهيم: وأما أنت فتحفظ عهدي أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم، هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك، يُختن منكم كل ذكر، فتختنون في لحم غرلتكم، فيكون علامة عهد بيني وبينكم، ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر في أجيالكم... فيكون عهدي في لحمكم عهداً أبدياً، وأما الذكر الأغلف الذي لا يختن في لحم غرلته، فتُقطع تلك النفس من شعبها، إنه قد نكث عهدي.

أما تقدير الأعمار، فيظهر أن ابن حزم رحمه الله استنتجه من مدة التيه ومدة بقائهم مع موسى قبل موته.



[مزامير داود]

وأما الكتاب الذي يسمونه الزبور[1].

---

[1] هذا السفر مجموعة أناشيد، أصبحت فيما بعد رسمية، وكثر استعمالها في رتب الهيكل واجتماعات دينية أخرى، فالصلاة العمومية تصبح أحياناً نشيداً يُغنَّى، وترافقه آلات الموسيقى. والأدب اليهودي الديني يحتوى على مجموعات من هذه الأناشيد، كنشيد الأولاد الثلاثة في سفر دانيال. يحتوي على (١٥٠) مزموراً، وهي مشتركة بين النص العبراني والترجمة اليونانية السبعينية التي تتبعها الفولغاتا اللاتينية، باستثناء قطعة غير قانونية زائدة، أضيفت في نهاية بعض المحفوظات اليونانية. غير أن الترقيم يختلف من عند مزمور الفولغاتا التاسع، فهو مقسوم في النص العبراني إلى مزمورين هما التاسع والعاشر، ثم يحدث العكس عند المزمور (١٤٩) في العبراني حيث يُجمع المزمور (١٤٦) والمزمور (١٤٧) في مزمور واحد حسب التراجم، وبذلك يتفق الترقيم في النهاية. والمؤلفات الدينية تتبع أحد الترقيمين أو تذكرهما سوية.

وهو ليس مقسماً تقسيماً دقيقاً وفقاً لنظام المواضيع، وليس في الفولغاتا ولا السبعينية ما يشير إلى أي نوع آخر من التقسيم، غير أن النص العبراني يقسمه إلى خمسة أجزاء، وذلك بإدخال (٥٣) تحميدة بعد كل من المزامير (٤١، ٧٢، ٨٩، ١٠٦). إن تنوع المواضيع المطروقة لا يسمح بجمعها كلها وفقاً لترتيب دقيق محصور بعدد صغير من العناوين. [الحواشي ص٥٢ ـ ٥٣].

وقد اختلف أهل الكتاب في اسم الكاتب، ولا يعرف على وجه اليقين مُصَنِّف كل مزمور:

١ ـ قال قدماء علماء اليهود: هذه المزامير من تصنيف آدم وإبراهيم وموسى وأساف ـ وهو رئيس المغنِّين في عهد داود، وقد عيَّنه في هذا المنصب، واشتهر فيما بعد بأنه شاعر ونبي، وإليه تنسب المزامير (٥٠ و٧٣ و٨٣) ـ وهمَّان، وجدوتهن، وثلاثة أبناء قورح ـ وهم مغنون في عهد داود ـ أما داود فقد جمعها في مجلَّد واحد ليس غير.

٢ ـ وذهب فارجن وكريزاستم واكستاين وغيرهم من قدماء النصارى إلى أن هذا الكتاب كلَّه من تصنيف داود، لكن هليري وجيروم ويوسيفس وغيرهم أنكروا هذا القول. قال هورن: هذا القول غلط محض.

٣ ـ وقال كامت: صنف داود منها خمسة وأربعين، وما تبقَّى من تصنيف آخرين.

٤ ـ وقال هورن: المختار عند المتأخرين من علماء اليهود وجميع مفسري النصارى أنه من تصنيف موسى وداود وسليمان وأساف وهمان وأتهان وجدوتهن وثلاثة أبناء قورح. =

○ [ما فيه من الأغلاط]:

ففي المزمور الأول منه: قال لي الرب: أنت ابني، أنا اليوم ولدتك.

قال أبو محمد رَحِمَهُ اللَّهُ: فأيُّ شيء تنكرون على النصارى في هذا الباب؟!

ما أشبه الليلة بالبارحة(1).

= واختلفوا أيضاً في زمن جَمْعها في كتاب واحد:

- قال بعض المفسرين: صنف بعضها في زمان مقابيس. غير أن هورن ضعَّف هذا القول.
- وقال بعضهم: جُمعت في زمن داود.
- وقال غيرهم: جمعها أحبَّاء حِزقيال في زمانه.
- وقال آخرون: جمعت في أزمنة مختلفة.

جاء في الحواشي ص٥٢: افترض البعض قديماً أن قسماً كبيراً من المزامير هو من عصر المكابيين، لكن ثَمَّة ما يدعو إلى التسليم بأن المجموعة اكتملت أو كادت خلال القرن الثاني مما ينفي ذلك. وينم الكثير من المزامير بسبب مواضيعها عن تاريخ يعود إلى ما بعد السبي كالمزمور (١١٩) الذي يمدح شريعة موسى، ويبدو كصدى لسفر عزرا، ولا مانع من إعطاء غيرها من المزامير وبخاصة التي تنشد الملكية تأريخاً أقدم بكثير.

وذكر الشيخ رحمة الله الهندي في إظهار الحق ١/ ٧٠ ـ ٧١ أنه وجد في الترجمة الفارسية المطبوعة عام ١٨٤٥م الجملة ٧٢/ ٢٠ وترجمتها: «وقد انتهت أغنية داود بن يسَّى» وقال: هذا هو المزمور رقم (٧١) في التراجم العربية، وهذه الجملة ساقطة منها. اهـ.

ولدى الرجوع إلى النسختين اللتين لديَّ وجدت أن المزمور (٧٢) المنسوب لسليمان يتألف من (١٩) جملة، وفي آخره عبارة: «تمت صلوات داود بن يَسَّى» منفصلة عن . . . دون أن تعطى رقماً. هذا في طبعة البروتستانت. أما في طبعة الكاثوليك، فهذا المزمور يأخذ رقم (٧٢) ويتألف من (٢٠) جملة، فقد أعطيت تلك العبارة رقم (٢٠) وألحقت بالمزمور. وهذا كله تحريف.

ومن الجدير بالذكر أن بعض الباحثين ـ ومنهم الدكتور جوهرة ـ يرى أن مزامير داود منقولة حرفياً وبدون تصرُّف من أناشيد أخناتون أولِ فرعون اعتمد ديانة التوحيد في مصر، وبخاصة المزمور الرابع بعد المئة، فثمة تشابه بينه وبين ترتيلة أخناتون إلى قرص الشمس أتون، بل يكاد يكون نسخة طبق الأصل عنها. قال سهيل ديب في كتابه التوراة بين الوثنية والتوحيد ص٥٩: والظاهر أن شخصاً ما حفظ النشيد الأخناتوني فترة، ثم حاول إعادة كتابته بلغة جديدة لإعجابه به، وبشروط دينية لها طقوسها الخاصة، فلم تسعفه شاعريته كثيراً.

(1) جاء في المزمور ٢/ ٧ ـ ٩: إني أُخبِر من جهة قضاء الرب، قال لي: أنت ابني، أنا اليوم ولدتك، اسألني فأعطيك الأمم ميراثاً لك، وأقاصي الأرض ملكاً لك، تحطِّمهم بقضيب من حديد، مثل إناء خزف تكسِّرهم. لا ريب أن اليهود يزعمون أن الخطاب هنا لداود عليه السلام =

وفيه أيضاً: «أنتم بنو الله، وبنو العَلِيِّ كلكم».

وهذه أطمُّ من التي قبلها، ومثل ما عند النصارى أو أنتن[1].

وفيه في المزمور الرابع والأربعين منه: «عرشك يا الله في العالم، وفي الأبد قضيب العدل قضيب ملكك، أحببت الصلاح، وأبغضت المكروه، من أجل ذلك دَهَنك إلٰهك بزيت الفرح بين أشراكك»[2].

قال أبو محمد رَحِمَهُ اللهُ: هذه سوءة الأبد، ومضيعة الدهر، وقاصمة الظهر، وإثبات إلٰه آخر على الله تعالى، دَهَنه بالزيت إكراماً له، ومجازاة على محبته الصلاح، وإثبات أشْراك الله تعالى، وهذا دين النصارى بلا مؤونة، ولكن إثبات إلٰه دون الله، وقد ظهر عند اليهود هذا علانية، على ما نذكر بعدُ إن شاء الله تعالى.

وبعده بيسير يخاطب الله تعالى: «وقفتْ زوجتك عن يمينك، وعقاصها من ذهب، أيتها الابنة اسمعي، وميلي بأذنيك وأبصري، وآنسي عشيرتك وبيت أبيك، فيهواك الملك، وهو الربُّ والله، فاسجدي له طوعاً».

= فقد ملك ملكاً لم ينله أحد من بعده. جاء في الحواشي ص١٩: هذا المزمور بغير عنوان، لكن اتفق الآباء الشرقيون والغربيون وربانيو اليهود أيضاً على أن مصنِّفه داود، فإن نَفَسَه أشبه بنفس داود. ثم قال عن هذه الجملة: هذا الوصف أصدق على يسوع الذي لا يفتر عن الهذيذ في شريعة أبيه والمثابرة على ابتغاء طاعته، ولذلك كافأه بالقيامة المجيدة. اهـ.

ولا حجة فيه لهم لأنه لا ينطبق على المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ فإنه لم يحطم أحداً بقضيب من حديد، ولم يكسر أعداءه، بل يزعمون أن أعداءه تمكنوا منه وكسروه وصلبوه. ثم إن النص يدل على أن هذا الابن أصغر من أبيه، وهم يقولون عن المسيح: «إله تام من إله تام».

[1] جاء في المزمور ٢٩/١: قدِّموا للرب يا أبناء الله، قدِّموا للرب مجداً وعزاً، قدِّموا للرب مُجِّد اسمه، اسجدوا للرب في زينة مُقَدَّسة.

جاء في الحواشي ص٢٢: كان داود بعد انقضاء الوباء قد كرَّس بيدر أنان موضعاً لبيت الله.

[2] جاء في المزمور ٤٥/٦ ـ ٧: كرسيك يا الله إلى دهر الدهور، قضيب استقامة قضيب ملكك، أحببتَ البِر وأبغضت الإثم، من أجل ذلك مسحك الله بِدُهْن الابتهاج أكثر من رفقائك.

وعند الكاثوليك: عرشك يا الله إلى الدهر والأبد، وصولجان ملكك صولجان استقامة، أحببت البر وأبغضت النفاق، لذلك مسحك إلٰهك يا الله بدهن البهجة أفضل من شركائك.

وابن حزم رَحِمَهُ اللهُ يستخدم ترقيم الكاثوليك.

قال أبو محمد رَحِمَهُ اللَّهُ: ما شاء الله كان، أنكرنا الأولاد فأتونا بالزوجة والأختان، تبارك الله، فما نرى لهم على النصارى فضلاً أصلاً، ونعوذ بالله من الخذلان[1].

وفيه في المزمور الموفي مئة وسبعاً: «قال الرب لربي: اقعد على يميني حتى أجعل أعداءك كرسيَّ قدميك».

قال أبو محمد رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا كالذي قبله في الجنون والكفر، رَبٌّ فوق رب، وربٌّ يقعد عن يمين رب، وربٌّ يحكم على ربٍّ. ونعوذ بالله من الخذلان[2].

---

[1] جاء في المزمور ٤٥/٩ ـ ١١: بناتُ ملوكٍ بين حظياتك، جُعلت الملكة عن يمينك بذهب أُوفير.
اسمعي يا بنتُ وانظري وأميلي أذنك، وانسَي شَعْبك وبيت أبيك، فيشتهي الملك حسنك، لأنه هو سيدك، فاسجدي له. وعند الكاثوليك: إنه هو السيد إلٰهك وله تسجدين.

[2] جاء في المزمور ١١٠/١ ـ ٢: قال الرب لربي: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك، يرسل الرب قضيب عزك من صهيون، تَسَلَّطْ وَسْط أعدائك.
وعند الكاثوليك ١٠٩/١: قال الرب لسيدي: اجلس عن يميني...
وهذه العبارة تفيد وجود إلٰهين، أحدهما أقوى من الآخر، فمن الربُّ المتكلم؟ ومع أي رب آخر يتكلم؟ ويبدو أن النص العبري على النحو التالي: «قال يهوه لأدوناي» وذلك بسبب تعدد أسماء الإلٰه عند اليهود، وقد كان هذا التعدُّد أكبر مصدر للصعوبات والأخطاء بالترجمة، وكان يبلغ أشده عندما تتناقض التسميات في متن واحد، أو في عبارة واحدة، فتجعل النص غريباً طريفاً، غير أن المصيبة هنا أعظم، لأن يهوه غير أدوناي، فإن أحدهما يحاور الآخر، وأحدهما أقوى وأتم. [التوراة بين الوثنية والتوحيد ص٣٠ ـ ٣٣].
وجاء في المزمور نفسه ١١٠/٤ ـ ٦: أقسم الرب ولن يندم، أنت كاهن إلى الأبد على رتبة مَلْكي صادَق ـ وعند الكاثوليك: ملكيصادَق ـ الرب ـ وعند الكاثوليك: السيد ـ عن يمينك، يحطِّم في يوم رجزه ـ وعند الكاثوليك: غضبه ـ ملوكاً، يدين بين الأمم.
فمن يجلس على يمين من؟ من المتكلِّم ومن المخاطب؟ هل المخاطب داود صاحب المزمور؟ والإلٰهان يَهْوه، وأدوناي، يجلس أحدهما عن يمين الآخر، دون أن يُعرف من منهما إلى اليسار، ومن منهما إلى اليمين؟ هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية هل ندم الرب سابقاً على قرار اتخذه متعجلاً فيه، ولذلك يقسم الآن أنه لن يندم؟
الموسوعة اليهودية إنما تشير في العمود (١٢٨٨) إلى صعوبة تفسير النص دون أن تعلِّق عليه بشيء. [التوراة بين الوثنية والتوحيد ص٣٣ ـ ٣٤ و٣٨].
وقد استغل النصارى هذا الاضطراب في النص، ففسروه وَفْق عقيدتهم غير عابئين بما يحمله من معان أخرى تناقض ادعاءهم. جاء في الحواشي ص٢٩: «هذا المزمور أسمى المزامير كلها، وقد تضمن وصف كل عظمة راهنة للمسيح ولملكوته الأبدي وكهنوته الدائم، =

= المؤسَّسَيْن على ميلاده الأزلي، وهو ينقسم إلى قسمين: الأول (١ ـ ٤) المتكلم فيه هو الله نفسه مخاطباً المسيح، والثاني (٥ ـ ٧) يتكلم فيه داود عن المسيح».

ويظهر من النص أن رتبة ملكيصادق رفيعة جداً، فمن ملكيصادق عند أهل الكتاب؟

جاء في سفر التكوين ١٤/١٧ ـ ٢٠: فخرج ملك سَدوم لاستقبال أبرام بعد رجوعه من كسر كَدَرْ لَعَمْوَمَر والملوك الذين معه... وملكي صادق ملكُ شاليم أخرج خبزاً وخمراً، وكان كاهناً لله العلي، وباركه وقال: مبارك أبرام من الله العلي مالك السموات والأرض، ومبارك الله العلي الذي أسلم أعداءك في يدك.

وفي التوراة السامرية: والملك العادل ملك ساليم أخرج طعاماً وخمراً، وهو إمام للقادر العالي، وبارك أبرام...

فهو كاهن وملك، ولا شك أنه أدنى رتبة وفضلاً من إبراهيم عليه السلام ومع ذلك ادَّعى النصارى أن داود عليه السلام يتكلم عن المسيح عليه السلام ويشبِّهه بملكي صادق، ويجعله مساوياً له في الرتبة. جاء في الحواشي ص٢: تقديم الخبز والخمر على يد ملكيصادق هي رمز وإيماء إلى ذبيحة الأفخارسيتا. واحتجوا بأقوال بولس.

فقد جاء في رسالته إلى العبرانيين ٥/٦: أن الرب قال للمسيح: أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق.

وفي ٦/٢٠: حيث دخل يسوع كسابق لأجلنا صائراً على رتبة ملكي صادق رئيس كهنة إلى الأبد.

وفي ٧/١ ـ ٣: لأن ملكي صادق هذا ملكَ ساليم كاهنَ الله العلي الذي استقبل إبراهيم راجعاً من كسره الملوك وباركه... المتَرْجم أولاً ـ وعند الكاثوليك: الذي تفسير اسمه أولاً ـ ملك البر ثم أيضاً ملك سالم، أي ملك السلام، بلا أب بلا أم بلا نسب، لا بداءة أيام له، ولا نهاية حياة، بل هو مشبه بابن الله هذا يبقى كاهناً إلى الأبد.

وفي ٧/١١ ـ ١٢: فلو كان بالكهنوت اللاوي كمال، إذ الشعب أخذ الناموس عليه، ماذا كانت الحاجة بعد إلى أن يقوم كاهن آخر على رتبة ملكي صادق، ولا يقال على رتبة هارون، لأنه إن تغير الكهنوت بالضرورة يصير تغيُّر للناموس أيضاً.

وفي ٧/١٥ ـ ١٧: وذلك أكثر وضوحاً أيضاً إن كان على شبه ملكي صادق يقوم كاهن آخر، قد صار ليس بحسب ناموس ـ وعند الكاثوليك: ومما يزيد الأمر وضوحاً أنه يقوم على مشابهة ملكيصادق كاهن آخر لا ينصب حسب ناموس ـ وصيته جسدية، بل بحسب قوة حياة لا تزول، لأنه يشهد أنك كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق.

جاء في حواشي الكتاب المقدَّس ص٤٩٨ عن ٧/١: المعنى أن ملكي صادق لا يذكر أبواه في الكتاب المقدَّس ولا نسبه. ثم إن كل ما قيل في ملكيصادق إنما كان نبوءة ورمزاً يشير إلى المسيح واسمه واسم مدينته وملكه وميلاده ومدة حياته ومدة كهنوته.

وعن ٧/١١: إن بولس فيما ذكر إلى هذا الموضع قد بين فضل ملكيصادق وكهنوته على الكهنوت اللاوي ونسخه بظهور كهنوت المسيح الجاري على رتبة ملكيصادق. =

وفيه في المزمور السادس والثمانين منه: يقول روح القدس لصهيون: يقال رجل، ورجل ولد فيها، وهو الذي أسسها الرب العلي، الذي خلقها عند مكتنه الأمة[1].

قال أبو محمد رَحِمَهُ الله: هذا دين النصارى الذي يشنعون به عليهم من أن الله ولد صهيون. لو انهدمت الجبال من هذا ما كان عجباً[2].

وفيه في المزمور السابع والسبعين منه: الربُّ قام كالمنتبه من نومه، كالجبار الذي يقر به أثر الخمار، كما يقوم الجريش.

وفيه: اتقوا ربكم الذي قوته كقوة الجريش[3].

قال أبو محمد رَحِمَهُ الله: ما سمع في الحمق اللفيف، ولا في الكفر السخيف

= وعن ١٧/١٧: فيه بيان جلي لحقيقة ذبيحة القُدّاس الإلهي... والمراد برتبة ملكيصادق ما ورد في التكوين ١٨/١٤، وإنما قدم المسيح هذه الذبيحة تحت الشكلين المذكورين في العشاء السري، وحينئذ وضع ذبيحة القداس الإلهي.اهـ.

وإن المفكر ليعجب إذا كانوا يزعمون أن المسيح عليه السلام إله تام قد أعلن ذاته للإنسان، فكيف يضعونه في رتبة كاهن هو أدنى رتبة من الأنبياء، هل يقبل كاردينال أو بطريرك أن يقال له: أنت في خدمة الله إلى الأبد على رتبة الشماس؟ ثم إن مملكة ملكيصادق مادية على أرض وشعب، فكيف يُشبِّهون المسيح به، وهم يقولون: إن مملكته روحية؟!

ويظهر أن ملكيصادق شخص أسطوري، كشأن الكثيرين من أبطال العهد القديم، لكن بولس استغل ذلك ليدلل على ألوهية المسيح وفكرة الفداء.

[1] جاء في المزمور ٨٧/ ٥ ـ ٦: ولصِهيون يقال: هذا الإنسان وهذا الإنسان ولد فيها، وهي العلي يُثَبِّتها، الرب يَعُدُّ في كتابة الشعوب أن هذا ولد هناك. سِلَاه.

وعند الكاثوليك ٨٦/ ٥ ـ ٦: وعن صهيون يقال: قد ولد فيها إنسان وإنسان، والعلي هو الذي شيَّدها، الرب يحصي في رقم الشعوب أن أولئك قد ولدوا هنا. سِلاه.

[2] يشير رَحِمَهُ الله إلى الآيات الكريمات في سورة مريم: ٨٧ ـ ٩٥: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾.

[3] جاء في المزمور ٧٨/ ٦٥ ـ ٦٦: فاستيقظ الرب كنائم، كجبار مُعَيط من الخمر ـ وعند الكاثوليك: ومثل الجبار الذي رانت عليه الخمر ـ فضرب أعداءه إلى الوراء ـ وعند الكاثوليك: في المؤَخَّر ـ جعلهم عاراً أبدياً.

بمثل هذا الفعل، مرة يشبه قيام الله تعالى بالمنتبه من نومه، وقد علمنا أنه لا يكون المرء أكسل ولا أحوج إلى التمدد، ولا أثقل حركة منه حين قيامه منه. ومرة يشبهه بجبار ثَمِل، وما عُهد للمرء وقت يكون فيه أنكد ولا أثقل عينين، ولا أخبث نفساً، ولا آلم صداعاً، ولا أضعف عويلاً منه في حان الخمار. ومرة يمثله بالجريش، وما الجريش؟ والله ما هو إلا ثور من الثيران بقَرْن في وسط رأسه. حاش لله من هذه النحوس التي حَقٌّ من يؤمن بها السَّوْط حتى يعتدل دماغه، أو يُحَمَّق بالكل، ويقْذف الناس بالحجارة، ويسقط عنه الخطاب، ونعوذ بالله من البلاء.

وفيه من المزمور الحادي والثمانين: قام الله في مجتمع الآلهة، وقف إلٰه العزة في وسطهم يقضي(١).

وهذه حماقة ممزوجة بكفر سمج: مجتمع الآلهة، وقيام الله بينهم، ووقوفه في وسط أصحابه. ما شاء الله كان، ألا إن هذا أخبث من قول النصارى، لأن الآلهة عند النصارى ثلاثة، وهم عند هؤلاء السَّفَلة الأراذل جماعة. ونعوذ بالله من الخذلان.

وفيه من المزمور الثامن والثمانين: من ذا يكون مثل الله في جميع بني الله.

وبعده يقول: إن داود يدعوني والداً، وأنا جعلته بكر بنيَّ.

وبعده: إن عرش داود يبقى ملكه سرمداً أبداً(٢).

---

(١) جاء في المزمور ٨٢/ ١: الله قائم في مجمع الله، في وسط الآلهة يقضي.
وعند الكاثوليك ٨١/ ١: الله قائم في جماعة الله، يقضي على بواطن الآلهة.

(٢) جاء في المزمور ٨٩/ ٣ ـ ٤: قطعت عهداً مع مختاري، حلفت لداود عبدي، إلى الدهر أثبت نسلك، وأبني إلى دور فدور كرسيك. وعند الكاثوليك: لأثبتن نسلك إلى الأبد، ولأبنين عرشك إلى جيل فجيل.
٨٩/ ٦ ـ ٧: لأنه من في السماء يعادل الرب؟ من يشبه الرب بين أبناء الله.
٨٩/ ٢٠: وجدت داود عبدي، بدهن قدسي مسحته.
٨٩/ ٢٦ ـ ٣٧: هو يدعوني أبي أنت، إلهي وصخرة خلاصي، أنا أيضاً أجعله بكراً أعلى من ملوك الأرض، إلى الدهر ـ وعند الكاثوليك: إلى الأبد ـ أحفظ له رحمتي، وعهدي يُثَبَّتُ له، وأجعل له إلى الأبد نسله وكرسيه مثلَ أيام السموات. إن ترك بَنُوه شريعتي ولم يسلكوا بأحكامي، إن نقضوا فرائضي ولم يحفظوا وصاياي، افتقد بعصاً معصيتَهم، وبضرباتٍ إثْمَهم، أما رحمتي فلا أنزِعها عنه ولا أكذب من جهة أمانتي، لا أنقض عهدي، ولا أغيِّر ما خرج من =

قال أبو محمد رَحِمَهُ اللَّهُ: هذه كالتي قبلها، صارت الآلهة قبيلة وبني أب، وكان فيهم واحد، هو سيدهم، ليس فيهم مثله، والآخرون فيهم نقص بلا شك. تعالى الله عن ذلك، ونحمده كثيراً على نعمة الإسلام، ومِلَّةِ التوحيد الصادقة، التي تشهد العقول بصحتها وصحة كل ما فيها، مع كذب الوعد في بقاء ملك داود سرمداً.

وفيها مما يوافق قول الملحدين الدَّهْرية: الناس كالعشب، إذا خرجت أرواحهم نسوا، ولا يعلمون مكانهم، ولا يفهمون بعد ذلك[1].

قال أبو محمد رَحِمَهُ اللَّهُ: وإن دين اليهود ليميل إلى هذا مَيْلاً شديداً؛ لأنه ليس في توراتهم ذكر المعاد أصلاً ولا الجزاء بعد الموت. وهذا مذهب الدهرية بلا كلفة، فقد جمعوا الدهرية والشك والتشبيه وكل حُمْق في العالم، على أنَّ فيه ـ بما أطلقهم الله على تبديل ما شاء رَفعَه من كتابهم، وكف أيديهم عما شاء إبقاءه ـ

= شفتي، مرة حلفتُ بقدسي أني لا أكذب لداود، نسله إلى الدهر يكون، وكرسيه كالشمس أمامي، مثل القمر يثبت إلى الدهر، والشاهد في السماء أمين.

ولو كان هذا النص موثقاً لكان منوطاً بثباتهم على الصلاح والتقوى، لكن يبدو أنه من صنعهم ووضعهم، فإنهم لما ارتدوا وطَغَوا وبغَوا تخلَّى الله عن نصرتهم، وأسلمهم إلى أعدائهم، فخاطبوه بوقاحة. جاء في المزمور ٨٩/٢٨ ـ ٤٣: لكنك رفضتَ ورَذَلْت، غضبت على مسيحك، نقضت عهد عبدك، نجست تاجه في التراب، هدمت كل جدرانه، جعلت حصونه خراباً. . . فَرَّحْتَ جميع أعدائه، أيضاً رددت حدَّ سيفه، ولم تنصره في القتال.

جاء في الحواشي ص٢٧: «المتكلم في هذا المزمور هو شعب إسرائيل، يُذكِّر اللهَ المواعيد التي وعد بها داود، ثم يأسف على أن ما هو فيه من الحالة لا يظهر منه موافقة لهذه المواعيد».

سبحان الله! عذر أقبح من ذنب، هل الله سبحانه بحاجة إلى تذكير؟ وهل يُخلف الله وعده؟

ولو قالوا: يدعونَه ويعلنون التوبة والندم، ويرجونه العود إلى ما كانوا عليه من النصرة التي حبا الله صالحيهم بها، لَبَرِئوا من هذه الإساءة.

[1] جاء في المزمور ٩٢/٧: إذا زها الأشرار كالعشب، وأزهر كل فاعلي الإثم، فلكي يبادوا إلى الدهر.

وعند الكاثوليك ٩١/٨: إذا نبت المنافقون كالعشب، وأزهرَ فاعلو الإثم جميعاً، فإنما هو ليستأصلوا إلى الأبد.

وفي سفر الجامعة ٩/٤ ـ ٥: الكلب الحي خير من الأسد الميت، والأحياء يعلمون أنهم سيموتون، أما الأموات فلا يعلمون شيئاً، وليس لهم من جزاء بعد إذ قد نُسي ذكرهم.

حجةً لنا عليهم، ومعجزةً لنبينا ﷺ[1].

[من المبشر به؟]

وفي المزمور الحادي والستين منه أن العرب وبني سبأ يؤدون إليه المال ويتبعونه، وأن الدم يكون له عنده ثمن.

وهذه صفة الدية التي ليست إلا في ديننا.

وفيه أيضاً: ويظهر من المدينة. هكذا نصاً.

وهذا إنذار بَيِّن برسول الله ﷺ[2].

---

[1] تكاد أسفار العهد القديم، وبخاصة التوراة، تكون خالية من التصريح بالبعث والنشور والثواب والعقاب في الآخرة، مع أن هذه الأمور من أهم ما يذكر في مثل هذا الكتاب، فلو كانت هذه الأسفار التي بأيدي أهل الكتاب هي نفسها التي أنزلها الله على موسى وسائر الأنبياء، لما جاز أن تخلو من التصريح والتأكيد على هذه الأمور، وتعدل عنها إلى الثواب والعقاب في الدنيا، ولكنها طبائع اليهود وحرصهم على حياة. [تنقيح الأبحاث ص٤٠، اليهودية لأحمد شلبي ص٢٠٢].

[2] جاء في المزمور ٧٢/٨ ـ ١٧: ويملك من البحر إلى البحر، ومن النهر إلى أقاصي الأرض. أمامه تجثو أهل البرية ـ وعند الكاثوليك: أهل البادية ـ وأعداؤه يلحسون التراب، ملوك تَرْشيش والجزائر يرسلون تقدمة ـ وعند الكاثوليك: يحملون إليه الهدايا ـ ملوك شبا وسبأ يقدمون هدية ـ وعند الكاثوليك: يقربون له العطايا ـ ويسجد له كل الملوك، كل الأمم تتعبد له، لأنه ينجي الفقير المستغيث والمسكين إذ لا معين له، يشفق على المسكين والبائس، ويخلص أنفس الفقراء من الظلم والخطف، يُفْدي أنفسهم، ويَكْرُمُ دمهم في عينيه ـ وعند الكاثوليك: من الظلم والغصب يفتدي نفوسهم، ويكون دمهم في عينيه ثميناً ـ ويعيش ويعطيه من ذهب شبا ويصلي لأجله دائماً، اليوم كله يباركه ـ وعند الكاثوليك: فيحيون ويؤدون إليه من ذهب شبأ، ويدعون له كل حين، النهار كله يباركونه ـ تكون حفنة بُر في الأرض في رؤوس الجبال، تتمايل مثل لُبنان ثمرتها، ويزهرون من المدينة مثل عشب الأرض، يكون اسمه إلى الدهر، قُدّام الشمس يمتد اسمه ويتباركون به، كل أمم الأرض يُطوِّبونه. وعند الكاثوليك: وتغبطه كل الأمم.

وهذا المزمور صيغ وركبت عباراته ليظهر أن المشار إليه فيه هو سليمان عليه السلام غير أنه يأبى ذلك لدى التأمل؛ فإنه عليه السلام لم يَجْثُ أمامه أهل البادية، ولم تدخل الملوك ولا الأمم في دينه، ولم يزهر أصحابه من المدينة، ولم يخلد اسمه لدى الدهر، ولم تتبارك به كل أمم الأرض، بل هو في اعتقادهم مشرك مرتد بنى معابد الأصنام، وأقام لها المذابح، وقرب لها القرابين بتأثير نسائه الكثيرات، ومات على الكفر، وبذلك تسبب في انقسام المملكة بعد موته. ولذلك استغل النصارى هذا الاضطراب في العبارات وعدم انسجام معانيها، فزعموا أن المسيح عليه السلام هو المقصود بالكلام. جاء في الحواشي على الكتاب المقدس ص٢٥: «في هذا المزمور تنويهٌ بملكوت المسيح، ومدته التي ستكون أبدية، ومداه الذي لا ينحصر ضمن حد». وليس الأمر =

= بمجرد الادِّعاء، وإنما هو بالبرهان والانسجام مع الواقع، فإن المسيح ﷺ لم يملك لا من البحر ولا من النهر، ولم يجْثُ أمامه أحد أو يلحس التراب، ولم يرسل إليه أحد من الملوك هدية، لا من ذهب ولا من غيره، ولم تخضع له أمة من الأمم، ولم يزهر أصحابه مثل عشب الأرض، بل كانوا مضطهدين معه خائفين قبل صلبه حسب زعمهم وبعده قرابة (٣٢٥) عاماً، فكيف تغبطه كل الأمم؟!

ويأبى النص أن يكون المراد به الملك الروحي أو المعنوي، بل هو تَعَسُّف في حمله على ذلك، لأنه لا يحتمله، فهو في زعمهم إلٰه تام، والإنسان إنما يغبط بمن مثله، لا بمن لا يستطيع أن يساميه. على أن في المزمور وغيره من أسفارهم كما قال ابن حزم حجةً لنا عليهم ومعجزةً لنبينا ﷺ فهو الذي امتد دينه إلى أقاصي الأرض، وجاء إليه أهل البادية ليعلنوا طاعتهم، وبخاصة في عام الوفود، ودخل الذين كانوا أعداءه في دينه، فسجدوا لله تعالى ووضعوا جبهتهم وأنفهم على الأرض، وحملت إليها الهدايا من هرقل ملك الروم، والمقوقس عظيم القبط والنجاشي ملك الحبشة وغيرهم من العظماء، ومن أركان دينه الزكاة، حيث تؤخذ نسبة معينة من أموال الأغنياء، وتوزع على الفقراء على وجه الحتم والإلزام، وفي شريعته إعتاق الرقاب المسترقة بصورة حثيثة، وفي تشريعه دية من قتل خطأ أو بالتسبب، وكذلك دية من قتل عمداً عند عفو أولياء دم المقتول، ومن أركان دينه الصلاة، وقد فرض الله عليه وعلى أمته خمس صلوات في اليوم والليلة، وسنَّ لهم النبي ﷺ صلاة النوافل، ويُصَلَّى عليه كلما ذكر اسمه، فتتبارك به، وتغبطه كل أمم الأرض، ولا نهاية لدينه، ويبقى الكتاب الذي أنزله عليه سليماً بإذن الله إلى أن تقوم الساعة. فهذه الصفات لا تتحقق إلا في خاتم الأنبياء، والواقع والتاريخ يشهد بذلك، ومن دفعها عنه، فلن يجد أحداً يستحقها.

هذا، وقد جاء في المزمور ١١٨/ ٢٢ ـ ٢٣: الحجر الذي رفضه ـ وعند الكاثوليك: رذَله. وفي بعض الترجمات: أخره ـ البناؤون، قد صار رأس الزاوية. من قبل الرب كان هذا، وهو عجيب في أعيننا.

وسبب العجب أن اليهود كانوا يحتقرون العرب أولاد إسماعيل غاية الاحتقار، فإذا صار أحدهم رأس الزاوية كان عجيباً في أعينهم.

ويؤيد ذلك ما جاء في سفر التثنية ٣٢/ ٢١: هم أغاروني بما ليس إلٰهاً، أغاظوني بأباطيلهم، فأنا أغيرهم بما ليس شعباً، بأمة غبية أغيظهم.

والمراد العرب أولاد إسماعيل، فإنهم كانوا في غاية الجهل والضلال، ولم يكن عندهم اتجاه إلى العلم بل كان معظمهم أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وكانوا يعبدون الأصنام ويئدون البنات، ويغير بعضهم على بعض، فلم يكونوا شعباً واحداً متحداً. ووفى الله بما وعد فاستبدل بني إسرائيل العرب الأميين، وبعث رسولاً منهم لا ناسخ لدينه وشرعه، وأيده بنصره.

جاء في إنجيل متى ٢١/ ٤٢، ولوقا ٢٠/ ١٧: قال لهم يسوع: أما قرأتم قط في الكتب: الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية، من قبل الرب كان هذا، وهو عجيب في أعيننا. =



[الأسفار المنسوبة إلى سليمان]

وأما الكتب التي يضيفونها إلى سليمان عليه السلام فهي ثلاثة[1]:

[نشيد الأنشاد]

أحدها يسمى شارهشير[2]، ثم معناه شعر الأشعار، وهو على الحقيقة هَوَس الأهواس لأنه كلام أحمق لا يعقل ولا يدري أحد مراده، إنما هو مرة يتغزل بمذكَّر، ومرة يتغزل بمؤنث، ومرة يأتي منه بَلْغَم لزِج بمنزلة ما يأتي به المصدوع والذي فسد دماغه، وقد رأيت بعضهم يذهب إلى أنه رموز على الكيمياء، وهذا وسواس آخر ظريف[3].

= متى ٢١/ ٤٣: لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله ينزع منكم، ويعطى لأمة تعمل أثماره.

متى ٢١/ ٤٤ ولوقا ٢٠/ ١٨: ومن سقط على هذا الحجر يترضرض، ومن سقط هو عليه يسحقه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنياناً، فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين». [رواه الشيخان وغيرهما] أي فكنت أنا اللبنة التي تم بها البناء، وختمت الأنبياء، فلا نبي بعدي.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله سبحانه قال لعيسى بن مريم: إني باعث بعدك أمة، إن أصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا، وإن أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا، ولا حلم ولا علم. قال: يا رب كيف هذا ولا حلم ولا علم؟ قال: أعطيهم من حلمي وعلمي». [أخرجه البزار].

[1] وأساليبها المتعدِّدة تدل على تعدّد كاتبيها. وبعض علماء اليهود لا يوافق على ضمِّ سِفْري الجامعة ونشيد الأنشاد إلى هذه الأسفار. وسيأتي بيان كل منها.

[2] استعمل هنا الأسماء العبرية. قال الدكتور إحسان عباس في تحقيقه كتاب الرد على ابن النغريلة ص١٥: صوابه شيرهشيريم.

[3] وهو نشيد غنائي، يتكون من ثلاثة فصول، تبدو على شكل قصائد، تنشد الحب البشري بصورة خيالية ومقاطع لا صلة بينها، ولذلك حار أهل الكتاب في تبرير وجود هذا السفر في الكتاب المقدس، وفي المعنى الذي تضمنته فصوله.

فاليهود يزعمون أن أنبياء بني إسرائيل كهوشع وإرمياء وحزقيال شبَّهوا علاقات الشعب =

[سفر الأمثال]

والثاني يسمَّى مثلا، معناه الأمثال، فيه مواعظ[1].

= المختار مع إلهه بعلاقات الزوجة بزوجها، ودخول هذا السفر في الكتاب المقدس تجاوب مع هذه الصفات بين إسرائيل وإلٰهه.

والنصرانية وريثة أسفار العهد القديم تزعم أنه يشير إلى اقتران السيد المسيح بالكنيسة، وقد وُصف ما يلابس هذا الاقتران بالحب الزوجي، وعلى كل من يقرؤه أن يتمثل معنى الحب المقدَّس، ويحمل عليه معنى ما يراه من ذكر العلائق الغرامية بين الزوجين، ولهذا كانت قراءة هذا السفر ـ كما قال أوريجانس والقديس أيرونيس ـ ممنوعة من الشبان والأحداث المنقادين بطبعهم إلى عِنان الشهوات.

ومنذ القديم ذهب بعضهم ـ ومنهم توادوروس الموبسيوتي ـ إلى أن النشيد في الأصل قصيدة نظمت لتنشد في أعراس الملوك أو غيرهم، وأيَّد ذلك كثير من الشراح العصريين وقد استعمل النشيد في الليتورجيا، فطبقت بعض مدائح العروس على العذراء، ولذلك لا يقرأ هذا السفر إلا القليل من النصارى، لأنه لا يلائمهم. [الحواشي ص٣٨ و٢/٢٢٦].

وذهب آخرون إلى رفضه، فقد ذم القِس تهيودور ـ وهو من القرن الخامس ـ هذا السِّفْر وسفر أيوب ذماً كثيراً. وكان سيمون وليكرك لا يسلِّمان بصدقه. وقال وستن وبعض المتأخرين: إنه غناء فَسَقة، فليخرج من الكتب المقدسة. وقال وارد الكاثوليكي: حكم كاستيلو بإخراجه من كتب العهد القديم، لأنه غناء نجس. وقال سِمْلر: الظاهر أن هذا الكتاب جعلي.

واختلفوا في مصنفه وزمنه: قال بعضهم إنه من تصنيف سليمان أو أحد معاصريه. وقال الدكتور كني كات وبعض المتأخرين: القول بأنه من تصنيف سليمان غلط محض، بل إنه صنف بعد مدة من وفاته. [إظهار الحق ١/ ٧٤ و١٧٤].

ويستخلص من لغته ومفرداته التي تتخلَّلها كلمات فارسية أنه يعود إلى عهد متأخر، على الرغم من بعض التلميحات إلى سليمان، فقد يكون من الجيل الرابع.

(١) قال الدكتور إحسان ص١٥: «هذه الصيغة السريانية، أما العبرية فهي (مشلا) بالشين».

ويحتوي هذا السفر على ضروب من حكم الحكماء (المشاليم) منسوبة إلى سليمان عليه السلام وينقسم إلى قسمين: الأول من الفصل الأول إلى التاسع، ويتضمن الحث على طلب الحكمة والعمل بمقتضاها. والثاني من الفصل العاشر إلى الأخير، ويتضمن أمثالاً أدبية وقواعد للسلوك، غير أن عدداً كبيراً من هذه الأمثال لا صفة دينية لها البتة، والعديد من عبارات الحكمة القديمة قد فقد أهميته ولم يعد مناسباً للحال. وهو مكون من واحد وثلاثين فصلاً.

ادَّعى بعضهم أنه كله من تصنيف سليمان مستنداً إلى ما جاء في ١/١: أمثال سليمان بن داود ملك إسرائيل. وفي ١٠/١: أمثال سليمان. وفي ٢٥/١: هذه أيضاً أمثال سليمان التي نقلها رجال حَزَقِيَّا ملكِ يهوذا.

وهذا باطل، يرده اختلاف المحاورة وتكرار الفقرات. وقد قطع كثير من المحقِّقين بأن =

وفيه أنه قال: «قبل أن يخلق الله شيئاً في البدء من الأبد أنا صرت، ومن القديم قبل أن تكون الأرض، وقبل أن تكون النجوم أنا قد كنت استلمت، وقد كنت ولدت وليس كان خلق الأرض بعد ولا الأنهار، وإذ خلق الله السماوات قد كنت حاضراً، وإذ كان يجعل للنجوم حداً صحيحاً، ويدق بها، وكان يوثق السماوات في العلو، ويقدر عيون المياه، وإذ كان يحدق على البحر بتخمه، ويجعل للمياه تخماً، لئلا تجاوز جَوْزها، وإذ كان يعلق أساسات الأرض، أنا معه كنت مهيِّئاً للجميع[1].

= تسعة الفصول الأولى ليست من تصنيف سليمان. أما ما بعدها، فيستند إلى مجموعتين: الأولى هي الفصول (١٠ ـ ٢٢)، والثانية (٢٥ ـ ٢٩)، ويسبقهما ويتخللهما ويتبعهما تتمات، يستحيل تحديد أصلها. ولو فرضنا أن بعض السفر من تصنيف سليمان، فلا شك أنه لم يُجمع في عهده، إذ إن ثانية المجموعتين قد تكون من عهد حزقيا، جمعها رجاله كما تشير الفقرة ٢٥/ ١، وهذا يعني أن هذا الجمع كان بعد (٢٧٠) سنة من وفاة سليمان عليه السلام ويبدو أنها أخذت شكلها النهائي بعد السبي. والمجموعة الأولى منفردة أو مجموعة قد تكون أقدم من عهد حزقيا.

أما الفصلان الأخيران، فثَمَّة خلاف كبير في واضعهما: فقد جاء في ٣٠/ ١: «كلام أجور بن مُتَّقِيَةٍ مَسّا، وَحْي هذا الرجل إلى إيتيئيل، إلى إيتئيل وأُكَّال. وعند الكاثوليك: كلام أجور بن ياقة، المقول الرزين، قول الرجل لإيتيئيل... وفي ٣١/ ١: كلام لموئيل ملكِ مسّا، علمته إياه أمه». وعند الكاثوليك: «كلام لموئيل الملك، مقول رزين، أدبته به أمه». ولم يتحقق للمفسرين من هذان الرجلان، ومتى كانا؟ كما لم تتحقق نبوءتهما، لكن أهل الكتاب على حسب عادتهم يقولون رَجْماً بالغيب: إنهما كانا نبيين، وإلا لما دخل هذان الفصلان في الكتب القانونية.

وادَّعى أكثر مفسري الكاثوليك أن لفظي أجور وياقة بمنزلة لقبين، الأول منهما معناه الجامع، وزعموا أن المراد به سليمان، والثاني معناه الحقائق، قالوا: وكأن المراد به داود. وأما لموئيل فادَّعوا أنه رمز إلى سليمان، لأنه لم يأت في ملوك إسرائيل ولا يهوذا ملك يُدعى بهذا الاسم. وإنك لترى أنهم إنما بنوا رأيهم على مجرد الظن دون أن يكون هناك برهان أو سند تقوم به حجة. [الحواشي ص٣٢ ـ ٣٣ و٢/ ١٦٦، إظهار الحق ١/ ٧٢ ـ ٧٣ و١٧٤].

[1] جاء في سفر الأمثال ٨/ ٢٢ ـ ٣١: الرب قَنَاني ـ وعند الكاثوليك: حازني ـ أول طريقه من قبل أعماله منذ القِدم، منذ الأزل مُسِحْت منذ البدء، منذ أوائل ـ وعند الكاثوليك: قبل أن كانت ـ الأرض، إذ لم يكن غَمْرٌ أبدئت، إذ لم تكن ينابيع المياه كثيرة ـ وعند الكاثوليك: ولدت حين لم تكن الغِمار والينابيع الغزيرة المياه ـ من قبل أن تَقَررت الجبال، قبل التلال أبدئت ـ وعند الكاثوليك: وُلدت ـ إذ لم يكن قد صنع الأرض بعد، ولا البراري ولا أعفار المسكونة، لما ثَبَّتَ السماوات كنت هناك أنا، لما رسم دائرة على وجه القمر، لما =

قال أبو محمد رَحِمَهُ اللهُ: فهل في الملحدة أكثر من هذا؟ وهل يضاف هذا الحمق إلى رجل معتدل؟ فكيف إلى نبي مرسل؟ وهل هذا الإشراك صحيح؟ وحاش لله أن يقول سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ هذا الكلام، تالله ما غبط أهلَ الإلحاد بإلحادهم إلا هذا ومثلُه. ورأيت بعضهم يُخرِّج هذا على أنه إنما أراد علم الله تعالىٰ[1].

قال أبو محمد رَحِمَهُ اللهُ: ولا يعجز من لا حياء له عن أن يقلب كل كلام إلى ما اشتهى بلا برهان. وصرفُ الكلام عن موضعه ومعناه إلى معنى آخر لا يجوز إلا بدليل صحيح غير ممتنع المراد في اللغة.

[سفر الجامعة]

والثالث يسمى فوهلت، معناه الجامعة[2].

= أثبت السحب من فوق، لما تشددت ينابيع الغَمر، لما وضع للبحر حده، فلا تتعدى المياه تُخمه، لما رسم أسس الأرض، كنت عنده صانعاً ـ وعند الكاثوليك: مهندساً ـ، وكنت كل يوم لذتَه، فَرِحةً دائماً قدامه، فرِحة في مسكونة أرضه، ولذاتي مع بني آدم.

[1] وقد خرجه النصارى على أنه الحكمة الأزلية، أي الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس، بتوجيه الإيماء تارة إلى لاهوت المسيح، وتارة إلى ناسوته. [الحواشي ص٣٤].

[2] قال الدكتور إحسان ص١٥: صوابه (قوهلت)، معناه الجوامع. اهـ.

ويدور الكلام في هذا السفر حول الزهد في الدنيا والاستعداد للحساب، فكل ما يدور تحت الشمس باطل، وليس في أحوال الإنسان ما يستحق التعظيم سوى عبادة الله، فظاهره تأمل في حياة البشر، غير أنه يحتوي على مشاكل واضطراب، فنجد فيه حكماً مبعثرة هنا وهناك، لكن الجزء الأكبر منه يشكل نوعاً من الفلسفة، هي نظرة في العالم، ويذهلنا ما نجد فيها من عدم تجانس وقلة سموّ، فأول ما يطالعنا به السفر موجة تشاؤم عميق، فالسعي وراء المعرفة والملذات باطل يشبه مطاردة الريح، ثم يبين مظالم الحظ وفوضى المجتمع ثم انتهاء الحياة بالموت الذي لا يغيره أمل بحياة أخرى، غير أن الحياة يمكن أن توفر بعض الملذات، فيجب التمتع بها. ويرى أن مصدر هذين الموقفين المتباينين هو الله، وحكمته تضبطهما، فعلينا أن نخافه ونكون مستعدين للمثول أمامه. ولذلك اعتقد الكثيرون أنه خليط من تآليف مختلفة مختلطة، وهو يتكون من اثني عشر فصلاً. [الحواشي ص٣٦ و٢٠٨ ـ ٢٠٩].

إن هذا السفر من أشد الأسفار غموضاً، ويبتدئ الغموض بشخص المؤلف الذي يدَّعي في الفصل الأول أنه ابن داود، وملك في أورشليم. جاء في ١/١: «كلام الجامعة ابن داود ملك أورشليم». وفي ١٢/١: «أنا الجامعة ملكتُ على إسرائيل بأورشليم». ولذلك قال بعضهم: إنه من تصنيف سليمان، فإن الوصف الذي ينعت به المؤلف نفسه ينطبق عليه. قالوا: ولفظ الجامعة كناية عن سليمان، وقد بحث في تفسيره وجوه، أدناها ما فسره به القديس إيرونيس من أن معناه الواعظ أو الخطيب، كأنه سُمِّي به أو سمى نفسه به، لجمعه الناس للخطبة والتعليم =

فيه أنه قال مخاطباً لله تعالى: «اخترني أميراً لأمتك، وحاكماً على بنيك وبناتك»[1].

وهذا كالذي سَلَف. وحاش لله أن يكون له بنون وبنات، لا سيما مثل بني إسرائيل في كفرهم في دينهم، وضعفهم في دنياهم، ورذالتهم في أحوالهم النفسية والجسدية.

= كتابة أو مشافهة. والتاء للمبالغة، فهو ليس اسم علم، بل وظيفة معينة. [الحواشي].

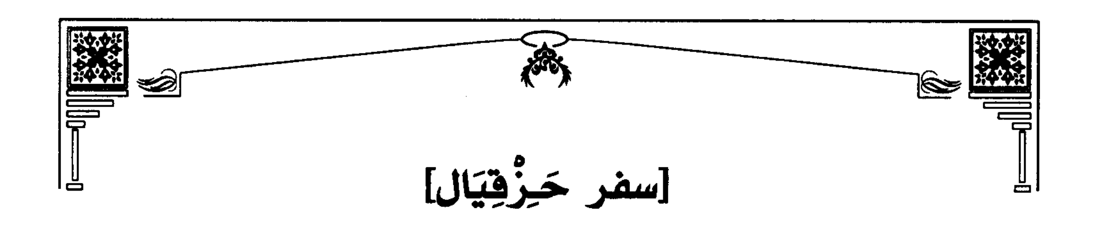
وكان يجب ألا تغشَّ هذه التسمية الوهمية أحداً، لأن في نهاية السفر خلاصة كتبتها يونانية. ولذلك لم يقبل هذا الكلام أكثر المحققين. قال العالم اليهودي الشهي ربفمجي: هو من تصنيف إشعياء. وفي التلمود أنه من تصنيف حزقيا. وقال كروتس: إنه زربابل صنفه لتعليم ابنه أبيهود. [إظهار الحق ١/ ٧٣ ـ ٧٤ و١٧٤].

لغته هي العبرية المتأخرة، ويبدو أن الكاتب أو الجامع استوحى بعض المواضيع من أصل إغريقي مما يحمل على الاعتقاد أنه كتب حوالي سنة ١٨٠ قبيل الهزات العنيفة وهزات اضطهاد انطيوخوس أبيفان وثورة المكابيين. [الحواشي ص٢٠٨ ـ ٢٠٩].

قال العالم النصراني جهان وبعض العلماء الألمان: صُنف بعدما أطلق بنو إسرائيل من أسر بابل.

وقال زرقيل: صنف في زمن أنتيوكوس إيبيفانس، وقد أخرجه اليهود من الكتب المقدسة بعدما أطلقوا من الأسر، لكنه أُدخل فيما بعد. [إظهار الحق ١/ ٧٣ ـ ٧٤ و١٧٤].

(١) لم أعثر على هذه العبارة في السفر.



[سفر حَزْقِيَال]

وفي كتاب حزقيال[1] يقول السيد: «سأمدُّ يدي على بني عيسو، وأُذهب عن أرضهم الآدميين والأنعام وأفقرهم، وأنتقم منهم على يد أمتي بني إسرائيل».

قال أبو محمد رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا ميعاد قد ظهر كذبه يقيناً، لأن بني إسرائيل قد بادوا جملة، وبنو عيسو باقون في بلادهم بنص كتبهم، ثم بعد ذلك باد بنو عيسو، فما على أديم الأرض منهم أحد نعرف أنه منهم، وصارت بلادهم للمسلمين، وسكانها لخم وغيرها من العرب، وبطل بذلك أن يَدَّعوا أن هذا يكون في المستقبل[2].

---

[1] حزقيال بن بوزي من السلالة الكهنوتية، كان في جملة من أجلي إلى بلاد بابل مع الملك يكنيا (يوياكين) بعد غزوة نبوخذنصر الأولى عام (٥٩٨ق.م)، كان يعظ المسبيِّين، حلَّ على ضفاف نهر الخابور (كوبار)، وفي السنة الخامسة من الجلاء حلَّت عليه النبوة كما يقول السِّفْر، فقد جاء في ١/١ ـ ٣: «كان في سنة الثلاثين في الشهر الرابع، في الخامس من الشهر، وأنا بين المسبيِّين عند نهر خابور أن السماوات انفتحت فرأيت رؤى الله. في الخامس من الشهر، وهي السنة الخامسة من سبي يوياكين الملك، صار كلام الرب إلى حزقيال الكاهن بن بوزي في أرض الكلدانيين عند نهر خابور. وكانت عليه هناك يد الرب». أعلن عن خطايا أورشليم، وحذَّر من سقوط يهوذا القريب وخراب أورشليم وهدم الهيكل ونفي السكان بسبب الخطايا، ثم استقبل المسبيِّين الجدد بعد سقوط أورشليم، وشرع في بناء الرجاء فيهم من خلال الوعود الإلٰهية، واستمر في ذلك إلى السنة السابعة والعشرين من الجلاء.

هذا السفر أكثر خيالاً من سائر أسفار العهد القديم، وقد ذكر أعمالاً رمزية كثيرة، بل إن بعضها كان بعبارات منافية للحشمة والأدب، كما في الفصل الثالث والعشرين. وهو يتكون من ثمانية وأربعين فصلاً، قسمه المفسرون إلى قسمين، تتقدمهما توطئة في بيان الرسالة، (الفصول ١ ـ ٣) والقسم الأول يتضمن النبوءات بالقضاء المنزل على مملكة يهوذا (الفصول ٤ ـ ٢٤) وعلى الشعوب الوثنية (الفصول ٢٥ ـ ٣٢)، والقسم الثاني يتضمن الرجاء الذي يعقب ذلك القضاء (الفصول ٣٣ ـ ٤٨). [الحواشي على الكتاب المقدس ص٦٦ و٢/٥٥٨ ـ ٥٥٩].

[2] جاء في سفر حزقيال ٢٥/١٣ ـ ١٥: هكذا قال السيد الرب: من أجل أن أدوم قد عمل بالانتقام على بيت يهوذا، وأساء إساءة وانتقَمَ منه، لذلك هكذا قال السيد الرب: وأمدُّ يدي على أدوم، وأقطع منها الإنسان والحيوان، وأصيرها خراباً، من التَّيْمن ـ وعند =

[سفر إشعياء]

وفي كتاب إشعياء[1] أنه رأى الله ﷻ شيخاً أبيض الرأس واللحية.

= الكاثوليك: تيمان ـ وإلى دادان يسقطون بالسيف، وأجعل نقمتي في أدوم بيد شعبي إسرائيل، فيفعلون بأدوم كغضبي وكسخطي ـ وعند الكاثوليك: بمقتضى غضبي وحَنَقي ـ فيعرفون نقمتي ـ وعند الكاثوليك: انتقامي ـ يقول السيد الرب.

جاء في الحواشي ص٧١: في هذا الفصل نبوءة بخراب العمونيين والموآبيين والأدوميين والفلسطينيين... لأنَّ جُلَّ ما يُقرِّع النبي عليه أولئك الشعوب هو عداوتهم لشعب الله وشماتتهم بخراب الهيكل وإهمال الرسوم الموسوية المقدسة.

فهل حدث هذا على يد شعب إسرائيل؟ نعم لقد عادوا من السبي، ولكن تحت مظلَّة الفرس وتحكمهم فيهم.

جاء في سفر حزقيال ٣٧/٢١ ـ ٢٦: وقل لهم: هأناذا آخذ بني إسرائيل من بين الأمم التي ذهبوا إليها وأجمعهم من كل ناحية وآتي بهم إلى أرضهم، وأصيرهم أمة واحدة... وملك واحد يكون عليهم كلهم... وأطهِّرهم فيكونون لي شعباً وأنا أكون لهم إلٰهاً، وداود عبدي يكون ملكاً عليهم... وعبدي داود رئيس عليهم إلى الأبد.

هل تحقق هذا؟ أين حكم داود المؤبد؟ فلينتظروا مسيحهم الدَّجال وما يحيق به وبهم على يد عيسى بن مريم عليه السلام.

وسبق في القسم الثاني من الأغلاط ادِّعاؤهم أن بني عيسو يخدمون بني يعقوب وتفنيد هذا الادعاء، فارجع إليه إن شئت.

[1] إشعياء بن آموص من الدم الملكي، فإن جدَّه وعمَّه وابن عمِّه تعاقبوا على مملكة يهوذا، ومع ذلك لا يعرف عن حياته إلا النزر اليسير. جاء في ١/١ من السفر المنسوب إليه: «رؤيا إشعياء بن آموص التي رآها على يهوذا وأورشليم في أيام عُزِّيّا ويوثام وآحاز وحَزَقِيّا ملوكِ يهوذا». وهذا يعني أنه نُبئ في عهد عزيا عام (٧٤٠ق.م) تقريباً، وكانت منيته في عهد مَنَسَّى بن حزقيا، حيث نكل به ونُشر جسمه بالمنشار، وكان إذ ذاك قد بلغ الشيخوخة، وهذا يعني أنه عاش في النبوة ما يزيد عن ستين سنة.

واليهود يجعلون حياته أكثر من مئة سنة مستدلين بأدلة يراها النصارى وهمية.

يتكون هذا السفر من ستة وستين فصلاً، تظهر فيها عبارات الغم والانكسار والتهلُّل والابتهاج. اقتفى أثره مقلدون، فضمت أسفار أخرى إليه، مما جعل أسلوبه مختلفاً لا تماسك فيه. ففي الفصول ١ ـ ٣٩: يخاصم آحاز وحزقيا وشعب ذلك العهد، والأحداث التي تظهر في هذا القسم متأثرة بالخطر الآشوري، فهي ترتقي إلى الجيل الثامن، وتسبق سقوط أورشليم. والفصول ٤٠ ـ ٥٥ تتحدث عن حلول ملك الله والسلام والعدل، فقد تم خراب أورشليم، ودمر الهيكل، وأصبح الشعب أسيراً في بابل، غير أن إشعياء لا ذكر له فيها. والفصول ٥٦ ـ ٦٦، تفترض رجوع المسبيِّين وإعادة بناء الهيكل. وقد تمَّ ذلك في نهاية القرن السادس. ففي أثناء السبي يستلم المسبيُّون القسم الثاني من سفر إشعياء، ثم يليه في الجيل السادس القسم =

وهذا تشبيه حاشَ لنبي أن يقوله[1].

وفيه: قال الربُّ: من سمع قط مثل هذا، أنا أعطي غيري أن يلد، ولا ألد أنا؟ وأنا الذي أرزق غيري البنين، أفأكون أنا بلا ابن؟!

قال أبو محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا أطمُّ ما سُمع به، أن يقيس الله ﷻ نفسه في كون البنين على خلقه. وكل هذا أشنع من قول النصارى في إضافة الشريك والولد والزوجة إلى الله تعالى. ونعوذ بالله من الخذلان[2].

= الثالث، ولذلك فإن من الصعب تحديد موقع هذا السفر في تاريخ إسرائيل بسبب الأجزاء المتعدِّدة التي يتألف منها.

يقول الرأي التقليدي: إن إشعياء يوجه كلامه إلى اليهود المسببين أو الذين أُعيدوا إلى بلادهم، وكأنه يعيش فيما بينهم على الرغم من القرنين أو الثلاثة التي تفصله عنهم. وليس ثمة ما يدل على أن ذلك كان إلهاماً نقله إلى مستقبل بعيد، فصله عن بيئته وغير أسلوبه وأفكاره. ولذلك رأى المحققون ألَّا يسند إلى إشعياء كل الكتاب الحامل اسمه، وأيَّدت ذلك لجنة الكتاب المقدس البابوية عام ١٩٠٨م، وفي الواقع إن عدداً كبيراً من الشرَّاح الكاثوليك وغيرهم يرون أن عمل إشعياء قد تابعه أنبياء آخرون لم يذكروا أسماءهم. [الحواشي ص٤٧ ـ ٤٨، ٢/ ٣٤٠ ـ ٣٤١ و٣٣٧].

قال العالم الألماني الشهير استاهلن: «لا يمكن أن يكون الفصل الأربعون وما بعده حتى الفصل السادس والستين من تصنيف إشعياء». [إظهار الحق ١/ ٧٥ ـ ٧٦ و١٧٤] فأسقط منها سبعة وعشرين فصلاً. وليست الفصول التي قبلها أحسن حالاً، وذلك بسبب انعدام السَّنَد المتصل بنقل الثقات المعروفين بعضهم عن بعض في كل جيل.

[1] جاء في سفر إشعياء ٦/ ١ ـ ٣: في سنة وفاة عزيا الملك رأيت السيد جالساً على كرسي ـ وعند الكاثوليك: عرش ـ عالٍ ومرتفع، وأذياله تملأ الهيكل. السَّرَافيمُ واقفون فوقه ـ وعند الكاثوليك: من فوقه السَّرافون قائمون ـ لكل واحد ستة أجنحة، باثنين يغطي وجهه، وباثنين يغطي رجليه، وباثنين يطير. وهذا نادى ذاك وقال: قدُّوس قدُّوس قدُّوس رب الجنود، مَجْده ملء الأرض.

[2] جاء في إشعياء ٦٦/ ٨ ـ ٩: من سمع مثل هذا؟ من رأى مثل هذه؟ هل تَمْخَضُ بلاد في يوم واحد؟ أو تولد أمة دفعة واحدة؟ فقد مخَضِت صِهيون، بل ولَدت بنيها. هل أنا أُمْخِض ولا أُولِّد الرب. أو أنا المولِّد هل أغلق الرحم؟ قال: إلٰهك.

وإذا حملنا البنوة هنا على العطف والرحمة والمحبة كما في ٦٣/ ١٦ من السفر نفسه: «أنت يا رب أبونا وليُّنا، منذ الأبد اسمك». فإن الإشكال يبقى في ٩/ ٦: «لأنه يولد لنا ولد، ونُعطى ابناً». فمن الذي يُعطي الرب ابناً؟! هو الذي يعطي المخلوقات، لأنها ضعيفة ومفتقرة إليه، أما هو سبحانه فغني عن العالمين. وليس فيه حجة للنصارى؛ لأنهم يقولون: «ثلاثة أقانيم في أقنوم واحد» وكل أقنوم إلٰه تام، فمن الذي يعطي الإلٰه التام؟ ولو قال: نعطي =

= أنفسنا، أو نجعل لنا، لقلنا: شبهة أوقعتهم في الخطأ، فإن الله سبحانه هو الأول وهو الآخر.
روي أن بعض المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: صِفْ لنا ربك. فأنزل الله عليه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص].

من التناقض بين التوراة وسائر الأسفار

١ ـ جاء في سفر التكوين ٤٦/ ٢١: وبنو بَنيامين: بالَع وباكَر وأَشْبيل وجيرا ونَعمان وإيحي ورُوش ومُفّيم وحُفّيم وأرْد.
وفي أخبار الأيام الأول ٧/ ٦: لبَنْيامين: بالَع وباكَر وبديعَئيل. ثلاثة.
وفي السفر نفسه ٨/ ١: وبَنْيامين ولَدَ بالع بِكْره وأشبيل الثاني وأخْرَخ الثالث ونوحةَ الرابع ورافا الخامس.

وهذا تناقض بين سفر التكوين وبين الفصل السابع من سفر أخبار الأيام الأول من جهة وبين كليهما والفصل الثامن من أخبار الأيام الأول في عدد أولاد بنيامين وأسمائهم وفي ترتيبهم أيضاً. وجمهور أهل الكتاب على أن السفر الأول والثاني من أخبار الأيام صنفهما عَزْرا بإعانة الرسولين يحيى وزكريا، واتفق علماء أهل الكتاب على أن ما وقع في سفر أخبار الأيام الأول غلط، وزعموا أن عَزْرا لم يميز بين الأبناء وأبناء الأبناء، وأن أوراق النسب التي نقل عنها كانت ناقصة. ولا شك أن ثلاثة الأنبياء كانوا متبعين للتوراة، فلو كانت التوراة المشهورة الآن هي توراة موسى الحقيقية لما خالفوها ووقعوا في هذا الغلط، ولما تركها عَزْرا واعتمد على أوارق ناقصة. وكذلك لو أن التوراة المشهورة اليوم هي التي كتبها مرة ثانية بإلهام على حد زعمهم لما خالفها. ويتبين من ذلك كله أن التوراة المشهورة الآن ليست هي التي أنزلت على موسى ﷺ ولا التي كتبها عزرا، بل إنما هي مجموعة من الروايات والقصص المشتهرة بين اليهود، جمعها أحبارهم بلا تمحيص للروايات. [إظهار الحق ١/ ١٠٤ ـ ١٠٥ و١٤٧ ـ ١٤٨].

٢ ـ جاء في الفصل الثامن والعشرين والتاسع والعشرين من سفر العدد أحكام تشريعية كثيرة، تختلف اختلافاً صريحاً مع ما جاء في الفصل الخامس والأربعين والسادس والأربعين من سفر حزقيال. والظاهر أن حزقيال كان متبعاً للتوراة، فلو كانت التوراة التي في زمانه مثل التوراة المشهورة اليوم، لما خالفها في الأحكام. [إظهار الحق ١/ ١٠٥].

٣ ـ جاء في سفر العدد ٣١/ ١ ـ ١٠: وكلَّم الربُّ موسى قائلاً: انتقم نقمة لبني إسرائيل من المِدْيانيين، فكلَّم موسى الشعب قائلاً: جرِّدوا منكم رجالاً للجُند، ألفاً واحداً من كل سِبْط، اثنا عشر ألفاً مجردون للحرب، فأرسلهم موسى إلى الحرب هم وفينحاس بن ألِعازار الكاهن، فتجندوا وقتلوا كل ذكر مع خمسة ملوك. وسبَى بنو إسرائيل نساء مديان وأطفالهم، ونهبوا جميع بهائمهم ومواشيهم وكل أملاكهم، وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم.

٣١/ ١٣ ـ ١٩ فخرج موسى وألِعازار الكاهن وكل رؤساء الجماعة لاستقبالهم، فسخط موسى عليهم وقال: هل أبقيتم كل أنثى حية؟ فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة =

= عرفت رجلاً بمضاجعة، لكن جميع الأطفال من النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر أبقوهن لكم حيّات.

وجاء في سفر القضاة ٦/١ ـ ٦: وعمل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب، فدفعهم إلى يد مِدْيان سبع سنين، فاعتزت يد مديان على إسرائيل، فعمل بنو إسرائيل لأنفسهم الكهوف التي في الجبال والمغاير والحصون. وإذا زرع بنو إسرائيل كانوا يصعدون عليهم وينزلون ويتلفون غلّة الأرض، ولا يتركون لإسرائيل قوت الحياة ولا غنماً ولا بقراً ولا حميراً؛ لأنهم كانوا يصعدون بمواشيهم وخيامهم كالجراد في الكثرة، وليس لهم ولجمالهم عدد، دخلوا الأرض ليخربوها. فذلّ بنو إسرائيل جداً من قبل المديانيين، وصرخوا إلى الرب.

فإذا فني المديانيون في عهد موسى عليه السلام ذلك الفناء، فكيف صاروا في مدة لا تزيد عن مئتي سنة أقوياء وبهذه الكثرة، حتى غلبوا بني إسرائيل وأعجزوهم بهذا الشكل المذلّ سبع سنين؟! [إظهار الحق ١/ ١٥٠ ـ ١٥١].

٤ ـ جاء في سفر التثنية ٢/ ١٧ ـ ١٩ أن موسى قال: كلّمني الرب قائلاً: أنت مار اليوم بتُخْم موآب في عَار، فمتى قربت إلى تُجاه بني عَمُّون لا تُعادهم، ولا تهجموا عليهم، لأني لا أعطيك من أرض بني عمون ميراثاً، لأني لبني لوط قد أعطيتها ميراثاً.

وجاء في سفر يوشع ١٣/ ٢٤ ـ ٢٥: وأعطي موسى لسبط جاد حسب عشائرهم، فكان تخمهم يَعْزيرَ وكلَّ مدن جِلعاد ونصف أرض بني عمون إلى عَروعيرَ التي هي أمام رَبَّة.

فبين الكتابين تناقض فاضح، ولو كانت هذه التوراة هي التي أنزلت على موسى عليه السلام فلا يتصوَّر أن يخالفها يشوع أو يقع غلط فاحش في حضوره، فإما أن تكون هذه التوراة ليست هي التي أنزلت على موسى عليه السلام أو يكون الكتاب المنسوب إلى يشوع ليس من تصنيفه ولا من تصنيف رجل إلهامي آخر أيضاً. [إظهار الحق ١/١١٨].

٥ ـ جاء في سفر التثنية ٣/ ١٣ ـ ١٥: وبقية جِلعاد وكل باشان مملكة عُوج، أعطيت لنصف سبط مَنَسَّى، كل كُورة ـ وعند الكاثوليك: بقعة ـ أَرجوب مع كل باشان، وهي تدعى أرض الرفَائِيين ـ وعند الكاثوليك: وكانت كل أرض باشان هذه تسمى أرض الجبابرة ـ يائير بن منسى أخذ كل كورة أرجوب إلى تخم الجَشوريين والمَعْكيين، ودعاها على اسمه باشانَ حَوُّوثِ يائيرَ إلى اليوم ـ وعند الكاثوليك: وسمّى باشان باسمه ضياع يائير إلى يومنا هذا ـ ولماكير أعطيت جِلعاد.

وجاء في سفر يشوع ١٧/ ١ ـ ٢: وكانت القرعة لسبط مَنَسَّى، لأنه هو بكر يوسف، كير بكر مَنَسَّى أبي جلعاد، كانت له جلعاد وباشان، لأنه كان رجل حرب، وكانت لبني مَنَسَّى الباقين حسب عشائرهم: لبني أبيعَزَر ولبني حالَق ولبني أَسْرِئيل ولبني شَكَم ولبني حافَر ولبني شَمِيداع، هؤلاء هم بنو مَنَسَّى بن يوسف الذكور حسب عشائرهم.

وجاء في سفر أخبار الأيام الأول ٢/ ٢١ ـ ٢٢: وبعدُ دخل حصرون ـ وهو ابن فارَص بن يهوذا من كنته ثامار ـ على بنت ماكير أبي جِلعاد واتخذها، وهو ابن ستين سنة، فولدت له سَجُوب، وسجوب ولَد يائير، وكان له ثلاث وعشرون مدينة في أرض جِلعاد، وأخذ جشور =

. . . .

= وأرام حَوّوث ـ وعند الكاثوليك: مزارع ـ يائير منهم مع قناة وقراها ستين مدينة، كل هؤلاء بنو ماكير أبي جِلعاد.

والاضطراب في هذه النصوص واضح، ففي سفر التثنية أنَّ يائير بن منسى أخذ كورة أرجوب.

وفي سفر الأخبار أن يائير ليس ابن مَنَسَّى بل ابن سَجُوب بن فارص. وفي سفر يشوع لم يأت ليائير ذكر عندما ذكر بني منسى بن يوسف الذكور.

٦ ـ جاء في سفر الخروج ٢٠/٥: لأني أنا الرب إلٰه غيور أفتقد ذنوب الآباء في البنين إلى الجيل الثالث والرابع من مبغضيَّ.

٣٤/٧: يفتقد ذنوب الآباء في البنين وفي بني البنين إلى الجيل الثالث والرابع.

وفي سفر العدد ١٤/١٨: الرب طويل الروح كثير الإحسان، يغفر الذنب والسيئة، لكنه لا يبرئ، بل يجعل ذنب الآباء على الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع.

وفي سفر التثنية ٥/٩: لأني أنا الرب إلٰه غيور، أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء، وفي الجيل الثالث والرابع من الذين يبغضونني.

٢٣/٢ ـ ٤: لا يدخل مَخصي بالرض ـ وعند الكاثوليك: مرضوض الخصيتين ـ ولا مجبوب في جماعة الربّ، لا يدخل ابن زنى في جماعة الرب حتى الجيل العاشر، لا يدخل منه أحد في جماعة الرب، لا يدخل عَمُّوني ولا موآبي في جماعة الرب حتى الجيل العاشر، لا يدخل منهم أحد في جماعة الرب إلى الأبد، من أجل أنهم لم يلاقوكم بالخبز والماء في الطريق عند خروجكم من مصر.

وجاء أيضاً في التثنية ٢٤/١٦: لا يقتل الآباء عن الأولاد، ولا يقتل الأولاد عن الآباء، كل إنسان بخطيته يقتل.

وجاء في سفر الملوك الثاني ١٤/٥ ـ ٧، وفي أخبار الأيام الثاني ٢٥/٤: ولما تثبتت المملكة بيد [أمصيا بن يوآش] قَتَلَ الذين قتلوا الملك أباه، ولكنه لم يقتل أبناء القاتلين حسب ما هو مكتوب في شريعة موسى، حيث أمر الرب قائلاً: لا يقتل الآباء من أجل البنين، والبنون لا يقتلون من أجل الآباء، إنما كل إنسان يقتل بخطيته.

وفي سفر نحميا ١٣/١ ـ ٣: في ذلك اليوم قُرئ في سفر موسى في آذان الشعب، ووجد مكتوباً فيه أن عَمُّونياً وموآبياً لا يدخل في جماعة الله إلى الأبد.

وجاء في سفر حزقيال ١٨/١٩ ـ ٢٠: وأنتم تقولون: لماذا لا يحمل الابن من إثم الأب؟ أما الابن فقد فعل حقاً وعدلاً، حفظ جميع فرائضي وعمل بها، فحياة يحيا، النفس التي تخطئ هي تموت، الابن لا يحمل من إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الابن. برُّ البار عليه يكون، وشر الشرير عليه يكون.

وقد تضاربت نصوص كتابهم المقدَّس في تحمل الإنسان ذنب غيره كثيراً، وما جاء في سفر التثنية ٥/٩ و٢٣/٢ ـ ٤ لا يمكن أن يكون مما أنزله الله على موسى أو كتبه موسى ألبتة، وإلا لزم ألا يدخل داود ولا آباؤه إلى فارص في جماعة الرب، لأن فارص ابن زنى كما فيالفصل الثامن والثلاثين من سفر التكوين، وداود هو البطن العاشر من فارص كما يظهر من =

. . . .

= النسب الذي وضعوه للمسيح في الفصل الأول من إنجيل متى والثالث من إنجيل لوقا، مع أن داود رئيس الجماعة والولد البكر لله كما في الزبور.

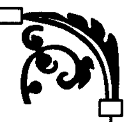
وقد حكم المفسِّر هارسلي بأن هذه العبارة «حتى الجيل العاشر» ملحقة بالنص وليست أصلية. [إظهار الحق ١/١١١ و٣٨١].

ويظهر أن هذا من تلاعب أحبارهم بالنصوص، ليتكيفوا بالحكم الذي يصدرونه على الناس حسب رغبتهم. ومما يحيِّر المفكر المتأمل زعم النصارى أنَّ أولاد آدم يولدون وهم يحملون خطأ آدم وحواء إذ أكلا من الشجرة، وأن المسيح إنما صُلِب ليفديَ الناس بدمه عن تلك الخطيئة ولله في خلقه شؤون!!.



[انعدام التوثيق في سائر الأسفار]

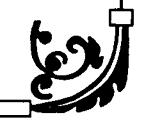
قال أبو محمد رَحِمَهُ اللهُ: لم نكتب ممَّا في الكتب التي يضيفونها إلى الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إلا طَرَفاً يسيراً دالاً على فضيحتها أيضاً وتبديلها، وقد قلنا: إنهم كانوا في بلد صغير مُحاطٍ به، ثم لا ندري كيف يمكنهم اتصال شيء من ذلك إلى نبي من أنبيائهم؟ ولا سيما من لم يكن إلا في أيام كفرهم مُخافاً ومقتولاً. فصحَّ بلا شك أنها من توليد من عمل لهم الصلوات التي هم عليها، والشرائع التي يقرون أنها من عمل أحبارهم في دولتهم الثانية إذ ظهر دينهم، وانتشرت بيوت عبادتهم، فصارت لهم مجامع يتعلّمون فيها دينهم، وعلماءُ يعلمونهم في كل بلد، بخلاف ما أوضحنا أنهم كانوا عليه أيام دولتهم الأولى، من كونهم كلّهم كفاراً مئين من السنين، وكونِهم لا مسجدَ لهم أصلاً إلا بيت المقدس، ولا مجمعَ يعلم لهم أصلاً، ولا عالماً يعلمهم بوجه من الوجوه، ولا جامع لشيء من كتبهم، والحمد لله رب العالمين. ولو تقصَّينا ما في كتب أنبيائهم من المناقضات والكذب لكثر ذلك جداً، وفيما أوردناه كفاية.



الفصل الثاني

طرف من افتراءات أحبار اليهود وعبثهم بعقول قومهم



من افتراءات أحبار اليهود

قال أبو محمد رَحِمَهُ اللهُ: ونحن ـ إن شاء الله تعالى ـ نذكر طرفاً يسيراً من كثير جداً من كلام أحبارهم[1] الذين أخذوا كتابهم ودينهم، وإليهم يرجعون في نقلهم لتوراتهم وكتب الأنبياء وجميع شرائعهم، ليرى كل ذي فهم مقدارهم من الفسق والكذب، فيلوح له أنهم كانوا كذَّابين مستخفِّين بالدين. وبالله تعالى التوفيق. ولقد كان يكفي من هذا إقرارهم بأنهم عملوا هذه الصلوات شريعة عوضاً مما أمر الله تعالى به من القرابين. وهذا تبديل الدين جهاراً[2].

○ [خرافات تشبه ما تتحدث به العجائز]:

وفي بعض كتبهم أن دينة بنت يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ إذ غَصَبها شكيم بن حمور وزَنَى

---

[1] الأحبار: العلماء، واحدها حِبر، بكسر الحاء وفتحها، والكسر أفصح، لأنه يجمع على أفعال دون فعول. وقال الفراء: هو بالكسر. [مختار الصحاح].

وأحبار اليهود: علماؤهم. أما الحاخاميم أو الحاخامات، فالمراد بهم الفقهاء، وكانت اليهود تسمي الفقهاء بالحكماء. وهم السبب الرئيس في تشديد الإصر وتضييق المعيشة على اليهود حتى لا يختلطوا بغيرهم، فقد حَرَّموا عليهم أشياء ما كانت حراماً، وابتدعوا لهم عبادات ما كانت مفروضة، واختلقوا من أنفسهم هذيانات وخرافات. [وانظر بذل المجهود ص١٨٣ وما بعدها].

[2] ومن كفرهم وتبديلهم أنهم يقولون كل يوم في صلاتهم: الدهر أحببتنا يا إلٰهنا، ارددنا يا أبانا إلى شريعتك، يا أبانا يا ملكنا يا إلٰهنا، أنت الله أبونا منقذنا، وجميع الذين اقتفوا أثر نبيك وأعداء جماعتك كلهم غطاهم البحر، ولم يبقَ واحد منهم. ويسمون هذه الصلاة محبة الدهر.

ومن الأدعية التي يقولونها في صلواتهم وصومهم: اللهم اضرب ببوقٍ عظيم لعتقنا، واقبضنا جميعاً من أربعة أقطار الأرض إلى قدسك، سبحانك يا جامع تشتيت قوم بني إسرائيل.

ومنها: ردَّ حكامنا كالأولين، ومسراتنا كالابتداء، وَابْنِ أورشليم قرية قُدْسك في أيامنا، وأعزنا ببنائها، سبحانك يا باني أورشليم.

وهي فصول وأدعية تسمى الخزانة لفَّقوها بعد زوال دولتهم، وصاغوا لها ألحاناً عديدة، يجتمعون وقت صلاتهم على تلحينها وقراءتها، فخالفوا بذلك سفر التثنية ٤/ ٢. [بذل المجهود ص٣٩ ـ ٤٠ و١٠١ ـ ١٠٢].

بها، حملت وولدت ابنة، وأن عُقاباً خطف تلك الفرخة من الزنى، وحملها إلى مصر، ووقعت في حجر يوسف عليه السلام فرباها وتزوجها[1].

وهذه تشبه الخرافات التي يتحدث بها النساء بالليل إذا غزلن.

وفي بعض كتبهم أن يعقوب عليه السلام إنما قال في ابنه نفتال: أيل مطلق؛ لأنه قطع من قرية إبراهيم عليه السلام التي بقرب بيت المقدس إلى مَنْف التي بمصر، ورجع إلى قرية الخليل في ساعة من النهار، لشدة سرعته، لا لأن الأرض طويت له، ومقدار ذلك مسيرة نيف وعشرين يوماً.

وفي بعض كتبهم مما لا يختلفون في صحته أن السَّحَرة يحيون الموتى على الحقيقة، وأن ههنا أسماءً لله تعالى ودعاء وكلاماً، ومن عرفه من صالح أو فاسق أحال الطبائع، وأتى بالمعجزات، وأحيا الموتى، وأن عجوزاً ساحرة، أحيت لشاول الملك ـ وهو طالوت ـ شموئيل النبي بعد موته[2].

وفي بعض كتبهم أن بعض أحبارهم المعظَّمين عندهم، ذكر لهم أنه رأى طائراً يطير في الهواء، وأنه باض بيضة، وقعت على ثلاث عشرة مدينة، فهدمتها كلها.

وفي بعض كتبهم أن المرأة المدنية، التي ذكرت في التوراة[3]، التي زنى بها زِمْري بن سالو من سبط شمعون، طعنه فينحاس بن ألِعازار بن هارون برمحه، فنفذه ونفذ المرأة تحته، ثم رفعهما في رمحه إلى السماء، كأنهما طائران في سَفُّود وقال: هكذا نفعل بمن عصاك.

قال كبير من أحبارهم معظَّم عندهم: إنه كان تكسير عَجُز تلك المرأة مقدار مزرعة مُدى خردل[4].

وفي كتبهم أن طول لحية فرعون كان سبعمئة ذراع.

---

[1] حادثة الاغتصاب في سفر التكوين ٣٤/١ ـ ٣١، لكن دون ذكر هذه الخرافة، وسبق ذكرها وما أعقبها في القسم الرابع: افتراؤهم على الأنبياء.

[2] ذهاب شاول إلى الساحرة في سفر صموئيل الأول ٢٨/٣ ـ ١٩، وسبق ذكره في القسم الرابع.

[3] ورد ذلك في سفر العدد ٢٥/٦ ـ ١٥، واسمها كُزبي بنت صور.

[4] مكيال لأهل الشام ومصر.

وهذه والله مضحكة، تسلّي الثكالى، وتطرد الأحزان.

قال أبو محمد رحمه الله: عنِ مثل هؤلاء فلينقل الدين، وتباً لقوم أخذوا كتبهم ودينهم عن مثل هذا الرقيع الكذّاب وأشباهه.

وفي بعض كتبهم المعظَّمة عندهم أن زارح ملك السودان غزا بيت المقدس في ألف ألف مقاتل، وأن أسابن ابن الملك خرج إليهم في ثلاثمئة ألف مقاتل من بني يهوذا، وخمسين ألف مقاتل من بني بنيامين، فهُزم ملك السودان.

وهذا كذب فاحش ممتنع، لأن من أقرب موضع من بلد السودان ـ وهو النوبة ـ إلى مسقط النيل في البحر نحو ثلاثين يوماً، ومن مسقط النيل إلى بيت المقدس نحو عشرة أيام صحارى ومفاوز، وألفُ ألفِ مقاتل لا تحملهم إلا البلاد المعمورة الواسعة، وأما الصحارى الجرد فلا، ثم في مصر جميع أعمال مصر، فكيف يخطوها إلى بيت المقدس؟ هذا ممتنع في رتبة الجيوش وسيرة الممالك، ومن البعيد أن يكون عند ملك السودان حيث يتسع بلدهم، ويكثر عددهم، اسم بيت المقدس، فكيف أن يتكلفوا غزوها؟ لبعد تلك البلاد عن النوبة، وأما بلد النوبة والحبشة والبجاة فصغير الخطَّة قليل العدد. وإنما هي خرافات مكذوبة باردة.

○ مبالغاتهم فيما كان عند سليمان:

وفي بعض كتبهم المعظَّمة أن جباية سليمان عليه السلام في كل سنة كانت ستمئة ألف قنطار وستة وثلاثين ألف قنطار من ذهب، وهم مقرون أنه لم يملك قط إلا فلسطين والأردن والغُور فقط، وأنه لم يملك قط رفح ولا غزة ولا عسقلان ولا صور ولا صيدا ولا دمشق ولا عمَّان ولا البلقاء ولا مؤاب ولا جبال الشراة[1].

فهذه الجباية التي لو جمع كل الذهب الذي بأيدي الناس لم يبلغها، من أين خرجت؟ وقد قلنا: إن الأحبار الذين عملوا لهم هذه الخرافات كانوا ثقالاً في الحساب، وكان الحياء في وجوههم قليلاً جداً.

---

[1] ذكر في سفر الملوك الأول ١٠/ ١٤ ـ ١٥، وفي أخبار الأيام الثاني ٩/ ١٣ ـ ١٤ أن وزن الذهب الذي أتى إلى سليمان في سنة واحدة كان (٦٦٦) وزنة، عدا ما يأتيه من أمكنة أخرى.

وذكرت الأماكن التي ملكها في سفر الملوك الأول ٤/ ٢١ و٢٤، وفي أخبار الأيام الثاني ٩/ ٢٠ و٢٦.

وذكروا أنه كان لمائدة سليمان ﷺ في كل سنة أحد عشر ألف ثور وخمسمئة ثور، وستة وثلاثين ألف شاة سوى الإبل والصيد[1].

فانظروا ماذا يكفي لحوم من ذَكَرْنا من الخبز؟ وقد ذكروا عدداً مبلغه ستة آلاف مُدى في العام لمائدته خاصة، واعلموا أن بلاد بني إسرائيل تضيق عن هذه النفقات، مع قولهم: إنه ﷺ كان يهدي كل سنة ثلثي هذا العدد من بُر، ومثله من زيت إلى ملك صور[2]، فليت شعري، لأي شيء كان يهاديه بذلك؟ هل ذلك إلا لأنه كفؤه ونظيره في الملك؟ وهذه كلمات كذبات، ورعونة لا خفاء بها، وأخبار متناقضة.

وذكروا أنه كانت توضع في قصر سليمان ﷺ كل يوم مئة مائدة ذهب، على كل مائدة مئة صحفة ذهب، وثلاثمئة طبق ذهب، على كل طبق ثلاثمئة كأس ذهب.

فاعجبوا لهذه الكذبات الباردة، واعلموا أن الذي عملها كان ثقيل الذهن في الحساب، مقصِّراً في المساحة، لأنه لا يمكن أن يكون قطر دائرة الصحفة أقل من شبر، وإن لم تكن كذلك فهي صحيفة، لا صحفة طعام ملك، فوجب ضرورة أن تكون مساحة كل مائدة من تلك الموائد عشرة أشبار في مثلها لا أقل، سوى حاشيتها وأرجلها، واعلموا أن مائدة من ذهب هذه صفتها لا يمكن البتة أن يحركها إلا فيل، لأن الذهب أوزن الأجسام وأثقلها، ولا يمكن البتة أن يكون في كل مائدة من تلك الموائد أقل من ثلاثة آلاف رطل ذهب، فمن يرفعها ومن يضعها ومن يغسلها ومن يمسحها ومن يديرها؟ فهذا الذهب كله، وهذه الأطباق من أين؟

فإن قيل: أنتم تصدقون بأن الله تعالى آتاه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وأن الله سخَّر له الريح والجن والطير، وعلمه منطق الطير والنمل[3]، وأن الريح تجري بأمره، وأن الجن كانوا يعملون له المحاريب والتماثيل والجفان والقدور.

---

[1] ذكرت موائد سليمان في سفر الملوك الأول ٤/ ٢٢ ـ ٢٤، وليس فيها هذه المبالغات البعيدة.

[2] ذكر سبب إرسال سليمان بعض الهدايا إلى ملك صور في سفر الملوك الأول ٩/ ١٠ ـ ١٤.

[3] ذكر في سفر الملوك الأول ٤/ ٣٣ ـ ٣٤ الألسن التي كان سليمان يعرفها.

قلنا: نعم، ونكفّر من لم يؤمن بذلك، وبين الأمرين فرق واضح، وهو أن الذي ذكرت مما نصدق به نحن هو من المعجزات التي تأتي بمثلها الأنبياء عليهم السلام داخل كله تحت الممكن في بنية العالم، والذي ذكروه هو خارج عن هذا الباب، داخل في حدِّ الكذب والامتناع في بنية العالم.

○ ادّعاء الأحبار أنهم فوق الأنبياء:

ومما أجمع عليه أحبارهم ـ لعنهم الله ـ أنَّ من شتم الله تعالى وشتم الأنبياء يؤدَّب، ومن شتم الأحبار يموت. أي يقتل.

فاعجبوا لهذا، واعلموا أنهم مُلْحدون لا دين لهم، يفضّلون أنفسهم على الأنبياء عليهم السلام وعلى الله عز وجل، فعليهم ما يخرج من أسافلهم.

وفيما سمعنا علماءهم يذكرونه ولا يتناكرونه معنى، أن أحبارهم الذين أخذوا عنهم دينهم والتوراة وكتب الأنبياء عليهم السلام اتفقوا على أن رَشَوا بولس البنياميني وأمروه بإظهار دين عيسى عليه السلام، وأن يضلَّ أتباعه، ويدخلهم إلى القول بالإلٰهية، وقالوا له: نحن نتحمل إثمك في هذا. ففعل وبلغ من ذلك حيث قد ظهر[1].

---

[1] اتفق كتّاب النصارى على أن بولس يهودي فرِّيسي، اسمه الأصلي شاول، وذلك بناء على ما كتبه هو عن نفسه في رسائله وما كتبه عنه تلميذه لوقا في سفر الأعمال.

هذا. وقد ورد في السفر أنه روماني الجنسية، كما ورد أنه مصري، فشخصيته غامضة، ومهما يكن من أمر جنسه، فقد كان في صَدْر حياته من ألد أعداء المسيحية، وأبلغهم كيداً، وأكثرهم إمعاناً في الأذى. لم يدرك المسيح عليه السلام ولم يره، لكنه ادَّعى أنه ظهر له بعد صلبه وقيامته وصعوده إلى السماء، ظهر له في عمود من نور، وعاتبه ثم هداه إلى دينه، وكلَّفه بتبليغ رسالته إلى الأمم. وبهذه الطريقة المريبة دخل بولس في النصرانية، وأصبح المعلِّم الأول فيها، بل ادَّعى أنه الوحيد المؤتمن عليها وعلى إنجيل الله المبارك، ثم أخذ يطوف في مختلف البلاد، يلقي الخطب، ويرسل الرسائل، وينشر أفكاره، يصدِّقه أقوام ويكذبه آخرون.

قام الصراع بين بولس وأتباعه من جهة، وبين أتباع المسيح الحقيقيين من جهة أخرى، حتى إن برنابا الذي اصطحبه في رحلاته الأولى، اختلف معه بعد ذلك، ففارقه بعد ما ظهرت له اتجاهاته، واتَّهمه اتهامات خطيرة، وندَّد به. امتد هذا الصراع قروناً طويلة بعد وفاة بولس. وأهم الأفكار التي كان يدعو إليها ما يلي:

١ ـ النصرانية ليست ديناً لليهود فحسب، بل هي دين عالمي.

٢ ـ التثليث: الآب، الابن، الروح القدس.

=

واعلموا يقيناً أن هذا عمل لا يستسهله ذو دين أصلاً، ولا يخلو أتباع المسيح عليه السلام عند أولئك الأحبار - لعنهم الله - من أن يكونوا على حقٍّ أو على باطل، لأنه لا بدَّ من أحدهما، فإن كانوا عندهم على حق، فكيف استحلوا إضلال قوم محقِّين، وإخراجَهم عن الهُدَى والدين إلى الضلال المبين؟! هذا والله لا يفعله مؤمن بالله تعالى أصلاً، وإن كانوا عندهم على ضلال وكفر، فحسبهم ذلك منهم، وإنما يَسْعَى المؤمن ليهدي الكافر والضال، وأما أن يقوي بصيرته في الكفر، ويفتح له فيه أبواباً أشدّ وأفحش مما هو عليه، فهذا لا يفعله أيضاً من يؤمن بالله تعالى قطعاً، ولا يفعله إلا مُلْحد يريد أن يسخر بمن سواه. فعن هؤلاء أخذوا دينهم وكتب أنبيائهم بإقرارهم، فاعجبوا لهذا.

وهذا أمر لا نبعده عنهم، لأنهم قد راموا ذلك فينا وفي ديننا، فبَعُد عليهم بلوغ أرَبِهم من ذلك، وذلك بإسلام عبد الله بن سبأ، المعروف بابن السوداء اليهودي الحِمْيري - لعنه الله - ليضل من أمكنه من المسلمين، فنهج لطائفة رَذِلة، كانوا يتشيعون في علي رضي الله عنه أن يقولوا بإلـٰهية علي، كما نهج بولس لأتباع المسيح عليه السلام أن يقولوا بإلـٰهيته، وهم الباطنية والغالية إلى اليوم، وأخفُّهم كفراً الإمامية، على جميعهم لعائن الله تَتْرى(1).

= ٣ - المسيح ابن الله، نزل ليضحِّي بنفسه على خشبة الصليب تكفيراً عن الخطيئة التي ارتكبها آدم وحملتها ذريته من بعده.

٤ - قيام المسيح من بين الأموات، وصعوده إلى السماء، ليجلس عن يمين أبيه، ويحكم كما كان يحكم قبل.

٥ - نزوله بعد ذلك لإنقاذ أتباعه (الرجاء المبارك) ثم لدينونة البشر.

٦ - إلغاء الكثير من الأمور المشروعة سابقاً والمؤكَّد عليها كالختان وتحريم بعض الأطعمة.

ولم يورد أي دليل على ما أتى به، وإنما كان يدلِّل من كلامه وتفسيره. [وانظر كتابي الكتب السماوية وشروط صحتها ص٥٢٣ - ٥٢٤].

(1) هو رأس الطائفة السبئية التي كانت تقول بألوهية علي رضي الله عنه أصله من اليمن، كان يهودياً قبل أن يتظاهر بالإسلام، رحل إلى الحجاز والبصرة والكوفة، ودخل دمشق في أيام عثمان رضي الله عنه فأخرجه أهلها، فانصرف إلى مصر، وجهر ببدعته، وقال للإمام علي رضي الله عنه: أنتَ خلقتَ الأرض، وبسطتَ الرزق، فنفاه إلى ساباط. وكان يقال له: ابن السوداء، لسواد أمه، ويقال: لطائفته الطيَّارة، لأنهم يعتقدون أنهم لا يموتون، ولكنهم يطيرون، ويقولون بالتناسخ والرجعة. [الأعلام ٤/ ٢٢٠].

○ [من افتراءاتهم على الله]:

قال أبو محمد رحمه الله: ذكر أحبارهم - وهو في كتبهم[1] مشهور لا ينكرونه عند من يعرف كتبهم - أن إخوة يوسف، إذ باعوا أخاهم، طرحوا اللعنة على كل من بَلَّغ إلى أبيهم حياة ابنه يوسف، ولذلك لم يخبره الله عز وجل بذلك، ولا أحد من الملائكة.

فاعجبوا لجنون أمة تعتقد أن الله خاف أن يقع عليه لعنة قوم باعوا النبي أخاهم، وعَقُّوا النبي أباهم أشد العقوق، وكذبوا أعظم الكذب، فوالله لو لم يكن في كتبهم إلا هذا الكذب وهذا الحمق وهذا الكفر، لكانوا به أحمق الأمم وأكفرهم وأكذبهم، فكيف ولهم ما قد ذكرنا ونذكر إن شاء الله تعالى!

وفي بعض كتبهم أن هارون عليه السلام قال لله تعالى إذْ أراد أن يسخط على بني إسرائيل: يا ربِّ لا تفعل؛ فلنا عليك ذمام وحق، لأن أخي وأنا أقمنا لك مملكة عظيمة.

قال أبو محمد رحمه الله: وهذه طامة أخرى، حاشَ لهارون عليه السلام أن يقول هذا الجنون، أين هذا الهَوَس وهذه الرعونة من الحق النير، إذ يقول الله تعالىٰ: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧].

وفي بعض كتبهم أن الله تعالى قال لبني إسرائيل: من تعرَّض لكم، فقد تعرض لحدقة عيني.

وفي بعض كتبهم أن علَّة تردد بني إسرائيل مع موسى عليه السلام في التيه أربعين سنة حتى ماتوا كلهم، إنما كانت لأن فرعون كان بنى على طريق مصر إلى الشام صنماً سماه (باعل صفون)، وجعله طَلْسماً لكل من هرب من مصر، يحيره ولا يقدر على النفاذ.

فاعجبوا لمن يجيز أن يكون طَلْسَم فرعون يغلب الله تعالى، ويحيِّر نبيه موسى عليه السلام ومن معه حتى يموتوا. فأين كان فرعون من هذه القوة إذ غرق في البحر؟!

---

[1] لم يذكر ابن حزم رحمه الله أسماء تلك الكتب التي اطَّلع عليها ووجد فيها ما سيذكره لنا، ولعلها من الأسفار الخفية عند اليهود كما سلف بين يدي الكتاب.

وفي كتاب لهم يسمى شعر توما من كتاب التلمود، والتلمود هو مُعَوَّلهم وعمدتهم في فقههم وأحكام دينهم وشريعتهم، وهو من أقوال أحبارهم بلا خلاف من أحد منهم[1]، ففي الكتاب المذكور أنَّ تكسير جبهة خالقهم، من أعلاها إلى أنفه خمسة آلاف ذراع، حاشَ لله من الصور والمساحات والحدود والنهايات.

وفي كتاب آخر من التلمود يقال له: (سادرناشيم)، ومعناه تفسير أحكام الحيض[2]، أن في رأس خالقهم تاجاً فيه ألف قنطار من ذهب، وفي أصبعه خاتم له فص، تضيء منه الشمس والكواكب، وأن المَلَك الذي يخدم ذلك التاج اسمه صندلفون. تعالى الله ﷻ.

• وأشنع من هذا كله نقلهم الذي لا تمانع بينهم فيه عن واحد من أحبارهم المتقدِّمين الذين عنه وعن أصحابه أخذوا دينهم، ونقلوا توراتهم وكتب الأنبياء، بأن رجلاً اسمه إسماعيل، كان إثْر خراب البيت، إذ خربه تِيطس، فيذكرون عنه أنه أخبرهم عن نفسه أنه كان ماشياً في خراريب بيت المقدس، فسمع الله تعالى يئن كما تئن الحمامة، ويبكي وهو يقول: الويل لمن أخرب بيته، وضعضع ركنه، وهدم قصره وموضع سكينته، وَيْلي على ما أخربت من بيتي، وَيْلي على ما فرَّقتُ من بَنيَّ وبناتي، قامتي منكسة حتى أبني بيتي، وأردّ إليه بَنيَّ وبناتي. قال هذا النَّذْل الموسخ ابن الأنذال إسماعيل: فأخذ الله بثيابي وقال لي: أسمعتني يا بُنيَّ يا إسماعيل؟ قلت: لا يا رب. فقال لي: يا بُنيَّ إسماعيل، بارك عليَّ. قال هذا النذل الكلب والجيفة المنتنة: فباركتُ عليه ومضيتُ.

قال أبو محمد رحمه الله: لقد هان من بالت عليه الثعالب، والله ما في الموجودات أرذلُ ولا أنتن ممن احتاج إلى بركة هذا الكلب الوضر، فاعجبوا لعظيم ما انتظمت هذه القصة عليه من وجوه الكفر الشنيع:

- فمنها إخباره عن الله تعالى أن يدعو على نفسه بالويل مرة بعد مرة. الويل حقاً على من يصدِّق بهذه القصة، وعلى الملعون الذي أتى بها.

- ومنها وصفه الله تعالى بالندامة على ما فعل. وما الذي دعاه إلى الندامة؟

---

(١) سبق الكلام عن التلمود لدى الكلام عن الكتب المقدسة عند اليهود، وقد سبق قلم ابن حزم رحمه الله هنا، فشعر توما ليس من التلمود كما سلف.

(٢) أي القسم الخاص بالنساء.

أتراه كان عاجزاً عن أن يردّهم؟! هذا عجب آخر. وإذا كان نادماً على ذلك، فلم تمادى على تبديدهم، وإلقاء النجس عليهم، حتى يبلغ ذلك إلى إلقاء الحِكَّة في أدبارهم، كما نص في آخر توراتهم[1]؟! ما في العالم صفة أحمق من صفة من يتمادى على من يندم عليه هذه الندامة.

- ومنها وصفه الله تعالى بالبكاء والأنين.

ومنها وصفه لربه تعالى بأنه لم يَدْرِ هل سمعه أم لا؟ حتى سأله عن ذلك.

ثم أظرف شيء إخباره عن نفسه بأنه أجاب بالكذب، وأن الله تعالى قنع بكذبه، وجاز عنده، ولم يدرِ أنه كاذب.

- ومنها كونه بين الخرب، وهي مأوى المجانين من الناس وخساس الحيوان كالثعالب والقطط البرية ونحوهما.

- ومنها وصفه الله تعالى بتنكيس القامة.

- ومنها طلبه البركة من ذلك المنتن ابن المنتنة والمنتن.

وبالله الذي لا إله إلا هو، ما بلغ قط مُلْحد ولا مستخفٌّ هذه المبالغ التي بلغها هذا اللعين، ومن يعظمه، وبالله تعالى نتأيد. ولولا ما وصفه الله تعالى من كفرهم وقولهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، و﴿ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١] ما انطلق لساننا بشيء مما أوردنا، ولكن سَهَّل علينا حكاية كفرهم ما ذكره الله تعالى لنا من ذلك.

ولا أعجب من إخبار هذا الكلب - لعنه الله - عن نفسه بهذا الخبر، فإن اليهود كلَّهم، يعني الربانيين منهم، مُجْمعون على الغضب على الله، وعلى تعييبه وتهوين أمره ﷻ، فإنهم يقولون ليلة عيد اللبود، وهي العاشرة من تشرين الأول، وهو أكتوبر: «يقوم الميططرون». ومعنى هذه اللفظة عندهم: «الرب الصغير». تعالى الله عن كفرهم.

قال: ويقول وهو قائم ينتف شعره ويبكي قليلاً قليلاً: «وَيْلي إذ خرَّبت بيتي، وأيتمت بنيَّ وبناتي، قامتي مُنَكَّسة، لا أرفعها حتى أبني بيتي، وأردُّ إليه بنيَّ وبناتي» ويردِّد هذا الكلام.

---

[1] كأنه يشير إلى ما ورد في سفر التثنية ٢٨/ ٦٣ - ٦٧ و٣١/ ١٦ - ١٨ و٣٢/ ١٩ - ٣٠.

• واعلموا أنهم أفردوا عشرة أيام من أول أكتوبر، يعبدون فيه رباً غير الله ﷻ، فحصلوا على الشرك المجرد. واعلموا أن الرب الصغير الذي أفردوا له هذه الأيام المذكورة، يعبدونه فيها من دون الله ﷻ، هو عندهم صندلفون الملك خادم التاج الذي في رأس معبودهم، وهذا أعظم من شرك النصارى.

ولقد أوقفت بعضهم على هذا فقال لي: ميططرون ملك من الملائكة، فقلت: وكيف يقول ذلك الملك: وَيْلي على ما خربتُ من بيتي، وفرقت بنيَّ وبناتي؟! وهل فعل هذا إلا الله ﷻ؟

فإن قالوا: تولَّى ذلك الملكُ ذلك الفعلَ بأمر الله تعالىٰ. قلنا: فمن المحال الممتنع ندامة الملك على ما فعله بأمر الله تعالى، هذا كفر من المَلَك لو فعله، فكيف أن يحمد ذلك منه؟ وكل هذا إنما هو تخيُّل منهم عند صك وجوههم بذلك. وإلَّا فَهُمْ فيه قسمان: قسم يقول: إنه الله تعالى نفسه، فيصغِّرونه ويحقرونه، ويعيبونه. وقسم يقول: إنه ربٌّ آخر دون الله تعالىٰ.

• واعلموا أن اليهود يقومون في كنائسهم أربعين ليلة متصلة من أيلول وتشرين الأول، وهما سبتمبر وأكتوبر، فيصيحون ويولولون بمصائب، منها قولهم: «لأي شيء تسلِّمنا يا الله هكذا، ولنا الدين القيِّم والأثر الأول؟ لمَ يا الله تتصمَّم عنا وأنت تسمع؟ وتَعْمَى وأنت مُبْصر؟! هذا جزاء من تقدم إلى عبوديتك، وبدر إلى الإقرار بك؟! لمَ يا الله لا تعاقبُ من يكفر النعم؟ ولا تجازي بالإحسان؟ ثم تبخسنا حظنا، وتسلمنا لكل معتد، وتقول: إن أحكامك عَدْلة».

فاعجبوا لوغادة هؤلاء الأوباش، ولرذالة هؤلاء الأنذال، الممتنين على ربهم ﷻ، المستخفِّين به وبملائكته وبرسله. وتالله ما بخسهم ربُّهم حظهم، وما حقهم إلا الخِزْي في الدنيا، والخلود في النار في الآخرة، وهو تعالى موفيهم نصيبهم غير منقوص.

واحمدوا الله على عظيم منته علينا بالإسلام، الملَّة الزهراء، التي صححتها العقول، وبالكتابِ المنزل من عنده تعالى بالنور المبين، والحقائق الباهرة. نسأل الله تثبيتاً على ما منحنا من ذلك بمنِّه إلى أن نلقاه مؤمنين، غير مغضوب علينا ولا ضالين.

قال أبو محمد رَحِمَهُ اللَّهُ: هنا انتهى ما أخرجناه من توراة اليهود وكتبهم من الكذب الظاهر والمناقضات اللائحة، التي لا شك معه في أنها كتب مبدَّلة محرَّفة مكذوبة، وشريعة موضوعة مستعملة من أكابرهم، ولم يبق بأيديهم بعد هذا شيء أصلاً، ولا بقي في فساد دينهم شبهة بوجه من الوجوه، والحمد لله رب العالمين.

وإياكم أن يجوز عليكم تمويه من يعارضكم بخرافة أو كذبة، فإننا لا نصدق في ديننا بشيء أصلاً، إلا ما جاء في القرآن، أو ما صح بإسناد الثقات، ثقة عن ثقة، حتى يبلغ إلى رسول الله ﷺ فقط، وما عدا هذا فنحن نشهد أنه باطل لا نلتفت إليه.

واعلموا أننا لم نكتب من فضائحهم إلا قليلاً من كثير، ولكن فيما كتبنا كفاية قاطعة في بيان فساد كل ما هم عليه. وبالله تعالى التوفيق.



أهم المصادر والمراجع

١ ـ تفسير المنار: محمد رشيد رضا، طبعة دار المعرفة، بيروت.

٢ ـ جامع الأصول: ابن الأثير، بتعليق عبد القادر الأرناؤوط، طبعة عام ١٩٨٩م.

٣ ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير: المناوي.

٤ ـ إظهار الحق: الشيخ رحمة الله الهندي، طبعة المغرب وطبعة إحياء التراث الإسلامي، بقطر عام ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

٥ ـ الأجوبة الفاخرة: شهاب الدين أحمد بن إدريس المعروف بالقرافي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت عام ١٩٨٦م.

٦ ـ الشرائع الدينية: الدكتور أحمد يسري، الطبعة الثانية مطبعة السعادة.

٧ ـ اليهودية: أحمد شلبي، الطبعة الخامسة عام ١٩٧٨م، مكتبة النهضة الحديثة.

٨ ـ الأسفار المقدسة في الأديان السابقة: علي عبد الواحد وافي، طبعة دار نهضة مصر للطبع والنشر.

٩ ـ القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة: موريس بوكاي، طبعة دار المعارف.

١٠ ـ محمد في الكتاب المقدس: البروفسور عبد الأحد داود، ترجمة فهمي شما، طبعة دار الضياء ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

١١ ـ التوراة تاريخها غاياتها: لم يذكر اسم المؤلف، ترجم الكتاب وعلق عليه سهيل ميخائيل ديب، طبعة دار النفائس بيروت.

١٢ ـ التوراة بين الوثنية والتوحيد: سهيل ديب، الطبعة الأولى ١٩٨١م دار النفائس، بيروت.

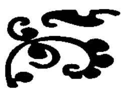
١٣ ـ بذل المجهود في إفحام اليهود: للحكيم السموءل بن يحيى بن عباس المغربي، طبعة دار القلم ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

١٤ ـ هذه عقائدنا: ج. كلايد تامر، المنشورات المعمدانية عام ١٩٧٢م.

١٥ ـ تنقيح الأبحاث للملل الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام: ابن كمونة اليهودي، تقديم الدكتور عبد العظيم المطعني، طبعة دار الأنصار.

١٦ ـ اليهود نشأتهم وعقيدتهم ومجتمعهم من واقع نصوص التوراة كتابهم المقدس: المحامي زكي شنودة، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٧٤م.

١٧ ـ الفكر الديني اليهودي: حسن ظاظا.
١٨ ـ الكتاب المقدس: الصادر عن دار الكتاب في الشرق الأوسط عام ١٩٨٤م، وهو من إصدار البروتستانت.
١٩ ـ الكتاب المقدس: الصادر عن دار المشرق عام ١٩٨٣م بيروت، وهو من إصدار الكاثوليك وعليه حواش وتقديمات للأسفار.
٢٠ ـ التوراة السامرية: ترجمة الكاهن السامري أبي الحسن إسحاق الصوري، نشرها وعرف بها وعلق عليها الدكتور أحمد حجازي السقا، الطبعة الأولى دار الأنصار بالقاهرة عام ١٣٩٨هـ.



المحتوى

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

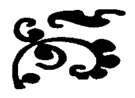
الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة



الفهرس الإجمالي

هذا الكتاب

انبرى الإمام ابن حزم ـ كبير علماء الأندلس الإسلامية ـ للردِّ على أحبار اليهود الذين أساؤوا استخدام الحرية الفكرية التي أتاحها لهم المسلمون في الأندلس، فأطالوا ألسنتهم حتى على القرآن الكريم كما فعل ابن النغريلة.

وكانت نتيجة جدال ابن حزم لأحبار اليهود، واطلاعه على أسفارهم المقدّسة تلك الفصول القيِّمة التي كتبها عن عقائد اليهود وشرائعهم وتاريخهم مع نبيّهم العظيم موسى عليه السلام في أسفارهم الخمسة الأولى التي أطلقوا عليها اسم التوراة، والتي تضمَّنها كتابه القيم «الفَصْل في الملل والأهواء والنحل» والذي عرض فيه أصول الديانة اليهودية والنصرانية وأصول الفِرَق الإسلامية والنحل الأخرى التي عرفها زمانه.

وقد تصدّى ابن حزم في فصوله التي كتبها عن ديانة اليهود لتحريفاتهم وأكاذيبهم وأغاليطهم، وسوء أدبهم مع الله وأنبيائه، وأدانَ القومَ بما كتبوه وسطروه. ولمَّا كانت هذه الفصول من الأهمَّية بمكان، فقد طلبت دار القلم من الأستاذ الشيخ عبد الوهاب طويلة المختص بدراسة الأديان المقارنة، أن يخرج للناس هذه الفصول في دراسة محققة مدققة ناقدة، فاستجاب مشكوراً، وأخرج للناس هذا الكتاب القيِّم الذي سمَّاه (توراة اليهود والإمام ابن حزم).

ويُسعد دار القلم أن تقدّم للناس هذا الكتاب ليطَّلعوا على ما فعله القوم في كتاب ربِّهم الذي أنزله الله على موسى هدى ونور، وليعرفوا مدى جريمة هؤلاء الناس حين حرَّفوا كتاب الله، وزعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه، وأنه قد أورثهم الأرض المقدسة في فلسطين إلى الأبد!!.

الناشر

www.alkalam-sy.com

